مطول

الإنسان روح لا جسم

الخلود . العقل . الاعتقاد
في ضوء العلم الحديث

تأليف

الدكتور رءوف عبيد
أستاذ بكلية الحقوق
جامعة عين شمس

طبعة ثالثة

مزيدة زيادات كبرى

بتقديم روح أمير الشعراء أحمد شوقي

١٩٧١

الجزء الأول

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

صـــورة الغلاف

سير وليام كروكس W. Crookes رئيس « الجمعية الملكية لتقدم العلوم » يصوب مصباحاً فسفورياً إلى الروح « كاتي كنج » المتجسدة في منزله ، والوسيطة مستلقية على الأرض في غيبوبة عميقة .

(راجع الفصل الأول من الباب الخامس)

اهداءات ٢٠٠١
ا.د/ صبري أمين عوض
القاهرة

مطول

الإنسان روح لا جسم

الخلود . العقل . الاعتقاد
في ضوء العلم الحديث

تأليف

الدكتور رؤوف عبيد
أستاذ بكلية الحقوق
جامعة عين شمس

طبعة ثالثة

مزيدة زيادات كبرى

تقديم روح أمير الشعراء أحمد شوقي

الجزء الأول

مطبعة نهضة مصر بالفجالة

إهــــــــداء

بدأ « خلود الروح » موضوعاً فلسفياً عند الأقدمين ، ثم تطور عند المحدثين ـ بتطور أساوب المعرفة ذاته ـ إلى بحث علمى صرف ، وكان ذلك منذ نيف ومائة عام .

ومن المحقق أن الفلسفة والعلم معاً لم يدركا موضوعاً أخطر منه ، ولا أشد منه تعلقاً بحاضر الإنسان وبمستقبله ، وبعوامل سعادته وشقائه .

فالقارىء الذى يريد أن يتعرف على نفسه ، وعلى مآله ، وعلى اعتقاده ، والذى يقرأ هذه الصفحات ـ بما تستحقه خطورة الموضوع من عناية عظمى ـ ثم يقول «بل أريد المزيد من الاطلاع فيه» يخدم نفسه كما يخدم الحقيقة العلمية ، وهى ترفع أبداً قدر من يخدمها .

فإلى هذا القارىء العزيز ـ فى أكثر من معنى ـ أهدى رسالة الروح هذه التى لم يدفعنى إلى مشقة تحريرها سوى الإحساس بفداحة مسئوليتى قبله ، عله يجد فيها قدراً من الاقتناع يدعوه إلى مزيد من الاطلاع فى موضوعه الخاص .

ولست أشك فى أنه كلما ازداد فيه اطلاعاً ازداد به اقتناعاً ، وتزود منه اطمئناناً إلى قدره ومصيره ، وعزاء عن آلام حاضره وماضيه وعن فراق أحبابه وذويه ؟

المؤلف



أحمد شوقى ١٨٧٠ — ١٩٣٢

من روح أمير الشعراء : درة جديدة

« تحية وتأييد لـكتاب الإنسان روح لا جسد »[١]

الدنيا الخؤونة

قل للألى يترنّجون[٢] لينعموا ويقوّمون[٣] رياشهم[٤] ليكرّموا
مهلا فما المتعُ الجموحُ[٥] بمقتنًى إن أفلتت فزمامها لا يُحكَمُ
ودُنا الرغيبة قلّبٌ تعصى الهوى وبطبعها الإعراضُ حين تُتَيَّمُ
فعلامَ وُسْعَةُ[٦] ما يُرام بحيِّها[٧] وهى الخؤون وبالتنكر توسَم[٨]
والساهم[٩] المنساقُ فى أذيالها يمشى كما يمشى العَيِّىُ[١٠] المرغَمُ
يابئسَ ما يُرسِى على أطيافها من شاهقات الأمنيات ويرسمُ

---

(١) العنوان والشروح كلها من عند الروح فيما حلا شروح قليلة جداً أضيفت من القاموس .
(٢) يطلبون الأرباح . (٣، ٤) يجعلون لثيابهم الفاخرة قيمة . (٥) المستعصية .
(٦) اتساع . (٧) بأرضها . (٨) تميز .
(٩) من تغير لونه من الهزال . (١٠) المتعب .

فالرغدُ ظِلٌّ فى تواجُدِ[١] من سَعَى وَغَدَاةَ رَحْلٍ[٢] يستحيل[٣] ويُحسَم[٤]
وذُرَى المطَامِعِ والثَّرَاءِ فَضَالَةٌ[٥] مهما ترنّم بالمديح متيَّم[٦]
مَنْ يستهِم بغضِّها[٧] متدلِّهًا ببريقها ويظنّه لا يُحجِم[٨]
فَعلى المَشُوق[٩] تدور دائرةُ النوى[١٠] ليرى الروائع بائداً يتهدّم
ومَنْ ارتضى حَرَماً[١١] يُشاد بأرضِهِ فغداً يشطُّ[١٢] به المزار ويَندم[١٣]
فاسمع ووازن فى هوادة[١٤] من وَعَى نُصْح الأمين وما عساه يقدِّم

* * *

« المرء روح لا جسد »

واقرأ كتاباً نضّدته[١٥] مكانة[١٦] ليفضّ[١٧] مُلغِز[١٨] خافيات تعظُم[١٩]
صَرْحٌ ترصّع بالبيان وما حَوَى إلا الحقيقةَ من رصين[٢٠] يفحِم[٢١]
وهو انتفاضة باحث متضلع تخذ الوثائق للجلد ترقِّم[٢٢]
رَصَدَ اليقين عن الحياةَ وكنهها[٢٣] وَلنِعْمَ مِنْ أسمى الوجود مقدَّمُ
تبيانه فى الروح عِلمٌ مُصْدقٌ مما أحق[٢٤] الخالدون وأعلموا

---

(١) الوجد والهيام . (٢) الرحيل . (٣) يصير محالا .
(٤) ينقطع : معى البيت أن الرغد وهم فى هيام من سعى إلى الدنيا وغداة الرحيل يصير الوهم محالا وينقطع أمره . (٥) نفاية . (٦) مغرم بالدنيا .
(٧) بناضرها . (٨) يكف . (٩) العاشق .
(١٠) التباعد بالرحيل . (١١) شيئاً يحميه ويدافع عنه . (١٢) يبعد .
(١٣) معى البيت : من يقتنى شيئا فى العالم فغداً يبعد عن الدنيا الزائلة ويندم .
(١٤) رفق ولين . (١٥) جمعته . (١٦) منزلة سامية .
(١٧) لينهى . (١٨) الملتبس من الكلام .
(١٩) أى عالم الروح بأسراره الخافية العظيمة . (٢٠) متزن .
(٢١) يسكت بالحجة وبالبرهان . (٢٢) تضع النقط والحروف على الكلمات .
(٢٣) جوهرها . (٢٤) قال الحق .

بحث اتصال الخلد وهو مغلّفٌ[1] بابن الدنا[2] يحدوه عهدٌ مُبرَمُ
أهْدَى العلوم نفيسَ مايسمو بها من رَوْع ما نشر البيان المفعَم[3].
هى شعلةٌ من تضحيات مجاهـد نَذَرَ العـزيمة للحقيقة تُنْظِمُ
نمّى[4] الرقيم[5] لتستنير بصائرٌ وتزول غاشيةٌ تُضيرُ وتَسقِمُ

* * *

«فالمرءُ روحٌ شَفَّ لاجسدٌ» يُرى منذ استقر ببطن أم يدعَم[6].
والروح يُلقى فى الجنين مشيئةً من خالق الأكوان وهو ينظِّمُ
والروح أصلٌ للتواجد خالدٌ مَسْراه[7] عِلْمٌ شاملٌ . لا طلسم[8]
مِن ناجزٍ[9] أو مقبلٍ فى عمقه علْمُ العلوم بجـدّةٍ لا تَهرَمُ[10].
والمستنير بحكمـةٍ وثقـافةٍ يَرْضَى التعارف بالخلود ويُكرِمُ
ويرى السعاده أن يزوّدَ من عَل فهم الحقائق . والسماء تُعَـلِّمُ
وإلى الرغائب يستجيب ذووالنهى فالعِلْمُ فى دنيا الخلود مُتَمَّمُ
ولذاك قامت فى الخلود منابرٌ تدلى بأقدس ماينير ويُفهِمُ
وغدت دوافع الاتصال[11] تآلفاً جذب المشاعر والصحاب ليُقدِموا
من شاء يلجأ للخلود مسامراً أو مستزيداً فهم مالا يَفهَم

---

(١) مستور عن الأعين . (٢) الإنسان فى العالم .
(٣) الذى بطيب الجو بالمسك . (٤) لأنه جعل مؤلفه من جزئين بعد جزء واحد .
(٥) الكتاب . (٦) يسند لئلا يميل .
(٧) مسروره المستمر . (٨) الطلسمُ: السحر . (٩) حاضر .
(١٠) أى أن علم الروح هو علم العلوم وهو متجدد لا يهرم بحثه .
(١١) الاتصال الروحى .

وتنادت الأجيال بالعلم الذى ... من « عالم الروح » استقام يكرّم
وتخاطب الرواد من أقصى الدُنا ... مَعَ روح مَنْ فى الخالدين وسلّموا
وغدا التجسد[١] والظواهر[٢] غاية ... يصبو إليها الباحثون ليحكُموا
وأقيمت « الجلسات[٣] » تحت رقابة ... حتى ثقاة الراسخين تكلّموا
إذ أجمع النقاد ألا خدعة ... بين الظواهر . والمؤيد مُحكَمُ

* * *

رسالتى

ورسالتى ديباجة حمّلتها ... « شوقاً » أطوف به الحمى وأسلِّمُ
سجلتها متطوعاً ومهيمناً ... بالروح أملى ، والوسيطة تُلهَمُ
ضمنتها[٤] بين الأحبة منطقاً ... بالوحى والإلهام لا نتعلمُ
وأرى سوانح[٥] ذكريات قد مضت ... آبت لأسعَدَ بالفتوح[٦] وأنظِمُ
أحيا بها بين السُراة[٧] منادماً ... من يحتفى بالروح أو يترحّم[٨]
فأنا التتيم بالنظيم مُنمقاً ... واللهفةُ اشتعلت سعيرًا يُضرِمُ[٩]
فهو العزاء إلى الحزين إذا نأى ... عنه التأسى . حين لا يتبسّمُ
وهو الحنان إذا الشجون تكاثفت ... وهو الصَدُوق إذا الأمور تُؤزم
يا صحبُ إنا فى الخلود منائرٌ ... تجلو الطريق بصدق ما نتكلم
نحيا بمملكة التسامح ديننا ... حبٌ طليقٌ للعباد يُقَسَّمُ

(١، ٢) تجسد الأرواح والظواهر الوساطية.
(٣) الجلسات الروحية . (٤) أى رسالتى . (٥) الفرص المؤاتية .
(٦) جمع فتح وهو النصر . (٧) علية القوم . (٨) يترحم على روحى .
(٩) أى قد أهاجنى حب نظم الشعر المنمق .

أهواؤنا طيب السلام . أريجها   من عبقها أرواحنا تتشمم
نلنا الوداعة والسماحة مِنّة   ما عاد فينا للطغاة مُخَيَّم[1].
فينا الكرامة جوهرٌ متلألئ   ومُكَمِّل الأخلاق فينا يَنْعَمُ
ويحوطنا إشعاعُ كلِّ فضيلة   ترضى العُلى حيث الوجوه تكرّم

...

وهنا نعيش بلا خريفٍ مُنفِر   بل فى ربيع يانع نتنعّمُ
والكل فى أوْج الصبا متألقٌ   حرٌّ . مع الإنصاف لا نتظلَّمُ
حزْنا التضامن والوفاق سجيّة   هيهات نُخشى من شِقاق يَفْقُمُ[2]
وتآلف الأرواح نعمة من هَدَى   ما دام إلْفُ الروح لا يتبرَّمُ
إنا تخايلنا المشارف[3] للعلا   حيث المدارك وعيُها لا يفطمُ
لنعبّ[4] من نبع المعارف حكمة   فهى المنال لعالِم يَستكرِمُ[5].
فالخلد أرطابٌ[6] بساحة مؤمن   ما عاش فيها شُغبٌ أو صوَّمُ
كل الرغائب تستجاب لفورها !   فالروح فى العَلياء شىءٌ قيِّمُ

...

من شاء حبًا كالملائك طاهراً   يرتاد ورْداً دون باغ ينقِمُ[7].
و بفيض حبى قد بعثت خواطرى   تُرضى الأريب[8] ومن يتوق و يَعلَمُ
فالحبّ بين الخالدين رسالةٌ   تهدِى الرفاق لكى يفيق النُوَّم
وأنا أحذّر من عنيد مدّع   يبدى الظنون إزاء ما أتكلم !

---

(١) مكان إقامة .   (٢) يشتد .   (٣) أعاليها .   (٤) لنشرب .
(٥) يختار الكرائم .   (٦) ثمر ناضج .   (٧) يحقد .   (٨) الماهر .

وأقول بالإشفاق لست مواربا[١] عـبر الأثير لمن عسى يتفهم
إن الخـلود تـكشفت أسراره تهب الشفاء أو العزاء لمن رُمُوا[٢]
وتناشد الأحيـاء أن يتبصروا فى يقظة الأفهـام كى لا يندموا
يرضون بالإعلام ممن أيقنـوا أن الرجاء يغيب عمّن يحلُم
فالامَ يختالُ المكابرُ لاهفاً ليردّ مَنْ يهوى الخلودَ ويصدِمُ ؟

* * *

أراجيف الغباء

يا لوعةَ الأحيـاء ممن أرجفوا[٣] بجهالةٍ ضد الخلود وأقسموا !
فاحذر مثار العِىِّ[٤] فيمن ندّدوا بالخالدين وبالشكوك تزعمـوا[٥]
وارهب مآل[٦] المارقين إذا افتروْا واسترخصوا الروح الكريم وحطّموا
هيهات فيهم مَنْ يفيق ومن يَعِى ما السدّةُ العَلياء[٧] . أو ما تنعم
فإذا رأيت الصابئين[٨] بضلّةٍ[٩] وعداءهم للخلد . أو من أسهموا[١٠]
قل أزْمَنَ[١١] الجهل المسيطر فى النهى[١٢] ليطيلَ رَقْدَةَ شـاردٍ لا يَفهَمُ
وانساب فى الأقوام ينفث فرية إن الحياة هى الأواخر فانعموا[١٣]
فتناثر الرواد فى غَسَمٍ[١٤] الهوى واستسلم النساق وهـو يغمغم[١٥]

* * *

(١) مخادعا . (٢) لمن رماهم الدهر بالحزن والمرض . (٣) كذبوا
(٤) منبع الضلال . (٥) شهروا بالشىء وأذاعوه بين الناس كذباً (٦) مصير .
(٧) باب السماء . (٨) أى الخارجين عن الدين . (٩) مرة من ضل .
(١٠) جعلوا لهم أسهما فيه . (١١) طال عليه الزمن . (١٢) العقول .
(١٣) معنى البيت أن الجهل انساب فى الناس يقول إن الدنيا هى آخر الحياة ولا شىء بعدها .
(١٤) ظلمة . (١٥) يتمتم بقول مبهم .

ظنوا الحياة بَجرفها[١] ومتاعها حد التواجد والغياب[٢] يُعقِم[٣].
فتناجزوا[٤] كلٌّ يراود غيَّة[٥] ويَفضُّ[٦] غالى العمر فيه ويظلم
وانساق كلٌّ كالسليب[٧] مهاتراً[٨] فبدت أراجيف الغباء تُترجَمُ
وأغار داعية[٩] الشكوك بحسرةٍ يَنعى الرغائب، فاستشاط الفحَم[١٠].
وبفرية الأفاك[١١] قامت غصَّة[١٢] تذرى بحبات القلوب وترجُمُ
والجهل يعطب مَن يصيب بلغوه[١٣] من مُخزِيات قد تعوق وتُحطِم
ويهيج من نزَق[١٤] الملوَّع فى الدنا[١٥] يَرمى المحبَّ للهباء[١٦] يهشِّم
آهِ من الشظف[١٧] اللاحقِ للورَى مِمن لغا[١٨]: ألا خلوداً يدعَم[١٩].
رَجْمٌ بما لا يعلمون، وما وَعَوْا ما يستبين إذا الوجوه تلثَّم[٢٠].

* * *

الروح أسى للتواجد

ياصابرين على الشكوك وضيرها[٢١] خسر[٢٢] لعمرى ما يُضيرُ ويَهدِم
خلوا الدعاة الراسمين على سُدى[٢٣] واصغُوا لدعوة راسخٍ يتكلم
المرء يقحم الحياة بروحــــه ولها امتدادٌ فى الخلود منظَّمُ

---

(١) المال من فضة وورق وغيرها. (٢) القبر. (٣) يسكت.
(٤) تقاتلوا. (٥) ضلاله. (٦) يهدم. (٧) المسلوب العقل.
(٨) يسب بالقول الباطل. (٩) سبب. (١٠) الذى أسكت بالحجة فى خصومة.
(١١) الكذوب. (١٢) هم وحزن. (١٣) الكلام بدون تفكير.
(١٤) طيش. (١٥) الذى أعياه حب الدنيا. (١٦) العدم.
(١٧) الضيق والشدة. (١٨) قال لغواً. (١٩) يسند بالتجربة وبالبرهان.
(٢٠) ساعة الموت تلثم الوجوه. (٢١) ما يضير منها. (٢٢) خسارة.
(٢٣) على هباء.

والخلد إرثٌ للضنين بنصِّها[١] وهى التى يَشقى بها أو يُرحَمُ
«والمرء روح» لامناص لجحدها[٢] فخـذوا الحقيقة منهجاً يتقوّم[٣]
والروح أُسٌّ للتواجد أصلها من عُمْق ما قال الإله تنسموا[٤]
هيهات تفنى . . بل تهيم لآبدٍ فإلى جحيم أو نعـيم يُقسَمْ
والمرء لايلقى ازدهاراً دونهـا فهى الصبا تُحيى الرميم[٥] فيعظُم[٦]
وهى التى يرجو النعيم لسعدها فإذا النالُ لهـا تأتّـى تَسلَمْ
وتجوبُ فى الآفاق إذ يصفو لها ما أحرزت من سَلْسَل[٧] لا يُفصَمْ
فإذا نأى عنها النعيم تدهورت وعلى مسالكها الذميمةِ تنقمُ

* * *

يا غافلين عن الخلود ومُلْكِهِ ما العيش فى الدنيا مآلٌ يُختَمْ
فابغُوا الرجاء على امتدادِ نوالكم فى الخلد إذ يبقى الفِعالُ القيِّم[٨]
فهنالك فى أوْج العـلاء رغيبةٌ هى كلُّ ماوهب الإله الأكرم
ونوالُها وقفٌ على من أيقنوا كُنْهَ الخلود فأيَّدوا واسترحموا
وتعلقوا فى حكمـةٍ برقيِّهـم إن هم سعوْا لرحابها وتقدموا
هى روضة الأنوار فى أبهائها يرتادها من للرضَى[٩] يتدوَّم[١٠]
فمن استقام على الرشاد مقدِّراً للجوهر الخلاّب[١١] فهو الضيغَم[١٢]

* * *

(١) برفعتها . (٢) لنكرانها . (٣) يعتدل . (٤) أى أن الروح هى أصل الوجود ، وهى نسمة من الإله تعالى . (٥) البالى . (٦) يصبح عظيما .
(٧) الماء العذب . (٨) معنى البيت : ابغوا أن تنالوا الرجاء فى الخلد حيث تبقى الأفعال الطيبة . (٩) رضاء الإله . (١٠) ينتظر. (١١) الروح. (١٢) الشجاع ، القوى .

إلى مساجلة

يا قائمين على المدارك والحجى | من يستبين الحقّ لا يتبرّم
فإلى مساجلةٍ لتقنعَ باحثاً | عن مهربٍ مما يثير ويُسْئِم[١]
هذا الذى يهوى الحياة . يحبها ! | فيمَ التواجد[٢] ؟ ثم فيمَ نُسَدَّم[٣]
فيمَ الحياة بروضها وورودها ؟ | والحب يحلو للعباد فينعَمُوا
ثم التناثرُ فى الحفائر والثرى | ليحدّ من أصل الحياة ويَقْصِم[٤]
أهدى الجمال إلى الخليقة ناشراً | حُلل السنا اللألاء . ثم يحرّم ؟

* * *

فيم سعى المعتد[٥] فى خُيلائه[٦] | وجلالُه بعد الزَّواء يُحطَّمُ ؟
فيم التنافس فى الحياة برونقٍ | وكأنما رَقَش[٧] الجلال معلّمُ ؟
وروائع المشوق من أقدادنا | تمشى الهوينا . للفناء تُلقَّم[٨] ؟
هذا ربيع العمر يمثل فَيْنَة[٩] | يحدو شباب الناس بعدُ ليهرموا !
ويعود طبع الموت وهو مجازفٌ | يلقى بقارعةٍ[١٠] تُضيم[١١] وتهدِمُ ؟
فيم انتشار النور للعين التى | بعد اجتلاءٍ فى الغياهب[١٢] تُظلِمُ ؟
فيمَ المعارف تستقيم لذى هُدًى | والعقل يأتى المعجزات وينظمُ ؟
ويناطح العلياء يكشف غُمْضَها[١٣] | بالعلم والتمحيص وهو يُيمِّمُ

---

(١) وهو الاعتقاد بان الموت فناء . (٢) الهيام والوجد.
(٣) نصبح رائحتنا كريهة بالموت . (٤) نقصف العمر. (٥) المتأنق .
(٦) تيهه وتكبره . (٧) زين . (٨) ندفع الى فم الفناء . (٩) حيناً وساعة
(١٠) داهية (١١) تظلم . (١٢) ظلمات القبر . (١٣) خافيها .

ويلاحق الجوزاء فى أطـوارها ... فى لهفـة السبّاق لا يتجهّم
فكأنما ملكَ الزمام إذا اعتـلى ... مَتْنَ الفضاءِ يجول فيه ويزعَمْ،[١]
ويَخَالُ أطياف السماء كواعباً[٢] ... ينسقن للأحضان وهو يحوّمْ[٣]
فيغافـل الرُقباءَ فى أهـوائه ... يُبدِى الغرام لتستجيبَ الأنجم
ويود لو يُلقِى الرحال بقربها ... فى مرتع الأقمار وهى تسامُ !
حلمٌ يشاء لو استحال[٤] حقيقةً ... فهو المتيّمُ بالفضاء المغـرَمُ
ويفيق من أحـلامه مترنحاً ... ويغيبُ مالاقاه وهـو يهوّمُ[٥]
ليعـودَ بالنصر المحقق شافياً ... بالرى غُـلّةَ[٦] سائلٍ يستعلمُ

* * *

هذا الذى جاء الخوارق[٧] عِلْمُهُ ... ليزوّد الأجيال منـه ويُطعِمُ
قَدَرٌ توافيه المنون[٨] بمنجلٍ ... يأتى على فحوى الوجود ويكلمْ،[٩]
ويغوص ضوءُ العلمِ فى عُمْق الدجى ... بعد استفاضة نيّراتٍ تُنْظَمُ ؟
يا قاتلَ اللهُ الشكوكَ ووهمها ... فالتيه فى ريَبٍ[١٠] مرارهُ علقمُ !
يُبدى هواجسَ يائسٍ وَطِئَ الثرى ... وهو الحقود الخاسرُ المستشئمُ
يَنْعِى الوجود بما حوى من زائفٍ ... يُذْرِى الخلائق للحفير ويردمُ
فتراهُ يرتقب الجـير يُعيذهُ ... من حَيْرة الملتاع وهو مُتَّهمُ
لينيرَ بالإعـلام كل بصيرةٍ ... ويُهدِّىء الروع المُثارَ ويُفهِم

---

(١) يسود . (٢) حسانا. (٣) يطوف حولها . (٤) تبدل .
(٥) يميل رأسه من النوم . (٦) شدة العطش . (٧) مافوق العادى .
(٨) المنية . (٩) يجرح . (١٠) ظنون .

ويقدّم البرهان أنْ بعد النوى[١]   عيشٌ يطمئن نازحًا يتــألمُ
عيشٌ عجابٌ فى الخلود كأنه   أســطورة تجتاح[٢] ما يتوسّمُ

* * *

يا نادب الدنيا

يا نادب الدنيا وتَمْحَ بهائهــا   لستَ اللومَ بما عسى تتبرّمُ
فإذا عددتَ جمالهــا مُسْتَحْسِناً   طول الإقامة . دون فضٍ[٣] يُعْدِمُ
وإذا شجاكَ الحسن فى أوصافها   ولناظــريك ربيعهــا يترسّمُ
ورأيتَ نهجكَ[٤] يستظل بدوحها   تجنى الورود وتستهيمُ وتَنعمُ
وإذا رأيتَ الشمس فى إشراقة   تهديك دفئا للحيــاة يقوِّمُ[٥]
وعشقتَ طيبَ الأمسيات بروعها   إن أقمــر الليــلُ البهيم القتمُ[٦]
وله انّ موفورَ الجمــال بسحره   هزّ الشاعــر ثم راح ينغّمُ
والروض أزهر والطيور تراقصت   والصفو أغدق ما يُرامُ ويُغنمُ
ورايتَ ســيال المباهج دافقًا   والبال بالعيش المحبب ينعَمُ
ومنابع الإسعاد بانت مرتعا   تغرى المدّلهَ والمشوقَ وتُنعِمُ
وودتَ عيشا سرمدا برحابهــا   يرسى الأمان بما يحق ويُقسَمُ

* * *

هــذى لعمــرى متعة وقادةٌ   لمن اتقى ومن المــآثم يُعْصَمُ[٧]
وهى المنال إذا البصائر نوّرتْ   فى روضة الأبرار يوم تُقدِّمُ[٨]
فالله إذ خلق الجمــال لعــالَمٍ   يَبْقى لِحَدٍّ حيث طاب المغنمُ

---

(١) الباعد .   (٢) تمحو .   (٣) موت .
(٤) مسالك .   (٥) يجعل للحياة قيمة .   (٦) الشديد السواد .
(٧) أى أن طلب المتعة المصبئة حق لمن عصم نفسه من المآثم .
(٨) وهى المثابة التى تمنح له فى عالم الروح .

مسترفقاً يُبقى نصيباً فائقاً   فى العالم الأسمى لروح ترحم
فتراه مدًّا للصميم المرتجى   وهو النعيم الخالد والبلسم
ليرى الجمال وقد تسرَّد دُرُّه[١]   فوق المدارك . حيث قام المَعْلَم[٢]،
حقا لمن يرقى الخلود إذا سمت   كل الميول وقد شجاه الأقوم[٣]
فإذا توصل واستراح لما ارتأى   وجد الجمال حقيقة لا تنفصم[٤]،
فوحق من نشر الخلود لأبدٍ   سيفيق فى مَسْرَاه لا يتوهم
ويلوذ بالفضفاض[٥] من أزيانه[٦]   حيث الرغيد من الهناء مُعَمَّم[٧]

* * *

أما إذا استخزى[٨] الزنيم[٩] بفعله   وانحط للرتب الدنيئة يلطم
هيهات يلمح فى الخلود ملاحة   فمصيره حيث الظلام المعتم
فى غبشة[١٠] الليل البهيم سينطوى   حيث السعير بلاذعات يَدْهم[١١]،
وإذا استغاث فلا مراحم ترتجى   بل رادعات تستفز وتلجم[١٢]،
ويحوطه الإعياء وهو مقلبٌ   فى لجة[١٣] الدخّان[١٤] حيث جهنم

أحمد شوقى

راجع فى الفصل الأخير من الباب الأخير من هذا الجزء الأول عدداً وفيراً من أشعار روح أمير الشعراء مع رأى أعلام الشعر والأدب فيها مبيناً بأسانيده.

---

(١) تتابع لؤلؤه بانتظام . (٢) مايستدل به على الطريق . (٣) الأفضل من الأمور .
(٤) لاتكسر ولا تصدع . (٥) الواسع من العيش . (٦) محاسنه .
(٧) عام ومنتشر. (٨) صار عنده خزى. (٩) الذميم .
(١٠) ظلمة . (١١) يسود. (١٢) تصده وتمنعه الاستغاثة. (١٣) عظيم الماء.
(١٤) فى جلسة روحية بالقاهرة بتاريخ ١٢ أغسطس سنة ١٩٦٥ سألنا أمير الشعراء فى شأن معنى هذا البيت عما إذا كان يوجد سعير ودخان حقيقيان فى بعض المناطق الغبر السعيدة من عوالم ماوراء المادة فأجاب قائلا : إن الأرواح لاتعرف بعد كل شيء وأنها لم تبعد عن مستوى معلوماتنا كثيراً ، وأنه استعمل لفظى السعير والدخان بنفس دلالتهما فى الكتب السماوية لا أكثر ولا أقل ، كما أشار بإضافة هذا الشرح دفعاً لأى لبس .

الإنسان روح لا جسد

الخلود . العقل . الاعتقاد
فى ضوء العلم الحديث

مقدمة الطبعة الثالثة

صدرت الطبعة الأولى من هذا المؤلف فى سنة ١٩٦٤ وصدرت الطبعة الثانية بعدها بعامين ، وها هى الطبعة الثالثة مزيدة زيادات محسوسة فى أغلب أجزائها . ذلك أنه برغم الاستقبال الطيب الذى قوبلت به الطبعتان السابقتان فى كل مكان ، والذى تشير إليه سرعة نفادهما ، فقد رأيت أن أتناولهما بمراجعة شاملة فى ضوء عدد وفير من المراجع القيمة بشتى اللغات ، والتى حصلت عليها بمشقة بالغة بعد أن نقبت عنها كثيرا فى بلادنا وفى الخارج ، لاعتقادى أن الاطلاع عليها لازم للوصول بهذا المؤلف إلى المستوى الذى أريده له ، والذى ينبغى أن يتناسب مع خطورة الموضوعات التى يعالجها ومع دقتها المفرطة ، وكيما يحقق غايته المرجوة فى تعريف القارىء العزيز تعريفاً صحيحاً بأهم الجوانب العامة فى علم الروح الحديث .

وقد حرصت فى هذه الطبعة الثالثة على أن أواصل التزيد من عدة أمور وهى :

أولا : التوسع فى بيان الأسماء والمراجع الموثوق فى قيمتها وفى مكانة أصحابها ، وفى أصالة أساليبهم ، والتى تعالج الجوانب الفاصلة فى مصير هذا العلم ، فهى بمثابة العمد التى يقوم عليها فى علوم الباراسيكولوجى والأنتروبولوجى والفيزياء والرياضة والفلك وغيرها .

وثانيا : الاستزادة من البينات والوقائع الهامة التى تـكشفت عنها بحوث عدد وفير من علماء الصف الأول فى الجامعات المعروفة وخارجها ، ومنها مثلا بحوث الإدراك عن غير طريق الحواس Extra Sensory Perception وتأثير العقل - أو إن شئت الروح — فى المادة تأثيراً مباشراً Paycho—Kinesis .

وذلك بالإضافة إلى البينات الوساطية — الفيزيقية والعقلية — التى أفسحت لها هى الأخرى مكاناً فى الطبعة الحالية يتجاوز مكانها فى الطبعتين السابقتين مؤيدة بعشرات من الصور واللوحات الجديدة ، المأخوذة من المراجع المحايدة . فإن هذه البينات وتلك تمثل مجتمعة الإطار الخارجى المحسوس لهـذه المعرفة الجديدة والأسانيد العلمية الـكفيلة بأن تطمئن كل متشكك ، وأن تقنع كل من يبحث عن الاقتناع الموضوعى المحايد من أقرب سبله وأدعاها للوصول إليه .

وثالثاً : راعيت التوسع فى الناحية الوصفية لعالم الروح لأنها تمثل ناحية نجح هذا العلم فى تبديد الـكثير من غموضها ، وإلقاء أضواء جديدة عليها ، ويهم كل قارىء ولا ريب الاستزادة من المعرفة فيها ، بعد أن نجحت البحوث الدقيقة فى إثبات أن الموت بمعنى التلاشى خرافة كبرى ، وأنه ليس أكثر من مجرد تغير من حالة إلى حالة ، مماثل لبعض التغيرات التى تعرفها علوم الحياة ، بل حتى ظواهر المادة والطاقة فى الفيزياء الحديثة . وهو تغير حاسم فى مصير الإنسان ، لأن من شأنه أن ينقل النفس من مستوى منخفض إلى مستوى آخر مرتفع من مستويات الوجود غير المحدود ، خاضع لأسلوب آخر أرق من أساليب الحياة التى نعرفها وأرقى .

ورابعا : وقد حرصت أيضاً على أن أوفى الجوانب الفلسفية مزيداً من العناية على هدى ماخطته أقلام أبرز فلاسفة الروحية وعلمائها ، وما تنادى به من

تعاليم راقية لاعتقادى أن هذه الجوانب الفلسفية تمثل أروع ما تكشفت عنه من نتائج البحوث المضنية التى جرت فى نطاق هذه الروحية التجريبية .

وإذا كان من رأى شيشرون مشرع الرومان ومحاميهم العظيم « أن الدفاع عن الفلسفة أجل خدمة يؤديها الإنسان لوطنه لأن الفلسفة تثقف العقل وتهذب النفس وتغرى بالتزام الفضيلة وتقى المرء شر الضلال » ، فإن هذا القول لا يصدق على أمر قدر صدقه على هذه الروحية العلمية بالذات . ففلسفة هذه الروحية التجريبية هى الجوهرة الثمينة التى تزين جيدها ، بل هى ضوء الفجر المنبثق منها ، والذى سيكون له أحسن الأثر — إن عاجلا أو آجلا — فى تغيير اتجاه العقل البشرى إلى وجهة روحية جديدة تمثل وحدها طريق النجاة من كثير مما تعانيه الإنسانية الآن من متاعب ، وما يكتنفها من أخطار التخبط فى دياجير المادية والإلحاد ، أو التردى فى هاوية الجمود الفكرى والاستبداد .

وخامساً : كما حرصت أيضاً على أن أحقق فى هذه الطبعة قدراً أوفر من الربط بين حقائق الروحية من جانب وحقائق العلوم الأخرى من جانب آخر ، بالإضافة إلى حقائق الاعتقاد الموضوعى التى ليست محل خلاف بين المعتقدين مهما تنوعت أديانهم ومذاهبهم . ومراعياً أن الربط بين العلم والفلسفة والاعتقاد أمر لا غنى عنه للوصول إلى أى اقتناع متكامل سام فى موضوعات الروح . وسأقوم بهذا الربط مستعيناً فيه بأوليات العلوم المسلم بصحتها ، فضلا عن حقائق الاعتقاد التى لا تمت بأية صلة إلى الخلافات بين المفسرين أو بين المعتقدين .

ولعل هذا الاعتبار الأخير كان من أهم العوامل التى دفعتنى إلى أن أتحمل راضياً مشقة مواصلة البحث فى موضوع الروح برغم دقته المفرطة ، وعناء التوسع فيه برغم مشاغلى الكثيرة ، فإنى مقتنع تماما بصحة عدد من البحوث

الجادة الأمينة فيه ، وما تكشفت عنه من حقائق هامة لعل أهونها شأناً يزرى بأخطر ما وصل إليه علم العلماء حتى الآن ، وكلها تتضافر فى توكيد هذه الحقيقة الأولية التى عبر عنها الشاعر العربى ببساطة عند ما قال « فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان » .

فلا غرابة إذا ما أخذت هذه المعرفة الحديثة تكتسح تدريجياً — ولكن فى إصرار شديد — كل العقبات المصطنعة التى حاول البعض أن يضعها فى طريقها عن اطلاع ناقص ، أو عن تسرع فى الحكم على الأمور ، أو عن غير ذلك من عوامل الخطأ والعثار فى الرأى . حتى لقد أصبحت المكابرة فى حقائق الروحية الحديثة ليست أكثر من حماس للجهل ، ومن دعوة مرفوضة من أساسها للانطواء وللتخلف طالما رفضنا أمثالها من قبل أياً كان مصدر الدعوة وحجة الداعى .

وهذه المعرفة ستتبوأ مكانها اللائق بها فى بلادنا أسرع بكثير مما قد يتصور هذا البعض من المعترضين بغير ما بحث ولا تجريب . ويدفعنى إلى الاعتقاد بذلك ما نلمسه من نهضة بلاد العروبة العزيزة فى كل مكان ، بعد أن نفضت نهائياً غبار الجمود كيما تلحق بركب التقدم العلمى الحديث إلى المدى الذى تجاوز ما كان يتوقعه أشد الناس تفاؤلا منذ سنين قلائل . كما يدفعنى إليه إيمانى الراسخ بروحانية الشرق الأصيلة . . . هذا الشرق الذى كان مشرق الإيمان بالخلود ، ومهبط الرسالات الروحية العظمى التى أضاءت مشعل العرفان للإنسان منذ أقدم الأزمان .

وبالنظر إلى الزيادات الملموسة فى جميع أبواب هذه الطبعة وفصولها ومباحثها أرانى مضطراً إلى أن أوزع موضوعاتها على جزئين كبيرين ، وبحيث يغلب على موضوعات الجزء الأول الطابع التاريخى والتجريبى ، ويغلب على موضوعات

الجزء الثانى الطابع النظرى والفلسفى ، بغير إمكان الفصل التام بين الطابعين لأن البحث الحديث فى الروح هو فى واقع الأمر مزيج من علم وتجريب ونظر وفلسفة فى وقت واحد وفى بوتقة واحدة .

تبويب

هذا وقد رأيت أن أوزع موضوعات الجزء الأول منهما على خمسة أبواب وموضوعات الجزء الثانى على ستة أبواب ، وذلك على الوجه الآتى : —

أبواب الجزء الأول

الباب الأول : فى التمهيد إلى علم الروح الحديث .

الباب الثانى : عجالة عن الروح عند الأقدمين .

الباب الثالث : فى نشأة العلم الروحى الحديث .

الباب الرابع : فى بعض الأسماء والمراجع فيه .

الباب الخامس : فى بعض البينات والوقائع .

أبواب الجزء الثانى

الباب الأول : فى موقع عالم الروح .

الباب الثانى : فى ظروف الحياة فيه .

الباب الثالث : فى الثواب والعقاب .

الباب الرابع : فى بعض المشكلات الفلسفية الأخرى .

الباب الخامس : فى الروح بين العلم والاعتقاد .

الباب السادس : فى علم الروح بين حاضره ومستقبله .

ونرجو بعد الفراغ من قراءة الجزئين معاً أن يصل القارىء العزيز إلى تكوين اقتناع علمى مترابط صحيح بصحة الاعتقاد بخلود الروح ، هذا الاعتقاد

الذى نادت به جميع رسالات السماء فى كافة الأرجاء ، وأن يستمد من هذا الاقتناع كل عناصر الاطمئنان والعزاء التى من حق العقل الحكيم أن يبحث عنها مهما كبده البحث من مشقة وعناء .

كلمة وفاء

ولا يسعنى إلا أن أسجل هنا عجزى عن تصوير شعور الشكر والوفاء لروح أمير الشعراء أحمد شوقى الذى تفضل فبعث من سماء خلده بأكثر من تحية شعرية لعملى المتواضع ، وكلها تحسب من غرره بل من آياته التى تفيض رقة وعذوبة وتنبض بالحياة وبالجمال. ألا حياك الله يا شوقى فقد رفعت رأس الشعر العربى عالياً وكانت قصائدك العصماء درراً مشرقة فى جبينه ومفخرة له على مدى الأجيال . وها هى تصبح الآن خير نداء يوجهه عالم البقاء إلى عالم الفناء حاملا إلى الورى بشرى الخلود ، وفرحة الانتصار المحتوم على فناء الأعضاء فى إعجاز من القريض هيهات أن تدانيه بلاغة البلغاء .

وأتقدم بالشكر الجزيل أيضاً إلى الصديق العزيز النطاسى البارع الدكتور سلامة سعد وإلى السيدة الفاضلة قرينته وسيطة هذا الإلهام الرائع من روح أمير الشعر والشعراء .

وكذلك أتقدم بشكرى العميق إلى جميع سادة الفكر والقلم الذين غمرونى بمناسبة ظهور الطبعتين السابقتين بثناء جم لا أستحق منه شيئاً ، مؤكداً لهم أننى سأحاول أن أكون عند حسن ظنهم بى ، فإذا لم يعوزنى التوفيق فحسبى جزاء رضاء القارىء عما يقرأ ، وإلا فحسبى ما بذلت من جهد فى خدمته ، وما ترسمت من غاية فى خدمة أخطر حقيقة وصلت إليها جهود العلماء ، وأكثرها ارتباطاً بالإنسان فى حاضره وفى مستقبله على السواء . والله نسأل أن يهيىء لنا من أمرنا رشداً إنه سميع الدعاء مجيب .؟

رءوف عبيد

الباب الأول
فى التمهيد إلى علم الروح الحديث

فى هذا الباب الأول الذى خصصناه ليكون بمثابة التمهيد إلى علم الروح الحديث نرى أن نعالج ثلاثة موضوعات هامة موزعة على ثلاثة فصول على النحو الآتى :

الفصل الأول : فى مقدمات البحث العلمى فى الروح .

الفصل الثانى : فى رسالة البحث العلمى فى الروح .

الفصل الثالث : فى واجب الارتباط بالأسلوب العلمى فى هذا البحث .

الفصل الأول
فى مقدمات البحث العلمى فى الروح

لو أن أى إنسان قال أمامى منذ أكثر من عشرين عاماً إن الحياة بعد الموت حقيقة مقررة ، وأن الصلة بين عالمى الروح والمادة قد ثبتت علمياً لرميته فوراً بالتعلق بالخرافات الساذجة التى لا يصح قبولها فى القرن العشرين ، عصر العلم والعرفان ، ولرميته بالتالى بكل ما يمكن أن يرمينى به الآن — سراً وجهراً — أعداء هذا النوع من المعرفة ... فما الذى جرى كيما أمسك بالقلم للكتابة فى نفس هذا الموضوع مقدراً خطورته ، شاعراً أن الكتابة فيه برغم مشقتها البالغة أمانة فى عنقى على أن أؤديها الآن للقارىء ومسئولية كبرى ؟ . .

إن الذى جرى هو أنى بحثته — بحثاً كافياً فيما أعتقد — طيلة هذه السنين الطويلة على اعتبار أنه مجرد دعوى مطروحة على محكمة العلم ، والبينة على من ادعى . فحصلت فيه على قدر من المعرفة أقنعنى أن من واجبى أن أكتب فيه لأنه

جدير بعناء هذه الكتابة ، بعد أن تبينت أن العداوة لأى أمر كثيراً ما يكون سببها الوحيد هو الجهل به ، فالناس دواماً أعداء لما جهلوا ؛ اعتداداً بما يعرفون من أمور ، وما أضأل ما يعرفون .

وعداوة أى أمر جديد — كبيراً كان أم صغيراً — قابلها الرواد الأوائل للكشوف العلمية وقاسوا منها الأمرين ، ومنهم من دفع حياته ثمناً لها . فعندما أخذ سقراط يدعو مواطنيه إلى نبذ بعض آرائهم القديمة وإلى معرفة نفوسهم جوزى بكأس السم. وعندما اكتشف جاليليو حركة الأرض حول نفسها وحول الشمس لاقى أهوالا مريرة من عناد معاصريه ، انتهت — فيما يقال — بإعدامه. وعندما اكتشف باستير دنيا الميكروبات — وهو أعظم كشف فى تاريخ الطب — كان عليه أن يخوض حرب حياة أو موت مع معاصريه من كبار الأطباء حتى دعاه أحدهم إلى المبارزة . وعندما تحدث داروين عن ناموس التطور لقى من صنوف التهكم والنقد المرير الشيء الكثير. . . . وهكذا كانت الحال دائماً على مر السنين والقرون بفعل روح المحافظة على القديم ، بالإضافة إلى عوامل الغيرة والعناد والأحقاد . . .

وحتى بالنسبة للكشوف الصغرى التى تقل شأناً عما تقدم كانت دائماً تقابل بمعارضة شديدة من أهل العلم أنفسهم ، فالمحافظة على القديم طبيعة عندهم مأثورة. فمثلا أنكر التخدير عند بدء ظهوره الفسيولوجى الفرنسى ماجندى Magendi برغم أنه كان عضوا فى أكبر معهد علمى فرنسى وهو « الكوليج دى فرانس » وله عدة مؤلفات فى الجهاز العصبى. كما أنكر التليفزيون بويو Bouillaud الذى كان عضواً بأكاديميى الطب والعلوم . وأنكر خصوم جالفانى Galvani اكتشافه الكهرباء ، وأنكرت الهيئات الطبية اكتشاف إدوارد جنر Jenner المصل الواقى من الجدرى ، ثم تقبله العالم أجمع . . .

وذلك إلى الحد الذى دفع مكتشفاً عظيماً مثل إديسون Edison إلى أن يصرح «بأن الناس يكرهون كل ماهوجديد . بل كل ماقد يدعوهم إلى التفكير» . وهذه الآن حقيقة اجتماعية مسلم بها ، فقد تبين أن كراهية كل أمــر جديد Le misonéisme تعد من نواميس السلوك الإنسانى فى كافة ميادين الحياة ، لما يسببه الأمر الجديد من ضرورة تحمل ألم الاستعاضة عن الإحساس القديم بإحساس آخر جديد ، أو بفهم آخر لهذا الأمر المستقر من أمور الحياة . كما تبين أن الإنسان محمول بدافع من كبريائه إلى أن ينــكر صحة كل أمر يسمو على إدراكه، ولـكن هل إنــكار الأمر الصحيح ينفى صحته ؟ وأى أمر عميق من أمور الحياة أمكن لعقل الإنسان الواهن أن يدركه إدراكا صحيحاً حتى الآن ؟ .

عصر البحث العلمى فى الروح

وفى سنة ١٨٤٨ حدثت ظواهر معينة فى قرية هيدسفيل Hydsville قرب مدينة روشستر Rochester بولاية نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية ،مثلها حدث ويحدث أحياناً نادرة فى أمكنة مختلفة دون أن يعنى أى إنسان ببحثه بطريقة علمية منظمة ، لـكن إزاء الحيرة التامة فى تعليل هــذه الظواهر هناك تدخلت الجهات المسئولة فى بحثها فشكلت لها ثلاث لجان رسمية متوالية ، كما ساهم فيها عدد كبير من العلماء الباحثين الذين انتهوا متفرقين ومجتمعين إلى نسبة هذه الظواهر إلى كائنات غير منظورة هى أرواح الموتى ممن انتقلوا إلى العالم الآخر .

ومن أشهر من بحثوا هذه الظواهر غير المألوفة — فى مبدئها — وانتهوا إلى نسبتها إلى الأرواح القاضى جون وورث إدموندز John Worth Edmonds (١٨١٦—١٨٧٤) الذى كان فى وقت ما رئيسا للمحكمة العليا بنيويورك ، ثم رئيسا لمجلس الشيوخ الأمريكى ، والذى كتب فيها «بياناً إلى الجمهور» فى جريدة نيويورك كورير New York Courier فى أول أغسطس سنة ١٨٥٣ ذكر فيه أنه بحث

موضوع الطرقات التى كانت تحدث فى قرية هيدسفيل لمدة أربعة شهور، مخصصاً لها جلستين أسبوعياً ومستعيناً بحوالى عشرة من العلماء وبخبير فى الكهرباء فعجزوا جميعهم عن تعليلها بأى مصدر مادى، ومبيناً فيه خطورة هذا الكشف الروحى من ناحية أنه « يظهر للانسان واجبه ومآله فلا يتركه بعد الآن غامضاً مشكوكاً فيه[1] ». ثم وضع فيه مؤلفا ضخماً فى جزئين عنوانه « الروحية »[2] وهو ثمرة تجارب سنين طويلة من البحث فى دائرته الخاصة بالاشتراك مع ناتانيل تالمادج Nathaniel P. Tallmadge عضو مجلس الشيوخ ومحافظ ولاية وسكونسن Wisconsin .

ثم تلاه جيمس مابس J. Mapes عالم الكيمياء والعضو بالمجمع العلمى الأمريكى وبعد أن بحثها نشر نتيجة بحثه بالتفصيل . ثم تلاه روبرت هير Robert Hare (١٧٨٠—١٨٥٨) أستاذ الكيمياء بجامعة بنسلفانيا، وبعد طول معارضة لها تحقق منها بنفسه ونشر فيها مؤلفاً عنوانه « تحقيق تجريبى لظواهر الروح »[3] ، كما حاضر فيها فى المؤتمر الروحى الذى عقد بنيورك فى سنة ١٨٥٤ .

وقد ازداد اقتناع ثلاثتهم — إدموندز ومابس وهير — بعد تجارب أخرى كافية مع الوسيط دانيل دنجلاس هوم Daniel Dunglas Home وهو الذى خضع أيضا لتجارب عالم الكيمياء سير وليام كروكس William Crookes رئيس « الجمعية الملكية لتقدم العلوم » (أى المجمع العلمى البريطانى) ، هذه التجارب التى ساهمت فى بناء اقتناعه الكامل الذى حفزه إلى أن يقدم إلى هذا المجمع العلمى فى سنة ١٨٧٤ تقريره التاريخى — الذى يعبر عن نبل مقدمه وشجاعته — وعنوانه

---

(١) راجع نص هذا البيان فى مؤلف سير أرثر كونان دويل عن « تاريخ الروحية » ج ١ ص ١٢٥ — ١٣٢ .

(٢) Spiritualism.

(٣) Experimental Investigation Of The Spirit Manifestations.

« بحوث فى ظواهر الروحية » [1] .

وبعد هؤلاء الرواد الأوائل أقبل نفر كبير من أبرز علماء الفيزياء والسيكولوجيا والبيولوجيا والفلك والرياضة على البحوث الروحية ، وأخذ الاهتمام بها يتزايد شيئاً فشيئاً فى بلاد العالم المختلفة ، حتى لقد نشأت حركة واسعة النطاق للبحث فى الروح ، سرعان ما كان لها صداها فى أغلب بلاد العالم ، بما فى ذلك بلادنا المصرية . فشملت بلاد الحضارة المعروفة ، وفى نفس البيئات العلمية التى قادت خطى هذه الحضارة وحملت مشاعلها منذ منتصف القرن الماضى حتى الآن .

والأسماء فى هذه الحركة كثيرة ، ومما يسترعى الانتباه فيها أن أفضل روادها هم بأنفسهم أفضل رواد العلوم المادية الذين أثبتوا أصالة فى منطقهم وعمقاً فى نظرتهم للأمور ، كما أثبتوا أنهم فى مجال التجريب والملاحظة يمثلون مستوى خاصاً من القدرة عليهما ، مما يبعث على الثقة الكافية فى قيمة بحوثهم وفيما انتهوا إليه من نتائج إيجابية ، على ما سيبين بعد الاطلاع على صفحات هذا المؤلف .

وبعد ذلك اتسعت حركة هذا البحث العلمى حتى شملت العشرات ثم المئات من أفضل مفكرى القرنين الماضى والحاضر فى شتى البلاد فأصبحوا من دعائم هذا العلم ودعاته . ومنهم عدد من ذوى الأسماء اللامعة فى الأدب وفى الصحافة مثل سير وليام . ت . ستيد William T. Stead (١٨٤٩ — ١٩١٢) الذى كان نقيباً للصحافة فى بلاده . ومثل الروائى الشهير سير آرثر كونان دويل Arthur Conan Doyle (١٨٥٩ — ١٩٣٠) الذى أمضى حياته باحثاً وكاتباً وخطيباً فى موضوع الأرواح . ومثل الأستاذ هانن سوافر Hannen Swaffer

---

(١) Researches In The Phenomena Of Spiritualism.

الذى كان كسلفه ستيد نقيباً للصحافة وكان مثل دويل باحثاً فى هذا الموضوع وكاتباً وخطيباً حتى انتقاله إلى عالم الروح منذ سنين قلائل .

وقد ساعد على انتشار الاقتناع بعالم الروح — بالإضافة إلى انتشار المواهب الوساطية ونموها بالمران مع الاهتمام المتزايد بفحصها — أن تكشف العلم المادى المعاصر عن حقائق كثيرة جاءت مؤيدة فى مجموعها لصحة وجود عالم للروح متداخل مع عالم المادة ، ولصحة ما كانت تقول به أرواح كثيرة منذ منتصف القرن الماضى من أوصاف شتى لعالم الروح هذا .

— فمثلا قبل أن تظهر نظرية أينشتين فى النسبية فى مطلع القرن الحالى كانت الأرواح منذ أواخر القرن الماضى — ومن بعدها المشتغلون بالعلم الروحى الحديث — تتحدث عن عالم رباعى الأبعاد ، وبالتالى تختلف فيه فكرة الزمان والمكان عن عالمنا ، وعن معلومات شتى عنه أصبحت عن طريق معادلات أينشتين حقائق رياضية .

— وقبل أن تظهر بحوث سير أوليفرلودج وكومبتون ومجموعة ضخمة من علماء الفيزياء عن الأثير كانت الكتب الروحية تتحدث عن هذا الأثير بوصفه حقيقة مقررة . وعن طبيعة المادة الصلبة التى نلمسها بوصفها لا تعدو أن تكون أثيراً فى رتبة اهتزاز معينة خاضعاً لتأثير العقل المباشر فيه ، بحيث يبدو لهم كما لو كان وهماً من صنع العقل يخبو مع الموت ، كيما تظهر لهم مادة صلبة جديدة واقعة تحت تأثير العقل فى مستواه الجديد . . .

— وقبل أن تنبىء بحوث إدنجتون ولودج وغيرهما من علماء الطبيعة عن وجود جسدين لكل جسم صلب أحدهما مادى والآخر أثيرى ، كانت المراجع الروحية مجمعة على وجود جسدين لكل كائن أحدهما مادى والآخر أثيرى.

— وقبل أن نتحدث بحوث سير جيمس جينز وراسل عن هذا العالم المادى الذى نعيش فيه بوصفه عالماً بالفكر المطلق متوقفاً أولا على مدى إحساسنا به كانت البحوث الروحية تتضمن هذا المعنى بصور شتى .

— كما كان اكتشاف الاتصال اللاسلكى وتقدمه عاملا هاماً فى تذليل كثير من الاعتراضات النظرية التى كانت تثار فى الماضى حول وجود عالم الروح هذا . لأنه عن طريق هذا الكشف الجديد أصبح من المفهوم التحدث عن أطوال الموجات ، وكيف أن لكل شىء رتبة تردد أو اهتزاز وبالتالى طول موجة . كما أصبح من المفهوم التحدث عن العقل الكونى العام بوصفه جهازاً للارسال ، وعن عقل الإنسان بوصفه جهازاً صغيراً للاستقبال محدود القدرة بمستوى صاحبه .

— كما أصبح واضحاً أن المادة الصلبة فى حقيقتها عبارة عن مجرد فراغ اهتزازى ، ولذا تخترقها موجات اللاسلكى دون عناء ... كما أصبح من المفهوم لهذا السبب التحدث عن تأثير مباشر للعقل فى المادة ، بل التحدث عن العقل الذى هو وراء كل مادة والذى يتفاعل دوماً مع الكتروناتها وبروتوناتها ، أى مع كهاربها السالبة والموجبة فيؤثر فيها ويتأثر بها ، حتى أصبح تلازمهما أمراً مسلماً به فى الفيزياء الحديثة .

— كما كان اكتشاف التنويم المغناطيسى ، وما أسفرت عنه بحوثه من إمكان استقلال الوعى عن الجسد فى الزمان والمكان ، ومن إمكان استقلال الإحساس عن أدوات الإحساس المادية ، من أقوى المقدمات التى مهدت للوصول إلى « احتمال » دوام الحياة بعد موت الجسد المادى كحقيقة علمية مرتبطة بباقى الحقائق التى وصل إليها علم الإنسان (الانتروبولوجى) .

— كما جرت فى نطاق علم النفس بحوث أخرى متصلة وثيق صلة ببحوث علم الروح — أو هى جزء لا يتجزء منها — مثل بحوث الإدراك عن غير

طريق الحواس Extra Sensory Perception وتأثير العقل المباشر فى المادة Psyeho-Kinesis سواء أتم أيهما فى غيبوبة الوسيط أم فى غير غيبوبته . وهى بحوث تجرى فى نطاق العلم الروحى كما تجرى على نفس الصورة فى نطاق « البارا سيكولوجى » فى البلاد الانجلوسكسونية ، وفى نطاق علم ما وراء الروح La Métapsychique فى البلاد اللاتينية .

— وهذه البحوث وتلك تجرى منذ عشرات من السنين على أقوى صورة فى جميع بلاد الحضارة. وقد احتضنتها منذ مبدئها عدة جامعات عريقة ومعاهد عليا ووصلت — كلها — إلى نتيجة واحدة إيجابية حاسمة : وهى أن فى الإنسان عنصراً روحياً متميزاً بغير ما ريب عن عنصره المادى . ومنها ما وصل صراحة وبشكل حاسم إلى الاعتراف بوجود صلات متعددة الجوانب بين عالمين : أحدهما مادى منظور والآخر غير مادى ولا منظور . . .

مع أساطين الإنسان

هكذا وصلت كشوف المادة والنفس وما وراء النفس والروح مجتمعة إلى أن تجعل من الكشوف الوساطية الحديثة حقائق علمية تقبلتها فى النهاية أفهام الفلاسفة والعلماء بعد أن قاومتها كثيراً ، كما تقبلت من قبل بمشقة بالغة حقائق أخرى كثيرة أقل منها شأناً بكثير ، وذلك لمجرد خروج هذه الحقائق عن نطاق الإحساس المألوف أو التصور الإنسانى العادى .

وأصبح شأن الحقائق الروحية من هذه الناحية شأن حركات النجوم والكواكب طبقاً لنظام رياضى محكم يعجز العقل عن مجرد تصوره . ومثلها حركات الكترونات الذرة وبروتوناتها ونيوتروناتها . . وكلها تدور فى أفلاك لها مرسومة طبقاً لنفس النظام الرياضى العجيب . بل أصبح شأنها شأن تحول البذرة إلى زهرة والزهرة إلى ثمرة ، والشرنقة إلى فراشة ... فكل ذلك —

لو تأملناه جيداً — لوجدناه يتعالى بغير ما ريب عن مستوى أفهامنا ، وإن لم يتعالَ بعضه عن مستوى إحساسنا. لكن تعالى آية ظاهرة عن مستوى إحساسنا أو أفهامنا لا ينال مع ذلك من صحتها ، سواء اعترفنا بها أم أنكرناها، وعرفناها أم جهلناها ، وعللناها أم عجزت عقولنا الواهنة عن الوصول إلى التعليل الذى يروى الغليل .

فالمشكلة لم تعد الآن فى إقناع الخاصة من الفلاسفة أو العلماء ، بل هى فى إقناع الإنسان المثقف العادى بموضوع يتعالى فى الكثير من جوانبه على قدرة الإحساس بل على قدرة التصور الإنسانى ، كما تتعالى كل حقائق الكون الخطيرة على هذه وعلى تلك ، حتى وإن بدا الإنسان مدفوعاً بفطرته إلى الاعتقاد بالروح والتعلق بالحديث فيها عن فهم وعن غير فهم . . .

أما عن موقف الفلاسفة والعلماء الكبار من موضوع الأرواح ، فهؤلاء قد اقتنعوا الآن وانتهى الأمر ، وخفتت نهائياً أصوات المكابرين أو كادت ، و بدأت علوم الحياة — وخصوصاً علما النفس والبيولوجيا — بل وعلوم المادة غير الحية أيضاً ، تتخذ لها فى بطء — ولكن فى ثبات — محاور روحية صريحة على ما سنوضحه فى بعض أبواب هذا المؤلف ، ولم يصمد على المكابرة إلا حفنة من المكابرين وصفهم برجسون الفيلسوف العظيم بأنهم من « أشباه العلماء » .

وذلك يبشر بغروب عصر غبى كئيب هو عصر التعبد لصنم جديد قديم اسمه « المادة الصابة » والإيمان بقدرتها الخالقة المزعومة للحياة ، كما يشرق عصر الاعتراف بالروح وبقدرتها الخالقة الحقيقية بوصفها أصلا للحياة، مع الاعتراف بالله مصدر كل قدرة مجيدة ، أليس الله تعالى روح العالم و بارىء كل حياة فيه ... ؟

وهكذا صدق على كشوف الروحية الحديثة ما لاحظه سير ألفرد راسل

والاس عالم البيولوجيا الكبير فى شأنها من أنه فى كل مرة وُصِف أى كشف جديد بأنه غير معقول ثبتت فيما بعد صحته،فأصبح غير المعقول مع الوقت معقولا ومقبولا . . .

أما أساطين الإنكار حتى الآن فليسوا أكثر من أبناء مدرسة متداعية ، هى مدرسة تعليل الحياة بالمادة ، وهى فى نفس الوقت مدرسة الحكم على الأمور بحواس الإنسان الواهية . وهم فى ولائهم لهذه المدرسة يكابرون فى الحقائق الدامغة ويناقضون — على غير وعى منهم — حتى حقائق المادة كما ثبتت فى ضوء أحدث كشوف الفيزياء والرياضة معاً ، لأنها تتطلب منهم عناء جديداً وفهماً متطوراً لا يقدرون على تحمل تبعاته الجسام ، كما يرفضون أن يتصوروا أن ثمة ذكاء أعلى من ذكاء الإنسان وقدرات تتجاوز قدراته بكثير .

فهم فى النهاية أسرى لحكم الحواس أو التصور المحدود الأفق ، لا لحكم المنطق ، ولا لحقائق الحياة سلموا بذلك أم رفضوا التسليم . ومهما اندفعوا فى إنكارهم محاولين تعزيزه بنظريات مادية ملتوية غامضة مفرطة فى التوائها وغموضها ، على حسبان أنها قد تسعفهم فى رفض مواجهة البينة الواضحة البسيطة على دوام الحياة بعد الموت ، هذه الحقيقة التى لم تصمد أية حقيقة أخرى لعشر معشار ما صمدت له هذه الأخيرة ، وما خضعت له من تحقيق جاد ، ومن اختبار لم ينقطع طيلة قرن ونيف من الزمان بمعرفة علماء يعتبرون فى ذروة المقدرة على التحقيق والاختبار ، وانتهوا جميعهم إلى الاقتناع التام بها .

وهؤلاء الهاربون من الاقتناع هم فى نفس الوقت أسرى لعقيدة أخرى خاطئة ، وهى أن بحوث علم الروح ينبغى أن تجرى على نفس نمط بحوث المادة غير الحية ، وبنفس طريقتها ومنطقها، وتخضع لنفس قوانينها ، وإلا فهى محض وهم وخداع . إذ فاتهم أن دراسة الروح هى دراسة لقوانين الطبيعة فى جانب

مجهول خطير منها ، فمن يريد أن يصل إلى أية معرفة عن هذه القوانين ينبغى أن يخضع لها أولا ، وأن يقف منها فحسب موقف المراقب المستنتج لا موقف الآمر الناهى، كما يريدون أن يفعلوا بمنطقهم هذا الذى لا منطق فيه . . .

ولإظهار ذلك يكفى أن يقارن القارىء بين الحجج الإيجابية التى لا يحيط بها حصر الآن ، والتى تضمنتها بحوث مئات من أفضل علماء القرنين الماضى والحاضر ، والتى لا يحوى هذا المؤلف بجزئيه إلا نتفاً قليلة منها كأنها قطرات ماء مأخوذة من بحر عرم . . . من جانب وبين معارضتهم المرتجلة التى لا تعززها سوى قدرة — قد يحسدون عليها أحياناً — على ارتجال القول المرسل ، كما يدرك تماماً أن عصر الصراع بين الإثبات والنفى قد انتهى أمره منذ زمن بعيدلصالح الإثبات ، بحيث أصبح الإنـكار انحيازاً إلى دعوى خاسرة فصلت فيها نهائياً محكمة العلم ، فلم يعد الدفاع عنها إلا ثرثرة فارغة وجهداً مضيعاً ، ولا يقل عن ذلك فى الفراغ والضياع جهد الوقوف فى تحفظ فى غير ما إثبات ولا إنكار .

فـكما انتهى أمر مرحلة الإنكارفقد انتهى أيضاً أمر مرحلة مثلهذا التحفظ المحايد ، الذى كان يعد فى وقت ما موقفاً علمياً محموداً ، ولـكنه أصبح الآن موقفاً بالياً من التعنت لا يمت بصلة ما إلى علم صحيح ولا إلى حياد محمود ، بعد أن انتقلت بالفعل علوم الحياة إلى مرحلتها الجديدة من البحث فى قوانين الروح ، والتى أصبحت تصاغ على أساس من التسليم بها قوانين النفس والبيولوجيا والفيزياء والأنتروبولوجيا ، على أوسع نطاق وعلى أقوى صورة . فبدت أثبت جانبا وأصلب عوداً مما كانت عندما ما كان « العلم الرسمى » يجهل أويتجاهل قيمة هذه الـكشوف الوساطية الخطيرة التى غيرت وجه التاريخ الإنسانى فى تقدم العرفان .

فالحياد الآن عند المطلع اطلاعاً كافياً مكابرة لا تقل فى خطئها — وفى

ضررها — عن خطأ للنكر غير المطاع ، فى أن كليهما يقف موقفاً عدائياً غير علمى ولا مشروع ، فهو موقف عدو لا يرحم ، ولا يريد لرحمة الله أن تنزل على قلوب الناس بشىء من سكينة ولا من عزاء ... ولذلك كله نجد أن أفضل علماء المادة فى عصرنا الحالى هم بأنفسهم أفضل المقتنعين بعالم الروح ، وأقواهم حديثاً عنه . وقد وصل إليه أغلبهم عن طريق دراستهم للأثير ولحقيقة المادة الصلبة ، بعد أن حطموا عالم المادة الصلبة بنظرياتهم وبمعادلاتهم الرياضية، كيما يقيموا بطريقة علمية صرف أسساً رياضية لعالم الروح هذا على ما سنبينه فى عدة مناسبات لاحقة.

عقبات فى الطريق كانت متوقعة

ولم يقبل العلماء الماديون وكبار الفلاسفة والمفكرين على بحوثهم فى موضوع هذه الكشوف الوساطية الخطيرة بدافع من حماس لعقيدة اعتقدوها من قبل ، ولا دفاعاً عن أية نظرية متفقة مع آرائهم السابقة . بل كانوا على العكس من ذلك يمثلون ذروة منطق عصرهم المادى فى أكثر أيامه ازدهاراً بالكشوف المادية وزهواً بها . . وكان قد انتهى الرأى فيه إلى أن المادة الصلبة هى كل شىء، وأنها تكفى وحدها لتعليل الحياة ،لأن المادة الخامدة غير الواعية قادرة بخواصها الذاتية على أن تخلق الحياة والوعى ! ...

فكان كل من يجرؤ على الخروج على هذه « البديهية العلمية » يتهم وقتها بأنه كافر بحقائق العلم الصحيح ، مدافع عن أمر غير معقول ولا مقبول . وكانت دعوى الحياة بعد الموت حينذاك ظاهرة البطلان فى العلم المادى لا تستحق عناء البحث فيها . وبالتالى لم يكن الاقتناع بدوام الحياة بعد الموت ، أو بوجود صلات ما بين عالمين متداخلين معاً يشغلان نفس الحيز من الفراغ هدفاً مرسوماً يصبو الباحثون إلى الوصول إليه ، بل جاء الاقتناع بذلك متأخراً جداً ، فأخذ يفرض نفسه عليهم الواحد بعد الآخر فرضاً تدريجياً عندما أعوزت علومهم المادية السبل لتقديم أى تعليل مقنع لهذه الوقائع الهامة، التى تدفقت من كل جانب أثناء تحقيقهم

لشتى الظواهر الوساطية، والتى لم تكن تحظى فيما مضى بأية عناية من العلماء ، إما بسبب الارتباط مقدماً باتجاه معين ، وإما خشية أن يتهموا بالسذاجة وتصديق الخرافات .

أما بعد تحقيقها فقد أخذ علماء المادة فى التحول التدريجى ـ وبعد مقاومة طويلة ـ نحو الاقتناع الروحى ، حتى أن منهم من جعل دراسته للظواهر الوساطية جزءاً مكملا لدراسته فى مجالات العلوم الأخرى ، خصوصاً بعد أن تبين لهم أن دولة المادة لم تعد تمثل بداءة فرص الحياة ولا نهايتها ، ولم تعد أكثر من مظهر محسوس لحياة أخرى أقوى من حياة المادة وأبقى ، وإن كانت تفلت تماماً من إدراك الحواس ، هى حياة الروح المجهولة حتى ذلك الحين من دائرة العلوم المعروفة ، بما فى ذلك العلوم غير المادية كالنفس والأخلاق .

بل إن المفكرين باسم الاعتقاد ـ وهم دائماً يعتبرون الروح موضوعهم الخاص الذى لا يصح أن ينازعهم فيه منازع — ظلوا يجهلون أخطر زوايا « موضوعهم الخاص » هذا ، حتى زاوية الصلات المحتملة بين عالمى الروح والمادة . وعندما بدأ تحقيق هذه الصلات يتكشف عن ظهور وقائع خطيرة تغاير فى بعض جوانبها بعض شروحهم المرتجلة للنصوص ، بدأوا يهاجمون هذه الوقائع ، ويتحاملون بقسوة على محققيها مهما كانت مكانتهم العلمية ، بل إن الأرواح المرشدة نفسها لم تسلم من هذا الهجوم ، ولعل السبب فى ذلك أنها سمحت لنفسها أن يكون الاتصال بالبشر عن غير طريق رجال الدين ، وهم وحدهم الذين ينبغى أن يكونوا — بحسب تقديرهم للأمور — وسطاء الاتصال بين الأرض والسماء ، بحكم وصايتهم « الطبيعية » على المهج والأرواح فى دارى البقاء والفناء ! !

ولقد كان من الأمور الطبيعية أن يكون البحث الروحى — بكل ما تكشف عنه من أمور عميقة الغور ـ محلا لحرب عاتية من المدارس المادية التى كانت

قد استحوذت إلى أكبر مدى على الفكر العلمى منذ قرنين أو أكثر ، وذلك إلى أن بدأت تستقر عدة نتائج واضحة للبحوث الروحية ، فنجحت تدريجيا فى تقويض عمد هذه المدارس الواحد بعد الآخر . ولكن الأمر الذى لم يكن طبيعيا هو أن تلاقى نتائج هذه البحوث نفس هذه الحرب من مدارس الإيمان الحرفى البعيد عن جوهر الإيمان الصحيح ، فأعلنتها هى الأخرى حربا هوجاء من العداوة والبغضاء على موضوعات هذه الروحية العلمية وفلاسفتها وباحثيها .

وهذه الخطة التى قد تبدو لأول وهلة غريبة من اجتماع الإلحاد — وهو دائما غير مدروس — مع الإيمان الحرفى القائم على الأشكال والطقوس على طريقة واحدة من الاعتراض على البحث العلمى فى الروح لا تثير أية غرابة عند من يفهمون النوازع الإنسانية على حقيقتها ، ويدركون تماما أنه ليس فى الواقع من فارق حقيقى فى دوافع الاعتراض ، وذلك لأن هذه المدارس وتلك معا تقوم على التعلق المفرط بآراء معينة مفروضة صحتها مقدما، تأبى الخضوع لأية دراسة جادة. ومع ذلك فهى تحمل أوصافا براقة شتى من العلم ومن الاعتقاد معا ، ولكنها لا تخرج عن أن تكون صورا متنوعة لموقف واحد يمكنك أن تصفه « بالإلحاد المفروض » كعقيدة علمية ، أو « بالإيمـان المفروض » كعقيدة دينية .

وكل موقف مفروض أرسخ قدما عند ذويه من أن يقبل الخضوع لأية دراسة جادة ، كتلك التى يضطلع بها علم الروح الحديث القائم على حقائق يقينية لا محل فيها لأى موقف مفروضة صحته مقدما ، وبلا بحث ولا دراسة ، ولو كان هو نفسه الإيمان بالروح وبالخلود . . . . ، وذلك لأن بعض صور هذا الإيمان — التى تنتمى إلى كل ملة ودين — قد تكون بذاتها مصدرا لحجاب كثيف يحجبها عن الاتصال بحقائق الأمور التى تجىء عن طريق البحث التحرر المستنير .

ولذلك لما ظهرت نتائج البحوث الروحية لم تجد ترحيبا عند جل علماء المادة ، ولا عند علماء النفس ، ولا حتى عند جل المفكرين باسم الاعتقاد . فأما علماء المادة

فقد قاومها أغلبهم لأنها كانت بمثابة دعوة صريحة إليهم لتحطيم كل البنيان المادى الذى شادوه بأنفسهم من قبل ، ولإقامة بنيان آخر جديد لفهم حقيقة المادة الصلبة والطاقة لم يكونوا قد استعدوا بعد لقبوله من الناحية النظرية .

وأما علماء النفس فقد قاومها عدد كبير منهم لأنها كانت دعوة موجهة إليهم للتخلى عن بعض نظرياتهم البالية التى شيدت فى جوهرها على أسس آلية أو مادية لا محل فيها لإيمان بحياة تلى الموت ولا لإله مزعوم ، ولا تعرف قوة أخرى خارج قوة المخ والحواس الفيزيقية للإنسان .

وأما المفكرون تحت لواء الاعتقاد فقد قاوموها — بوجه عام — لأنها كانت دعوة موجهة إليهم هم أيضاً كيما يتخلوا عن بعض نظريات الماضى — وما أعظم سلطانها على النفوس — ويعيدوا صياغتها على أساس علمى بعيد عن غرور التعصب ، وقد كان الغرور منذ القدم قتالا للمعرفة، وعدواً لكل تقدم. ولأية فضيلة حقيقية ...

وبعبارة أخرى كانت الدعوة إليهم صريحة كيما يقيموا فقهاً مترابطاً متساحا موضوعياً جديداً إلى المدى الذى ينبغى أن تختلط فيه حكمة الحكماء بعلم العلماء . فلا يعتبران بعد بابين للمعرفة منفصلين بل باباً واحداً ، ما دام العلم والحكمة معاً هما عبارة عن البحث فى قوانين الله تعالى ، باباً يصمد لنفس وسائل التمحيص والبحث المتحرر التى تصمدلها أية معرفة مسخرة لخدمة الإنسان ورفعة شأنه.

دوام الحياة يصبح حقيقة علمية

فإذا كان قد أقبل — فى النهاية — مئات من أفضل العلماء ، ومن أفضل المفكرين تحت لواء الاعتقاد ، فى أنحاء مختلفة من العالم على هذا النوع من البحث التجريبى فى الروح ، فإنما قد أقبلوا بدافع من رغبة جادة فى الوصول إلى الحقيقة الكاملة فى هذا الموضوع الخطير من أقرب أبوابها . وهى فى نظرهم أثمن من كل حقيقة أخرى تستحق عناء البحث فيها .

واتبعوا فى ذلك كل الأساليب العلمية التى ألفوها من دقة فى الملاحظة والفحص والنقد ، ومن استعانة بكل أساليب التحليل المنطقى والاستقراء والاستنتاج ، ومن تقليب للأمور على كافة وجوهها ، ومن تأن تام فى دراستها وفى استخلاص نتائجها ، ومن تحفظ شديد فى قبولها وإعلانها . وهذه هى نفس الأساليب التحليلية الناقدة التى نادى بها ديكارت وغيره من كبار الفلاسفة ، والتى أوصلت العلوم المادية إلى ما وصلت إليه من كشوف رائعة كانت تعد إلى عهد قريب ضرباً من الإفراط فى الوهم وفى الخيال .

وانتهى هؤلاء العلماء — بعد سنين طويلة من بحث شاق متواصل — إلى أن الأمر فيه من الجد أكثر مما فيه من الخرافة ، ومن الصواب أكثر مما فيه من الخطأ . فصدق عليهم قول القائل « إن النفوس الضعيفة تؤمن بالمجهول إيمانا أعمى ، والنفوس القوية تنكر وجوده ، أما النفوس العظيمة فهى التى تقف من المجهول موقفاً حذياً » .

وتبين بعد هذا الموقف الجدى للعلماء أن الأمر على أية حال جد خطير ، وأنه أجل شأناً بكثير من أن يترك لأى كاتب يخوض فيه إثباتاً أو نفيا ، أو أن يصبح نهباً لأى أديب أو متأدب يتصور أن السجال فيه محض مباراة كلامية يفوز فيها أقدرهم على فنون الكلام المرسل ، وعلى أساليب الهجوم فيه والدفاع . وهكذا لم تكن هذه البحوث تجرى فى جو مرضٍ لأصحابها ، بل كانوا هدفا مستمراً لحملات عنيفة سداها الجهل والعناد ، ولحمتها رغبة استجداء انفعالات جماهير العصر المادى . والجماهير عدوة بطبيعتها لكل أمر جديد . لذا قال الأقدمون بحق « الويل لمن يحاول أن يعلم الناس أكثر مما يستطيعون أن يتعلموا » . وكانت الوسيلة الأساسية فى هذه الحملات الصاخبة هى اتهام الباحثين فى عقولهم وفى سلامة تقديرهم .

بل لقد بلغ الأمر بالمعارضين إلى حد تلفيق الأقوال ونسبتها زوراً إلى

بعض العلماء والباحثين ، وإلى كبار الوسطاء الذين حطموا بمواهبهم العظيمة عمد الإيمان بسلطان المادة تحطيماً كاملا ، لنشرها فى صحافة لم تبتغ إلا التماس الشهرة عن هذا الطريق . طريق إثارة روح الطرافة والاستغراب عند الجماهير لما تقرأ أن هؤلاء العلماء الكبار بلهاء ، تجانب وسطاء أذكياء ضحكوا عليهم وخدعوهم ، حين تمكن الصحفى الأريب من كشف حيلهم لأول وهلة ، وهم الذين خدعوا لسنين طويلة عباقرة العلم التجريبى وأساطين البحث والاستنباط .. والجماهير بطبيعتها سريعة التصديق سهلة القياد .

ثم جاء دور نفر من المفكرين تحت لواء الاعتقاد يتصور أن من واجبه — أبداً — محاربة كل بحث جديد ، فانبرى منهم من انبرى للهجوم على كل من يبحث فى هذا الموضوع متهماً إياه بالمروق والعصيان . وبلغ هذا الهجوم الدينى فى أوروبا ذروته فيما بين عامى ١٨٥٢ ، ١٨٦٢ بحجة الحرص على العقيدة الدينية من أن تتزعزع ، ثم أخذ يضعف تدريجياً لما تبين أن هذه الكشوف تثبت على العكس من ذلك أهم حقيقة دينية ، وهى حقيقة الحياة بعد الموت بما تتضمنه من ثواب ومن عقاب . بل لقد ابتدأ هذا البحث الجديد يكتسب بالتدريج أنصاراً عديدين له من بين رجال الدين ، وانتهى بحصوله على عدة اعترافات منهم بصحته ومشروعيته بعد بحث هذه الظواهر جيداً .

ما ربحته المعرفة من هذا الصراع

ولا ريب أنه خلال هذا الصراع المضنى الذى أثارته البحوث الروحية بين أنصارها ومعارضيها من الماديين واللاهوتيين معاً ربحت المعرفة الصحيحة ربحاً لا يستهان به من عدة جوانب . فمن جانب الروحية ربحت كثيراً من الأناة فى بحث ظواهرها ، وحسن تأصيلها ، والتمييز بين شتى أنواعها ، وترتيب نتائجها . كما ربحت سعياً حثيثاً للربط بين هذه النتائج وموضوعات العلوم الأخرى ، وبخاصة موضوعات الفيزياء المتعلقة بطبيعة المادة الصلبة والطاقة والاهتزاز والفضاء

والأثير . ثم موضوعات السيكولوجيا المتصلة بالعقل والإرادة ، والصلة بين العقل والمخ ، ولزوم تعليل بعض الظواهر النفسية تعليلا صحيحاً مثل التلباثى (انتقال الأفكار) والسيكومترى (قياس الأثر الروحى) والتنويم المغناطيسى . ثم موضوعات البيولوجيا المتصلة بدراسة الحياة فى نشوئها ونموها وتطورها . . وهكذا فى العديد من الموضوعات المفرطة فى عمقها ودقتها التى تنتمى إلى فروع شتى من المعرفة .

ومن جانب المدارس المادية ربحت المعارف الشىء الكثير عندما اضطرت مدارس الفيزياء والبيولوجيا إلى أن تتراجع عن بعض جوانب تراثها البالى ، لما ظهر عاجزاً عن مواجهة التطور العلمى الخطير الذى حدث منذ قرن و نيف ، حتى لقد أضطر عدد وافر من أبناء هذه المدارس إلى تعديل موقفهم منها تعديلا أساسياً ، ومنهم من صرح بعد بحوث شاقة أن افتراضات هذه المدارس ظهرت لهم قاصرة عن إرضاء المنطق المترابط كأشد ما يكون القصور .

ومن جانب موقف بعض المدارس اللاهوتية ، فقد اضطر أيضا عدد وفير من أبنائها إلى مراجعة طائفة كبرى من نظرياتها القديمة مراجعة شاملة من جملة نواحٍ ، وبخاصة من ناحية الحواجز الصناعية التى تعودوا بسهولة شديدة إقامتها بين بنى البشر أبناء الناموس الإلهى الواحد الذى لا يعرف محاباة ، والذى يجمع بينهم جميعاً فى عروة وثقى هيهات أن تعرف عقبات كتلك التى كانت تقع فى الأساس من أغلب نظريات اللاهوت ، ومن شروح الشارحين الذين كانوا يتصورون العصمة التامة فيما كانوا يخططون من عقبات كأداء فى علاقة الإنسان بخالقه وبأخيه الإنسان ، بل فى علاقة الإنسان بوجدانه ، وبعالمه الخاص المخبوء فى أعماق هذا الوجدان .

ولئن دل كل ذلك على أمر له قيمته فهو أن حرية الكلمة هى كل شىء فى تقدم عقل الإنسان ونمو معرفته ، وفى الكشف عن حقائق العلم والاعتقاد

معاً . وعلى أن هذه الحرية هى القوة الدافعة لكل تقدم صحيح فى معترك هذه الحياة المليئة بالأحاجى وبالألغاز ، وبعوامل العثار الكثير قبل الوصول إلى الرأى الصحيح أيًا كان موضعه ونطاقه . وهذه الحرية ليست أمراً سهل المنال ، لأنها أثمن شىء فى الوجود ، فلايعطيها لغيره إلا من امتلأ قلبه إيماناً بحق هذا الغير فى التمتع بالحياة كريمة ، أى من امتلأ قلبه محبة حقيقيةللإنسان أيًا كان موضعه من تباين الاعتقاد أو من اختلاف الرأى أو اللون أو الجنس ...بل أيًا كان موضعه من عدم الاعتقاد ، وأية كانت أسبابه فى عدم اعتقاده هذا إن كانت ثمة أسباب تحمله على ذلك.

والإنسان الذى يعجز عن أن يعطى هذه الحرية لغيره يعجز أيضاً — بحكم قانون طبيعى — عن أن يعطيها لنفسه ، لأن مثل هذا الإنسان مستسلم لطغيان أنانيته وأوهامه الخاصة ، وهيهات أن يوصف مثله بأنه يتمتع بأى قدر من حرية الكلمة . . . أو بأنه قادر على أن يمنحها لنفسه أو لغيره ... ولذا قيل بحق إن فاقد الشىء لا يعطيه .

وحرية الكلمة هذه هى التى تثبت وجود العقل أى وجود الإنسان ، وبالتالى تثبت وجود الله خالق الإنسان عن طريق العقل، وخالق العقل عن طريق الإنسان . وهى التى تربط بين عقل الإنسان وبين إحساسه بنفسه وبوجود الله ، ومع هذا الإحساس ازدهار الفكر فيه والشعور . فأى قيد يرد على هذه الحرية يمثل نفياً باغياً لقدرة الله تعالى فى الإنسان ، ولقدرة الإنسان الذى لا تعرف له قدرة حقيقية غير ازدهار الفكر فيه والشعور . كما يمثل نفياً باغياً لطبيعة الإنسان المفكرة الباحثة عن الله وعن الحق عن طريق حرية الكلمة ، والتى تأبى التقييد بأى قيد كيفما جاء ، ومن أين جاء . . وكفى أن حرية الكلمة هذه هى السبيل الأوحد إلى تعرف الحق ، وكل شىء إلى زوال ما عدا هذا الحق ، وأى شىء إلى بقاء فإنما بسبب هذا الحق نفسه .

الفصل الثانى

فى رسالة البحث العلمى فى الروح

للعلم الروحى الحديث رسالة جليلة من جوانب متعددة. فهو قد أثبت من جهة أولى أخطر حقيقة كونية أدركها عقل الإنسان بالفطرة ثم بالفلسفة النظرية، ثم بالتجربة العملية. فهو بالتالى يطمئنه ـ بطريقة لا تقبل الشك ـ على قدره وعلى مصيره.

وهو يفتح ذهنه على أمور كثيرة كانت غامضة فى الحياة، ولا يمكن أن يفك مغاليقها إلا هذا البحث المعملى فيما وراء الطبيعة، الذى هو بمثابة رأس قنطرة إلى عالم بل إلى عوالم غير محدودة تعيش فيها كائنات بشرية غير منظورة منا، كانت تعيش بين ظهرانينا، وسنكون من سكانها يوماً لأن هذا هو مصيرنا المحتوم، فينبغى أن نستعد له منذ الآن إذا أردنا حسن العاقبة ونعم المصير.

وهو ينشىء صلة يتمناها كل إنسان مع أحبائه وذويه ممن فصلهم عنه جبروت هذا الموت العاتى الذى ما تعود أن يرحم صلات ذوى القربى، ولا عواطف يريد لها أصحابها أن تكون أبقى من الحياة، ويشعرون أنها أقوى من الموت.

وهو يفتح أفاقاً للبحث جديدة فى التاريخ وفى اللغات القديمة وفى الفلسفة وفى الكشوف العلمية، وفى القيم الاجتماعية والخلقية بوجه عام.

وهو يدعم الإيمان بالله تدعيماً تاماً، بعد موجة مخيفة من الإلحاد اجتاحت العالم فى القرنين الماضيين... فإذا بظلام الإلحاد يروح بدداً إزاء نور الفجر الساطع، وإذا بالعلم الحديث يتجه فى القرن العشرين اتجاهاً واضحاً وصريحاً نحو الإيمان بهذه القدرة الخالقة التى أصبح العلم لا يعرف لها حدوداً. وأصبح البحث

الروح وسيلة من بين وسائل العلم الأخرى لاستكشاف جزء ضئيل من عظمة هذا الكون العظيم ، وطريقاً للوصول إلى حقائق كثيرة أقلها شأناً يزرى بكل ما وصل إليه عقل الإنسان الواهن من حقائق حتى الآن .

وهذا هو المعنى الذى عبر عنه علماء كثيرون ، وقال فى بعضه الشاعر والكاتب جير الدماسى Geraldmassy (١٨٢٨ — ١٩٠٧) إن « الاتصال بالأرواح Spiritisme صار لى كما صار للكثيرين غيرى توسعة فى أفقى العقلى ، ومنفذاً لى إلى السماء ، وتحولا لإيمانى بالغيب إلى عقيدة بمشاهدات محققة لا يمكن أن تشبه الحياة بدونه إلا بالمرور فى قاع سفينة مغلقة النوافذ وليس مع السائر سوى بصيص من لهب شمعة ، ثم سمح له فجأة بأن يصعد إلى سطح السفينة فى ليلة سطعت فيها الكواكب كيما يتأمل لأول مرة هذا المنظر العجيب للسماء وهى تتلألأ بعظمة الله » .

نعم إن السماء تتلألأ بقدرة الله الناطقة فى الكواكب المضيئة ، والتى تنطق بها أرواح « الموتى » الذين فقدناهم نخيل إلى حواسنا القاصرة أن الموت نهايتهم ، فإذا هو بداءة الحياة الحقيقية لهم ، التى يغذيها النشاط المتدفق بحب المعرفة ، كما يغذيها الأمل والعاطفة بمشاعر حية وقوية لا نعرف منها هنا إلا ظلالا باهتة ، و بصيصا ضئيلا ستطفئه إن عاجلا أو آجلا ريح الموت التى تبدو الآن عاتية رهيبة. فهذه المعرفة الجديدة تخفف الكثير من رهبة انتظار الموت عند الإنسان — وهو أبداً يخشى المجهول — إذا ما تحقق بنفسه أن ريح الموت هذه لا تطفىء شيئاً ، بل تزيد شعلة النفس قوة وضياء ، وتختطف الزهرة الذابلة من هنا كيما تضعها فى جنة الخلد أكثر رونقاً وبهاء .

وفى هذا الشأن يقول سير أوليفرلودج Oliver Lodge عالم الطبيعة المعروف ، بعد أن ظل يواصل بحث هذا الموضوع لمدة أكثر من نصف قرن ، فى محاضرة له فى سنة ١٩٣٤ : « إننى دائماً أتسلم رسائل ممن هم فى حزن عميق

لفقدهم طفلا أو شاباً أو شابة .. فأؤكد لهم أن الأحوال على ما يرام مع ذويهم هناك . لقد وضع الأطفال تحت رعاية قلوب رحيمة . إن الحجاب بين العالمين جد رقيق ، ومن الممكن إذا كانت الظروف مؤاتية الاتصال بهؤلاء الذين نسميهم أمواتاً . إذ أنهم لا زالوا يهتمون بعطفنا وحبنا ، ثم يبادلوننا هذا الشعور بأقوى منه ولا يؤذيهم سوى حزننا المتزايد .

« إنهم لا يعتبرون أنفسهم أمواتاً ، بل أحياء موفورى الحيوية ، محررين من هذا الجسم الثقيل ، قادرين على التنقل فى حرية فى حالتهم الجديدة هذه ، مستعملين الجسد الأثيرى الذى هو فى حوزتهم دائماً » .

كما يقول الأستاذ جيمس آرثر فندلاى James Arthur Findlay - وهو صاحب خبرة عشرات من السنين فى هذا الموضوع ، وكان مديراً «للمعهد الدولى للبحث الروحى» بلندن منذ إنشائه — «إن الموت ـ كما أنبئت ـ سهل و بسيط كالذهاب إلى النوم والتيقظ . فجسمنا الأثيرى ينسل من جسمنا الفيزيقى حاملا العقل . ثم نصحو فى هذا الوسط الجديد فنجد أن أصدقاءنا وذوى قربانا على استعداد لمساعدتنا وإرشادنا فى حياتنا الجديدة . . . ويعود الجسم الفيزيقى إلى الأرض ، أما الجسم الأثيرى وهو الذى يهيمن عليه العقل فيستمر فى تأدية وظائفه فى هذا العالم الأثيرى ... وتبقى الشخصية وهى بمعزل عن المادة الفيزيقية ، وسنظل نفكر كما نفكر الآن ، لأن كية العقل الصغيرة التى لدى كل منا هى نفسها التى تؤثر فى الجسم الأثيرى وحده»[1] .

فإذا تركنا كلام العلماء الأرضيين ، وأردنا أن نعرف ما الذى تقوله الأرواح الراقية نفسها عن المـوت ، وجدنا الروح الحكيم سيلفر بيرش Silver Birch أى الشجرة الفضية يقول « أريد ، وقد عشت فى عالم الروح سنين كثيرة ، أن أخبر المحزونين المكلومين أن الموت لا يمكن أن يفرق

---

(١) «على حافة العالم الأثيرى» ترجمة المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير طبعة ٣ ص ٤٤ .

بين أولئك الذين وصلت بينهم المحبة ، فالمحبة تخترق كل الحجب والتخوم وهى دائما تبلغ ما تريد. لا تنتحبوا الآن من تحبونه قد انتشل من عالم الشقاء والصراع والجهل ، وأدخل فى حياة أكبر تظهر فيها بأسلوب أغزر الصفات الفطرية للإنسان ... جففوا دموعكم حيث لا داعى للحزن لأن من تحبون قريب منكم دائماً . الموت لا يذهب بالمحبة ، فالمحبة غير متناهية والروح الأعظم غير متناه كذلك ... »

فهل ثمة عزاء يمكن أن يبدد ظلام الحزن مثل الاقتناع الحتمى بأن الموت هو عملية انتقال سهلة إلى عالم أرق من عالمنا وأرقى ؟ ... ومن الاقتناع بأن أرضنا أرض منفى وأحزان بالنسبة للنفوس الوديعة الطيبة ؟ ! ... حتى أن الحزن عند الروحيين يعد كفراً بالله وبرحمته ، وإنكاراً لحقيقة يعرفونها جيداً وهى أن « يوم الوفاة خير من يوم الولادة » . لأن الولادة اعتقال للروح فى مكان سحيق . أما الوفاة فهى انطلاق لها ـ بعد ضيق ـ إلى آفاق من النور يعجز خيالنا المحدود عن إدراكها ، كما تعجز الشرنقة وهى تزحف فى الجحور عن أن تدرك ما تصير إليه حالها عندما تتطور إلى فراشة جميلة تحلق فوق الزهور . . . لذا كان العلم الروحى رسالة عزاء ـ لا تدانيها أية رسالة أخرى ـ لمن يعوزهم العزاء على من ظنوا أنهم قد وسدوهم الثرى ، وهم لا يدرون أنهم قد أودعوهم السماء ... ما دام هذا العلم يأبى الاعتراف بالموت وبالفناء .

قيمته من ناحية الإيمان العلمى بالله

والعلم الروحى إلى ذلك دعوة قوية للتحلى بمكارم الأخلاق ، وتعزيز لإيماننا بالله فى عظيم عدله وحكمته ورحمته ، وذلك لأن فكرة التلاشى بالموت تعتبر تحدياً لكل إحساس كامن فى ضمير الإنسان من أحاسيس العدالة والفضيلة . فمن حق الإنسان العادل الحكيم أن يلاقى من إلهه جزاء عادلا وحكيما، ولن يكون التلاشى

بالموت على أية حال هو هذا الجزاء. ولذلك يلاحظ الفيلسوف عمانوئيل كنط E. Kant أن الإيمان بالله ليس مسألة علاقة بين الله والطبيعة ، أو بين الله وهذه الأكوان المادية ، ولـكنه مسألة علاقة بين الله وضمير الإنسان .

« فمن ضمير الإنسان إذن نستمد الدليل على وجود الله . وفى ضمير الإنسان شعور أصيل بالواجب الأدبى وقسطاس مستقيم يوحى إليه أن يعامل الناس كما يحب أن يعاملوه . وهذا الوحى الذى أودعه الله النفس الإنسانية ضمين بإسعاد منهم من يطيعونه وحسن الجزاء لهم من الله . ولـكنهم لا يسعدون فى كثير من الأحيان ، وقد يسعد الآثمون ويشقى العاملون بالواجب فى هذه الحياة . فلابد من عالم آخر يتكافأ فيه واجب الإنسان وجزاؤه . وهذا هو البرهان الأدبى على خلود الروح وحرية الإنسان »(١) .

ومتى كان البرهان الأدبى على ذلك مستمداً من الإيمان بالله وبعدالة ناموسه الخالق ، فإن البرهان إذا كان علمياً مستمداً مما يراه الباحث ويحققه بنفسه يكون أدعى إلى التمسك بإيمانه بالله وبعدالة ناموسه الخلق ، فهل فى ذلك أدنى ريب ؟ . . . وإذا كان البرهان الفلسفى يناسب الفلاسفة فإن البرهان العلمى يناسب كل مثقف ، بل يناسب كل إنسان يريد أن يعزز هذا الإيمان ويحافظ عليه ، كما يريد أن يعزز معه إيمانه برسالة السلام والمحبة بين جميع الأجناس والأديان .

ولعله لذلك قال المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى ، وهو يعرض قضية العلم الروحى الحديث ويدافع عنها ، فى دائرة معارفه (القرن الرابع عشر إلى القرن العشرين) « للقارىء أن يتأمل فى سيرة رجلين أحدهما منكر للخلود يظن أن من مات تحلل جسمه وامحى أثره وزال وجوده ، وبطل كل ما بلغه من محصول عقلى وارتقاء نفسى ، وكمال صورى وأدبى ، والآخر مثبت له يعتقد بأن الموت

---

(١) عن كتاب « الله » للاستاذ عباس محمود العقاد ص ١٩٩ .

انتقال من دار أعمال إلى دار جزاء يرى فيها كل عامل ثمرة ما عمل من خير وشر ، وتنفتح له من باحات الجمال المعنوى ما يدوم عروجه فيه إلى كمال لا يحد بحد ، ولا يتقيد بقيد .

للقارىء أن يتأمل فى حال أولهما ليرى هل يعقل أن تكون له شكيمة ترده عن هوى ، أو تصده عن غى ، أو تصرفه عن باطل ، أو تزجره عن إتيان قبيح ... أنا ممن يعتقد أن للروح قدرة ذاتية على كبح جماح صاحبها لأنها من عالم علوى تنزع بفطرتها إلى الكمال ، ولكن قلما يصل إنسان إلى إنالة روحه سلطانها على جسده ، لأن هذا الأمر يحتاج لرياضة نفسية قاسية لا تسهل إلا لمن يعتقد بالخلود . . فعقيدة الخلود هى مطمأن نفسه وسكن خواطره ومعتصم اندفاعاته ، بها تمتد أشعة أمانيه إلى مالا نهاية ، ولا تقف مراميه عند حد فتجد فطرته متسعاً لمواهبها ، ومضطرباً لعواطفها ، فيصبح فاضلا لا لأنه يخاف عذاباً ، بل لأنه يجد لذة الفضيلة أكبر من لذة الرذيلة فيميل للأولى(١) ...» .

قيمته من ناحية الاطلاع على الحركة العلمية والفكرية

والاطلاع فى هذا الموضوع يضىء للقارىء جانباً من أجمل نواحى الحركة الفكرية والعلمية ، بل والأدبية أيضا ، فى العالم إلى المدى الذى يتعذر تحقيقه عن أى طريق آخر . هذه الحركة الروحية التى لا تزال تعانى من الجمود فى بلادنا ، بل ومن التخلف الذى لا يقل مداه عن قرن كامل من الزمان يكاد يمثل كل تاريخها حتى الآن ! . .

وذلك مع أن البحث فى الروح بأسلوب معملى حديث ألقى أضواء جديدة على مشكلات فلسفية قديمة ، منها بوجه خاص مشكلة معنى الإيمان بالله وبناموسه الخالق ، ومعنى الضمير الذى كان فى الماضى مجرد كلمة فأصبح الآن حقيقة نفسية أو بالأدق عقلية ، بعد أن اتضح أن عقل الإنسان يسجل عليه كل شاردة وواردة

---

(١) جزء ٤ ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

من خواطره . كما ألقى بالتالى أضواء جديدة على ظروف الحياة بعد الموت ، بما فيها من ثواب ومن عقاب ، بالإضافة إلى تعرضه لمشكلات هامة كثيرة فى شأن معنى الزمان والمكان ، ومدى التسيير والتخيير فى تصرفات الإنسان ، وفى شأن الألم والإلهام والأحلام وغيرها . . حتى لكأن الروحية الحديثة قد أصبحت فى أمور كثيرة هى الطريق إلى تلقى حكمة السماء التى لا تصل إلا لمن أعد نفسه لتلقيها من أيسر سبيل لتحقيق هدف نبيل . .

وإنسان القرن العشرين من حقه — ومن واجبه أيضاً — أن يربط بين آرائه الموروثة والمكتسبة وبين حقائق القرن الذى يعيش فيه وفلسفاته ، لأن هذه وتلك تساهم معاً بغير ما ريب فى بنيان عقله وعاطفته ، وترسم له بالتالى خطوط سعادته وشقائه مجتمعة ، فلا أقل من أن يستمد عناصر هذا الارتباط من كل باب للمعرفة فتحه له أسلوب البحث العلمى، وكان فى الماضى مغلقاً أو شبه مغلق بفعل الجهالة وحدها ، وعرف الإنسان طريقه إليه عندما عرف كيف يستخدم العقل فى تمحيص ظواهر الطبيعة ودراسة سننها غير المحدودة ، والتى تتكشف شيئاً فشيئاً لمن يحاول البحث عنها وفيها .

ثم إن الإنسان — كما يقول الفيلسوف كنط Kant — خاضع فى حياتيه المادية والروحية معاً لجمهورية واحدة كبرى « فإن نفسه تتصل فى حياتها الحاضرة بعالمين فى نفس الوقت ، ولكنها لا تدرك منهما إدراكاً واضحاً إلا العالم المادى طيلة اتصالها بجسده مكونة بذلك وحدة شخصية ، ولكنها باعتبارها عضوا فى العالم الروحى تتلقى التأثيرات الخالصة ذات الطبيعة غير المادية وتعطيها » . كما يقول أيضا « سيجىء الوقت الذى يثبت فيه أن نفس الإنسان متصلة فعلا بعالم الأرواح اتصالاً وثيقاً لاينحل ، وأن هذا العالم يؤثر فى عالمنا ويطبعه بطابع عميق » . وهذا هو نفس ما قرره وأكده علماء وفلاسفة كبار ، من أمثال وليام جيمس William James وغيره، على ما سيجىء فى صفحات هذا المؤلف.

تقدير الإنسان

وللعلم الروحى دوره الفعال فى تقدير قيمة الإنسان واحترام مشاعره البناءة وعقله الباحث عن الحقيقة أبداً . ولا أعتقد أن ثمة فلسفة أخرى يمكنها أن تزعم أنها تحترم قيمة الإنسان وتقدرها حق قدرها مثلما يفعل بحث علمى يقوم على أن الإنسان روح لا جسد، وأنه خالد لا يموت ، وأنه يسير حثيثاً فى طريق التقدم والكمال بالغة ما بلغت ضآلة قدره بحسب مظهره الخارجى الآن — وفى ماضيه السحيق — من ناحيتى الخلق أو المعرفة .

قرأت كلمة معناها أن حياة إنسان واحد تبدو لا قيمة لها فى خضم الحياة مع أن هذا الكون كله لا يساوى شيئاً بجانب حياة إنسان واحد . . . . . كم هى إنسانية هذه الكلمة ! لكنها لا تبدو على حقيقتها إلا للروحى الذى يعلم أن أى كوكب فى هذا الكون مهما كان حجمه عرضة للزوال لأنه من مادة صلبة ، أما أى روح إنسانية فإنها لا تقبل الزوال لأنها شعلة قدسية انبثقت من جوهر الحياة الكونية ، التى صنعت الكواكب والنجوم ، كما تختفى هذه وتلك عند اللزوم وتنمو فى رونقها شعلة النفس الخالدة ! . . . .

ثم هل هذا الكوكب الذى نعيش فيه يعد فى صحيفة الكون شيئاً مذكوراً ؟ . . . إن الكون عبارة عن نظام يضم ألوف الملايين من المجرات ، وكل مجرة منها تحتوى على ألوف الملايين من النجوم . وعند الحافة الخارجية لمجرة منها تسمى « طريق التبانة » يوجد نجم متوسط الحجم معتدل الحرارة ازداد لونه اصفراراً بسبب الشيخوخة هو شمسنا التى ندور حولها — وسط خضم هائل من الحركة فى كل اتجاه — بسرعة حوالى ١٨٠٠٠ كيلو متر فى الساعة . .

ولقد أظهر الإحصاء الذى أجرى اقتطاعات مختارة من « طريق التبانة » هذا بمعرفة علماء الأرصاد بجامعة هارفارد أن هناك أكثر من مليونى نجم منفرد.

وعلى أساس هذا الإحصاء — ولا عتبارات تتعلق بالقوة المحركة — قدروا أن هذه المجرة وحدها تحوى حوالى مائة ألف مليون نجم . وكيما يحصلوا على صورة مصغرة تقريبية لأطراف الكون قدروا أن الكرة الأرضية قد انخفض حجمها إلى حجم نقطة حبر عادية قطرها نصف ملليمتر ، بدلا من قطرها الحالى وهو ١٢٧٤٠ كيلو متراً ، أى انخفضت إلى أقل من واحد على ٢٥ ألف مليون من حجمها الأصلى ، فإن كل أبعاد الكون تنكمش بنفس هذه النسبة . وعندئذ وصلوا إلى هذه النسب الناطقة بضآلة الأرض : — المسافة من الأرض إلى الشمس تصبح حوالى ستة أمتار — المسافة إلى أقرب نجم آخر تصبح حوالى ١٦١٧ كيلو متراً — قطر طريق التبانة يصبح حوالى ٣٧ر٦١٥ر٠٠٠ كيلو متر . المسافة إلى مجرة أخرى يطلق عليها « مجرة المرأة المسلسلة » تصبح حوالى ٧٣٢ر٣٧٠ر٠٠٠ كيلو متر .

فهل يعد كوكبنا بعد ذلك شيئاً مذكوراً ؟ ... وهل يتصور عقل عاقل أن تكون الحياة كلها قد تركزت فيه، وأنها تزحف حثيثاً إلى فناء تدريجى محتوم ، وأن كل هذا الكون مسخر لخدمته كما يتصور الرأى المادى؟ ... إن أى باحث روحى يعلم أن هذا الكوكب لا يعد شيئا مذكوراً ، وأنه عرضة للتلاشى إذا أرادت له ذلك حكمة الله، أما حياة أى إنسان فقد أرادت لها حكمة الله الخلود . فهل يمكن لأية فلسفة أخرى أن تقدر الحياة الإنسانية هذا التقدير ، وتقيم الدليل عليه تلو الدليل ؟ ...

الخلود والتطور

وليس قدر الإنسان فى خلوده فحسب ، بل أيضا فى خضوعه لنواميس عاقلة عطوفة عليه تعرف له قدره تريد له النجاة أبداً ، أو بالأدق تريد له التطور المستمر إلى مستوى متزايد من الارتفاع عن طريق الارتقاء التدريجى - الذى يتوقف على إرادة الإنسان تحديد سرعته ومداه — فى تكوينه العقلى والعاطفى

والخالق ، والذى يجىء بسبب الخبرة التى يكتسبها حتماً من المشاهدات ، ومن التجارب المتواصلة التى تفرضها عليه حياته التى لا تتوقف ، لو عرف كيف يستفيد منها فى بنيان حاضره ومستقبله ، عند تنقله من مستوى إلى آخر من مستويات هذا الوجود غير المحدود بحكم قوانين موضوعية محايدة . . . فهل هناك ما هو أعدل من ذلك ؟

وإنى أتحدث عن التطور هنا غير مرتبط بأى مذهب معين فيه ، وإنما أتحدث عنه بمعنى الارتقاء التدريجى الذى يشاهد فى سير قافلة الحياة ، والذى لا يثير من ناحية صحة مبدئه أى نقاش ، وإن صح أن يثير أكثر من نقاش من ناحية مصدره ومداه ، ولذا تعددت فى النقاش المدارس التى لا يتسع المقام للخوض فيها ، وإنما حسب القارىء أن يعلم أن هذا التطور يرجع فى تقدير عدد من العلماء إلى عامل روحى كامن فى كل كائن حى ، وفى نفس الوقت إلى عامل أو إلى عدة عوامل روحية خارجية عنه تتولى الإشراف عليه ..

والعامل الروحى الكامن فى كل كائن حى ، متصل بذكاء هذا الكائن . يستوى فى ذلك ذكاء الغريزة — أو إن شئنا الإلهام — الذى يشاهد فى النحلة والنملة ، مع ذكاء العقل النامى الذى يشاهد فى الإنسان . أما العامل أو العوامل الروحية الخارجية التى قد تهيمن على سير التطور فيبدو أنها خاصة بالإنسان (وما قد يعلو مستوى الإنسان من كائنات عاقلة غير منظورة) ، ولذلك لم يتوقف التطور عند الإنسان فسما كثيراً عن كائنات دنيا كثيرة .

وفى النهاية لا يرجع التطور إلى مجرد عوامل آلية أو تلقائية ، مثل مدى ملاءمة البيئة أو الانتخاب الطبيعى وحدها ، مما قد ينفى خطأ فى بعض الأذهان معنى الخلق ، بل إن التطور يرجع — إلى هذه العوامل الروحية الكائنة وراء الحياة ، والمحكومة بدورها بمثل قوانين ملاءمة البيئة والانتخاب الطبيعى ، والخاضعة لإشراف روحى عليها ، والتى تثبت ولا تنفى معنى الخلق من عند عزيز قدير .

وأيا كان الرأى الصائب ، فهناك تطور مستمر فى قافلة الحياة يريد الارتقاء بها بغير توقف، سواء عندما تكون الحياة على مستوى المادة، أم على مستوى جرى التعبير الخاطىء على وصفه « باللامادى » . وهذا التطور يمكننا أن نشاهد صورة مصغرة منه فى تطور عقل الطفولة البريئة إلى عقل الشباب الطموح ، ثم إلى عقل الرجولة المناضلة ، وأخيراً إلى عقل الشيخوخة الناضجة المتأملة فى مثل أسرار البقاء والفناء والتطور والارتقاء . هكذا الأبدية لا تنقضى فى لا شىء ، بل فى تحرير العقل تدريجياً من أخطائه ، والخلق من رذائله فيفتح التحرير للروح آفاقاً متجددة من القدرة والسعادة .

وهذا التطور نحو الأسمى والأكمل مرتبط بنجاح الحياة نفسها ، لأن توقف التطور معناه فشل هذه الحياة المهددة بعوامل الفشل من كل ناحية لو لم يكن من ورائها عقل قدير يأخذ بيدها نحو الأسمى والأكمل ، فى وسط الزوابع والأعاصير ، وبين عوامل التسيير والتخيير التى قد تسير فى خطوط متوازية أو متقاطعة ، ولكنها خاضعة معاً لقانون مشترك فى النهاية هو قانون السبب والنتيجة .

فهذا التطور يشير بذاته إلى وجود العقل الأعظم اللازم لخلق الحياة وأيضاً لرعايتها رعاية لا تتوقف فى صراعها الدائب نحو تحقيق ما هو أسمى وأكمل فى الفكر وفى الشعور . وذلك يؤدى بذاته إلى تحقيق ما هو أسمى وأكمل فى الظواهر الخارجية للحياة المادية التى هى انعكاسات لظواهر أخرى أسمى منها وأكمل للحياة الروحية ، وهى التى تمثل الجوهر الحقيقى لكل وجود عقلى أو مادى فى الطبيعة . وهذا العقل المدبر الحكيم للطبيعة ينبغى أن يكون يقظاً ، وفعالاً ، وحكيماً ، ومنزهاً ، وقادراً... وكلها صفات تشير إلى قدرة الله تعالى وحده .

ولأن الحياة تسير نحو الارتقاء المحتوم ، فإن الخطيئة الكبرى نحو هذه

الحياة تصبح هى كل ما يؤدى إلى توقف الارتقاء أيا كان مصدره أو سنده . أو بعبارة أخرى هى الوقت الضائع سدى ، فالحياة وقت ينبغى أن يقضيه العقل فى التحرر من أخطائه ، وبقدر تحرر العقل من أخطائه يتحرر الخلق من رذائله . وذلك لأن هذا التطور — الذى يدين له الإنسان بما بلغه من نمو فى العاطفة والعرفان — ليس أكثر من مجرد «قابلية» كامنة فى كل روح إنسانية . وهذه القابلية قد تكون يقظة أو خاملة ، وقوية أو ضعيفة بحسب درجة التطور ، وبالتالى بحسب نوع الأفكار والمشاعر التى تغذى الروح . فمسئوليتنا إزاء الأبدية عن الوقت الذى نقضيه منها مسئولية ضخمة بقدر ضخامة آثارها فينا وبنا.

وأهم رسالة للإنسان هى أن يبحث عن « وقت مفيد » ينهل فيه أفكاراً نقية ، تعصمه من الإلحاد ، ومن الانطواء ، ومن الخرافة ، وقبل كل شىء آخر من الأنانية . فإذا عثر الإنسان على ما يعصمه من ذلك كله عثوراً صحيحاً فقد سار قدما فى الطريق الوحيد الذى يقود إلى القدرة المتزايدة للعقل ، والسعادة النامية للشعور ، وكلاهما يمثلان بذاتهما أسمى أهداف الحياة ـ ووسائلها أيضاً ـ فى سعيها الدائب نحو تحقيق ما هو أسمى وأكمل فى جميع ظواهر الوجود .

الاعتقاد والتطور

وإذا كان تطور الحياة يسير فى طريق القدرة المتزايدة للعقل وللشعور فإن ذلك يشير بذاته إلى أن التطور يجرى ابتداء فى الحياة الشعورية للإنسان ، أما حياته الخارجية فهى مرآة لها . وتطور هذه الحياة الشعورية هو أيضاً — أو ينبغى أن يكون هو أيضا — الهدف من كل اعتقاد . ولذلك فإن هدف الاعتقاد لا ينبغى أن ينأى عن الهدف من الحياة نفسها ، من ناحية محاولة تطوير الإنسان نحو ما هو أسمى وأكمل فى فكره وفى شعوره . وذلك لأن الاعتقاد يمثل فى جوهره تعبيرا شعوريا عن غريزة عميقة أودعتها طبيعة حانية فى نفس الإنسان ،

وهى غريزة الإحساس غير الواعى بالمجهول على نحو أو آخر، التى سنتحدث عنها فى حينها بما يكفى .

على أن ثمة فارقاً ضخماً بين أحداث الحياة كأداة تطوير ، وبين أمور الاعتقاد ، وهو أن النواميس المهيمنة على سير أحداث الحياة أزلية لا تقبل تطوراً ، حتى مع التسليم بأن التطور هو أسمى أهدافها . أما أمور الاعتقاد فهى بذاتها متطورة بمقدار نجاحها فى تطوير الحياة الشعورية للمعتقدين . فالاعتقاد فى النهاية عنصر من عناصر هذه الحياة الشعورية الخاضعة كلها لنواميس أزلية لعل أخطرها إطلاقاً هو ناموس التطور والارتقاء . وهذا العنصر الشعورى - وهو الاعتقاد — يتفاوت فى فهمه ، وفى مدى الارتباط به ، وفى نوع المشاعر النابعة عنه ، بحسب ظروف الزمان والمكان . بل يتفاوت حتما من أى إنسان إلى آخر حتى ولو كان انتماؤهما معاً إلى مذهب واحد من اعتقاد واحد فى عصر واحد . وكلما نمت الحياة الشعورية كلما طلب العقل المزيد من الاعتقاد ، وكلما حاول المزيد من تعقل أموره بعيداً عن شوائب الانطواء والأنانية والخرافة .

فما جدوى العرفان إذا لم يصحح أخطاء التفكير ؟ ! وما جدوى الاعتقاد إذا لم يصحح أخطاء الشعور ؟ ! بل ما جدوى الإيمان بالله إذا لم يصل للقلب وإذا لم يكن منبعاً لفكر نام ، ولشعور متزايد بالحياة فى سموها وفى عدالتها؟! وإذا لم يكن مصدراً أميناً لسحق الخرافة ، ومعها الأثرة القائمة على الانطواء والجمود ؟ ! وما جدوى ساعات الليل والنهار إذا لم تشتعل عن طريقها جذوة الفكر والشعور ، كيما تدفع التطور قدماً للأمام فى سباق الزمن الذى لا يرحم أى خامل أو متواكل ؟ ! . . .

والاعتقاد من هذه الزاوية يشبه العلم ، أو بالأدق إن موقف الحياة الشعورية المتطورة يكاد أن يكون واحداً إزاء العلم والاعتقاد معاً ، وذلك لأن كليهما نامٍ متطور بمقدار نمو هذه الحياة الشعورية وتطورها . وكل الفارق

بينهما هو أن العلم أسرع من الاعتقاد تطوراً بكثير ، وذلك لأنه خاضع لكل صور النقد والنقاش ، فهو بالتالى أقرب إلى التفكير الموضوعى ، ولأنه أيضاً أضعف ارتباطاً بأقوال الأقدمين واجتهاداتهم ، وقبل كل شىء آخر لأنه أضعف ارتباطاً بما فى نفس الإنسان من غلو فطرى فى تقدير نفسه وضميره ، وقدره ومصيره . ولهذا كله كان من حق العلم أن يفسر الاعتقاد ، وأن يقود طريقه نحو محاولة تفهم حقائق الحياة . أما العكس فهو غير صحيح ، بل مضلل ضار .

وإذا سلمنا بأن عقل الإنسان يسير حثيثاً إلى الارتقاء المستمر نحو ما هو أسمى وأكمل ، حاملا معه فى نفس الطريق الغرائز والمشاعر ، لكان لنا أن نتساءل إذاً . . . هل كل هذا التقدم المحقق موهوب إلى تلاش مروع ؟ ! وما إذاً حكمة سنى الحياة ببراءتها ، بطموحها ، بنضالها ، بتأملاتها . . . وما حكمة صروف الدهر التى تمضى كأنها أحلام اليقظة بفشلها ونجاحها ، وبخوفها واطمئنانها ؟ ! وما حكمة قوانين التطور والارتقاء ؟ بل ما حكمة قوانين الوعى والأخلاق ؟ ولم كان العلم أسمى من الجهل ، والإيمان أسمى من الإلحاد ، والاطمئنان أسمى من القلق ، والحكمة أسمى من الحماقة ، والحق أقوى من الخرافة . . . لمَ كل هذا إذا كانت شعلة الحياة تسير إلى انطفاء محتوم ؟ !

وشعلة الحياة لا تنطفىء بالموت بغتة كما قد يخيل لحواسنا الفاشلة ، بل إننا نموت كل يوم ، وتبعث فينا كل يوم نفس جديدة بخبرات متجددة ، مخبوءة وراء جسد عجيب متلاش متجدد على الدوام ... نفس يغمرها إحساس متدفق عرم ، شقى سعيد ، ثائر مستسلم ، سعيد بالألم ، متألم من السعادة .. إحساس يريد أن يسوى حسابه مع الحياة والحب والإيمان والعرفان ، كما يريد أن يسوى حسابه خلال كل ذلك مع نفسه ومع الآخرين ...

وهكذا يعدنا كل يوم ليوم آخر يأتى بخيره وبشره ، كما تعدنا كل حياة لحياة أخرى تأتى أيضا بخيرها وبشرها ، وكل حياة سابقة هى مدرسة لحياة

لاحقة أرحب منها وأعمق ، بقدر ما يحصل عليه العقل — ومعه العاطفة — من رحابة ومن عمق نتيجة الاختبار الذى لا يتوقف خلال هذه المغامرة الهائلة التى لا تتوقف للعقل وللعاطفة ، وهى مغامرة الحياة نفسها ، هذه المغامرة المحوطة بالألغاز من كل جانب ، وأعقدها إطلاقاً لغز الإنسان نفسه ! !

لغز الإنسان

فالإنسان هذا الكائن العجيب يمثل لغزاً أعقد من كل صور تفكيرنا فيه، وتفكيره هو فى نفسه . ويمثل أغواراً من الحقائق أعمق من كل ما قد ينطوى عليه عقله الضئيل من شتى صور الفكر والشعور ، وما قد يحققه فى حياته من شتى صور الفشل أو النجاح . فإن هذا الإنسان قد يفشل فى حياته المادية ، ولكن قد يكون هذا الفشل الظاهر هو بعينه أروع صور النجاح الروحى وأدعاها للاعتزاز وللتقدير . وعلى العكس من ذلك قد ينجح فى حياته المادية فيجمع إلى السلطان الكثير الثراء الوفير ، ومع ذلك قد يكون هذا النجاح هو بعينه فشله الذريع فى حياة الروح وفشل حياة الروح فيه ، وهى حياة لا تأبه بسلطان ولا ثراء وفير . .

ومع ذلك فلا ينبغى أن يفوتنا أن حكم الإنسان على الإنسان مشوب دائماً بالقرائن المضللة ، ولا شىء يفسد العقل فى تقديره للناس أو للأعمال مثل القرائن ، أيا كان مصدرها . فكلها شباك تضلل الإنسان فى حكمه على نفسه وعلى الآخرين ، بما فى ذلك الانتماء إلى أى جنس أو وطن أو أسرة أو دين .. أو حتى الانتماء إلى مؤهلات علمية معينة ! فمواهب الإنسان وقدراته الحقيقية شىء أعمق بكثير من ذلك كله . ولذا كثيراً ما نجد الإنسان القليل الحظ من التعليم أصدق تقديراً للأمور ممن قد نتصور أنه من أعلم العلماء أو من أذكى الأذكياء ، وعندما نعجز عن التعليل نقول : بل هى الفطرة السليمة أساس كل تقدير سليم ، ولكن ما هى

هذه الفطرة ؟ وكيف تجيء ؟ ولماذا قد تصيب عند الجاهل وتخيب عند العالم ؟ أليس فى ذلك كله لغز ضخم يثير الانتباه ؟

وأيًا كان حكم هذا الإنسان على نفسه ، أو حكم الناس عليه ، وأيًا كان موضعه من النجاح أو الفشل ، ومن نضج الفكرة أو سلامة الفطرة ، فإن العلم عاجز فى النهاية عجزاً تاماً عن أن يتفهم فهماً صحيحاً كيف جاء إلى هذا الوجود ، وكيف نما ، وكيف تطور ، ومن أين جاء ، وإلى أين يعود ، وكيف يفكر ، وكيف يتخبط فى فكره وفى شعوره إلى آخر الحدود ، ومع ذلك تحنو الطبيعة عليه حنواً عجيباً حيناً — وتقسو أحياناً — كيما يصبح فى نهاية المطاف هو السيد الآمر فيها لا العبد المسود .

* * *

فهل هذا الإنسان ابن للبيئة أم للميراث ؟ إن أية دراسة موضوعية تكشف أنه ابن للبيئة والميراث إلى حد ما ، ولكنه قبل ذلك كله هو ابن للطبيعة الخالدة لأنه يخفى بين جوانحه تاريخاً حافلا عريقاً ، ويبرز بين خصائصه ألغازاً لا عداد لها ، وأحداثاً رهيبة تعرض لها فى ماضيه السحيق تركت آثار بصماتها فى كل ملامحه ومقومات فكره وشعوره . وإن أى محلل نفسانى مدقق يتحرى تاريخ أى إنسان منذ ولادته يجد أن هذا التاريخ القصير لا يكاد يفسر شيئاً على الإطلاق مما يلمسه فيه من مقومات الفكر أو الشعور التى فطر عليها هذا الإنسان .

وإن أى دارس لتاريخ الشخصيات التى « صنعت التاريخ » كما يقال أحيانا يأخذه العجب مما فى الإنسان من متناقضات قد تجمع بين العبقرية والتفاهة ، وبين الحكمة والحماقة ، وبين الحق والخرافة ، وبين المجد والهوان ، فى وقت واحد فى شخصية واحدة ، بحيث يمكن القول بأن أية شخصية قد صنع لها التاريخ كل شىء ، وما صنعت هى للتاريخ شيئاً على الإطلاق ، وأن بنى البشر كلهم من صنع هذا التاريخ العريق الحافل بالأضداد ، والذى تعد محاولة استكشافه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ضرباً من المحال ، لأنه يمتد للوراء إلى ما لا نهاية بحكم قانون ارتباط النتائج بأسبابها الأولى ارتباطاً ليست له بداءة معروفة ولا نهاية ، هذا القانون العتيد الذى لا يفلت من سلطانه شيء فى الوجود ، ولو كان عصفوراً ، أو فراشة ، أو سمكة فى قاع البحار ، أو ذرة من جماد لا تدركها الأبصار .

ووراء لغزالإنسان يتخفى فى مهارة بالغة عقله ، وهو مستودع الفكر فيه والشعور ، هذا العقل الذى عجز أى عقل أن يعرف كنهه ، أو أن يتصدى لفهمه ، لأن عقل الإنسان أسمى منه بكثير ، وصنع بكيفية تتعالى بغير ما ريب عن مستوى إدراكه للأمور ، ولا عجب لأن هذا العقل هو جوهر الإنسان ، أو هو الإنسان الحقيقى المفكر ، الشاعر ، المؤمل ، الباحث فى ألغاز الحياة ، المتطلع إلى امتدادها ، المعانى لمتاعبها ومخاوفها ، المقتحم لأهوالها الجسام . وكأن كل المطلوب من الإنسان فى النهاية هو أن يعرف كيف يعيش فى نطاق فكره المحدود يحاول أن يتسامى به عن عالم القيود والحدود إلى عالم آخر أسمى منه ، عن طريق تحدى ما قد يكتنفه من أحراش وآجام ، وتجرع ما يحيط به من آثام وآلام . .

ومع ذلك يظهر هذا الإنسان فى الطبيعة كما لو كان هو وحده مستودع الفكر والشعور ، والحياة كلها ليست أكثر من فكر وشعور إذا ما عرفا كيف يتكاملان ويتجاوبان معاً كانا علة هذا الوجود وأصل الحياة فيه . . . فهل هذا الإنسان أعظم من كل منابع الوجود الذى يحيط به ؟ وهل هذا الإنسان هو بنفسه الكائن التافه الذى يتعلق بالمادة فى كل صورها إلى أقصى حدود التعلق ، فلا تتعلق به المادة أبداً بل تنبذه نبذ النواة ، فينهار فى طرفة عين أو فى ومضة برق كما ينهار عصفور أو فراشة ، ويذهب هباء منثوراً كما تذهب سائر أوهام الحياة وأحلامها . . ويقال فيه مات رحمه الله . . ولم تبق منه إلا ذكرى الأوهام التى عاش فيها والأحلام التى عاشت فيه ! . . .

أم هذا الإنسان هو على النقيض من ذلك روحه الخالدة المتطورة التى تسمو على المادة، وتتأبى عليها راضية أو مكرهة، فلا تبدو المادة إلا وهماً من أوهامها وطيفاً عابراً بين أطياف أحلامها ؟ ! ومع ذلك فهى تتعلق بالمادة — فى شتى صورها — كل التعلق حتى الموت ، مع أنها فى غنى عنها فى أية صورة من صورها بسبب هذا الموت نفسه ! ! وهذه هى الروح التى يقول الروحيون إنها حية خالدة ، بل هى أم الحياة وبنت الخلود ، وإنها هى التى تنتقل بفكر الإنسان وشعوره عبر الفضاء من حياة إلى حياة ، وعبر الموت من فناء إلى بقاء ، كأن الكون كله ملك يمينه ما شاءت له إرادة الله فى التردد بين الأرض والسماء ، وبين الحياة الدافقة وما قد يبدو لنا كأنه النهاية والفناء ! ! . .

* * *

وهذا الإنسان لا يعرفه علم الروح ملاكاً ولا شيطاناً ، بل مجرد قلب له بعض مشاعر الإنسان النبيلة ، وله فى نفس الوقت كل نزواته . بل قد يكون أقرب إلى الوصولى النزق الذى امتلأت مشاعره آثاماً ، ومع ذلك فإن علم الروح يتقبله على علاته ، وعن فهم مستنير لطبيعة الضعف فى الإنسان ، ناظراً إليه نظرة الطبيب المتفانى إلى المريض المعانى يريد أن يتحسس موطن الداء حتى يحسن وصف الدواء . فهو يريد أن يداوى فى حنان لا أن يعاقب فى ضغينة ، كما يريد أن يأخذ بيد كل نفس قلقة إلى حيث ترتاح تدريجياً من أسباب القلق المدمر والشقاء .

وهذه النفس القلقة ، المثقلة بالنزوات والأخطاء ، هى نفس كل إنسان ! فهى تنتمى إلى كل جنس ولون، وإلى كل مذهب ودين، وإلى كل عصر وجيل ، وإلى كل مستوى فى الفكر والشعور ، ومع ذلك يتقبلها علم الروح على علاتها ، وبلا ادعاء ، لأنه يتقبلها أملاً فى معونة يقدمها بسخاء لا جرياً وراء دينونة

يدينها فى غباء . . . وهذا هو شأن المحبة العظمى التى يتمناها كل روحى أصيل ناموساً للحياة بين بنى البشر أجمعين ، وادعين ومتحابين .

وهذا الطبيب المتفانى يرعى الفرد كما يرعى الجماعة ، لأنه يعلم أن نجاحه فى تخفيف آلام الجماعة يكون عن طريق نجاحه فى الأخذ بيد الفرد أولاً ، فآلام الجماعة مستمدة من آلام أفرادها ، والفرد فى النهاية هو مستودع الفكر والشعور ، والفضيلة والرذيلة ، واليأس والأمل ، وهو السعيد الشقى ، والضاحك لماماً الباكى دواماً . وروحه الخالدة تسعده وتشقيه ، وتسعد من حوله وتشقيهم ، فيقال مجتمع سعيد ومجتمع شقى بحكم قانون من التضامن الوثيق يحكم الحياة فى كل مستوياتها ، ولكن الفرد فى النهاية هو موضع عناية كل قانون طبيعى ، وعن طريق الحفاظ على الجزء تحافظ الطبيعة على الكل ، وتنميه وترعاه . .

بين الكل والجزء

فلا تصدقن من يقول إن الطبيعة تعنى بالكل ولا تعنى بالجزء . أو إنها تعنى بالنوع برمته بدليل أن النوع باقٍ ، ولا تعنى بالفرد بدليل أنه إلى زوال سريع . وذلك لأن الصلة بين الكل والجزء وبين النوع والفرد صلة كونية لا تقبل انفصاماً . ولأن فناء الفرد — لو كان الفناء صحيحاً — معناه المحتوم فناء الكل ، فالكل يحيا فى الفرد والفرد يحيا فى الكل ، وبين الجميع رابطة لا تنفصم لعلها من نفس نوع الرابطة التى تجمع بين جزيئات الذرة الواحدة ، أو بين خلايا الجسد الواحد ، أو كواكب المجموعة الشمسية الواحدة ونجومها .

وإنما يجىء الانفصام من ناحية نظرنا القاصر إلى الجانب المنظور من الحياة وتجاهلنا للجانب غير المنظور منها ، مع أن هذا الجانب الأخير هو البداءة وهو النهاية ، أو بالأدق هو ناموس الحياة الأزلية التى لا تعرف بداءة ولا نهاية ، وهو لذلك التعبير الأسمى عن القدرة الخالقة المهيمنة على البداءة والنهاية معاً . هذه القدرة التى تفلت من إدراك الحواس ، بل ومن تقدير سواد الناس ، والتى تصل

بين الكل والجزء ، والنوع والفرد ، كما تصل بين الأحداث العابرة وبين الأزل ، كيما يحتل كل حدث منها مكانه الحقيقى فى النهاية بين الخطورة أو التفاهة ، وبين الحقيقة أو الخرافة ، أو ما قد يبدو لنا فى حكم الخرافة لعجز حواسنا — بل مداركنا أيضاً — عن الوصول إلى تفهم مسالكه ومراميه .

وبعبارة أخرى أننا ، متى سلمنا بوجود عدة عوامل روحية كائنة وراء الحياة فى تطورها المستمر ، تعين علينا أن نسلم أيضاً بأن أحداث الحياة المادية لها جذور عميقة ممتدة فى المستوى الروحى الذى يمثل التربة العقلية التى تستمد منها هذه الجذور جل عناصر ازدهارها أو ذبولها ، كيما تمنحها بعد ذلك للشجرة الظاهرة أمامنا ، وهى أحداث المادة . أما ما عداها فهو مختفٍ فيما وراء المادة ، وقد يبدو لحواسنا القاصرة أنه غير موجود مع أنه أصل الوجود ، أو أن دوره سلبى مع أنه يمثل المنبع الإيجابى للحياة ، فلا يمكن إذاً أن تنتهى الحياة فى الفناء ، كما لا يمكن أن ينتهى الفناء فى الحياة ، لأن الفناء — مع التسليم بالخلود — يصبح خرافة كبرى من خرافات الحواس .

وذلك مع أن هذا الفناء قد يبدو محققاً بحسب الظاهر ، أو بالأقل أمراً محتملا فى أية ساعة . فالإنسان ضائع فى غمرة الزمان والمكان . ويحيا على كوكب ضخم جداً ، ولكنه فى نفس الوقت تافه جداً فى غمرة المجموعة الشمسية التى يترنح فى وسطها ، وعرضة لأن يرتطم فى أية لحظة بأى كوكب من كواكبها ، بل عرضة لأن تضيع منه الحياة لو لم يحسن « القدر » تحديد بعده عن الشمس ، ومداره حولها ، وسرعة هذا المدار ، وحركاته خلال هذا المدار .

كما أن مدار أى كوكب حول نفسه وحول الشمس ينبغى أن يكون منتظماً إلى أبعد حدود الانتظام . وحسبنا أن نعلم الآن أن مدار الأرض حول نفسها منتظم إلى حد أنه لا يتغير أبداً إلا بما يوازى جزءاً واحداً من مائة جزء من الثانية فى كل ألف عام . ولو حدث غير هذا لتعرضت الحياة على هذا الكوكب بكل من فيه

وما فيه إلى فشل ذريع ، ولا أريد أن أقول إلى فناء محتوم ، لأن الفناء لا وجود له في الطبيعة . وما يصدق على هذا الكوكب يصدق بنفس المقدار على المجموعة الشمسية كلها التي هو تابع لها ، كما يصدق على كواكب سائر المجموعات الشمسية التي تعمر رحبات الكون الذي لا ينتهي ، والذي يتمدد على الدوام بسرعة متزايدة تفوق سرعة الضوء .

وفي نفس الوقت يعترف العلم الحديث بأنه لا يوجد شيء قابل للفناء ! فالمادة لا تفنى ، والطاقة لا تفنى ، والأمواج الأثيرية والصور والأشكال نفسها غير قابلة للفناء . وكل الكون خاضع لتخطيط رياضي يسبب الحيرة والذهول ، وهذا كله يفتح المجال واسعاً للتسليم بالوجود غير المشهود ويجعل منه حقيقة ثابتة بالنسبة للكل وللجزء أيضاً . فهو حقيقة ثابتة بالنسبة للحياة برمتها ، كما هو حقيقة ثابتة بالنسبة لأضعف كائنات هذه الحياة ، وأتفه ظواهرها . كما يفتح هذا كله الباب واسعاً لإقرار الصلة التي لا يمكن أن تنقطع بين الوجود المشهود ولو في أدنى صوره ، والوجود غير المشهود ولو في أسمى صوره . فالحياة كلها خاضعة لتضامن وثيق هيهات أن يعرف العقل له حدوداً أو قيوداً .

وهذه الصلة بين الوجود المشهود وغير المشهود لا يمكن أن تنقطع رغم عدم خضوعها للحواس المادية ، وذلك مع أن قدرة الإحساس نفسها — وهي قدرة عقلية في جوهرها — تنبع من هذا الأصل الوراء المادي للحياة ، ولكنها محدودة بالنطاق الذي تعمل فيه مؤقتاً وهو نطاقها المادي المحدود . وتعمل في الفرد كما تعمل في المجموع ، بغير إمكان الفصل بين حياة الفرد وحياة المجموع ، أو بين سعادة الفرد وسعادة المجموع .

ولهذا يعتز الفلاسفة الكبار — ومنهم تطوريون من مدارس شتى — بالإنسان كفرد له ذاتيته ، وبمصيره الخلقي المحتوم ، فلا يسلمون حتى من هذه الناحية بفناء مسئولية الفرد في مسئولية المجموع ، ويصلون عن طريق هذا الاعتزاز

وحده إلى رفض فكرة التلاشى بالموت من أساسها . وهكذا يبنى استمرار الحياة فلسفياً على مسئولية الفرد ومصيره ، قبل أن يبنى على مسئولية المجموع ومصيره ، وذلك على عكس ماذهب إليه بعض العلماء الوضعيين عن طريق الارتباط بحكم الحواس المادية القاصرة .

وحتى هؤلاء الأخيرون لو أنهم عاصروا البحوث الروحية الحديثة فى طورها الأخير لكان لغالبيتهم — فى تقديرى — موقف آخر من مدارسها ، وذلك لأن الروحية الحديثة ، حتى فى جوانبها الفلسفية ، مستقاة من محض ظواهر معملية خضعت للاختبار المتكرر عن طريق نفس هذه الحواس المادية . ومنها استمد المقتنعون كل عناصر اقتناعهم اليقينى ، وهذا هو الأسلوب من الاقتناع الذى تعلق عليه هذه المدارس الوضعية الأهمية القصوى فى الوصول إلى نتائج مترابطة يرتاح إليها عقل العالم ومنطق تفكيره المترابط .

ماذا تريد بنا الحياة ؟ !

كما أن الموت لايصلح نهاية للحياة ، فكذلك الحياة لاتصلح بداءة للموت بمعنى الفناء ، وذلك لأن الحياة والموت يمثلان وجهين متقابلين لشئ واحد اسمه دوام الوجود وانتفاء الفناء . فالموت فى منطق الحواس ينفى دوام الوجود ، لكنه فى منطق الواقع يفرز الحياة ، متنقلاً بالعقل من حياة إلى حياة كيما يسمو الشعور تدريجياً إلى المستوى الذى تريده له حكمة البقاء ، أى إلى المزيد من التطور والارتقاء .

ومن هنا كانت فلسفة الخلود هى بعينها فلسفة الحياة المتطورة للأمام . والتى تصلح هدفاً بذاتها سامياً لفكر الإنسان وشعوره . ولا يتعارض هذا القول مطلقاً مع القول بأن الهدف الحقيقى للحياة هو عبادة الله ، وذلك لأن الله هو بارىء الحياة النامية المتطورة ، وهو العقل الأعظم الكائن وراء هذه الحياة فى وجودها ، وفى خلودها ، وفى تطورها التدريجى عن طريق صلتها بالعقل وبالمادة ،

أو بالأدق عن طريق ترددها بين مستويات مختلفة قد تطغى فى أحدها قوة المادة على إرادة العقل ، كما قد تطغى فى آخر منها إرادة العقل على قوة المادة . فهما فى صراع لا يتوقف ، وكل منهما يريد السيطرة على الآخر ، وإن كان أيهما لا يستغنى عن الآخر ، لأن المادة فى كل مستوى من مستويات الوجود بحاجة إلى عقل يوجدها ويحافظ عليها ، كما أن العقل بحاجة إلى مادة يثبت بها إرادته ووجوده ، ويرقى بهذا الإثبات إلى ما شاءت له إرادة الله من الارتقاء . وهكذا تسمو الحياة تدريجياً من مستوى العقل الغريزى إلى مستوى العقل الباحث عن الله وعن الحقيقة مهما كبده البحث عنهما من عناء ، ومن مستوى العاطفة العمياء إلى مستوى العاطفة المتطلعة إلى الارتباط بحقائق الحياة ارتباطاً مبصراً فى عمق ونقاء .

* * *

ولنتحدث قليلاً عن هذه الحياة فى جانبها المنظور ، فنجد أمامنا قافلة هائلة من الوجود تسير فى إحكام عجيب ، وفى قدرات تبدو لا حدود لها . وهذا الإحكام العجيب لا يظهر فى مملكة الإنسان وحده ، بل يبدو بنفس المقدار فى مملكة الحيوان والنبات والجماد . فكل شىء فى هذا الوجود يسير طبقاً لتخطيط متناسق ومتكامل ، كأنه يريد لكل شىء فيه أن يفنى وأن يبقى فى نفس الوقت ، وأن يتطور وأن يبدو ثابتاً غير متطور ، وأن ينمو وأن يبدو واقفاً عن النمو ، وأن يتحرك وأن يبدو راسخاً لا حراك فيه . هكذا تجد الأضداد ، أو بالأدق ما يبدو لحواسنا أنه الأضداد يتفاعل معاً لنجاح الحياة ــ ولو فى وسط عوامل الفشل الكثيرة المحيطة بها ــ ولتحقيق أهدافها العجيبة ، حتى فى جانبها الضيق الخاضع للحواس .

وهذا كله يحدث من تلقاء نفسه ، أو قد يبدو لنا حدوثه تلقائياً ، وما هو من التلقائية فى شىء ، لأن كل ما هو حادث خاضع لقوانين طبيعية تحكمه ولا تفلت من سلطانها العتيد أية ظاهرة ، ولو كانت من ظواهر هذا الوجود المنظور . ومع

ذلك فكثيراً ما تبدو لحواسنا هذه الظواهر عبارة عن فوضى غير خاضعة لأى قانون ولا ضابط . ويكفى التأمل مثلا فى بعض « مظالم » هذه الحياة ، وبعض أمراضها وعاهاتها ، وبعض حروبها وبراكينها ، بل يكفى التأمل فى بعض غرائزنا المسيطرة الدفينة ، وشهواتنا المدمرة التى منها شهوة افتراس القوى للضعيف ، كأننا السمك الكبير لا نرضى بأقل من ابتلاع السمك الصغير ! !

ومع ذلك كله يمكن لأى عقل مفكر شاعر أن يلمس ، وأن يشعر فى جوانب هذا الوجود المادى بالكثير من عوامل ازدهار هذه الحياة وسموها ، التى لا يمكن أن تمت بنسب إلى هذا الوجود المنظور ، وإن كانت تعمل من وراء هذا الوجود كيما تحميه ، وتهيمن — بطريقة غير مرئية — على سير قافلة الحياة فيه . هذه الحياة التى تريد منا ولنا أكثر من مجرد الميلاد ، والنمو ، ثم الفناء المحتوم .

فماذا تريد بنا الحياة ؟! إن من يتأمل ملياً فى قدرة الحياة وفى سموها يجزم أنها لا تريد بنا إلا أن تحيا فيناوأن نحيا فيها . فظواهر الحياة فى كل صورها تعبيرات رائعة إيجابية لعقل مفكر ، والإنسان ليس أكثر ولا أقل من عقل مفكر . وإذا كان عقل الحياة ذا إرادة لا حدود لها ، وقدرة سامية نعجز عن تقديرها ، فإن عقولنا ـ فى عجزها الحالى ـ ذات إرادة وقدرة تسيران فى طريق الارتقاء . والعقل ينبغى أن يرتبط بشخصية معينة يستمد منها التجربة فيسمو بها وتسمو به ، وهذا الارتباط هو الذى يسمى بالإنسان ، أو بالعقل المتجسد فى شكل إنسان . وفناء الإنسان معناه فناء هذا العقل بالضرورة ، وبالتالى فشل الحياة فى أسمى قدراتها ، وهى خلق الإنسان المفكر الشاعر بسمو الحياة ، وبكل قدراتها المجيدة .

وقدرات هذه الحياة معقدة جداً لمن يحاول أن يتفهمها ، لكنها بسيطة جداً لمن يحاول أن يسعد بها . وكأن لغز هذه السعادة هو أنها بلا لغز لمن يشعر بفرحة الحياة شعوراً صحيحاً ، مستمداً من قدرته على أن يرضى بكل شىء وبلا شىء .

فقرحةهذه الحياة مستمدة من قدرة الإنسان الذى يمكنه أن يشعر بها ، وأن يفرح بالحياة فى الصحة والمرض ، والنجاح والفشل ، والمجد والهوان ، والذى لن يخطو خطوة واحدة نحو كشف أى لغز من ألغازها ، إلا إذا أيقن أنها لا تخفى لغزاً إلا ذلك الذى يثيره العقل العاجز فى محاولة كشف هذا اللغز . ولا عجب فإن عقل الإنسان هو اللغز الأكبر الكائن وراء قدرات هذه الحياة كلها .

فهل هذا العقل المفكر الشاعر موهوب حقاً للخلود ؟ ! ولماذا لا يتلاشى بالموت فى قدرة العقل الكلى كما تتلاشى قطرة الماء فى مياه المحيط ؟ ! . إن الجواب بالإيجاب يعادل تماماً القول بتلاشيه المحتوم ، لأن قطرة الماء لا تكون قطرة ماء إلا إذا حافظت على كيانها الخاص الذى يجعلها متميزة عن مياه المحيط . والقول بأن عقل الإنسان ينبغى — بالموت — أن يندمج فى « عقل الحياة » يعادل تماماً القول بفنائه من الوجود . لأن عقل الحياة غير محدود ، فلن تزيد قدرته شيئاً باندماج عقل الإنسان العاجز فيه ، ولن تنقص شيئاً بالتالى إذا لم يحدث هذا الاندماج .

وإنما تشير ظواهر الوجود إلى أن هذا العقل الكلى للحياة يريد للعقل النامى المتجسد ، الذى هو الإنسان ، أن يبقى وأن تكون له قدرة متميزة ، وعواطف نامية ، شاعرة بفرحة الحياة ، وضمير يمثل قبساً من الشعلة الخالقة نفسها ، وبالتالى يريده موهوباً للخلود وللنماء . فالحياة السامية تريدنا للحياة السامية ، ونحن هدف صالح لها ، كما أنها هى هدف صالح لنا ، إذا فهمنا الحياة على أنها تطور وارتقاء لا يعرف حدوداً ، وأنها تتكامل عن طريق القدرة التى تحصل عليها بالضرورة كل ذات مفكرة متميزة عما عداها ، شاعرة بفرحة الحياة شعوراً صحيحاً ، ساعية إلى الاستزادة من أسبابها سعياً حثيثاً .

وفرحة الحياه هذه تجىء من الإحساس بأن الحياه سامية وعادلة ، وتستحق أن نحياها ، وأن نحاول أن نتسامى بها تدريجياً فنعطيها مثلما تعطينا أو أكثر ..

ومن هنا يجىء تطور الحياة نحو الأسمى والأكمل ، أو بالأدق تطورنا نحن عن طريق تذوق الحياة والعيش بين وردها وشوكها ، وارتياد سهلها ووعرها . وإذا كان هذا الإحساس الدفين بأن الحياة سامية وعادلة يمنحنا بذاته فرحة الحياة فإن الإحساس بسمو الموت وعدالته ينبغى أن يمنحنا هو أيضاً فرحة تفوق فرحة الحياة نفسها . ومن يدرى فقد نعطى الحياة أكثر مما نأخذه منها ، ونأخذ من « الموت » أكثر مما نعطيه ؟ !

وكلما نما هذا الإحساس فى نفوسنا بأن الحياة والموت كلاهما ساميان وعادلان ، كلما مالت نفوسنا تدريجياً إلى المزيد من رغبة تذوق فرحة الحياة والموت ، ومن الاتساق الحكيم مع قوانينهما الحكيمة التى لا تريد بنا شراً ، بل أن تأخذ بيدنا نحو المزيد من النضج ، حتى نوفر لغيرنا فرصاً أوفر من قدرة تذوق نفس هذه المشاعر فى جميع مباهجها المشروعة . والويل لنا إذا ما تخلفنا عن السير فى هذا الركب ، أو إذا ما وقفنا حجر عثرة فى طريق الآخرين ، بسبب توقف مداركنا أو مشاعرنا الخاصة عن الإحساس الصحيح بما تقتضيه سنن الحياة السامية العادلة منا من مطالب مشروعة لا تخدم سوى تطورنا فيها ، وتطورها فينا .

* * *

هكذا تكون الحياة السامية — بكل مباهجها المشروعة — غاية صالحة مقصودة لذاتها ، وغاية نامية متطورة لا حدود لتطورها وارتقائها . ويكفى أنها وسيلة للموت ، وبالتالى للعيش فى عالم أسمى من عالمنا وأجمل هو أصل كل حياة ، وهكذا يتأتى للإنسان ألا يخشى انقطاع الحياة بالموت ، وألا يرهب كآبة الحياة ولا كآبة الموت . وكآبة الحياة قد يتحملها الشعور راضياً أو مرغماً ، أما كآبة الموت فهى فوق طاقة الشعور المتعلق بسمو الحياة وعدالتها ، المتطلع لامتدادها — إلى مالا نهاية — فى السمو وفى العدالة .

وكآبة الحياة قد لاتجىء من الألم — كما نتصور أحياناً — بقدر ما تجىء من افتقاده فى أغلب الأحيان !. أما كآبة الموت فتجىء من افتقاد الأمل فيه ، فبقدر لزوم الألم السائغ المقبول فى الحياة حتى تكون سائغة مقبولة ، يلزم الأمل للموت حتى لا يكون قاسياً كئيباً . فهل لأمل آخر غير أمل امتداد البقاء أن يقلب كآبة الموت إلى خرافة كبرى ؟ بل إلى أسطورة بالية آن لها أن تمحى من الأذهان، وذلك بعد أن مجتها المشاعر ، وكأنها الداء العياء الذى يعصى على كل دواء ؟ .

وهل يتأتى لفلسفة أخرى غير فلسفة الخلود أن تقيم هذا التكييف المفعم بالرجاء للحياة فى سيرها نحو التقدم والارتقاء ؟ وفى سير الإنسان نحو بارئه — مصدر كل رجاء وارتقاء — حتى ليصبح من حق العقل المبتدع أن يسعى إلى العقل الذى أبدعه ؟ .. وهذا هو نهاية مايصح لعقل هذا الإنسان — المتسائل عن حقيقة أهدافه — أن يصبو إليه فى تكييف صلته بالحياة ، وبالله الذى أبدع هذه الحياة خافتة كذبالة الضوء توشك أن تطفئها نفخة الفم عندما تصبح مع طول الأمد ، وبعد الصراع الطويل مع الريح والعاصفة ، شمساً تضىء من حولها ، وتبعث إلى الآخرين بإشعاعات الرجاء بل اليقين ، لا تتهددها ريح ولا عاصفة ، ولا يخيفها صرير أو أنين ، وهكذا تصل الحياة إلى مقر وادع أمين ، محدد لها منذ خلق العالمين ....

وهل يمكن لفلسفة أخرى غير فلسفة الروح أن تقيم — بالإضافة إلى ذلك كله — بنياناً موضوعياً متماسكاً للمحبة بين بنى البشر أجمعين ، أساسه خضوعهم جميعاً لهذا الناموس الإلهى المشترك الذى لا يعرف محاباة ولا تمييزاً ، ولا فضلا لإنسان على آخر إلا بالتقوى ، وهى تمثل منبع الشمائل الطيبة فيه ؟!...

لذلك كله يأخذنى العجب من الموقف السلبى الذى وقفه من حركة البحث فى الروح علماؤنا وقادة الفكر عندنا حتى الآن ، حين أنها اجتذبت عدداً

كبيراً منهم فى الخارج اجتذاباً قوياً ، إحساساً منهم بمدى خطورة الحقائق التى تكشفت عنها ، وبمدى اتصالها بحركة العلم المادى ، وفى نفس الوقت بالتكوين الفكرى والروحى للإنسان . هذا إلى وثيق صلتها بالقيم الخلقية السائدة ، وتلك التى ينبغى أن تسود .

ولمن يشك فى ذلك له أن يقلب صفحات أى مؤلف من المؤلفات القيمة التى عالجت هذا الموضوع ، سواء من زواياه العلمية أم الفلسفية أم الاجتماعية ، فإنه سيتحقق بنفسه من مدى خطورته وعمق أثره ، وسيدرك فوراً أية جناية يجنيها علينا الصمت والجمود فى هذا الميدان الذى كان فى عصور مضت هو ميداننا ، وهو نبراسنا ، وهو تراثنا الأصيل من الأولين ...

أليس الشرق هو مهبط الرسالات السماوية التى تهدف إلى النهوض بالروح لا بالمادة ، عن طريق تعزيز عاطفة المؤمن وإيمانه وضميره ؟ ... فضلا عن تقريب أخطر حقائق الكون إلى فهمه ومشاعره ؟ ... فهل أصبحنا أكثر تعلقاً بالمادة وعزوفاً عن الروح ممن تعودنا أن نقول إنهم بناة حضارة مادية ، ودعاة تشكك وإلحاد ؟ !.. إنه حزن — وحزن عميق — أسجله هنا من موقف حملة الأقلام وقادة الفكر الذين يعلق الوطن عليهم آماله الكبار فى النهوض به ، وتذليل العقبات الجسام من طريقه .

لمَ أتردد إذاً ؟ !

وليثق القارىء العزيز أن صاحب هذه الصفحات ليس من صفاته سهولة التصديق ولا سرعة الاقتناع ، بل إنه بسليقته ميال للإنكار الرافض ، وللأسلوب الوضعى فى الحكم على الأمور ، ولا يكره أمراً قدر كراهيته للخرافات ، وللجرى وراءها ، ولم تعجبه عبارة قدر قول فولتير — وهو يلخص تاريخ حياته فى كلمات قليلة قائلاً — « لقد عبدت الله ، وأحببت أصدقائى ، ولم أكره أعدائى ، وكرهت الخرافات » . فليثق القارىء من ذلك تماماً ، وليطمئن إلى أنه لولا طبيعة

الإنكار الغالبة فيه لما احتاج إلى بذل كل هذا العناء فى التنقيب فى الروحية فى حذر شديد . هذا وقد بدأ اطلاعه المثابر منذ أن كان قاضياً ، ولم يكن الموضوع برمته يتمثل فى — أحسن الفروض — أكثر من مجرد دعوى مطروحة على محكمة العلم ، ومن حق المدعين فيها — وما أكثرهم ، وما أضخم مكانتهم الفلسفية والعلمية — أن تفحص أسانيدهم قبل إبداء الرأى فيها .

فلما كون — ببطء شديد — رأيه طبقاً لنظام « إقناعية الدليل » ، وكان اقتناعه لا يعوزه التثبت واليقين من الاطلاع الناقد المثابر ، ومن التجريب الطويل فى عدة دوائر خاصة ، رأى أن من واجبه أن يسجل فى كتاب خلاصة ماراقه من أسانيد اطلاعة خلال حقبة من الزمن جاوزت — الآن — عشرين عاماً ، مصحوبة بما استرعى انتباهه من فلسفات الأقدمين والمحدثين من الروحيين ، بالإضافة إلى طائفة من خواطره وسوانحه الخاصة فى بعض الجوانب العامة المحيطة بفلسفة الروحية . ولم تكن المشكلة الماثلة أمامه فى أى وقت هى فى أن يقنع أى إنسان أو أن يحاول إقناعه ، بل كانت مشكلته الحقيقية هى فى أن يقنع نفسه أولاً وأخيراً ، وأن يصل إلى رأى مترابط يرضى المنطق الناقد لهذا الأمر الغريب ، بل « الخارق للعقل » كما ينبغى أن يراه حتماً كل من لم تتح له فرصة اطلاع كاف ، ولا تجريب .

ومع مداومة التساؤل عن مدى صحة هذا الأمر « الخارق للعقل » كان لا يكف أيضاً عن التساؤل عن مدى صحة البنيان العلمى الكائن وراء هذه الظواهر الروحية ، وعن مدى ترابط البنيان الفلسفى المتصل بها ، ومدى اتفاقه مع جوهر الاعتقاد ، بل مع جوهر المبادىء اللازمة للنهوض بالإنسان ، وهى كلها موضوعات مفرطة فى عمقها ودقتها . ولذا تخير مراجعه بعناية شديدة ، حتى لا يقع ضحية تغرير من أقوال مرتجلة ، أو من تجارب مبتسرة فى أى اتجاه كانت .

ومع ذلك فمن حق القارىء — بعد أن ينتهى من الاطلاع على البينات

الكثيرة الواردة فى هذا المؤلف — أن يختار لنفسه طريق الاقتناع ، أو عدم الاقتناع إذا شاء . وهو سيختار فى الواقع بين شهادة الحقائق العلمية التى قتلت بحثاً وتمحيصاً بمعرفة علماء كبار فى معاهد جادة تماماً وخارجها ، وبين شهادة حواسه الخاصة . وهو حر فى أن يغلب أياً من الشهادتين على الأخرى . ولكن من حق الرأى السليم فى هذا الموضوع الخطير — المفرط فى خطورته وفى اتساع مداه — أن يطالبه بموالاة الاطلاع فى مراجعه العلمية المعتمدة ، وأيضاً بموالاة التجريب بأسلوب علمى ناقد ، إذا ما توافرت له وسائله بعيداً عن « تجار » الوساطة الروحية وأدعيائها .

وأيضاً من حق الرأى الصحيح فى مثل هذا الموضوع الخطير أن يخاطب فى الإنسان الفطرة السليمة قبل الذكاء المتوقد ، والأفق الواسع قبل الرأى المغرض المتحيز . فبغير الفطرة السليمة والأفق الواسع يكون الذكاء المتوقد ضربة موجهة إلى حقائق الحياة ، لا سبيلا صحيحاً للوصول إليها . ولذا كانت أغلب حقائق الحياة أقرب إلى النفوس المتواضعة — من البسطاء والعلماء معاً — منها إلى عقول بعض أولئك « العمالقة الكبار » أسرى حواسهم الخاصة ، وضحايا تسرعهم فى الحكم على الأمور ، وهم يحسبون أنهم سادة « الحقائق العلمية » ، مع أن الحقائق بعيدة عنهم بعد الأرض عن السماء !

وإذ كنت بعد اطلاع كافٍ — وتجريب طويل فى عدة دوائر خاصة — قد اقتنعت بجدية هذا البحث وبخطورته البالغة ، وبأنه جدير بأن أحمل عبء الدفاع عن نتائجه البعيدة المدى أمام ضميرى ، وأمام قارىء أقدر فداحة مسئوليتى قبله ، لا أجد ثمة مبرراً للتردد إلا خشية معارضة محتملة من نفر من الجامدين أو الأدعياء ، معارضة ليس من النهج العلمى فى شىء أن يحسب الباحث لمثلها حساباً ، وقد آثر أن ينشر بحثه خدمة للحقيقة العلمية وحدها كما اقتنع بها — بعد لأى وطول عناء — ، لا خدمة لانفعالات هذا النفر من المعارضين ، الذى لا يمكن

أن ينزل إلى مستوى بحث هذه الأمور ، ولا أن يرتفع إلى مستوى التسليم بالعجز فيها !!.

وهذا النفر لن أناقشه بنفسي كثيراً ، بل سأدع لبحوث لفيف كبير من خيرة علماء القرنين الماضي والحاضر مهمة مناقشته . وسأشق طريقي للأمام تاركاً في كل صفحة منه بينة قوية، أو عدة بينات لها قيمتها القصوى ، لمن يريد أن يعرف فيه شيئاً جديداً بطريقة موضوعية محايدة . أما المكابر فلا حيلة لأحد فيه ، ولن تخسر الحقيقة العلمية شيئاً بعدم اقتناعه بها . .

لقد كان بمقدوري أن أقول لمثل هذا النفر كما قال من قبل إدوين فردريك باورز E. F Bowers الأستاذ بجامعة مينيابوليس لأمثاله في الخارج — « إن هذا الكتاب تحدٍ للجهل والتطرف ، وروح التعصب الناكرة الكارهة ما تجمع من البينات الدالة بشكل قاطع على بقاء الشخصية بعد الموت »[1] . فإن كنت لا أفعل فلأن التحدي قد يصح في ميدان الحرب أو السياسة ، أما في ميدان البحث العلمي فإن الباحث يدخل محراباً قدسته المعرفة الصحيحة . فلا ينبغي له أن يدع للتحدي أي مكان في وسائله ولا في غاياته . طالما كان جاداً في طلب البحث عن الحقائق والاستضاءة بنورها ، للوصـــول إلى معرفة ذاته ، وهي أثمن ما يستحق عناء البحث فيه ، بدلا من أن يخبط خبط عشواء في طريق الظلام والأوهام ... ثم يصر على التخبط على مدى الأيام والأعوام .

ولا أحب أن يتصور أي إنسان أن البحث في الروح شائك كما يقال أحياناً، لأن البحث عن المعرفة الصحيحة لا يعرف — ولا يعترف — بالأشواك في طريقه، ولا يعوقه شيء عنها . بل إن المعرفة الصحيحة هي أثمن ما يستحق عناء البحث فيه . وهي تمثل في النهاية كل ما يملكه الإنسان من مجد ومن كرامة .

كما لا أحب أن يهون إنسان ما من قيمة البحث في هذا الموضوع أو أن يقلل

(١) في مؤلف له عنوانه Phenomena of The Séance Room.

من شأنه ، فالمعرفة الروحية ستصبح إن عاجلا أو آجلا مصدراً لعلوم الحياة ، وأصلا لعلم النفس بوجه خاص يعوض به ما فاته من تخلف ، وتضىء به علوم الحياة كثيراً من الجوانب الغامضة فى علوم الجماد ، وذلك بعد أن أصبح تقدم علوم الجماد على علوم الحياة « إحدى الكوارث التى عانت منها الإنسانية — على ما لاحظه الدكتور ألكسيس كاريل Alexis Carrel الحائز على جائزة نوبل فى الطب — ، فالبيئة التى ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة لنا ، لا بالنسبة لقوامنا ، ولا بالنسبة لهيئتنا . . إن القلق والهموم التى يعانى منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية » .

ثم يضيف قائلا : « إننا ضحايا تخلف علوم الحياة عن علوم الجماد . . إن العلاج الوحيد الجائز لهذا الشر المستطير هو معرفة أكثر عمقاً بأنفسنا . . إننا لا نملك وسيلة أخرى لمعرفة القواعد التى لا تلين لوجوه نشاطنا العضوى والروحى ، وتمييز ما هو غير مشروع عما هو مشروع . وما دامت الأحوال الطبيعية للحياة قد حطمتها المدنية العصرية فقد أصبح علم الإنسان أكثر العلوم ضرورة »(١) . وجوهر علم الإنسان الآن هو علم الروح بعد ما تبين أن « الإنسان روح لا جسد » ، وأنه أعظم بكثير مما كانت تصوره مدارس المادة بوصفه قطعة من جماد لا تختلف عن غيرها إلا بوظائفها العضوية ، أو كائناً يحبو على قدمين لا يختلف كثيراً عن تلك التى تحبو على أربع .

فإذا كان الأمر كذلك فلمَ أتردد فى نشر نتيجة بحثى هذا ؟ . . ولمَ أتراجع متخلياً عن مسئوليتى قبل القارىء الذى أقدر أن من حقه أن يعرف من هذا الأمر الخطير شيئاً صحيحاً بطريقة علمية محايدة ؟ ! ولحساب من يكون التراجع ؟ إن اعتراضات المعترضين لا تضيرنى فى شىء ، كما لا تضير موضوعاً

---

(١) فى مؤلفه « الإنسان ذلك المجهول » L'homme Cet Inconnu ترجمة الأستاذ عادل شفيق ص ٣١ ، ٤٣ .

علمياً صرفاً ثبتت أقدامه بصفة حاسمة ونهائية فى أرقى البيئات العلمية ، وأخذ يشق طريقه للأمام على نحو يبعث على الاطمئنان التام بأننا إزاء علم حديث ، لكنه فى أساسه الأول قديم قدم الحضارة الإنسانية ، بل قدم الإنسان ، وهو يشعر أبداً أنه أكثر من مجرد جسد مادى يحوله الموت إلى حفنة من تراب أو إلى بقعة من سراب ..

ولا أريد أن أقف طويلا عند اعتراض بعض ذوى النوايا الطيبة ممن قد يقولون ، ولمَ لا نقف عند الروح كما بحثها فلاسفة العرب وأئمتهم من أمثال ابن سيناء وابن رشد وابن القيم الجوزية والغزالى وغيرهم ؟! . . فالجواب يسير وهو أن هؤلاء فلاسفة كبار ، ولكن لمَ لا نقف فى الكيمياء أيضاً عند ابن حيان ، أو فى الطب عند ابن سيناء أو عند هيبو قراط ، وقد كان الطب يجهل فى أيامهما حتى دورة الدم ، كما كان يجهل الميكروبات وبالتالى وسائل مكافحتها ، والهورمونات والفيتامينات ووظائف أهم الأعضاء ؟ ... بل لمَ لا نقف فى الفلك عند بطليموس وقد كان ينكر حركة الأرض ... ويؤكد أن الأرض لا يمكن أن تدور حول نفسها مع أنه يعد أحسن علماء الفلك من الإغريق؟ ...

فمثل هذا الاعتراض لا يستحق فى الرد عليه أكثر من ذلك ، ومن عبارة فى محلها قالها عالم الفيزياء سير أو ليفر لودج ، وهو يرد على معارضيه فى البحث الروحى قائلا — فى مؤتمر «للجمعية الملكية لتقدم العلوم» (المجمع العلمى البريطانى) عقد فى لندن فى سنة ١٨٩١ — «إن الحد الفاصل بين العالمين المادى والروحى قد قرب أن ينهار كما انهارت فواصل كثيرة غيره ، وبذلك سنصل إلى إدراك سام لوحدة الطبيعة . إن الأشياء الممكنة لا حد لها ، كما أن الوجود نفسه لا حد له ولا نهاية . وما نعلمه الآن منه لا يساوى شيئاً بالنسبة لما غاب عنا علمه . وإن إرادة قصر بحوثنا على المجالات التى افتتحناها نصف افتتاح يعتبر خيانة لعهود الرجال الذين كافحوا للحصول على حرية البحث ، وتخييباً لأقدس آمال العلم

فينا».فأى تراجع فى البحث العلمى هو فى حقيقته خيانة لعهود الأقدمين والمحدثين، معاً من العلماء والباحثين، ونذير انهيار لركب الإنسانية الذى يسير إلى الأمام قدماً بفضل جهود من لا يعترفون بإمكان إيقاف عقارب الساعة، أو إرجاعها إلى الوراء . ومن يفعل ذلك ربما يخدع نفسه ، لكنه لا يوقف سير الزمن الذى هو كالسيف إن لم نقطعه قطعنا ...

ولنستعيد فى هذا الشأن بعض ما رد به المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى ، وهو من أصحاب التفاسير القيمة ، على المعارضين فى مؤلفه « كتاب الأرواح » — ويدور كله حول صحة العلم الروحى الحديث والدفاع عنه، ونفى شبهة التعارض بينه وبين العقيدة — عندما قال (فى ص ٥ — ٧ من طبعة ١٣٣٨ هـ . و ١٩٢٠ ميلادية) : « فهل نقف أمام هذا الحادث صامتين ؟ ! إنه لعيب فاضح ، وخطأ واضح وشين مبين . نحن أحق بهذا العلم من الغربيين . إن الأمر جلل يعوزه كتب تؤلف ، ومجامع تحشد ، وعلماء تنتقد . أنا لست فى كتابى هذا أثبت العلم الروحى فحسب ، فلقد سبقنى إليه من نشروا الفكرة وأذاعوا أمره ...

« أنا لست فى كتاب الأرواح أسرد الحوادث المنقوله «سبهللا» ، ولكنى أجد ذلك يطابق ما نص عليه الغزالى وغيره بطريق الكشف ، وكيف قال إن عذاب القبر على هذا الأسلوب ، وستراه مفصلا فى الكتاب .

«...فليتعاون الكتّاب على نشره فإن فيه سلوة المحزونين،وإيقاظ الغافلين، وتعليم الجاهلين ، واتباع الإيمان باليقين ، ورقى الأخلاق ، وتقليل النفاق ، وضعف الشقاق، وذهاب الأحقاد، والوثوق بحياة جديدة ،فلا يفزع الناس أشد الفزع من الممات، ويقل بكاء الباكيات،ويسهل احتمال النكبات وأشد الأزمات ، علماً بأنها طهارة للروح ، وإنماء للأخلاق ، ودروع سابغة ، وأجنحة بها نطير إلى العلا ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون...» . وفى ص٤٧ من نفس الطبعة «اعتراض على المؤلف كيف يستدل بكلام الفرنجة الدين يدعون إحضار الأرواح ؟.. والإجابة على ذلك بأن العلوم جميعاً تؤخذ من أربابها ، وليس الدين بمانع من ذلك » .

ثم إن اعتراضات المعترضين ، التى كانت تثار فى وجه هذا النوع من البحث فى مقتبل أيامه، قد أضحت برمتها غير مقبولة الآن بعد خضوعه طيلة هذه السنين ـ وقد قاربت قرناً وربعاً من الزمان ـ لكل وسائل البحث الدقيق والتجريب المتواصل . وبعد أن انحازت إليه صفوة من علماء ماديين كانوا من قبل مؤمنين بقوة المادة كل إيمان، ومنكرين الروح كل إنكار، فكانوا يتمنون عندما بدأوا بحوثهم فيه أن يثبتوا أنه وهم مطلق وخرافة باطلة . وذلك لأن العقيدة العلمية إذا تمكنت من عقل صاحبها أضحت فى قوة العقيدة الدينية . ومن هنا جاء التشابه بين رجل العلم ورجل الاعتقاد من ناحية التعلق الشديد بالقديم ،ورفض كل جديد كبر شأنه أو صغر .

لكن الاقتناع بحقيقة الحياة بعد الموت بعد التحقيق الطويل الذى أجروه ، وبعد الظواهر الحاسمة التى رأوها، غلبهم على أمرهم كما صرحوا بذلك ، فانحازوا إلى هذا العلم بعد تقليب الأمور على كافة وجوهها . وكان انحيازهم له فى حذر وأناة ـ رغم تدفق البينات وقوتها ـ لأنه كان انحيازاً إلى الحقيقة العلمية وحدها كما عرفتهم فى بحوثهم فى العلوم المادية ، وكما عرفوها فى بحوثهم الروحية . بل كان انحيازاً لأخطر حقيقة كونية أخضعها العلم التجريبى لوسائله وأساليبه العملية ، لذا تم فى بطء شديد واحتياط بالغ .

وقد كبدهم هذا الاقتناع الكثير من هجوم الجهلة والأغبياء ، لكن العلماء ضربوا عن الهجوم صفحاً ، وساروا فى طريقهم لا يبغون إلا خدمة وجه الحقيقة دون أى اعتبار آخر، لأن الرجل الشريف الأمين هو أنبل ما خلق الله . فلا غرابة إذاً أن نجد «أن ملايين من البشر من جميع الأجناس والأوطان قد اقتنعوا الآن بصحة البينات التى قدمها العلماء ، واقتنعوا قبل أى اعتبار آخر بالبينة التى استمدوها من عقولهم ومن ضمائرهم ، ومعها ذلك الشعور بالسلام الذى يتجاوز كل معرفة»(١) .

(١) الأستاذ شودزموند فى مؤلفه « كيف تحيا عندما تموت ؟ » How You Live When You Die طبعة خامسة ص ١٦ .

الفصل الثالث

فى واجب الارتباط بالأسلوب العلمى

مع التسليم بالدور المتواضع الذى حددته لهذا المؤلف ، فإن ذلك لايعفينى من التقيد بقيد أساسى فى بحث شتى موضوعاته،وهو التزام الأسلوب العلمى الحذر فيها.فلست أهدف مطلقاً إلى مجرد عرض كمية ـ مهما كان مداها من القلة أو من الكثرة ـ عن الروح، أو بالأدق عن نتائج البحوث التى جرت فيها . فهذه البحوث مهما قيل إنها تجرى فى بيئات علمية صرف ،لاتقل فى إحساسها بفداحة مسئولياتها عن بيئات علوم المادة ـ بل ربما تتجاوزها كثيراً لإحساس هذه البيئات بخطورة الميدان الذى تعمل فيه ـ فإن ذلك وحده لاينبغى أن يكون كافياً لإقناع القارىء العلمى المتحفظ ، مالم تربط بين أجزاء هذه البحوث نظرية مترابطة واحدة ينبغى أن تكون بمثابة الإطار العلمى لها ، وتربط بنفس المقدار بين شتى الجوانب الروحية ، وبين المعارف الصحيحة التى وصلت إليها سائر العلوم .

فعن طريق قيام نظرية صحيحة مترابطة ـ مهما تشعبت أجزاؤها ـ يمكن أن يصل القارىء العلمى المتحفظ ـ وهو الهدف الأول من مؤلفى هذا ـ إلى الاقتناع المترابط بموضوع ينبغى أن يعنيه كإنسان علمى بنفس القدار الذى ينبغى أن يعنيه كإنسان قلق على مصيره ، من حقه المشروع أن يتساءل دواماً عن حقيقة هذا المصير . . فهل إلى بقاء أم إلى فناء ؟ ! وهل إلى مستقبل مشرق أم إلى حفرة سحيقة ؟ ! وهل إلى خضرة وزهور أم إلى بكاء وصرير ؟ !

وإقناع القارىء صاحب التفكير العلمى المتحفظ فى قبول الحقائق الروحية يتطلب أيضاً اطلاعاً وفيراً عميقاً قد لاتتاح لنا كل أسبابه ، كما يتطلب قدرة خاصة على تأصيل أمور كثيرة فى فروع شتى من المعرفة قد لايتاح لنابطبيعة الحال

كل القدر المطلوب من متطلباتها . ومن ذلك مثلا الاطلاع في علوم الفيزياء والرياضة والنفس والفلسفة وغيرها . ولكن مالا يدرك كله لا يترك كله ، وعلينا على أية حال أن نبذل أقصى ما في وسعنا في سبيل تحقيق هذه الغاية المشروعة ، عن طريق الرجوع إلى المراجع القيمة لاستخلاص النتائج التي وصل إليها علماء كبار عديدون في هذه الموضوعات . وهي مراجع لا يصح أن يشك في قيمتها أي باحث جاد تسيطر عليه حقيقة روح البحث الموضوعي المحايد ، للوصول إلى الاقتناع المترابط الذي ينبغي أن نشترك معاً في مشقة الوصول إليه ، مهما كان الطريق محفوفاً بالمشاق الجسام .

ولذلك فإن هذا المفكر العلمي — عندما ينتهي من قراءة هذا الكتاب بجزئيه — سيدرك تماماً أنه ليس إزاء خيالات ، أو آراء شخصية لي أو لبعض الباحثين أو المفكرين ، بل سيدرك على الفور أنه إزاء حقائق علمية خطيرة كأشد ما يدل عليه هذا الوصف ، حقائق جديرة بأن يطلع عليها كل إنسان ، بل أن يدرسها في أناة ويناقشها بعناية ، وأن يرتب عليها نتائجها الضرورية في تفكيره ، وفي سلوك حياته أيضاً . وهي في نفس الوقت حقائق معزية ومطمئنة إلى أقصى ما يستطيع الإنسان أن يصبو إليه من العزاء ومن الاطمئنان .

العلم — الفلسفة — الاعتقاد

وخطورة هذه الحقائق ليست مستمدة من وثيق اتصالها بالعلوم الحديثة فحسب ، بل من وثيق اتصالها أيضاً بحقائق الفلسفة والاعتقاد . ذلك أنه لا ينبغي أبداً التسليم بوجود فواصل حقيقية بين العلم ، ولو كان تجريبياً من جانب ، وبين الفلسفة أو الاعتقاد من جانب آخر . فالعلم الذي ينأى عن التفكير الفلسفي هو في حقيقته جهل مستتر برداء العلم ، أو هو على أحسن الفروض علم مفكك ضائع . والفلسفة التي تنبو عن الارتباط بحقائق العلم إنما هي نوع من المغالطة التي لا تملك سوى تزييف الأسباب والذرائع .

والاعتقاد الذى يتباعد عن حقائق العلم والفلسفة نوع من الخيال الواسع ، الذى هو أجدر بالشعر أو بالأدب الرائع .

فليس من الصواب إذاً أن يخضع العلم لسيادة الاعتقاد ، أو أن يستسلم لوصايته . بل إن من رسالة العلم — على العكس من ذلك — أن يوضح جوانب الاعتقاد ، وأن يشرح خوافيها، فى حدود ما يملك من سبل يقينية. حتى أن الاعتقاد يمكن أن يتطور عن طريق العلم إلى إقرار الحقائق العلمية ، والاتساق المنظم معها ، فتصبح هذه الحقائق عمداً أساسية فى بنيان الاعتقاد لاغنى له عنها . وفى نفس الوقت ليس من الصواب أن يخضع العلم لسيادة الفلسفة النظرية عليه ، أو أن يستسلم لوصايتها هى أيضاً . بل إن من رسالة الفلسفة أن تزود العلم بأسلوب من التفكير المترابط الذى يحسن استخلاص النتائج من مقدماتها ، كما يحسن الربط بين جوانب العلوم المختلفة ، هذا الربط الذى تضيع بغيره حقائق المعرفة فى تيه من التخبط والتناقض ، وبالتالى يضيع العقل فى هذا التيه نفسه .

وإجمال ذلك كله هو القول بأن الفلسفة ، بمعنى القدرة على التفكير المنطقى المترابط، ينبغى أن تقع فى الأساس من العلم الصحيح. وأن العلم، بمعنى القدرة على الوصول إلى حقائق الأمور ، ينبغى أن يقع فى الأساس من الاعتقاد الأمين المتحرر من أغلال الخوف والتزمت والغلو . فلا ينبغى إذاً أن نعكس الوضع السليم ، ونتصور أن العلم ينبغى أن يخضع لوصاية الاعتقاد ، أو أنه ينبغى أن يستسلم لطغيان الفلسفة النظرية ، وإلا انهار العلم ، وانهار فى نفس الوقت كل تفكير منطقى مترابط قادر أن يقود العقل إلى حقائق الحياة ، التى تستحق شرف قبولها بوصفها « علماً » صحيحاً ، أو شرف التعلق بها بوصفها اعتقاداً أميناً .

وهذا الاعتقاد الأمين موجودة عناصره الصحيحة فى كل دين . فليست المشكلة فى العثور على هذه العناصر الصحيحة فيه ، بل فى فهمها على وجهها الصحيح ، فهماً مترابطاً مع حقائق العلم والفلسفة . وبقدر ما ينمو هذا الفهم

المترابط فى الصحة وفى الأمانة بقدر ما ينمو دور الاعتقاد فى العمق وفى النقاء ، وبقدر ما تخف الحواجز الصناعية بين بنى البشر — أو تزول — مهما انتموا إلى عقائد مختلفة ، لأنهم قبل كل اعتبار آخر أبناء ناموس إلهى واحد ، كما أنهم أبناء حقائق علمية وفلسفية مشتركة ، مهما تفاوتت الحال بينهم فى مدى الارتباط الصحيح بهذا الناموس ، أو فى الفهم الصحيح لهذه الحقائق .

ولذلك فمن المتوقع مستقبلا أن يندمج العلم مع الفلسفة مع الاعتقاد فى بوتقة واحدة ، تصهر فيها حقائق مترابطة عن الإنسان فى قدره ومصيره ، وعن حقيقة الأرض المجهولة التى منها جاء وإليها يعود . . . فلا يصح بعد أن يقال إن أمراً معيناً أو آخر يمثل مسألة عقيدية صرف ، لكنه ليس حقيقة علمية مقررة ، أو أنه يمثل حقيقة علمية مقررة ، لكنه غير مقبول عقيدياً . لا يصح بعد أن يقال شىء من هذا القبيل ، لأن الحقيقة التى تستحق شرف هذا الوصف الجليل لا ينبغى أبداً أن يتناقض فيها العلم الصحيح مع الاعتقاد الأمين ، وأيهما مع الفلسفة الصحيحة ، حتى وإن جاز فحسب أن ينظر إليها كل باحث من الزاوية التى تعنيه ويهمل ماعداها .

فليس من الجائز عقلا أن ينهض أى فارق بين نتائج البحث العلمى الصحيح من جانب ، ونتائج التفكير الصحيح سواء أكان فلسفياً أم عقيدياً من جانب آخر ، وذلك لأن الحقيقة واحدة ولا يمكن أن تتعدد بتعدد أساليب البحث فيها . فإذا كان هذا الأسلوب أو ذاك قائماً على أسس صحيحة ، مراعياً الترابط المنطقى بين المقدمات والنتائج ، لتعين انتفاء التضارب بين نتائج أى أسلوب وآخر من أساليب البحث عن هذه الحقيقة . فإذا ماحدث هذا التضارب فمعنى ذلك أن ثمة خطأ ما فى أسلوب البحث قد وقع . وهذا الخطأ قد يمكن اكتشافه أو لا يمكن ، لكنه موجود على أية حال يبحث عمن يكتشفه .

وإذا حدث هذا التضارب فلا تتوقع أن أى أسلوب سيرضى بالإقرار

بحدوث الخطأ من جانبه ، بل سيحاول كل أسلوب منها أن ينفى عن نفسه تبعة الخطأ كيما يلقى بها على غيره ، وتستمر الحال على هذا المنوال لمدى قرون طوال ، والحقيقة صائعة بين مفكر ومكابر ، وبين باحث جاد ومهاتر . وذلك إلى أن يتكفل مضى الزمن نفسه بإرشاد العقل المفكر عن طريق البحث الثابر إلى كشف الحقائق الواحدة بعد الأخرى ، بعد ليل طويل من ظلام التخبط وسوء السبيل!!.

ولذلك كانت حقائق الحياة ضئيلة — بل لعلها معدومة — فى ذهن الإنسان القديم ، لكنها أخذت فى التزايد ببطء شديد بفضل تقدم سبل البحث فيها ، وأول سبلها هو عقل الإنسان نفسه . فمثلا لعل إنسان العصر الحجرى لم يكن يعرف أكثر من حقيقتين صحيحتين فحسب ، هما أنه يولد من أم ، وأنه يعود إلى أم أخرى هى الأرض التى يسير عليها .

أما الآن فمن الجائز أن تعتبر مئات من النتائج التى وصلت إليها العلوم المختلفة بمثابة حقائق صحيحة بصفة مطلقة ، وهى فى نفس الوقت ليست محل نزاع من أى تفكير فلسفى أو عقيدى سليم ، أو لا ينبغى أن تكون كذلك ، مثل كروية الأرض ، وحركاتها حول نفسها وحول الشمس ، وحركات الأفلاك والنجوم ، وسرعة الضوء والصوت ، وحقيقة الأمواج الأثيرية ، وطبيعة المادة بوصفها طاقة محبوسة ، وطبيعة الطاقة بوصفها قابلة للتحول ، وغير قابلة للتلاشى ، ونظرية الاهتزاز ، ومبدأ التطور والارتقاء — بصورة أو بأخرى — . وهكذا الشأن بالنسبة لعدد وفير من قوانين العلم الحديث التى وصل إليها فى عناء وفى بطء بالغين ، بفضل عقول نيرة كان هدفها الوحيد من الحياة هو البحث عن الحقيقة ، غير مرتبطة مقدماً برأى سابق بوصفه يمثل مسألة مفروضة لا تقبل نقاشاً .

إرهاصات للتقارب

وهذا القول يصدق على البحث الروحى كما يصدق على أى بحث آخر . فقبل البحث فى الروح بأسلوب علمى حديث لم تكن نتائج التفكير الفلسفى فى

الروح مترابطة فيما بينها، وفيما بينهاو بين نتائج الآراء «العلمية» القديمة ، أو نتائج الآراء التى قدمها المفكرون باسم الاعتقاد فى أمكنة وفى عصور شتى من التاريخ.
ولكن يمكن القول الآن — بعد مضى قرن وربع من بدء البحث فى الروح بأسلوب علمى حديث ، عن طريق إخضاع شتى الظواهر الوساطية لدراسات مثابرة مدققة — بأنه قد ظهرت بالفعل إرهاصات تقارب ملموس بين نتائج هذه الأساليب الثلاثة من البحث ، وهى العلم والفلسفة والاعتقاد ، حتى أننا نتوقع أن تندمج فى المستقبل —لمصلحة البحث عن الحقيقة وحدها— النتائج المتصلة بحقيقة الإنسان ، وحقيقة القوانين الطبيعية التى تهيمن عليه فى نشوئه ،وتطوره ، وتحوله ، وتنقله من مستوى إلى آخر من مستويات الوجود غير المحدود .

وهذا الاندماج المتوقع سيكون من قبيل اندماج أسلوب الفلسفة فى الأسلوب العلمى الرياضى فى بحوث كبار الرياضيين فى القرن الحالى . فقد كان هذا الاندماج ضرورياً للوصول إلى نتائج مترابطة يصح التعويل عليها فى شأن أمور كثيرة : منها مثلا حقيقة المادة والطاقة ، والزمان والمكان ، والحركة والسكون والبقاء والفناء ، وقد انتهى الأمر بتسليم الاعتقاد بدوره بصحة هذه النتائج التى أصبحت تجمع بين أساليب الرياضة والفلسفة والاعتقاد فى بوتقة واحدة .

وفى نطاق الروح يكفى لإدراك مدى التقارب الملموس الذى حدث بالفعل أن يلاحظ القارىء كيف أن الفلسفات المادية كلها أخذت فى الانحسار تدريجياً — بعد مد جارف — مفسحة المجال لازدهار الفلسفات الروحية . ومعها انحسرت بدورها مذاهب متعددة فى البيولوجيا كانت تقوم على نظرية التطور المادى أو الآلى عن طريق الانتخاب الطبيعى مفسحة المجال تدريجياً لمدارس حديثة عن التطور الروحى للإنسان ، أى ذلك التطور الخاضع لعوامل روحية داخلية فيه وخارجية عنه أيضاً كما قلنا . ومنها مذاهب مقابلة كانت تنادى بقدرة المادة وبملكات مزعومة لها اتضح أنها محض أوهام عندما تبين أن المادة محكومة

بالعقل ، بل لعلها من نتاج العقل ، فلم يعد العقل بأية حال من نتاج المادة كما كان يقال فيما مضى .

وكذلك أخذت شروح عقيدية انطوائية كثيرة فى التراجع مفسحة المجال لتفكير أرحب منها وأرق، يقوم على أساس من التسليم بالأخوة الإنسانية كحقيقة كونية ، ومن التسليم بوجود نواميس طبيعية كثيرة للثواب والعقاب يتساوى بنو البشر إزاءها ، وذلك كله بعد ليل طويل من تفكير متحيز — مفرط فى غلوه وفى انطوائه — كان يسود فيما مضى مدارس الاعتقاد الحرفى بوجه عام .

وهكذا ظهرت تدريجياً إرهاصات تقارب فكرى واضح بين بعض جوانب الفلسفة والعلم والاعتقاد ، منذ أواخر القرن الماضى ، ولا تزال فى ازدهار متواصل بفضل دراسات صفوة من رواد العلم والاعتقاد معاً ، قامت ببحث ظواهر غامضة كان يظن فيما مضى أنها محض أمور خرافية لا تستحق بحثا ، فإذا بها بعد البحث الطويل تتقدم فى هدوء إلى أركان الفلسفة والعلم والاعتقاد ، كما تساهم فى تطوير هذه وتلك ، وتأخذ بيدها نحو مزيد من الترابط المنشود فى الكليات والجزئيات .

وذلك حتى ليمكن القول الآن بأن أمنية أفلاطون فى جعل أساس كل فلسفة هى الرياضيات آخذة فى التحقق التدريجى. فقد كان هذا الفيلسوف العظيم يؤمن بأن العلوم الطبيعية ناقصة لا تؤدى إلى الحقائق ، لأن موضوعها وهو العالم المادى ناقص فى طبيعته ، والإنسان وهو الباحث عن الحقيقة فى هذا العالم المادى ناقص أيضا فى طبيعته ، فلا مناص إذاً من اللجوء للرياضيات التى تمثل عنده الكمال .

وعلماء الروح الحديثون منهم رياضيون كبار ، استعانوا بحقائق الرياضة الحديثة للتمييز بين ما ينبغى الاحتفاظ به من أمور ، وما ينبغى استبعاده منها

نهائياً . وعلى هذا التمييز الدقيق شيدت حقائق علم الروح الحديث التى تقدمت كما قلنا إلى أركان الفلسفة والاعتقاد ، ومعها أركان العلم المادى ، لتقيم بنياناً واحداً مترابطاً عن انتصار البقاء على الفناء ، وعن الكثير من أمور هذا البقاء ، وما يؤدى إليه من نتائج مفرطة فى خطورتها .

فحقائق الروحية الحديثة تمثل فى جوهرها بنياناً علمياً . أو بالأدق إن الكشوف الوساطية مجتمعة أدت تدريجياً إلى رفع النقاب عن هذا البنيان العلمى الرياضى عن خلود الروح ، فظهرت أركانه أكثر تماسكاً من ذى قبل ، وأكثر ارتباطاً بحقائق العلوم الأخرى ، بل بمبادىء الفلسفة المتصلة بخلود الروح ، وبقوانين الأخلاق والنفس والاجتماع التى تحكمها . وذلك بالإضافة إلى مبادىء الاعتقاد الموضوعى بعد تنقيتها من شوائب كثيرة علقت بها بسبب الغلو الطبيعى للإنسان فى فهم أمور عقيدته ، والذى يسود الاعتقاد فى كل مكان وزمان ، ولا يمكن أن تخفف منه إلا رغبة تعقل الأمور ، وهى رغبة هيهات أن تتوافر إلا للندرة من الفلاسفة والعلماء الراغبة فى تعرف الأمور على حقيقتها ، حباً فى المعرفة الصحيحة لذاتها ، لا حباً فى الاعتداد بالرأى وبالذات .

وكمقابل لهذا البنيان المتماسك فى الروح لا يكاد يجد الإنسان شيئاً يصح أن ينال منه ، أو أن يحل محله ، فى فهم الكثير من أمور العلم الأخرى والفلسفة والاعتقاد . فلم يقدم أحد من معارضيه — لغاية الآن — تعليلا واحداً مقبولا ينال من صحة أسسه ، بل من صحة الكثير من أركانه . وكل كلام قيل لغاية الآن — لمحاولة دحض صحة الظواهر الوساطية المتدفقة فى بحوث أفضل فلاسفة وعلماء القرنين الماضى والحالى — إنما هو مجرد أقاويل سطحية لا تقف على قدميها . فمرة هو الاعتراض بالتدليس ، ومرة أخرى هو الاعتراض بملكات العقل الباطن ، أو بملكات متنوعة للعقل تؤكد عدم ماديته ، ولا تنفى بذاتها الخلود . وسنعرض لكل هذه الاعتراضات فى حينها ، وسيلمس القارىء بنفسه

كيف أن التعليل الروحى — فى وضوحه وبساطته وترابط أجزائه ، واتفاقه مع حقائق العلوم الأخرى والفلسفة والاعتقاد— يكتسح كل تعليل آخر اكتساحاً تاماً وصريحاً . وهذا مالاحظه وما أكده كبار الفلاسفة والعلماء الذين تصدوا لبحث هذه الظواهر لمدى عشرات من السنين فى تدقيق تام ، وحذر شديد .

واجب إذن .

فلنضع نصب أعيننا إذاً ، أننا لسنا — فى نطاق علم الروح الحديث — نخوض فى بنيان نظرى يصلح له أسلوب الكلام المرسل ، الذى كثيراً ما يباعد بين القارىء وبين الحقيقة العلمية بدلا من أن يقارب بينهما ، بل نحن إزاء بنيان رياضى بمعنى الكلمة مما يتطلب حذراً شديداً ، وحساباً دقيقاً لكل من أصوله ونتائجه . وإلا فإن الباحث الروحى عرضة لأن يقع فى كل عثرات المنطق التى يتعرض لها الباحث فى القانون أو فى الطب أو فى غيرهما . وبغير الأسلوب العلمى الناقد يصبح عرضة أيضاً لأن يخلط بين الحقائق والأوهام ، وبين العلم الصحيح والاعتقاد كما يفهمه هو ، ولأن يتعصب لمقدمات خاطئة كثيرة لمجرد أنها تتفق مع هواه ، بل لأن ينساق وراء الخيال الواسع ...وكل هذا بعيد تماماً عن روح البحث العلمى الجدير بالاعتبار .

ثم فلنضع نصب أعيننا أيضاً أننا لسنا هنا إزاء بنيان عقيدى أو شبه عقيدى فينبغى أن يقبل كله أوأن يرفض كله ، بل نحن إزاء بنيان علمى يصلح للنقاش الذى لايرحم فى كل جزئية من جزئياته التى من حق العقل الحكيم أن يرفضها كلها أو بعضها ، متى وجدها لاتلتئم مع المقدمات التى أسندت هذه الجزئية إليها ، أو مع حقائق العلوم الأخرى المرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً أو ضعيفاً .

فمن حق العقل الحكيم إذاً أن يتردد فى الاقتناع ، وأن يبحث عن أسانيده فى بحوث جادة مثابرة ، وأن يدقق فى مدى صلة نتائج هذه البحوث بحقائق العلوم الأخرى ، وأن يقلب كل أوجه النظر المحتملة فى كل

جوانب مقدمات « النظرية الروحية » التى يبحث عنها كحقيقة نزيهة سعياً حثيثاً فى حذر طبيعى ، وتردد مشروع بين ماينبغى قبوله من مقدمات وماينبغى رفضه من أساسه . وذلك كله لايتأتى إلا بالاطلاع الكافى فى شتى العلوم ، وإلا بحيازة قدر كافٍ من الأسلوب الناقد .

وجميع هذه الاعتبارات التى بينتها آنفاً دعتنى إلى الحذر الكثير وأنا أتخير أبواب هذا المؤلف ، فضلا عن الحذر الكثير فى تخير أسانيد كل باب ، بل كل فقرة من فقراته ، لأن كل جزئية صغيرة فى هذا العلم هى فى حقيقة الأمر كلية كبرى انتهى إليها علم آخر من علوم الحياة ، أو المادة غير الحية . ومن اجتماع هذه الكليات نشأ علم الروح الحديث بمعناه الفنى الذى دعاه لأن يصبح « علم العلوم » أو « العلم الآتى » بحسب الوصف الذى يطلق عليه حاليا فى أرقى البيئات العلمية .

ولذلك أيضا فإن اعتمادى فى أبواب هذا الكتاب لن يكون على أمور خلافية ، أو تصلح فى تقديرى لأن تكون محل خلاف جدى بين العلماء . وهذه الأمور اخترتها بعناية شديدة لأنها تمثل مجتمعة مايصلح لأن يكون بحسب مقدمة لعلم الروح الحديث فى أسانيده الأولى وفى نتائجه الأخيرة معاً ، وبذلك لايضل القارىء فى مجاهل من المشكلات الفلسفية العديدة التى تثيرها النواحى الخلافيــة فى الموضوعات الدقيقة المتصلة بالروح . ولعله لم يكون بعد رأياً أولياً عن مدى ثبوت موضوع الخلود فى ذاته من زاويته العلمية ، فضلا عما يتصل به من زوايا الفلسفة والاعتقاد ، وكلها مفرطة فى دقتها وعمقها ، وما قد تثيره من شتى أوجه النقاش التى لايمكن أن يخلو من مثلها أى بحث آخر .

ومما دعانى إلى الحذر الشديد أيضا إحساسى بأن المعترضين على البحوث الروحية والمكابرين فى نتائجها لايزالون كثيرين لغاية الآن ، وذلك سواء باسم

العلم أم باسم الاعتقاد . وبعض هؤلاء يعارض بحسن نية ، ولمجرد عدم اطلاعه على حقائق هذا البحث وأولياته التي انتهى إليها . وهؤلاء لى معهم لقاء هادىء وطويل فى الجزء الثانى ، حيث أرجو أن تكون حسن نيتهم كفيلة بأن تجمع بيننا على كلمة سواء ، أساسها الاحتكام إلى المزيد من البحث والاطلاع ، وهم أحرار بعدئذ فى الاقتناع أو فى عدم الاقتناع .

أما من يعارض لمجرد التمسك بالقديم ، واعتداداً منه بالقليل الذى يعرفه سواء فى نطاق العلم أم فى نطاق الاعتقاد ، أو اعتداداً منه غير واع بمقدرة حواسه القاصرة على الإحساس ، وعقله المحدود على الإحاطة بجميع الحقائق غير المحدودة ، فهذا النفر من أصحاب التفكير المادى المزمن هيهات له أن يتقبل الحقائق الروحية ، أو أن يجد فيها شيئاً جديراً بأن يتحمل لأجله عناء التجريب أو الاطلاع ، ومن باب أولى عناء النقاش أو الاقتناع .

وهذا المؤلف لايمثل خلاصة ماقمت به من اطلاع ، بقدر مايمثل خلاصة ماحصلت عليه من اقتناع . وليس دوره إذاً مجرد تلخيص للبحوث التى اطلعت عليها خلال سنين طويلة من الاطلاع الثابر ، بقدر ماهو أولاً غربلة لنتائج هذه البحوث — بعد موازنات مضنية — لاستبقاء مارأيت أنه يصح أن يمثل حقائق علمية فى صحيح معانيها ، واستبعاد مايصح أن يعد مجرد قضايا محل جدال ، أو مجرد أقوال شخصية لقائليها .

فلم يغب عن ذهنى أبداً أن المقام هو مقام عمل مقدمة لعلم هو أخطر العلوم على الاطلاق ، وأوثقها صلة بالإنسان فى عوامل سعادته أو شقائه ، وتخلفه أو ارتقائه . فمالم تؤسس مثل هذه المقدمة على أسس قوية الدعائم ، فالبنيان كله عرضة للانهيار ، خصوصاً إننا إزاء علم ناشىء نسبياً ، لايزال الكثيرون بحاجة لبينات كافية كيما تقنعهم ابتداء أنهم إزاء علم راسخ الأركان ، وهذا مايضاعف من مسئوليتى قبل هؤلاء الكثيرين ، عندما أحاول أن أعرض عليهم هذه

البينات ، بعد التدقيق فى اختيارها ، وأن أرتب عليها نتائجها المحتومة ، الترتيب الذى لايمكن أن يرفضه الأسلوب المنطقى المترابط . وذلك كله بالإضافة إلى محاولة استخلاص البنيان الفلسفى على الصورة التى تبدو لتقديرى الضعيف أولى بالاتباع ، وأقرب من غيرها للحق وللصواب ، وبوجه خاص أقرب للحق وللصواب من المدارس المادية فى تعليل الحياة ، والتى تتنافر تماماً مع الطبيعة الروحية الحقة للإنسان .

بعض العلماء الذين سأرجع إليهم

وهذه المدارس المادية فى تعليل الحياة أفلت إلى غير رجعة بسبب تقدم المعرفة اليقينية للكثير من حقائق الحياة ، بالإضافة إلى تقدم الحقائق التى أقامتها الرياضة الحديثة ، والتى أمكن عن طريقها التمييز بين ما ينبغى قبوله من افتراضات وبين ما ينبغى رفضه نهائياً منها . وأصبح التذرع بالفلسفة النظرية فى هذا الشأن أو ذاك لا يجدى فتيلا بعد أن أصبحت الفلسفة الصحيحة تقوم — أو ينبغى أن تقوم — على حقائق الرياضة مرتبطة بحقائق العلم التجريبى ، وإلا فهى محض أداة لتضليل العقل واستعباده ، بدلاً من الإمساك بزمامه للوصول به سالماً إلى واحة الحقيقة ، التى يبحث العقل عنها وسط صحارى شاسعة يؤدى التيه فيها إلى عطش العقل وجوعه ، بل إلى هلاكه المحتوم ! ! وما يصدق على الفلسفة يصدق بنفس القدر على افتراضات المعتقدين غير المدروسة .

ولذلك فعلى الرغم من أن المؤلف الحالى يتضمن الإشارة إلى مئات من المراجع القيمة بلغات مختلفة ، ومنها عدد كبير لا يخلو من مزايا علمية حقيقية ، ومن حقائق تجريبية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بشتى فصوله ، إلا أن الأسلوب العلمى المتحفظ الذى ارتبطتُ به ارتباطاً تاماً ، مهما كانت قسوته علىّ ، يدفعنى إلى أن استمد أهم الحقائق التى يقوم عليها هـــذا المؤلف فحسب من بحوث عدد من الفلاسفة والعلماء الكبار ، الذين قادوا خطى المعرفة الصحيحة فى جو من الحذر

الشديد ، والنقد الذى لا يرحم ، والذين ثابروا لمدى عشرات من السنين على تحقيق الظواهر الوساطية بعناية تامة ، وكانت كفاءتهم العلمية وملكاتهم الذهنية فوق كل شك وشبهة ، ومنهم بوجه خاص :

— وليام جيمس William James (١٨٤٢ — ١٩١٠) الفيلسوف وعالم السيكولوجيا ، وقد سلم فى مؤلفاته بصحة تجارب « جمعية البحث الروحى » بلندن S.P.R. [1] وقد كان عضواً بارزاً فيها ورئيساً لها ، كما كان عضواً فى شقيقتها الأمريكية A.S.P.R. [2] إلى حين وفاته ، وشيد على تجارب الجمعيتين دعائم فلسفة روحية عميقة خلدت اسمه .

— هنرى برجسون Henry Bergson (١٨٥٩ — ١٩٤١) ، وهو أبرز فلاسفة هذا القرن ، وقد كان رئيساً « لجمعية البحث الروحى » هذه فى سنة ١٩١٣ وسلم أيضاً بصحة تجاربها ، كما واصل بحوثه الروحية فى « المعهد السيكولوجى العام » بباريس وفى « الكوليج دى فرانس » ، وكان عضواً بأكاديمية العلوم بباريس ، وأسس على بحوثه فى الظواهر الوساطية فلسفة روحية باذخة الأركان عميقة الغور .

— كامى فلاماريون Camille Flammarion (١٨٤٢ — ١٩٢٥) ، وهو بدوره فيلسوف وعالم فلكى معروف ، وله عدة مؤلفات رائعة فى البحوث الروحية .

— عمانوئيل سويدنبرج E. Swedenborg (١٦٨٨ — ١٧٧٢) ، وهو من أبرز فلاسفة السويد ، وكان عضواً بالأكاديمية الملكية للعلوم فى استوكهلم ، كما كان وسيطاً قوياً لعشرات من السنين .

— سير وليام كروكس William Crookes (١٨٣٢ — ١٩١٩) ، وهو صاحب عدة كشوف هامة فى الفيزياء والكيمياء ، وله فى الروحية جملة بحوث

---

(١) Society For Psychical Research.

(٢) American Society For Psychical Research.

إيجابية حاسمة . وقد كان عضواً « بالجمعية الملكية لتقدم العلوم »[1] (المجمع العلمى البريطانى) ثم رئيساً لها حتى مماته . ونال جميع ألقاب الشرف العلمية فى بلاده .

— سير أوليفر لودج Oliver Lodge (١٨٥٢ — ١٩٤٠) وهو يعد من أشهر العلماء فى تاريخ اللاسلكى ، وكان مديراً لجامعة برمنجهام ، وعضواً « بالجمعية الملكية » ، وقد ظل يواصل بحوثه فى موضوع الأرواح طويلا حتى حصل على اقتناع متكامل .

— سير وليام باريت William Barrett (١٨٤٥ — ١٩٢٦) ، وكان عالماً كبيراً فى الفيزياء وأستاذاً بجامعة دبلن ، وعضواً «بالجمعية الملكية» وقد ظل بدوره يواصل بحوثه فى موضوع الأرواح طويلا قبل أن يعلن صحته .

— سير ألفريد راسل والاس Alfred Russell Wallace (١٨٢٣ — ١٩١٣) ، وقد كان عضواً بدوره فى «الجمعية الملكية» ، وهو يعد فى البيولوجيا نداً لداروين ، وشريكاً له فى إعلان نظرية التطور عن طريق الانتخاب الطبيعى فى سنة ١٨٥٨ .

— الدكتور فردريك و . ه . مايرز Frederic W.H. Meyers (١٨٤٣ — ١٩٠١) ، وكان أستاذ علم النفس بجامعة كامبريدج ، ويعد من علماء النفس المعدودين فى القرن الحالى بسبب بحوثه العميقة فى العقل الباطن .

— الدكتور تشارلس د . برود Charles D. Broad (ولد فى سنة ١٨٨٧) : وهو من أبرز الفلاسفة المعاصرين فى بريطانيا ، وأستاذ فلسفة الأخلاق Moral Philosophy بجامعة كامبريدج منذ سنة ١٩٣٣ .

— آلان كاردك Allan Cardec (١٨٠٤ — ١٨٦٩) ، وهو فيلسوف وعالم تربوى فرنسى ، وكان عضواً بالأكاديمية الملكية فى أراس Arras .

---

(١) Royal Society For Advancement of Science.

— الدكتور شارل ريشيه Charles Richet (١٨٥٠—١٩٣٥) ، وقد كان عضواً بأكاديميتى الطب والعلوم بباريس ، وأستاذاً بكلية الطب ، وحاز على جائزة نوبل فى الفسيولوجيا فى سنة ١٩١٣ .

— الدكتور جوزيف بانكس راين Joseph Banks Rhine عالم النفس المعاصر ، ويشغل حالياً منصب رئيس قسم الباراسيكولوجى بجامعة ديوك بأمريكا.

— الدكتور إرنستو بوزانو Ernesto Bozzano (١٨٦٢ — ١٩٤٥) الذى كان عالماً معروفاً للنفس ، وأستاذاً بعدة جامعات إيطالية .

وبالإضافة إلى بحوث هؤلاء العلماء ، المعتبرين من أبرز علماء النفس والمادة ، سيكون رجوعنا أيضاً إلى عدد من بحوث علماء الروح وما وراء الروح ، وجلهم من مؤسسى معاهد البحث الروحى ذات السمعة الدولية ، ومديريها الذين واصلوا أعمالهم فيها لمدى عشرات من السنين، ومنهم بوجه خاص . —

— الأستاذ شو دزموند Shaw Desmond الأديب الإرلندى المعروف ومؤسس « المعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن .

— الأستاذ جيمس آرثر فندلاى James Arthur Findlay (١٨٨٣—١٩٦٤)، وكان إلى حين انتقاله مديراً لهذا المعهد .

— الدكتور آرثر ج . ولز Arthur G Wills ، وكان مديراً « للكلية الأمريكية للعلم الروحى والتجريب » .

— الدكتور جوستاف جيلى Gustave Geley (١٨٦٨ — ١٩٢٤) ، وكان مديراً « للمعهد الدولى لما وراء الروح بباريس » .

— الأستاذ هيوات ماكنزى Hewat McKenzie ، وكان مديراً « للكلية البريطانية للعلم الروحى » .

— وذلك كله بالإضافة إلى جريدة « جمعية البحث الروحى » بلندن ومضابطها S. P. R. Journal And Pıoceedings ، وهى أكاديمية عريقة ،

وتضم صفوة من علماء المادة والنفس الذين ينتمون إلى عدة دول ، ويعملون طبقاً لأشد الأساليب الناقدة صرامة .

— وإلى تجارب مارشال الطيران لورد دودنج Lord Marshall Dowding الذى كان قائداً عاماً للسلاح الجوى البريطانى فى الحرب العللية الثانية ، وكان صاحب دائرة روحية خاصة ، وقد واصل بحوثه فيها لأمد طويل قبل أن يصبح من أبرز دعاة هذا الموضوع فى بلاده ، وصاحب عدة مؤلفات معروفة فيه .

— وإلى بحوث شارل تويديل Charles Tweedale الذى كان رئيساً لأساقفة يوركشير ، وقد واصل بحوثه لسنين كثيرة فى دائرته العائلية الخاصة قبل أن يضع مؤلفاته المعروفة .

وهؤلاء كلهم واصلوا بحوثهم لعشرات من السنين ، التى جاوزت ثلاثين عاماً عند كروكس وريشيه وبوزانو وفندلاى ، وأربعين عاماً عند باريت ورابن وتويديل وبروض ، وخمسين عاماً عند فلاماريون ولودج وشودزموند . . . وانتهوا جميعهم إلى ثبوت دوام الحياة بعد موت الجسد المادى ، وقيام صلات متعددة الصور والأشكال بين عالمى الروح والمادة . وكان عدد كبير منهم ينتمى إلى مدارس مادية لا تؤمن البتة بشىء من هذا القبيل ، فلم يكن تحولهم إلى اقتناعهم الجديد أمراً هيناً ولا سريعاً ، خصوصاً وأنهم كانوا يعلمون جيداً أنهم قد تصدوا لبحث أخطر الألغاز فى الإنسان ، وأعمقها إطلاقاً هو لغز البقاء والفناء .

أما عن الروح من نواحيها الفلسفية والنظرية فسيكون رجوعنا إلى آراء أبرز فلاسفة التاريخ بترتيب تاريخى عند الإغريق ، ثم فى المسيحية ، ثم فى الإسلام ، ثم عند الهندوس ، ثم عند الفلاسفة المحدثين .

وأما عن الموضوعات العلمية المرتبطة ارتباطاً مباشراً ببحث شتى موضوعات الروح والخلود فى ضوء الكشوف الحديثة ، ومنها موضوعات النفس ، والفضاء الكونى ، والمادة والطاقة ، والأمواج والأثير ، والزمان والمكان . . .

فسيكون رجوعنا أيضاً إلى بحوث لفيف من أعلام هذا القرن فى النفس والرياضة والفيزياء والفلك . . . وغيرها من شتى العلوم بقدر حاجتنا إلى بعض معلومات سريعة منها ، وذلك حتى لانخرج عن نطاق هدفنا الأصلى ، وهو محاولة تفهم موضوعات الخلود والعقل والاعتقاد فى ضوء العلم الحديث ، طبقاً للتبويب الذى عرضناه فى المقدمة .

* * *

فإذا بطل هذا البنيان المترابط ، والذى أعطى مفاهيم علمية محددة للخلود وللعقل وللاعتقاد ، والمشيد على بحوث عميقة مدققة ، وعلى حقائق مسلم بصحتها ، فيصبح من حق العقل أن يعتقد إذاً فى بطلان كل حقيقة علمية ، بل فى قدرة أفضل العقول على الوصول إلى أية حقيقة تستحق أن يعلق عليها الإنسان بعض الأمل فى النجاة من التيه فى صحارى اليأس الشاسعة ، التى تتهدده من كل ناحية بالضياع المحتوم . . .

وإذا بطل هذا البنيان العلمى الواضح ، فلا يتبقى للعقل إذاً إلا أن يتردى فى هاوية لاقرار لها من التخبط ومن القلق ، ومن الاعتقاد الكاذب بأنه قد عرف كل شىء ، وأن ماعنده من معرفة يغنيه عن معرفة أى شىء جديد ... فهل هناك من يرضى لنفسه هذا المصير ؟! وهل هناك من يقول إنه هكذا ينبغى أن يكون الوضع الأفضل للأمور ؟! . . وهل تتبقى ثقة بعدئذ فى أى بنيان آخر مهما جاء مترابط الأركان ؟! ثم أين تذهب هذه النتائج المترابطة التى تكشفت عنها بحوث قرن وربع من الزمان ، رغم تعدد مصادرها ، وتنوع أمكنتها وأزمنتها ، وتعدد شخصيات القائمين عليها ، وتباين نواحى اختصاصهم ومدارسهم العلمية وآرائهم السابقة ؟ !....

ثم قبل ذلك كله أين يذهب الإحساس الدفين فى كل نفس بصحة الخلود وبطلان الفناء . . هذا الإحساس الذى سجله التاريخ لبنى الإنسان فى كل زمان

ومكان ، والذى تستمد الأديان قيمتها العظمى منه ، ومنه جاء تأثيرها الدافق على نفوس الخلق أجمعين ؟ ! والذى يقع فى الأساس من كل فلسفة راقية ، ومن كل ثورة روحية سجلها التاريخ لكل دين ؟ ! .

حركة البحث الروحى علمية محايدة

من الواضح أن حركة البحث الروحى ، وتحديد أبعادها الصحيحة ، إنما هى حركة علمية صرف ، فلا تربطها صلة ما بأى اتجاه عقيدى ، ولا سياسى . فأية محاولة لربطها بأى اتجاه من الاتجاهات إنما هى محاولة صناعية مآلها الفشل المحتوم . ومن يطلع على أى مرجع ذى قيمة فى شأن هذا الموضوع الخطير — وما يتصل به من مباحث — يقتنع بحياد حركة البحث العلمى الروحى واستقلالها التام عما عداها .

وقد كان هذا الحياد من أقوى العوامل التى أدت إلى انتشار هذه الحركة منذ منتصف القرن الماضى إلى الآن ، فى جميع البلاد والبيئات ، ومن كافة الاتجاهات الدينية ، وكافة الأنظمة السياسية . بل إن المبادىء الفلسفية التى تكشفت عنها ، إنما هى مبادىء عامة تلتئم تماماً مع كل المذاهب والأوضاع . فمثلا لقد التقى الروحيون جميعاً عند المبادىء السبعة الآتية التى تعتبر دستوراً لحركة البحث الروحى فى العالم أجمع وهى : —

أولاً : الإيمان بالله رب العالمين ، وأبوته للبشر أجمعين .

ثانياً : أخوة الإنسان للإنسان .

ثالثاً : صحة الاتصال بالأرواح وجدواه فى تعزيز الإيمان وبث الاطمئنان .

رابعاً : دوام حياة الروح الإنسانية .

خامساً : صحة مسئولية الإنسان الخلقية عن أفعاله .

سادساً : صحة الثواب والعقاب لجميع الأفعال الخيرة والشريرة التى تصدر عن الإنسان .

سابعاً : أن باب التقدم الأبدى مفتوح لكل روح إنسانية .

ولذلك كله كانت الروحية الحديثة بنياناً علمياً عقيدياً فلسفياً فى وقت واحد ، بنياناً يقوم فى جوهره على ثقة الإنسان بالله و بأخيه الإنسان ، و بالتالى على واجب التعاون على البر والتقوى ، والتضامن بين الفرد والأسرة ، وبين الأسرة الصغيرة والأسرة الكبرى التى هى المجتمع الذى ينبغى أن يتفانى الفرد فى خدمته ، لا أن يجر المغانم الباطلة من أوضاعه الأسيفة . فالروحية الحديثة إذاً علم لمصلحة الحقيقة العلمية ، لكنها قبل كل اعتبار آخر علم يقدم أروع الأدلة العملية عن عظمة الفضيلة وعن ضعة الرذيلة ، وبالتالى يقدم أنفع الخدمات لأبناء المجتمع ، بتعزيز أسباب تضامنهم فى توفير أسباب السعادة والاطمئنان له . وهذه هى نفس المبادىء التى جاءت بها و لأجلها رسالات السماء فى كل مكان .

ومما يجدر ذكره أن اشترا كيتنا العربية روحية أصيلة لا تعترف بالإلحاد ، ولا تقيم له وزناً ، وتسلم بالخلود وبصحة الإيمان بالله ورسله الأطهار . فهى نابعة من صميم مشاعر الشعب ، ومن قيمه الروحية العريقة التى أمسكت بزمامه عبر القرون ، فعصمته من كثير من أسباب التطرف والقلق ، فضلا عن عوامل الشك والإلحاد .

* * *

وبالإضافة إلى ذلك فإن علم الروح الحديث يخدم المجتمع عن طريق الكشف عن بعض الجوانب الهامة المتصلة بصحة الإنسان الجسدية والنفسية ، بالأضواء الجديدة التى أخذ يلقيها تباعاً على جملة موضوعات هامة كان يهرب منها بوجه خاص علم النفس القديم ، أو كان يتعثر فى بحثها طويلا لارتباطه بنظريات بالية عن مادية الإنسان وفنائه بالموت .

ومن هذه الأضواء الجديدة تلك التى أخذ يلقيها على مثل الموضوعات الآتية : ـــ

١ ـــ البحث فى حقيقة الصلة بين العقل والمخ .

٢ — البحث فى حقيقة دور الجهاز العصبى من سبل جديدة لم تكن مطروقة من قبل .

٣ — الوصول إلى أسباب جديدة لبعض الأمراض العضوية ، وبخاصة اختلال الغدد الصماء وغير الصماء فى أداء وظائفها .

٤ — الوصول إلى أسباب جديدة لبعض الأمراض العصبية والنفسية لم يكن يعترف بها علم النفس القديم ، ومنها بوجه خاص المس الروحى obsession والاستحواذ possession .

٥ — الوصول إلى حقائق جديدة عن العقل الباطن ، ولذلك أثره البالغ فى تطوير نظريات التحليل النفسى القديمة .

٦ — الوصول إلى حقائق جديدة عن الأحلام ، لها وثيق صلة أيضاً بتطوير نظريات التحليل النفسى وبتصحيح بعض أخطائها القديمة .

٧ — الوصول إلى حقائق جديدة عن دور الإرادة فى توجيه سلوك الإنسان ، وتحديد مدى مسئوليته الخلقية عن أفعاله بوجه عام .

٨ — الكشف عن حقيقة الذات العليا للإنسان Subluminal التى يعبر عنها أحياناً بالوعى الأسمى Superconscience .

٩ — الكشف عن أبعاد جديدة لحواس الإنسان عن طريق دراسة ظواهر الإدراك عن غير طريق الحواس .

١٠ — الكشف عن حقيقة الصلة بين العقل والمادة ، عن طريق دراسة تأثير الأول فى الثانية تأثيراً مباشراً Psycho-Kinesis .

وهذه الموضوعات ، وهى تمثل جانباً واحداً فحسب من مباحث علم الروح بمفهومه الحديث وهو الجانب السيكولوجى ـ الفسيولوجى ، تبرز خطورة دور هذا العلم فى محاولات الكشف عن طبيعة الإنسان ، وتحديد الأبعاد الحقيقية للكثير من ملكاته الدفينة ووظائف أعضائه . وهى تبين كيف أنه يمكنه أن يقدم أجل

الخدمات فى مقام مواجهة الكثير من المشكلات العويصة المتصلة بصحته النفسية والجسدية ، وحل الكثير من الألغاز التى تكتنفه من كل جانب ، متى جرت هذه المباحث على نمط علمى صحيح .

* * *

ونحن بهذا القول لانريد أن ننفى وجود اتجاهات تحاول أحياناً بكل السبل إخضاع الظواهر الوساطية لخدمة أهداف عقيدية أو مذهبية شتى ، كثيراً ما تكون متنافرة فيما بينها ، ولذا كثرت المؤلفات غير العلمية التى تنسب نفسها إلى الروحية العلمية نسباً زائفاً ، وضاراً بحقائق الروحية ، فضلاً عن الكثير من جوانب العلم والاعتقاد . وبعض هذه المؤلفات يمثل مستوى مؤسفاً من الارتجال ، ومن الخيال الرحب ، ومن الارتباط بأفكار معينة يريد صاحبها أن يفتعل لها الأسانيد افتعالا .

فلنضع ذلك نصب أعيننا ونحن نعالج موضوعات الروحية فى جوانبها العلمية ، ولنضع فى الاعتبار أيضاً أن أقوال الأرواح نفسها ليست معصومة ، وقد يكون فيها من هذر ضار بقدر ما يكون فى أقوال بعض بنى البشر ، وربما أكثر منها . فلنضع كل مانقرأه فى بوتقة الاختبار للحكم له أو عليه . وعلى القارىء الحصيف أن يميز دائماً بين الأقوال العميقة المترابطة ، وبين الهذر الضار الذى كثيراً ما يتقاسم مسئوليته بعض المتعجلين — وربما السذج — من الكتاب مع بعض الأرواح المتعجلة الساذجة بدورها ، بل ربما مع بعض الأرواح الجاهلة والشريرة التى تملأ رحبات الفضاء ، وتريد أن تشغل بال المجربين بأقوالها وترهاتها ، كما يفعل تماماً بنو البشر ، الذين يتصورون دائماً العصمة المطلقة فيما قد يسطرون من تفاهات وأخطاء كبرى ...

وغنى عن البيان أن سرعة التصديق ليست من الأسلوب الذى يليق بأى باحث يحترم عقول قارئيه ، ولا هى بالأسلوب الذى تخدم به حقائق الحياة ،

خصوصاً عندما تتصل بأخطر ما ينبغى أن يشغل بال الإنسان الناضج ، وهو أن يحاول أن يتفهم أمثال قضايا الخلود والعقل والاعتقاد على حقيقتها ، التى هى قضاياه الخاصة من كل ناحية ، فهو فيها المدعى والمدعى عليه ، بل هو فيها أيضا القاضى صاحب الرأى الأخير ، ولا تراقبه فيه محكمة عليا إلا أن تكون هى بنفسها محكمة الضمير .

خطورة قضايا الخلود – العقل – الاعتقاد

وقضايا الخلود والعقل والاعتقاد تمثل بالنسبة للإنسان الناضج كل شىء ذا قيمة فى الحياة ! لأن الخلود معناه إحساسه بأنه غير قابل للفناء ، وبالتالى اطمئنانه للحياة ، ولرحمة الإله ، وللنواميس الحقيقية التى ترعاه رعاية أسمى من كل ما يفهمه منها وما يتمناه . والعقل هو أسمى ما يميزه عن غيره من الكائنات ، وهو وسيلة التطور والارتقاء ، وهو مستودع كل عواطفه وذكرياته ، ومواهبه وأحلامه وأفراحه وأتراحه . والاعتقاد هو أسمى ما يربط الإنسان بربه وبضميره وبأخيه الإنسان ، لو فهمه العقل على حقيقته ، ولو عرف كيف يسمو بالاعتقاد عن أن يكون مطية للغرور ، أو ذريعة لاختلال موازين الأمور . وهو أيضاً الشعلة القدسية التى تضىء للإنسان جوانب الضمير ، كيما يضىء الضمير طريق الحق والحياة فى اطمئنان، بل فى سرور .

وتفهم هذه القضايا الجليلة كلها لا يمكن أن يجىء اعتباطاً ، ولا نتيجة إحساس غامض بصحة الخلود ، وبقدرة العقل ، وبجلال الاعتقاد . بل ينبغى أن يكون الفهم نتيجة دراسة هادئة تربط بين حقائق الخلود والعقل والاعتقاد ـ وهى أبداً مرتبطة بعضها بالبعض الآخر ـ وبين حقائق العلوم الأخرى ، وذلك حتى يمكن الفصل برأى صحيح فى حقيقة مصير الإنسان ، ودوره الحقيقى فى تخطيط هذا الكون العجيب الذى يترنح به ، ويأبى أن يكشف له شيئاً يذكر عن حقائق مصيره وعقله واعتقاده ، إلا بعد عناء شديد .

ومحاولة تحقيق هذه الرغبة المشروعة ، وهى أن نتفهم على وجـــه صحيح

مصائرنا ، وأن نكتشف بعض القوانين التى تهيمن على هذه المصائر ، والتى تتحكم أيضاً فى الصعاب الضخمة التى قد تعوق تطور الحياة ، وفى نفس الوقت قد تزكى عناصر هذا التطور . . . هذه المحاولة فى التحقيق والاستكشاف هى وحدها التى هيمنت — ولا تزال تهيمن — على نشوء علم الروح بمعناه الحديث بوصفه يمثل محض دراسات موضوعية محايدة عن أثمن كائن فى هذا الوجود ، وهو الإنسان فى أصله ومصيره ، فى اعتقاده وخلجات ضميره ، فى مسئوليته عن أفعاله بل عن وجدانه ، فى عوامل قلقه واطمئنانه . . . وبذلك أصبحت هذه الدراسات تقع — أو ينبغى أن تقع — فى الأساس من بنيان « علم الإنسان » من أية زاوية نظرت إليه وإليها .

وهذه الدراسات ، مالم يهيمن عليها أسلوب البحث الموضوعى النقى من شوائب الجمود والتعصب ، بل النقى من كل مايشين تقدير الإنسان بوجه عام ، لا يمكن أن توصف بأنها من علم الروح فى شىء ، ولا يمكن أن تنتسب بصورة ما إلى هذه البحوث التى تقوم بها نخبة من الفلاسفة والعلماء الذين لا تحدوهم سوى رغبة الوصول إلى الحقائق، مهما تكبدوا من مشاق التحقيق والاستكشاف . وهذه هى نفس الرغبة المشروعة التى حركت كل تقدم فى تاريخ العرفان حتى الآن .

فلا ينبغى إذاً أن نخلط بين مثل هذه الدراسات الجادة فى علم الروح ، وبين ماهو برىء منه تماماً من تلك الكتابات الغثة التى كثيراً ماتنسب نفسها زوراً إليه ، والتى كثيراً ما أساءت — بجدارة — إلى حركة البحث الروحى ولاتزال تسىء إليها بكل الصور، فتخلق لها أعداء كثيرين فى عدد من البيئات التى لا تملك إلا أن تشنها حرباً شعواء على الموضوع كله بغير فهم لحقيقته ، ولا قدرة على التمييز بين جوانب البحث العلمى الصحيح ، وما عداها من هذر ضار تجد مثله فى مجال أى بحث آخر يجرى تحت لواء أى علم وأى اعتقاد ، فتضل العقول بسببه ، وتخلط بين ما ينبغى قبوله وما ينبغى رفضه من أمور .

ولعل محاولة الوصول إلى أسانيد الاقتناع العلمى فى شأن حقيقة الظواهر الوساطية ، ومدى صحة دلالتها فى الإنباء عن قدر الإنسان وعن مصيره ، هى التى حملتنى على أن أتجشم مشقة البحث المتواصل فى هذا الموضوع الذى تحف به الخطورة من كافة جوانبه ، وحملتنى على أن أحاول أن أقدمه إلى القارىء ذى النزعة العلمية المدققة داخل إطاره الموضوعى ، كما استخلصته فى شديد عناء من بحوث الباحثين الأمناء .

ولأن هذا هو هدفى الأوحد ، فقد قيدت نفسى بالأسلوب العلمى إلى آخر مدى ممكن ، رغم ما يقتضيه ذلك من مشقة تهون آلامها تماماً إزاء محاولة تحقيق هذا الهدف الضخم ، وهو إقناع القارىء العلمى بأسانيد هذا الموضوع الدقيق المتشعب الأطراف ، الذى يحمل بذاته أكثر من خدمة حقيقية ، وأكثر من بشرى هائلة تتوق كل نفس إلى سماعها ، وإلى الاقتناع التام بها ، وترتيب نتائجها العميقة الغور البعيدة الأطراف ، التى تكاد لا تنتهى فى عمق أغوارها وبعد أطرافها . . . إلا لتبدأ لها أغوار أخرى جديدة أكثر عمقاً ، وأطراف أخرى جديدة أكثر بعداً .

فإن نجحت فى هذا الإقناع — ولو بصورة مبدئية — فقد أديت واجبى وأصبحت قرير العين سعيد الفؤاد . فحسبى سعادة القارىء بما يقرأ كيما أكون سعيداً أنا أيضاً على الرغم من إحساسى بما لا يزال يكتنف عملى من أسباب كثيرة للعجز وللقصور . ولعل القارىء يلتمس لى عذرى الواضح فى دقة الموضوع ، وتشعب نواحى البحث فيه ، وأيضاً فى كثرة مشاغلى الأخرى . أما إذا لم أنجح فى إقناع هذا القارىء فعليه هو أن يوالى الاطلاع والتجريب ، إن وجد فى نفسه نزوعاً إلى المزيد من محاولة تفهم نفسه ، والمزيد من تفهم نفس المشكلات العويصة التى اجتذبت انتباهى منذ عهد ليس بقريب ، وشغلت الكثير من وقتى وجهدى .

عن عنوان المؤلف الحالى

النتيجة الهامة التى يخرج بها الباحث فى موضوع الروحية هى أن «الإنسان روح لا جسد» . وهو العنوان الذى اخترته كيما أقدم تحته ما وصلت إليه من نتائج بالغة الخطورة فى دراستى لمشكلات الخلود والعقل والاعتقاد فى ضوء العلم الحديث . قد يعترض البعض ابتداء على هذا العنوان قائلا « لمَ لا تقول إن الإنسان روح وجسد معاً فتكون أقرب إلى الواقع» ؟ ... لكن الواقع هو أن الإنسان فى العلم الروحى روح فقط . ذلك أن الجسد الأرضى إن هو إلا رداء بال يحبس الروح و يذلها إلى حين ... فهل يصح أن نعرّف شخصاً بالرداء الذى يرتديه ولو كان من أفخر نوع ، فما بالك إذا كان من تراب ؟ !.. وهل يصح أن نعرّف درة ثمينة بصندوق من طين يحتويها إلى حين ؟ . . . أو أن نعرف طائراً جميلا بقفص من عظام بالية يغلق عليه سبيل الانطلاق ؟...

لذا كان من الشائع فى هذا العلم القول بأن الإنسان روح لها جسد، لا جسد له روح . وأقرب من ذلك إلى الصواب فى رأيى أن أقول إن الإنسان — وهو يمثل الذات الواعية الناطقة فينا — محض روح . أما الجسد المادى فهو المظهر الخارجى الذى به نتعارف إلى حين ، فلا صلة له بتعريف هذه الذات ، ولا هو ملك لها ، بل هو ملك لأمه الأرض التى منها جاء و إليها يعود .

وإذا أردنا أن نستعمل لغة الرياضة ، وقلنا إن الروح — لا الجسد — هى التى تمنح الإنسان شخصيته أى طابعه العقلى والخلقى ، وهذا واضح بذاته لا يثير أدنى شبهة ، فإن الجسد بدون الروح لا يساوى شيئاً عندئذ . وتكون النتيجة المحتومة هى أن الروح بدون الجسد لا تنقص شيئاً يذكر بالتالى ، وتكون هى جوهر الإنسان . فالروح هى صانعة الجسد ، كما هى صانعة مصيرها فى حدود نواميس الطبيعة . وهى ليست متكافئة معه فى الجوهر حتى أضعها معه على قدم المساواة وأقول «بل الإنسان روح وجسد» . ومن هنا جاء عنوان

مؤلفى هذا وهو « الإنسان روح لا جسد » . وإذا استقر هذا الفهم المبدئى لحقيقة الإنسان فى ذهن القارىء فقد قطع نصف الطريق نحو فهم ما يتصل بهذه الطبيعة الروحية له من شتى المشكلات .

ولست أطمع فى أن أعطى القارىء الإلمام المطلوب بهذا الموضوع المتسع النطاق فى مؤلف واحد ، إذ لعل ما كتب فيه يملأ مكتبة تزيد محتوياتها — الآن — عن أية مكتبة عامة فى القانون أو فى الطب أو فى غيرهما من العلوم ، ونواحيه متشعبة ومتداخلة فى علوم أخرى كثيرة على ما سأبينه فيما بعد . بل إن الظواهر الوساطية فى ذاتها متنوعة ، وكل منها قد يتطلب فى عرضه مؤلفاً من عدة أجزاء . فما بالك بمن يريد أن يتعدى دراسة الظواهر الوساطية إلى ما هو أهم فى رأيى منها ، وهو دراسة المعلومات الروحية فى ذاتها ، ومدى صلتها بالحقائق العلمية الثابتة وبالمعتقدات المستقرة فى الأذهان ، وإلى حقيقة الثواب والعقاب ، وإلى بعض المعرفة بآراء الأرواح وفلسفاتها ، وكل ما يتصل بوجه عام بمشكلات الخلود والعقل والاعتقاد ؟ ! ... فإن هذه وتلك مجتمعة قد تتضمن من عناصر الحكم العام للموضوع فى جملته أو عليه أكثر مما تتضمنه مجرد دراسة أى نوع من الظواهر الوساطية على حدة ، وبالطريقة العملية التى جرت وتجرى بها فى البيئات المعنية ببحثها .

الباب الثاني

عجالة عن الروح عند الأقدمين

تمهيد

الإيمان بالروح قديم قدم الإنسان ، بما فى ذلك الاعتقاد بخلودها وبالثواب وبالعقاب . وكلما تتبع الباحثون تاريخ المجتمعات البشرية وجدوا الإيمان واضحاً بهذا الخلود ، بل وجدوا علامات كثيرة من التشابه فى وصف الحياة الآخرة وربطها بالحياة الدنيا . ومن الاعتقاد بأن هذه الحياة الآخرة فيها كل مظاهر الحياة الدنيا مع تفاوت كبير فى ظروف السعادة أو الشقاء . فذلك هو ما التقت عنده معتقدات الأقدمين وأساطيرهم وأشعارهم فى شتى الحضارات المندثرة. وعند من يعرفون كيف أن الإلهام قد يوجه الحياة فى كافةمستوياتها،وكيف أنعقول العباقرة والفلاسفة والشعراء كثيراً ما تكون هى « أجهزة الاستقبال » لهذا الإلهام الكونى العام ، يبدو مفهوماً أمر تشابهالمعتقداتالمختلفة عند شتى شعوب الأرض فى شأن طبيعة الحياة الأخرى ، لا فى شأن التسليم بها فحسب .

وفى هذا الشأن يقرر الدكتور حسن عثمان الأستاذ بجامعة القاهرة فى ترجمته العربية لكوميديا الشاعر دانتى أليجيرى عن « الجحيم » « لم يكن دانتى بطبيعة الحال أول من تناول فى « الكوميديا » عالم مابعد الحياة ، ولقد تناولت ثقافة البشر هذه الناحية منذ أقدم العصور ، من سيبيريا إلى الهند وبابلومصر وسوريا وفارس واليونان وروما واسكندناوة وأيرلندا والأندلس .

نجد مثلا المصريين القدماء قد عرفوا فى دياناتهم الجحيم المظلم بما يحتويه من ألوان العذاب ، وتصوروا الفردوس بما فيهمن أنواع النعيم والسعادة الأبدية . وعندهم أوزيريس يزن أعمال الناس ويدفع بهم إلى الجزاء العادل . وفى ديانة البابليين تهبط عشتروت إلى الجحيم حيث عـــذاب الزمهرير والجوع والعطش

والبرص لتبعث تاموز إلى الحياة. وعند اليهود أرض الظلام التي تقع تحت الأرض وتتلقى الأخيار والأشرار على السواء. وفي ديانة الفرس جحيم ومطهر وفردوس، والإنسان ميدان معركة بين أهورا ما زاد إله الخير وأهريمان ملك الظلمات والعالم السفلي. وفي ديانة الهند يهبط يودهيشتيرا إلى الجحيم حيث رائحة الإثم والجثث والديدان والهوام والطيور والكواسر وأمواج اللهب ويصعد البطل أرجنا إلى السماء مأوى المؤمنين حيث الأزهار الجميلة، والغواني تحت الأشجار الخضراء، والأنغام السماوية، ويصل البطل محاطاً بالملائكة وصفوة البراهمة إلى حضرة رب الأرباب. ويذكر هوميروس في الإلياذة عالم الموتى والأبالسة وأنهار الجحيم وأبواب السماء ونعيم الفردوس. ويتكلم في الأوديسية عن زيارة أوليسيس للعالم السفلي وحديثه مع أشباح الموتى. وتحتوى ثقافة الأوترسكيين على عالم ما بعد الحياة، وما يشمله من الشياطين والرعب والفزع. وبعض رسوم مقابرهم تعتبر كمقدمات لجحيم دانتي . . .»[١].

وهكذا يصدق على إيمان مواكب الشعوب بالروح وبالخلود، ما لاحظه أحد الحكماء من أنه « مما كتبه قدماء الفلاسفة من جميع الأجناس، وما أنشده فطاحل شعراء جميع الشعوب، وما جاء به حكماء جميع الأمم، نستطيع أن نجمع آثار هذا الإشراق الذي جاء الإنسان وهو تفتح الوعي الروحي. لقد تحدث عنه هذا بطريقة، وذاك بأخرى، ولكن الجميع رددوا نفس القصة — قصة واحدة لا تختلف. كل الذين أشرق عليهم هذا النور ولو خافتاً باهتاً ضعيف الضياء يرون نفس المعالم. وقرب الشبه بين ما تصنعه الأنشودة والشعر والتعاليم مهما بعد العصر واتسعت الحقبة بينها. إنها أنشودة الروح التي إذا سمعت مرة لا تنسى. سواء أنشدها المتوحش على صوت آلته البدائية، أو عزفها المتحضر على أوتار الآلة العصرية المتقنة.

(١) عن الكوميديا الالهية « الجحيم » راجع بوجه خاص ص ٥٥ — ٦١ .

إنها هى هى التى انحدرت من مصر الفراعنة ، أو من الهند ، أو من أثينا وروما. من القديس المسيحى فى الكنيسة والدير ، من الفيلسوف الصينى . ومن قصص الهندى الأحمر وهو يروى أسطورة النبى البطل . إنها واحدة النبرات متشابهة النغم ، ولكن صوتها يزداد ارتفاعاً كلما مر الزمن بانضمام المنشدين الجدد ، كل بما فى يده من قيثارة أوغيرها من آلات النغم إلى الفرقة العظمى»[1].

والاعتقاد بإمكان الاتصال بين الأحياء و « الأموات» ليس بدوره أمراً جديداً ، بل إنه يمثل عقيدة كانت معروفة وشائعة فى مجتمعات كثيرة . فيروى المؤرخ « فسك » مثلا أن الاتصال بأرواح الموتى كان من أول العبادات التى عرفها أجدادنا على اختلاف أجناسهم التى عاشت فى إفريقيا وآسيا والصين واليابان ، وفى الشعب الآرى الأوروبى،وفى قبائل الهنود الأمريكيين . كما يروى « آلين » أيضاً فى «تاريخ المدنية» أن القبائل المتوحشة فى كل العالم ذات إلمام بالنفس الإنسانية وعالم الروح والخلود بوجه عام . . وأن الوفاة ماهى إلا خلاص الجسم عن طريق هذه النفس العجيبة التى يعتقدون أنها تظل فى مكان ما قريب ، وأن الحب والكره فى هذا العالم ينتقلان إلى العالم الآخر ...» .

ويضيق المقام هنا عن تتبع هذه العقيدة عند الأقدمين فى البلاد المختلفة ، بل يكفى فى مؤلف موضوعه التقديم «للعلم الروحى الحديث» أن ننبه الأذهان — فى عجالة — إلى أن هذا الموضوع قديم ، وأن كل مافعله العلم الحديث هو أنه رضى أخيراً أن يتواضع قليلا ويبحثه بالأساليب العلمية الحديثة ، فكانت المفاجأة الكبرى أنه جاز الامتحان بنجاح فى الوقت الذى كان قد استقر فى الأذهان أنه محض خرافة اندثرت مع تقدم العرفان إلى غير رجعة . فاضطر الباحثون العلميون إلى أن يراجعوا آراءهم المادية ويعيدوا صياغتها، فإذا بها بعد هذه الصياغة الجديدة أثبت قدماً وأقوى على النقد وعلى مواجهة كشوف العلم المادى نفسها

(١) عن « فلسفة اليوجا » تأليف يوجى راما شاراكا ، ترجمة الأستاذ عريان يوسف سعد ص ١١١ .

التى أخذت تترى فى تدفق مثير منذ عرفت الحقائق الروحية سبيلها إلى الأذهان ، وفى تضامن مع التسليم بصحة هذه الحقائق .

وذلك إلى المدى الذى يدفع بعض الباحثين الروحيين إلى الاعتقاد بأن عالم الروح كان وراء هذه النهضة الروحية الباهرة ، كما كان من قبل وراء كل نهضة روحية عرفها الإنسان . «فعالم الروح قديم قدم الحياة ، وعالم المادة ظل باهت له ، وأولهما خالد لا يفنى وثانيهما عرضة للفناء . ويمكن الآن اعتبار أثير الفضاء — كما يقول الأستاذ جيمس آرثر فندلاى مدير المعهد الدولى للبحث الروحى — هو حلقة الاتصال الكبرى التى توحد ما بين عالم المادة وعالم الروح ، لأن مادة الأثير مشتركة بين العالمين . وكلاهما محصور داخل هذه المادة ، وكلاهما جزء منها ، وكلاهما مكون منها . والعالمان جزء من كون واحد ، والحياة فى كليهما مقيدة به . فهنا فى العالم المادى الذى نعيش فيه إنما نحس فقط بنوع من الاهتزازات المنخفضة الدرجة ، أما فى عالم الروح حيث تؤدى الحياة وظائفها أيضاً فإن الوعى يتأثر بنوع من اهتزازت أعلى درجة .

وكلما أوغلنا فى البحث سنزداد اقتناعاً بهذه الآراء ، لأنه من أحاديثى مع أولئك الذين يحيون تلك الحياة سنعلم أن عالم الروح حقيقى ملموس جميل كهذا العالم الذى تدركه حواسنا المحدودة ، بل إنه فى الواقع أكثر منه فى هذا الصدد »[(١)].

وفيما يلى سنمر على موضوع الروح من ناحيـــة الاعتقاد فى خلودها ، فى عصور مختلفة من التاريخ ، وفى آداب مختلف الحضارات وفلسفاتها ، متوخين أن نقدم هذه العجالة بترتيب تاريخى ، فنعالج موضوع الروح عند الفراعنة ، ثم عند الهندوس ، ثم عند الإغريق والرومان ، ثم عند فلاسفة المسيحية ، ثم عند فلاسفة الإسلام ، ثم فى عصور أحدث مما تقدم .

---

(١) « على حافة العالم الأثيرى » طبعة ثالثة ص ٤٤ .

الفصل الأول

الروح عند الفراعنة

إذا كان الأمر كما تقدم ، فى شأن عمق الصلة بين العالمين المادى والروحى، فلا غرابة أن نجد أن الفراعنة منذ القدم يعرفون الكثير عن الروح فى بعثها ونشورها وثوابها وعقابها وحياتها . ويصورونها على جدران قبورهم ومعابدهم تحيا هناك حياة مادية أشبه ماتكون بالحياة الأرضية النقية فى الحدائق والمروج المدعوة حقول « يارو » الدائمة الخضرة ، الوفيرة الخيرات ، يعمها السلام والأمن والطمأنينة ، وينال كل فرد منها نصيبه . كما أن هناك أرواحاً أخرى تعلو طبقات الجو حتى تبلغ الشمس وتعيش أزلية[1] . وكانوا يؤمنون بأن الروح عندما تغادر جسدها المادى تكتسى بجسد جديد أرق من الجسد المادى وأرق ولا يقبل الفناء ، وكانوا يطلقون عليه وصف « كا » ، وكل ذلك منذ أول عهدهم بحضارتهم العريقة التى ترجع إلى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد .

وإلمامهم الدقيق بحياة الروح يدفع بعض الباحثين فى العلم الروحى الحديث إلى الاعتقاد بأنهم كانوا على صلة مستمرة بالأرواح عن طريق وسطاء الاستشفاف البصرى والسمعى وغيرهم . ويقال إن الفراعنة كانوا يفضلون اختيار كهنتهم من بين هؤلاء الوسطاء ، وأن الاتصال بالأرواح كان يتم فى المعابد عادة عن طريق هؤلاء الكهنة الوسطاء . وأن الكهانة كانت محصورة فى أسر معينة ، لأن موهبة الوساطة الروحية تكثر عادة فى هذه الأسر ، وعرضة لأن يتلقاها الإنسان أحياناً عن طريق قوانين الوراثة الطبيعية شأن بعض الملامح والصفات ، وبعض المواهب الأخرى كالموسيقى والرسم والأدب .

ولم يكن الفراعنة يؤمنون فحسب بالخلود إيماناً غامضاً ، بل كانوا يعتقدون

---

(١) عن « تاريخ مصر القديمة » لجيمس هنرى بريستد ترجمة الدكتور حسن كمال ص ٤٢ .

بالثواب وبالعقاب ، ويعلقون أهمية كبرى على التمسك بأهداب الفضائل كما يتضح من الكتابات المدونة فى مقابرهم ومعابدهم ، وعلى أوراق البردى وبخاصة كتاب « الموتى » . بل كانت لديهم « محاكم للموتى » تحاكم ذكرى الأموات فتسمح بدفنهم فى المقابر الدينية أو لا تسمح بذلك تبعاً لما تراه فى شأن حياتهم الخلقية[1] . وكانوا يربطون بين الدفن فى هذه المقابر التى كان ينبغى أن توضع بها مومياء المتوفى وبين الخلود نفسه ، وذلك لجهلهم مصدر الأجساد الرقيقة التى كانت تظهر بها الأرواح متجسدة أو غير متجسدة فى المعابد التى يبدو أنهم كانوا يفضلون عقد جلساتهم فيها ، خصوصاً فى هيا كلها ، أو بالأدق فى « قدس الأقداس » الذى تشير دلائل كثيرة إلى أن « الآلهة » بمعنى الأرواح كانت تظهر فيها فى حضور بعض الكهنة والكاهنات . ولذا كان قدس الأقداس هذا أهم جزء فى كل معبد فرعونى ، وكان يحظى بتقديس خاص من العابدين .

ويعتقد بعض المؤرخين أن « محاكم الموتى » هذه ليست حقيقة أرضية فى حياة الفراعنة ، بل هى أسطورة نبتت فى ذهن المؤرخ الإغريقى هيرودوت من اعتقاد المصريين بمحاكمة الميت بعد وفاته بمعرفة اثنين وأربعين قاضياً سماوياً . وهذه العقيدة تشير إلى الفكرة التى كانت راسخة فى أذهانهم عن أن هذه المحاكمة السماوية كانت صادقة صارمة لا تفرط فى شىء ، وكان يلزم لها بالتالى هذا العدد الضخم من القضاة السماويين .

ذلك حين يؤكد شامبليون الكبير ومكتشف الحجر المشهور أن هذه المحاكم حقيقة واقعة لم يكن للخيال فيها أدنى نصيب ، إلا أنها كانت تحاكم ذكرى الملوك فحسب دون سائر أفراد الشعب لتقرر ما إذا كانوا يستحقون شرف الدفن فى المدافن الدينية أم لا ، وأنها كانت فى نظرهم صورة رمزية لمحكمة السماء التى ينبغى أن تفصل بعد الموت فى مصير أرواح البشر أجمعين . ويستند

---

(١) هيرودوت كتاب ١ فصل ١٧ .

العلامة شامبليون فى ذلك إلى صورة هذه المحكمة كما وجدت فى قبر رمسيس الخامس، ثم إلى الكتابة التى بجانبها وهى تصف المحاكمة الأرضية — لذكرى الملك الميت — وصفاً دقيقاً ، ويقول إنه إن كان ثمة شك فى أمرها فهو فى حريتها فى التقدير ، لأن قرارها كان معروفاً مقدماً ، بل كان محض مسألة شكلية ما لم تكن الأسرة الحاكمة قد تغيرت بوفاة الملك[١] .

وأياً كان القول الصحيح فى هذا الشأن من ناحية تاريخ القانون ، فإنه من ناحية عقيدة الفراعنة ثمة نقطة ليست محل أى خلاف ، وهى إيمانهم الراسخ بالخلود وبالثواب والعقاب . وإن كانت العقيدتان معاً تتعثران بفهمهم المحدود بل المعدوم للأثير ، ولقدرة العقل على التأثير فيه ، ثم لدور القوانين الطبيعيةالتى تضمن بذاتها تحقيق الثواب والعقاب طبقاً لارتباط النتائج ارتباطاً محتوماً بمقدماتها ، وهذه هى نفس العقبات التى تتعثر فيها لغاية الآن بعض جوانب « الاعتقاد التقليدى » عند عدد ضخم من المعتقدين العصريين الذين لا يكاد فهمهم لهذه الأمور ينأى كثيراً عن فهم الفراعنة ، إلا فى بعض التفاصيل الشكلية التى قد لا تمس أسس الفهم نفسها.

ويكفى فى هذا الشأن أن نلاحظ اعتقاد هذا العدد بأن الموت عبارة عن رقاد فى القبر إلى أن تعود روح الميت فترتدى جسدها الفانى من جديد ، كما يبعث به فى عالم الخلود . وأن نلاحظ اعتقاد الغالبية العظمى من الناس بحدوث محاكمة بعد الموت لا تكاد تختلف شيئاً يذكر عما يجرى فى محاكمنا الأرضية .

ومن الطريف أيضاً أن الفراعنة كانوا يعرفون الأرواح المرشدة التى يعرفها علم الروح الحديث، والتى قد تلازم الإنسان حال حياته الأرضية بحكم روابط معينة فتحميه من بعض أخطار الحياة ، وقد ترشده فى بعض مواطن الإرشاد . وكانوا يطلقون على الروح المرشد وصف « آخ » . وقد بقيت هذه الكلمة لغاية الآن

(١) Lettres D' Egypte Et De Nubie,p 243.

على ألسنة المصريين يطلقها الواحد منا عند التألم من جرح أو من سقطة ، وكأنه يستنجد ـ كأجداده القدماء ـ بروحه المرشدة أن تعينه على تحمل الألم ، دون أن يعرف حقيقة مصدرها التاريخي .

وكانوا يعرفون أيضاً الأرواح الحارسة للجلسات التي تقوم بوظيفة إبعاد الأرواح الشريرة واستدعاء الأرواح الخيرة ، ويطلقون على الواحد منها وصف « الإله بس » . ويرمزون إليه بجسم إنسان يحمل رأس قط ، ويمسك بيده طبلة ترمز الى قدرته على استدعاء الأرواح الخيرة ، وآلة حادة ترمز إلى قدرته على إبعاد الأرواح الشريرة . وقد بقيت أيضاً كلمة « بس » للتعبير عن القطط على ألسنة المصريين ينطقونها بغير أن يلتفتوا أيضاً إلى حقيقة مصدرها التاريخي .

وكان الفراعنة يؤمنون أيضاً بإمكان التنبؤ بالمستقبل ، وبقيمة وحي الأرواح أو « الآلهة » . ويذكر المؤرخون الإغريق في هذا الشأن وحي « آمون رع » الذي يرجع تاريخه إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وكان يظهر في شكل طيف يمثل الإله آمون متحدثاً إلى الناس ، مستمعاً إلى أسئلتهم ومجيباً عنها . ويقال إن الإسكندر الأكبر عندما زار معبده قال له الطيف « سوف تملك جميع البلاد وتخضع لك جميع الأديان » .

كما يذكرون أيضاً وحي « عين شمس » الذي كان الناس يقدمون إليه لاستشارة كهنته . ويقول بعض المؤرخين الإغريق إن الامبراطور الروماني تراجان رأى قبل أن يدخل حرب برشيا أن يستشيره فبعث إليه وفداً لهذا الغرض فأجاب الكهنة إجابة صامتة بأن أرسلوا إلى تراجان غصن كرم مكسوراً دون أي تعليق ، وقد خسر تراجان هذه الحرب وقتل فيها . . .

وفي الجملة لقد كانت الظواهر الوساطية معروفة عند الفراعنة ، وكانت الصلات بين عالمي الروحي والمادة مسلماً بها عندهم كحقيقة أولية لعبت دوراً واضحاً في توجيه أسلوب حياتهم هذه الوجهة الدينية الصارخة في كل ما خلفوه من شتى

مظاهر حضارتهم العظمى ، وفى كل ما حصلوا عليه من علم ومن عرفان . فلم يكن الإيمان بعالم الغيب عنـــدهم مجرد عقيدة دينية بقدر ما كان جزءاً لا يتجزأ من أسلوب حياتهم اليومية التى يعتقد عدد من العلماء والباحثين أنها كانت سبيلهم للوصول إلى جل علومهم ومعارفهم ، التى لا تزال تحير الألباب وتثير أسئلة عديدة دون أن تظفر حتى الآن بأى جواب حاسم . ومن قبيل ذلك اهتمامهم الشديد بتحنيط أجداث موتاهم ، فقد كان ذلك صدى لإيمانهم الثابت فى الخلود ، ولـكنهم كانوا لا يفهمون مصدر الأجساد التى تلازم الروح فى رحلتها الأبدية . وقد أشارت عدة كتب نلقاها بعض الوسطاء المعاصرين إلى كل ذلك . منها مثلا كتاب « أول فرعون » الذى تلقته من عالم الروح الوسيطة الملهمة دجمار أوكونر Dagmar Oconnor[1] .

وكان الفراعنة يطلقون على أرواحهم الراقية وصف الآلهة ، ومن هنا تعددت عندهم الآلهة ، وأخذوا يرمزون إليها برموز شتى ، لأنها كانت فيما يبدو تختار لنفسها أسماء رمزية مستعارة كما تفعل الأرواح المرشدة فى عصرنا هذا ، مثل « هوايت هوك » ، أى الصقر الأبيض ، أو « هويت إيجل » أى النسر الأبيض ، أو « سينفر بيرش » أى الشجرة الفضية . . . ونحوها .

إلى حد أنهم — على حد ظنى الخاص — كانوا يرسمون أرواحهم هذه فى صورة قط أو صقر أو نسر حقيقى على قبورهم ومعابدهم كناية عنها . ومع الزمن اكتسبت الرسوم قيمة خاصة فى أذهان الناس فقدسوها دون أن يفطنوا إلى أنها مجرد أسماء رمزية مستعارة لأرواح مرشدة . فلا ينبغى أن نخرج بالضرورة بأن

---

(١) وهو كتاب رائع من الناحيتين التاريخية والقصصية معا نقله إلى العربية صديقنا الدكتور على راضى الأستاذ بكلية العلوم . وقد أوضحت هذه الآراء أيضاً قصة « الفرعون المجنح » تأليف جون جرانت Joan Grant وقد نقلها الى العربية الأستاذ إبراهيم العفيفى ، وفيها حديث عن وسطاء الاستشفاف والتخاطر عند الفراعنة ، والصلات بين عالمى الروح والمادة عندهم .

الفراعنة عندما رسموا هذه الرسوم الرمزية لأرواحهم - التى وصفوها بالآلهة - قد عبدوا حتماً هذه الأرواح ، أو عبدوا رموزها كما يفهم الإنسان العصرى المعنى الحرفى للعبادة ، بل من الجائز أنهم فحسب قدّسوها ونظروا إليها بعين الإكبار ، وتشفعوا بها فى حياتهم ومماتهم ، كما يفعل كثير من العابدين فى كل ملة ودين ، حتى فى القرن العشرين ، من التشفع بأرواح بعض القديسين وأولياء الله الصالحين .

ذلك أن شعور الإيمان الدينى كثيراً ما يبحث له عن صدى خارجى فى صورة التعلق بنبى أو بولى ، أو فى صورة تقديس معبد أو مزار ، أو التبرك بشىء له كيان محسوس ، فلا يجد الإنسان المتدين فى ذلك أية غضاضة ، بل قد يستمد منه مصدراً لتدعيم إيمانه بالله ، ومظهراً للتعبير عن شعوره الدينى العميق . وقد يبدو ذلك أحيانا نوعاً من السذاجة ، أو من المبالغة المفرطة فى فهم بعض الأمور . وهذا هو نفس ما يبدو من حال الفراعنة عند تقديس بعض أرواحهم - وما قد يعبر عنها من رموز وتماثيل شتى - فى نظر إنسان القرن الذى فيه نعيش . فلا ينبغى إذاً أن نكون قساة فى حكمنا عليهم ، أو أن نتصور أن موقفهم من « مقدساتهم » يغاير كثيراً موقف غيرهم ، أو أنهم خرجوا كثيراً عن حدود المألوف فى طبائع بنى البشر فى موقفهم من الاحساس الفطرى بهذا المجهول الغامض الذى يحيط بالإنسان والذى يتغلغل الإحساس به إلى أعمق المشاعر وأقواها تأثيراً فى النفوس .

وظلت الحال عند الفراعنة على هذا المنوال ، إلى أن تنبه أخناتون إلى هذا الخلط بين «تأليه» الأرواح الراقية وبين الإيمان بالله الواحد خالق هذا الكون ، فدعاهم إلى عقيدة التوحيد على ما ترويه كتب التاريخ . هذا وقد انتقلت نفس هذه الطريقة فى التعبير عن الأرواح الراقية بالآلهة من الفراعنة إلى اليهود ثم إلى الإغريق ثم إلى الرومان .

الفصل الثانى

الروح عند الهندوس

فى آسيا يعلم الناس الكثير عن الروح، وعن عالم الروح، وعن إمكان الاتصال بين عالمى الروح والمادة. وتعتبر أقدم الديانات فى العالم أجمع الآن هى الديانة الفيدية، وهى الشكل الفطرى الأول للدين الهندوسى المأخوذ عن كتب الإله « فيدا Vedas » الأربعة المكتوبة باللغة السنسكريتية، والمنسوبة إلى وحى نزل من السماء على براهما. وهذه الكتب هى ساما ورج وياجور وأثارفا. وتشرح الفيدات طبيعة براهما الإله الخالق الذى هو «أتما» أو النفس الخالدة فى الإنسان، وتصور الكون كنسيج متطور من كيان الله، كما تجعل امتزاج الفرد مع الله صورة لامتزاج النفس مع الروح.

والفيدنتا تلخص الفيدات الأربعة، وقد أعجبت كثيراً من مفكرى الغرب وفلاسفته. وقد وصفها المؤرخ فكتور كوسان قائلا إننا « حينما نطالع بإمعان فلسفة الشرق — وخصوصاً الهندية منها — فإننا نقف على كثير من الحقائق العويصة التى تكرهنا على أن ننحنى إجلالا للفلسفة الشرقية، ونرى فى هذا المهد للجنس البشرى موطناً لأسمى ضروب الفلسفة... ». كما يقول فيها شليجال: « إن أسمى فلسفة أوروبية وهى مثالية التفكير كما وضعها فلاسفة الإغريق تبدو — متى قورنت بالحياة والنشاط الزاخرين للفلسفة الشرقية المثالية — كبصيص ضوء ضئيل مقابل فيض كامل من ضوء الشمس ... ».

وهى مؤسسة على عقيدة خلود الروح، والعودة إلى التجسد أو رجعة الروح، والإيمان بإله واحد، وبالسماء التى تصعد إليها الأرواح الصالحة فيسلمها « ياما » الذى يرفعها إلى الجنة حيث تنعم بكل اللذائذ الأرضية التى تكون قد اكتسبت

وأصبحت أبدية . وقد وصف أحد هذه الكتب السماء الفيدية بأنها « المقام المقدس والمقر النهائى للآلهة الخالدة ، وموطن الضوء الخالد الذى هو الأصل والقاعدة فى كل ما هو كائن . وحيث تتحقق الرغبات بمجرد أن تنشأ » . وهذا الوصف هو تقريباً ما تصف به الكتب الروحية الحديثة عالم الأثير ، مع أن كتب فيدا هذه تتجاوز فى قدمها حتى تاريخ الفراعنة الأقدمين ، مما يحمل على الاعتقاد بأن وسطاء الهندوس قد تلقوها بدورهم عن طريق الإلهام من أرواح راقية تقيم فى عالم الأثير بحسب الوصف الحديث .

والديانة البرهمية غاصة بالحقائق الصحيحة الكثيرة عن الروح فى حياتها الأرضية والسماوية وبالنصائح الخلقية التى يؤدى اتباعها إلى خلاص الروح فى حياتيها معاً ، وإلى استحقاق النعيم فى عالم الملكوت . كما تؤمن بأن الروح الإنسانية نفحة إلهية ، وأن الموت يعطى الروح جسداً شفافاً نورانياً ينتقل إلى الملأ الأعلى ، وأن هذا الجسد وإن كان مادياً فى مظهره إلا أنه من طبيعة غير ترابية ، بل أرق من أجسادنا الفانية ، وفى علم الروح الحديث ما يتفق مع هذه المعانى أيضاً . وتؤمن المذاهب السائدة فى البوذية بوجود جنات حول جبل « ميرو » الذى سفحه من الذهب المرصع بالأحجار الكريمة ، ومقسم إلى عدة طبقات فى كل طبقة أهلها من الصالحين على حسب درجاتهم ، وفوقها جنات أخرى كثيرة حتى تنتهى إلى جنة علوية فى السماء يحيا فيها الأبرار فى سعادة مطلقة .

ويعتبر مذهب اليوجا الهندى بوجه خاص من المذاهب الشرقية الهامة فى الفهم العميق للروح ، إلى حد أنه يثير دائماً اهتمام الباحثين الروحيين فى الغرب والشرق عند معالجة موضوع الأرواح . والإيمان بالروح وبالخلود يبلغ ذروته عند اتباع هذا المذهب بوجه خاص ، بما يستتبعه الإيمان من وجوب اتباع أنظمة صارمة من الزهد والتقشف وضبط النفس للوصول إلى المواهب الروحية القوية ، حتى أن جبابرة الروح فى الهند ممن يحققون الخوارق الوساطية التى تحير ألباب

علماء الغرب يكثرون عادة من اتباع هذا المذهب ، الذين لا يصرفهم شيء من أعراض الدنيا الزائلة عن مشاغلهم الروحية .

ويروى المؤرخون أن الإسكندر الأكبر عندما ذهب إلى الهند فاتحاً أراد عندما وصل إلى تاكسلا بشمال الهند أن يرى داندامس المعلم اليوجى الهندى العظيم ، فبعث إليه أونسكريتوس أحد طلبة مدرسة ديوجينس الإغريقية ليأتيه به. وقال أونسكريتوس بعد أن عثر على دندامس فى مخبئه فى إحدى الغابات « تحية وسلاماً أى معلم البراهمة ! إن الإسكندر إبن الإله العظيم زفس ، وسيد الخلق أجمعين، يطلب منك أن تذهب إليه،فإن فعلت أجزل لك العطاء ، ولكن الويل لك إن أبيت فسوف تدفع رأسك ثمناً لهذا الإباء ! » .

وتلقى الحكيم اليوجى هذه الدعوة الإرهابية برباطة جأش ورد عليها رداً طويلا ساخراً نقتطف منه مايلى « إن الإسكندر ليس إلهاً ، إذ هو لابد ذائق الموت . وكيف يكون مثله سيداً للكون فى حين أنه لم يتربع بعد على عرش السلطان الداخلى ، ولم يدخل للآن حياً إلى الهاوية، ولا يعلم سيرالشمس فى أقطار الأرض الوسطى ، ولم تسمع الدول المتاخمة ولو قدراً يسيراً عن اسمه ؟ . . .

ثم استطرد الحكيم الهندوسى قائلا « وإذا أطاح الإسكندر برأسى فلن يقوى على تحطيم نفسى . ورأسى الذى يصمت سوف يبقى ويخلف الجسد كرداء ممزق على الأرض التى جبل منها . وكروح أصعد حينئذ إلى الله الذى سوانا جسداً ، ووضعنا على هذه الأرض لكى نثبت له فى وجودنا عليها ما إذا كنا نحيا فى طاعته ، والذى يتطلب منا حينما نقف أمامه أن نقدم حساباً عن أعمالنا ، إذ أنه ديان جميع المعاصى ، كما أن أنات المظلوم ستصبح عقاباً للظالم .

« دع الإسكندر يرهب بهذا الوعيد أولئك الذين يطمعون فى الثراء أو يخشون الموت ، اللذين هما سلاحان مفلولان بالنسبة لى . فالبرهميون لا يتعشقون الذهب ولا يرهبون الردى . اذهب وقل للإسكندر : إن دندامس ليس بحاجة

إلى شيء مما لك ، وبالتالى يرفض أن يجيء إليك . أما إذا كنت فى حاجة إلى دندامس فتعالَ أنت إليه » .

وتلقى الإسكندر بانتباه عميق جواب اليوجى على لسان أونسكريتوس وأحس برغبة متزايدة فى رؤية دندامس الذى كان رغم عريه وتقدمه فى السن الخصم الوحيد الذى وجد فيه مدوخ الأمصار نداً حقيقياً له[1]، وهو فى الواقع الروحى أكثر من ند بكثير .

* * *

وديانة كونفشيوس (القرن السادس قبل الميلاد) الشائعة فى الصين واليابان تعرف أيضا الكثير عن حقائق الروح والخلود والصلات بين العالمين ، مع الاعتقاد بأن أرواح آبائنا وأجدادنا تحاول أن توجه تصرفاتنا بما يضيق المقام عن التعرض له هنا[2] .

---

(١) « فلسفة الهند فى سيرة يوجى » للحكيم برمهنسا يوجا ننذا ترجمة الأستاذ زكى عوض المحامى ص ٤١٢ — ٤١٤ .

(٢) راجع كتاب بوتيه عن الصين ص ١٣٦ وما بعدها . وفيه يقول بأن كونفشيوس كان يعتقد بأن للروح غلافاً جسدياً يخالف الجسد المادى ولا يقبل الفناء ، كما كان يقول بأن الأرواح تحيط بنا من كل جانب ، وأن لها قدرة على اتخاذ مظهر جسدى .

الفصل الثالث

الروح عند الإغريق والرومان

إذا انتقلنا إلى الإغريق وجدناهم فى أزهى أيام نهضتهم الفلسفية العظمى يكثرون من الحديث عن الأرواح ويصفونها بالآلهة . ومن هنا كثرت أساطيرهم عن آلهة الحكمة ، وآلهة الجمال ، وآلهة الحب والخمر والصيد والحرب ....

وتحدث أكبر فلاسفتهم وشعرائهم ومؤرخيهم عن الأرواح كحقيقة واقعة لاتثير شبهة. ومنهم بوجه خاص سقراط وأرسطوطاليس وأفلاطون وسوفوكليس وهوميروس ويوربيديز وفرجيل وبلوتارك وهيرودوت وبطليموس وهوراس ويوسفوس وماكزيموس أوف نير وتاليس [1] . . . وغيرهم .

وكانت نحلتا الأورفية والفيثاغورية تؤمنان بخلود النفس وتعتقدان أنها جوهر إلهى نزل وسكن فى الجسد ، أو بالأدق سجن فيه، ولابد أن تقضى النفس مدة العقوبة قبل أن تغادر الجسد [2] .

وكان سقراط يؤمن بخلود النفس ، وعندما حكم عليه بالموت صرح لاثنين من أتباعه هما سيمياس Simias وسيبس Cébes قائلا « نعم إنى أعترف أنه لولا اعتقادى أنى سوف أذهب أولا صوب آلهة أخرى حليمة ورحيمة ، ثم بعد ذلك نحو رجال ماتوا هم أفضل من رجال هذه الحياة الدنيا، لكان من الخطأ الفاحش ألا تثور نفسى ضد الموت . . » . وهذه الواقعة رواها أفلاطون عن سقراط فى محاورة فيدون Phédon .

كما يروى أفلاطون عن سقراط أن أستاذه كان يعتقد أن الفيلسوف الحق

---

(١) كان طاليس يقول إن العالم مشحون بالأرواح والشياطين، وأنهم يتجولون بين أيدينا ومن خلفنا ، وأنهم يروننا رغم أننا لا نراهم . وطاليس هذا من فلاسفة القرن السابع قبل الميلاد .

(٢) راجع عن النحلة الأورفية كتاب « فى عالم الفلسفة » للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى .

هو ذلك الذى لا يشغله عن التفكير فى الموت شاغل ، إذ أن الموت هو وسيلة تحرير الفكر ، وأن النفس لن تستطيع أن تدرك شيئاً على حقيقته إلا إذا قطعت كل صلة تصلها بالجسد ، فهو عائقها عن المعرفة الحقة . وهو عاجز عن تفهم معانى العدل والخير والجمال « إذ طالما بقيت لنا أجسادنا ، وظلت نفوسنا مختلطة شديد اختلاط بذلك الشيء الردىء . فإننا لن ندرك موضوع رغبتنا إدراكاً كافياً ، وإن هذا الموضوع لهو الحقيقة . . . » (١) .

ولذا كان سقراط يؤمن أن الفليسوف الحق هو ذلك الذى ينبغى أن يطالب الموت ، ويعتقد العامة أن اتصال النفس بالجسد حياة وانفصالها عنه موت ، ولذا يخافون الموت مع أن حياتهم فى حقيقتها موت ، وموت الفلاسفة فى حقيقته حياة ، لأن الإنسان العامى يتعلق بمطالب الجسد ويغفل مطالب النفس وهما العلم وطلب المعرفة . فهو ذو نفس ميتة ولو كان على قيد الحياة ، أما الفيلسوف فيعد نفسه للحياة عن طريق الموت ، وذلك بأن يعمل على استقلال النفس عن البدن ومطالبه بالزهد فيها وبالبحث عن المعرفة . لا عن طريق الحواس الخداعة ، بل عن طريق العقل والفكر . وبالبحث عن الوجود الحقيقى فى الحق والخير والجمال والشكل والصحة .

كما كان سقراط كثيراً ما يبرهن على خلود النفس بعد الموت . وعندما صدر الحكم الظالم بإعدامه قال « إنى لمغتبط بهذا الموت كل الاغتباط لأن الإله (يقصد روحه المرشدة التى كان يصفها بهذا الوصف على طريقة الإغريق) لم يعطنى إشارة سيئة عندما برحت دارى ، ولا عندما اعتليت هذه المنصة كيما اتولى الدفاع عن قضيتى . ومن عادة الإله أن يعطينى هذه الإشارة السيئة كلما هددنى شرما . وأخذ سقراط قرب احتضاره يبين لأتباعه كيف أن للأشياء عوداً على بدء ، فالحياة يتبعها الموت والموت تتبعه الحياة .

(١) Phédon 69, b

وكان سقراط يعتقد أيضاً أن لكل روح روحاً تحفظها وتلهمها ما قد ينفعها في دنياها ، وعليه فمن الجائز أن يقوم الأحياء بمخاطبة الأرواح أثناء وجودهم في هذا العالم . كما كان يؤكد أن روحاً كانت تخاطبه وترشده في أمور دنياه منذ كان طفلا صغيراً ، وكان يسمع صوتها ويأتمر بأمرها حتى بعد أن أصبح رجلا كبيراً [١] . وكان سقراط يعتقد أيضاً بأن إلهاً خيراً يعين الناس عندما يكونون في شك من أمر مستقبلهم ، لذا كان ينصح أصدقاءه باستشارة الوحي ولا سيما وحي « دلفي » ، عندما كان معبدها مع معبد « دودونا » من أهم مراكز التنبؤ عند الإغريق ، بفضل تنوهات الغيبوبة التي كانت تصدر عن كاهنات المعبدين [٢] .

وتولى أفلاطون بعد سقراط إضافة الأدلة الفلسفية الكثيرة على خلود النفس ، مثل برهان الحياة والحركة ، وبرهان الضدين ، وبرهان التذكر ، والبساطة والتركيب ، والبرهان الخلقي ، بما يضيق المقام عن ذكره . ويكفي مثلا أنه في برهان الضدين يقول « إن صلة الحياة بالموت لشديدة الشبه بتلك العلاقة التي توجد بين اليقظه والنوم . فكما أن المرء ينتقل من اليقظة إلى النوم ، ومن النوم إلى اليقظة ، كذلك ينتقل من الحياة إلى الموت ، ومن الموت إلى الحياة . والانتقال من أحد الضدين إلى الآخر أمر لا مفر منه ، إذ لو كان الانتقال في اتجاه واحد فقط لاختل التوازن في الطبيعة .

ويترتب على ذلك أنه من الواجب أن تظل نفوس الموتى حية في مكان خاص حتى تكون منبعاً ومبدأ لكل حياة جديدة . ولو لم يكن هناك انتقال من الموت إلى الحياة لا نتهى كل ما في الوجود إلى العدم ، كما هي الحال تماماً

---

(١) راجع كتاب بونمبر « الروح ومظاهرها خلال التاريخ » .

(٢) راجع كتاب « التنبؤ بالغيب قديماً وحديثاً » للأستاذ أحمد الشنتناوي ص١٨-٢٢ .

لو استقر المرء فى نومه إلى مالا نهاية »[١] .

ومحاورة فيدون — وهى من أمتع ما كتب أفلاطون — تمثل ليلة إعدام سقراط ومحورها خلود النفس . ويشير إليها أفلاطون فى الخطاب السابع قائلا : « فإذا كانت النفس إلهية خالدة فليس لها أصل نشأت عنه ولا تخضع للفساد . واذا كانت النفس إلهية فعلينا أن نتعلق بها وحدها لأن الفلسفة هى التشبه بالإله بقدر الطاقة الإنسانية . ولكن الإنسان ليس نفساً فقط ، بل هو نفس وبدن ، ولكل منهما مطالب ، ولذلك لن يكون الإنسان مادام على قيد الحياة ومتصلا بالبدن حكيماً بل محباً للحكمة أى فيلسوفاً فقط ، وإذا انفصل عن البدن عند الموت بلغت النفس الحكمة . فالموت للرجل الصالح مطية لحياة أفضل لأنها حياة النفس »[٢] .

وكان أفلاطون يعتقد أيضاً أن الموت هو الوسيلة التى بها يتيسر للفيلسوف أن يفكر جيداً « وذلك لأن حياة الفيلسوف عند أفلاطون هى حياة متجهة دائماً إلى تأمل الصور أو المثل ، ولا يتيسر تأمل الصور تأملا حقيقياً ما دامت النفس سجينة فى البدن ، فلابد من الخلاص من البدن — أى لابد من الموت — حتى يكون فى مقدور المرء أن يتأمل الصور دون أن يشوه عليه هذا التأمل مشوه . فكأن الموت فى نظر أفلاطون إذاً جسر ومعبر ينتقل بنا من حياة النفس فى البدن إلى عالم الصور . فهو ابتداء أولى من أن يكون نهاية ، لأنه ابتداء للحياة الروحية الحقيقية ، حياة النفس ، حياة تأمل الصور ، هو على وجه العموم باب يفتح على الأبدية .. »[٣] .

كما كان أرسطو يتحدث عن العقل فيرى فيه شيئاً خالداً مستقلا عن

---

(١) عن كتاب « فى النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام » للدكتور محمود قاسم طبعة ٣ ص ٥٤ .

(٢) عن كتاب « أفلاطون » للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ص ٩٢ .

(٣) عن « الموت والعبقرية » للدكتور عبد الرحمن بدوى طبعة ١٩٦٢ ص ١٥ ، ١٦ .

الجسد . وكان يعتقد بالتـالى بوجود عالم عقلى مغـاير لعالم الحس والمـادة « ولا يستطيع المرء القول بأن هذا العقل يفـكر تارة ولا يفـكر تارة أخرى . فمتى فارق الجسد فإنه يصير على غير ما كان عليه ... وهو وحده الذى لا يموت وهو الخالد ... فى حين أن العقل المنفعل قابل للفساد »(١) .

وهـــذا الرأى يوافق ما يقول به علم الروح الحديث من أنه وإن كانت الذاكرة تبقى بعد الموت ، إلا أنها لا تبقى فى كل جوانبها بل يلحقها نوع من التغيير يمس جوانبها السطحية ولا يمس الذكريات العميقة الدفينة فيها. أو بعبارة أخرى أن الذاكرة تبقى على حالها بقدر اتصالها ببقاء الشخصية بعد الموت ، ولا تبقى بقدر بعدها عن هذه الشخصية. لذلك كانت أحسن البينات على ثبوت بقاء الشخصية هو ما يجىء عرضاً ، أما امتحان الروح فى ذكرياتها الأرضية فقد ينجح أولا ينجح بحسب قوة هذه الذكريات ، وعمق ماتركته من أثر فى العقل الباطن . وفى هذا الموضوع بحوث كثيرة أضاءت بعض جوانب ما قد يتبقى من الذاكرة بعدالموت ، وما قد يندثر منها ، بعد انسلاخ الجسد الأثيرى ـ وهو موطن العقل والذاكرة ـ عن الجسد المـادى .

وقد تحدث فى هذا الشأن أيضاً إسكندر الأفروديسى — وهو من شراح أرسطو — فذهب إلى أن العقل الفعال « ليس من أجزاء النفس ولا من وظائفها ، بل هو الإله الذى يتمثل فى نفوس البشر . ويحل محلهم فى تفهم معانى الأمور وصنع المعقولات . . وهو غير قابل للفساد ، بل هو كائن إلهى خالد ، بل هو الذى يخلق العقل بصفة خاصة » .

وفعل مثله تمستويس Themistuis وهو أيضاً من شراح أرسطو الذى كان ينـكر أن أرسطو كان يرى أن العقل الفعال هو الله الذى يفـكر فى نفوس البشر ، لأن هذا العقل جزء منا ، أو هو حقيقتنا بعبارة أصح . كما كان يرى

---

(١) D. Anima III 340· a—20—25.

أن العقل المادى بدوره غير قابل للفساد ، وينسب إلى أرسطو أنه يتحدث لحسب عن فناء العقل المشترك الذى يكون به الإنسان مكونا من نفس وجسد ، والذى هو محل الانفعالات كالغضب والشهوة[١] .

وهذا الفهم الإغريقى العميق لخلود الروح ، ولقيمة المعرفة فى سعادتها ، وللتمييز بين موت الجاهل وموت العالم ، ولوجود عالم عقلى مغاير لعالم المادة ، وصل إليه أحسن فلاسفة الإغريق بالفطرة السليمة وحدها ، أو بالأدق بالإلهام الراق وحده ، ولم يفعل علم الروح الحديث أكثر من إثباته بأدلة تجريبية على ما سيلى فى عدة مواضع ، وبخاصة فى الموضع الذى خصصناه للكلام فى وصف عالم الروح ، وفى الثواب والعقاب .

* * *

وكان الرومان يعرفون الروح أيضاً ويتحدثون عنها ، لكن بطريقة لا تعد شيئاً إلى جانب عمق طريقة الإغريق ، لأن حضارة الرومان كانت محض حرب واستعباد للشعوب . فسرعان ما تقوضت أركانها غير مخلفة وراءها سوى المآسى والدماء ، حين خلفت حضارة الإغريق تراثاً روحياً فلسفياً لا يزال العالم يستضىء بنوره حتى الآن ، ولا يزال يبهر أبصار الفلاسفة والمفكرين رغم قدم العهد به .

ومع ذلك فها هو مثلا شيشرون Ciceron خطيب الرومان ومشرعهم المعروف يقول فى خطبة له «أليست غالبية السموات مملوءة بالبشر ؟ هؤلاء الآلهة أنفسهم نشأوا هنا فى الأسافل ثم صعدوا إلى السماء » ! هذا وقد عالج شيشرون هذا الموضوع فى مؤلفه ، عن « طبيعة الآلهة[٢] » ، التى يقصد بها الأرواح على النحو الذى كان معروفاً عند الإغريق ، والذى يبدو أنه انتقل إليهم من مصر . ويسلم شيشرون فى مؤلفه هذا بأن الإيمان بالآلهة أو بالأرواح شائع لدى جميع الفلاسفة ، بل لدى الجهال والأميين أيضاً ، وأنه مغروس فى عقولنا أو بالأدق فطرى فينا .

(١) Duhem. Système du Monde t. IV P. 283.

(٢) On The Nature Of The Gods.

الفصل الرابع

الروح عند فلاسفة المسيحية

من يراجع سيرة مؤسس المسيحية يجد أنه كان روحياً فى حياته مثلما كان فى تعاليمه الخلقية الرفيعة التى عاش فيها بكل خلجات نفسه . ولا نريد هنا أن نعطى أى التفات لمن يرون فى المسيح أسطورة من نسج الخيال « فلو لم يظهر يسوع حقاً لكان واضعو الأناجيل — كما يقول جان جاك روسو — عظماء مثله » . وقد استرعى نقاء حياته أنظار الفلاسفة الذين عنوا بالتأمل فيها مثلما استرعاها عمق تعاليمه ، ومنهم أمثال بلزاك ورينان وأندريه مورياك فى فرنسا ، وجوزيبى بابينى فى إيطاليا ، وإميل لودفيج فى ألمانيا وغيرهم .

فلم يكن المسيح معلماً فحسب ، بل كان مثالا حياً لتعاليم حية تطالب الإنسان كقاعدة ذهبية أن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به : « فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم بهم أيضاً ، لأن هذا هو الناموس والأنبياء » (متى ٧ : ١٢) . وكان المسيح هو « النموذج » لتعاليمه كما قال باراسيلز Paracelse . فكان يمثل نقاء الروح فى إشراقها بالمحبة وبالوداعة ، وعامل الناس بأفضل مما عاملوه به . وربما لذلك لم يدركوا قدره فعاش غريباً عن العالم . بل خسر العالم كيما يربح نفسه أمام اكتمال الناموس : «إذ ماذا ينتفع الإنسان — كما قال — لو ربح العالم كله وخسر نفسه ، أو ماذا يعطى الإنسان فداء عن نفسه ؟ » (متى ١٦ : ٣٦ ولوقا ٩ : ٢٥) .

وكانت تعاليمه فى تعريف الناس بإله المحبة ، وبالخلاص عن طريقها ، من البساطة ومن البعد عن الطقوس إلى المدى الذى يحمل الفلاسفة على الشك فيما إذا كان المسيح قد قصد برسالته أن يؤسس ديناً ويحيط نفسه باتباع . بل

الأقرب إلى فهمهم أنه أراد أن يعرّف الإنسان بنفسه كيما يبحث فى دخيلتها أولا عن إرثه السماوى . وقد بذل نفسه عن رسالته « لأن من أراد أن يخلّص نفسه يهلكها » كما قال (متى ١٦ : ٣٥ ، ١٠ : ٣٩) . ولأنه كان يعلم جيداً — مثلما حسب بولس الرسول من بعده — أن « آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا »[١] .

« ويسوع — كما يقول إميل لودفيج — إذا ما كان واقفاً على سفينة بدا كصخرة ساندة لأولئك الجالسين القرفصاء على الشاطىء أو المستلقين عليه ، فيحدثهم عن رسالته بالرموز والأمثال الطريفة المقتبسة من حياتهم اليومية النقية . والأمثال كان يراها خير وسيلة لتثقيف الجموع ، ولم يحجم عن تشخيص الرب بالصور القولية تقريباً لأذهان الجمهور مع أن تصوير الرب محرم على اليهود ، فيجعل من الرب ملكاً جالساً على عرشه ، مالكاً للكرم ، قارياً للضيف ، سيداً للعبيد . هنالك يرى يسوع بعين بصيرته ما لكلامه من الأثر فى قلوب البسطاء ، ويسوع يجيب عن أسئلة هؤلاء ، ويشفى من يأتون بهم من المرضى .. »[٢] .

ثم يقول لودفيج «ويشعر جميع الذين يقتربون من يسوع بحبه لهم ، ويسوع لم يظهر ليبغض الناس بل ليحبهم، وما كان ليسعى إلى مقاتلة أحد، وكل ما كان يعلّمه أهل بحر الجليل الفقراء الهادئين فمصدره قلبه . وما كان علماء البلد يقابلون ما يلقيه فى الأفئدة بغير الشك الذى هو وليد التعليم . .

ويفيض فؤاد يسوع الذى هو معدن الحب رأفة وحناناً ، ويقابل يسوع بالمحبة أباه الرب الذى أنعم عليه بها ، والجميع أبناء للرب ، وأكثر الناس معرفة بالأب الرب هم الخالصو النية ، السليمو السريرة ، الرحماء، الأميون، الذين يشابهون الأولاد فى أفكارهم ، ومن يعتمد على كرم الرب ينل حمايته

(١) رسالة بولس الرسول الى أهل رومية : أصحاح ٨ عدد ١٨ .
(٢) « ابن الإنسان » ترجمه الأستاذ عادل زعيتر طبعة ١٩٤٧ ص ٨٥ .

ويعش تحت رعايته . والرب يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ، ويمطر على الأبرار والظالمين . فمن يعتقد هذا لايابث أن يملك ملكوت السموات على الأرض فيجد كنزاً في حقل هذا العالم . . .[١] » .

* * *

وقد خاطب السيد المسيح الأرواح الراقية وغير الراقية معاً . فخاطب من الأرواح الراقية موسى وإيليا عندما تجليا له وكان مع تلاميذه (لوقا٩:٢٩ـ٣٦). كما خاطب الأرواح الشريرة عندما كان يأمرها بأن تغادر المرضى والمجانين . بل خاطب إبليس فوق جبل التجربة عندما أراد أن يجربه فرده كسيفاً مهزوماً (متى ٤ : ١ ـ ١١) .

وكان المسيح ـ ولا يزال ـ هو المعالج الروحي الأول . وحقق معجزات أخرى كثيرة غير العلاج الروحي ، لم يقل أبداً إنها خاصة به ، بل يقول الكتاب إنه « دعا تلاميذه الإثنى عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف » (متى ١٠ : ١ ومرقس ٦ : ٧) . كما خاطب تلاميذه قائلا « الحق الحق أقول لكم ، من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ، ويعمل أعظم منها » (يو ١٤ : ١٢) . وقد حقق تلاميذه معجزات كثيرة بدورهم ، كما نجح رسل المسيحية في تحقيق مثلها . وكان من مفهوم القداسة عند الأقدمين القدرة على تحقيق « المعجزات » . وعلى الاتصال بالعالم غير المنظور بوسيلة أو بأخرى بالإضافة إلى طهارة الروح .

فمن يتابع موقف عدد كبير من رجال الكنائس من الحركة الروحية منذ بدء ظهورها يأخذه العجب من الموقف العدائي الذي وقفه بعضهم ، والموقف السلبي الذي وقفه ـ ولا يزال يقفه ـ بعضهم الآخر ، مما أثار مشاعر بعض الروحيين وأطلق ألسنتهم بالنقد لهذا الموقف الذي ذكرهم بمواقف مرة لبعض رجال

---

(١) المرجع السابق ص ٨٦ .

الكنيسة إزاء عدد من الكشوف العلمية فى القرون الوسطى . مثل موقف بعضهم من جاليليو عندما اكتشف كروية الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس ، ومن نيوتن عندما كشف قانون الجاذبية « لأنه كان يحاول خلع العناية عن عرشها » !...

وهذا تاريخ محزن من الصراع بين القديم والجديد يطول شرحه الآن ولا يتسع له المقام ، خصوصاً بعد أن انتهى أمر الصراع بين العلم والعقيدة بانتصار حرية البحث العلمى على وصاية العقيدة انتصاراً نهائياً وفى كل مكان .

وقد أعدت الجمعية الأهلية المستقلة للروحية بلوس انجيلس بالولايات المتحدة الأمريكية قائمة طويلة بالمواضع التى وصفت الظواهر الروحية بالكتاب المقدس. وتشمل هذه القائمة معجزات المسيح والتلاميذ ، وظواهر التجسدات، والكتابة التلقائية والمباشرة ، والأصوات المباشرة ، والغيبوبة الوساطية ، والشفاء الروحى ، وتحريك الأشياء ، والمجلوبات الروحية ، والطرح بالجسد وبالروح ، والرؤى الصادقة ، وغير ذلك من الظواهر الوساطية مبينة بمواضعها فى العهدين القديم والجديد ، كما يرجع إليها من يشاء للتأكد من مطابقتها لظواهر العلم الروحى الحديث فى جملتها وتفاصيلها ، وهذه القائمة تهدف إلى تبيان مشروعيتها واتفاقها مع ما هو مدون اتفاقاً ملفتاً للنظر .

كما عنى ببحث الموضوع من الزاوية الدينية عدد من كبار الباحثين الروحيين ، من أمثال الدكتور أرثر .ج. ولز Arthur G. Wills « مدير الكلية الأمريكية للعلم الروحى والبحث »[1] . ومثل الأساقفة درايتون توماس Drayton T omas، وموريس إليوت Maurice Elliott ، وشارل تويديل Charles Tweedale ، وستانتون موزس Stainton Moses وغيرهم من رجال الدين الذين مارسوا

---

(١) U. S. College of Psyclic Science and Research.

عملياً بحث الظواهر الروحيـــة فانتهوا إلى التسليم بمشروعيتها وبصحتها ، وأصبحوا من كبار الروحيين على ما سنبينه عندما نتـكلم عن بعض « الأسماء والمراجع » .

وكان قدوتهم فى الدفاع عن قيمة الظواهر الوساطية هو القديس بولس نفسه ، والمعتبر فى المسيحية فيلسوفها الأول ، لما أعلن صحة المواهب الوساطية ومشروعيتها إعلاناً لا شبهة فيه فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس قائلا : « فأنواع مواهب موجودة ولـكن الروح واحد . وأنواع خدمة موجودة ولـكن الرب واحد ، وأنواع أعمال موجودة ولـكن الله واحد الذى يعمل الـكل فى الـكل . ولـكنه لـكل واحد يعطى إظهار الروح للمنفعة، فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة ، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد ، ولآخر إيمان بالروح الواحد ، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد ، ولآخر عمل قوات (معجزات) ، ولآخر نبوة ، ولآخر تمييز الأرواح (جلاء بصرى) ، ولآخر أنواع ألسنة ، ولآخر ترجمة ألسنة . لـكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لـكل واحد بمفرده كما يشاء[١] » .

وفى الأصحاح الرابع عشر يقول أيضاً قولا لا يحتاج لأى تعليق : « اتبعوا المحبة ، ولـكن جدوا للمواهب الروحية . وبالأولى أن تتنبأوا ، لأن من يتـكلم بلسان لا يكلم الناس بل الله لأن ليس أحد يسمع ، ولـكنه بالروح يتـكلم بأسرار . وأما من يتنبأ فيكلم الناس ببنيان ووعظ وتسلية . . فالآن أيها الإخوة إن جئت إليـكم متـكلما بألسنة فماذا أنفعكم إن لم أكلـمكم إما باعلان أو بعلم أو بنبوة أو بتعليم . . ؟ » .

ثم يقول أيضاً : «وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء لأن الله ليس إله تشويش

---

(١) الأصحاح الثانى عشر . راجع من عدد ١ إلى عدد ١١ .

بل إله سلام .. إذاً أيها الإخوة جدّوا للتنبؤ ولاتمنعوا التكلم بألسنة . وليكن كل شيء بلياقة وبحسب ترتيب[١] » .

وفى الأصحاح الخامس عشر من نفس الرسالة يتحدث بولس عن الجسد الأثيرى وقيامة الأموات قائلا : « ولكن إن كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات فكيف يقول قوم بينكم إنه ليس قيامة أموات . فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكن المسيح قد قام . وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم . ونوجد نحن أيضاً شهود زور لله لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح ، وهو لم يقمه إن كان الموتى لايقومون . لكن يقول قائل كيف يقام الأموات وبأى جسم يأتون . ياغبى الذى تزرعه لايحيا إن لم يمت ، والذى تزرعه لست تزرع الجسم الذى سوف يصير ، بل حبة مجردة ربما من حنطة أو أحد البواقى ، ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد . ولكل واحد من البذور جسمه . . وأجسام سماوية وأخرى أرضية ، لكن مجد السماويات شيء ومجد الأرضيات آخر . . » .

ثم يقول بولس فى وضوح يقطع السبيل على كل مكابر فى شأن قيامة الإنسان حال رقاده الأخير مباشرة : « هكذا أيضاً قيامة الأموات . يزرع فى فساد ويقام فى عدم فساد . يزرع فى هوان و يقام فى مجد . يزرع فى ضعف ويقام فى قوة . يزرع جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانياً . يوجد جسم حيوانى و يوجد جسم روحانى ، وكما لبسنا صورة الترابى سنلبس أيضا صورة السماوى . هو ذا سر أقوله لكم : لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير . . أين شوكتك يا موت ؟ أين غلبتك يا هاوية ؟ أما شوكة الموت فهى الخطيئة وقوة الخطيئة هى الناموس ..[٢] » .

---

(١) راجع الأصحاح كله لأنه خاص بالمواهب الوساطية .
(٢) والأصحاح كله عن نفس هذا الموضوع .

وفى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس يقول بولس فى الأصحاح الرابع « لذلك لا نفشل . وإن كان إنساننا الخارج (الجسد الترابى) يفنى فالداخل (الجسد الروحى) يتجدد يوماً فيوماً . لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشىء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً . ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى بل إلى التى لا ترى ، لأن التى ترى وقتية وأما التى لا ترى فأبدية » (عدد ١٦ — ١٨) .

ثم يقول فى الأصحاح الخامس من نفس الرسالة « لأننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضى (الجسد الترابى) فلنا فى السموات بناء من الله. بيت غير مصنوع بيد، أبدى. فإننا فى هذه (الأجساد الترابية) أيضاً نئن مشتاقين إلى أن نلبس فوقها مسكننا الذى من السماء (الجسد الروحى) » ، إلى أن يقول « فإذاً نحن واثقون كل حين وعالمون ونحن مستوطنون فى الجسد فنحن متغربون عن الرب. لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان ، فنثق ونسر بالأولى أن نغترب عن الجسد (الترابى) ونستوطن عند الرب » (عدد ١ — ٨) .

وكأن بولس فيلسوف المسيحية الأول لم ينادِ فحسب بقيامة الأموات عقب الرقاد الأخير مباشرة ، وبخلود الروح ، بل نادى أيضاً كما سبق أن قلنا بتنمية المواهب الروحية ، ونادى بحرارة بذلك « للبنيان وللوعظ » أى لنشر الإيمان بالله وبالخلود وبالعقيدة . ثم انظره وهو يتحدث فى رسالته إلى العبرانيين قائلا « لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا ، لنطرح كل ثقل والخطيئة المحيطة بنا بسهولة ، ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا.. » (١٢ : ١) فأية سحابة من الشهود هذه التى يتحدث عنها بولس الرسول ؟ . .

وكما فعل بولس فعل أيضاً يوحنا البشير ، الذى قال هو أيضاً قولاً صريحاً لا شبهة فيه « أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح ، بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم[1] » . وامتحان الأرواح

(١) رسالة يوحنا الأولى الأصحاح الرابع عدد ١ — ٦ .

لا يتأتى إلا بالاتصال بها أولا . . . هل فى ذلك أدنى ريب ؟ . . . وامتحان الأرواح واجب بديهى فى علم الروح الحديث كما « نعرف روح الحق وروح الضلال » على حد تعبير يوحنا البشير .

وفى أعمال الرسل نجد عشرات من الإشارات الصريحة إلى الظواهر الوساطية التى يضيق نطاق هذا البحث دون التعرض لها هنا . وإنما يكفى أن يقرأ القارىء هذه الآية « فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم: أيها الرجال اليهود،والساكنون فى أورشليم أجمعون،ليكن هذا معلومًا عندكم واصغوا إلى كلامى ، لأن هؤلاء ليسوا سكارى (يشير إلى عدد من الجالسين الذين أخذوا يتحدثون بلغات غريبة عنهم « بعظائم الله » — على حد وصف الكتاب — فتحير الجميع وارتابوا قائلين ما عسى أن يكون هذا . . ؟ !) كما أنتم تظنون، لأنها الساعة الثالثة من النهار . بل هذا ما قيل بيوئيل النبى : يقول الله ويكون فى الأيام الأخيرة أنى أسكب من روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ، ويرى شبابكم رؤى ، ويحلم شيوخكم أحلامًا . وعلى عبيدى أيضا وإمائى أسكب من روحى فى تلك الأيام فيتنبأون ، وأعطى عجائب فى السماء من فوق ، وآيات على الأرض من أسفل دمًا وناراً وبخار دخان ...» (أصحاح ٢ : عدد ١ — ٢٠) .

بل إن فى أقوال السيد المسيح إشارات عابرة فسرها بعض المفسرين على أنها تتضمن تنبؤاً صريحًا عن الحركة الروحية المعاصرة بكل ما فيها من عزاء حقيقى دائم ، ومع ذلك فلم يتقبلها العالم كحقيقة وضعية للحياة إلا بعد مشقة وعناء عن « عدم رؤية وعدم معرفة » . ومن ذلك قول السيد المسيح « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد . روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم .

لا أترككم يتامى » (يو ١٤ : ١٥ — ١٨) . . . فكيف نعلل إذاً موقف بعض المعارضين من رجال العقيدة عندما يتحدون الآيات الصريحة فى ألفاظها ومعانيها ؟ ! !

* * *

فى هذا الشأن يقول الأديب الكبير شودزموند Shaw Desmond :

« لا أخال بولس الرسول كان يقدم على التكلم مع الموتى لو كان هذا التكلم خطأ كبيراً . لقد كان الرجل نفسه روحيا بكل ما تعنيه كلمة روحى — الحقيرة فى نظر بعضهم — من معان ، وإذا عنى القارىء بقراءة النصوص الروحية من أمثال الآية العاشرة من الأصحاح الثانى عشر من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ، والأصحاح الرابع عشر من نفس الرسالة فسيجد أننى لم أقل إلا الصدق ، وهناك عدا ذلك إثنا عشر نصاً أخرى فى الرسائل تثبت نفس الشىء .

ولا فائدة فى أن نقول لقسيس أو لرجل من العوام يكون قد أعد عقله للإنكار إن مخاطبة الموتى ليست أمراً باطلا بل هى أمر روحى حقيقى . لكن إذا حاول إنسان أن يبحث مسألة ما مع عقل مغلق فلا هو ولا الله بقادرين على إقناع ذلك العقل . ولئن كان لأمثال هؤلاء الحق المطلق فى أن يتمسكوا بآرائهم — مثل مالى ومالك من الحق فى أن نتمسك بها — فليس لهم الحق فى أن يرفضوا مواجهة البينة .

وإذا كانت أمثال هذه العقول المغلقة تقول إن من الخطأ أن نكلم عالم الأرواح فإن يسوع وبولس إذن قد أخطآ ، لأن كليهما قد تكلما فعلا مع عالم الأرواح ، وكثيراً ما تكلما ، اللهم إلا إذا كنا لا نثق فى أن ما هو مدون بخصوص ذلك فى العهد الجديد أمر حقيقى . لكن ترى ما هى الفكرة الحقيقية الكامنة وراء مثل هذا الرفض لمواجهة الحقائق ؟

وددت لو أقف على ما يدور بخلد هؤلاء الناس . فحين كان لك الحق منذ ألفى سنة فى أن تكلم موتاك فإنه ليس لك الحق الآن فى أن تتحدث إليهم . ولعل سبب ذلك هو الظن بأننا من معدن روحى يختلف عن معدن أولئك الكبار الذين ذكرتهم.

وإذا كان التكلم مع الموتى منذ ألفى سنة حقاً مباحاً ، فإن التكلم معهم الآن حق كذلك . ولما كانت الروحية أساس كل ديانة فى العالم تقريباً ، وكان الاتصال بالروح يتم إما بالصلاة والابتهال وإما مباشرة ، فإنه يتضح لكل ذى عقل سليم أن هذا الاتصال أمر قائم وحقيقة أبدية . واليوم الذى ينعدم فيه الاتصال بين العالمين معناه نهاية الدين . ولكن لما كان هذا الاتصال لم ينعدم قط ولن ينعدم أبداً ، كذلك فإن الدين باق لا ينعدم . والواقع أنه يوجد مائة برهان على صدق الاتصال بالروح ولا يوجد برهان واحد ضد هذا الاتصال . وإذا وجد أى اعتراض ضد هذا الاتصال فثق بأن الذى قدم ذلك الاعتراض هو المتدين المتزمت الذى يخشى المباراة السليمة للروحية ... » .

إلى أن يقول دزموند : « والذى أعرفه أنه يوجد فى كنيسة انجلترا وحدها نحو ثلاثمائة قسيس كانوا وما زالوا يعتنقون الروحية ، وبعض هؤلاء القساوسة يشغل مناصب رفيعة فى الكنيسة ، وقليل منهم كان له من الشجاعة والمقدرة أن يقف بجوارى منذ بضع سنين فى لندن كيما يشهد علناً بصحة اعتقاده فى الروحية ، وكثيرون يخشون أن يعلنوا للجمهور صدق العقيدة التى يعتنقونها ويعتقدون فى صحتها ... وأذهب إلى أبعد من ذلك فأقول إن فى هذه الكنيسة عينها يوجد الآن عشرات من القساوسة الذين أخبرونى أنا وغيرى أنهم روحيون فى قلوبهم ، لكنهم يخشون الإفصاح خوفا من أساقفتهم الذين هم

سراً أعداء لما نادى به السيد المسيح وأثبته من أن النفس الإنسانية تحيا بعد الموت . . . »[1] .

* * *

وفى هذا الشأن يتحدث الدكتور حسن عثمان الأستاذ بجامعة القاهرة قائلا :

« كذلك نجد تراث العصور الوسطى مليئاً برؤى القديسين وقصص المغامرين الذين تناولوا عالم ما بعد الحياة . ومن هؤلاء مثلا القديس يوحنا ، ورؤيا القديس بولس . . . وللأيرلنديين رحلات خيالية إلى العالم المجهول مثل رحلة القديس براندان ، ومن ذلك رحلة الفارس أوين التى تعرف باسم مطهر القديس باتريك ...

وفضلا عن ذلك فقد وجد فى إيطاليا فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر جماعة من كتاب الرؤيا (المشاهدة) وصفوا الحياة فى عالم ما بعد الحياة ، مثل الراهب يوا كيمو دافلورا .... والراهب ألبريجو .... وكذلك تناول القديس توماس الأكوينى الجحيم والطهر والسماء ، ووفق فى ذلك بين المسيحية وفلسفة أرسطو ... » . ثم يشير المؤلف أيضاً إلى رؤيا بونفوزين داريفا من ميلانو ، والمركيز أوجو دى براندبرج ، وماتيلدا دى مجدبورج ، وماتيلدا دى هاكنبورن عن الجحيم والفردوس[2] .

وكان آباء الكنيسة الأوائل مثل القديس أوريجانوس Saint Origène والقديس كليمان السكندرى Saint Clelment كثيراً ما يتحدثون عن هجرة الأرواح إلى العالم الآخر ، وقيامة الأجساد الأثيرية بعد الموت مباشرة ، وهذا هو جوهر البحث الروحى الحديث ، كما هو جوهر كل عقيدة دينية عرفها الإنسان .

---

(١) راجع « أحاديث فى الروحية للعلامة شو دزمند » مترجمة عن الانجليزية ومجلة « عالم الروح » عدد أكتوبر سنة ١٩٥٥ ص ٢ .

(٢) عن المرجع السابق ص ٥٧ ، ٥٨ .

فأوريجانوس الذى عاش فى القرن الثالث الميلادى يقول مثلا « ما زالت كل النفوس التى غادرت هذه الدنيا محتفظة بحبها للذين فيها ويضع أصحابها أنفسهم لأجل تخليصهم ومساعدتهم بصلواتهم وشفاعتهم عند الله ». ويستشهد على ذلك بأن أرميا النبى كان يصلى دائماً من أجل الشعب . كما يقول أيضاً « فى رأيى أن كل الآباء الذين رقدوا قبلنا يحاربون فى صفنا ويساعدوننا بصلواتهم» .... ثم جاء عصر فيه رأت مجامع نيقية والقسطنطينية أن تفصل ما بين البحث فى الروح وما بين العقيدة الدينية لغير حكمة مفهومة .

ولعل معارضو البحث الروحى من رجال الدين المسيحى — ومن يقف منه موقفاً سلبياً حتى اليوم — يرون أن هذه القرارات أولى بالاتباع من النموذج الذى أعطاه السيد المسيح ، ومن تعاليم بولس الرسول ، ويوحنا البشير وغيرهما ، وأن قرارات المجامع التى كان يمليها أحياناً أباطرة الرومان إملاء من عندهم أولى بالعصمة من العهدين القديم والجديد معاً ، كما يرون أيضاً أن بعض تفاسير متسرعة غير علمية قيلت فى عصور من الظلام الفكرى أولى بالاتباع من آيات صريحة حاسمة ، كانت كفيلة بأن تدفع عجلة هذا البحث العلمى كله للأمام وتبارك خطواته .... لو عرف العقل قدر الحقيقة العلمية فى تعزيز الإيمان المستنير وتثبيت أقدامه ، وتفوقها فى ذلك على التسليم الأعمى والجمود الممقوت .

ولسنا نريد أن نقف طويلا عند هذا الموضوع ، لأننا نهدف إلى البحث فى العلم الروحى الحديث لا فى العقيدة . ولولا شبهة غامضة ليس لها ما يبررها كانت — ولا تزال — قائمة عند بعض الجامدين ، منذ ظهور هذه الكشوف ، لما وجدنا أنفسنا فى حاجة إلى هذه الكلمات القليلة فى موضوع واضح كل الوضوح من الناحية الدينية . وذلك خصوصاً لأن موقف الكنيسة الآن قد تحول — فيما يبدو — تحولا واضحاً وقوياً فى شأن موضوع الأرواح ، إلى الحد الذى

قد يعبر عنه قول الدكتور جورج سيرل رئيس الكنيسة الكاثوليكية فى سانت بول بنيويورك من « أن حقيقة وجود أرواح كما تنادى به الروحية الحديثة لم يعد موضع سؤال اليوم، حتى بين رجال العلم إذ أن هؤلاء قد أجروا فيها الأبحاث. فكل من يعتبر ظواهرها سفسطة، أو كذباً، أو خداعاً، ما هو إلا شخص متأخر ليس إلا » . كما قال ج. ج. فرانكو فى سيفلتا كاثوليكا « لا يوجد فى يومنا هذا من ينكر الحقائق الروحية ماعدا القلائل الذين يعيشون وأقدامهم فى الأرض وعقولهم فى القمر ... » .

بل إن الدكتور جودفرى روبرت Godfrey Rupert مبعوث البابا بيوس العاشر الذى سافر إلى أمريكا لمخاطبة الكاثوليك الأمريكان فى شأن موضوع الأرواح قد أعلن بياناً مطولا على لسان البابا ونيابة عنه جاء فيه « أن الكنيسة تسلم بحقيقة الظواهر الروحية وبالأرواح المحدثة لها ، نعم إنها سلمت فى الواقع بصدق ذلك كله ...والمسألة الآن هى استكشاف طبيعة الروح ». ثم أضاف البيان «أن البحث فى الروحية دراسة جديدة وهو لذلك دراسة خطرة، والمعرفة المبتورة قد تسبب أخطاراً شديدة ... » وخطر المعرفة المبتورة لا ينازع فيه إنسان ، لكنه لا يعادل على أية حال خطر تجاهل الحقائق العلمية أو المكابرة فيها ، وهى خطة بعض المتحدثين باسم العقيدة حتى الآن .

الفصل الخامس

الروح عند فلاسفة الإسلام

القرآن الكريم يفيض — كالإنجيل — بالآيات التى تتحدث عن الروح فى خلودها وثوابها وعقابها ، كما يفيض بالظواهر التى تتفق مع العلم الروحى الحديث ، ومثله الأحاديث النبوية الشريفة . وسنعالج فى مناسبة لاحقة ، عندما نتكلم فى انتقال العلم الروحى الحديث إلى بلادنا ، كيف أوضح بعض العلماء والباحثين أن الظواهر الوساطية أو الروحية واردة فيهما ، وكيف أمكن التوفيق تماماً بين علم الروح الحديث وبين العقيدة عند علماء كبار مثل المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى ، وهو من أصحاب التفاسير المشهورة فى العالم الإسلامى ، ومثل العلامة محمد فريد وجدى فيلسوف الإسلام فى دائرة معارف القرن العشرين ، وغيرهما كثيرون .

إنما فى هذا الباب الحالى الذى خصصناه للكلام فى « عجالة عن الروح عند الأقدمين » يكفى أن نبين كيف عالج أكبر فلاسفة الإسلام الأقدمين موضوع الروح من أمثال الفارابى ، وابن سيناء ، والغزالى ، وابن رشد ، وابن باجة ، وابن طفيل ، وابن القيم الجوزية ، وابن خلدون وغيرهم ...

فها هو مثلا الفيلسوف أبو نصر محمد بن طرخان الفارابى[1] يقول فى كتابه « الثمرة المرضية » إن الروح الذى لك من جوهر عالم الأمر ، ولا يتعين بإشارة ، ولا يتردد بين سكون وحركة . فلذلك تدرك المعلوم الذى فات ، والمنتظر الذى هو آت ، وتسبح فى عالم الملكوت ، وتنتقش من خاتم الجبروت » .

---

(١) ولد حوالى سنة ٢٥٩ هجرية وتوفى حوالى سنة ٣٣٩ هـ (٩٠٠ م) .

كما حاول الفارابي التوفيق بين تعريف كل من أفلاطون وأرسطو للنفس « فمن جهة يقول كأفلاطون إن النفس العاقلة هي جوهر الإنسان عند التحقيق وأنها لا تفنى بفناء البدن ، وأن المعرفة الحقة هي سبيل الصعود إلى العالم العلوى. لكنه يقول من جهة أخرى تبعاً لأرسطو بأن النفس صورة وكمال للبدن ، وأنها لا توجد قبله . وأن المادة هي سبب الاختلاف بين أفراد النوع الواحد . » (١)

وها هو الفليسوف الطبيب أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا(٢)، الذى يعد إمام فلاسفة المسلمين فى دراسة النفس، يقيم الأدلة الكثيرة على وجود النفس وعلى خلودها بعد الموت فيقول « تأمل أيها العاقل فى أنك اليوم فى نفسك هو الذى كان موجوداً فى جميع عمرك ، حتى أنك تتذكر كثيراً مما جرى من أحوالك. فأنت إذن ثابت مستمر لاشك فى ذلك ، وبدنك وأجزاؤه ليس ثابتاً مستمراً ، بل هو أبداً فى التحلل والانتقاص . ولهذا يحتاج الإنسان إلى الغذاء بدل ما تحلل من بدنه ... فذاتك مغايرة لهذا البدن وأجزائه الظاهرة والباطنة . فهذا برهان عظيم يفتح لنا باب الغيب ، فإن جوهر النفس غائب عن الحس والأوهام »(٣).

كما يقول أيضاً « ... ولو كانت القوة الناطقة قوة جسمانية لكان لا يوجد أحد من الناس (على مر السنين) إلا وقد أخذت قوته تنقص ، ولكن الأمر فى أكثر الناس على خلاف هذا . بل العادة جرت فى الأكثر أنهم يستفيدون ذكاء فى القوة العاقلة وزيادة بصيرة . فإذن ليس قوام القوة المنطقية بالجسم والآلة ، وإذن هى جوهر قائم بذاته » (٤) .

كما أقام البراهين على أن الصلة بين الروح والجسد صلة عرضية ، فلا يؤدى

---

(١) عن الدكتور محمود قاسم « فى النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والاسلام » طبعة ٣ ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٢) ولد فى سنة ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) وتوفى فى سنة ٤٢٨ هـ (١٠٣٧ م) .

(٣) « رسالة فى معرفة النفس الناطقة وأحوالها » ص ٧ نشرها الدكتور محمد ثابت الفندى.

(٤) « النجاة مبحث القوى النفسانية » ص ٧١ .

فناء الجسد إلى فناء الروح . ففى رسالته « معرفة النفس الناطقة وأحوالها » ، يقول « اعلم أن الجوهر الذى هو الإنسان فى الحقيقة لا يفنى بعد الموت ولا يبلى بعد المفارقة عن البدن ، بل هو باق لبقاء خالقه تعالى . وذلك لأن جوهره أقوى من جوهر البدن ، لأنه محرك البدن ومدبره ومتصرف فيه . والبدن منفصل عنه تابع له ، فإذن لم يضر مفارقته عن الأبدان وجوده . . . » إلى أن يقول : « ثم إن الإنسان فى نومه يرى الأشياء ويسمعها ، بل يدرك الغيب فى المنامات الصادقة بحيث لا يتيسر له فى اليقظة . فهذا برهان قاطع على أن جوهر النفس غير محتاج إلى هذا البدن ، بل هو يضعف بمقارنة البدن ويقوى بتعطله . فإذا مات البدن وخرب تخلص جوهر النفس عن جنس البدن »[١] .

ثم يجىء دور فيلسوف آخر هو الإمام أبو حامد الغزالى (سنة ٤٥٠ — ٥٠٥ هجرية)، فنجده يتحدث عن النفس والروح ويفرق بينهما : « فالنفس لديه هى ذلك الجوهر الذى يجمع بين العالمين ، وهما عالم العقل أى العالم الإلهى وعالم الحس أى العالم المادى . وقد وصف الغزالى هذين العالمين على نحو قريب جداً مما فعل أفلاطون ، بل ذهب إلى أن العالم الثانى ظل وخيال للعالم الأول ، إذ يقول إن الرحمة الإلهية جعلت عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت ، لأنه لا يوجد شىء فى العالم الأول إلا وهو مثال لشىء من ذلك العالم . وربما كان الشىء الواحد مثالا لأشياء من عالم الملكوت ، وربما كان للشىء الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة »[٢] .

وسنبين فى الجزء الثانى — عندما نتحدث عن « ظروف الحياة فى عالم الروح » — كيف أن المعلومات الحديثة لا تخرج عن رأى الإمام الغزالى فى الكثير من هذه الناحية ، بل ومن ناحية الثواب والعقاب، على ما سنبينه فى باب

(١) عن المرجع السابق ص ٩ ، ١٠ .
(٢) عن « مشكاة الأنوار » طبعة مصر سنة ١٩٠٨ ص ٤٥ ، ٤٦ . والدكتور محمود قاسم المرجع السابق ص ١٠١ .

آخر ، مما يشير إلى صدق ما لاحظه الباحثون فى الروح عن الغزالى من أنه كان ملهماً من أحسن الملهمين قبل أن يكون مفسراً .

كما كان الإمام الغزالى يرى أن الجسد منزل أو مسكن للروح ، وأنها تحل به لعناية إلهية ، أى كيما تزود لآخرتها من هذا العالم ، وتظل فى ذلك الجسد لمدة محددة لا تقبل زيادة ولا نقصاً ثم ينقضى أجلها[١] . ويقرر أيضاً أن سعادة الإنسان لا تكمل إلا بعد الموت «وهناك تختلف حظوظ الناس منها ، فإن النفوس التى تشغل بالبدن فيلهيها ويصرفها عن الشوق وعن طلب الكمال الذى قدر لها ، وعن الشعور بلذة هذا الكمال ، لا تستطيع التخلص بعد الموت مما لحقها من ثقل البدن وشهواته .... وتجد أن هناك نوعاً عظيماً من التضاد بين العالم الذى غادرته والعالم الذى انخرطت فى سلكه ، وحينئذ يشتد بها الأذى . ومع ذلك فإن هذا الأذى لا يدوم أبد الدهر لأنه لم يكن ذاتياً بل يرجع إلى أسباب عارضة . وإذن فلا تخلد النفوس فى العذاب أبد الدهر ، وإنما تنمحى ذنوبها شيئاً فشيئاً حتى تصفو وتدرك هذه السعادة التى قدرت لها»[٢] . كما قال الغزالى بأن البعث معناه إيجاد لمثل ما كان ، لا لعين ما كان ، وأن جمع جميع الأجزاء محال وليس ضرورياً حتى يحتج باستحالته[٣] . وهذا هو — فى جملته — ما أقرته أبحاث الروحية التجريبية على ما سيلى فى مناسبته .

كما يقول الغزالى أيضاً عن الروح إن اللطيفة الربانية الروحانية (الروح) على علاقة مع القالب الجسمانى ، وقد تحيرت عقول أكثر الخلق فى إدراك وجه علاقتهما ، فإن تعلق الروح بالقلب يضاهى تعلق الأعراض بالأجسام ، والأوصاف بالموصوفات ، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة ، أو تعلق المتمكن بالمكان[٤] . «وهكذا فى الوقت الذى يرمز النفخ من الروح الإلهية فى الجنين المتقبل لها ، إلى بداية

(١) عن « رسالة إلى ملكشاه » ص ٣٦ .
(٢) عن الدكتور محمود قاسم ، المرجع السابق ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .
(٣) عن « تهافت الفلاسفة » ص ٣٦ .
(٤) عن « الأحياء : كتاب شرح عجائب القلب » ص ١٣٥٠ .

الاتحاد بين الجوهر والعرض فى الإنسان ، فإن الموت يرمز إلى عودتهما إلى الانفصال ، وكل ما يبقى بعد الموت هو الجوهر . ولا يعنى الموت بالنسبة إلى جوهر الإنسان إلا اللحظة التى يتخلص فيها من العرض، ولكن ماخلق كاستعداد عنده فى جوهره يتحول فى هذه اللحظة إلى شىء واقع . ويعكس الواقع الفعلى لروحه بعد الموت الآثار المتجمعة لمعرفته ، والأعمال التى قامت بها الروح أثناء وجودها فى الجسد . وهذا يعنى بعبارة أخرى أن جوهر الإنسان هو قدرته على المعرفة . ولكن هذه الطبيعة تسلم نفسها للتكيف عن طريق المعرفة الفعلية والتجارب التى يكتسبها فى حياته ، وهذه الطبيعة هى « الغريب » الذى يفد إلى هذا العالم لاكتساب المعرفة والخبرة بأعمال الله.

والذى يكتسبه هذا «الغريب» يولد اتجاهات وصفات تشبه اتجاهات وصفات الملائكة أو الحيوانات أو الشياطين ونزعاتها، وبالرغم عن أن هذه الصفات تصبح جزءاً لا يتجزأ من طبيعة الإنسان الأساسية فى نموها إلا أنها مكتسبة . وكل ماهو أصيل فى هذه الطبيعة هو الفطرة، أو ميل الإنسان إلى معرفة الله . لكن هذه الفطرة مرنة تتكيف فى نموها الفعلى تبعاً للعلاقات التى تتأصل بينها وبين الشهوات والغضب. وهكذا تعكس هذه العلاقات المتأصلة الأحوال الفعلية لطبيعة الإنسان الأساسية ، وعلى ضوء هذه الفطرة وحدها يمكن وصف هذه الطبيعة بأنها تحمل خصائص الملائكة أو الحيوانات أو الشياطين .

وعلينا دائماً أن نذكر الفرق الهام بين طبيعة الإنسان الأساسية كطاقة وميل، وبينها ككيان ينمو بصفات معينة لنفهم إصرار الغزالى على العلاقة الوثيقة بين طلب المعرفة وبين الرياضة الخلقية فى نمو الإنسان . وما هى إذن طبيعة الروح التى هى الطبيعة الأساسية للإنسان ؟ ... ، إنها « اللطيفة الربانية التى تحل فى الجسم وتقيم فيه ، ونعبر عنها بعبارات مختلفة حسب حياتها وأعمالها المختلفة فى البدن . لكن اللطيفة نفسها التى يشير إليها أى من هذه العبارات هى فوق مستوى الفهم

العادى . فهى من عالم الأمر . ولذلك تتحدى أى تعريف أو وصف . وعلى الإنسان أن يكتشف طبيعتها بنفسه وبمفرده . ويلجأ الغزالى أحياناً إلى الاستعارات، وأخرى إلى التشبيه، وثالثة إلى التعابير الرمزية عندما يتحدث عن الروح ...»[١].

ثم يجىء دور فيلسوف قرطبة القاضى أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (سنة ٥٢٥ — ٥٩٥ هـ) . وهو أبعد فلاسفة الإسلام ذكراً ، وفى نفس الوقت يعد من أكبر شراح أرسطو . وهو يقول «إنا ندرك النفس وأشياء كثيرة ، ولا ندرك حدها . ولو كنا ندرك حد النفس مع وجودها لكنا نعلم ضرورة من وجودها أنها فى جسم أو ليست فى جسم ، لأنها إن كانت فى جسم كان الجسم ضرورة مأخوذة فى حدها ، وإن لم تكن فى جسم لم يكن الجسم مأخوذاً فى حدها . فهذا هو الذى ينبغى أن يعتقد . . . . »[٢] .

وانحاز ابن رشد صراحة للإمام الغزالى قائلا « وما يقوله هذا الرجل جيد . . ولا بد فى معاندتهم أن نوضح أن النفس غير فانية كما دلت عليه الدلائل العقلية والشرعية . وأن يوضح أن التى تعود هى أمثال هذه الأجسام التى كانت فى هذه الدار لا هى بعينها ، لأن المعدوم لا يعود بالشخص[٣] » . فهو يتحدث عن الجسد الأثيرى ، وهو مثل الجسد المادى ، وهو الذى يعود بالنفس إلى الدار الأخرى .

كما أن ابن رشد أقام البراهين على خلود الروح فى كتابه « الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة » ، وفيه يبين كيف أن الإنسان لم يخلق عبثاً وإنما كيما يدرك الكمال فى العلم والفضيلة ، وليس إدراك ذلك ممكناً فى هذه الحياة الدنيا لأنها عابرة ، فلا مفر من التسليم بوجود حياة أخرى تعود إليها النفس

---

(١) عن « الإنسان عند الغزالى » للدكتور على عيسى عثمان . تعريب الأستاذ خيرى حماد ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٢) عن « تهافت التهافت » طبعة بيروت . ص ٥١٧ .

(٣) عن المرجع السابق فى آخره .

كما تلقى جزاءها ، وهذا أول دليل على خلود الإنسان . والدليل الثانى استمده من طبيعة الصلة بين الروح والجسد وأنها صلة عابرة ، إذ ليس الجسم سوى آلة تستخدمها النفس ، ووسيلة إلى إدراك ما يحتوى عليه عالم الحس . وهو يرى أن الخلود لجميع النفوس دون أية تفرقة ، وسواء أكانت نفوساً شقية أم سعيدة .

ومن يراجع أقوال فلاسفة آخرين مثل أبى بكر محمد بن يحيى الشهير بابن باجة[(١)] ، ومثل أبى بكر محمد بن عبد الملك الشهير بابن طفيل[(٢)] ، يجد الكثير من حقائق الروح ومن البيانات عن خلودها وعن عوامل سعادتها وشقائها .

ثم يجىء دور عالم معروف فى الروح وهو الإمام شمس الدين أبى عبد الله ابن القيم الجوزية[(٣)] . ومن يرجع إلى كتاب «الروح لابن القيم» يجد الكثير من البيانات عن أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء . وفيه يبين كيف أن الأرواح قسمان : أرواح معذبة وأرواح منعمة . فالمعذبة فى شغل بما هى فيه من العذاب عن التزاور والتلاقى ، والأرواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا ، وما يكون من أهل الدنيا ، فتكون كل روح مع رفيقها الذى هو على مثل عملها[(٤)] . ويبين كيف أن الشواهد كثيرة على تلاقى أرواح الأموات ، وكيف أن الأدلة أكثر من أن نحصيها ، إلا الله تعالى والحس والواقع من أعدل الشهود بها فتلتقى أرواح الأحياء والأموات كما تلتقى أرواح الأحياء[(٥)] .

ويصف ابن القيم الروح بأنها « تأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها فإنها تتأثر وتنتقل عن البدن ، كما يتأثر البدن وينتقل عنها ، فيكتسب البدن الطيب

---

(١) توفى فى سنة ٥٣٣ هجرية (١١٣٨ م) .
(٢) توفى بمراكش فى سنة ١١٨٥ ميلادية .
(٣) توفى سنة ٧٥١ هجرية .
(٤) طبعة سنة ١٩٧٥ ميلادية ص ١٧ .
(٥) عن المرجع السابق ص ٢٠ .

والخبيث من طيب النفس وخبثها[١] » . ثم ينتقل ابن القيم إلى المسألة التاسعة عشرة وهى « ما حقيقة النفس وهل هى جزء من أجزاء البدن ، أو عرض من أعراضه ، أو جسم مساكن له مودع فيه ،أو جوهر مجرد ؟ وهل هى الروح ، أو غيرها ؟ وهل الأمارة واللوامةوالمطمئنة نفس واحدة لها هذه الصفات أم ثلاث أنفس ؟ » .

وبعد أن يستعرض شتى الآراء فى هذه الأمور ينتهى إلى ترجيح الرأى القائل إن الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جسم نورانى علوى خفيف متحرك ينفذ فى جوهر الأعضاء ويسرى فيها سريان الماء فى الورد ، وسريان الدهن فى الزيتون ، والنار فى الفحم ، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقى ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء ، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية . وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح . ثم يضيف «وهذا القول هو الصواب فى المسألة.وهو الذى لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة ، وعليه دل الكتاب والسنة،وإجماع الصحابة،وأدلة العقل والفطرة ، ونحن نسوق الأدلة عليه على نسق واحد »[٢] .

ثم ها هو العلامة المشهور عبد الرحمن ابن خلدون — الذى ولد فى تونس وكان سفيراً فى الأندلس وتوفى بالقاهرة سنة ١٤٠٦ م وهو قاض للقضاة — يتحدث عن بعض أنواع من الجلاء البصرى ويصفه بأنه « إدراك يتعلق بالروح لا بالبصر » . كما يتحدث فى مؤلفه « تاريخ العالم » الذى أصبح يعرف فيما بعد « بمقدمة ابن خلدون » عن مس الجان ويعزو إليه بعض حالات الجنون.

(١) عن المرجع السابق ص ٣٨ .
(٢) « « « ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

كما يقول « إن الروح تؤثر فى الجسم المادى كما تتولد الحرارة بالضحك أو الحزن » . ويشير إلى اتحاد الروح بالشىء المادى «وكيف تتجلى فيه الطبائع السماوية العليا والطبائع الدنيوية السفلى » . . .

كما تحدث عن الخلود الإمام الأصفهانى قائلاً « إن الموت المتعارف الذى هو مفارقة الروح للبدن هو أحد الأسباب الموصلة للإنسان إلى النعيم الأبدى، وهو انتقال من دار إلى دار ، فهو وإن كان فى الظاهر فناء واضمحلالاً فهو فى الحقيقة ولادة ثانية . فالموت أى مفارقة الهيكل إذن ضرورى فى كمال الإنسانية ، ولكون الموت سبباً للانتقال من حال أوضع إلى حال أشرف وأرفع سمّاه الله تعالى توفياً وإمساكاً عنده ، فقال تعالى «الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى» .

ويقول ابن مسكويه « الموت ليس بشىء أكثر من ترك النفس استعمال آلاتها ، وهى الأعضاء التى يسمى مجموعها بدناً . كما يترك الصانع استعمال الآلة . وأن النفس جوهر غير جسمانى وليست عرضاً ، وأنها غير قابلة للفساد ، وأن ذلك الجوهر مفارق لجوهر البدن ، مباين له كل المباينة بذاته وخواصه وأفعاله وآثاره . فإذا فارق البدن على الشريطة التى شرطها من الخير بقى البقاء الذى يخصه ، ونقى من كدر الطبيعة، وسعد السعادة التامة، ولا سبيل إلى فنائه وعدمه » .

وأما إخوان الصفا «فقد أرجعوا خوف الناس من الموت وكراهيتهم له إلى أن هذا حتى لا تعلم النفوس أن لها وجودا خلواً من الأجسام ، لأنها لو علمت لفارقت أجسادها قبل أن تتم وتكمل . وإذا فارقت أجسادها قبل ذلك بقيت فارغة عطلاً بلا فعل أو عمل . وأن النفوس الكاملة إذا فارقت أجسادها تكون مشغولة بتأييد النفوس الناقصة المجسدة لكيما تتم هذه ، وتكمل تلك، وتتخلص من حال النقص وتبلغ حال الكمال ، وترتقى هذه المؤيدة أيضاً إلى حال هى أكمل وأشرف وأعلى ، وأن إلى ربك المنتهى»(١) .

---

(١) عن كتاب « الحياة الأخرى » للأستاذ عبد الرزاق نوفل ص ٧٤ .

الفصل السادس

الروح فى عصور أحدث مما تقدم

إذا انتقلنا إلى عصور أحدث من عصور الرسالات السماوية نجد أحسن شعراء هذه العصور قد تحدثوا عن الروح وخلودها وعن اتصالها بالبشر ،وكتبوا فيها ببلاغة « الشاعر » بها والواثق مما يقول . ومنهم مثلا شكسبير الذى ملأ رواياته بظهور الأرواح والأشباح، وبآلامها ومباهجها، وبرضاها وبغضبها،وبوجه خاص فى روايات مكبث والملك لير وهملت . ومن الشعراء الذين تحدثوا عنها أيضاً تنسون ، وبا كون ، وملتون ولونجفلو ، ووردز ورث ، وفيكتور هيجو وغيرهم.ومن يتجول فى الأدب العالى الراقى يأخذه العجب من الدور الضخم الذى تقوم به الأرواح فى هذا الأدب ،ويزداد هذا الدور قوة كلما ازداد الشعر أو الأدب روعة ، حتى ليبلغ ذروته فى شعر شكسبير أبرز شعراء التاريخ .

***

وإذا انتقلنا إلى الهند وجدنا فيلسوفها وشاعرها العظيم رابندرانات طاغور (١٨٦٢ — ١٩٤١) يتحدث كثيراً عن الروح فى عمق وبلاغة رائعة . فهو مثلا يقول : « لقد حذرت من يستمعون إلىّ ، وأعيد تحذيرهم مرة أخرى ، من أن ينخدعوا بذلك الرأى الذى يقول إن معلمى الهند ومرشديهم يشيرون إلى نبذ الحياة والنفس حيث الفراغ والحياة السلبية ، فقد كان مقصدهم تحقيق الروح أو بعبارة أخرى الوصول إلى الحياة بالمعنى الصحيح . وقد كان المسيح يعنى ذلك عندما قال « طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض » . وإنه ليعنى هذه الحقيقة ، وهى أن الإنسان حين يتخلص من كبريائه يصل إلى ميراثه الحق ، وليس عليه أن يناضل بأكثر من هذا ليحتل مكانه فى الحياة . فالخلاص أمامه حيث سار يحق روحه الخالدة ، إلا أن كبرياء النفس هى التى تتدخل فى

وظيفة الروح الصحيحة ، وهى تحقيق نفسها بعقد الأواصر بينها وبين العالم ، وبينها وبين إله العالم[١] » .

ثم يقول عن عودة الروح إلى موطنها الأصلى « أجل إن المسافرين سيفدون زرافات ووحدانا ويسعون إلى ميراثهم الصحيح فى ذاك العالم ، وستتسع دائرة وعيهم إلى الأبد ، وسيبحثون على الدوام عن وحدة أسمى وأسمى ، ويقتربون دائماً من مركز الحق الذى يشمل كل ما فى الوجود . . » .

ويقول أيضاً : « كما أن الطفل فى رحم أمه يجد قوامه باتصال حياته بحياتها التى هى أوسع من حياته ، فكذلك روحنا تجد غذاءها فى الخير فحسب ، ذلك الخير الذى يعد بمثابة الإدراك لوشائجها الباطنة والممر الذى يوصلها إلى اللانهائى الذى يحيطها ويغذيها . لذلك قيل « طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون » . فالحق هو غذاء الروح المقدس ولا يشبع الإنسان ويجعله يحيا حياة اللانهاية ، ويساعده على المسير إلى الأبد شىء سواه . إننا ننحنى إجلالا لك يامن تنبعث عنه مسرات حياتنا ، وننحنى لك يا من ينبعث عنه خير روحنا ، وننحنى لك يا من هو الخير والخير الأسمى ، يا من فيك نتصل بسائر الأشياء فى الأمن والتوافق والإحسان والحب » . .

كما يقول أيضاً : « وإذا كان ثم كسب متواصل فى الحياة ، وكانت تلك الحياة لا تنتهى بنا إلى الفراغ والعدم بل إلى الامتلاء والوفر ، فإن هذه المظاهر السلبية وأعنى آلامها المبرحة وتضحياتها تزيد فى نفاستها . وقد تبين أنها كذلك لمن أدركوا عظمة الناحية الإيجابية فى النفس وتقبلوا مسئولياتها بشغف ، وتحملوا التضحيات فى غير ما إحجام » . .

ويقول طاغور : « من واجب النفس أن تطرح سنها على الدوام وتمد حدوده فى عالم النسيان والموت لكى تحقق شبابها الخالد ، ويجب أن تنبثق شخصيتها

---

(١) عن « مختارات من طاغور » للأستاذ طاهر الجبلاوى ١٩٦١ ص ١١١ .

فى العالم الشامل آنا بعد آن ، وتمر منه كل لحظة على الدوام حتى تتجدد حياتها الفردية . وعليها أن تساير النغم الأبدى وتلمس الوحدة الجوهرية فى كل خطوة، وبذلك يظل انفصالها فى توازن بين الجمال والقوة . إننا نشاهد فى كل مكان قصة الحياة والموت أو تحول القديم إلى الجديد . . وإن نفسنا ينبغى أن تعرف أنها تولد جديدة فى كل لحظة من لحظات حياتها ، ويجب أن تتحرر من الأوهام التى تحبسها فى قشرتها،وتظهرها فى مظهر الكبر،وتثقلها بعبء الموت . فالحياة شباب أبدى ، وإنها لتكره الشيخوخة التى تعرقل سيرها ولا تنتمى للحياة فى حقيقتها ، وإنما تتبعها كما يتبع الظل المصباح »[١] .

***

وهذا الذى ذكرناه عن الروح حتى الآن إنما يمثل فى جملته الروح فى جانبها الفلسفى ، وذلك منذ عهود التاريخ الغابرة إلى عهد الإغريق . وقد قصدنا بهذه المتابعة التاريخية ربط الحاضر بالماضى ، ولذا فقد تابعنا تطور الروح بعد الإغريق فى المسيحية ، ثم فى الإسلام، حتى وصلنا بها إلى فيلسوف الهند طاغور الذى توفى فى سنة ١٩٤١ ، كيما نبين كيف أن الروح الإنسانية — كحقيقة خالدة مستقلة عن الجسد المادى وخاضعة لنواميس خاصة — لم تكن محل شك عند أحسن فلاسفة التاريخ بين قدمائهم ومحدثيهم .

ثم ظهر فى معالجة الروح أسلوب جديد ، متفق مع أسلوب العصر العلمى وهو أسلوب البحث التجريبى الذى جاء مؤيداً لهذه الحقيقة الفلسفية ، بأدلة مستمدة من تمحيص ظواهر معينة لا شك أنها بدورها قديمة قدم الإنسان ، لكنها لم تكن تظفر فى الماضى بالتحقيق العلمى المطلوب. وإنما خضعت لهذا التحقيق على نطاق واسع بعد أن ألف عقل الإنسان أن يمحص كل ظاهرة طبيعية مهما بدت ضئيلة الشأن ، وكان ذلك هو مصدر جل كشوفه العلمية الضخمة . ألم يكتشف نيوتن قانون الجاذبية من تأمله فى

---

(١) عن المرجع السابق ص ١٣٠ ، ١٢٨ ، ١٤٠ .

سقوط تفاحة على الأرض؟ . ألم يكتشف جيمس وات قوة البخار من تأمله فى علة تحرك غطاء إناء به ماء مغلى ؟ . ألم يكتشف أينشتين قانون النسبية من تأمله فى الفضاء الخارجى وكيف يبدو لأبصارنا كرويا مع أن أمواج الضوء تسير فى خطوط مستقيمة ؟ ! . .

هكذا بدأ بحث العصر العلمى للروح تحت وطأة طرقات وظواهر ، بدت فى مبدئها تافهة ضئيلة الشأن فى كوخ الدعو ويكمان فى قرية صغيرة على بعد حوالى عشرين ميلا من مدينة روشستر بولاية نيويورك فى شهر مارس من سنة ١٨٤٨ . لكنها على ضآلة شأنها أبت أن تنقطع إلا بعد أن اجتذبت انتباه العلماء والباحثين — رغماً عنهم وعن كل معلوماتهم المادية — ودفعتهم دفعاً إلى بحثها ، وتقصى مصدرها بكل مالديهم من سبل صارمة مادية للتحقيق .

وكأن يد القدر الرحيم أرادت أن تكون هذه الدقات الخافتة بمثابة النذير الذى أيقظ ضمائر الغافلين ، أو بمثابة المعول القوى الذى قوض عمد العصر المادى فى نفس بيئاته ، كيما تقيم على أنقاضه عصراً روحياً بادخاً ما كان أشد المتفائلين يتصور له قياماً ، بكل هذا التأثير الدافق على النفوس . فالعلم الروحى الحديث إن هو إلا مجرد طور جديد من التفكير الإنسانى فى الروح طابعه البحث التجريبى الصرف . وهو لذلك أكثر إقناعاً من أطواره القديمة ، لما فيه من بنيان علمى متماسك هو الطابع المميز للتطورات الحديثة فى الطب والفيزياء والكيمياء والقانون والرياضة ... بالمقارنة مع أطوارها القديمة . لذلك كان أعصى من غيره على النقد ، وأقدر على نفع الإنسان فى تقدمه المستمر فى كافة مناحى الحياة ، بل أيضاً فى تكوينه العقلى والروحى . . أليس التقدم سنة النشوء والارتقاء ؟ . ولم نؤمن بتقدم واضح فى نواحى العلوم كلها ولا نؤمن بتقدم مماثل فى بحث الروح ؟ ! . إن بديهيات المنطق تأبى التفرقة ، وذلك ماسيبين بوضوح بعد أن نعالج موضوع « نشأة العلم الروحى الحديث » .

الباب الثالث

فى نشأة العلم الروحى الحديث

تمهيد

فى الباب السابق تعرضنا لموضوع « الروح عند الأقدمين » فى عجالة سريعة أوضحنا فيها ذيوع الاعتقاد فى الخلود فى جميع العصور ، وفى كافة الجماعات الإنسانية ، وهذا الذيوع فى ذاته لا يمر بغير مغزاه الواضح . وقد قال فيه المفكر بوريس جنكنز Burris Jenkins « إن ذيوع فكرة الحياة التى لا تنتهى فى العالم فى جميع العصور وبين جميع الشعوب قد يشير بذاته إلى أن لها أساساً صحيحاً . فالأفكار هى أكثر الأشياء صدقاً فى العالم ، ولا تنتشر من تلقاء نفسها وبدون حقيقة من ورائها ، فلكل فكرة أساسها ، وفكرة الحياة التى لا تنتهى كائنة فى تاريخ الإنسانية بقدر ما يمكننا الرجوع إلى الوراء . فكيف يكون الأمر كذلك ؟ إن ذلك لا يمكن أن يحدث من تلقاء نفسه . فلابد أن وراءه سبباً وأساساً ، وسنداً من الواقع » [1] .

وهذا السند من الواقع تكفل بإثباته وبدارسته على نحو علمى ، بعيد عن الارتباط مقدماً بأى اعتقاد سابق أو بأى رأى خاص « العلم الروحى الحديث » . ويطلق هذا الوصف على البحوث التى بدأت فى النصف الثانى من القرن الماضى إثر حدوث ظواهر هيدسفيل التى أشرنا إليها أكثر من مرة . وإذا كان الأسلوب العلمى فى بحث ظواهر الطبيعة المختلفة وتمحيصها قد نجح فى الكشف عن قوانين الطبيعة وتسخيرها لخدمة التقدم ، فلا شك أن استخدام هذا الأسلوب نفسه يمكن أن يجىء بنفس النتائج عند اتباعه فى بحث موضوع الروح وبوجه خاص موضوع الظواهر الوساطية .

(١) عن « الكتاب الذهبى عن الخلود » طبعة ١٩٥٤ ص ٥ .
The Golden Book Of Immortality

ذلك أن من شأن الأسلوب العلمي النقد بغير هوادة للتمييز بين الغث والثمين في معلومات الأقدمين والمحدثين معاً . . كما أنه يحسن التفكير التحليلي المترابط في استخلاص النتائج من المقدمات التي تصمد للنقد، وذلك ما تعجز عنه بداهة الفلسفة النظرية الصرف . ويتطلب الأسلوب العلمي أيضاً ماهو أثمن من كل ذلك ، وهو محاولة الربط بين هذه النتائج وبين أوليات العلوم الأخرى توصلا إلى الحقيقة العلمية وحدها، والتي يعتبرها الباحثون الجادون أثمن شيء في الوجود. فليس لديهم أثمن من الصواب ولا أجدر بالبحث عنه من أقرب سبله، وهو سبيل الملاحظة والتجريب الناقد في يقظة وتحليل صحيح للأمور .

فهم يعلمون جيداً — كما كان ينادي ديكارت صاحب المنهج التحليلي الناقد — أنه ليس مما يتفق مع طبع العالم أو الفيلسوف أن يسلم بصحة شيء لم يتحقق منه ، ولا أن يركن إلى الثقة بالحواس ، فلا يكون اطمئنانه إلى ما تلقاه في طفولته من أحكام هو جاء أكثر من اطمئنانه إلى ما يقضي به العقل الناضج . كما أنهم يعلمون جيداً أنه للبحث عن الحقائق ينبغي التخلص أولا من الأحكام السابقة ، واطراح جميع الآراء التي سلم العقل بصحتها من قبل ، ريثما يحقق مدى صحتها بعد إعادة النظر فيها .

وينبغي كيما نعالج « نشأة العلم الروحي الحديث » أن نتحدث في موضوعين متتابعين : —

— أولهما : موضوع هذا العلم .

— وثانيهما : الظواهر التي نشأ عن ملاحظتها ، وهي الظواهر التي يطلق عليها « الظواهر غير العادية أو غير المألوفة » ، كما يطلق عليها أحياناً « الظواهر الوساطية » .

الفصل الأول

فى موضوع العلم الروحى الحديث

يطلق على « العلم الروحى » الحديث بالانكليزية Psychic Science كما يطلق عليه بالفرنسية Science Psychique . ومن الخطأ الواضح أن يتصور أى إنسان أن هذا الوصف يشير إلى علم النفس ، فإن علم النفس يعبر عنه بالسيكولوجيا (Psychology بالإنكليزية وبالفرنسية Psychologie) .أما أى بحث يشير إلى Psychic Science ، أو ما يقابله بالفرنسية فهو يشير بغير أدنى شبهة إلى علم الروح . وقد اصطلح البحاث على ذلك فى العالم أجمع منذ عرف البحث الحديث فيه طريقه إلى الوجود ، فأطلقوه على مؤلفاتهم،ومعاهدهم، وجمعياتهم، وهيئاتهم،ومؤسساتهم،ودوائرهم،ومجلاتهم، وكل ما يتناول بطريق مباشر أو غير مباشر البحث فى الروح ، بما فى ذلك ثبوت الحياة بعد الموت وحصول الاتصال بين الأحياء « والأموات » .

فأصبح لهذا التعبير Psychic Science معنى اصطلاحى محدد يشير إلى هذا النوع من البحث ، ولا يشير إلى بحوث السيكولوجى أو علم النفس . والكلمتان Psychic و Pyschology مشتقتان معاً من الكلمة اللاتينية Psyché أى العقل أو النفس . فأصبحت الأولى تدل على علم الروح وحده ، وأصبح الاشتقاق القديم sychology يدل على علم النفس وحده بمفهومه التقليدى . ولأن المعنى الاصطلاحى لكلمة Psychic يشير الآن إلى الروح — لا إلى النفس — ويقوم على التسليم « باحتمال » بقائها بعد الموت وبإمكان الاتصال بها ، فإن الترجمة الصحيحة لكلمة Métapsychique ينبغى أن تكون « ما وراء الروح » لا « ما وراء النفس » .

وتعبير « ما وراء الروح » مستخدم فى بعض البلاد اللاتينية كمقابل لعلم « الباراسيكولوجى » فى البلاد الأنجلوسكسونية والألمانية . وكلا التعبيرين يشيران إلى دراسة كافة الظواهر الوساطية بدون ارتباط مبدئى بمصدرها . وهذه الدراسة تمثل الجانب المعملى من علم الروح الحديث . أما جوانبه النظرية فمتعددة : منها مثلا دراسة مدى الارتباط بين هذه الظواهر الوساطية وبين حقائق العلوم الأخرى. ومنها أيضاً دراسة مدى الارتباط بين هذه الظواهر وبين شتى المذاهب الفلسفية والعقيدية فى الأديان المعاصرة والمندثرة ، فهو يفتح الباب واسعاً لدراسة علم العقائد المقارنة على أسس مستنيرة عصرية . ولذلك قلنا فيما سبق إن هذا العلم الروحى أصبح يمثل الرابطة الحقيقية التى تجمع فى عروة وثقى بين موضوعات شتى من العلم والفلسفة والاعتقاد ، لمحاولة فهمهما كمسالك متنوعة للوصول إلى معلومات صحيحة موحدة فى أخطر موضوعات الخلود ، بكل ما يتصل بها من مباحث مفرطة فى دقتها .

والتعبير الفرنسى Spiritisme (بالانكليزية Spiritism) يشير إشارة مباشرة إلى الاتصال بالكائنات غير المنظورة ، وهو يعد على هذا الوضع فرعاً من الأصل العام وهو « علم الروح » . ويستعمل بعض كتاب العربية وصف علم « تحضير أو استحضار الأرواح » ، كمقابل للفظ الأجنبى « اسبرتزم » وهو وصف يعوزه التوفيق فيما يبدو لنا ، لأنه يشير إلى أن الروح قد تخضع لإرادة إنسان ما ، وهذا غير صحيح لأن الروح لا تؤمر ، وليس لأى إنسان أن يزعم أن له عليها أى سلطان . ودور الوسيط هو ـ فحسب ـ دور من يمكنه الاستسلام لقوة واعيــة غير منظورة قد تريد طواعية أن تظهر نفسها بصورة ما للجالسين ، عن طريق السيطرة على جانب من وعى الوسيط متى أمكنها ذلك . وهذا الاتصال يكون لتحقيق هدف راقٍ عند الأرواح الراقية وغير راق عند الأرواح غير الراقية . . أما دور الوسيط فهو سلبى بحت .

وهذه التسمية غير الموفقة « علم تحضير أو استحضار الأرواح » طالما جنت على البحث الروحي في بلادنا، وطالما دفعت بعض الوسطاء أو أدعياء الوساطة إلى إيهام البسطاء أن بمقدورهم تحضير أو استحضار أي روح يطلبونها، مع أن حضور الروح يتوقف على جملة عوامل: منها إرادة الروح نفسها وظروفها، ثم قدرتها على أن تظهر نفسها باستخدام موهبة الوسيط إن كان يتمتع حقاً بأية موهبة وساطية، وقد يمكن للروح أن تستخدمها بحسب معلوماتها الخاصة ومرانها، وقد لا يمكنها هذا الاستخدام مهما بذلت من جهد.

وفي جميع الجلسات الناجحة يلزم وجود أرواح مرشدة أو حارسة على كفاية خاصة، قد تكون إحداها بمثابة «وسيط أثيري» بين الوسيط الأرضي وبين الروح راغبة الاتصال. وكل ذلك لا يجيء جزافاً، بل يحتاج إلى مران، وتنظيم، وبيئة جادة، وإلمام كاف بالموضوع للحكم على نجاح المحاولة أو فشلها. فدور وسيط الأرواح لا يعدو دور وسيط التنويم المغناطيسي. وكل الفارق هو أن الأخير يخضع لإرادة منوِّم لم يتخلَّ عن جسده المادي بعد، أما الأول فيخضع لإرادة منوِّم قد تخلى عن جسده المادي « بالوفاة »، وبشرط توافر عدد وفير من نواميس طبيعية لازمة لتحقيق أي اتصال روحي صحيح، ولم يكشف العلم منها لغاية الآن إلا عن أقل من القليل.

وكل مجرب في الظواهر الوساطية يعلم جيداً كيف أنه قد يمضي أحياناً سنين طوالا لمحاولة الاتصال بروح شخص معين عبثاً، حين قد يتصل بأرواح كثيرة لم تخطر أسماؤها على باله من قبل. لأن نجاح عملية الاتصال الروحي لا يتوقف على مدى علم أي من العلماء الأرضيين، كما لا يتوقف على إرادة الوسيط أو قدرته، فهي عملية أكثر تعقيداً مما يتصور البعض لأنها خاضعة لنواميس طبيعية ليس للعلم المادي عليها أي سلطان.

بل إن تسمية البحث في الأرواح بوجه عام بأنه « العلم الروحي » لا ينبغي

أن تنصرف إلى معنى ادعاء العلم بطبيعة الروح بمعنى الشعلة القدسية التى تهب الحياة للإنسان هنا وهناك ، فهذه لا يعرف أحد عنها شيئاً بعد ، ولم يدع أى عالم أنه قدر أن يعرف كنهها(١) . فهذا العلم ينصب مباشرة على دراسة الروح بمعنى الجسد غير المادى للكائنات الحية لأنه حجر الزاوية فيه . وهذا الجسد غير المادى متداخل فى الجسد المادى ويشغل معه نفس الحيز من الفراغ كتداخل الماء فى العود الرطب ، وهو الذى يحمل الروح فى الكائنات الحية و يستمد منها الحياة ، كيما يهبها — إلى حين — للجسد المادى عن طريق حبل أثيرى يصل بين الجسدين المادى وغير المادى . فالجسد غير المادى أو الأثيرى بخصائصه الطبيعية وأهمها عدم قابليته للفناء . وتأثيره المباشر فى الأثير هو محور علم الروح الحديث ، الذى كان يصح أن يوصف أيضاً بأنه علم دراسة « الجسد الأثيرى » أو علم دراسة « العالم الأثيرى أو ما وراء المادى » .

ولعل بعض الأوصاف الأجنبية لهذا العلم أقرب إلى الدقة والتوفيق من وصف علم الروح . فهو يطلق عليه فيها — كما قلنا — Psychic Science بالإنكليزية و Science Psychique بالفرنسية ، كما يطلق على الاتصال بالأرواح وصف اسبرتزم Spiritisme المستمد من كلمة sp rit أو esprit أى روح ، لا من كلمة Soul الإنكليزية أو Ame الفرنسية وهى تعبر عن الشعلة القدسية التى تهب الحياة والتى ينصرف إليها هى أيضاً لفظ الروح العربى فى المفهوم المألوف له . وقد آثرنا ترجمة عبارة Science Psychique بعبارة « العلم الروحى » لأنه أصبح وصفاً شائعاً معروفاً . واستعمال أى وصف آخر له قد يبعد الذهن عن حقيقة موضوعه . خصوصاً وأننا تعودنا أن نستعمل كلمة « روح » العربية فى التعبير

---

(١) ولعل هذه الحقائق كلها تعطى تفسيراً كافيا للاية الكريمة — « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

عن أكثر من معنى . فنحن نستعملها بمعنى النفس النـــاطقة فى الإنسان ، كما نستعملها أيضاً بمعنى الجسد الأثيرى .

فوصف « العلم الروحى » هو الوصف العام الذى تبحث تحتـــه ظواهر الوساطة الروحية ، فضلا عما قد ترســله الأرواح من بيانات شتى عن ظروف حياتها هناك ، وعن فلسفاتها وآرائها بالإضافة إلى النظريات التى توضح الصلة بين عوالم « الأمر » و « الشهادة » فى ضوء نظريات الاهتزاز وأمواج الأثير . أما الروح التى قد يرى البعض أن البحث فيها ليس فى متناول سبل الإنسان العاديةفهى الشعلة القدسية التى تهب الحياة للإنسان . ولست أعتقد أن أحداً من العلماء زعم لنفسه إمكان إخضاعها للتجريب . أو أنه وصل إلى حقيقة كنهها .

وهكذا كان البحث فى الروح فى بلادنا ضحية عدةأمور مجتمعة حتى الآن : منها وصفه بأنه علم « تحضير للروح » ، وذلك مع أن الروح لا تخضع لإرادة أى محضِّر . ومنها أن كلمة روح تستعمل فى أكثر من معنى ، ومنها بوجه خاص أن بعض عناصر الشعوذة والخلط قد اندست فى الحركة الروحية ، فبعدت بها تماماً عن نطاقها العلمى والخلقى وأساءت أبلغ إساءة إليها ، ولا تزال تسىء لغاية الآن تحت أوصاف راقة شى .

الفصل الثانى

فى الظواهر الوساطية بوجه عام

لم ينشأ العلم الروحى الحديث عن رغبة فى دراسة سر الحياة الإنسانية نبتت لدى أى عالم . بل نشأ عن محض دراسة معملية لظواهر تعرف الآن باسم الظواهر الوساطية ، أو فوق العادية أو غير المألوفة . وهى لا تخضع لسلطان أى إنسان كما قلنا . بل إن الوسيط نفسه لا يعلم كيف تحدث ولا متى . أو لماذا تحدث أحياناً ولا تحدث أحياناً أخرى . وليس لظهور الوساطة سن معينة ، فقد تظهر مبكرة وقد تظهر متأخرة ، وقد تتطور مع الوقت ، وقد تنمو وقد تضعف . وقد يفقد الوسيط موهبته الطبيعية لسبب لا يعلمه . وقد تعود إليه هذه الموهبة بعد وقت طويل أو قصير ، وقد لا تعود إليه أبداً .

كما لا تخضع لسلطان أى عالم أو مجرب ، لأن دور العالم مقصور على التحقق من حدوثها إذا ما حدثت وتدوين مشاهداته بشأنها . فدراسة هذه الظواهر هى أشبه ما تكون بدراسة ظواهر الطبيعة المختلفة التى يقتصر دور العلم المادى على تسجيلها، ومحاولة البحث عن أسبابها وترتيب نتائجها . مثل تجمع السحاب وتكاثفه ، أو تكون قوس قزح ، أو هبوب الريح . أو نمو زهرة أو شجرة ، أو شروق الشمس أو غروبها ، أو كسوفها . أو البقع الشمسية ، أو خسوف القمر ...

وكل ما يملكه الوسيط أو العالم بشأن هذه الظواهر هو تهيئة الظروف التى قد تبدو مؤاتية لتيسير حدوثها ، إذا ما توافرت له باقى الأسباب المطلوبة . ومن هذه الظروف الهدوء ، والتنظيم فى مواعيد معينة ، والمواظبة ، وأحياناً الظلام التام،أو الضوء الخافت أو الأحمر ، بالإضافة إلى وجود الوسيط أو الوسطاء

مجتمعين فى انتظار حدوثها. ويلزم لها جو من التوافق فى الغرفة تبين أنه قد تساعد على تحقيقه الصلاة ، أو الموسيقى الهادئة ، أو الأناشيد .

ونجاح الجلسة قد يتوقف على الأشخاص الموجودين فيها ، إذ قد تنبعث من أحدهم طاقة تعطل الطاقة المنبعثة من الوسيط . أو بعبارة أخرى إن جميع الموجودين فى الجلسة — ومنهم الوسيط أو الوسطاء — يكونون أجزاء فى « بطارية كهربائية » واحدة يتوقف على نوعها وعلى قوتها نوع الظواهر الوساطية التى قد تحدث وقوتها ، بل نجاحها أو فشلها فى النهاية . ومع مراعاة أن بعض الجالسين قد تصدر منه طاقة إيجابية ، والبعض الآخر طاقة سلبية ، وكل ذلك قد يساهم فى نجاح الجلسة أو فشلها .

وفى هذا الشأن يقول الأستاذ جيمس آرثر فندلاى — مدير المعهد الدولى للبحث الروحى — « وقد لا يصل بعض الناس إلى نتيجة ما لأنهم يبعثون اهتزازات تجعل من المستحيل على أولئك الذين فى الجانب الآخر أن يحضروا خلالها إليهم ، وذلك لأن اهتزازات الشخصيتين تتصادم وتفسد الظروف اللازم توافرها . وهذا هو السبب فى أن بعض الناس جليس صالح ، وبعضهم جليس غير صالح . . . فالانسجام أو التوافق هو الغرض المطلوب . وهو ضرورى كالوسيط القوى . وهذا هو ما حاولنا دائماً أن نوجده فى جلسات سلون (الوسيط) . . . ولا شىء كالموسيقى يساعد على إيجاد حالات التوافق . فللاهتزازات الموسيقية ، على الرغم من أن الهواء هو الذى يحملها وليس الأثير ، تأثير غير مباشر فى الاهتزازات التى نطاقها فى الأثير ، ولهذا كنا نبدأ الجلسة بالغناء بصحبة الأرغن (الهارمنيوم) ... »[1] .

كما لخصت إحدى الأرواح العقبات التى قد تحول دون نجاح الاتصال بالأرضيين قائلة « هنالك صعوبات جمة نواجهها قبل التمكن من الاتصال بكم .

(١) « على حافة العالم الأثيرى » طبعة ٣ ص ٦٣ .

فصعوبة اختراق هالة الوسيط ، وصعوبة التحكم فى حواسه وتفكيره . وصعوبة إلهامه ، وصعوبة إيقاعه فى غيبوبة ، وصعوبة سحب مادة الاكتوبلازم من دمه ، وصعوبة إبعاد الموجات الفكرية المعاكسة ، وصعوبة منع المتطفلين من الأرواح الجاهلة من الاقتراب والتأثير فى مجرى أعمالنا ، هذا عدا صعوبة القضاء على الشعور بالخوف والاضطراب بين الوسيط والمجتمعين معه . أضف إلى كل ذلك صعوبة التأثير فى عقول الأعضاء وتشجيعهم وحثهم على المثابرة ، والمضى فى تكرار اجتماعاتهم لمدد طويلة لإعطائنا المجال الكافى للتغلب على هذه الصعوبات جميعها . فالصعوبات عديدة ، والقليل جداً من يتمكن من التغلب عليها فى ظروف خاصة . وكلما زاد فهمكم لهذه الحقائق كلما سهلت مهمتنا فى التغلب على الصعوبات . . . »[1].

كما يقول أيضا الأستاذ شو دزموند Shaw Desmond ـ مؤسس « المعهد الدولى للبحث الروحى بلندن » ـ « إنى أحذر كل إنسان : فإن الاتصال بسكان العالم الكوكبى ملىء بأسباب العثار ، محتاج للدراسة وللصلاة ، وقبل كل شىء للذكاء وللإخلاص وللإيمان . فإن مملكة السماء لا تؤخذ قسراً بل تحتاج إلى إلحاف متواصل ، بل إلى حصار إذا صح هذا التعبير . لكن مع المثابرة ستجد أن الحواجز قد انهارت وأصبح فى مقدورك الحديث مع موتاك ، وتصبح متأكداً بالتالى أن ابنك المتوفى (أو ابنتك) كثيراً ما يكون معك راغباً فى الحديث إليك بحنان[2] » .

وعند أمثال هذه المعانى التقى جميع الباحثين فى الروحيات .

---

(١) عن رسالة لروح اسمه هنرى كراتون على الوسيطة الكندية مارى مارشال فى سنة ١٩٤٢ بمجلة « عالم الروح » عدد أبريل سنة ١٩٥٨ ص ٢٢ .

(٢) عن مؤلفه « كيف نحيا عندما نموت ؟ » طبعة ٥ ص ١٤٣ .

وفيما يلى سنعالج دراسة الظواهر الوساطية التى خضعت للتحقيق العلمى الدقيق فى مباحث ثلاثة على النحو الآتى :

المبحث الأول : نبذة عن أهم الظواهر الوساطية .

المبحث الثانى : نبذة عن بعض الوسطاء الكبار .

المبحث الثالث : مقتضيات الأسلوب العلمى فى دراسة الظواهر والوسطاء معاً .

المبحث الأول

نبذة عن أهم الظواهر الوساطية

الظواهر الوساطية التى خضعت للتحقيق العلمى متنوعة تنوعاً كبيراً ، وقد جرى الرأى على التمييز بين نوعين منها : عقلية Intellectual وفيزيقية Physical. والأولى منها ليس لها كيان مادى خارجى، فهى عبارة عن قدرات عقلية غير عادية يتمتع بها بعض الأشخاص النادرين تمكنهم من الإنباء عن أمور صحيحة تصل إلى علمهم عن غير طريق الحواس الخمس . ولذا يطلق عليها عادة « ظواهر الإدراك عن غير طريق الحواس » Extra Sensory Perception. أما الثانية أى الفيزيقية فإن لها مظهر مادى محسوس ومستقل — ولو بحسب الظاهر وإلى حد ما — عن عقل الوسيط أو الوسيطة . وأحياناً قد تجمع الظاهرة الواحدة بين خصائص النوعين معاً ، وعندئذ يحسن إدراجها فى الجانب الأقوى الذى تنتمى إليه من بينهما .

وكل الظواهر الوساطية يمكن أن توصف بأنها «غير مألوفة» أو «فوق المألوفة» Supernormal ،لأنها جميعها تمثل قدرات تنتمى إلى ملكات غير عادية، ولكن لا يصح وصفها أبداً بأنها « فوق الطبيعية » Supernatural كما يفعل بعض الباحثين، لأنه لا يوجد فى الوجود كله أمر واحد يصح وصفه بأنه « فوق

الطبيعى » فكل ظواهر الحياة خاضعة خضوعاً تاماً لنواميس الطبيعة ، ولا يعلو إلى مستوى « فوق الطبيعى » سوى الأوهام الجوفاء ، والخرافات الباطلة وحدها .

وفيما يلى سنعالج فى مطلب أول أهم الظواهر العقلية ، وفى مطلب ثان أهم الظواهر الفيزيقية .

المطلب الأول

أهم الظواهر العقلية

هذا النوع الأول من الظواهر الوساطية يطلق عليه وصف ظواهر عقلية Mental, Intellectual Phenomena لأنه أوثق صلة بعقل الوسيط أو الوسيطة من الظواهر الفيزيقية ، ولأنه من جانب آخر قد لا يكون له مظهر مادى يخضع للحواس كما هى الحال فى شتى الظواهر الفيزيقية . ولوثيق صلة هذا النوع من الظواهر بعقل الوسيط فهو يتأثر حتماً بحالته العقلية والخلقية ، وبعضه قد يختلط اختلاطاً يتفاوت حتماً فى مداه ببعض الظواهر النفسية الصرف . مثل انتقال الأفكار (أى التلباثى) ، ومثل الإيحاء Suggestion ، والإيحاء الذاتى Auto Suggestion ، والأشكال العقلية Thought Forms التى قد ترتبط بعقل الوسيط أو الوسيطة . ولكن بعضها الآخر يشير بشكل حاسم من جهة إلى توافر ملكات نادرة لبعض الأشخاص لا تنتمى بأية صلة إلى ملكات الإحساس المادى ، كما قد يشير من جهة أخرى إلى ثبوت دوام حياة النفس بعد انفصالها عن الجسد المادى بالموت .

وأهم هذه الظواهر العقلية ما يلى : —

أولا : الاستشفاف أو الجلاء البصرى Clairvoyance ، وهو تعبير ينصرف إلى ملكة رؤية ما لا يمكن للعين رؤيته بحاسة النظر العادية . ويتضمن الرؤية الصحيحة عن بعد للأشياء المادية . كما يتضمن الرؤية الصحيحة لأشياء موضوعة

داخل علب أو مظاريف مغلقة ومختومة . ويتضمن بطبيعة الحال ملكة رؤية الكائنات غير المنظورة داخل غرف الجلسات ، وإعطاء أوصاف صحيحة لها ، مع أنها قد تكون أجنبية تماماً عن حياة الوسيط ، وقد لا يكون شاهد لها صوراً من قبل .

وقد تبين ظهور حالات معينة لجلاء بصرى صحيح عند بعض وسطاء التنويم المغناطيسى للأشياء البعيدة عن متناول بصرهم العادى ، وللأشياء الروحية أيضاً فى بعض الدرجات العالية لهذا التنويم ، حتى ليمكن القول بأن موهبة الاستشفاف ، أو الجلاء البصرى ، مشتركة بين بعض الوسطاء الروحيين وبعض وسطاء التنويم المغناطيسى . وهى تشبه فى هذا الشأن موهبتى الجلاء السمعى ، والتلباثى أو انتقال الأفكار عبر العقول وبغير طريق الفم والأذن .

ثانياً : ومن هذه الظواهر الوساطية موهبة الاستشفاف أو الجلاء السمعى Clairaudience وهو تعبير ينصرف إلى ملكة سماع مالا يمكن للأذن العادية سماعه . ويتضمن احتمال التقاط العبارات العادية عن بعد ، كما يتضمن احتمال انتقال الأفكار عن طريق التلباثى من مستوى مادى ، وعن طريق الإلهام Intuition, Inspiration من مستوى غير مادى . ولنا عودة تفصيلية إلى هذه الموهبة فى فصلين متتابعين من الباب الخامس .

ثالثاً : ويتصل بموهبتى الجلاء السمعى والإلهام اتصالا وثيقاً موهبة الكتابة التلقائية Automatic Writing التى قد تجىء عن طريق الجلاء السمعى والإلهام ، كما قد تجىء عن طريق هيمنة مباشرة من كائن غير منظور على عقل الوسيط أو الوسيطة Spirit Controlled Writing قد تمكنه أن يكتب بخط ليس خطه أفكاراً ليست أفكاره . وقد تكون أعمق منها بكثير ، وقد تكون بلغة لا يعرفها ، وقد تكون فى موضوعات عويصة ليس له بها أى إلمام . وقد تكون شعراً راقياً أو أدباً عميقاً وهو ليس بشاعر ولا بأديب ، وهكذا مما سنعرض له فى حينه فى الفصلين اللذين خصصناهما للكلام فى الأدب الروحى والإلهام .

رابعاً : وكما توجد كتابة تلقائية توجد أيضاً أعمال فنية تلقائية قد تقع بإرشاد روح مهيمنة، مثل الرسم والنحت والعزف على آلات موسيقية بمهارة قد تتجاوز كثيراً مهارة الوسيط المألوفة . وكما قد يتم ذلك كله بطريقة تلقائية ، قد يتم أيضاً بطريقة مباشرة من الروح نفسها، وعندئذ تدخل هذه الظواهر فى عداد الظواهر الفيزيقية لا العقلية .

خامساً : ومن الظواهر التى يغلب عليها الجانب العقلى الطرح الروحى أو طرح الجسد الكوكبى Projection of Astral Body . وهى ظاهرة تجمع بين الجانب العقلى من ناحية أنها قد تستتبع القدرة على الجلاء السمعى أو البصرى وقد تستتبع القدرة على الكتابة التلقائية ، كما تجمع بين الجانب الفيزيقى من ناحية أن الجسد الكوكبى المطروح خارج الجسد المادى قد يكون منظوراً لبعض وسطاء الجلاء البصرى، بل قد يمكن تصويره بالاستعانة بالأشعة دون الحمراء . ولنا عودة أيضا إلى موضوع الجسد الأثيرى، أو الكوكبى هذا، وإلى ثبوت وجوده، وإمكان طرحه خارج الجسد المادى .

سادساً : ومن الظواهر العقلية تفوهات الغيبوبة التى تختلف عن ظاهرة الصوت المباشر فى أن التفوهات تكون هنا بحنجرة الوسيط وبصوته المألوف ، وبلغته المعتادة. ولكن يبدو أنه قد توجد — أحياناً — هيمنة بصورة من الصور على وعيه ، وهى فى الغالب هيمنة جزئية تجعل الوسيط يروى أحياناً بعض وقائع صحيحة ، عن أمور لا يعلم عنها شيئا من قبل، أو ربما يلقى بنبوءات عن أمور مستقبلة قد تصدق — أحياناً — وقد لا تصدق أحياناً أخرى .

سابعاً : ومنها ظاهرة إمكان التنبؤ الصحيح بأمور مستقبلة عن طريق سبل متنوعة لا تخضع لسيطرة إنسان ما . وقد يكون التنبؤ عن طريق هاتف خفى ، أو إحساس مجهول، أو عن طريق حلم من أحلام النوم أو اليقظة ، وقد يتجاوز

التنبؤ الصحيح دور قوانين الصدفة فيصبح ظاهرة روحية جديرة بالدراسة وبالبحث عن التعليل . أما إذا لم يتجاوزها فإن « الصدفة » نفسها تتضمن هذا التعليل عند من يؤمنون بدور «الصدفة» . ويطلق على الإحساس السابق بالأمر المستقبل وصف precognition ، فإذا كان الإحساس بنذير سوء يطلق عليه وصف premonition .

وهـذا الإحساس بالأمور المستقبلة يتفاوت حتماً في قوته وفي وضوحه. وقد يخطيء صاحبه وقد يصيب صوابا كليا أو جزئيا، وكما قد يتميز به وسيط روحي قد تتميز به أيضاً روح متحررة من الجسد المادي، وقد تصيب هذه بدورها كما قد تخطىء ، ولنا إلى كل ذلك عودة في الجزء الثاني ، لأن هذا الموضوع وثيق صلة بموضوعين مفرطين في دقتهما، وهما معنى الزمان والمكان من جانب، ومدى التسيير والتخيير في تصرفات الإنسان من جانب آخر، وكلاهما من موضوعات الجزء الثاني.

ثامناً : ومن أهم الظواهر العقلية ظاهرة السيكومترى Psychometry أى تعقب الأثر الروحى ، ويطلق عليها أحياناً « القياس الروحى» ، وهو تعبير يشير في النطاق الروحى إلى قدرة قد تصل عند بعض الوسطاء إلى الإرشاد إلى معلومات صحيحة عن طريق الإمساك بسلعة من السلع المملوكة لشخص معين. وهى ظاهرة وساطية بحثت بأساليب علمية شتى ، ويتعذر تعليلها إلا بوجود اهتزازات تنبعث من شتى السلع، وقد تظل عالقة بها لآماد مختلفة . وهذا التعبير — سيكومترى — يعرفه أيضاً علماء النفس بمعنى آخر يغاير معناه عند الروحيين ، فهو عندهم يشير إلى قياس مدة الحالات العقلية ومدى قوتها .

ووسيط السيكومترى عندما يمسك بسلعة مملوكة لشخص معين ، مثل قلم أو ساعة أو منديل أو صورة . . قد يشعر بانطباعات ذهنية خافتة تتراوح في مدى وضوحها ، وفي دلالتها ، ويأخذ في رواية هذه الانطباعات التى تبين بإحصائيات دقيقة أنها قد تصيب وقد تخطىء . ولكن نسبة الصواب تجاوزت

فى بعض الأحايين النسبة التى تسمح بها قوانين الصدفة المعروفة عندالرياضيين . كما تبين من بعض الجلسات الروحية أن هناك أرواحاً تتمتع بملكة السيكومترى هذه بشكل أوضح مما قد يحوزه بعض الوسطاء [١] .

* * *

وجل الظواهر الوساطية العقلية يمكن أن يدخل تحت وصف شامل هو الإدراك عن غير طريق الحواس Extra Sensory Perception الذى يختزل أحيانا فى المراجع الانكليزيه إلى الحروف الأولى فقط E.S.P (وبالفرنسية P.E.S)

وقد يجتمع للوسيط الواحد نوع أو أكثر من الظواهر الفيزيقية أو العقلية. والوساطات العقلية معتبرة بطبيعتها أسمى من الوساطات الفيزيقية ، وتتطلب مستوى معين من التطور العقلى ومن الإحساس المرهف،وهى لا تتطلب ـ غالباً ـ غيبوبة الوسيط ، حين تتطلب أغلب الظواهر الفيزيقية غيبوبة تامة أو جزئية Semi Trance . ويبدو أنه بقدر ما يكون الاستحواذ قوياً بقدر ما يتطلب عادة غيبوبة الوسيط، وبقدر ما يكون أدعى عندئذ للاعتقاد بوجود وعى أجنبى عنه أمكنه أن يوقعه فى هذه الغيبوبة التى تشبه فى مظهرها ، وربما فى بعض جوانبها ، غيبوبة التنويم المغناطيسى ، إلا أنها تجىء من تأثر عقل الوسيط بعقل كائن متجرد عن جسده المادى discarnated على عكس غيبوبة التنويم المغناطيسى التى تتطلب منوماً لم يتجرد بعد عن هذا الجسد .

---

(١) راجع مثلا « كتاب « أصوات من الفضاء » Voices From The Void للسيدة هستر ترافرز سميث H. T. Smith تقديم سير وليام باريت الأستاذ بجامعة دبلن وعضو « الجمعية الملكية » وبوجه خاص الفصلين السادس والسابع .

المطلب الثانى

أهم الظواهر الفيزيقية

الظواهر الفيزيقية للوساطة الروحية Physical Phenomena متعددة ، وهى أندر حدوثاً من الظواهر العقلية . ولكن أنواعها أكثر منها ، وأوضح استقلالا منها عن عقل الوسيط أو الوسيطة. ومن ثم فهى أدعى للاعتقاد بوجود وعى أجنبى عن وعى أيهما فى حالة نشاط ما ، وهى فى نفس الوقت أضعف تأثراً بالحالة العقلية لأيهما من الظواهر العقلية. وتوصف أحياناً بأنها ظواهر موضوعية impersonal, objective.

وفيما يلى سنعالج أهم هذه الظواهر الفيزيقية فى فرعين : نتكلم فى أولهما عن أنواع هذه الظواهر بوجه عام ، ثم نعالج فى ثانيهما — بشىء من التفصيل — أخطر الظواهر الوساطية على الإطلاق ، وهى ظواهر الإكتوبلازم والتجسدات ، معتمدين فى بيان هذه وتلك على عدة بحوث جرت فى هيئات جادة، وتحت أدق صور الرقابة العلمية .

الفرع الأول

أنواع الظواهر الفيزيقية بوجه عام

للظواهر الفيزيقية كما قلنا عدة أنواع يمكن إجمالها فيما يلى :

أولا : تحريك الأجسام الصلبة بغير وسيلة مادية Telekinesis ، وهى ظاهرة تعتبر مظهراً فيزيقياً لحقيقة موضوعية أعم منها ، وهى إمكان تأثير العقل أو الروح فى المادة الصلبة تأثيراً مباشراً Psycho-Kinesis (P.K.) . وكثيراً ماتتخذ هذه الظاهرة فى غرف الجلسات صورة رفع منضدة إلى أعلى levitation بدون أية وسيلة مادية ، وقد يرتفع الوسيط نفسه إلى أبعاد مختلفة ، كما قد يتحرك أى جسم صلب من مكانه تحت بصر الموجودين بالمكان .

ثانياً. الكتابة المباشرة Direct Writing، ومعنى هذه الظاهرة أن يتحرك القلم على القرطاس تلقائياً وهو فى غير متناول الوسيط أوالوسيطة. ومن الواضح أن هذه الظاهرة تعتبر من قبيل تحريك الأجسام الصلبة بغير وسيلة مادية ، إلا أنه يظهر هنا وجود قدرة عاقلة نشطة ، أجنبية عن عقل الوسيط أو الوسيطة ، قد تقوم بالكتابة المباشرة على مستوى من الأدب أو الاطلاع يفوق مستوى أيهما ، كما قد تقوم بأى نشاط علمى أو فنى آخر مثل الرسم ، أو النحت ، أونحو ذلك من أمور غريبة . وقد تقوم هذه القدرة العاقلة بتحريك جهاز كاتب كهربائى (مثل الكوميونيجراف أو الرفلكتوجراف ، على ماسيرد فيما بعد). وقد لا يحتاج الأمر هنا لتجسد جزئى أو كلى ، وهذا هو الأمر الهام الذى يميز هذه الظاهرة عن ظواهر الإكتوبلازم والتجسدات .

ثالثاً : الصوت المباشر Direct Voice ومعناه ظهور صوت مسموع بالأذن العادية متميز تماماً عن صوت الوسيط أو الوسيطة . وقد يختلف عنه من حيث الذكورة أو الأنوثة ، والبلوغ أو الطفولة ، كما قد يختلف عنه من حيث اللغة، بالإضافة إلى طريقة الحديث ، واللكنة ، وكيفية النطق ، وكافة الصفات المميزة الأخرى ، بالإضافة إلى اختلاف الأفكاروالاتجاهات،وسائر المميزات الشخصية التى قد تشير مجتمعة إلى وجود شخصية أخرى فى المكان غير شخصية أيهما ، وقد تكون شخصية شخص « منتقل » معين بالذات معروف لبعض الجلساء .

وقد يحتاج الأمر إلى وجود بوق Trumpet قد يتحرك فى الهواء من تلقاء نفسه فى شتى الاتجاهات. وقد يتحرك بوقان أو أكثر فى اتجاهات مختلفة فى وقت واحد. وقد يكون الصوت المباشر واضحاً أحياناً حتى بدون وجود هذا البوق. وقد يكون هذا الصوت المباشر عبارة عن مجرد طرقات مسموعة Raps قد تصلح أحياناً وسيلة لتلقى رسائل كاملة مميزة لشخصية بعض الأرواح ، إذا أمكن التفاهم معها على التعبير عن كل حرف من حروف اللغة بعدد معين من الطرقات .

رابعاً : وغير الظواهر الفيزيقية التى أسلفنا ذكرها هناك ظاهرة المجلوبات والمأخوذات الروحية Teleports ، ومعناها انتقال الأجسام الصلبة عبر الجدران والأبواب المغلقة والعلب المختومة. وقد يكون الانتقال من مسافة قريبة ، كما قد يكون عبر المسافات البعيدة .

والمجلوبات الروحية Psychic Apports تعبير ينصرف إلى إحضار هذه الأجسام الصلبة من الخارج إلى داخل غرف الجلسات ، والمأخوذات الروحية Psychic Exports تعبير ينصرف إلى أخذ هذه الأجسام من مكان وجودها إلى مكان ما فى الخارج. وقد تمت جملة تجارب ناجحة للظاهرتين معاً على يد عدد من الوسطاء المعروفين مثل مدام ديسبرانس (مسز هوب) ومثل جاك وبر . وتمت تحقيقات ناجحة داخل « الكلية البريطانية للعلم الروحى » تحت أدق رقابة علمية . وقد أكد صحة هذه الظاهرة عدد كبير من الباحثين الثقات[١] .

وفى بلادنا لا يزال كثيرون من الأحياء يتناقلون قصص المرحوم الشيخ

---

(١) منهم سير ألفرد راسل والاس فى حضور الوسيطة السيدة نيكول ، ويقول إن هذه الظاهرة تكررت فى حضورها مئات من المرات ، وفى أمكنة شتى وظروف مختلفة . ومنهم سير وليام كروكس فى حضور الوسيطة الآنسة فوكس .

ويقول العالم النفسى الأستاذ إرنستو بوزانو E. Bozzano أنه فى جلسة روحية خاصة فى منزل السيد كافا ليرى بيرتى Cavaliere Peretti ، وكانت الوسيطة على صلة وثيقة بالحضور ، وعرفت عنها وساطة المجلوبات الروحية، طلب من إحدى الأرواح المرشدة أن تحضر له مجموعة صغيرة من أحجار النار (الكبريتور الطبيعى Pyrites) كانت موجودة على مكتبه على بعد كيلو مترين ، فأجابت الروح بأنها ستحاول إحضارها رغم أن طاقة الوسيطة قد أجهدت ، وبعد ذلك أعلنت الروح أنها قامت فعلا بتحطيم ذرات جزء فقط من هذه الأحجار ولكنها عجزت عن أن تجمعها ثانية بعد إحضارها للغرفة ، ثم طلبت إضاءة الأنوار . وعند إضاءتها تبين أن المنضدة، والملابس، وشعور الجالسين ، والمفروشات، وسجادة الغرفة قد غطيت كلها بغبار دقيق جداً ولامع من هذه الأحجار، وعندما عاد إلى منزله بعد الجلسة اكتشف نقص حوالى ثلث كمية أحجار النار التى تركها على مكتبه !

ويقول الوزير الروسى أكزاكوف Aksakoff إنه فى جلسة للوسيطة مدام ديسبرانس =

سليم الطهطاوى ويؤكدون صحتها[١] ، رغم أنها للأسف الشديد لم تخضع لتحقيق أية جهة علمية .

ولا يزال العلم المادى عاجزاً عن تعليل هذه الظاهرة تعليلا شافياً ، ولكن العجز عن تعليل أية ظاهرة لا ينفى احتمال صحتها من الناحية المنطقية . والتعليلات فى هذا الصدد متعددة ترتكز كلها على القول بضرورة وجود جسم أثيرى فى مقابل كل جسم مادى يشغل معه نفس الحيز من الفراغ[٢] . والمشكلة الكبرى هنا هى أن هذا التحول يحدث سريعاً وبوسائل عقلية يجهلها تماماً العلم المادى . وقد لوحظ فى بعض المجلوبات الروحية أنها تجىء إلى غرف الجلسات ساخنة ثم تبرد تدريجيا . كما قرر بعض الكائنات المهيمنة أن تحويل الجزيئات قد يحدث أحياناً فى مادة جدار العلبة المغلقة أو الغرفة أو سقفها ، بالقدر اللازم لمرور المجلوب أو المأخوذ الروحى .

ومن جهة أخرى فقد سجل بعض الباحثين إحضار كائنات حية إلى غرف

= فى وجود بوتليروف Boutleroff الأستاذ بجامعة سان بطرسبورج أحضرت الأرواح فرعاً من زهور الزنبق الذهبية داخل إناء زجاجى . وكان يبلغ ارتفاع الفرع سبعة أقدام (أى كان أطول من الوسيطة بقدم ونصف) ويحمل إحدى عشرة زهرة فى حالة تفتح تام . وبعد سبعة أيام اختفى النبات بنفس الطريقة الغريبة التى أحضر بها بعد أن وضع فى وسط الحاضرين فى جلسة روحية لاحقة (لنا فيما بعد عودة إلى بوزانو ، وأكزاكوف ، والوسيطة مدام ديسبرانس) .

(١) راجع فيها كتيباً عنوانه « عرش بلقيس » للاستاذ أبو الوفا محمود رمزى نظيم وتجد فيه وقائع كثيرة حدثت فى حضور عدة شهود من الشخصيات المعروفة .

(٢) فلكل جسم مادى مقابل أثيرى . وبعبارة أخرى أن هناك « قالباً سيالا » forme fluidique لكل جسم سواء أكان حياً أم غير حى . وعندما ترغب روح فى نقل جسم صلب من مكان إلى آخر تقوم بعمل أشبه ما يكون بتحويل الماء إلى بخار عندما تحول جزيئات الجسم المادى إلى جزيئات غير مادية ، وتنقل القالب السيال معها ، وبعدئذ تعيد جزيئات المادة إلى تجمعها الأصلى فى قالبها السيال بغير أدنى تغيير فى صيغتها وشكلها ، وهذا لا يمكن تحقيقه إلا إذا توافرت قدرة معينة عند الروح المرشدة ، وخبرة خاصة ، مع وجود مائع أو سيال حيوى Fluid vital يؤخذ من جسم الوسيط أو الوسيطة بتأثير مباشر من العقل فى المادة . هذا ولنا عودة تفصيلية إلى موضوعات تأثير العقل المباشر فى المادة ، ووجود الجسد الأثيرى المقابل لكل جسم مادى ، وحقيقة المادة والطاقة فى بعض أبواب لاحقة .

الجلسات بهذه الطريقة . كما سجل بعضهم انتقال الوسيط نفسه وهو فى غيبوبته من غرفة مغلقة ومختومة إلى أخرى كما حدث فى جلسات الوسيط البرازيلى كارلو ميرابللى حسبما ورد فى تقرير «أكاديمية الدراسات الروحية» بالبرازيل ، وأيضاً فى تقرير «الأكاديمية البرازيلية لما وراء الروح» فى ريودى جانيرو على ماسيرد فيما بعد .

خامساً: ومن الظواهر الفيزيقية الهامة ظواهر العلاج المعجز لأمراض شتى جسمية وعصبية،وقد استعصى بعضها على وسائل العلاج المألوفةواستجاب للوسائل الوساطية . ولنا عودة فيما بعد إلى هذا الموضوع الخطير فى فصل على حدة .

سادساً : وظواهر العلاج الروحى كثيراً مايصاحبهاظهورأضواءمجهولة المصدر Mysterious Lights تتطاير فى جو الغرفة ، وقد سجلتها أجهزة الكاميرا فى عدة هيئات علمية . ولنا إليها عودة بدورها بمناسبة الكلام فى تجارب المارشال لورد دودنج ، وفى ظواهر الشفاء المعجز بوجه عام ، هذا ولو أنها غير ملازمة بالضرورة لهذه الأخيرة ، إذ قدتظهر الأضواء بدون علاج ، كما قد يحدث العلاج بدون ظهور أضواء . ويبدو أن هذه الأضواء ـ التى لاتنتمى إلى أى مصدر مادى ـ هى مجرد وسيلة واحدة من بين وسائل هذا العلاج بالسبل الوساطية .

سابعاً: ومن الظواهر الفيزيقية احتمال حدوث تغيرات للجو والوسيط فى بعض الجلسات الروحية قد تتناول أحياناً درجة الحرارة ، والضغط الجوى ، بل قد تتغير درجة حرارة الوسيط وسرعة النبض إلى مدى واضح ، كما قد يتغير وزنه ، وربما أوزان بعض الجلساء ، وأوزان بعض الأشياء المادية ، بدون توافر أسباب مادية لهذه التغييرات . وقدتنبعث أحياناً رائحة نفاذة غير معروفة المصدر ، أو قد يسمع صوت آلة موسيقية غير مرئية ، أومرئية من وسطاء الجلاء البصرى وحدهم . وقد سجلت عدة هيئات ظواهر كثيرة من هذه الأنواع تحت ظروف رقابة دقيقة على ماسنشير إليه فى عدة مناسبات لاحقة .

ثامناً : ومن الظواهر الفيزيقية ظهور رسومات وكتابات على الألواح الحساسة عن طريق بعض وسطاء نادرين باستخدام كاميرا أحياناً ، وبدون استخدامها أحياناً أخرى ، بل بمجرد وضع اللوح الحساس بين يدى الوسيط ، وأحياناً على جبينه . كما قد يحتاج الأمر أحياناً إلى جهاز للأشعة فوق البنفسجية أو دون الحمراء ، وأحياناً أخرى يتم التصوير بدون هذا الجهاز . وهذه الرسومات والكتابات يطلق عليها بالإنكليزية أوصاف شتى مثل Psychographs و Skotographs و Thoughtographs وسنعرض لها فيما بعد فى الفصل الخاص « بتأثير العقل المباشر فى المادة » لأنها من صور هذا التأثير .

الفرع الثانى

الإكتوبلازم والتجسدات

لعل أخطر الظواهر الفيزيقية إطلاقاً ظاهرة انبعاث مادة فريدة فى خصائصها، وفى قابليتها للتشكل وللتلون هى مادة الإكتوبلازم Ectoplasm ، وهى مادة جديدة نسبياً على المعارف الإنسانية . ولها أوضاع وألوان متعددة تتراوح بين الأبيض والرمادى (بين فاتح وغامق) والأسود . كما تتراوح فى كثافتها بين كثافة الضباب أو بخار الماء ، وبين الصلابة التى قد يمكنها أن ترفع جسماً صلباً ثقيلا كالمائدة . ولكنها تكون دائماً عند انبعاثها من جسم الوسيط فى شكل الضباب الباهت، ثم تأخذ فى التماسك والتشكل التدريجى بحسب الغرض الذى يستهدفه الكائن أو الكائنات المهيمنة على الجلسة الروحية . وينبغى أن تنبعث وأن تعود فى ظلام تام أو فى ضوء أحمر باهت ، وإلا قد يتعرض الوسيط لأضرار جسيمة وصلت فى إحدى الحالات إلى الموت المباغت ، بسبب صدمة ارتداد الإكتوبلازم بغتة إلى الجسم .

وينبعث الإكتوبلازم عادة من فتحات الجسم ، وبوجه خاص من الفم والأنف والأذنين ، وأحياناً من مسام البشرة ، ومن القدمين . وقد أمكن تصويره مئات من الصور موجود بعضها فى أى مؤلف أو مرجع من

المراجع التى قام بوضعها علماء ثقاة من بلاد متعددة خصصوا جزءاً كبيراً من بحوثهم لدراسة هذه المادة التى أثارت كل صنوف التساؤل العلمى، ومنهم الدكاترة شرنك فون نوتزنج Schrenck Von Notzing ، وأوكسلى Oxley ، وريمرز Reimers ، وجوستاف جيلى Gustave Geley [١]، وسير ألفريد رسل والاس A. R. Wallace ، وسير وليام كروكس W. Crookes ، وكروفورد W. J. Crawford، وكارنجتون Carrington، وجلين هاملتون Glen Hamilton، وهارى بودينجتون H. Boddington وغيرهم . . . .

وقد سماها بهذا الاسم الدكتور شارل ريشيه Charles Richet ، عضو أكاديميتى الطب والعلوم بباريس ، وهى تتكون من مقطعين : أولهما ecto باللاتينية أى خارج، وثانيهما plasma أى مصل الدم ، لأنها تنتزع من مصل الدم ومن خلايا الجسم بوسائل لايزال يجهلها العلم المادى ، كما يطلق عليها أحياناً وصف سيكوبلازم Psychoplasm أى بلازما الروح .

وتستخرج هذه المادة عادة من الضفيرة الشمسية للوسيط أو الهالة aura ، وأحياناً من القلب لأنه مستودع الدم ، وأحياناً من فوق الكتف، أو من القدمين. ويحتاج استخراجها إلى مران طويل من الروح ، وإلى غيبوبة وإذعان طويل من الوسيط أو الوسيطة . وتضيف إليها الأرواح أحيانا مادة تستخلصها من الأثير فيصبح اسمها تلبلازم Teleplasm . واتضح من تحليل مادة الإكتوبلازم أنها تحتوى على كلوريد الصوديوم وفسفات الكلسيوم ، وهى لاغنى عنها لإحداث كثير من الظواهر الفيزيقية . وفيما يلى سنوضحها ببعض صور منتزعة من المراجع الموثوق فى أصحابها :—

---

(١) وكل تجاربه فى شأنها جرت داخل «المعهد الدولى لما وراء الروح بباريس» . وقد وقع على صحة تجاربه حوالى مائة شخص من غير رجال المعهد. وفى سنة ١٩٢٣ حضر ثلاثون شخصاً بارزاً — بينهم ثمانية عشر طبيباً — تجاربه ووقعوا شهادة بصحة ما شهدوا . وقال جيلى فى شأنها « إننى لأؤكد أنه ليس ثمة خداع ، بل لا توجد أية طريقة للخداع» .

الاكتوبلازم بالصور عند وسطاء متعددين



١ — صورة توضح انبثاق مادة الإكتوبلازم من أحد الوسطاء ، وكيف كانت تتشكل فى شكل منديل إكتوبلازى بجوار منديل عادى مشبوك بقدم الوسيط ، كما شرحها الأستاذ ماك إيندو Mac Endoe فى محاضرة له عن « التكوينات الروحية » ، (عن مؤلف « التجسدات » لهارى بودينجتون طبعة ١٩٣٨) .



٢ — صورة عن كتاب « التكوينات الروحيــة فى دائرة السيدة جوليجر » Psychic Structures In The Goligher Circle (١٩٢١) من تأليف و . ج . كروفورد أستاذ الهنــدسة الميكانيكية بجامعة بلفاست ، وهى تبين انبعاث مادة الإكتوبلازم من جسم الوسيطة ثم اتخاذها شكلا صلبا إلى حد رفع المائدة .







ظواهر إكتوبلازمية فريدة سجلها الدكتور نوترنج على الوسيطة ستانيسلاقا Stanislawa (عن مؤلفه « الظواهر الفيزيقية للوساطة » ترجمة فرنسية : ١٩٢٥ ص ٩٦ ، ١٦١) .







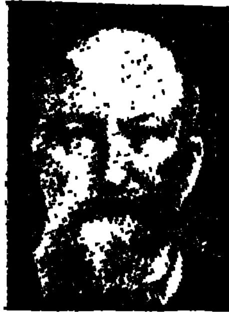
ظواهر إكتوبلازمية أخرى سجلها الدكتور نوترنج على الوسيط ويلى شنيدر (عن المرجم السابق ص ٢٠٩) .




الى اليمين انبعاث إكتوبلازمى من الوسيطة إيفا كاريير (فى ضوء أحمر قوة ١٠٠ شمعة) يتخذ صورة وجه مدام ليكونت Leconte . والى اليسار صورة عادية للمقارنة (عن كتاب الدكتور نوترنج . المرجع السابق ص ٢٨٨) .




انبعاث إكتوبلازمى آخر من نفس الوسيطة يتخذ صورة وجه الآنسة مونا ديلزا Mona Delza . والى اليسار صورة عادية لها للمقارنة (المرجع السابق ص ٢٨٩) .





انبعاث إكتوبلازى آخر من نفس الوسيطة يتخذ صورة وجه ملك بلغاريا السابق . وإلى اليسار صورة عادية للمقارنة (عن المرجع السابق ص ٣٢٠ ، وقد أمكن تصوير ثلاثين صورة لوجوه متنوعة ظهرت بنفس الكيفية تحت أدق صور الرقابة) .





تكوينات إكتوبلازمية Ectoplasmic Structures تنبعث من فم الوسيط جاك وبر Jack Webber يبلغ طولها أكثر من خمس ياردات (عن كتاب وساطة جاك وبر للأستاذ هارى إدواردز) .



٣ — عودة الإكتوبلازم المضىء الى جسم الوسيط كلايف هولز Clive Holmes • (عن كتاب بودنجتون المشار إليه آنفا)



٤ — الإكتوبلازم يتدفق بغزارة من فم الوسيط إيترنيلزن عن مؤلفه « أدلة صلبة على الحياة بعد الموت » .



٥ — الإكتوبلازم يصنع غلالة كما تطايرت كمة منه فى الهواء •



٦ — الإكتوبلازم وقد اتخذ شكل غلالة، ثم ارتفع فى الهواء بدون وسيلة مادية منظورة •

ظواهر إكتوبلازمية فريدة فى حضور الوسيطة مارى



٧ — الإكتوبلازم يتدفق غزيرا من أنف الوسيطة مارى فى غيبوتها، وقد ظهر خلاله من أعلا وجه ريموند (ابن سير أوليفر لودج) ومن أسفل وجه آخر تعرف عليه الدكتور جلين هاملتون Glen Hamilton عن « موسوعة العلم الروحى » Encyclopaedia of Psychic Science



٨ — نفس الوسيطة فى غيبوتها وقد انبثق الإكتوبلازم من أنفها. وظهر فيه من أعلى وجه سير آرثر كونان دويل ومعه وجوه ورموز مجهولة المصدر (عن المرجع السابق) .

ءوى الجسد

والحديث فى مادة الإكتوبلازم يجر حتماً إلى الحديث فى ظاهرة التجسد Materialisation إذ أن الاكتوبلازم يمثل الوسيلة المألوفة للتجسد، وإن كان التجسدفى حد ذاته من أندر الظواهر الوساطية ، وله عدة صور أخرى غير إكتوبلازمية على ما سيرد فيما بعد . والتجسد يتفاوت فى مقدار وضوحه وقوته ومدته بحسب مدى ملائمة ظروف الجلسة له . ومن ناحية مداه قد يكون جزئياً وقد يكون كلياً .

ومعنى التجسد الجزئى للروح ، أن تتمكن الروح من تجسيد وجهها مثلا، أو يدها أو قدمها،بحيث تبدو هذه الأجزاء كما لو كانت على قيد الحياة الأرضية. كما قد تعمد الروح أحياناً إلى تجسيد حنجرتها أو إلى صنع جهاز صـــوتى Voice Apparatus تتمكن به من محادثة الموجودين بنفس صوتها وأسلوبها المعروفين لديهم . وهذه الأجزاء المتجسدة قد تبدو بنفس الحجم القديم عادة ، ولـكن لوحظ فى بعض الجلسات أنها قد تختلف عنه بصورة تتفاوت فى مداها ، إذ لا ينبغى أن ننسى أن الأرواح تعيش فى عالم رباعى الأبعاد تختلف فيه تماماً مقاييس المـكان والزمان عن عالمنا على ما سيلى فى الجزء الثانى .

والتجارب المدققة فى هذا الصدد كثيرة ، لعل من أدعاها إلى الثقة تجسد يد الروح والتر Walter ، وكذلك تجسيد جهاز صوتى للروح عن طريق مادة الاكتوبلازم المنبعثة من جسم الوسيطة الأمريكية مارجرىMargery ، وقد تمت هذه التجارب الناجحة فى عدة بيئات علمية ، وتحت أدق سبل الرقابة الصارمة التى تنفى احتمال الخطأ أو التدليس ، وأيدتها عشرات من الصور الدقيقة الحاسمة .

فهذه الوسيطة وهى عقيلة للدكتور كراندون — أستاذ الجراحة بجامعة

هارفارد — والتى توصف بأنها العجيبة الثامنة كانت أحياناً توضع داخل صندوق كبير محكم الغلق لا يبرز منه سوى رأسها و يديها . وكان يمسك بإحدى اليدين أحد العلماء ، وباليد الأخرى لاعب المسارح هودينى لكشف تدليسها إن وجد ، ومع ذلك صمدت حتى النهاية ونجحت تجاربها فى تجسيد يد حية لشقيقها الروح المرشد والتر ستنسون Walter Stinson الذى كان قد توفى فى حادث قطار ، وصنع لليد قفاز من الجبس والتقطت لها حوالى ٧٠ بصمة اتضح أنها مطابقة تماماً لبصمات يد المتوفى .



مارجرى

وحققت وساطتها عدة هيئات أخرى وشكلت لها عدة لجان ، منها لجنة رأسها الدكتور وليام مكدوجال أشهر علماء النفس الأحياء وقتئذ (وكانت له معها تجارب سابقة) ، ومن أعضائها الدكتور دانييل ف . كومستوك Daniel F. Comstok ، والدكتور والتر فرانكلين برنس W.F. Prince وكيل «جمعية البحث الروحى الأمريكية» ، وهير وارد كارنجتون ، ومالكولم بيرد J. Malcolm Bird [1] وغيرهم . .

كما حقق وساطتها من جديد إريك جون دنجوول Eric John Dingwall عالم الباراسيكولوجى ، بالاشتراك مع مكدوجال ، وإلوود وورستر Ellwood Worcester . ونشرت نتيجة هذا التحقيق بقلم دنجوول « جمعية

---

(١) راجع Journal Of the A. S. P. R. New York, March 1925 والمجلد التاسع عشر ص ١١٦ والعشرين ص ٦ ، والثانى والعشرين الصادر فى سنة ١٩٢٨ ص ١١ ، وعدد يولية ١٩٣٦ ، ويناير ١٩٣٨ .

البحث الروحى » بلندن فى مضابطها[١] . وحقق وساطة مارجرى أيضاً علماء « المعمل الوطنى للبحث الروحى » بلندن . وسافرت مع زوجها إلى باريس فى سنة ١٩٢٣ ، وكانت لها تجارب ناجحة فى حضور العلماء جوستاف جيلى وشارل ريشيه وآخرين . ثم عادت إلى بريطانيا وجازب بنجاح تجارت « الكلية البريطانية للعلم الروحى » ، لذا اعتبرت ظواهرها ثابتة علمياً فنشرتها فى مجلتها مؤيدة بالصور العديدة[٢] .

وفى بوسطن أجريت تجارب ناجحة كثيرة على نفس الوسيطة فى عامى ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ وقد اتخذت فيها كل حيطة ممكنة لمنعها من أن تكون لها يد فيما يحدث فى حضورها من ظواهر عجيبة . فمثلا جلس معها الدكتور رو بين تليارد R. Tillyard — وقد كان من أكبر المعاندين للروحية — وقبل إطفاء النور وإغلاق الباب على الحاضرين شد وثاقها على مقعدها بأربطة من شريط لزج علمت جوانبه بقلم أزرق ، ومدت الخطوط الزرقاء على بشرة الوسيطة بحيث إذا ما تحركت تغير انتظام وضع تلك الخطوط وتزحزحت عن مكانها .

وقد ظلت هذه الخطوط فى وضعها الصحيح حتى نهاية الجلسة . كما بدئت الجلسة بأخذ بصمات للمتحدثين على قطع متعددة من الشمع اللين ، ولم تطابق هذه البصمات بصمات الأشخاص الجالسين . . . واستخدم مع الوسيطة جهاز مانع من الصوت اخترعه الدكتور مارك ريشاردسن ، موصوف فى كتاب « المذهب

---

(١) Proceeding S. P. R. London فى المجلد رقم ٣٦ الصادر فى يونية سنة ١٩٢٦ ، ومجلد رقم ٣٩ ص ٣٥٨ — ٣٦٨ ، ومجلد رقم ٤٣ الصادر فى إبريل سنة ١٩٣٥ . وراجع عن نفس الوسيطة أيضاً Journal S. P. R. London عدد مايو ١٩٢٢ .

(٢) عدد يولية ١٩٢٨ . وراجع عن هذه الوسيطة كتاب « تجارب بصمة الإبهام مع الوسيطة مارجرى » تاليف الدكتور مارك . و . ريشاردسون ، وكتاب « مارجرى الوسيطة » تأليف بيرد ، وكتاب « الصحيفة الثامنة » تأليف المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير .

الروحى بين التأييد والمعارضـة » الذى أصدرته جامعة كلارك الأمريكية فى سنة ١٩٢٧ .

وقد جازت الوسيطة جميع الاختبارات بنجاح تام ، إلى حد أن الدكتور تليارد اقتنع بصحة الموضوع تماماً ، وكتب مقالا فى جريدة نايتشر Nature اختتمه بالعبارة الآتية « رأيى الأخير هو أن والتر ستنسون الذى توفى فى سنة ١٩١٢ قد أثبت بطريقة علمية إثباتاً تاماً دعواه أن شخصيته باقية بعد موته الجسمانى »(١) . وأرسل إلى سير أوليفر لودج بتاريخ ١١ أغسطس ١٩٢٨ خطاباً يسلم فيه باقتناعه هذا قائلا « لقد بلغت الغاية التى ليس وراءها زيادة لمستزيد » .

ويقول الدكتور هيوات ما كنزى مدير «الكلية البريطانية للعلم الروحى» إنه حضر مع مارجرى عدة جلسات ناجحةفى بوسطن أيضاً عندما زارها فى شهر مارس سنة ١٩٢٨، وطبق طريقة التراسل المتبادل Cross Correspondence بين مارجرى وعدد من الوسطاء الآخرين الذين كانوا يجلسون فى نفس الوقت فى مدن تبعد عن بوسطون عدة مئات من الأميال ، وذلك كله لإثبات أن شخصية روحها المرشدة مستقلة عن شخصية مارجرى . وكان من ضمن الوسطاء المشتركين فى التجربة الوسيط فاليانتين Valiantnie الذى كان يجلس فى فرع نيويورك من «جمعية البحث الروحى» ، وأمكن للروح والتر أن يهيمن على فاليانتين لمدة عشر دقائق ويوقعه فى الغيبوبة ، ويمليه نفس الكلمات التى أملاها على مارجرى فى بوسطن وهى بضع كلمات معينة باللغة الإنجليزية ، مع رسم لبعض حروف باللغة الصينية .

---

(١) عدد ٢٨ أغسطس سنة ١٩٢٨ .

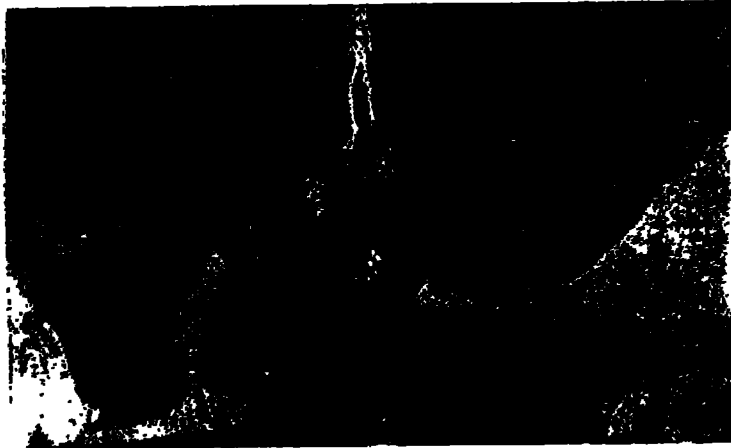
توضيح وساطة مارجرى بالصور

عن مجلة « العلم الروحى » التى تصدرها «الكلية البريطانية للعلم الروحى»

عدد يولية من سنة ١٩٢٨ ص ٨٧ — ١٦٠



مارجرى فى غيبوبتها وقد أمسك بيديها اثنان من العلماء
وانبثق الإكتوبلازم الأبيض من فتحات رأسها فغطاها تماما أو كاد



مارجرى فى غيبوبتها وقد انبعثت منها مادة الإكتوبلازم
الأبيض وارتفعت إلى قدمين من رأسها بقوة غير منظورة .



مارجرى فى غيبوبتها وفوق كتفها جهاز صوتى من التلبلازم صنعته روح شقيقها والتر المرشد لها،وقد أمسك اثنان من العلماء بيديها دفعاً لأى شبهة تدليس



مارجرى فى غيبوبتها بعد تجسد يد شقيقها الروح المرشد والتر ، وترى اليد وهى تبصم على شمع رخو وقد أمسك العلماء بيدى الوسيطة



قفاز من الشمع ليد الروح المتجسد وقد اتضح أن به بصمات مطابقة بدورها لصورة البصمات السبعين التي التقطت بعد عمل هذا القفاز بسنتين



صورة بصمة لإبهام الروح والتي أخذت لها سبعون بصمة أخرى من هذا النوع ، منها اثنتان بعد تقييد وثاق الوسيطة في رأسها ويديها وقدميها في غرفة مغلقة، وبعد تفتيشها جيدا بدون وجود إنسان آخر إلا خبير البصمات . وقد اتضح أنها مطابقة لبصمة المتوفى . فأثبتت شخصية المتوفى كما أثبتت أن هناك جسداً أثيرياً يحتفظ بكل معالم الجسد المادى حتى بصمة الإبهام ولا يفنى بالموت .

نفس التجارب تنجح فى معاهد شتى

وصنع نماذج من الشمع لأيد وأقدام ووجوه متجسدة أمر تكرر فى معاهد شتى ومع وسطاء آخرين غير مارجرى ، واتبعت فيه أدق الوسائل التى تنفى تماماً فكرة الإيحاء أو التدليس أو نحو ذلك . وقد سبق « جمعية البحث الروحى الأمريكية » فى إجراء مثل هذه التجارب العالمان وليام أوكسلى W. Oxley وريمرز Reimers منذ سنة ١٨٧٦ مع الوسيط القس الدكتور مونك Monck ، وقد شرحا تفصيلا كيف أمكن عمل نماذج متعددة ليدى الروح ليلى Lilly، ولقدمى الروح برتى Bertie كما يتضح من الصورتين الآتيتين[١]:



يدا الروح ليلى



قدما الروح برتى

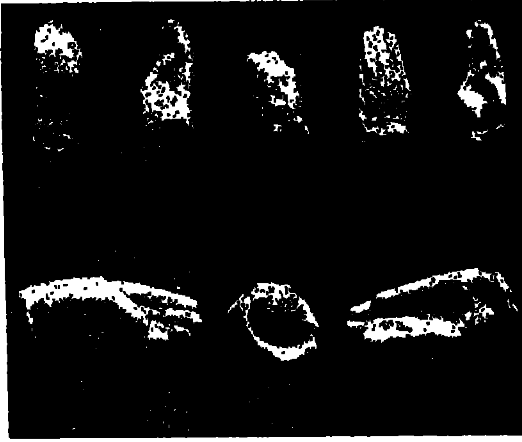
(١) عن مجلة « الدراسات الروحية » الألمانية Psychische Studien سنة ١٨٧٧ ص ٥٤٩ .

ووساطة الدكتور مونك هذه خضعت أيضاً لبحوث ثقاة مدققين آخرين منهم الأرشيديا كون كولى Colley ، وسير ألفرد راسل والاس عالم البيولوجيا المعروف ، والأسقف ستانتون موزس الأستاذ بجامعة لندن وغيرهم . .

وتمت تجارب مماثلة فى وارسو (عاصمة بولندا) مع الوسيط فرانك كلاسكى Franck Kluski — الذى كان صحفياً وشاعراً وموظفاً كبيراً فى أحد المصارف الهامة — داخل « جمعية الدراسات الروحية » هناك فى شهر سبتمبر سنة ١٩٢١ ، ثم فى أبريل سنة١٩٢٢ . وتمت تجارب أخرى ناجحة مع نفس الوسيط البولندى داخل « الكلية البريطانية للعلم الروحى » بإشراف مديرها الأستاذ هيوات ما كنزى Hewat Mc Kenzie ، حيث صنعت عدة نماذج فى حضوره من الشمع لأيد متجسدة فى شهر مايو سنة ١٩٢٢ ، ونشرت تفاصيل التجارب فى مجلة هذه الكلية الربع السنوية (عدد يولية سنة ١٩٢٢ : ص ١٩٥ وما بعدها) وعنها نقدم الصورتين الآتيتين :



نموذج طبق الأصل من الشمع ليد متجسدة فى حضور الوسيط البولندى
فرانك كلوسكى Franck Kluski م صنعه — مع نماذج أخرى — فى شهر مايو
سنة ١٩٢٢ داخل « الكلية البريطانية للعلم الروحى »



نماذج أخرى مجوفة من الشمع لأيد متجسدة تم صنعها داخل الكلية البريطانية مع نفس الوسيط

وداخل معمل «المعهد الدولى لما وراء الروح» L'Institut Métapsychiqe International بباريس (رقم ١ ميدان لجرام) تمت تجارب أخرى مماثلة على نفس الوسيط فى ديسمبر سنة ١٩٢٠ ، وفى شهرى يناير وفبراير من سنة ١٩٢٢ بإشراف الدكتور جوستاف جيلى Gustave Geley مدير المعهد ، وباشتراك ثلاثة علماء كبار آخرين وهم شارل ريشيه Charles Richet عضو المجمع العلمى الحائز على جائزة نوبل فى الفسيولوجيا ، ودى جرامونت De Gramont عضو المجمع العلمى أيضاً ، والكونت ج . بوتوكى J. Potocki . وفيه تجسدت أرواح متعددة فى حضور الوسيط المذكور فى سلسلة من الجلسات المتتابعة ، وتم صنع عدة نماذج لأيديها المتجسدة .

ويقول الدكتور شارل ريشيه عن هذا الوسيط « إنه خصوصاً مع الوسيط فرانك كلاسكى أمكن الحصول على تجارب جديدة حاسمة فى الإكتو بلازم ، ولن أشير إلى تلك التى رويت لى ، حتى ولو كانت مصحوبة بصور ، لأنه ينبغى دائما التحفظ عندما لا تكون الأدلة صارمة بصفة مطلقة . لقد شاهدت صورة تمثل شبح جندى مسلح ، وأخرى أغرب منها تمثل نسراً ضخماً (يمكن تمييز

عينيه اللتين تبدوان حيتين) ، طائراً فوق رأس الوسيط[1] . ولـكنى مع ذلك سأضرب صفحاً عن كل ذلك ، وسأقتصر على الوقائع التى تبينتها بنفسى بطريقة حاسمة .

والوسيط على أمانة نادرة ، ويتميز برقة مفرطة فى مشاعره ، ويتميز بكل مايتميز به الوسطاء من حساسية طاغية ، ونفسية غير مستقرة ، وهو بحسب مهنته موظف كبير فى مصرف هام ، وهو أيضاً شاعر وصحفى ماهـــر ، ومتزوج وله كريمتان متزوجتان . ويتحدث البولونية، والروسية، وقليلا من الإيطالية، ويفهم بصعوبة الفرنسية والألمانية .

ولقد بدأت وساطته مبكرة ومن تلقاء نفسها عندما كان طفلا صغيراً . . . وفى التجارب التى تمت معه يلاحظ الإنسان حدوث لمسات attouchements ، وأضواء ، كما يشاهد أشكالا إكتوبلازمية تبدو أحياناً جيدة التشكيل جـداً des ectaplasmes que'quefois très bien formès . ولم يكن كلاسكى مقيد الوثاق ولا موضوعاً فى قفص ، ولـكنه كان ممسوكا بالأيدى . ولأنه لا يقوم بأية حركة ضئيلة ، فإن الرقابة تـكون سهلة وتعطى اليقين الـكامل . وكانت الأبواب مغلقة بالمفاتيح سواء فى تجارب « المعهد الدولى لما وراء الروح » أم فى غيرها ، كما أن الجالسين كانوا يكونون سلسلة من حوله . ولم يكن الظـلام بوجه عام مطلقاً ، بل كانت توجد إضاءة حمراء خافتة جداً تسمح برؤية أجسام الأشخاص الموجودين .

وليس لى أن أصف هذه اللمسات ، ولا الأضواء ، ولا الطرقات ، ولا تحرك الأجسام الصلبة بدون وسيلة مادية telékinesies ، لأن هذه الظواهر ، إن لم تـكن شائعة جداً ، فهى بالأقل قد تمت مشاهدتها وتسجيل حدوثها عند وسطاء آخرين للظواهر الفيزيقية . وفى حضور كلاسكى جميع هـذه الظواهر شائعة ،

(١) انا عودة إلى تجسد كائنات أخرى غير الإنسان فى جلسات البحث الروحى .

وتظهر أيضاً فى حضوره وجوه آدمية فى أحيان كثيرة جداً ، ومن المحال أن نفترض أن جميع هذه الظواهر الإكتوبلازمية يمكن أن تنسب إلى التدليس :

أولاً : لأن يدى الوسيط كانتا ممسكا بهما بشدة وبطريقة لا شائبة فيها .
solidment et irreprochablement tenues

وثانياً : لأنه لم يكن بمقدور أى شخص أجنبى عن الغرفة أن يدخل إليها.

وثالثاً : لأن جميع الموجودين مثل الدكتور جيلى ، ومثلى ، ومثل مدام جيلى ، والكونت ج. بوتوكى J. Potocki كانو عاجزين عن التدليس وكان ينبغى مساهمة اثنين منهما فيه .

ورابعاً : لأنه لم تصدر أية حركة من الموجودين بما فيهم كلاسكى نفسه .

وخامساً : لأن الضوء كان كافياً لمشاهدة انتقال أى شخص من الأشخاص الموجودين . لقد كنا بجوار الوسيط وملامسين جانباً من جسمه (سواء جيلى أم أنا أم كلانا) وكانت رأس الوسيط على كتفينا » .

ورغم أن جميع هذه الظروف كانت كافية بذاتها كيما تنفى كل احتمال لخداع ، فقد قرر جيلى وريشيه أن يضعا بضع جرامات من مادة الكولسترين ، فى سرية تامة وبدون علم الوسيط ، على مادة شمع البارافين المستخدمة وهى ساخنة فى درجة حرارة ٤٣ تقريباً ، وكان ذلك فى الجلسة الحادية عشرة معه بتاريخ ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٠ . وبإذابة قليل من الشمع بعد مزجه بالكلوروفورم وبحامض الكبريتيك ينتج لون أحمر يتحول تدريجياً إلى لون بنفسجى بسبب حامض الكبريتيك ، أما شمع البارافين بدون مادة الكولسترين فلا يعطى سوى اللون الأبيض .

وبعد فحص النماذج فى نهاية الجلسة تبين حدوث تغير للونها من الأحمر إلى البنفسجى مما أعطى جيلى وريشيه اليقين المطلق أن الشمع المستخدم فى صنع هذه النماذج هو نفس الشمع الذى أعداه مقدماً ، وأنه لا يتصور بالتالى أى استبدال له

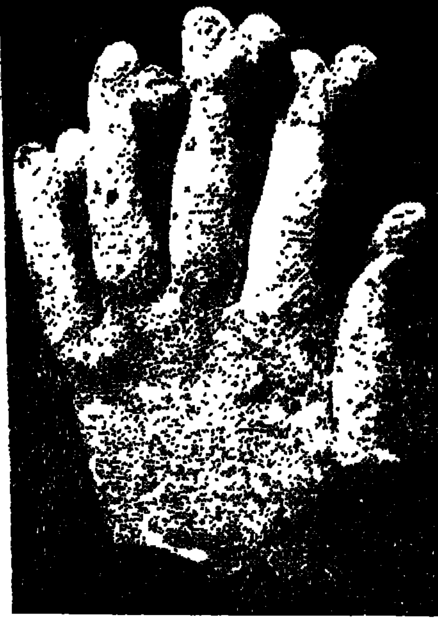


رسم يمثل جيلى إلى اليمين، ثم شارل ريشيه، ثم دى جرامون ، وهم يصنعون نموذجا من شمع البارافين ليد الروح المتجسدة إلى اليسار داخل « المعهد الدولى لما وراء الروح »

بصورة ما ، أو أن تكون هذه النماذج معدة مقدماً بطريقة ما . وهذا الاحتياط الشديد يبين مدى حرص هؤلاء العلماء على الوصول إلى اليقين العلمى التام، فلم تكفهم الاحتياطات العادية مثل تفتيش الوسيط تفتيشاً دقيقاً قبل الجلسة، ومراقبته أثناءها، فضلا عن إحكام غلق الأبواب وختمها، وغير ذلك من الاحتياطات المألوفة(١).

وتم صنع سبعة نماذج أخرى لأيد صغيرة لطفل ، وقدم لطفل، والجزء الأسفل لوجه رجل بالغ ، أى تسعة نماذج. مما دفع ريشيه إلى أن يصف كلاسكى بأنه «ملك الوسطاء فى عصره » . وبعد ذلك سافر الدكتور جيلى إلى وارسو كيما يواصل تجاريه مع نفس الوسيط داخل «جمعية الدراسات الروحية» هناك . فأجرى له تجارب أخرى فى سبتمبر سنة ١٩٢١ ، ثم استأنفها فى شهرى أبريل ومايو سنة ١٩٢٢ . وتدارك هناك بعض أوجه النقص التى لاحظها فى تجاربه السابقة بباريس بسبب

(١) راجع مؤلف الدكتور جيلى : L'Ectoplasmie et la Clairvoyance (Alcan 1924) ص ١٢٨ ، ٢٢٤ – ٢٤٥ ، ٧٠٢
ومؤلف الدكتور ريشيه Traité De Métapsychique (Alcan 1923) ص ٧٠٠ – ٧٠٤





بعض النماذج الشمعية المجوفة التى صنعها الدكتور جيلى فى «المعهد الدولى لما وراء الروح» فى حضور كلاسكى . لاحظ انثناء الأصابع وتقاطعها
(Essai D'Interpretaion Synthétique du Spiritisme: 1925 عن مؤلفه)

تسرب الماء الساخن بين قفاز الشمع وبين العضو المتجسد ، فاستخدم وعاء به طبقة رقيقة جداً من الماء بحيث تطفو فوقها طبقة سميكة من شمع البارافين .

وبهذه الطريقة حصل على قفازات من الشمع مفرطة فى رقتها ، ويقل سمكها عن ملليمتر واحد . وكانت الأعضاء المتجسدة تنغطس فى الشمع دفعة واحدة وبسرعة شديدة . وكانت القفازات رقيقة إلى المدى الذى وجد معه الباحثون صعوبة كبرى كى يصنعوا لها فيما بعد مقابلا من الجبس ، فظهرت أدق التفاصيل التشريحية ، بوضوح يتجاوز وضوح أحسن النماذج التى تم الحصول عليها فى باريس .

وكانت اليد المتجسدة تذوب من تلقاء نفسها وتتلاشى بغير أن يجد صاحبها نفسه بحاجة لأن يسحبها من فتحة القفاز الضيقة . وفى هذا الشأن يقول الدكتور جيلى « إنه من الجائز إخراج اليد من قفاز البارافين مادام يحيط بالأصابع فقط، وبشرط أن يكون القفاز سميكا إلى المدى الذى يجعله لا يتحطم ، أما إذا كان القفاز رقيقاً فمن المستحيل ذلك ، إذ أنه لا يلبث أن يتحطم عند أية محاولة لإخراج اليد منه ، فما بالك إذا كانت الأصابع مثنية repliés أو متقاطعة entrelaces كما كانت الحال فى بعض النماذج ؟ » (١) .

وقد عرضت هـذه النماذج الدقيقة على خبراء صناعة النماذج بمعامل جابريللى Gabrielli فكتبوا تقريراً مسهباً أثبتوا فيه دقتها المتناهية التى تتجاوز مقدرة أحسن المثالين من طراز جون أوبرين John O.Brien ، ثم رقتها التى كانت فى رقة ورقة الكتابة، ووضوح المعالم التشريحية، وأكدوا أن هذه النماذج « تمثل بكل وضوح أيادى حية » . كما أعلنوا عجزهم التام عن تفسير كيفية خروج الأيدى من القفازات الرقيقة بغير أن تتحطم ، وأنهوا تقريرهم كالآتى :

(١) المرجع السابق ص ٢٥٣ .

« نقرر أنه من المحال علينا أن نفهم كيف أمكن الحصول على النماذج التى قدمها إلينا الدكتور جيلى ، فذلك بالنسبة لنا محض لغز » .

أساليب التجسد

والتجسد سواء أكان كلياً أم جزئياً ، وأياً كان مداه من القوة أو الضعف له عدة أساليب كما قلنا ، ويمكن أن ترجع إلى أربعة على النحو الآتى :

الأسلوب الأول : تجسد إكتوبلازمى Ectoplasmic ، ويطلق عليه أحياناً التجسد الصلب أو الجامد Solid . وهذه هى الصورة التى ظفرت بعناية العدد الأكبر من الباحثين لسهولة تحقيقها وإثباتها عن طريق صنع نماذج من الشمع على النحو الذى بيناه آنفاً،وعن طريق التصوير العادى الذى لا يحتاج لأى وسيط للتصوير، بل لمجرد كاميرا مزودةبجهاز للأشعة دون الحمراء حتى يمكن التقاط الصورة فى الظلام التام ، أو فى الضوء الأحمر الباهت اللازم لحدوث هذا النوع من التجسد ، كما يلزم بداهة لحدوثه وجود وسيط للإكتوبلازم من درجة عالية .

الأسلوب الثانى : تجسدمستقل أوحرIndependent or Free وهذا لايحتاج إلى وسيط الإكتوبلازم ، ويكون بفعل إرادى من الروح متى كانت ظروفها مؤاتية مع ظروف الجلسة والجلساء. ويمكن أن يشترك فى مشاهدته جميع الموجودين فى الغرفة ، لأن الروح تبدو ملموسة كما فى الصورة السابقة .

الأسلوب الثالث : تجسد خفيف أو شفاف ويمكن أن يطلق عليه تجسد أثيرى Etherialisation وهو لا يدوم إلا للحظة قصيرة ، وقد لا يسجل حدوثه سوى بعض وسطاء الجلاء البصرى لأن الروح فيه لاتبدو صلبة ملموسة ، بل فى صورة طيف عابر، أو شبح غير واضح الملامح تماماً فى أغلب الأحيان . ولا يمكن أن يظهر على اللوح الحساس إلا فى حضور وسيط خاص للتصوير الروحى .

الأسلوب الرابع : تجسد خلال رأس الوسيط أو الوسيطة، ويقتضى أن يتغير وجه أيهما ويصبح كوجه الشخص المتوفى إلى مدى أو إلى آخر ، ويطلق عليه وصف « ظهور خلال الوجه » أو «تغير الهيئة » Transfiguration و يمكن إثباته بالصور عن طريق كاميرا مزودة بجهاز للأشعة دون الحمراء(١) .

عن التجسد الكلى

والتجسد الكلى لا يختلف شيئاً فى طبيعته عن التجسد الجزئى ، وكذلك فى أساليبه ، وكل الفارق بينهما أنه فى التجسد الكلى تبدو الروح متجسدة برمتها، فلسنا هنا إزاء بعض أشكال إكتوبلازمية تتراوح حتماً بين القوة والضعف وبين الوضوح والغموض ، بل إزاء شكل ملموس متكامل يبدو كما لو كان لإنسان على قيد الحياة الأرضية . ولأنه يتطلب توافر قدر أوفر من مادة الإكتوبلازم ، وبوجه عام من « الطاقة الروحية » ومن الظروف المؤاتية ، فهو أندر حدوثاً من التجسد الجزئى .

وهناك حالات لتجسد كلى خضعت لأدق صور الرقابة الصارمة : منها تجسد الروح « كاتى كنج » Katie King عن طريق وساطة الوسيطة فلورنس كوك Florence Cooke وقد حققها فى منزله الخاص، ولمدى شهور طويلة، رئيس « الجمعية الملكية لتقدم العلوم » (أى المجمع العلمى البريطانى) سير وليام كروكس، وشرحها تفصيلا فى تقريره التاريخى إلى المجمع العلمى فى سنة ١٨٧٤ .

---

(١) للمزيد راجع فى هذا الموضوع مؤلفاً للوسيط الدانيمركى الأستاذ أينر نيلزن Einer Nielsen وعنوانه « أدلة صلبة على الحياة بعد الموت » (١٩٥٠) Solid Proofs of Survival وبوجه خاص منه الفصل التاسع عشر وعنوانه « مشكلة التجسد » . ومؤلفاً آخر للأستاذ جامبير بولتون Gambier Bolton عنوانه « أشباح فى شكل صلب وماذا تقول لنا ؟ » .

Ghosts In Solid Form, And What They Tell us ?

والمؤلف هو رئيس « الجمعية النفسية » بلندن ، وله مؤلفات أخرى فى الروحية منها « القوة الروحية » Psychic Force و « اعرف نفسك » Know Thyself .

ومنها حالة تجسد الروح « بيان بوا » Bien Boâ عن طريق وساطة الوسيطة إيفا كاريير Eva Carrière وقد حققها فى مدينة الجزائر الدكتور شارل ريشيه Ch. Richet عضو أكاديميتى الطب والعلوم بباريس، والحائز على جائزة نوبل فى الفسيولوجيا ، وشرحها تفصيلا فى مؤلفه « فيما وراء الروح » الذى هو بدوره عبارة عن تقرير تاريخى أودعه صاحبه فى أكاديمية العلوم بباريس فى ١٣ فبراير سنة ١٩٢٢ .

وهذه التجارب الأخيرة كلها تعد جزءاً لا يتجزأ من أعمال العالمين الكبيرين سير وليام كروكس والدكتور شارل ريشيه التى تناولت ظاهرة التجسد ، كما تناولت باقى الظواهر الروحية فى الكثير من جوانبها العلمية ، وهى فى نفس الوقت من أقوى « البينات والوقائع » التى يستند إليها هذا العلم. لذلك نرجىء الكلام فى تفصيلاتها إلى الباب الخامس وعنوانه « فى بعض البينات والوقائع » حيث نعرضها ونعرض غيرها أيضاً بكافة ملابساتها، مؤيدة بالعديد من الصور الحاسمة، فى فصلين نتحدث فى أولهما عن أعمال كروكس بوجه عام، وفى ثانيهما عن أعمال ريشيه.

المبحث الثانى

نبذة عن بعض كبار الوسطاء

فى تاريخ الحركة الروحية يوجد عدد وافر من الوسطاء الكبار الذين أدوا للروحية جليل الخدمات ، فكانت ظواهرهم بمثابة العمد التى قامت عليها هذه الحركة ، والتى ازدهرت بفضل مواهبهم العظيمة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن من نمو وازدهار ، وذلك كله على أنقاض مدارس المادية والإلحاد ، بل مدارس اليأس والضياع التى أخذت فى الانهيار الواحدة بعد الأخرى فأصبحت من مخلفات الماضى البالية على ما سنبينه تفصيلا فى الجزء الثانى .

ولما كان مقام المؤلف الحالى يضيق عن محاولة حصر هؤلاء الوسطاء الكبار كلهم،

فلا أقل من أن نفسح فيه مكاناً كافياً للحديث عن طائفة من أبعدهم صيتاً ، وممن خضعوا بوجه خاص لتحقيق دقيق من هيئات راقية محايدة أو من بعض علماء كبار . ولن يتسع المقام — مع ذلك — لأكثر من نبذة سريعة عن تاريخ عدد محدود منهم فحسب. وسنعرض ابتداء لذكر طائفة من وسطاء الظواهر العقلية فى مطلب أول ، ثم نعرض بعدئذ لذكر طائفة أخرى من وسطاء الظواهر الفيزيقية فى مطلب ثان ، وهو نفس الترتيب الذى راعيناه فيما سبق عند تبويب شتى الظواهر الوساطية كموضوع قائم بذاته .

المطلب الأول

طائفة من وسطاء الظواهر العقلية

سويدنبرج

يعد عمانوئيل سويدنبرج E. Swedenborg السويدى المولد والجنسية علماً من أعلام الحركة الروحية ، فقد تعددت صور وساطته ، وبوجه خاص فى ظاهرتى الطرح الروحى والإلهام . وتعد كتبه فى الروحية من أهم المراجع حتى الآن ، مع أن هذا الوسيط يرجع تاريخه إلى ما قبل ظهور حركة البحث الروحى العلمى الحديث ، لأنه ولد فى استوكهلم فى سنة ١٦٨٨ وتوفى فى ١٧٧٢ ، إذ أن الطرح والإلهام الروحى قديمان قدم الإنسان . هذا وقد اختير سويدنبرج عضواً فى أكاديمية العلوم فى سان بطرسبورج فى سنة ١٧٣٤ وعضواً فى الأكاديمية الملكية للعلوم فى استوكهلم فى سنة ١٧٤١ .



سويدنبرج

ويصفه الدكتور محمد مصطفى حلمى أستاذ الفلسفة والتصوف بكلية الآداب بجامعة القاهرة بأنه « برز فى كل فرع من فروع العلم اشتغل به أو شارك فيه : فمنذ العشرين من عمره درس سويدنبرج العلم ، وكتب كثيراً فى كثير من فروعه ، وخلف تراثاً ضخماً فى كل من هذه الفروع ، حتى ليقال إن جملة مؤلفاته وآثاره العلمية تتجاوز فى عدتها ما خلفه شكسبير .

وإذا كان ذلك كذلك ، فقد أصبح اسم سويدنبرج علماً من الأعلام بين علماء الدين واللاهوت ، كما كان صاحب منزلة كبرى بين الصوفية من أصحاب الأحوال النفسية والأذواق الروحية ، وكما كان فوق هذا كله جيولوجياً عالماً بطبقات الأرض ، ومنجمياً خبيراً بالمعادن وبغيرها مما تحتويه الأرض والمناجم فى بطونها، وعالماً رياضياً وفلكياً وطبيعياً وكيماوياً وحيوياً له دراية كبرى بعالم الحياة ، بقدر ماله من هذه الدراية بعالم المادة من ناحية وبعالم النفس والعقل والروح من ناحية أخرى .

ولم يكن سويدنبرج صاحب فضل فى هذه العلوم من الناحية النظرية فحسب ، وإنما كانت له نتائج وثمرات لها خطرها من الناحية العملية أيضا . فقد طاف حول أوروبا وأفاد كثيراً من طوافه سواء من الناحيتين العلمية والعملية . ذلك بأنه بعد عودته من هذا الطواف عين فى منصب مساعد مدير منجم ، وهناك أتيح له من فرص العمل ما مكنه من إدخال صناعات جديدة إلى بلاده، ومن ابتكار أشياء مستحدثة ...

وليس من شك فى أن سويدنبرج الذى ألم بهذه العلوم كلها ، وشارك فيها مشاركة جديدة منتجة لأحسن النتائج العلمية وأطيب الثمرات ، قد كان له من الخصائص النفسية والعقلية والخلقية ما هيأ له سبيل التفوق فيما ألم به من أطراف هذا الخضم العلمى الواسع ، وفيما انتهى إليه من هذا الإنتاج العلمى الرائع . وآية

ذلك أنه ما ألم بعلم من العلوم إلا وكان إلمامه به تعمقاً ، وما عمل عملا من الأعمال إلا وكان عمله تحققاً . فهو عندما كان يريد أن يعرف شيئاً أو ينظر فى شىء ، أو يعمل أية ملكة من ملكاته الحسية أو النفسية أو العقلية أو الروحية فى أى شىء ، فإنما كان كل أولئك عنده على أحسن وجه وأدقه وأعمقه ، بحيث أنه لم يكن ثمة موضوع يوجه إليه نشاطه المتدفق وعقله المدقق وقلبه المتذوق إلا ويستمد منه قوته الخارقة وقدرته المحققة ويصطنع فى معرفة حقيقة أمره والوصول إلى مكنون سره فطرته الحدسية الصادقة ... » .

هذا نموذج مما كتب عن سويدنبرج الوسيط الملهم الذى عـــزا صراحة مواهبه إلى هذه الوساطة ، كما أسند فلسفته الروحية صراحة إلى صلاته التى لم تنقطع بعالم الروح لمدة سبعة وعشرين عاماً بدأت فى سنة ١٧٤٤ ، فإذا به يصبح أيضاً — على حد تعبير الدكتور محمد مصطفى حلمى — « صاحب رؤى ومكاشفات ونبوءات . ومن ثم استحال رجل العلم والأعمال والفيلسوف الطبيعى الذى عول على المنهج التجريبى إلى رجل يرى أشياء ويسمع أصواتاً ، ويصف ما يرى وما يسمع وصفاً لا يكاد يقف عليه من يتحدث به إليه حتى يتعجب ويدهش ويستولى عليه القلق والحـــيرة ، فإذا هو بين مصدق ومكذب ، أو بين متردد ومتحفظ على أقل تقدير ...

وليس من شك أيضاً فى أن سويدنبرج قد وقف شطراً كبيراً من حياته وحيويته على أداء رسالته الروحية التى غيرت وجه حياته العلمية والفلسفية الواقعية الأولى . فإذا هو يتحدث ويكتب عن نعيم السماء وجحيم الأرض ، وعما فى العالمين العلوى والسفلى من أسرار ، وما يشرق فى باطن أرباب الحب الإلهى من أنوار . وإذا ثمرات ما كتب عنـــه وما تحدث به تراث روحى من الكتب والرسائل التى تعرض لكثير من المسائل الغيبية ، وتعبر عن كثير من الأذواق

والمواجيد الروحية ، فضلا عما فيها من عناصر علمية وفلسفية ...»[١] .

وأهم مؤلفات سويدنبرج الروحية هي « أسرار السماء »[٢] (بين عامى ١٧٤٩ و ١٧٥٦) ، و « الفردوس والجحيم »[٣] (١٧٥٨) ، و « الحكمة الملائكية للحب الإلهى والحكمة الإلهية »[٤] (١٧٦٣)، و« الحكمة الملائكية للعناية الإلهية »[٥] (١٧٦٤) ، ثم « علاقة النفس والجسد »[٦] (١٧٦٩)، « والمذكرات واليوميات الروحية » (نشرت بين عامى ١٨٨٣ و ١٩٠٢)[٧]. وقد كتب سويدنبرج هذه المؤلفات باللاتينية ، ثم ترجمت إلى ثمانى عشرة لغة أخرى بين أوروبية وشرقية .

أندرو وجا كسون دافيز

لا تقل غرابة عن حياة سويدنبرج حياة الوسيط المعروف أندروجا كسون دافيز Ardrew Jackson Davis ، الذى ولد فى ولاية نيويورك فى سنة ١٨٢٦، وكان عاملا بسيطاً ثم كاتباً فى محكمة نيوجرسى New Jersey فى سنة ١٨٦٥ . و بدأت وساطته فى الظهور منذ كان عمره ١٩ عاماً أى فى سنة ١٨٤٥ فإذا به يكتب وهو فى حالته الوساطية، كتباً رائعة بلغ عددها الواحد والثلاثين كتاباً أهمها «مبادىء

---

(١) راجع فى مجلة « تراث الإنسانية » التى تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القوى ، المجلد الأول عدد ١١ الصادر فى ٥ نوفبر سنة ١٩٦٣ ، مقالا عنوانه « الحب والحكمة الأليان » لسويدنبرج .

(٢) Arcana Coelestia.

(٣) De Coelo et Inferno.

(٤) Sapientia Angelica De Divino Amore et de Divina Sapientia

(٥) Sapientia Angelica De Divina Provendentia.

(٦) De Commercio Animae et Corporis.

(٧) ترجم الى الإنكليزية بعنوان The Memorabilia or Spiritual Diary.

الطبيعة : وحيها المقدس»(١) (١٨٤٧) فى ثمانية أجزاء، و«قانون الإنسانية»(٢)، و « التناسق العظيم »(٣) (١٨٥٢) فى خمسة أجزاء ، والتى قال الدكتور جورج بوش George Bush الأستاذ بجامعة نيويورك عنها إنها «تكون فى مجموعها مناقشة فلسفية عميقة ومتماسكة للكون . ولا أعرف أن ثمة بنيانا آخر يدانيها من ناحية عظمة الأفكار واستقامة المبادىء ، ووضوح العرض والترتيب. والغنى الموسوعى فى الموضوع encyclopedic richness of subject



أندروجا كسون دافيز

ومن مؤلفاته أيضاً « العصر الحاضر والحياة الداخلية » (٤) (١٨٥٣) ، و« الموت والحياة الأخرى» (٥) (١٨٦٥)، و « مفتاح نجمى إلى السمرلاند(٦) » (١٨٦٨)، و « الروح القديمة والحديثة»(٧)، و«الاضطراب العقلى»(٨)(١٨٧١)، و « المعبد : عن أمراض المخ والأعصاب » (٩)(١٨٧١)، و « أحداث فى حياة أحد الرائين» (١٠) (١٨٧٣)، و « أفكار حرة متعلقة بالدين»(١١) (١٨٧٣)

---

(١) The Principles of Nature. Her Divine Revelations.
(٢) The Law Of Humanity.
(٣) The Grea Harmonia.
(٤) The Present Age and the Inner life.
(٥) Death and the After Life.
(٦) A Stellar Key to Summerland.
(٧) Ancient and Modern Spirit.
(٨) Mental Disorder.
(٩) The Temple : On Diseases of The Brain and Nerves.
(١٠) Events in the life of a Seer.
(١١) Free Thoughts Concerning Religion.

و «الإنسان المتناسق؛ أو أفكار للعصر »[1] (١٨٧٣)، و «تاريخ الشر وفلسفته»[2] (١٨٧٣)، و « وجهات نظر إلى مسكننا السماوى »[3] (١٨٨٣)، و « ما بعد الوادى »[4] (١٨٨٥) ، وغيرها كثير . وقد أسس دافيز فى سنة ١٨٦٣ فى أمريكا أول مدرسة روحية للأحداث .

وهكذا نجح هذا الوسيط القدير بفضل مرشديه غير المنظورين — ومنهم روح سويدنبرج كما قال هو نفسه — فى إقامة دعائم الفقه الروحى الحديث قبل أن يتبنى العلم المادى تجاربه المثيرة فى الروحية[5]. وقد توفى دافيز فى سنة ١٩١٠ ولا يزال معتبراً رائداً كبيراً من رواد هذه الحركة ، كما يعتبر الأستاذ و . ه . إيفانز W. H. Evans حجة فى شرح هذه الفلسفة الكبرى ، ومؤلفاته من أعمق المراجع فيها ، وفى فلسفة الروحية بوجه عام .

هدسون تاتل

من أبرز وسطاء الروحية فى أمريكا هدسون تاتل Hudson Tuttle (١٨٣٦ — ١٩١٠) وهو من وسطاء الكتابة التلقائية والرؤية . وله عدد وافر من المؤلفات الرائعة العميقة التى اجتذبت الأنظار إلى وساطته الفذة ، والتى لا تتناسب أبداً مع مستواه الثقافى ، ولا مع حياته المتواضعة كمزارع ومربٍ للخيول فى « مرتفعات برلين » بولاية أوهيو Ohio ، وهى الحياة التى تمسك بها حتى وفاته ....

---

(١) Harmonial Man or Thoughts for the Age.

(٢) The History and Philosophy of Evil.

(٣) Views of our Heavenly Home.

(٤) Beyond the Valley.

(٥) راجع مؤلف الأديبة سيمون سان كلير Simone Saint Clair واسمه Le Flambeau Ardent وقد نقلته إلى الإنجليزية السيدة سوزان آن مويز Susan Anne Moyse تحت اسم The Heart A Flame فى سنة ١٩٥٥ ص ٣٩.

وأهم مؤلفاته «تطور الأفكار الدينية»[١] (١٨٧٢)، و«أسرار الروحية»[٢] (١٨٧٦)، و «الأخلاق الروحية»[٣] (١٨٧٨)، و «دراسات فى الجوانب العامة للعلم الروحى»[٤] (١٨٨٩)، و «ديانة الإنسان والأخلاق العلمية»[٥] (١٨٩٠)، و «فلسفة الروح، وعالم الروح»[٦] (١٨٩٦)، و «الوساطة وقوانينها»[٧] (١٩٠٠). ومن مؤلفاته أيضاً «أسرار الدير»[٨]، و «الحياة فى أجواء كرتين أو مشاهد فى السمرلاند»[٩]، و «قصص من وراء الأرض المجاورة»[١٠] (مع إيما رود تاتل Emma Rood Tuttle) (١٩١٠).

وقد أقر تاتل بأنه تلقى كتبه من أرواح معينة، فأسند مؤلفه عن «أسرار الطبيعة»[١١]. إلى روحى العالمين لامارك Lamarck وهمبولد Humboldt وغيرهما. ويقال إن داروين أخذ بعض آرائه عن مؤلف له قديم عنوانه «أصل الإنسان الفيزيقى وتاريخه القديم»[١٢] (١٨٦٦).


هدسن تاتل

كما أقر بأنه كان فى كل كتاباته رهن إشارة بعض الأرواح التى تفوقه كثيراً من الناحية العقلية، والتى كانت تتخلى عنه

(١) Career of Religious Ideas.
(٢) The Arcana of Spiritualism.
(٣) Ethics of Spiritualism.
(٤) Studies in Outlying Fields of Psychic Science.
(٥) Religion of Man and Ethics of Science.
(٦) Philosophy of Spirit and the Spirit World.
(٧) Mediumship and its Laws,
(٨) Secrets of the Convent.
(٩) Life in Two Spheres, or Scenes in the Summerland.
(١٠) Stories From Beyond the Borderland.
(١١) Arcana of Nature.
(١٢) Origin and Antiquity of Physical Man.

أحيانا لأسابيع أو لشهور فيجد أن ينابيع أفكاره قد نضبت ، فإذا ماعمد إلى الكتابة بدونها تبين له أنه كتب لغواً لا يستحق عناء القراءة ، مما حمله على أن يتأكد أن هناك قوى عاقلة سامية متداخلة فى حياته .

وغير وسطاء الظواهر العقلية الذين تحدثنا عنهم آنفاً ظهر وسطاء آخرون كبار يضيق المقام عن التحدث عنهم فى الباب الحالى(١) . ولنا عودة إلى عدد آخر منهم فى الباب الذى خصصناه لذكر « بعض الأسماء والمراجع» فى عدة بلاد و بعدة لغات،لأن بعض مؤلفى هذه المراجع هم من وسطاء هذه الظواهر(٢). وقد كتبوها بطريقة الكتابة التلقائية التى اعتبرناها من صور الوساطة العقلية بالأقل فى جانبها الأقوى . أما فى الصفحات القليلة المقبلة فسيكون اهتمامنا موجهاً بوجه خاص إلى وسطاء الظواهر الفيزيقية الذين خضعوا للاختبار العلمى الدقيق.

المطلب الثانى

طائفة من وسطاء الظواهر الفيزيقية

أخذت قائمة الوسطاء الكبار -ممن يتمتعون بشتى صور الوساطة الفيزيقية- تتسع شيئاً فشيئاً حتى أصبحوا يعدون بالعشرات ، بعد أن كانوا يعدون بالآحاد عندما كانت الحركة فى مهدها . ولا ريب أن عدداً ملحوظاً من وسطاء الظواهر الفيزيقية كان يتمتع بصورة أو أكثر من صور الوساطات العقلية فى نفس الوقت ، وقد وضعنا هذا العدد فى هذا المطلب الثانى الخاص بوسطاء الظواهر

---

(١) راجع فى هذا الموضوع مؤلفاً للأستاذ عبد اللطيف محمد الدمياطى عنوانه « الوساطة الروحية » : القاهرة ١٩٤٩ . وبالإنجليزية كتاب « وسطاء ثلاثة مشهورون » Three Famous Mystics وهم سانت مارتن وجاكوب بوبهم وسويدنبرج . وهو من تأليف آرثر ادوارد ويت A. E. Waite وسوانسون W. P. Swainson. وسنشير فيما بعد إلى مراجع كثيرة عن بعض الوسطاء ومراجع أخرى جاءت عن طريقهم .

(٢) ومنهم بوجه خاص وليام ستيد وموريس باربانيل وواليس وجون لوب وجير الدين كامينز وأورسولا روبرتس وجريس كوك وستانتون موزس وجورج فيل أوين وغيرهم .

الفيزيقية تغليباً منا للجانب الأقوى من وساطتهم ، وهذا هو الجانب الذى عرفوا به أكثر من غيره ، وقد خضع أيضاً للتحقيق العلمى أكثر من غيره . فكما توجد ظواهر وساطية تجمع بين خصائص النوعين فى وقت واحد وجد أيضاً وسطاء كبار أمكنهم الجمع بين بعض صور شتى من النوعين معاً ، والعبرة فى التبويب ينبغى دائماً أن تكون بتغليب الجانب الأقوى من بين هذين النوعين. ونقصد هنا بالوسطاء الكبار أولئك الذين امتحنت مواهبهم هيئات علمية موثوق بقيمة امتحانها وبحوثها ، أو أولئك الذين خضعوا لتجارب علماء كبار لم يتعودوا أن يسلموا للوسيط بمواهبه إلا بعد تجارب شاقة وعسيرة قد تستمر لسنين طويلة . ومحاولة حصرهم كلهم أو بالأقل حصر أهمهم يضيق عنها هذا المقام ، وإنما نكتفى بالإشارة إلى عدد محدود منهم فحسب .

فلورنس كوك

فمن أشهر وسطاء الظواهر الفيزيقية فى القرن الماضى الآنسة فلورنس كوك Florence Cooke (١٨٥٦ — ١٩٠٤) التى خضعت لتجارب العالم المعروف سير وليام كروكس William Crookes ولآخرين غيره ، وتجسدت فى حضورهم الروح كاتى كنج Katie King تجسداً تاماً . وكانت هذه التجارب حاسمة إلى الحد الذى دفع كروكس إلى تقديم تقريره التاريخى إلى المجمع العلمى البريطانى — الذى كان هو رئيسه — بجانب تجاربه على الوسيط هوم ، على ماسيرد تفصيله فيما بعد فى الباب الذى خصصناه لبيان «بعض البينات والوقائع» .

أسابيا بلادينو

ومن وسطاء الظواهر الفيزيقية أيضاً الوسيطة الأسبانية المعروفة أسابيا بلادينو Eusapia Palladino التى ولدت فى سنة ١٨٥٤ وتوفيت فى سنة ١٩١٨ . وكان روحها المرشد إيطالياً يدعى جون كنج John King وخضعت لتجارب عدد كبير من أبرز العلماء فى العصر الحالى منهم

لومبروزو Lombroso وكيـايا Chiaia وبوزانو Bozzano وسكياباريلى Schiaparelli وجيروزا Gerosa فى إيطاليـا ، وأوليفرلودج O. Lodge وف . و ه مايرز F.W.H. Myers وأوكوروفيتز Ochorowiez وريتشارد هودجسون R. Hodgson فى انجلترا ، وشارل ريشيه C. Richet ودى روشا De Rochas وجابريل ديلان G. Delanne وفيكتوريان ساردو V. Sardou وغيرهم فى فرنسا . كما أجريت لها عدة تجارب فى سويسرا اجتازتها بنجاح .

وقد ذكر بعض الباحثين فى « جمعية البحث الروحى » بلندن S.P.R. فى تقاريره أنه ا كتشف أن أسابيا تدلس ، لأنه لاحظ وجود شعرة رقيقة أو خيط أبيض رفيع متصل بيدها ، فأسندوا إليه إحداث بعض الظواهر ، وقال بعض المجربين بل يد ثالثة أو عصا . وقد كان لإذاعة هذا التقرير أثره من ناحية التشكيك فى صحة وساطة أسابيا رغم كل وسائل الامتحان الصارمة التى خضعت لها فى هيئات متعددة واجتازتها كلها بنجاح .

ولكن يقول البحاثة المعروف جابريل ديلان G. Delanne إن ماشوهد متصلا بجسم الوسيطة عبارة عن السيالات الإكتوبلازمية المنبعثة منها les filaments fluidiques ، وأن هذه السيالات كثيراً ماتتجسد فى أشكال خيوط شعرية أو أجسام صلبة بحسب نوع الظواهر التى يراد إحداثها ، فهى ليست من التدليس فى شىء ، ولذا يقول إن هذا التقرير خاطىء برمته، وصدر من أشخاص لم تكن لديهم دراية كافية بعد عن طبيعة الظواهر التى تصدوا لتحقيقها[١].

تضاف إلى ذلك حقيقة أخرى يعلمها الآن جيداً بحاث الروحية ، وهى أنه.

---

(١) Les Apparitions Materialisées des Vivants et des Morts طبعة ١٩١١ ج ٢ ص ٦٠٩ — ٦١٩ .

عندما يكون الوسيط الروحى واقعاً فى غيبوبة تامة فإنه قد يكون خاضعاً للإيحاء الصادر إليه من كائنات غير منظورة، كما قد يخضع للإيحاء الصادر من بعض الجلساء. فإذا ما حصر الجلساء أفكارهم فى الخداع والتدليس (المحتمل بصورة أو بأخرى) فإنه من الجائز توجيه عقل الوسيط إلى هذا الاتجاه نفسه ، إذ أن الوساطة الصحيحة لا تخرج بدورها عن ملكة إدراك عن غير طريق الحواس أثناء الغيبوبة ، وهذه الملكة تقبل بطبيعتها الخضوع للإيحاء بصرف النظر عن نوعه أو مصدره .

وأياً كان الرأى فى صحة هذه الآراء فهناك حقيقة ثابتة ، وهى أن وساطة أسابيا اجتازت بنجاح باهر عدة امتحانات صارمة، عقدها لها عدد كبير من العلماء فى عدة بلاد ممن أشرنا إلى أسمائهم فيما سبق ، بعد أن استخدموا أقسى الاحتياطات لاكتشاف التدليس إن وجد ، فلم يسجل أحدهم تدليساً قبلها .

كما ظلت أسابيا من سنة ١٩٠٥ إلى سنة ١٩٠٧ خاضعة لتجارب « المعهد العام للسيكولوجيا » فى باريس التى نظمها الأستاذ جيل كورتييه Jules Courtier فعقدت لها فيه ثلاث وأربعون جلسة ، واشترك فى هذه التجارب عدد من كبار العلماء منهم بيير ومارى كورى Pierre et Marie Curie (مكتشفا الراديوم) ودارسونفال (الأستاذ بالكوليج دى فرانس ومدير المعهد) ، وإدوارد برانلى (أحد مخترعى الراديو) ، وريشيه (عضو أكاديميتى الطب والعلوم)، ولانجفان Langevin ، والفيلسوف هنرى برجسون مستخدمين جميع الاحتياطات الدقيقة ، ومع ذلك سجلوا حدوث ارتفاع كامل لمنضدة بدون وسيلة مادية عندما كانت أسابيا فى غيبوبتها مقيدة الوثاق تماماً ، واستخدموا فى تسجيل الظاهرة الغريبة جهازاً كهربياً حتى لا يكون الأمر مجرد تأثير نفسانى عن طريق الإيحاء أو ما هو أشبه . كما أثبتوا أنه أثناء ارتفاع المنضدة ازداد

وزن الوسيطة — غير المتصلة بها — بما يعادل تقريباً وزن المنضدة (وهذه ظاهرة تنفى وحدها احتمال التدليس) .

وفى ١٠ أبريل سنة ١٩٠٦ أشرف على تحقيق وساطة أسابيا العلماء بيير كورى ويوريفتش Yourévitch وشارل ريشيه . وتبين لهم انبعاث طاقة غريبة من الوسيطة ، كما تبين لهم هبوب نسيم بارد مجهول المصدر على جو الغرفة .

وخضعت أسابيا أيضاً لبحوث مدام مارى كورى داخل « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس . فشحنت مدام كورى ثلاثة كشافات كهربائية وطلبت من الوسيطة ، إن كانت هناك طاقة حقيقية تخرج من جسمها ، أن تفرغ الكشافات بغير أن تلامسها ، وفعلا جازت الوسيطة الامتحان بنجاح وأفرغت الكشافات بغير أن تلامسها حتى انطبقت أوراقها الذهبية .

وقد كان التقرير الذى أذيع ضد أسابيا سبباً فى أن يؤجل سير وليام باريت عالم الفيزياء المعروف وعضو « الجمعية الملكية » نشر كتابه « على عتبة غير المنظور » بضع سنوات إلى أن تم تحقيق وساطتها من جديد بمعرفة عدة جهات وفى عدة بلاد . وكانت هذه التحقيقات المتلاحقة كلها لصالحها ، وعندئذ فقط صرح للناشر بأن يطبع كتابه هذا ، وقد أشار سيرباريت فى ملحق C من كتابه إلى الجدل الذى أثارته وساطة هذه الوسيطة الأسبانية الشهيرة ، وإلى النتائج الأخيرة لتحقيق وساطتها التى حصل عليها الدكتور شارل ريشيه ، وإلى تحقيق سيزار لومبروزو (الجنائى الإيطالى المعروف) داخل جامعة تورينو التى كان لومبروزو أستاذاً بها عندئذ ، وبعد أن اتخذ معها جميع الاحتياطات الصارمة لكشف احتمال التدليس إن وجد .

هذا وقد أثبت الأخير فى تقريره عنها ، وهو منشور فى « التقويم السنوى للعلوم الروحية » [1] حدوث ظواهر روحية جمة فى حضورها ، منها ظهور شباح

(١) Annales des Sciences Psychiques. 1908.

أموات ،ولاحظ فيه أن بعض الظواهر كان يحدث مجتمعاً فى وقت واحد مما يجعل إحداثه بطريق الخداع من شخص واحد أمراً محالا . كما بيّن فيه أنه تحقق من حدوث عدة أفعال إرادية أجنبية عن الوسيطة وعن الحاضرين ، وحتى عن الروح المهيمنة على الوسيطة .

كما أشار سير باريت إلى تحقيق ثالث للدكتور إنريكو مورسيللى Enrico Morselli أستاذ الأمراض النفسية والعصبية بجامعة جنوا، وقد اشترك معه فيه الأستاذ بارزينى Barzini(١) .

ثم أشار إلى تحقيق رابع جرى فى جامعة تورينو بمعرفة الأساتذة هيرليتزا Herlitza وفوا C. Foa وأجازوتى Agazzotti ، بالإضافة إلى تحقيق خامس للأستاذ جوزيبى فنزانو Giuseppe Venzano (٢)، وسادس للأستاذ فيليب بوتازى Philippe Bottazzi مدير معهد الفسيولوجيا فى نابلى (٣) .

وأشار باريت أيضاً إلى تحقيق سابع بمعرفة الأساتذة إيفرارد فيلدنج Everard Feilding ، و م . و . و باجالى M.W.W. Baggally ، وهيروارد كارنجتون Hereward Carrington، وكلهم أعضاء فى «جمعية البحث الروحى» بلندن، وكلفوا بتحقيق وساطة أسابيا من جديد فجاء هذا التحقيق الجديد أيضاً لمصلحتها .

وقد حقق وساطتها أيضاً الفيلسوف كامى فلاماريون C. Flammarion واجتازت عدة تجارب ناجحة فى منزله بعد اتخاذ كافة الاحتياطات معها . وتمكنت — بالإضافة إلى رفع المناضد عن بعد — من القيام بأعمال نحت على قطع من الجبس بعيدة عن متناول يدها ، كما يتضح من الصورتين الآتيتين المأخوذتين عن مؤلفه « قوى الطبيعة المجهولة »(٤) .

(١) المرجع السابق أعداد فبراير ومارس ومايو ويونية ١٩٠٧ .
(٢) المرجع السابق عددا أغسطس وسبتمبر ١٩٠٧.
(٣) المرجع السابق أعداد سبتمبر وأكتوبر وديسمبر ١٩٠٧ .
(٤) Les Forces Inconnues de la Nature.



ارتفاع المنضدة في حضور أسابيا كما سجله فلاماريون . وقد أخفى أحد الحاضرين وجه الوسيطة بوسادة لحمايتها من ضوء المغنسيوم (عن قوى الطبيعة المجهولة ص ٢٢).



أعمال تحت عن بعد تمت في حضور أسابيا (المرجع السابق ص ١٨٦) .

ولا يتسع المقام لأكثر من ذلك عن أسابيا ، ومن يريد الاستزادة من المعرفة عنها فليرجع إلى بعض البحوث التي قام بعملها علماء كبار ، وبحاث مدققون من بلاد متعددة[١].

---

(١) منهم :

Morselli : Psicologia & Spiritismo. Turin 1908
Carrington: Eusapia Paladino And Her Phenomena
De Rochas: L'Exteriorisatoin de la Motoricité.
G.D. Fontenay A propos d'Eusapia Paladino, Paris 1898.
Lombroso· After Death--What? 19 9.
Rapport de L'Institut General de Psychologie. Paris.
Journal S.P.R. Vol VI and VII.
Proceedings S.P.R. Vol. XXIII and XXV.
Botazzi: Nelle Regioni Inesplorate della Biologia 1904.
L. Barzini: Mondo dei Misteri 1907.

مدام ديسبرانس

ومنهم أيضاً الوسـيطة السيدة إليزابث ديسبرانس Madame Elizabeth D'Esperance أو مسز هـوب « ١٨٥٥—١٩١٩ » وكانت وسيطة للتجسد وللمجلوبات الروحيـة ، وخضعت لتجارب الوزير والعالم اللغوى الروسى أكزاكوف Aksakoff، ولبعض العلماء الألمان منهم زولنر Zollner من ليبزج وفريس Friesse من بريسلو وغيرهم .



مدام ديسبرانس

وفى مدينة كريستيانا بالنرويج خضعت لتجارب ثلاثين من أساتذة الجامعات والأطباء ورجال الدين . وفى حضورها تجسدت تجسداً تاماً روح مفرطة فى الجمال لفتاة إغريقية تدعى نيفنتس Nephentés ولما طلب منها أحد الحاضرين ـ بغتة ـ أن تـكتب له شيئاً فى مفـكرة معه كتبت له رسالة صحيحة باللغة اليونانية القديمة التى لم يكن أحد من الحاضرين يعرف عنها شيئاً . وقام بعض الخبراء بإشراف الدكتور فون دى برجن Von De Bergen بصنع نموذج من شمع البارافين للوجه المتجسد والصدر والذراعين إلى الرسغين ، والوسيطة فى غيبوبة تامة(١).

(١) راجع التفاصيل فى مؤلف العالم النفسى إرنستو بوزانو.

A Propos de L'Introduction à la Métapsychique Humaine J. Meyer. Paris 1926.

الترجمة الفرنسية (ص ١٨٦) .

ومن المراجع عن هذه الوسيطة أيضاً : —

William Oxley : Angelic Revelations.

Aksakoff : A Case of Partial Dematerialisation.

ومن كتبها الخاصة « فى بلاد الظل » A u Pa s de L'ombre ، وبالانكليزية Shadow Land. ولها كتاب آخر عنوانه « أضواء من الشمال » Northern Lights

ولنا فيما بعد عودة — بالصور — إلى بعض التجسدات التى تمت فى حضور هذه الوسيطة.

وصنع أمثال هذا النموذج أصبح الآن أمراً معروفاً، وهو ينفى بذاته كل احتمال لتدليس أو لإيحاء أو لما أشبه، على ماذكرناه فيما سبق، عندما تحدثنا عن التجارب التى تمت فى عدة بلاد على الوسيط البولندى فرانك كلاسكى وغيره[١].

إجلنتون

ومنهم الوسيط وليام إجلنتون William Eglinton الذى ولد فى سنة ١٨٥٧ وكان وسيطاً للتجسد الكامل، كما كان وسيطاً للحصول على رسائل مباشرة من الأرواح على الألواح الحساسة slate writing . وقد خضع لتجارب بعض العلماء الألمان فى ليبزج، كما شاهد بعض ظواهره، ومنها تجسدات الأرواح فى ٢٩ من أكتوبر سنة ١٨٨٤ وليام غلادستون رئيس الوزارة البريطانية وقد انضم بعدها إلى « جمعية البحث الروحى » S. P. R. كما خضع إجلنتون لتجارب « جمعية دالستون للروحيين »[٢] و « جمعية بركستون للسيكولوجيا »[٣] و « الجمعية البريطانية الأهلية للروحيين »[٤].



إجلنتون

(١) راجع ما سبق فى ص ١٨٥ — ١٩٤.

(٢) Dalston Association of Spiritualists

(٣) Brixton Psychological Society.

(٤) British National Association of Spiritualists.

وعنوانها كالآتى : 38, Great Russell St. Bloomsbury.

ويلى شنيدر

ومن أبرز وسطاء الظواهر الفيزيقية الشقيقان النمسويان ويلى ورودى شنيدر Willi and Rudi Schneider من برونو Braunau، وقد اكتشفهما البارون الدكتور شرنك فون نوتزنج Schrenck Von Notzing الذى كان طبيباً نفسانياً، وعالماً فى البيولوجيا من ميونيخ (١٨٦٢ — ١٩٢٩) .

وقد ولد ويلى فى سنة ١٩٠٣ ، وكانت روحه المرشدة تدعى أولجا لنتنر Olga Lintner . وظهرت عليه وساطة الإكتوبلازم وتحريك الأجسام الصلبة بدون وسيلة ماديه منذ سنة ١٩٢١ . ومنذ ٣ ديسمبر سنة ١٩٢١ حتى أول يوليه ١٩٢٢ كان قد سلم بصحة ظواهره — وفى حضور الدكتور نوتزنج — حوالى مائة من العلماء من شتى الجنسيات تحت أدق صور الرقابة والتحقيق العلمى الصارم ، وقد سجلها نوتزنج فى مؤلف له صادر فى سنة ١٩٢٤[1] .

وقد حضر بعض هذه الجلسات بدعوة من البارون توتزنج بعض العلماء الأجانب منهم إريك دنجوول Eric Dingwall وهارى برايس Harry Price وقد وقع كلاهما أيضاً بصحة هذه الظواهر . كما خضع ويلى لبحوث عدد آخر من أساتذة الجامعات فى فيينا فى سنة ١٩٢٤ .

وفى هذا العام الأخير تلقى ويلى دعوة من « جمعية البحث الروحى» بلندن S. . R. — وهى أكاديمية تضم صفوة من علماء النفس والمادة من عدة دول — فسافر إلى لندن وعقد اثنتى عشرة جلسة من ١٢ نوفمبر إلى ١٣ ديسمبر ١٩٢٤، وقد كتب تقريراً عنها الأستاذ دنجوول فى المجلد السادس والثلاثين من مضابط هذه الجمعية Procoodinof of the S. P. R وقد ورد فى هذا التقرير ثبوت ظاهرة تحريك الأجسام الصلبة فى حضوره بدون وسيلة مادية Telekinesis.

---

(١) وعنوانه Experimente Der Fernbemegung

وأيضاً فى مؤلف له عن « الظواهر الفيزيقية للوساطة » وله ترجمة فرنسية عنوانها :

Les Phenomènes Physiques De La Médiumnité (1925).

روذى شنيدر

أما رودى شنيدر فقد بدأت وساطته فى الظهور منذ سنة ١٩١٩ وخضع لبحوث عدة هيئات علمية فى النمسا وأمريكا وانجلترا ، وكتبت عنه عدة تقارير هامة لمصلحته ، منها : —

— تقرير بمعرفة الأستاذ تيرينج Thirring بجريدة « جمعية البحث الروحى الأمريكية » Journal A·S.P.R. عدد ديسمبر ١٩٢٥ .

— تقرير بمعرفة الأستاذ هارى برايس Harry Price فى عددى يناير وفبراير ١٩٢٦ .

— تقرير بمعرفة الكابتن كوجلنيك Kogelnik فى عدد مارس ١٩٢٦ .

— تقرير بمعرفة الأستاذ جروبر Gruber فى عددى مايو ويونية ١٩٢٦ .

— كما أسهم فى تحقيق وساطته بمدينة برونو Braunau الأستاذ والتر فرانكلين برنس W. F Prince فى سنة ١٩٢٨ .

— وفى سنة ١٩٢٩ استأنف الدكتور نوتزنج بحوثه على رودى شنيدر فى معامل هر كرال Herr Krall مستخدماً أجهزة كهربية للرقابة إلى أن توفى نوتزنج فى نفس العام .

— وفى سنة ١٩٢٩ بعد وفاة الدكتور نوتزنج سافر الأستاذ هارى برايس إلى ميونيخ ودعا رودى للحضور إلى لندن حيث خضع لبحوث « المعمل الوطنى للبحث الروحى[١] » بأساليب صارمة من التحقيق بالأجهزة الكهربية الدقيقة التى ربطت بأطرافه الأربعة وبأطراف جميع الموجودين بالغرفة . وظلت تتوالى سلسلة من الجلسات الأولى من ١٢ إلى ٢٢ أبريل سنة ١٩٢٩ ، ثم تمت

---

(١) National Laboratory For Psychical Research
وهو تابع حالياً لجامعة لندن ، ولنا إليه عودة فيما بعد .

سلسلة أخرى من الجلسات من ١٤ نوفمبر ١٩٢٩ إلى ٢٠ أبريل ١٩٣٠ وكانت كلها على أعلى درجات النجاح .

وقد قال الأستاذ هارى برايس عن هذه الجلسات «لقد خضع رودى لرقابة مثلثة لا نرحم لم يسبق أن فرضت على أى وسيط فى هذه البلاد أو فى غيرها . وقد دخل إلى هذا التعذيب تحف به ألوان طائرة ! ![1] »، وقد أثرت صحة ظواهره التى حدثت فى لندن فى حوالى مائة شخص من العلماء والأطباء ورجال الأعمال والصحفيين .

وفى هذه الجلسات هبت على جو الغرفة رياح باردة مجهولة المصدر ، وهبطت حرارة الغرفة بلا سبب معروف ، وتحركت بعنف الستائر بلا سبب مادى ، وتحركت وارتفعت فى الهواء - بدون وسيلة مادية - سلة مضيئة ، ومنضدة للقهوة ، ودقت من تلقاء نفسها أجراس وسمعت طرقات ، وتسربت مناديل من جيوب بعض الموجودين وجدت معقودة فى أمكنة أخرى ، ولمست الموجودين أيدى مجهولة ، وتجسدت أيدى وأذرع . . وغير ذلك من ظواهر مثيرة عديدة فى حضور عدد من أكبر العلماء المعاصرين ؛ منهم لورد رايلى Lord Rayliegh ، ورانكين Rankine ، وشيلر Schiller ، ووليام براون W. Brown ، ونيلز فون هوفستن Nils Von Hofsten ، وبولارد Pollard ، وجود Joad ، وأوجين أوستى E. Osty ، وسير جيمس جينز J. Jeans وغيرهم من علماء انجليز وأمريكيين وألمان وفرنسيين .

وتسلم رودى فى النهاية من مجلس إدارة «المعمل الوطنى للبحث الروحى» شهادة بأن ثمة ظواهر صحيحة بوجه مطلق absoluteley genuine قد حدثت عن طريق وساطته . ولم يقبل أن يتقاضى أجراً عن كل هذا التعذيب الذى قاساه ، ولم تدفع له سوى نفقات إقامته اللازمة بلندن .

وفى سنة ١٩٣٠ خضع رودى من جديد لبحوث « المعهد الدولى لما وراء

(١) تشاهد أضواء طائرة ذات ألوان مختلفة فى حضور عدد من الوسطاء .

الروح » بميدان فجرام بباريس بمعرفة مديره الدكتور أوجين أوستى E. Osty لمدى تسعين جلسة اجتازها بنجاح ، وجاء تقرير المعهد فى مصلحته، كما وضحها الأستاذ أوستى فى مؤلفه عن «القوى المجهولة للروح على المادة » (١٩٣٢)[١].

وفى سنة ١٩٣٢ عاد رودى إلى لندن حيث خضع من جديد لبحوث «المعمل الوطنى للبحث الروحى » .وفى شهور أكتوبر إلى ديسمبر ١٩٣٢ خضع من جديد لبحوث « جمعية البحث الروحى بلندن » بمعرفة لورد شارل . هوب Charles Hope ، وكانت النتائج إيجابية أيضاً . وقد سجل لورد هوب الظواهر الغريبة التى كانت تحدث فى حضوره فى مضابط هذه الجمعية[٢].

جاك وبر

ومنهم جاك وبر Jack Webber (١٩٠٧ — ١٩٤٠) وقد كان وسيطًا لعدة أنواع من الظواهر الفيزيقية منها الصوت المباشر، وتحريك الأجسام الصلبة بغير وسيلة مادية ورفعها فى الهواء . وهو فضلا عن ذلك من أقوى وسطاء الإكتوبلازم. وقد تمت فى حضوره عدة حالات لمجلوبات روحية Psyohic Apports تحت رقابة دقيقة .

وقد انتقل جاك وبر لعالم الروح عن ثلاث وثلاثين عاماً فقط ، ومع ذلك أمكن أن تخضع وساطته الفذة لبحوث عدة هيئات منها «جمعية البحث الروحى» بجامعة كامبريدج ، وجمعيات البحث الروحى بلندن والأقاليم . وقد التقطت لظواهره الوساطية المئات من الصور الواضحة فى ظروف تنفى كل خداع . وكانت له عدة أرواح مرشدة يهمين كل منها على جانب معين من وساطته

---

(١) Les Pouvoirs Inconnus De L'rsprit Sur La matière.

(٢) راجع مضابط « جمعية البحث الروحى » مجلد رقم ٤١ ص ١٣١
S. P. R. Proceedings Vol 41. p 131.

المتعددة الجوانب : ومن هذه الأرواح بلاك كلاود BLack Cloud ، وبادى Baddy ،ومالودار Malodar (روح معالجة) . وتالجار Taigar ،ودكتورميلار Millar ، والأستاذ ديل Prof. Dale ،وعم متوف للوسيط يدعى جون بودن J. Boaden



منضدة عليها كتب طائرة فى الهواء بدون وسيلة مادية (وزنها ٤٥ رطلا) فى حضور الوسيط جاكوبر الذى يرى فى الصورة فى غيبوبته وهو مقيد القدمين واليدين (عن كتاب « وساطة جاكوبر » للأستاذ هارى إدواردز) .

وكان لوساطته دويها فى الصحافة فتصدى لتحقيقها مندوبون عن الإذاعة البريطانية B. B. C. وعن عدة صحف سيارة منها الصنداى بكتوريال Sunday Pictorial ، والديلى ميرور Daily Mirror ، بالإضافة إلى مندوبى الصحافة الروحية التى كتبت عنه كثيراً خلال ١٤ شهراً من نوفبر ١٩٣٨ إلى ديسمبر ١٩٣٩ ، وبخاصـــة « جريدة جمعية البحث الروحى الأمريكية » A. S. p. R.journal ، وصحف الأنباء الروحية Psychic News و « الضوء »

Light و« العالين » Two Worlds . وكانت جميع تقارير الباحثين فى جانب صحة وساطته، فلم يوجه إليه أى اتهام بالتدليس . وقد توفى جاك وبر وهوفى ريعان شبابه فى ٩ مارس سنة ١٩٤٠ عقب مرض قصير . ولنا عودة — بالصور — إلى وساطته عند الكلام فى الجسد الأثيرى للإنسان (١).

كارلو ميرابلى

ومنهم وسيط من أقوى وسطاء القرن الحالى فى الظواهر الفيزيقية ، وهو البرازيلى كارلو ميرابللى Carlos Mirabelli، الذى ولد من والدين إيطاليين فى قرية بوتيكاتو بالقرب من مدينة سان باولو فى سنة ١٨٨٩ ، وبلغت وساطته ذروتها فى سنة ١٩٢٠ . وفى سنة ١٩٢٦ أخضع نفسه لبحوث أكاديمية الدراسات الروحية Academia de Estudos Psychicos بالبرازيل خلال ثلاثمائة واثنين وتسعين جلسة تم بعضها فى ضوء النهار أو فى ضوء مصباح قوى ليلا ، قبل أن تكتب الأكاديمية تقريرها عنه . وقد ورد فيه أنه نجح فى التكلم بست وعشرين لغة ، وفى الكتابة بثمانى وعشرين لغة لا يعرفها ، منها العربية بالإضافة إلى الحديث بثلاث لغات مندثرة وهى الهيروغليفية واللاتينية والكلدانية . وأنه قدم ١٨٩ حديثاً طبياً إيجابياً ، و ٨٥ جلسة إيجابية للكتابة التلقائية ، و ٨ سلبية ، و ٦٣ جلسة إيجابية للظواهر الفيزيقية ، و ٤٧ سلبية .

وخلال وساطته تحدثت أرواح كثيرة من كبار الفلاسفة والعلماء المنتقلين ، وأعطت بيانات ثمينة تشير إلى حقيقة شخصياتها ، ومنها أرواح سقراط، وشكسبير ، وفيرجيل، وديكارت ، وجاليليو ، وكوبرنيكوس ، ولوثر، ودانتى ، وليوناردافنشى ، وسان فرانسوا الأسيسى ، وإميل زولا ، وأوجست كونت ، ونيوتن ، وجان دارك وغيرهم .

---

(١) للمزيد عنه راجع مؤلفاً للأستاذ هارى إدواردز عنوانه : —
The Mediumship Of Jack Webber.
وبه حوالى ثلاثين لوحة لظواهر وساطية غريبة حدثت فى حضوره .

وفى حضوره حدثت ظواهر فيزيقية عديدة مثل تحرك بعض الأجسام الصلبة بغير وسيلة مادية ورفعها، وانتقال الوسيط نفسه إلى مسافة ٩٠ كيلو متراً فى دقيقتين ، وارتفاعه فى الطريق العام لمسافة مترين لمدة ثلاث دقائق ، ونقل مأخوذات ومجلوبات روحية خلال الجدران ، واختراق نيران مشتعلة بدون أن يصاب بأذى، وكل ذلك فى حضور عدد كبير من علماء هذه الأكاديمية البرازيلية.

كما تبين أنه وسيط للتجسد الكامل ، فنى حضوره شوهدت أرواح متعددة، منها كريمة الدكتور دى سوزا Souza - رئيس الجمهورية - التى تجسدت لمدة ٣٦ دقيقة ورآها المئات من الحضور مرتدية نفس ثيابها التى دفنت بها، والتقط لها والدها صوراً واضحة . ومنها روح الدكتور جوزى دى كارماجو التى تجسدت تجسداً كاملا فقام الدكتوردى سوزا - رئيس الجمهورية بنفسه - بفحص ضربات القلب وحركة التنفس وتقلصات الأمعاء والأسنان واللعاب والأظافر والعينين . وقرر أن الفحص أسفر عن أن جميع هذه الأجهزة تعمل كما لو كانت لإنسان عادى[1] .

وفى إحدى الجلسات ربط ميرابللى وختمت عقد الحبال التى قيد وثاقه بها بالشمع الأحمر ، وبعد الغيبوبة بلحظات وجد فى غرفة أخرى وهو لايزال فى غيبوبته ، وقد تبين أن جميع الأختام التى وضعت على الأبواب والنوافذ وعقد الحبال لاتزال سليمة . وذلك بالإضافة إلى تحقيق ظواهر شتى، وقد تمت كلها على أروع وجه وأدعاه إلى الاقتناع .

كما أجرى كارلو تجاربه أمام علماء « الأكاديمية البرازيلية لما وراء الروح » بمدينة ريو دى جانيرو[2]. وقد درس وساطته عـــدد من أحسن علماء

(١) راجع مجلة Zeitschrift fur para-psychologie عدد أغسطس سنة ١٩٢٩ وجريدة البحث الروحى Pshchic Research مع تعليق لعالم الباراسيكولوجى ديتجوول E.C. Dingwall فى عدد يولية ١٩٣٠ ، ومقالا للمرحوم الدكتور زكى العزيزى الطبيب النفسانى فى مجلة « عالم الروح » عدد يونية سنة ١٩٥٩ ص ٢٤ — ٢٨ .

(٢) L'Academie Brésilienne De Métapsychique De Rio-De-Janiro.

الباراسيكولوجى، ومنهم بوجه خاص العالم الألمانى المعاصر الأستاذ هانز جيرلوف Hans Gerloff فى مؤلف له عنوانه « الوسيط كارلو ميرابللى »[1] (١٩٦٠).

وبعد انتقال هذا الوسيط إلى عالم الروح خلدت حكومة بلاده ذكراه على خمسة ملايين طابع بريد تحمل اسمه وصورته . . .

آدا إيما دين

ومنهم وسيطة بريطانية معروفة للصور الروحية وهى السيدة آدا إيما دين Ada Emma Deane وقد بدأت وساطتها فى الظهور فى سنة ١٩٢٠. وأجريت معها تجارب دقيقة فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٤ بمكتبة ستيد W. T. Stead Bordaland Library فظهرت عدة صور روحية على الرغم من أن الألواح الحساسة لم توضع فى حيازة الوسيطة أو فى متناول يدها بأى وجه كان .

وقد ورد فى جريدة « جمعية البحث الروحى الأمريكية » A S P.R.Journal وصف جلسات عقدت لها بأمريكا داخل المعامل الوطنية بواشنطون National Laboratories Of Washington فى سنة ١٩٢١ بإشراف الدكتور ألرتون كوشمان Allerton Cushman مدير هذه المعامل . وفيها حصل الدكتور ألرتون — على لوح حساس أحضره بنفسه — على صورة روحية واضحة لكريمته أجنيس Agnes التى كانت قد انتقلت إلى عالم الروح فى العام السابق . كما تمت تجارب أخرى ناجحة لنفس الوسيطة فى عدة جهات أخرى[2] .

وفى ١١ نوفمبر ١٩٢٢ أثناء وقفة حداد لمدة دقيقتين عند النصب التذكارى فى هوايتهول — وكانت تساعدها استيل ستيد كريمة سير وليام ستيد — ظهرت حوالى خمسون صورة روحية مختلفة على لوح حساس واحد وأمكن

---

(١) Das Medium Carlos Mirabelli. Eine Kritisce Untersuchung.
وراجع تعليقاً عنه فى مجلة « المعهد الدولى لما وراء الروح بباريس » مجلد ٤ عدد ١ (مارس ١٩٦١) ص ٢٣ .

(٢) منها Occult Committee Of The Magic Circle.

التعرف على عدد من أصحابها . وظلت نفس الظاهرة تتكرر لمدة ثلاث سنوات متتالية . ونشرت الصور فى بعض الجرائد السيارة وفى كتاب للسيدة استيل عنوانه « وجوه الموتى الأحياء »(١).

ومن الطريف أن الأستاذ دنيز برادلى H. Dennis Bradley الوسيط المعروف تلقى رسالة بالصوت المباشر من روح شقيق زوجته فى سنة ١٩٢٣ أخبره فيها بأنه كان من ضمن الذين ظهروا فى إحدى صور السيدة دين ، وأنه كان بجانب اليد اليمنى للصورة ومن أسفل ، وفى اليوم التالى حصل برادلى على نسخة من الصورة ووجد صورة الروح واضحة فى المكان الذى عينته ، وقام بفحصها للتحقق من صحة الملامح .

كما قام سير أرثر كونان دويل من جانبه بتحقيق صحة الصور التى نشرتها جريدة الديلى سكتش ، وزعمت أنها تمثل صوراً لوجوه بعض أبطال الرياضة الأحياء المعروفين، فعهد بها سير دويل إلى سير آرثر كيت Arthur Keith الذى كان أكبر حجة فى بلاده فى شئون تحقيق الملامح والشخصية anthropometric matters فكان تقريره إلى جانب صحة هذه الصور ، وضد تهمة التدليس التى اتهمها بها المعارضون .

وفى عدد مايو سنة ١٩٢٥ من جريدة « جمعية البحث الروحى الأمريكية» يروى الدكتور هيروارد كارنجتون H. Carrington نتيجة تجاربه مع هذه الوسيطة، ويقول إنه حصل أثناءها على عدد من العلامات الغريبة التى تتراوح بين الوضوح والغموض فى سنة ١٩٢١ . وفى السنة التالية أعاد تجاربه معها فحصل على نتائج أخرى غريبة منها ظهور أضواء على شكل نجوم مذنبة (ذوات ذيول)، وصورة لوجه امرأة على اللوحات الحساسة التى أحضرها بنفسه ووضع

---

(١) Faces Of The Living Dead.

عليها علامات بالأشعة السينية حتى لا يحدث استبدال لهذه اللوحات بطريقة خفية .

وفى باب لاحق سنقدم للقارىء بعض نماذج من صور روحية التقطت عن طريق هذه الوسيطة مأخوذة عن مؤلف لعالم الكيمياء المعاصرف . و . واريك F. W. Warrick يتضمن نتائج تجاربه الخاصة فى الروحيات مع نفس هذه الوسيطة وغيرها . وقد تمت كلها تحت رقابة دقيقة، ونجحت إلى المدى الذى يتعذر فيه تماماً الادعاء بحصول خداع أو وهم، وذلك كله بالإضافة إلى تجارب مماثلة لها فى « الكلية البريطانية للعلم الروحى » .

وسطاء العلاج الروحي

ومنهم وسطاء للعلاج الروحى حققت صحة وساطتهم هيئات ومعاهد شتى مثل و.ت باريش W.T.Parish، ووليم هنرى ليلى Wiliam H. Lilley، وهارى إدواردز Harry Edwards ، وقد كتبت عن ثلاثتهم مؤلفات عديدة من باحثين محايدين كان هدفهم التحقق من مدى صحة العلاج الروحى، وإعلانه للقراء إن كان صحيحاً . وكان التحقق من نجاح بعض حالات العلاج الروحى من أقوى البواعث التى حملت الفيلسوف وليام جيمس إلى التحول إلى الروحية الحديثة ، وإلى تطوير فلسفته فى اتجاه روحانى تجريبى جديد على ما سنوضحه فيما بعد، كما سنوضح بعض المراجع عن العلاج الروحى التى قام بوضعها ثقات من الباحثين والمؤلفين .



المعالج الروحى وليام باريش . وقد التقطت له هذه الصورة بالأشعة دون الحمراء فظهرت إلى جواره الروح المهيمنة عليه

المبحث الثالث

مقتضيات الأسلوب العلمي في دراسة الظواهر والوسطاء

مما لا ريب فيه أن الظواهر الوساطية قديمة قدم الإنسان ، وكانت معتبرة في الماضي من صور السحر ، وليس للمثقف العصرى أن يجزع من ذلك ، فقديماً كانت جل شئون الإنسان مختلطة بالسحر اختلاطاً شبه تام ، يستوى فى ذلك الطب مع الحرب مع الكيمياء مع الفلك مع النفس . . ولا يزال الأمر كذلك لغاية الآن فى المجتمعات البدائية . والسبب فى ذلك أن الإنسان ميال بفطرته إلى أن يصف بالسحر كل أمر تعجز معارفه القاصرة عن السيطرة عليه، أو حتى عن فهمه .

ولذلك أخذت دائرة السحر تضيق تدريجياً بقدر نمو دائرة المعارف العلمية تدريجياً ، وبقدر اكتشاف القوانين الكامنة وراء الظواهر التى كانت تبدو فيما مضى سحرية غامضة ، وهكذا كان الشأن أيضاً بالنسبة للظواهر الوساطية . فمنذ منتصف القرن الماضى خضعت هذه الظواهر للبحث والتحقيق بوسائل علمية منظمة ، وبدأت تظهر لها قوانين محددة . وبعد أن كان مصدرها مجهولا ، وكان ذلك يضفى بذاته عليها طابع الظواهر السحرية ، ابتدأ العلم يعرف لها مصدراً أو أكثر من مصدر ، وابتدأ يخضع هذه الظواهر للتمحيص ، وللإحصاء ، وللتصوير ، وللتحليل المنطقى والكيميائى ، حتى كادت هذه البحوث — مع وثيق اتصالها بعلم الروح الحديث — أن تصبح موضوعاً لبحوث مادية تجرى على نمط بحوث المادة الصرف .

ولا غرابة فى ذلك لأن البحوث المعملية فى هذه الروحية التجريبية تمثل قنطرة بين نطاقين مختلفين تماماً، ولكنهما فى نفس الوقت مرتبطان دواماً ، وهما نطاقا الروح والمادة . فهذه البحوث فى الظواهر الوساطية مادية من ناحية جانبها

الخاضع للحواس الإنسانية المألوفة ، ولكنها روحية من ناحية مصدرها غير الخاضع لهذه الحواس . وهكذا ابتدأت بحوث الروح تنسلخ تدريجياً من نطاق السحر كيما تدخل فى نطاق العلم التجريبى ، وبالذات فى نطاق سائر علوم الحياة التى منها السيكولوجيا (علم النفس) ، والطب ، والبيولوجيا (علم الأحياء) ، والفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) . وأصبحت كل الصلة التى تربط موضوع الروح بالسحر صلة تاريخية هى نفس الصلة التى ربطت قديماً بين السحر وبين الطب والكيمياء والحرب والفلك والاعتقاد وغيرها . .

يؤكد ذلك أن موضوعات علم الروح الحديث ، التى تكشفت عنها دراسة الظواهر الوساطية ، أصبحت موضوعات علمية عميقة مفرطة فى عمقها وفى خطورة دورها فى الحياة ، مختلفة تماماً عن السحر بالمعنى الشائع لدى الكافة عن أساليبه وغاياته . فلسنا هنا إزاء عالم من تمائم وتعاويذ ، ولا إزاء عالم من طقوس وأوراد ، بل نحن إزاء دراسات عميقة لأخطر موضوعات المعرفة التى وصل إليها عقل الإنسان وبخاصة : العقل من ناحية مدى صلته بالمخ ، ودراسة نطاق الإدراك خارج الحواس ، ومدى تأثير العقل المباشر فى المادة ، ودراسة الإلهام والأحلام والتنبؤات ، ومعنى الزمان والمكان ، والمادة والطاقة والذرة والنسبية ، والأثير والاهتزاز ، والفضاء والفلك . بل نحن أيضا إزاء أعمق موضوعات الفلسفة والاعتقاد المتصلة بالنفس ، والروح والخلود ، والثواب والعقاب ، والرسالات والمعجزات . وإزاء أعمق موضوعات علم الأحياء المتصلة بالحياة فى نشوئها ونموها وتطورها وارتقائها وتحولها . . . وإزاء أدق موضوعات الأدب والشعر والنثر واللغات المندثرة والتاريخ ، لتحقيق صحة ما قد يرد من بيانات ورسائل منسوبة إلى أرواح الأقدمين والمحدثين . وإزاء نواحٍ من العلاج بالروح وبالإشعاعات جديدة تماماً ومختلفة عن كل أنواع العلاج المعروفة حتى الآن ...

وفى الجملة لقد أصبح علم الروح الحديث يمثل علماً ناشئاً ولكنه واسع المدى ، متعدد المسالك ، خاضع لنفس الأساليب العلمية الناقدة فى الاستقراء والاستنتاج التى خضعت لها سائر المعارف الأخرى، التى لا صلة لها بأساليب السحر والشعوذة .

ومع ذلك فلا يزال هناك من يأبى إلا أن يصف علم الروح بأنه « السحر الأبيض» White Magic ، ويقصد بهذا الوصف أن يربط بينه وبين العلوم الغامضة Occult Sciences من ناحية أن ظواهر الوساطة الروحيـــة لا تزال غامضة فى العديد من جوانبها ، لأنها لم تدرس بعد الدراسة الكافية ، ولأنها تفلت عن سيطرة القوانين التى وصل إليها عقل الإنسان حتى الآن عن المادة والطاقة . ولكنه أبعد من ناحية أنه يمثل بحثاً يهدف إلى مجرد التنقيب عن جانب هام جداً من قوانين الطبيعة التى لا تزال مجهولة من معارف الإنسان . فهو لا يهدف بأية صورة إلى الإيذاء أو إلى قضاء الحاجيات العارضة ، كما يهدف ـ مثلا السحر الأسود فى بعض البيئات المتخلفة التى لا تزال تعتقد بوجود قوى أخرى غامضة غير معروفة من العلم المادى يمكن أن تستخدم فى قضاء هذه الحاجيات !!.. .

ولذا فالأصل فى جميع ظواهر الوساطة الروحية أنها مجانية عملا بقول السيد المسيح لتلاميذه عن موهبة العلاج بالروح « مجانا أخذتم مجاناً أعطوا » . فالاتصال الروحى لا يشترى بالمال ، ووسطاء الروحية الصادقون يؤدون رسالة أسمى بكثير من رسالة جمع المال . ومع ذلك فإن الهيئات المعنية بتحقيق الظواهر الوساطية كثيراً ما ترى ضرورة تعويض الوسطاء الصادقين تعويضاً مادياً عن الوقت الطويل الذى قد يقضونه تحت إشرافها ، وعما قد يتحملونه من إرهاق ومن قيود ، خصوصاً عندما يكون الوسيط أو الوسيطة رقيق الحال محتاجاً إلى بعض المعونة . ولكن ذلك يتم فى أضيق نطاق ممكن ، فبين الاتجاه

إلى المادة والاتجاه إلى الروح تنافر طبيعى مسلم به . والوسيط المتطوع هو المثل الأعلى للوساطة الراقية ، ويعرف تاريخ الروحية عدداً من هؤلاء الوسطاء ، بل منهم من كان يتحمل من جيبه الخاص حتى مصاريف انتقاله عبر القارات ليكون تحت تصرف العلماء والهيئات المعنية بالأمر .

بين الظواهر الروحية والنفسية

وظواهر الوساطة العقلية أشبه ما تكون فى مجال التحقيق بطائفة من الظواهر النفسية ، وبوجه خاص بظاهرة التلباثى ، أى قدرة الفكر على الانتقال من عقل إنسان إلى عقل إنسان آخر عن غير طريق الفم والأذن . فقد تبين أن للفكر قدرة على الانتقال لا تنتمى إلى الملكات المادية للحواس ، وتتم فى سرعة هائلة يتعذر قياسها ، ولكن من المقطوع به أنها تتجاوز كثيراً سرعة انتقال الضوء .

وهذه القدرة على التلباثى أو التخاطر لا يملك أحد السيطرة عليها ، فهى نادرة جداً لكنها حقيقية لا ينازع فى صحتها علم النفس الحديث . وقد تبين أن وسيط التلباثى قد ينجح فى وقت ما ويخفق فى وقت آخر ، وقد ينجح مع شخص ما ويخفق مع آخر ، وقد يخفق على الرغم من قرب المسافة كما قد ينجح على الرغم من بعدها . فدور البحث العلمى هو مجرد تحقيق مدى صحة هذه الظاهرة وتسجيلها عندما تحدث دون الزعم بإمكان السيطرة عليها ، كما يسيطر مثلا على الإرسال اللاسلكى . وذلك لأن عقل الإنسان أكثر دقة وتعقيداً بمراحل كثيرة من أى جهاز لاسلكى للإرسال أو للاستقبال ، إلى حد يمكن معه القول بأن عقل الإنسان لا يزال ربعاً مجهولا لم يستكشف العلم منه بعد إلا أقل من القليل ، بل لعله لم يستكشف منه استكشافاً صحيحاً شيئاً على الإطلاق .

والتلباثى أو التخاطر ظاهرة تقع على الحدود بين الظواهر النفسية والظواهر الروحية العقلية ، فكلها شائعة بين نطاق علم النفس بمفهومه التقليدى وعلم الروح بمفهومه الحديث . وقد تبين أن قدرة العقل المتحرر من الجسد المادى على إرسال أفكاره ومشاعره إلى عقل الوسيط الروحى قد تكون أقوى من قدرة العقل المقيد بحدود المخ على إرسالها إلى الوسيط النفسى ، وبالمثل القدرة على إيقاع الوسيط فى الغيبوبة والاستحواذ بصورة ما على وعيه لفترة من الوقت قد تطول وقد تقصر .

وهذا الإيقاع فى الغيبوبة يتم غالباً عن طريق روح مرشدة . والروح المرشدة لازمة لوسيط الغيبوبة لحمايته من الأرواح الدخيلة والمشاغبة ، عندما يكون فى هذه الحالة المفرطة فى الحساسية . وهى دائماً روح متطوعة يهمها نجاح الجلسة لأداء رسالة ما ، لعل أهمها إطلاقاً هى إقناع الحاضرين بصحة وساطة الوسيط . ووجود مستوى آخر للحياة يلى مستواها المادى .

ويميز الدكتور ف . و . ه . مايرز أستاذ السيكولوجى بجامعة كامبريدج بين ثلاث مراحل متتابعة للغيبوبة الوساطية : —

ففى المرحلة الأولى — بحسب رأيه — يسيطر على الوسيط عقله الباطن أو غير الواعى Subconscious ، ثم تسيطر عليه فيه روحه المتجسدة The incarnate spirit التى قد تحافظ على سيطرتها على جسم الوسيط كله أو لا تحافظ ، ولكنها قد تتدخل فى العالم الروحى أو قد تنتشىء معه بعض صلات تلباثى معينة .

أما فى **المرحلة الثانية** : فإن جسم الوسيط يصبح محكوماً كله بروح غير متجسدة ، تقوم بزحزحة روح الوسيط كيما تحل محلها . وهذه المرحلة للغيبوبة تفسر القدرات الشاذة للذات خلال التحرر من قيود الجسد والمكان والزمان ، ومنها مثلا قدرة السير على النار ، وظهور علامات معينة على

البشرة ، stigmatism, dermographv ، والمناعه ضد السموم ، والجروح التى لا تنزف دماً ، وغير ذلك من الظواهر الغريبة التى شوهدت على بعض فقراء الهند وغيرهم من الوسطاء .

أما المرحلة الثالثة : فهى مرحلة الاستحواذ الخارجى possession ، والمس obsession ، والاتصال بكائنات غير متجسدة ، وهذه هى المرحلة التى تهم بوجه خاص الراغبين فى الاتصال الروحى ، وينبغى فيها أن يظهر أن وعى الوسيط أصبح مستقلا تماماً عن وعى الروح المهيمنة عليه ، وهذا هو ما يميز ظاهرة الغيبوبة الروحية عن بعض صور الغيبوبة التى يعرفها علم النفس التقليدى مثل غيبوبة التنويم المغناطيسى العادى ، والتخدير ، والتشنج العصبى ، والصرع وغيرها .

* * *

هذا عن تمييز الظواهر العقلية للوساطة الروحية — وبخاصة الغيبوبة — عن الظواهر النفسية الخالصة . أما ظواهر الوساطة الروحية الفيزيقية فهى أسهل تمييزاً عن الظواهر النفسية وأكثر استقلالا ، لأن لها كيان مادى خارجى مستقل عن وعى الوسيط ، بل عن جسده المادى أيضاً . ولعلها لهذا السبب أيسر فى تحقيقها من الظواهر العقلية ، وإن كانت فى نفس الوقت أندر منها بكثير . وهى لا تحتاج للأساليب الرياضية وإن كانت تحتاج أحياناً لبعض أجهزة الضبط والقياس .

والظواهر الوساطية الفيزيقية و العقلية تشترك كلها فى هذه الخاصية الهامة وهى أنها ليست خاضعة لسيطرة الوسائل المادية عليها . فلا يملك أى إنسان حق الزعم بأن لإرادته سلطاناً ما على حدوثها أو على عدم حدوثها ، ويلتقى فى ذلك العالم مع الوسيط ، وذلك لأن النوعين معاً خاضعان لمستوى من الوجود مختلف تماماً عن المستوى المادى الذى نعيش فيه الآن . وتحكم الظواهر الروحية

بالتالى طائفة من القوانين لم يستكشف العلم منها شيئاً يذكر بعد . ولذلك فهى أبعد ما تكون عن الوضوح والاضطراد المعروفين بالنسبة لقوانين المادة أو الطاقة ، أو تبادل التحول بين المادة والطاقة . ولكن هذه الحقيقة الهامة لاتنفى خضوع الظواهر الروحية لقوانين طبيعية محددة . وإن كانت لم تستكشف بعد . فهى ليست خارقة للطبيعة ، أو خارجة عن نطاقها كما قد يفهمها البعض خطأ . بل هى ظواهر طبيعية كغيرها ، وإن كانت غير مألوفة ، ومن رسالة العلم أن يحاول استكشاف قوانينها .

فبحث الظواهر الروحية ينبغى أن يجرى مع تسليم مبدئى بهذه الحقيقة الهامة . وهى أن هذه الظواهر تختلف عن ظواهر الحياة المادية لتداخل جملة عوامل جديدة متنوعة ، وطاقات لها صور وأبعاد مغايرة للمألوف ، وخصوصاً لتداخل ملكات عقلية كثيراً ما تنتمى إلى عقول أجنبية عن عقول العلماء والوسطاء والجلساء ، وبالتالى لتداخل اهتزازات جديدة مرتفعة المستوى تنتمى إلى مستويات فى الوجود مغايرة تماماً للمستوى المادى فى سرعة ترددها ، وبالتالى فى طبيعتها الذاتية ، وفى طريقة بحثها ومحاولة استكشاف بعض نواميسها .

ضرورة تأصيل الظاهرة محل البحث

وثمة ظواهر نفسية مثل قراءة الأفكار أى التلباثى Telepathy، والإيحاء Suggestion، والإيحاء الذاتى Auto Suggestion يمكن أن تختلط — كما قلت — ببعض ظواهر الوساطة الروحية. فمثلا إن بعض صور الرؤية التى قد يراها الوسطاء الروحيون عبارة عن محض ظواهر نفسية ، بل إنى لا أغالى إذا قلت إن العدد الأكبر من هذا الصنف الذى يطلق عليه وصف صور أو أشكال عقلية Thoughf Forms هو من صنع نفس عقل الوسيط ، وليس من مصدر خارجى عنه . فهو من ظواهر المرحلة الأولى فقط من الغيبوبة الوساطية . فلا ينبغى أن

يفوتنا أن الوسيط يملك عقلاً من نفس نوع العقول التى تملكها الأرواح غير المتجسدة ، ويملك بالتالى أن يؤثر بصورة ما فى الوسط الذى يحيط به ، كما يمكن أن يتأثر به على نحو أو على آخر. كما يمكنه أيضا أن يتلقى تأثيرات معينة عن طريق التلباثى من عقول بعض الجلساء معه فى الغرفة . أو من بعض البعيدين عنه أيضاً .

إلا أن ثمة ظواهر روحية خالصة،نادرة ولكنها ثبتت علمياً ،لا يمكن تعليلها إلا ببقاء الوعى بعد الموت . وبإمكان نشوء صلات بين وعى المنتقلين ووعى الوسيط أو الوسيطة،وهى تماثل إلى حد كبير الصلات التى يمكن أن تنشأ بين عقلى شخصين أو أكثر لايزالان على قيد الحياة الأرضية . وقبل التحرر من ربقة الجسد المادى.وهى لاتظهر — عادة — إلا متى وصل وسيط الغيبوبة إلى المرحلتين الثانية أو الثالثة . وتكون فى المرحلة الثانية أظهر منها فى الثانية حيث يكون وعى الوسيط قد تم إبعاده كلية عن نطاق التأثير فى الظواهر التى قد تجرى بمعرفة أى كائن منفصل عن جسده .

وذلك لأن كل ما يصح أن يصدر عن عقل الروح المتجسدة incarnate (الإنسان فى الجسد المادى) يصح أن يصدر مثله من عقل الروح بعد انفصالها عن الجسد المادى بالموت discarnate . فكل هذه الخصائص النفسية من مميزات الروح لا الجسد،لأن العقل بشطريه الواعى والباطن موطنه الروح.أما المخ فموطنه الجسد. بل إن الروح بعد تخليها عن جسدها تكون أقدر غالباً على إحداث هذه التأثيرات « النفسية » منها قبل هذا التخلى ، خصوصاً بعد مضى وقت كاف من تأقلمها ببيئتها الجديدة ، ومرانها على استخدامها لملكاتها الكامنة فيها ، والتى كانت خامدة من قبل فى المستوى المادى ، وذلك :

أولا : لأنها تستخدم عقلها متحرراً من قيود الاعتقال فى الجسد المادى بكل ما قد يصيبه من عوامل العجز والقصور .

وثانياً : لأنها تستخدم عقلها بالكامل ، أى بشطريه الواعى وغير الواعى، مندمجين معاً أحدهما فى الآخر ، لأنه بالتحرر من الجسد المادى لم يعد هناك بعد شطر غير واعٍ من العقل .

وثالثاً : لأنها أسرع انتقالا بكثير بعد « الوفاة » مما كانت قبلها ، مما يسهل لها أن تنشىء صلات مباشرة مع عقل الوسيط كانت تعجز عن مثلها قبل « الوفاة » بسبب عوائق المكان .

ورابعاً : لأنها بالنظر إلى ارتفاع اهتزازها تحصل على قدرة من التأثير فى الأثير الرقيق المحيط بها تفوق قدرتها السابقة قبل الوفاة . وكذلك الشأن فى تأثيرها فى أية طاقة قد تنبعث من الوسيط ، أو من أحد الجلساء ، بما فى ذلك احتمال تأثيرها فى الإكتوبلازم ، إذا ما توافرت لها أية وساطة من هذا القبيل[١] .

هذا من جانب . ومن جانب ثان فإن التمييز عادة يكون ميسوراً بين ما قد يرد إلى عقل الوسيط من عقل كائن لم يتخلَّ بعد عن جسده المادى ، وما قد يرد إليه من عقل كائن تخلى بالفعل عن هذا الجسد ، وسبل تحقيق شخصية الروح متنوعة ، وسنعرض لها فيما بعد[٢] .

ومن جانب ثالث فإن ثمة ظواهر روحية فيزيقية لا تملك النظريات النفسية التقليدية أى تعليل لها ، خصوصاً تلك الظواهر الفيزيقية التى أمكن تسجيلها بأجهزة دقيقة أو بالكاميرا ، مثل تجسد الأرواح كلياً وجزئياً ، والصوت المباشر ، والكتابة التلقائية والمباشرة ، وظهور صور وكتابات شتى على الألواح الحساسة ، وتحريك الأجسام الصلبة ، وعلاج بعض الأمراض العضوية التى لا تمت بصلة مباشرة إلى الحالة النفسية للمريض . . .

---

(١) راجع ماسبق فى ص ١٧٠ وما بعدها .
(٢) فى ص ٢٣٨ ومابعدها .

ولقد وصل العلم الآن إلى إمكان التمييز بين الظواهر النفسية وبين ظواهر الوساطة الروحية التى تثبت دوام الوعى بعد التخلى عن الجسد المادى ، بفضل بحوث دقيقة تكفل بها علماء كبار — نفسيون وغير نفسيين — ممن واجهوا بشجاعة كبرى مسئولية البحث العلمى المثابر ، متحررين من قيود الماضى وافتراضات المدارس المادية فى علم النفس القديم .

ولحسن الحظ قد انتهى بفضلهم العصر الذى كانت تفسر فيه كل ظاهرة روحية بأنها من نتاج العقل الباطن للإنسان ، وكان كلما قويت الظواهر وكلما ظهرت دلالتها الصارخة كلما أضفى النفسيون المحافظون على العقل الباطن — تدريجياً ومع الوقت — اتساعاً رهيباً لا يمكن أن يعترف به أى بحث علمى محايد . واكتسب العقل الباطن قدرات فى الخلق والإبداع تفوق كل ما يمكن تصوره ، فأصبحت حتى ظواهر التجسد الناطقة الواضحة ، والصوت المباشر ، والمجاوبات الروحية والإلهام.. من نتاج العقل الباطن عند أحياء الأرض، وقدرته الساحقة فى الخلق والإبداع . . . وكل ذلك للتوصل — عن طريق الافتعال المغرض — إلى نفى دلالة الظواهر الواضحة الصريحة ، حتى دلالة التجسدات المادية فى الإنباء عن دوام الحياة بعد موت الجسد المادى ، وعن وجود مستوى روحى للحياة يلى مستواها المادى ، وذلك على ما سيلى تفصيلا فى عدة مواضع لاحقة من الجزئين معاً .

نعم لقد انتهى بالفعل هذا العصر الذى كان يعطى لكل ظواهر الحياة تفسيرات مادية فجة، وأشرقت منذ أواخر القرن الماضى شمس عصر آخر توصل — عن طريق اتباع نفس الأساليب الوضعية القديمة فى تحقيق الأمور — إلى إثبات دوام الحياة بعد موت الجسد المادى،وإلى وجود مستوى روحى— عقلى لحياة باقية يلى مستوى الحياة الفانية .

وهذه الجوانب العملية تتطلب لتحقيقها أن يكون الباحث ذا نزعة علمية

أصيلة . وأن يكون ذا قدرة على المثابرة الهادئة ، مع وضع تخطيط دقيق كيما يصل ببحوثه إلى نتائج جديرة بالاعتبار . وذلك يقتضى أيضاً أن يكون الباحث ناقداً ومتشككاً إلى اخر المدى ، فما يسىء إلى هذه الموضوعات سهولة التصديق أو سرعة الاقتناع ، وهما طابع بعض الباحثين والمؤلفين فيها لغاية الآن . فاحتمال الخطأ أو التدليس المتعمد من الوسيط أو من الروح المهيمنة ينبغى أن يكون ماثلا فى كل لحظة فى ذهن الباحث المدقق ، وذلك كثيراً ما يقتضى اتخاذ احتياطات كافية لدرء هذا الخطر ولنفى شبهته . وهى احتياطات تتفاوت بحسب نوع الظاهرة أو الظواهر التى يجرى تحقيقها .

وإلى جانب ذلك ينبغى فى الباحث الجاد أن يكون على إلمام كاف بالموضوعات التى قد يتصدى لتحقيقها ، وعلى اطلاع واسع فى علوم متعددة ، وبوجه خاص فى الظواهر النفسية التى قد تختلط ببعض ظواهر الوساطة الروحية العقلية ، وذلك حتى يحوز القدرة على تأصيل كل ظاهرة . وعلى تحليلها التحليل الذى يرضى منطق الأسلوب الناقد اللازم اتباعه فى كل ميدان للدراسة والتحقيق .

وكذلك ينبغى أيضاً أن يشترك فى بحث الظواهر الوساطية الفيزيقية والعقلية معاً عدد وافر من الإخصائيين المتعاونين معاً ، وهم قد يتفاوت نوعهم ومقدارهم بحسب نوع هذه الظواهر . منهم الرياضى ، والفسيولوجى ، والسيكولوجى ، والطبيب ، والكيميائى ، وخبير فى التصوير بالأشعتين فوق البنفسجية ودون الحمراء ، وأحياناً خبير فى رصد الظواهر الطبيعية من أصحاب الخبرة الخاصة فى هذه الموضوعات . فإذا ما اجتمع العدد المطلوب منهم وجب أن يواصلوا البحث لسنين كافية قبل تكوين الرأى فى نتائج بحثهم . فمن المخاطرة بمكان تطبيق

نظرية الاحتمالات أثناء فحص ظواهر ذات عوامل متعددة، ولا يجوز الاستنتاج إلا ببقاء النسب ثابتة بين تلك العوامل المختلفة أثناء التجارب الكثيرة .

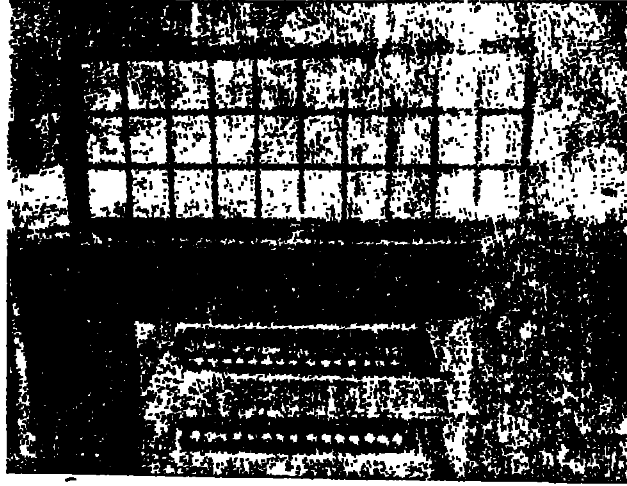
وإلى جانب ذلك كله يحسن التدقيق فى اختيار الوسيط أو الوسيطة محل التجارب . فثمة وساطات ظاهرة الضعف أو التفاهة إلى حد قد لا تستحق معه مشقة التحقيق المثابر ، وثمة وساطات أخرى تستحق هذه المشقة . وكلما ظهر تدريجياً من قوة الوساطة محل التحقيق كلما كان ذلك أدعى للتريث فى الحكم لها أو عليها .

وغنى عن البيان أنه ينبغى فى القائمين على بحث هذه الظواهر أن يتوافر فضلا عن النضج العلمى ، التجرد من الغرض ، والحياد ، والمثابرة على البحث بغير الارتباط مقدماً بوجهة نظر معينة فى أى جانب من جوانب هذه الظواهر الوساطية ، وما تثيره حتماً من عدة أمور دقيقة مفرطة فى دقتها وفى عمقها ، وفيما تتطلبه من روح علمية فى بحثها ، ومحاولة تحليلها وتأصيلها على أسس صحيحة .

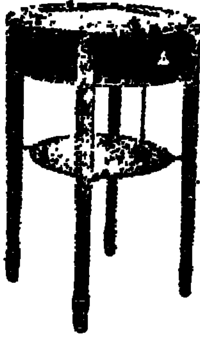
إثبات بعض الظواهر

وبعض صور الوساطة لا يحتاج فى إثباته لأى جهاز مادى ، مثل وساطة الاستشفاف البصرى أو السمعى ، أو تفوهات الغيبوبة . وبعضها الآخر قد يحتاج إلى مجرد قلم وورقة فى يد الوسيط ، كوساطة الكتابة التلقائية . وبعضها الآخر قد يحتاج إلى مجرد لوحة عليها الحروف الأبجدية Ouija Board وهى الطريقة الشائعة فى الجلسات العائلية ، والتى حلت محل الموائد المتكلمة التى كانت شائعة فى أمريكا وأوروبا عند بدء ظهور الحركة الروحية فى منتصف القرن الماضى . ولوحة الحروف الهجائية أسرع من سابقتها كما أنها لا تحتاج إلى وساطة قوية ، وبعضها الآخر قد يحتاج إلى سلة صغيرة وقلم وورقة ، وهى الطريقة الشائعة فى بعض بلاد الشرق الأقصى .

وقد استخدمت عدة أجهزة كاتبة تعمل بالكهرباء، لكن يلزم لهذه الأجهزة وجود وسيط قوى خاص بجوارها هو وسيط تحريك الأجسام الصلبة Telekinesis وهو عادة نفس وسيط الإكتوبلازم. ومن هذه الأجهزة جهاز الكوميونيجراف Communigraph والرفلكتوجراف Reflectograph. بل لقد استعمل أيضاً جهاز تلغراف مورس Morse بعد تغطيته بناقوس زجاجى منذ سنة ١٩٣٨ فنجح فى تلقى رسائل مطولة(١).



الرفلكتوجراف



الكوميونيجراف.

وتستعمل هذه الأجهزة أيضاً فى معهد ماجنا جوبسون للبحوث الروحية بلندن Magna Jobson institute. وفيه يتعاون علماء من العالمين فى ابتكار الأجهزة التى قد تسهل عملية الاتصال الروحى، والتى يراد لها أن تعمل بأقل قدر

---

(١) وقد وصف هذه التجربة تفصيلا الأستاذ شودزموند فى جريدة الصنداى جرافيك وصفا مؤيداً بالصور، كما وصفها الأستاذ موريس باربانيل فى جريدة السايكك نيوز، وكلاهما شاهدا رؤية مع آخرين دعوا خصيصا لحضور التجربة الفريدة وللتثبت من نجاحها.

ممكن من الطاقة الروحية التى تنبعث من جسم الوسيط أو الوسيطة . ومن هذه الأجهزة كذلك جهاز يدعى التليفوكس للصوت المباشر ، وأنبوبة تدعى أنبوبة دحن للعلاج الروحى .

وعن طريق هذه الأجهزة أمكنهم أن يتلقوا كتباً كاملة من عالم الروح ، منها كتاب أملته روح سير فنسنت كايار Sir Vincent Caillard وعنوانه « معنى جديد للمحبة[١] » ، وهو قطعة من الأدب الرائع قرظته عند ظهوره الصحافة السيارة بتقدير كبير . ومثله كتاب « عصفورتى الصغيرة »[٢] الذى ورد بنفس الطريقة فى سنة ١٩٣٩ .

وتستعمل أحياناً — بالإضافة إلى نوع الوساطة اللازمة — آلات للتصوير ملحقة بأجهزة للأشعة فوق البنفسجية Ultra-Violet لتصوير غير المنظور فأتت بأحسن النتائج مثلا بحضور الوسيط روبرت بور سينيل Robert Boursenell[٣] . كما استعملت أحياناً أخرى أجهزة للأشعة دون الحمراء Infra - Red لتصوير الأرواح المتجسدة أو الظواهر الوساطية فى الظلام . وكل ذلك سنعود إليه تفصيلا فى عدة مناسبات لاحقة موضحة بعشرات من الصور لأرواح متجسدة وغير متجسدة .

كما يستعمل أحيانا بوق Trumpet فى حالة توافر وساطة خاصة تتطلب اجتماع نوعين من الوساطة معاً فى مكان واحد : هما وساطة الصوت المباشر Direct--Voice ، بالإضافة إلى وساطة تحريك الأجسام الصلبة عن بعد Telekinesis .

---

(١) A New Conception of Love.

(٢) My Birdy.

(٣) راجع مجلة « المكاية البريطانية للعلم الروحى » عدد يوليه ١٩٢٧ ص ١٠٠ — ١١٢ .

وتستعمل أحياناً كراسٍ حاسبة للوزن يجلس عليها الوسطاء فى غرف الجلسات المكتملة المعدات ، للتحقق من انبعاث مادة الإكتوبلازم ومراقبة وزنها ، ووقت انبعاثها ، ووقت عودتها . كما قد يستعمل بارومتر لقياس الضغط الجوى ، لأنه لوحظ فى الجلسات القوية تغير واضح فى الضغط الجوى . كما لوحظ تغير مماثل فى درجة الحرارة فى الغرفة، وفى درجة حرارة الوسيط . وكل هذه الأجهزة — وغيرها — لا تستعمل لإنجاح الجلسة أو لإحداث الظواهر الروحية بطريقة آلية ، بل لمجرد التحقق من حصولها إذا ما حصلت ولامتحانها بوسائل التحقيق العلمى المختلفة .



بوق طائر فى سقف الغرفة تم تصويره تحت رقابة علمية عما يعجز العلم المادى عن تفسيره (عن كتاب «التجسدات» للعلامة بودنجتون طبعة ١٩٣٨)

وقد تضاف إلى هذه الأجهزة وسائل أخرى من ابتكار العلماء والباحثين ، وبعضها استعمل بإرشاد الأرواح المرشدة للجلسات ، التى يعد وجودها أيضاً شرطاً لازماً للجلسات القوية الناجحة . وهى عادة لا تعترض على أية وسيلة يهدف بها الباحث إلى الوصول إلى التحقيق العلمى مادامت ميسورة ، ولا يترتب عليها ضرر ما بالوسيط أو بالوسطاء . وكلما تعدد الوسطاء فى الجلسة الواحدة كلما كان ذلك أدعى لنجاحها .

تحقيق شخصية الروح

وتحقيق شخصية الروح ليس دائماً أمراً هيناً ، وفى هذا الشأن يشير

سير أوليفر لودج بالاعتماد على ثلاث وسائل أساسية وهى : —

اولا : تجميع عدد كافٍ من البينات التدريجية التى ينبغى تسجيلها بعناية ومثابرة ، والتى قد تشير مجتمعة إلى شخصية روح معينة .

وثانياً : استخدام طريقة التراسل المتبادل التى تعنى تلقى عدة أجزاء غير مفهومة من رسالة واحدة مترابطة عن طريق أكثر من وسيط ، بعد تفاهم مع الروح المرشدة . وبعد ذلك توضع هذه الأجزاء فى مواضعها المتفق عليها فتصبح الرسالة واضحة مفهومة . وذلك لتفادى احتمال الدفع بالتدليس من جانب ، واحتمال تداخل عقل الوسيط من جانب آخر ، سواء أكان من وسطاء اليقظة أم الغيبوبة[1] .

وثالثاً : الحصول على بيانات مميزة للروح المتصلة ، ويحسن أن تكون جديدة بصورة ما على الموجودين إذا أمكن ذلك . ومن ذلك مثلا أن تدلى الروح ببيان معين عن موضوع معين إذا أمكن التحقق من صحة البيان بالوسائل العادية .

أما استجواب الروح فى ذكريات ماضيها القريب أو البعيد ، ومهما كانت هذه الذكريات قوية — فى تقدير المجربين — أو ضعيفة فقلما يأتى بنتائج حاسمة . وقد أجرى سير أوليفر لودج تجربة توضيحية فى هذا الشأن ذكرها الأستاذ دنيز برادلى Dennis Bradley فى مؤلفه عن « حكمة الآلهة »[2] . وهى أن لودج كان يتناول الطعام يوماً مع اثنى عشر ولداً من أفراد أسرته فوجه إليهم الحديث قائلا : « افرضوا أنى قد مت وأردتم أن تمتحنوا ذكرياتى لتعرفوا

---

(١) وطريقة التراسل المتبادل Cross Correspondence من ابتكار عالم النفس المعروف فردريك مايرز قبل انتقاله ، وقد أثبت بها شخصيته الخاصة بعد انتقاله إلى عالم الروح .

(٢) The Wisdom of the Gods.

ما إذا كنت أنا هو الذى أحادثكم أم لا ، فاسألونى الآن جميع الأسئلة التى تظنون أن الإجابة عليها قد تثبت شخصيتى لكم » . وظل الأولاد يستجوبونه لمدة ساعة كاملة عن أشياء عديدة مرت فى حياته وفى حيواتهم ، فعجز عن تذكر أى شىء من الأشياء التى كانت لا تزال عالقة بذاكرتهم ، ولذا قال لهم فى النهاية « إن ذلك يثبت أنى لست أنا . فأنا لست أباكم إذاً ! . . . » .

ولذا فإن أحسن البينات المقنعة بحقيقة شخصية الروح هى تلك التى تجىء مصادفة مشيرة إلى ذاكرة روح معينة بالذات ، ومثلها تلك التى تجىء عن طريق وساطة الصوت المباشر ، أو الكتابة المباشرة أو التلقائية ، أو التجسد ، أو الصور وما إلى ذلك .(١) أو تلك التى قد تشير إلى مقدرة علمية أو أدبية خاصة كانت تميز الروح قبل انتقالها .

* * *

وكلما طال العهد بالروح فى عالم الروح كلما تعقدت أكثر فأكثر مشكلة محاولة تحقيق شخصيتها عن طريق امتحانها فى ذكرياتها الأرضية ، التى تأخذ فى التلاشى تدريجياً بطبيعة الحال كيما تحل محلها ذكريات أخرى أجدى للروح وأنفع ، إذ أن الذكريات الجديدة تطرد عادة القديمة ، مالم يكن لبعض الذكريات القديمة أثر يصعب محوه من العقل الباطن أو الواعى بحسب الأحوال .

وفى هذا الشأن تقول الروح جوليا لوسيطها سير وليام ت . ستيد « إن الميلاد فى عالمكم يمحو عادة الذاكرة عما حدث من قبل . أما الميلاد فى هذا العالم (عالم الروح) فبه نذكر أشياء أكثر مما كان نفعل من قبل . ومعنى هذا أيضاً أننا ننسى أشياء كثيرة تدريجياً مثل تلك المتصلة بالماديات

---

(١) راجع « موسوعة العلم الروحى » . Encyclopoedia of Psychic Science تحت كلمة Identity .

والعناوين والممتلكات والأسماء بقدر ما نستغنى عنها . ولكن تبقى ذاكرة الأشياء التى تحمل الثمار . فهذه نذكرها . وتنمو قدرة الذاكرة بصورة عجيبة تكاد تكون إعجازاً . ولكن بعد وقت ما ، وأحيانا بعد وقت قصير ، هناك تأثير جديد يضاف إلى التأثير الآخر الذى يساعدنا على أن نصبح أكثر تواضعاً ، ويحررنا من الرذائل التى كنا نتمسك بها ...(١) » .

يضاف إلى ذلك اعتبار قد يكون له دوره فى الخطأ فى تعيين شخصية الأرواح خصوصاً منها الشخصيات التاريخية الكبيرة ، وهى أن الأرواح الغير الراقية تميل أحياناً إلى انتحال أسماء ضخمة كيما تسترعى انتباه الحاضرين وتسعد بخداعهم . بل إن هناك أرواحاً مصابة بلوثة جنون العظمة — شأن بعض مجانين الأرض — فتعتقد اعتقاداً جازماً بأنها أرواح عظماء معينين عاشوا على الأرض وفى وقت ما تحت اسم شارلمان أو نابليون مثلا ، ويمكنها الاتصال بالأرضيين والتأثير بصورة ما فى وعى الوسيط أو الوسيطة . وقد أكد هذه الحقيقة الغريبة الروح المرشد إمبراتور Imperator للأسقف ستانتون موزس(٢) .

وهناك اعتبار هام عكس سابقه ، وهو أن الأرواح الراقية العريقة كثيراً ما ترفض الإفصاح عن شخصيتها الحقيقية لاعتبارات واضحة بذاتها ، ولذا فقد تستخدم أسماء تنكرية شتى . ثم هناك اعتبار آخر وهو أن هناك أرواحاً كثيرة تغيرت أسماؤها فى عالم الروح لاعتبارات لا تزال غير واضحة تماماً ، فالروح المتجسدة كاتى كنج ورت لسير وليام كروكس أن اسمها السابق على الأرض هو أنى أوين مورجان .

ومن الأرواح من قد ينتحل أسماء رنانة حتى يثير الاهتمام فى نفوس

(١) « بعد الموت » طبعة ١٩٥٢ ص ١٤٧ .
(٢) راجع مؤلفه عن « شخصية الروح » Spirit-Identity .

الموجودين . ولذلك كله كان تحقيق شخصية الروح مشكلة من الصعوبة بمكان كبير عند جميع الباحثين الجادين فى هذه الأمور ، تتطلب فى مواجهتها كثيراً من الحذر والأناة . بل إن بعض الأسماء الرنانة على المستوى الأرضى — حتى عندما لا يحدث انتحال كاذب — قد لا يكون على المستوى المطلوب بحسب أقيسة عالم الروح . فليس الاعتبار هناك لمكانة الإنسان السابقة فى عالم المادة ، ولا لرأيه فى نفسه ، بل الاعتبار الوحيد هو لحقيقة موضعه من ناموس التطور الروحى ، أى العقلى والخلقى أولا وأخيراً . والأرواح الراقية لا تتحدث كثيراً عن الخلق الكريم بقدر ما تتقيد به فى تصرفاتها وأقوالها . والإنسان الفاضل ليس هو الإنسان الكثير التحدث عن الخصال الكريمة أو عن نسبتها إلى نفسه أو إلى غيره . بل هو من تنطق تصرفاته بها . .

وحتى أقوال الأرواح الراقية وآراؤها ينبغى أن تكون محلا للمناقشة وللتمحيص المنطقى لأنها ليست أكثر من وجهات نظر ، أو بالأكثر فلسفات قد تكون لها قيمتها الخاصة ، لكنها تقبل كل ما يقبله غيرها من نقد ومن نقاش . وفى ضوء هذه الفلسفات والمعلومات الجديدة قد يصح للإنسان أن يعيد النظر فى بعض آرائه ومعلوماته الخاصة لما قد تتسم به الحالة الجديدة فى الجملة من أفق أكثر اتساعاً ، ومن نظرة إلى حقائق الحياة أكثر اطلاعاً ، لكن ليس من شأن ذلك البتة محاولة إضفاء أية عصمة عليها ، لأن العصمة لله تعالى وحده .

فالباحث فى الروح ينبغى إذاً أن يكون يقظاً أريباً يحسن التمييز بين التافه والثمين ، وبين الأقوال العلمية المترابطة ، أو الفلسفة الراقية ، وبين الكلام المفكك الذى قد يلقى على عواهنه ، متبعاً نفس المعايير التى يميز بها على هذا المستوى الأرضى بين ما هو راقٍ وغير راق فى كافة تصرفات الأفراد ، وآرائهم وفلسفاتهم . فالمصدر الروحى لا يضفى بذاته أية قيمة

خاصة على أى رأى أو تصرف قد ينسب إلى روح من الأرواح إن صدقاً أو كذباً .

فإن لم يفعل الباحث ذلك وقبل أى رأى — مهما كان روحى المصدر — على أنه أمر ينبغى التسليم بصحته لمجرد أنه يتفق مع هواه ، أو مع كيفية فهمه للأمور ، جنى على أسلوب البحث العلمى وأساء إليه... أليس التسرع فى الحكم على الأمور أو الخطأ فى الاستنتاج يسىء إلى كل علم آخر ؟ فلماذا تكون الحال غير ذلك فى هذا العلم الناشىء الذى يتطلب كغيره أناة ، وأسلوباً حذراً ناقداً إلى آخر المدى ؟ بل إنه يتطلب أيضاً ما يتطلبه أى علم أو فن آخر من فطرة سليمة ، هذه الفطرة التى هى وحدها مفتاح كل حقيقة وصل إليها عقل الإنسان حتى الآن .

* * *

ومن وسائل تحقيق شخصية الروح أيضاً النظر إلى شكل الإنسان الذى كان يميزه فى أيامه الأخيرة قبل الانتقال ، فإنه يبدو لوسطاء الجلاء البصرى على حاله ، بل وفى نفس ملابسه أيضاً إلى أن يحدث تطور تدريجى فى الملامح وفى الملابس فيما بعد . ذلك أن ذاكرة الإسان لها أثر مباشر فى الأثير المحيط بها ، وعندما ترغب أى روح فى إظهار نفسها فى جلسة ما فإنها تعمد إلى تذكر شكلها الأخير حتى يعرفها الحاضرون . وعليها أن تركز هذه الذاكرة بمقدرة كافية حتى تطبع جسدها الأثيرى بالطابع المطلوب للتعرف عليها فى المستوى الأرضى .

وكذلك إذا أرادت التجسد متى توافرت وسائله . أو إظهار نفسها فى صورة متى توافرت وساطة التصوير الروحى عند أحد من الموجودين . ومتى توافرت قدرة الروح على إظهار نفسها ، وكل ذلك يكون عن طريق عملية شاقة للروح تحتاج إلى مران كافٍ ، وقد تنجح فى النهاية أو لا تنجح .

وغالباً ما تحتاج الروح إلى معونة من أرواح أخرى خبيرة بهذه الأمور تساعدها فى إظهار نفسها على النحو الذى يقنع الحاضرين من الأرضيين بحقيقة شخصيتها . لذا كانت صور الأرواح بمثلها عادة فى سنيها الأخيرة قبل الانتقال وفى ملامحها المعروفة ، وأحياناً فى زيها المألوف ، مع أنها قد تكون اكتسبت هناك ملامح أكثر شباباً . والغالبية العظمى تكون قد غيرت أزياءها الضيقة المألوفة على المستوى الأرضى إلى أزياء أكثر احتشاماً واتساعاً ..

لذا تقول الأرواح إنها تعرف القادمين الجدد إلى هناك من أمرين : من مظهر الشيخوخة أو الإعياء الذى قد يبدو على وجوه بعضهم ، وأيضاً من أزيائهم ، فإن عدداً كبيراً من المنتقلين يظل مصراً على «ارتداء» نفس أزيائه الضيقة القديمة بحكم الذاكرة وحدها لمدد تتفاوت بحسب مرونة كل منهم . ذلك أنه لا إرغام هناك على إنسان فى أى أمر من أمور الحياة . إنما يجىء التطور بطيئاً أو سريعاً من ناحية تفكير الإنسان وطبعه الخاص . فإذا تطور العقل فقد تطور فى الإنسان كل شىء ، وإذا جمد العقل فقد جمد فيه كل شىء ... أليس ذلك هو ما يحدث أيضا على المستوى الأرضى ؟

لذا كان العالم هنا عالماً هناك ، والجاهل هنا جاهلا هناك ، إلى أن يتغلب على جهله ويحصل على المعرفة التى تلزمه تدريجياً ، وقد يطول به الأمد إذا كان على درجة من العناد أو من الغباء ، وقد يسير فى طريق التقدم بشكل واضح إذا كان على استعداد طيب من ناحية المرونة والذكاء . وسبل المعرفة متوافرة هناك بما يتجاوز كثيراً سبلها على المستوى الأرضى من ناحية المدارس والمكتبات والمعاهد والمتاحف والمعامل وغيرها .

ذلك فضلا عن أن بعض الأرواح قد يحصل على التقدم التدريجى عن طريق الملاحظة المستمرة لأحداث الحياة الأرضية ، وعن طريق الإقبال على العمل الذى قد يروق له والذى يتفق مع ملكاته ومع مستواه العقلى والخلقى ، بدون

إرغام عليه ولا ضغط من أى إنسان ، وعند هذه المعانى التقت الدراسات الروحية (١)

ضرورة المثابرة لسنين كثيرة

مما تقدم يبين أن نجاح البحث الروحى إلى المدى الذى يراد له أن يفحم أشد المكابرين مسألة أكثر تعقيداً مما قد يتصوره بعض الناس . فحضور جلسة واحدة فاشلة أو أكثر لا يعنى أن الموضوع كله وهم أو تدليس . بل إن العلماء الذين سنشير إليهم جميعهم قد تابعوا دراسته فى صبر وأناة لمدى عشرات من سنين ، ومع عدد كاف من الوسطاء الذين تنوعت وساطتهم ، وفى ظروف مختلفة قبل إبداء رأى حاسم بشأنها . وكل الذين شهدوا لمصلحة صحة هذه الظواهر تحدثوا عن جلسات فاشلة أو ضعيفة ، وأخرى ناجحة قوية ، كما تحدثوا عن تدليس كشفوه عند بعض الوسطاء ، وعن وساطات أخرى صمدت لأعتى وسائل الكشف والتحقيق بالغة ما بلغت من الشدة والصرامة .

فمثلا واصل البحاثة الأمريكى شارل ليفرمور Charles Livermore — لمدة خمس سنين — وكان مديراً لأحد المصارف — بحوثه مع الوسيطة كاتى فوكس Katie Fox يعاونه الدكتور جون جراى John F. Gray وحضر معها ٣٨٨ جلسة . وفى إحدى هذه الجلسات تجسدت تجسداً تاماً زوجته الراحلة استيل Estelle . كما شاهد يداً متجسدة ظلت تكتب لمدة ساعة كاملة بقلم رصاص فضى . ثم أخذت اليد تتلاشى تدريجياً إلى أن أصبحت عبارة عن كتلة غير محددة لمادة غامضة ، ومع ذلك استمرت فى الكتابة وتقليب صفحات الورق . وكانت باللغة الفرنسية ، وفى ضوء ظهر من مصدر غير معروف فى صورة مصباح ضخم معطى بقماش .

---

(١) ولنا عودة تفصيلية إلى وصف « ظروف الحياة فى عالم الروح » فى الجزء الثانى .

ونفس هذه الوسيطة سافرت إلى انجلترا ، وجازت بنجاح تجارب سير وليام كروكس ويقول الأخير إنه شاهد فى حضورها « يداً متجسدة مضيئة تنزل من سقف الغرفة ثم تأخذ فى الكتابة بسرعة على قصاصة ورق ثم ألقت القلم وارتفعت فوق رؤوسنا واختفت تدريجياً » .(١)

ومثلا قبل ان يحكم سير أوليفر لودج على وساطة السيدة ليونور پيپر Leonore Piper من بوسطن حضر معها ثمانى وثمانين جلسة تحت إشرافه الخاص، مع أدق رقابة علمية ممكنة بمعرفته،وبمعرفة الدكتور و. ليف W. Leaf، والسيكولوجى المعروف ف. و. ه مايرز F. W. H. Meyers،وحصل منها على ثمانية وثلاثين بياناً مختلفاً بعيداً عن عقلها الباطن وعن عقول الجلساء قبل أن يبدى رأياً فى جانبها كوسيطة صادقة .



ليونور بيپر

وخضعت نفس الوسيطة لأدق التجارب من ريتشارد هودجسون أستاذ الأخلاق بجامعة كمبردج ، وجيمس هايسلوب أستاذ المنطق والأخلاق بجامعة كولومبيا ، كما خضعت لبحوث عالم النفس والفيلسوف الأمريكى وليام جيمس فى سنة ١٨٨٥ .

وظلت التجارب تتوالى على نفس الوسيطة لمدة خمسة وأربعين عاماً

(١) « بحوث فى الظواهر الروحية . تجارب جديدة على القوة الروحية» من اليف وليام كروكس ترجمه فرنسية بمعرفة أليدل Alidel وإدوارد ماير Ed. Meyer باريس ١٩٢٣ ص ١٦٤ — ١٦٥ .

بمعرفة عدد من العلماء بنجاح تام ، وكانت الأرواح المرشدة لها على التوالى هى روح الدكتور فينويت Phinuit (سنة ١٨٨٤) ، ثم جورج بيلهام G. Pelham (سنة ١٨٩٢) ، ثم الروح إمبراتور Imperator (سنة ١٨٩٧)[١] .

ومثلا ظل الأستاذ جيمس آرثر فندلاى يوالى تجاربه مع وسيط الصوت المباشر الاسكتلندى جون سلون John C· Sloan لمدة اثنتى عشرة سنة متوالية قبل أن يؤلف كتابه « على حافة العالم الأثيرى » وفيه يقول : « وبالرجوع إلى مادونته وجدت لدى مذكرات عن ثلاث وأربعين جلسة مختلفة تحدثت فيها أنا وأصدقائى مع أولئك الذين ادعوا أنهم معارفنا منذ كانوا على الأرض ... وتكلم فى هذه الجلسات ثلاثة وثمانون صوتاً متباينة معى أو مع أصدقائى الخصوصيين الذين دعوتهم معى ، وبلغ عدد المحادثات التى جرت مائتين وثمانين واثنتين... »[٢] .

ومثلا ظلت الوسيطة الأمريكية مارى هوليس Mary Hollis خاضعة لمدى سنين طويلة لتجارب الدكتور ن . ب . وولف N·B· Wolfe قبل أن يضع عنها مؤلفه «حقائق مثيرة فى الروحية الحديثة»[٣] ، وكانت وسيطة للصوت المباشر — ولها مرشدان من عالم الروح هما جيمس نولان James Nolan وروح هندية كانت ترمز لنفسها بكلمة إسكى Ski .

وظلت وسيطة الصوت المباشر السيدة إميلى س. فرنش Emilie S.French

---

(١) راجع عن هذه الوسيطة مضابط « جمعية البحث الروحى بلندن » S.P.R.-Proceedings المجلد السادس الصادر فى سنة ١٨٩٠ ، والمجلد الثامن الصادر وسنة ١٨٩٢ ، والمجلد الثالث عشر الصادر فى سنة ١٨٩٧ .

(٢) « على حافة العالم الأثيرى » طبعة ٣ ص ٥٦ ، ٥٨ ، ٨٨ .

(٣) Startling Facts In Modern Spiritualism.

خاضعة لتجارب المحامى الأمريكى إداورد راندال E. Randall لمدى عشرين عاماً قبل أن يضع مؤلفه «للموتى لم يموتوا أبداً»(١). وظلت الوسيطة السيدة مرسيا.م سوين Mercia M. Swain خاضعةلتجارب البحاثة ليندر فيشر Lender Fisher لمدى خمسة وعشرين عاماً قبل أن يضع مؤلفه عن «لمحات عن الحالة التالية»(٢).

وظل الدكتور شارل ريشيه Ch. Richet عضو أكاديميتى الطب والعلوم بباريس يجرى تجاربه لمدى ثلاثين عاماً متوالية فى الظواهر الوساطية قبل أن يضع مؤلفاً عنوانه « ثلاثون عاماً من البحوث الروحية »(٣) . ومثله الدكتور كارل ويلاند Carl Wickland عضو « الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم » (المجمع العلمى الأمريكى) و « الجمعية الطبية بشيكاغو » . فقد واصل هو الآخر بحوثه لمدى ثلاثين عاماً أيضاً ، وقد لخصها فى مؤلف له عنوانه « ثلاثون عاماً بين الموتى »(٤) .

وظل الدكتور إدوين فردريك باورز Edwin Frederic Bowers أستاذ الأمراض النفسية والعصبية بجامعة مينابوليس بأمريكا يواصل تجاربه لمدى خمس وثلاثين سنة قبل أن يضع مؤلفه عن « ظواهر حجرة الجلسات »(٥) .

وظل سير وليام باريت W.Barrett عضو الجمعية الملكية لتقدم العلوم (المجمع العلمى البريطانى) ، والأستاذ بجامعة دبلن ، يواصل بحوثه لمدى أربعين عاماً قبل أن يضع مؤلفاً عنوانه « على عتبة غير المنظور »(٦) .

---

(١) The Dead Have Never Died.
(٢) Glimpses Of The Next State.
(٣) Trente Années De Recherches Psychiques.
(٤) Thirty Years Among The Dead.
(٥) Phenomena Of The Seance Room.
(٦) On The Threshold Of The Unseen.

وظل الفيلسوف الفرنسي كامى فلاماريون C. Flammarion يواصل بحوثه لمدى خمسين عاماً قبل أن يضع مؤلفه المعروف عن «الموت وغامضه»[١] فى ثلاثة أجزاء . وقد انتهى جميع هؤلاء الباحثين الكبار إلى صحة دوام الحياة بعد الموت، وصحة الظواهر الوساطية، وبالتالى صحة الاتصال بين عالمى الحياة والموت.
ولنا عودة إلى بعض هذه المؤلفات فى مواضع متفرقة من الصفحات القادمة .

الرد على الاعتراض بالتدليس

وهذه الأمثلة سقناها لماماً لنبين كيف أن التسرع فى الحكم لم يكن من صفات الجادين الباحثين فى هذه الأمور ، وهم بحمد الله كثيرون . وقد جعلنا بحوثهم — دون غيرهم — محور هذا المؤلف بجزئيه . أما القول بأن جميع الظواهر الوساطية وليدة التدليس فهو لا يدل إلا على جهل قائله ، وبعده عن رغبة مواجهة لحقيقة لأن هذه الحقيقة تقض مضجعه ، وتؤرق تفكيره فى غفوته العميقة ...
ثم إن تقليد الظواهر الوساطية عن طريق التدليس الماهر إن دل على شيء فعلى وجود ظواهر صحيحة يهدف المدلس إلى تقليدها ، فلولا النقود الصحيحة لما وجدت النقود الزائفة ، على ما لاحظه سير آرثر كونان دويل... أليست هذه حقيقة واضحة بذاتها ؟ . .

هذا وقد تكفل بالرد على الاعتراض بأن الظواهر الوساطية كلها عبارة عن تدليس عدد كاف من الباحثين فى هذه الأمور ، وقد اخترنا منهم هنا ثلاثة .
أولهم وليام غلادستون William Gladstone (١٨٠٩ — ١٨٩٨) السياسى المعروف ، والذى كان رئيساً للوزارة البريطانية أربع مرات ، وفى نفس الوقت عضواً بجمعية البحث الروحى S.P.R. بلندن وقد قال : « ادرس الاتصال بالأرواح فإذا وجدت فيه غشاً أو تدليساً فاهزأ بسائر المعتقدين به ، واسحر بى

---

(١) La Mort Et Son Mystère.

فى مقدمتهم » . . فهل تتصور أن شهادة كهذه تلقى من أبرز سياسى فى بلاده جزافاً ، ودون أن يكون مطمئناً تماماً إلى صحة ما يقول ومقدراً خطورته ؟.. ثم انظره وهو يقرر فى عبارة أخرى له « إن العلم الروحى أهم عمل يجرى فى العالم الآن ، بل إنه يتجاوز كثيراً أهم عمل يجرى فيه»[١] .

كما اخترنا رد الفيلسوف وعالم الفلك كامى فلاماريون Camille Flammarion وله فى موضوع الأرواح مؤلفات عديدة سنعود إلى بيانها فيما بعد . إنما يكفى أن نقتطف هنا من رده على المعترضين بالتدليس ما يلى عن مؤلفه «قوى الطبيعة المجهولة[٢] . « إنه من السهل جداً أن يقف الإنسان موقف المنكر إنكاراً مطلقاً حيال المشاهدات التى هى غرضنا من هذا الكتاب .. فكل هذه الحوادث تعتبر بالنسبة لثلاثة أرباع سكان الكرة الأرضية هذياناً أو شعوذة ، فلا يصح أن يبحث عن علتها فى نظرهم . والرأى المعقول الوحيد لديهم هو أن كل هؤلاء الوسطاء من الذين اتخذوا الوساطة صناعة أو لم يتخذوها كذلك من المدلسين المزورين ، وكل المجربين من الغفل المخدوعين .

وقد لا يكتفى الواحد من هؤلاء القضاة الكبار بالغمز بعينه أو بالتبسم وهو على أريكة احتصاصه الملكى ، ولكنه قد يتفضل فيحضر إحدى التجارب ، فإذا اتفق كما يحدث كثيراً عدم حصوله على شىء يخضع لإرادته ، يبرح المجرب المحترم المكان معتقداً تمام الاعتقاد بأنه بنافذ بصيرته الفائقة قد اكتشف الحيلة ، ومنع ظهور أى شىء بإدراكه الواسع ونظره البعيد ، فيسارع إلى الكتابة للجرائد معلناً التدليس ، وباكياً بأدمع التماسيح تأثراً من ذلك المنظر المحزن وهو انخداع رجال معدودين من الأذكياء بتدليسات اكتشفها هو من أول وهلة .

(١) The Psychic Science is the most important work in the world to-day, by far the most important.

(٢) Les Forces Naturelles Inconnues.

« هذا التعليل الأولى الساذج قد عرضناه كثيراً فى هذا الكتاب وجادلناه ودحصناه ، وقد صار قرائى يعتبرونه — فيما أرجو — محكوماً عليه حكماً تاماً ومطلقاً ونهائياً ، ومطروحاً خارج دائرة البحث » .

كما تكفل بالرد عليهم أيضاً سير وليام كروكس William Crookes العالم الكيميائى — ورئيس الجمعية الملكية — قائلا : « قالوا إن كل هذه الحوادث نتيجة التدليسات والتدبيرات الآلية المتقنة أو المشعوذة ، وأن كل الوسطاء مزورون ، وكل المجربين غفل مخدوعون...وقد رأيت عدة تدليسات كان بعضها متقناً جداً ، وبعضها من الفلاظة بحيث لا يتفق أن يقع فيه واحد ممن شهدوا الحوادث الحقة لهذا العلم . فمن الباحثين من إذا صادفه تدليس من هذا القبيل يكره موالاة البحث ، ويجد نفسه مدفوعاً إلى إطلاق العنان لآرائه سواء فى مجالسه الخاصة أو بلسان الصحف .

« فلا يجوز أن ننسى أن أى تعليل من التعليلات ينبغى أن تتوافر له جميع الشروط لأجل أن يكون ذا قيمة حقيقية . فليس من العقل أن يقول شخص لم يرَ إلا بعض المشاهدات التافهة « أظن أن كل هذا من التدليس » أو أن يقول « قد رأيت كيف تدبر هذه الأدوار من الغش » .

* * *

تضاف إلى ذلك عدة أمور فى الرد على القول بأن الظواهر الوساطية كلها تدليس . منها أن بعض كبار الباحثين والكتاب فى الروحية كانوا وسطاء أنفسهم ، فلا محل للقول بأنهم كانوا ضحايا وسطاء مدلسين . ومنهم مثلا الأسقف وليم ستانتون موزس W. Stainton Moses الأستاذ بجامعة لندن ، وقد كان هو نفسه وسيطاً لبعض الأرواح المرشدة التى بلغ عددها ٤٩ روحاً ، والباحث الأمريكى ريتشارد زينور Richard Zenor وهو حاليا وسيط الروح

المرشـد المعروف أجاشا Agasha [1] ، والأديب الـكبير موريس باربانيل Maurice Barbanell رئيس تحرير جريدة « الأنباء الروحية » وهو حالياً وسيط الروح الحكيم سيلفر بيرش Silver Birch أى « الشجرة الفضية » ، والمرحوم سير وليام ستيد W. Stead الذى كان نقيباً للصحافة وكان هو نفسه وسيطا لروح مرشدة تدعى أمس جوليا Ames Julia ظل على صلة وثيقة بها لمدة جاوزت خمس عشرة سنة . . . فهل كان هؤلاء جميعهم يدلسون على أنفسهم وعلى الناس ؟ . . ولمصلحة من يفعلون ذلك ، إن لم يكن لمصلحة الهجوم المرير الذى تعرضوا له من معارضى البحث فى الروح وما أكثرهم ؟ . .

وبعضهم الآخر كان وسطاؤهم من أوثق الناس صلة بهم : فالوزير والعالم الروسى أكزاكوف Aksakoff كانت وسيطته ابنته ، والأسقف الاسكتلندى شارل تويديل Charles Tweedale كانت وسيطتاه زوجته وابنته ، ووليام كروكس كانت وسيطته الرئيسية — وهى فلورنس كوك — ضيفة عليه ظلت مقيمة فى منزله لشهور كثيرة قبل أن يبدى حكمه عليها .

وفى الـكليات والمعاهد المدققة قد يطلب من الوسيط أو الوسيطة أن يظل ضيفاً مقيماً طيلة خضوعه للتجارب ، ويفتش تفتيشاً دقيقاً قبل كل جلسة وبعدها ، كما قد يلبس ملابس خاصة معـــدة له لا تمـكنه من التدليس ، ويوضع فى كل سكناته وحركاته تحت الملاحظة الدقيقة . هذا بالإضافة إلى احتياطات أخرى تعد أحياناً من قبيل القسوة المفرطة فى معاملة الوسطاء . ومثل هذه الاحتياطات الصارمة تجدها فى جميع البحوث العلمية التى انتهت إلى نتائج إيجابية جديرة بالاعتبار ،

---

(١) راجع كتاب تليفون بين العالمين Telephone Between Worlds للـكاتب الأمريكى جيمس كرنشو James Crenshaw الذى ظهر فى سنة ١٩٥٠ وطبع حتى سنة ١٩٥٧ سبع طبعات ، وقد قدم له عالم الفلك المعروف جوستاف سترومبرج Gustaf Stromberg ويدور حول الروح آجاشا هذه ووسيطها ريتشارد زينور Richard Zenor .

سواء منها تلك التي تمت بمعرفة علماء يقدرون تماماً خطورة أعمالهم وما تكشفت عنه من دلالات ، أم تلك التي تمت داخل معاهد وهيئات راقية للبحث الروحي.

احتياطات أخرى

وفي أغلب الجلسات التي أقنعت العلماء الماديين كانت الأمكنة تفحص أيضاً فحصاً جيداً قبل الجلسة ، وكانت الأبواب تغلق وتختم . وكان الوسطاء يقيد وثاقهم بالحبال الغليظة ، كما كانوا يوضعون في حالة استحالة تامة من الإتيان بأية حركة ، وإلا نم عنهم جهاز كهربائي خاص يسمى جالفانومتر Galvanometer . كما كانت توضع حتى في أيدي الحاضرين قيود معدنية متصلة بجهاز كهربائي معد خصيصاً يكشف عن كل حركاتهم ، كما حدث في التجارب التي أجريت على الوسيط رودى شنيدر Rudy Schneider في لندن في سنة ١٩٢٩ (١).

وفي كثير من الأحيان كان يستعين الباحثون — فضلا عن الاحتياطات الآنفة الذكر — ببعض كبار لاعبي المسارح المعروفين بمهارتهم الشديدة في الحيل والخدع المسرحية للكشف عن خداع الوسطاء إن وجد . ومنهم من شهد كتابة بأن الظواهر التي يراها صحيحة لا مطعن عليها . ومن ذلك مثلا ما شهد به اللاعب بوسكو Bosco بعد أن امتحن وسيط التصوير الروحي هوب Hope بأن هذا الأخير لا يغش ، على ما وضحه سير ألفرد رسل والاس في مؤلفه «دفاع عن الروحية الحديثة» (٢). كما أكد اللاعب روبرت هودان Robert Houdin أنه فيما يتعلق بوسيط الغيبوبة الحركية أليكسيس ديديه Alexis Didier « أن

---

(١) La Revue Spirite. Septembre 1923 p. 420
وراجع ما سبق عنه في ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٢) A Defence Of Modern Spiritualism.

الوقائع الموصوفة صحيحة علمياً . ويبدو أنه من المستحيل إمكان اعتباها نوعاً من الحيل التي يمكن إحداثها عن طريق أي فن من الفنون »[١] . ومثل ذلك قرره اللاعب المسرحي بيلا كيني Bellachini الذي دعي لامتحان الوسيط الدكتور سلاد Slade ، بعد أن صمد لكل وسائل الامتحان القاسية، فقال « إني لم أجد شيئاً ضده رغم أشد أنواع الملاحظة والمراقبة دقة . بحيث لا يمكن أن يكون الأمر منه خداعاً للنظر »[٢] .

ثم إن العماد الأول في إثبات الظواهر الروحية عند الإنسان الذي لا تتوافر له وسائل التجريب العملي الكافية هي الجلسات المنزلية أو العائلية التي تكون مقصورة عادة على أفراد محدودين تجمعهم صلات وثيقة . ولعل في هذه الجلسات، إذا ماجرت في مواعيد دورية وبطريقة منظمة ، من الإقناع ما يكفي الإنسان الراغب في الوصول إلى الحقيقة من أقرب سبلها ، وهي أحياناً في متناول من يريدها ، ولا تكبد صاحبها شيئاً سوى المثابرة مع التنظيم الدقيق والرغبة الجادة في الوصول إلى الحقائق .

وقد كان انتشار هذه الجلسات العائلية هو الظاهرة التي حفزت العلماء والهيئات العلمية إلى بحث حقيقة هذه الظواهر والتصدي لها في كثير من بلاد العالم، بقصد دحضها وإثبات بطلانها .فكانت النتيجة أنهم أصبحوا بمضي الوقت مقتنعين بصحتها ، وبصحة ما تدل عليه من بقاء شخصية الإنسان بعد الموت . فلم يكتفوا بتسجيل حدوثها ودراستها عن قرب في منازلهم . بل حرجوا منها

---

(١) راجع ميرفيل في الأرواح ج ١ ص ٢ — ١٥ .
Mirville : Des Esprits t. I. p 2—15

(٢) راجع مؤلف العالم الفلكي الألماني زولنر . ترجمة فرنسية عنوانها : « الفيزياء السماوية » .
Zoellner. La Physique Trans—cendentale.

بدلالات علمية بالغة أقصى درجات الخطورة ، وأخطرها إطلاقاً هي دلالة ثبوت دوام الحياة بعد موت الجسد على ماسنبينه فيما بعد .

دراسة الروح تصبح علماً عميقاً

بل إن هذا العلم الذي بدأ متواضعاً — مثل سندريلا في قصتها المعروفة — يشق طريقه بصعوبة وسط أرستقراطية العلوم الأخرى ، أصبح يعرف في البيئات العلمية الآن بأنه « علم العلوم » Science of Sciences ، أو علم المستقبل ، أو العلم الآتي ، بعد أن تبين أنه أجل شأناً بكثير من أن يكون مجرد دراسة تجريبية لبعض الظواهر الوساطية « غير المألوفة أو فوق العادية » كما يسمونها أحياناً .

فأصبح يشمل دراسة كافية للمادة الصلبة في تكوينها الذري والجزيئي وللطاقة ، ولنظرية النسبية ومعادلاتها الرياضيـــة ، ولنظريات الاهتزاز والكهربائية والمغناطيسية وأمواج الأثير ، وهي أساس دراسة الفيزياء ، كما أنها أساس دراسة علم الروح . بل إن ثمة علوماً كثيرة جديدة ناشئة داخل نطاق العلم الروحي بمعناه العام: منها الفيزياء الروحية Psychical Physics، والإشعاعات الحيوية غير المنظورة Radiesthesie ، وتصوير الأفكار Thoughtography Ideography، والكيمياء الروحية Psychical Chemistry ، والفلسفة الروحية، وتأثير العقل في المادة Psycho-Kinesis ، والإدراك عن غير طريق الحواس Extra Sensory Perception

وبالتالي أصبح علم الروح — في مفهومه الحديث — يتطلب إلماماً كافياً بقوانين كثيرة في الفيزياء والكيمياء والرياضة والنفس وماوراء النفس والبيولوجيا والفسيولوجيا والفلك ، ومعلومات وافية في مبادىء الفلسفة — وقد عالجت الروح قبل أن يعالجها البحث التجريبي — والأديان المقارنة، وكلها تقوم على التسليم بوجود الروح وبالحياة بعـــد الموت . كما أصبح يتطلب إلماماً كافياً بما وراء الطبيعة منذ بدأه أرسطو إلى الحد الذي وصل إليه في ضوء الكشوف الروحية هذه.

والإلمام بشتى العلوم والمعارف ، كالتاريخ وكاللغات القديمة ، كثيراً ما يساعد الباحث الروحى على تحقيق مدى صحة رسائل شتى . فالباحث العلمى فى الروح يجد مشقة كبرى الآن فى هذا البحث إن لم يكن مزوداً بقدر كاف من الثقافة الصحيحة فى نواحٍ شتى من المعرفة .

بعض المعاهد والجامعات المعنية

فلا غرابة لما سلف من اعتبارات أن ينمو هذا العلم إلى أن يصبح — من زاويتيه العملية والفلسفية معاً — بحثاً يجرى الآن على أقوى صورة وفى كل مكان فى العالم أجمع. فبالإضافة إلى الجمعيات الروحية التى بدأت فى الظهور منذ أواخر القرن الماضى ، بدأت تظهر معاهد راقية كثيرة متخصصة لبحثه منذ مطلع هذا القرن ، ومنتشرة فى بلاد كثيرة من أهمها :

فى أمريكا : —

— « *المعهد الروحى الأمريكى ومعمل* »(١) ، وقد أسسه فى سنة ١٩٢٠ الدكتور هيروارد كارنجتون، وأعيد تنظيمه فى سنة ١٩٣٣ . وله مجلس استشارى مكون من عدد من الشخصيات العلمية ذات السمعة العالمية فى شتى نواحى العلوم ويصدر نشرات دورية منتظمة بأعماله Bulletins .

— « *المعهد الأمريكى للبحث العلمى* »(٢) ، وقد أسسه فى سنة ١٩٠٦ الأستاذ جيمس هايسلوب — أستاذ المنطق والأخلاق بجامعة كولومبيا — بمدينة نيويورك ، وهو مكون من قسمين (١) و (ب) ، وقد ضم القسم الأخير إلى «جمعية البحث الروحى الأمريكية» A.S.P.R.(٣) التى تأسست منذ سنة ١٨٨٩ .

---

(١) American Psychical Institute And Laboratory.
وعنوانه كالآتى : 20 W 58 th Street, New York.
(٢) American Institute For Scientific Research.
(٣) American Society For Psychical Research.

— « الكلية الأمريكية للعلم الروحي والبحث »[١] ، التي كان يديرها إلى عهد قريب الدكتور آرثر ج. ولز Arthur J. Wills .

— وبالإضافة إلى ذلك دخلت بحوث الظواهر الوساطية المختلفة إلى عدة جامعات أمريكية ، وتعنى بها بوجه خاص منذ نصف قرن بالأقل « معامل الباراسيكولوجي بجامعة ديوك » وقد أسسها عالم النفس المعروف الدكتور وليام مكدوجال W. Mc Dougal ، ثم تولاها من بعده الدكتور جوزيف بانكس راين J. B. Rhine ، وواصل فيها تجاربه لمدى ثلاثين عاماً متتابعة — يعاونه عدد من كبار علماء الباراسيكولوجي — قبل أن يعلن صحة ثبوت دوام حياة الإنسان بعد موته ، ووجود صلات بين عالمي الروح والمادة ، على ما سنبينه فيما بعد .

وفي بريطانيا تعددت أيضاً الكليات والمعاهد الروحية ، وأهمها : —

— « الكلية البريطانية للعلم الروحي »[٢] التي أسسها سير وليام باريت عالم الفيزياء ، وعضو المجمع العلمي ، بالاشتراك مع سير آرثر كونان دويل وآخرين منذ سنة ١٩٢٠ .

— « كلية العلم الروحي »[٣] ، وهي غير سابقتها وأحدث منها .

— « المعهد الدولي للبحث الروحي » بلندن[٤] ، وقد أسسه الأديب الأرلندي المعروف شو دزموند Shaw Desmond . وكان يديره العالم الروحي ج. آرثر فندلاي J. Arthur Findlay إلى حين وفاته في سنة ١٩٦٤ .

---

(١) United States College of Psychic Science and Research.

(٢) British College of Psychic Science.

(٣) The College of Psychic Science.
وعنوانها حالياً كالآتي : 16 Queensberry Place S. W. 7 Near Kensington Station, London.

(٤) International Institute For Psychical Research.

— « كلية آرثر فندلاى »[1] ، وقد أسسها فى سنة ١٩٦٧ « اتحاد الروحيين الوطنى » بلندن تخليداً لذكرى الأستاذ آرثر فندلاى هذا ، ولخدماته المتواصلة للعلم الروحى .

— ثم هناك أيضاً « معهد ماجنا جوبسون للبحث الروحى »[2] بلندن .

— « ومعهد جيمس بيرنز الروحى »[3] بها أيضاً .

— و « كلية إدنبره الروحية »[4] .

وبالإضافة إلى المعاهد المتخصصة فى البحوث الروحية ، فإن هذه البحوث قد تبوأت مكانها فى عدد من الجامعات العريقة فأصبحت تحتل مكاناً واضحاً فى نشاطها العلمى ، ومن ذلك مثلا : —

— دخولها إلى جامعة لندن ، التى أصبحت تمتلك الآن وتدير أكبر معمل للبحث هناك وهو « المعمل الوطنى للبحث الروحى »[5] ، الذى أسسه الدكتور هارى برايس Harry Price منذ سنة ١٩٢٥ ثم ضمته الجامعة إليها . وهو يصدر الآن مضابط Proceedings ، وجريدة، ونشرة منتظمة Bulletin بأعماله ولنا إليه عودة فيما بعد .

— كما أنشئت فى جامعة كامبردج دراسة روحية منذ سنة ١٩٤٠ ، وحدد موضوعها بأنها « تتضمن بحث الظواهر العقلية والجسمية التى تبدو لأول وهلة كأنها تشير إلى وجود قوى أو أفعال خارقة للعادة فى الإنسان خلال

---

(١) The Arthur Findlay College.
وعنوانها كالآتى : Stansted Essex, England.
(٢) Magna Jobson Institute For Psychical Research.
(٣) James Burnes Spiritual Institution.
(٤) Edinburgh Psychic College.
(٥) National Laboratory of Psychical Research.
وعنوانه 13 Roland Gardens. London S. W. 7

حياته ، وإلى بقاء عقل الإنسان بعد الموت الجثمانى » . وهذه الدراسة منتظمة فى كامبريدج منذ إنشائها .

— وبعد هذا التاريخ دخلت هذه الدراسة إلى جامعة أكسفورد ، فأنشى بها « معمل للبحث الروحى » ، كما تأسست بها « جمعية للبحث الروحى » منذ سنة ١٩٤٣ .

— وفى سنة ١٩٦٧ دخلت البحوث الروحية إلى جامعة إكستر Exeter تخليداً لذكرى جاكسون نايت Jackson Knight أحد أساتذة الجامعة (من سنة ١٩٣٦ — ١٩٦١) . وكان من أعلام البحث الروحى هناك .

وفى فرنسا تقوم ببحوث الظواهر الوساطية عدة هيئات منها « المعهد السيكولوجى العام »[١] بباريس ، و « المعهد الدولى لما وراء الروح »[٢] ، الذى أنشىء منذ سنة ١٩١٩ خصيصاً لبحوث الظواهر غير المألوفة ، وتلقى منذ تأسيسه اعترافاً رسمياً من الحكومة الفرنسية بأنه « مؤسسة ذات نفع عام » . ولنا عودة إلى بعض نتائج بحوثه فى عدة مناسبات لاحقة .

ثم أنشىء فى بلجيكا معهد مماثل يحمل أيضاً اسم « المعهد الدولى لما وراء الروح » مقره بروكسل ، ويقوم بنفس نشاط معهد باريس .

كما عرفت البحوث الروحية سبيلها إلى ألمانيا فى جامعتى بون وفرايبورج وأنشئت لها فى أمريكا الجنوبية — خصوصاً فى البرازيل — بعض كراسى للأستاذية بعدة جامعات ، فضلا عن بعض الأكاديميات المتخصصة فى البحث الروحى ، وقد أشرنا إلى بعضها فيما سبق[٣] .

---

(١) Institut General De Psychologie.

(٢) Institut Metapyschique International.

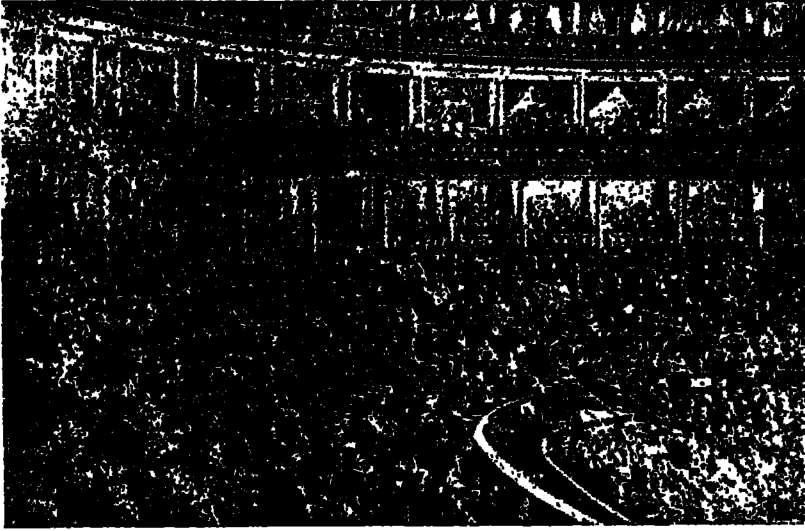
(٣) راجع ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

وهناك جمعيات للبحث الروحى منتشرة فى شتى أنحاء العالم . ويقوم بعضها ببحث موضوعات الظواهر الوساطية متبعاً أدق الأساليب العلمية الناقدة ، مثل « جمعية البحث الروحى » بلندن S P.R. ، و « جمعية البحث الروحى الأمريكية » A.S.P.R. ، وكلتاهما تعملان — متعاونتين — منذ أواخر القرن الماضى وتصدر كل منهما مضابط خاصة بها، وجريدة منتظمة ، وتضمان صفوة من علماء النفس والمادة مختارة من عدة دول ، وتجريان فى أبحاثهما على أسلوب متحفظ جداً ومحايد تماماً . ولنا إلى الجمعيتين عودة فى الباب الرابع ، كما سنتحدث عن بعض نتائج بحوثهما فى فصل على حدة من الباب الخامس .

ويقوم البعض الآخر من هذه الهيئات والجمعيات بالدعوة للحركة الروحية ، وتعريف الناس بها ، وقد قام بعضها بتأسيس المعاهد الروحية التى أشرنا إليها آنفاً . ومن نشاطها أيضاً تقديم الخدمات المجانية بالإشراف على بعض الدوائر العلاجية وغيرها ، بل وعلى بعض المصحات والمستشفيات المتخصصة فى العلاج الروحى ، وذلك بالإضافة إلى عقد الجلسات والمحاضرات العامة فى القاعات الكبرى ، وتنظيم المؤتمرات الدولية دورياً لمناقشة تقارير الباحثين فى شتى الموضوعات .

وهذه الجمعيات فى تزايد مستمر ، وأصبحت تلقى تعضيداً متزايداً من المسئولين ، ومن السلطات الرسمية فى كافة البلاد ، ومن وسائل الإعلام المختلفة حتى تلك التى كانت إلى عهد قريب تقف موقفاً متحفظاً أو عدائياً من الحركة الروحية . وسنشير إلى عدد من أهم هذه الجمعيات الروحية عند الحديث فى الباب المقبل عن « بعض الأسماء والمراجع » .

هذا ما وصلت إليه الروحية التجريبية فى الخارج



الاحتفال باليوبيل المئوى للعلم الروحى الحديث فى ألبرت هول بلندن — وهى أكبر قاعة عامة فى كل أوروبا — يوم ٣١ مارس ١٩٤٨ ، وقد تحدثت فيه الأرواح بأصواتها المباشرة أمام ستة آلاف مستمع ، ثم أخذت تعقد الجلسات الوساطة العلنية دورياً فى هذه القاعة، وفى غيرها من القاعات العامة الكبرى .



وفى هذه القاعة التاريخية فى فيلادلفيا ، وهى «قاعة الاستقلال» (إذ تم فيها التوقيع على إعلان استقلال أمريكا فى سنة ١٧٧٦) انعقد مؤتمر روحى دولى فى سبتمبر سنة ١٩٦٣ بدعوة من الاتحاد الدولى للروحيين International Spiritualist Federation.

فهل نقدر للروحية قريباً مثل هذا الازدهار فى بلاد العروبة مهبط الرسالات السماوية وموطن الإيمان بالروح وبالخلود؟! . . . .

الباب الرابع

فى بعض الأسماء والمراجع فى العلم الروحى الحديث

هذه الظواهر الوساطية أو الروحية التى يطلق عليها أحياناً وصف « الظواهر غير المألوفة » أو « فوق العادية » التى أعطيت عنها فكرة عامة فى الباب السابق بحثت بمعرفة عدد كبير من العلماء ، وفى بيئات علمية جادة . ولا تعنينى فى هذا المؤلف علاقتها بعلم النفس التقليدى ، فبعض الذين بحثوها من هذه الزاوية اعتبرها ظواهر نفسية ، وبوجه خاص التاباثى (قراءة الفكر) ، والجلاء البصرى والسمعى ، والسيكومترى (القياس الروحى أو تقصى الأثر فى الزمان والمكان) . لكن غالبيتهم الساحقة اعتبرتها صراحة ظواهر روحية وثيقة صلة بنشاط الأرواح بعد تحررها من أجسادها الأرضية .

وسأعرض فى الباب الحالى للعلماء الذين بحثوها لسنين طويلة وانحازوا انحيازاً نهائياً وحاسماً إلى أنها ظواهر تثبت بقاء الوعى بعد موت الجسد . كما تثبت وجود صلات متعددة الصور والمظاهر بين أولئك الذين تخلوا عن أجسادهم المادية وأولئك الذين لم يتخلوا عنها، وذلك بعد أن قلبوا الأمور على كافة وجوهها، فلم تقنعهم التعليلات النفسية لقصورها عن استيعاب جميع هذه الظواهر أو بعضها، وهؤلاء هم مؤسسو العلم الروحى الحديث.

ولم يكن انضمام هؤلاء العلماء إلى نطاق البحث الروحى تعبيراً عن اتجاهات فردية لديهم ، بقدر ما كان نتيجة لتطور حركة البحث الروحى وانتشارها فى البيئات المختلفة ، إلى الحد الذى دفع عدداً كبيراً منهم إلى الاشتراك فى التجريب العملى بدافع من مجرد رغبة دحضها وإعلان بطلانها، إذ كانت لدى أغلبهم عقيدة ثابتة

مقدماً هى أن الأمر كله لا يعدو أن يكون محض خرافة شائعة لا يلبث أن ينقضى أمرها بمجرد تمحيصها وكشف جوانب بطلانها ، وقد صرح أغلبهم بذلك فيما بحثوا من ظواهر وأعلنوا من آراء .

إلا أن العلم كما يقول كلفن «يتقيد بقانون سرمدى دائم هو قانون الشرف عندما يواجه بشجاعة أية مسألة تقدم إليه فى صراحة » . وقد تقيد هؤلاء العلماء بقانون الشرف ، لأن طبيعة العالم الجاد واحدة لا يمكن أن تتغير من ميدان إلى ميدان . ولذا نجدهم بعد أن تأكدوا من صحة الموضوع ، رغم خطورته البالغة التى تتضاءل أمامها خطورة أى كشف علمى آخر . أعلنوها صريحة وحاسمة ، لكن فى تأن شديد وبعد سنوات طوال من البحث الشاق — وهو مايضاعف قيمة إعلانهم — أن الموضوع صحيح ، وأن أرواح من نسميهم «موتى» قريبة منا تريد الاتصال الدائم بنا وتشجعه وتتمناه . فصدق عليهم قول إديسون المكتشف العظيم « لأن تكون عادلا تمام العدل فتلك صفة من صفات الطبيعة المقدسة . ولأن تكون على أقصى ما تستطيع الجهود فذلك هو فخر الإنسان ونبله ».

وهاهى العقول النيرة الشريفة التى لم تبتغ إلا البحث عن الحقيقة للحقيقة ، أياً كانت وكيفما جاءت ، قد واجهت بشجاعة المسألة التى طرحت عليها ووجهت بحوث هذا النفر من العلماء ، فأعلنوها فى إصرار تام حقيقة هادئة بسيطة وهى أن الإنسان خالد لا يموت ، موقنين تماماً أنه ليس هناك ما هو أقوى من هذه الحقيقة ولا أغرب منها . وفى الأبواب المقبلة مايكفى للاقتناع أيضاً بأن أولئك الرواد الأوائل الذين أقدموا على البحوث الروحية وانكبوا عليها خلال سنين طويلة من حياتهم ، وجلهم من أفضل قادة العلم المادى وصفوة الفلاسفة والمفكرين ، لم يفعلوا ذلك إلا مزودين بكل الوسائل اللازمة لكشف بطلان هذا البحث إن كان فيه أى بطلان ، أو لإعلان مشروعيته كعلم وكمعرفة عظمى للإنسان .

ويكفى فى إبراز هذا المعنى أنهم عندما وصلوا إلى بعض حقائقه التى تحف

بها الخطورة من كل جانب لم يخفوها ، لأن الضعاف فقط هم الذين يحاولون إخفاء الحقائق ، أما العباقرة فإنهم يشعرون أن ما وصلوا إليه أثمن من أن يخفوه سواء أقدرهم معاصروهم حق قدرهم أم عز عندهم هذا التقدير ، لأنهم خالفوا الناس فيما تواضعوا عليه من رأى ومن شعور . ويأبى المنطق إباء تاماً أن يكون كل هؤلاء العباقرة والمفكرين قد ضلوا طريقهم فى بيداء من العبث أو الخرافة طيلة الجزء الأكبر من حياتهم ، الذى ما كان من الممكن أن يضيعوه ما لم يكن هذا النوع من البحث والتجريب قد تكشف لهم فعلا عن أسس مترابطة من العلم والفلسفة معاً . وما لم تكن هذه المعرفة الجديدة قد قادت أقدامهم إلى آفاق بعيدة المدى ما كانت لتخطر ببالهم من قبل .

ومن يرجع إلى هذه البحوث العميقة ويطلع عليها فى مصادرها الأصلية يقطع أيضاً بأن جل الباحثين فى الروح — من ذلك الطراز الذى سنشير إليه خلال الصفحات القادمة — قد تجرد من الغرض ، ولم يقيد نفسه مقدماً بأسلوب معين من التفكير لأنه أراد أن يصل إلى الحقيقة من أقرب أبوابها ، مهما أدانه بقسوة أنصار ذلك التفكير القديم والفقه غير المتطور . وليس مقتضى ذلك البتة القول بأن كل ما كتبوه يعلو على مستوى النقد بل إن للنقد دوره البنّاء فى هذا الميدان كما فى غيره ، لأن النقد والنقد وحده هو إيذان تحرر العقل من عبودية الماضى ، وهو وحده سبيل أية معرفة صحيحة ، ودعامة كل تقدم على مر العصور .

لكن من يريد أن يتزود بالمعرفة بعقلية متجردة من الغرض — لا يدفعه دافع سوى رغبة المعرفة التى تميز العالم الحقيقى ، مع النزوع إلى الحق للحق — وفى نفس الوقت بشجاعة محمودة تتحدى الحافة عدوة التجديد — تكون فرص النجاح أمامه فى الوصول إلى الحقيقة أكثر بكثير مما تكون لغيره . خصوصاً إذا كان من طراز هذا النفر من العلماء والمفكرين الذى ألف التجريب الناقد المتأنى ، والتفكير

المنطق المتحرر ، والذى جعلنا بحوثه عماد المؤلف الحالى،مستبعدين تماماً ماعداها حتى لا تتهم بضعف أسانيدنا فيه . وسيلحظ القارىء بنفسه فيما بعد أية طائفةمن العلماء والمفكرين اخترناها للاستناد إلى أعمالهـا وآرائها ونحن بصدد بحثنا عن اليقين العلمى — بل الفلسفى — قبل أى اعتبار آخر . أما احتمال الخطأ فهومن طبيعة كل بشر والعصمة لله تعالى وحده .

وتحت هذا العنوان وهو «فى بعض الأسماء والمراجع» سنمر مروراً سريعاً على بعض أسماء كبار العلماء والفلاسفة والمفكرين الذين قاموا ببحث موضوع الصلات القائمة فعلا بين العالمين الروحى والمادى ، والذين اقتنعوا اقتناعاً صريحاً مبنياً على التجريب العملى بصحة هذا الموضوع . دون أن ندرج فيها من قاموا ببناء اقتناع نظرى أو فلسفى على دوام الحياة بعد موت الجسد . لأن محور بحثنا هو العلم الروحى الحديث دون سواه ، وهو محض علم تجريبى شأنه فى ذلك شأن الكيمياء أو الطب أو غيرها . كما سنمر بالتالى على بعض الهيئات التى قامت بهذا النوع من البحوث فى البلاد المختلفة ، وقد اخترنا من بينها الهيئات التى لها مكانة خاصة تبعث على الاطمئنان التام إلى نتائج أبحاثها . وخلال مرورنا على أسماء بعض الباحثين والهيئات العلمية سنمر على كثير من أمهات المراجع التى تعالج شتى جوانب العلم الروحى الحديث .

وفيما يلى سنستعرض هذه الأسماء والمراجع فى أمريكا الشمالية أولاً حيث بدأ هذا النوع من البحث منذ سنة ١٨٤٨ ، ثم فى انجلترا، ثم فى فرنسا وغيرها من بلاد العالم الأخرى ، ثم سنتكلم عن انتقال العلم الروحى الحديث إلى بلادنا المصرية ، فنبين بعض الأسماء والمراجع باللغة العربية ، مخصصين لكل موضوع من هذه الموضوعات فصلا على حدة . وكل ذلك بالقدر الذى يتسع له باب واحد فى مؤلف يريد أن يحيط من العلم الروحى الحديث بأهم جوانبه العلمية والفلسفية وهى كثيرة .

الفصل الأول

بعض الأسماء والمراجع فى أمريكا الشمالية

بدأت الحركة الروحية فى الولايات المتحدة الأمريكية عقب حدوث ظواهر قرية هيدسفيل ، بقرب مدينة روشستر بولاية نيويورك ، التى حدثت فى كوخ السيد ويكمان فى حضور الشقيقتين مرجريت وكيت فوكس Margaret and Kate Fox . وقد بدأت هذه الظواهر منذ يوم ١١ ديسمبر سنة ١٨٤٧ ولكنها لم تظفر بالتحقيق العلمى المطلوب إلا ابتداء من شهر مارس ١٨٤٨ بعد أن حيرت ألباب الناس لفترة طويلة ، دون أن يعرفوا لها مصدراً ولا تعليلا . فتصدى أشخاص من كبار المسئولين هناك لبحثها فى صبر وأناة مستعينين بكل أساليب التحقيق العلمى الهادىء ، وانتهوا إلى إعلان صحتها ونسبتها إلى الأرواح .

وكانت هذه الظواهر فى جملتها عبارة عن طرقات مسموعة على الجدران وقطع الأثاث ، مصحوبة أحياناً بتحرك منقولات شتى بدون وسيلة مادية . وأمكن التفاهم مع مصدر هذه الطرقات على جدول معين بحيث يمثل كل عدد منها حرفاً من الحروف الهجائية ، أو كلمة شائعة « مثل نعم ولا » . وبهذه الطريقة قرر المصدر أنه روح متوف يدعى تشارلس روزنا Charles B. Rosna وأنه كان والداً لخمسة أطفال وأرمل ، وأنه مات قتيلا بمعرفة مستأجر سابق لهذا الكوخ ذكر اسمه ، وذلك طمعاً فى ماله ، كما قرر أنه دفن فى كهف الكوخ .

فقام الباحثون بالحفر فيه حيث عثروا على بقايا عظام وشعر وجمجمة آدمية . فضلا عن بقايا أوعية ولحم وجير مما استخدمه القاتل فى الخلاص

من جثة القتيل . وتحققوا من باقى ما أدلت به الروح من بيانات بوسائل البحث والتحرى العادية[1] . ثم تكاثرت الظواهر الروحية فى عدة أمكنة فازداد اهتمام الناس بهذا الموضوع ، إلى حد أنه فى سنة ١٨٥٢ تقدمت عريضة موقع عليها من ١٤٠٠٠ أمريكى إلى مجلس الشيوخ يطلب فيها أصحابها تشكيل لجنة علمية « لدراسة جميع المسائل المتعلقة بالروحية » .

جون إدموندز

وممن بحثوا ظواهر كوخ هيدسفيل القاضى جون ورث إدموندز (١٨١٦ — ١٨٧٤) J.W.Edmonds الذى كان رئيساً للمحكمة الاتحادية العليا ، ثم لمجلس الشيوخ الأمريكى .وفى بيانه الأول إلى الجمهور أكد صحتها ، كما قرر فى خطاب له إلى جريدة « نيويورك هيرالد » ، نشرته فى عددها الصادر فى ٦ أغسطس من سنة ١٨٥٣ « لقد ذهبت إلى التحرى عن هذه الظواهر معتقداً أنها مجرد خداع ومنتوياً أن أنشر ذلك على الجمهور ، ولكن عندما وصلت ببحوثى إلى نتيجة عكسية ، فإنى أشعر بأن علىّ التزاماً قوياً بتعريف الناس بهذه النتيجة ، وهذا هو السبب الأساسى الذى يدفعنى إلى ذلك . وأقول «الأساسى» لأن هناك اعتباراً آخر أثر فىّ ، وهو الإحساس بالحاجة إلى نشر معرفة بين الآخرين لا يمكن إلا أن تجعلهم أكثر سعادة ، وفى حالة أفضل من ذى قبل ... » .



إدموندز

وقد شهد فيما بعد بصحة الظواهر الفيزيقية والعقلية معاً فيما قام به من بحوث. ذلك أنه فيما بين عامى ١٨٥٣ ، ١٨٥٤ واصل تجاربه فى دائرة روحية عائلية ، وأمكنه أن يتلقى بيديه

(١) راجع فى هذا الشأن : Thomas Olman Todd:
Hydesville, The Story of The Rochester Knockings

عدة رسائل روحية. ومن الأرواح التي تم الاتصال بها فيلسوف السويد سويدنبرج Swedenborg ، وباكون Bacon الشاعر المعروف ، ونشر التفاصيل فى مؤلف له — بالاشتراك مع الدكتور ت. دكستر T. Dexter والسناتور ن. ب تالمادج N. P. Tallmadge ـ ويقع فى جزئين وعنوانه «الروحية» Spiritualism ، وكان لموقفه النبيل ولدفاعه المتواصل عن الروحية أثرها الواضح فى نمو حركتها وازدهارها .

جيمس مابس

كما تصدى لبحث الظواهر الوساطية الدكتور جيمس مابس J. Mapes وكان عالماً معروفاً فى الكيمياء الزراعية وعضواً بالمجمع العلمى . وبعد أن اتهم أصدقاءه الباحثين فى الروح بأنهم يسيرون حثيثاً إلى الجنون بحث بعض هذه الظواهر على وسيطة تدعى السيدة كورا هاتش Cora Hatch ، ثم على وسيطة أخرى تدعى السيدة ريتشموند Richmond وتلقى أجوبة علمية صحيحة على أسئلته.

ثم أصبحت زوجته وسيطة للرسم ، مع أنه لم يكن لها من قبل أى ميل فنى . كما تحولت كريمته إلى وسيطة للكتابة التلقائية ، وعن طريقها تلقى رسالة حاسمة من والده لإثبات شخصيته إذ قال له « إنك تذكر أنى كنت قد أعطيتك بين كتب أخرى دائرة للمعارف، فانظر فى ص ١٢٠ ستجد اسمى مكتوباً فيها وهو لم تره من قبل » . وكانت دائرة المعارف هذه ملقاة فى مخزن للمنزل داخل صندوق مهمل منذ سبعة وعشرين عاماً. ولما بحث عنها مابس تحقق من صحة ما ذكرته روح والده . وواصل بعدئذ بحوثه فى هذا الموضوع لأنه كان مثل صديقه روبرت هير مادياً مزمناً من قبل ، ثم نشرها شاهداً فيها بصحة هذا الموضوع (١) .

روبرت هير

وبعد مابس يجىء دور روبرت هير Robert Hare (١٧٨١ — ١٨٥٨)

(١) راجع « تاريخ الروحية » لسير آرثر كونان دويل الجزء الأول ص ١٣٥ — ١٣٧ .

أستاذ الكيمياء بجامعة هارفارد بولاية بنسلفانيا، وكان قد سخر منها وممن سبقوه، ثم أعلن بعد البحث صحتها فى مؤلفه « تحقيق تجريبى لظواهر الروح »[١] (١٨٥٥)، وقد قرر فى مؤلفه هذا (ص ٥٤): « بعد أن حصلنا أخيراً على قوى وساطية إلى مدى كاف لتبادل الآراء مع أصدقائنا الأرواح، لم تعد بى حاجة لأن أدفع عن الوساطة تهمة التدليس والخداع. إنما هى الآن أخلاقى الخاصة التى ينبغى أن تكون محل التساؤل ».

كما يقول فى ص ٥٥، بعد أن وصف حدوث طرقات مجهولة المصدر، وأصوات مختلفة تعذر إسنادها إلى مصدر أرضى معروف، وتحرك أجسام صلبة وغيرها — رغم أن الأجهزة التى حقق بها هذه الأدلة المختلفة صنعت بأكبر قدر ممكن من الاحتياط والدقة، ولحقها التعديل بحسب الظروف — « إن جميع البينات التى حصلت عليها والتى أسست عليها النتائج التى أشرت إليها حصل على مثلها وفى جوهرها عدد كبير من الباحثين. ومنهم كثيرون لم يفكروا مطلقاً فى أمر الاتصال بالأرواح ولم يدر بخلدهم أن يصبحوا روحيين. وهم على استعداد لأن يؤكدوا حدوث هذه الظواهر والتحركات، وعلى غير استعداد لأن يتنازلوا عن الجزم بها، حتى وإن كانت غامضة عليهم ».

روبرت أوين

وبعد ظهور مؤلفات هؤلاء الرواد الأوائل للروحية فى أمريكا[٢]،

---

(١) Experimental Investigation of the Spirit Manifestations.

(٢) راجع فى تطور الحركة الروحية الأمريكية مؤلفا للرائدة الروحية السيدة إمّا هاردنج بريتين Emma Hardinge Britten (١٨٢٣ — ١٨٩٩) عنوانه « الروحية الأمريكية الحديثة » Modern American Spiritualism. ولها مؤلف آخر عنوانه « معجزات القرن التاسع عشر » Nineteenth Century Miracles. وراجع أيضاً مؤلف بنجامين كولمان Benjamin Colman عن الروحية فى أمريكا Spiritualism In America. 1891

لم يعد هناك كبير محل للاعتقاد الذى كان سائداً عند الغالبية العظمى من أن هذا الموضوع محض هراء ، وكذلك الشأن فى نظر البيئات العلمية . ثم توالت المؤلفات وتنوعت ، ومن أحسنها مؤلفان للأستاذ روبرت ديل أوين Robert Dale Owen (١٨٠١ — ١٨٧٥) الذى كان ديبلوماسياً ووزيراً مفوضاً لبلاده فى إيطاليا فى سنة ١٨٥٥ — وعنوان أولهما « العثور على حدود عالم آخر »[1]، الذى ظهر فى سنة ١٨٦١ فكان له شأن يذكر فى خدمة الحركة الروحية هناك . ثم ظهر له مؤلف آخر فى سنة ١٨٧١ عنوانه « الأرض محل المناقشة بين هذا العالم والعالم الآخر[2] » .

الحركة الروحية تزدهر تدريجيا

ثم انضمت للحركة الروحية الأمريكية — بعد مقاومة عنيفة — جرائد ومجلات شتى . كما أبدى عدد من كبار الساسة عطفه على هذه الحركة ، ولم يخف بعضهم اقتناعه التام بصحة الموضوع ، ومنهم الرئيس أبراهام لنكولن Abraham Lincoln الذى أخذت تعقد الجلسات فى حضوره فى البيت الأبيض فى سنة ١٨٦٢ . وقد تلقى فيها بعض آراء ناضجة وتوجيهات اقتنع بصحتها وأثرت فى آرائه العامة[3] .

بل إن المخترع العظيم إديسون اشترك فى البحث الروحى ووقف فى جنازة الرئيس هاردنج Harding يعلن « إنى أبحث عن الحقيقة ، وقد تقدمت فى مضمارها تقدماً كبيراً خصوصاً فيما يتعلق بالعالم الآخر والحياة بعد الموت · وإنى أقر بأنه لابد وأن تبقى الروح وتحيا بعد انفصالها عن الجسد . وتتجه جميع

---

(١) Foot Falls on The Boundaries of Another World.

(٢) The Debatable Land Between this World and The Next.

(٣) راجع فى هذا الموضوع كتاب « هل كان أبراهام لنكولن روحيا ؟ » Was Abraham Lincoln A Spiritualist ? لمؤلفته السيدة نتى كولبرن ماينارد Nettite Colburn Maynard ، والمؤلفة هى نفسها وسيطة هذه الجلسات .

أفـكارى نحو حل هذه المشكلة، وهى مشكلة استمرار الحياة بعد الموت، والمناطق التى تعلو إليها النفس، وأى شكل تتخذه فيها ، وطبيعة صلاتها المحتملة بهذا العالم الأرضى[١]» . كما انضم إديسون إلى الجمعية الثيوصوفية منذ سنة ١٨٧٨ ، وهى جمعية تقوم على الفلسفة الروحية وبوجه خاص على الأخوة الإنسانية ، وخلود الروح ورجعتها ، وقانون الكارما أو الجزاء من جنس العمل . وقد أسستها — مع الكولونيل أولكوت Olcott — فى سنة ١٨٧٥ الوسيطة الروسية المعروفة مدام هيلين بتروفا بلافاتسكى Blavatsky (١٨٣١ — ١٨٩١) التى عاشت جزءاً من شبابها فى بلادنا ، وأسست بالقاهرة منذ سنة ١٨٧١ أول جمعية روحية .

جمعية البحث الروحى الأمريكية

لما ازدهرت حركة البحث الروحى فى الولايات المتحدة الأمريكية أنشئت « جمعية البحث الروحى الأمريكية »[٢] .A.S.P.R على غرار « جمعية البحث الروحى » بلندن — التى سيأتى الكلام فيها فى الفصل المقبل ، بل لقد كانت فى أصلها فرعاً منها . وقد أنشئت الجمعية البريطانية فى سنة ١٨٨٢ أما الجمعية الأمريكية فقد أنشئت فى سنة ١٨٨٩ ، وكانت الجمعيتان — ولا تزالان — تضمان صفوة من علماء النفس والمادة ، فهما أكاديميتان دوليتان للبحث الروحى تعملان على أعلى مستوى علمى .

وكان من أقطابها المؤسسين واحد يعد أبرز فلاسفة أمريكا فى عصره وهو وليام جيمس ، الذى انضم ابتداء إلى الجمعية البريطانية منذ إنشائها فى

---

(١) عن المجلة الروحية الفرنسية La Revue Spirite عدد ديسمبر سنة ١٩٢٣ ص ٥٦٣ .

(٢) American Soicety For Psychical Research.
وعنوانها حاليا كالآتى :
15, Lexington Avenne, New York U.S.A

سنة ١٨٨٢ واختير رئيساً لها فى سنة ١٨٩٤/١٨٩٥ . كما اختير نائباً لرئيس الجمعية الأمريكية منذ سنة ١٨٩٠ ، وظل عضواً فى هذه الأخيرة إلى حين انتقاله إلى عالم الروح فى سنة ١٩١٠ .

وقد ذكر وليام جيمس عن هذه الجمعية فى مؤلفه « إرادة الاعتقاد »[١] تحت عنوان « ماذا أنجز البحث الروحى ؟ » (ص ٣٠٦ — ٣٠٨) ما يلى :

إن إجراءات « جمعيـــة البحث الروحى » أخذت فى الاعتبار مبدأ الـكيف لا الـكم .. وإنى أعتقد اعتقاداً راسخاً بأنه بمرور السنين وباتساع رقعة البحث فإن هذه الإجراءات ستتصدر سائر مراجع المعرفة بخصوص نظرية كـان يظن عنها أنها غامضة ، ومن المعتاد أن أبحاثاً من هذا القبيل يكون لها اعتبار خاص عند الجيل الصاعد . كما أن الشبان من أخصائيين فى علم الإنسان (انثروبولوجى) وعلم النفس الذين ستـكون لهم الصدارة فى البحث العلمى سيرون أنه من العار العلمى أن يتركوا قدراً كبيراً من الخبرة البشرية يتأرجح بين اعتقاد غامض أو تصديق دون فحص من ناحية ، أو إنـكار قاطع جازم من ناحية أخرى ، وبغير أن يتقدم أناس مقتدرون لهم الإرادة والعزيمة لدرس هذا الموضوع بكل صبر وحماس .

وإذا طال البقاء « لجمعية البحث الروحى » حتى يحس الجمهور بوجودها وتشعر بكيانها ، كيما يبادر الجمهور إلى إبلاغ أولى الأمر فيها بما يرى من رؤى وأشباح ، أو ما يسمع من دوى سقوط أثاث أو خلافه من الظواهر الغير العادية ، فإنه من المؤكـد أن تتجمع لدى تلك الجمعية كمية كبيرة من الوقائع التى يمكن اتخاذها أساساً لبناء نظريات جديدة عليها . ومن ثم فإنه على معضدى هذه الجمعية أن يفهموا أن واجبهم الأول هو أن يحافظوا على كيانها من سنة

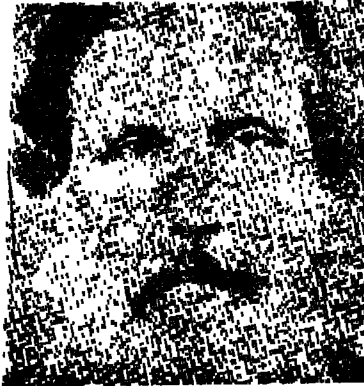
---

(١) طبعة ١٩٣٧ The Will to Believe.

إلى أخرى ، وأن يدونوا ما يتجمع لديهم من حقائق بطريقة دقيقة ، حتى إذا لم تكن لها نتائج ملموسة فى أول الأمر ، فإن جميع جمعياتنا العلمية نشأت بهذه الطريقة المتواضعة .

ولكن من المحال أن تتقدم البحوث العلمية بمجرد إنشاء الجمعيات . فالجمعيات بوسعها أن تساند العباقرة ولكن لا تحل محلهم ، والفارق بين الجمعية البريطانية الأصلية والفرع الأمريكى التابع لها يبرهن على هذه النظرية . ففى إنجلترا كانت نواة الجمعية عبارة عن عدد قليل من الرجال المتصفين بالحماسة والعبقرية ، حين أنه فى أمريكا فقد استدعى الأمر « استيراد » عالم أوروبى يدعى الأستاذ هدجسن Hodgson [1] قبل الوصول إلى أى تقدم فى البحث .

ومن المرجح أن من أسباب ارتباط أفراد الجمعية الإنجليزية هو شخصية الأستاذ سيدجويك Sidgwick الفذة وقدرته على بعث الثقة فى أناس من مشارب مختلفة ، فإنه ليس من السهل أن يجود الزمن بشخص مثل سدجويك يجمع فى أن له هذه الرغبة الملحة فى الوصول إلى النتيجة فى البحث مع عدم التعصب لآرائه عند مناقشتها ، كما أن اعتقاده الراسخ بأن هناك أشياء مجهولة ينبغى أن تظهر يزود الوجلين بالصبر . وجهره بعدم قدرته على الوصول إلى قرار حاسم فى اختباراته يبعث الثقة فى نفوس أولئك الذين يخشون أن يكونوا ضحية للخداع أو للحيلة »[2] .


هنرى سدجويك

كما ذكر نفس الفيلسوف عن هذه الجمعية فى مؤلفه الآنف الذكر (ص ٣١٣

(١) أستاذ الأخلاق بجامعه كمبريدج .

(٢) وقد كان سيدجويك هـذا (١٨٣٨ — ١٩٠٠) أستاذاً للفلسفة الأخلاقية =

وما بعدها) ما يلى : « إن « جمعية البحث الروحى » التى يمتد عملها فى إنجلترا وأمريكا قد سمحت بأن يلتقى العالمان العلمى والروحى فى مجال واحد . وإنى أعتبر أن هذه الجمعية مهما كانت وظيفتها محدودة سيكون لها نصيب كبير فى ترتيب المعارف الإنسانية . فلذلك أستحسن أن أفضى إلى القارىء بنتائج أعمالها بإيجاز ، فأقول إننا إذا صدقنا الجرائد وأوهام الصالونات خيل لنا أن الضعف العقلى وسرعة التصديق هما الرباط المعنوى الذى يجمع بين أعضاء هذه الجمعية ، وأن حب العجائب هو الروح المحرك لها ، ومع هذا فيكفى أن نلقى نظرة واحدة على أعضائها لدحض هذه التهمة . فإن رئيس هذه الجمعية الأستاذ سيدجويك معروف بأنه أشد الناس شكيمة فى النقد ، وأعصاهم قياداً فى الشك فى جميع البلاد الإنجليزية . . . ، وتشمل قائمة أعضائها رجالا كثيرين آخرين كفاءتهم العلمية أشهر من نار على علم .

«فإذا طلب إلى أن أعين جريدة علمية تكون مصادر أغلاطها ممحصة بأدق الأساليب فإنى أنوه بضابط جمعية البحث الروحى S. P. R. Proceedings ، فإن الفصول الفزيولوجية التى تنشرها الجرائد الخاصة بهذا العلم لا تبلغ فى دقة النقد مبلغ المضابط المذكورة ، حتى أن صرامة الأساليب الكشافة التى طبقت منذ عدة سنين على اختبارات بعض الوسطاء كانت بحيث توجد اختلاف الآراء داخل الجمعية نفسها » .

== Moral Philosophy بجامعة كامبريدج منذ سنة ١٨٨٣ حتى وفاته، ورئيساً لجمعية البحث الروحى بلندن، وفى نفس الوقت فيلسوفاً وعالماً خلقياً. ويعد مؤلفه Methods Of Ethics من الكتب التى ترفع صاحبها إلى مستوى فلاسفة الأخلاق الكبار (راجع فى هذا الشأن مؤلف الفيلسوف المعاصر تشارلس د. بروض C.h.D. Broad وعنوانه Five Types Of Ethical Theory طبعة ١٩٤٤ ص ١٤٣ — ٢٥٦) .

وليم جيمس

هذا وقد بدأ عالم النفس والفيلسوف وليام جيمس (١٨٤٢ — ١٩١٠) حياته طبيباً بمستشفى مساتشوستش ، ثم أصبح أستاذاً للتاريخ الطبيعى فى سنة ١٨٧٤ ، ثم أستاذاً للتشريح المقارن، ثم تحول إلى علم النفس الفسيولوجى فى سنة ١٨٧٦ ، ثم أصبح أستاذاً للفلسفة بجامعة هارفارد ، ثم أصبح مديراً لهذه الجامعة . وينظر إليه حالياً على أنه من أحسن علماء النفس والفلاسفة الذين أنجبتهم أمريكا[١] . وفى نفس الوقت من أحسن الباحثين الروحيين الذين أفادوا «جمعية البحث الروحى» واستفادوا منها إلى أبعد مدى .

وقد كان لبحوثه الروحية صداها فى مؤلفاته العميقة المعروفة مثل « إرادة الاعتقاد » (١٨٩٧)، و «خلود النفس» (١٨٩٨) ، و « أحاديث إلى المعلمين فى علم النفس وإلى الطلاب فى بعض المثل العليا للحياة » (١٨٩٩) ، وفى «صنوف التجربة الدينية» (١٩٠٢) الذى اعتبره دراسة فى الطبيعة الإنسانية، وغيرها من مؤلفات تفيض بنزعته الإنسانية الخالصة ورغبته الأكيدة فى هدم الحواجز المصطنعة التى أقامها بين بنى البشر الجدل الدينى العقيم، والتى جعلت قلبه يتقطع أسى وحسرة من هذه الحواجز .

وفى هذا الشأن يقول الأستاذ محمود زيدان فى مؤلفه عن «وليم جيمس»[٢] « ولقد أفادته بحوثه مع زملائه إفادة جمة فى الوصول إلى نتائج علمية تخدم

(١) يقول الدكتور عثمان أمين فيه « ولا نزاع فى أن جيمس قد تبوأ من فلاسفة أمريكا أعلى مقام، فاستطاع أن يبث فى التفكير الفلسفى فى بلاده روحا فتية زاهرة أكسبته حياة وخصباً، ومدت رحابه إلى العلم والأدب والفن، وهيأت له أن يشارك فى مشاغل المجتمع المتجدد النامى بأوفى نصيب . كما يقول فيه أيضا إنه من القلائل فى عصرنا هذا الذين ستطاعوا أن يؤلفوا بين المثالية والواقعية تأليفاً فريداً (مقال فى مجلة الكتاب العربى عدد ١٠ يونية سنة ١٩٦٤: العدد الأول ص ٢٢) .

(٢) والكتاب المذكور ضمن مجموعة « نوابغ الفكر الغربى » راجع ص ٣١ ، ٣٢ .

أغراضه فى التوفيق بين العلم والدين . ولعل هذه الجمعية كانت الأساس المتين الذى جعل لجيمس شهرة فى الموضوعات الصوفية . إذ وصلت الجمعية فيما وصلت إليه إلى وجود النفس المستورة Subluminal ، فجعل منها قاعدة لوجود عنصر غير فسيولوجى فى الطبيعة الإنسانية يمكن أن يؤدى إلى اتجاه الإنسان نحو الله. واكتشف جيمس — كعضو عامل فى الجمعية — وجود مناطق خفية من الشعور يمكن للإنسان عن طريقها معرفة عالم غير منظور ، وأصبح هذا العالم جوهر الدين فى فلسفته الدينية كما سنرى » .

وفى مؤلفه عن « صنوف التجربة الدينية »[1] قال عن هذا العالم غير المنظور ما يلى « ليست الذات الواعية سوى جزء من ذات أعظم ، وإن امتدادات الذات الواعية لتذهب إلى ما هو خارج الإحساس والعقل بكثير فى إقليم يمكن تسميته بالغامض أو عما فوق الطبيعى . وطالما أن ميولنا تستمد أصولها من ذلك الإقليم — وهذه هى حالة الغالبية من بين هذه الميول — فإن صلتنا بذلك الإقليم تكون ممتدة فيه إلى ماهو أعمق مما تمتد إليه فى العالم المنظور، وذلك لأن مطامعنا الأكثر سمواً هى محور شخصيتنا .

ولكن ذلك العالم غير المنظور ليس مجرد مثل أعلى فحسب ، كلا بل إنه يحدث آثاره كذلك فى العالم المحسوس . فإننا باتصالنا بذلك العالم غير المنظور تنتهى ذواتنا بالتحول فنصبح أشخاصاً آخرين ، ونصحح من سلوكنا عن طريق إعادة تقويم خصائصنا الأصلية من جديد regeneration ، ومن ثم يحدث ذلك العالم غير المنظور تأثيره فى العالم الطبيعى ، فكيف نأبى أن نسمى ذلك العالم الآخر بالحقيقى، وهو الذى يحدث أثره فى داخل حقيقة أخرى (هى العالم الطبيعى)؟» .

ولم يبنِ وليام جيمس عقيدته بوجود العالم غير المنظور على مجرد فلسفة

---

(1) Varieties Of Religious Experience.

نظرية ، وهذا هو الجانب الهام فى آرائه ، بل بناها على « وقائع مؤكدة تنطوى على الاعتقاد بوجود عالم غير منظور وله وجود حقيقى واقعى وليس مجرد تصور . وسيجعل هذه النتيجة هى نقطة الارتكاز فى الدين ، وهو يقدم لهذه النتيجة بمقدمات كثيرة . . ويتصور جيمس الدين — حسب هذا التعريف — تصوراً أوسع من المعنى المألوف له . إنه يتصوره علاقة الإنسان بشىء غير منظور ، دون أن يتحتم أن يكون هذا الشىء إلهاً أو ما يشبه الإله . وهو يتصور نجده واضحاً فى تيارات فلسفية كثيرة من تلك التى تدافع عن الدين . قد نقول عن فرد إنه متدين دون أن يكون معتقداً بوجود إله . وقد يكون الفرد مؤمنا لمجرد أنه يتصور العنصر الإلهى فى طبائع الأشياء ، أو يتصور للكون تركيباً روحياً خاصاً . إننا نسمى هذا التصور تصوراً دينياً رغم أنه لا ينطوى على وجود إله حقيقى محدود ... ويعرّف جيمس الدين بأنه الاعتقاد بعالم غير منظور . وأن خيرنا الأسمى كائن فى إيجاد الملاءمة الناجحة بيننا وبين ذلك العالم .. » .

ويبنى وليام جيمس أراءه هذه على تجاربه الخاصة فى الروحيات ، والتجارب الدينية لدى الصوفية . وما أوحته نتائج العلاج الروحانى . كل هذه « يثق بها جيمس ويتخذها وثائق ، ولا يوجد ما يدعو إلى تكذيب أصحابها » ، على ما يقرره الأستاذ محمود زيدان ، الذى يقول أيضاً فى بحثه القيم الذى لم يضعه إلا لدراسة فلسفة وليام جيمس « لقد وصل جيمس من خلال دراساته للتنويم المغناطيسى وأبحاثه فى العلاج الروحانى ودراسته سيراً كتبها أدباء مشهورون لهم نزعات صوفية (هم وسطاء الإلهام) — وصل من ذلك إلى حقيقة هامة هى أن شعورنا اليقظ الراهن ليس سوى نمط واحد من أنماط الشعور الإنسانى . ويجب ألا نغفل أن وراء هذا الشعور اليقظ شعوراً خفياً آخر ، ولعله أكثر عمقاً وسعة وتأثيراً فى حياتنا ... ويروى بنفسه أن هذه الحقيقة نتيجة هامة وصل

إليها بعد قيامه بملاحظات وتجارب كثيرة ، واقتنع بصدقها ولم يزعزع اعتقاده بها شيء[1] » .

« ولقد تأكد جيمس من خلال دراسته للصوفية وللقداسة وخصائصها أن القديس فى حالات غيبوبته — مما له أثره الثابت فى حياته اليقظة المألوفة — يشعر بوجود كون فسيح أكثر سعة من العالم الأرضى ، ويشعر أن بينهما علاقة جاذبية وتعاطف وصداقة . بل يشعر أنه خاضع له ، أو أنه ينبغى أن يكون خاضعاً له ، ومن المحال أن يكون الشعور العقلى هو مصدر الوعى بهذا الكون . إذن فمن الملائم أن نفترض وجود مناطق حفية بالقوة من الشعور يمكنها الاتصال بهذا الكون العظيم ... »[2] .

كما يقول أيضاً إنه توجد فى الطبيعة الإنسانية منطقة لها صلة وثيقة بالمنطقة الإلهية أى بالعالم غير المنظور . هذه المنطقة هى الشعور الخفى أو ما وراء الشعور الخالد ، أو بروز النفس الاجتماعية بروزاً أوضح من النفس المادية . كما يعتقد أن هذه الصلة بين النفس الكامنة فى الإنسان وبين هذا الكون الفائق ينبغى أن تتحقق بالصلاة لا بالتصوف .

وهو يعتقد أيضا أن الله لم يخلق الكون من الأزل . وإنما الخلق وعمل الله فيه قائم فى مجال الزمن . والزمن صورة الإمكان « وأهم فكرة متضمنة فى فكرته الشخصية عن الله هى أن الله رفيق للإنسان ، صديق له، معين له على الوصول إلى كماله ، مساعد له فى التغلب على الشر الذى فى العالم . فهو ليس مصدر خوف لنا أو رهبة . وإنما هو مصدر حبنا لأنه رمز تفاؤلنا فى هذه الحياة » .[3]

---

(١) عن « وليم جيمس » للأستاذ محمود زيدان ص ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ .
(٢) عن المرجع السابق ص ١٦٤ .
(٣) عن المرجع السابق ص ١٧٩ .

وقد صور وليام جيمس الطبيعة من حولنا « بعقل مفكر جبار يتسلل منه قدر يسير إلى جمجمة كل إنسان ، فيزهو بما أصبح فى حوزته من قوة قادرة على التفكير والخلق والابتكار ... ولا حرج فى هذا ، ولكن من المضحك أن يحاول بهذه القوة اليسيرة أن يفسر جميع غوامض العقل الجبار الذى يحيط به ، فإذا أخفق فى تفسير شىء أنكره وراح يشكك الناس فى وجوده[١] » .

وبسبب بحوثه فى الروحية التجريبية أصبح هذا الفيلسوف مؤمناً بإمكان استحواذ بعض الأرواح على بعض الأشخاص ، أو المس الروحى obsession قائلا : « إن رفض التعاليم الحديثة اعتبار المس الروحى أمراً ممكن الحدوث رغم روايات الناس المتراكمة المبنية على التجربة الملموسة إنما هو فى نظرى مثل غريب للتحكم الشكلى فى المسائل العلمية . . ترى هل يكون الإنسان علمياً فى الواقع إذا كان هو من العمى والجهل بحيث يرتاب فى إمكان ذلك ؟ ! ... » .

واقتناع وليم جيمس بصحة الظواهر الروحية — وبحثه الشخصى فيها — هو الذى دفعه إلى اعتناق فلسفة جديدة بالنسبة له قائمة على التسليم بوجود عالم الروح ، وعلى تأثيره المستمر فى عالم المادة ، وهو الأمر الذى قلب آراءه السيكلوجية القديمة رأساً على عقب ، وكانت مؤسسة من قبل فى جوهرها على مبادىء مادية . فراح يصف — بعد هذا التحول الخطير — مؤلفاً قديماً له عن « مبادىء السيكولوجى » قائلا بتواضع العالم وشجاعة الفيلسوف إنه يمثل « كتلة كريهة منتفخة مستسقية متورمة تشهد أنه لا شىء هناك يسمى علم السيكولوجى ! ... » ، ويقصد أن علم الروح Psychic Science قد حل محل السيكولوجى Psychology القديمة هذه .

---

(١) عن مقال بتوقيع ألدوس هكسلى عنوانه « الظواهر الروحية حقيقة لاسبيل لإنكارها » نشرته مجلة الهلال فى عدد يولية ١٩٥٥ عن مجلة ريدرز دايجست ، وصاحب المقال معروف بمؤلفاته العميقة عن سير الحياة ، وعرفت عنه دقة التحليل العلمى والفلسفى .

فهل هناك دلالة فى جانب علم الروح أعظم من دلالة تحول عالم وفيلسوف من طراز وليام جيمس هذا التحول الخطير بعد بحوث معملية فيه دامت لسنين طويلة ، وأدت إلى تشييده فقهاً جديداً ، وفلسفة هى الآن فى جوهرها فلسفة الروحيين العامة فى شتى جوانب المعمورة،مهما اختلفت التفاصيل فيما بينهم ؟!!.

ثم انظره وهو يقول فى أحد فصول مؤلفه « إرادة الاعتقاد » عن البحث الروحى : « إننا لو قارنا رأينا الحالى مع نظرة الماضى نحو الفكر البشرى حينذاك ، سواء علمياً أو دينياً ، لروعتنا الدهشة بأن الكون الذى يظهر بهذه العظمة والغموض لنا ، يكون قد بدا لغيرنا شيئاً صغيراً بسيطاً . والآن إذا نظرنا إلى العالم من زواياه المختلفة وهى عالم ديكارت Descartes أونيوتن Newton ، أو عالم المادة فى القرن الماضى ، أو عالم بردجووتر Bridgewater فى عصرنا الحاضر ، لرأيناه هو هو بعينه دائماً « العالم الصغير الغير المتطور » .

وإذا رجعنا إلى ليل Lyel ، وفراداى Faraday ، وميل Mill ، وداروين Darwin ، وفحصنا نظرياتهم المختلفة لوجدنا أنهم يضفون على آرائهم نظرة الطفولة والبراءة . وهل هذا يعنى أن العلم فى يومنا الحاضر سيهرب من مصيره العادى ، وهل تبدو عقول مفكريه متخلفة لأحفاده ؟ إنه لمن الحماقة أن نظن ذلك . لكن فى الوقت نفسه لوقسنا الحاضر على الماضى وأصبح علمنا متخلفاً بالنسبة للمستقبل ، فذلك سيكون راجعاً بالأكثر إلى استبعاده للحقائق ، وإلى جهله بمجالات بأكملها عن الظواهر المركبة التى يلزمها الإيضاح ، لا إلى افتقاره إلى الروح أو المبادىء العلمية . فإن روح العلم ومبادءه ماهى إلا عبارة عن وسائل معينة ..... »

إلى أن يقول « إن الفصيلة الوحيدة المتكاملة لتفكيرنا ، كما يقول أساتذتنا فى الفلسفة هى فصيلة شخصيتنا ، وما عدا ذلك من الحالات يعتبر من

العناصر التجريدية فقط. وإن إنكار العلم التقليدى للشخصية كمظهر للحوادث، وإن الاعتقاد الصارم بأن العالم قطعاً عالم غير شخصى فى أخص خصائصه، ليبرهنان أنهما النقص الذى سيتعجب منه خلفاؤنا بالنسبة للعلم الذى نفخر به نحن — ذلك النقص الذى سيجعل علمنا فى نظرهم قصير النظر وعديم العمق.. »[١].

هذا وقد قرر الأستاذ هيوات ماكنزى Hewat Mckenzi مدير «الكلية البريطانية للعلم الروحى» فى مؤلفه عن « الاتصال بالروح »[٢] (١٩١٦) أنه أمكنه الاتصال بروح وليام جيمس بعد انتقاله . ومثل ذلك قرره أيضاً الدكتور جيمس هايسلوب رئيس « جمعية البحث الروحى الأمريكية» A. S. P R فى مؤلفه عن « تلامس بالعالم الآخر»[٣] (١٩١٩) . وأدلت الروح بمعلومات قيمة ، وذلك لتثبت بطريقة عملية حاسمة بقاء الشخصية بعد موت الجسد المادى. كما عاد هايسلوب بدوره بعد انتقاله ، على ماروته سكرتيرته الآنسة جرترود تيوبى Gertrude O. Tubby فى مؤلفها عن « جيمس هـ . هايسلوب» (١٩٢٩) .

جيمس هايسلوب

وقد كان جيمس هيرفى هايسلوب هـذا James Hervey Hyslop (١٨٥٤ — ١٩٢٠) أستاذاً للمنطق وللأخلاق بجامعة كولومبيا بولاية نيويورك ، ومن أشهر بحاث العلم الروحى ودعاته فى أمريكا الشمالية . وقد أجرى تجاربه مع وسطاء متعددين ، منهم السيدة ليونور بيبر L. Piper وتلقى منها ٢٠٥ بيانات مختلفة من أشخاص متوفين أمكنه أن يتحقق من صحة ما لا يقل

---

(١) ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ The Will to Beleive

(٢) Spirit Intercourse : Its Theory and Practice.

(٣) Contact With The Other World.

عن ١٥٢ بياناً منها ، وقال بعد ١٢ جلسة معها « لقد تحادثت مع روح والدى وشقيق وأعمامى ... »[1] . كما صرح هايسلوب عن هذه الوسيطة الشهيرة «إن الأشخاص الجهلة هم الذين يشكون الآن فى أن هذه السيدة أو غيرها يمكنها أن تتصل بعالم الروح . فقد أثبت ريتشارد هودجسون شخصيته منذ بضع سنوات مضت خلال الوسطاء ، كما فعل نفس الشىء إدموند جيرنى منذ سنة ١٨٨٩ . ولقد تحادثت أنا شخصياً مع هودجسون ، كما تحادثت بالأمس فقط مع روح فردريك مايرز ... »[2] .

وقد ساهم هايسلوب فى تنظيم « جمعية البحث الروحى الأمريكية » وأصبح رئيساً لها ، وعمل على إصدار جريدتها منذ سنة ١٩٠٧ ، وقد أصبح مساعداً له فى رئاسة الجمعية دكتور هيروارد كارنجتون H. Carrington ، ثم أعقبه دكتور والتر فرانكلين برنس W. F. Prince .

ومؤلفات هايسلوب متعددة فى العلم الروحى منها « الحياة بعد الموت »[3] (١٩١٨) ، وفيه يقرر « إنى أعتبر أن وجود أرواح غير متجسدة أمر قد ثبت علمياً ، ولا يمكن بعد الآن أن أنظر إلى المتشكك بوصفه صاحب حق فى الكلام فى الموضوع . وكل من لا يقبل الاقتناع بوجود أرواح غير متجسدة وبقيام الدليل على وجودها إما جاهل ، وإما تعوزه الشجاعة الأدبية ... » .

ومن مؤلفاته أيضاً « العلم وحياة مستقبلة »[4] (١٩٠٦) ، و « تخوم البحث الروحى »[5] (١٩٠٦) ، و « ألغاز البحث الروحى »[6] ، و « البحث

(١) راجع ما سبق عن هذه الوسيطة ص ٢٤٥ .
(٢) وكل هؤلاء كانوا زملاء الأستاذ هايسلوب فى «جمعية البحث الروحى» ، ولنا إليهم عودة فى الفصل المقبل .
(٣) Life After Death.
(٤) Science And a Future Life.
(٥) Borderland of Psychical Research.
(٦) Enigmas of Psychical Research.

الروحى والبعث »[١] (١٩٠٨) ، « والبحث الروحى والحياة بعد الموت »[٢] (١٩١٣)، و « تلامس بالعالم الآخر »[٣] (١٩١٩) .

فردیناند شیللر

ومن الرواد الأوائل للحركة الروحية الأمريكية فرديناند سكوت شيللر Ferdinand Scott Schiller (ولد فى سنة ١٨٦٤) ، وكان أستاذاً للفلسفة فى جامعة كورنل (من ١٨٩٣ — ١٨٩٧) ، ثم أستاذاً لها فى جامعة جنوب كاليفورنيا بلوس أنجيلوس . ومنذ سنة ١٨٨٧ نشر دراساته الأولى بمضابط «جمعية البحث الروحى» بلندن S. P R. Proceedings التى كان من أعضائها الأول بعنوان « تقرير عن بعض التجارب التلقائية »[٤] (فى المجلد الحادى عشر)، كما نشر عدة مقالات و بحوث أخرى فى هذه المضابط وفى جريدة الجمعية . وكتب عن « تقدم البحث الروحى »[٥] فى الموسوعة البريطانية (الطبعة ١١ الصادرة فى سنة ١٩٢٠) ، كما كتب عن « الروحية والتلباثى »[٦] فى « موسوعة هاستنج للدين والأخلاق »[٧]. واختير عضواً بمجلس «جمعية البحث الروحى» بلندن، ثم اختير رئيساً لها فى سنة ١٩١٤ .

ومن مؤلفاته الفلسفية « الإنسانية »[٨] (١٩٠٣) ، و « دراسات فى الإنسانية »[٩] (١٩٠٧)، و«تانتالوس أو مستقبل الإنسان»[١٠]، و « مشكلات

---

(١) Psychical Research and the Ressurrection.
(٢) Psychcial Research and Survival.
(٣) Contact with the Other World.
(٤) Report of Some Automatic Experiments.
(٥) Progress of Psychical Research.
(٦) Spiritism And Telepathy.
(٧) Hasting's Encyclopaedia of Religion And Ethics
(٨) Humanism.
(٩) Studies in Humanism.
(١٠) Tantalus, or The Future of the Man.

الاعتقاد »[1] (١٩٢٤) .

إدوارد راندال

ومن الباحثين إدوارد كالب راندال Edward Caleb Randall وكان محامياً معروفاً ، وقد أجرى بحوثه الروحية بمدينـــة بافالو بولاية نيويورك واستمرت مع السيدة إميلى فرنش Emily French (١٨٣٠ — ١٩١٢)وسيطة الصوت المباشر لمدى عشرين عاماً ، كما قام ببحوث متعددة فى دوائر أخرى . وشرح نتائج بحوثه فى جملة مؤلفات منها « تقدم الحياة »[2] (١٩٠٦) ، و « مستقبل الإنسان»[3] (١٩٠٨) ، و «الموتى لم يموتوا أبداً »[4] (١٩١٦) ، و « حدود الحياة التالية »[5] (١٩٢٢) ، و « الميت الحى »[6] (١٩٢٧) .

وقد لخص راندال خلاصة تجاربه لمدى هذه السنوات الطوال قائلا « إن الحياة كلها مستمرة ولا شىء ضائع البتة ، وإن التواصل ممكن ، بل إنه قد تم فعلا بطرق كثيرة مع أولئك الذين فى الحياة الأخرى . وقد كان همى أن أوجد الحالة التى تستطيع بها الأرواح أن تغلف أعضاءها التنفسية بمادة فيزيقية فتستطيع أن تكلمنا ونحن فى حياتنا الأرضية . وقد كان من حسن حظى أنى سمعت أصواتها مئات من المرات ، فكان ذلك خير طرق التواصل كلها ، وقد أمكن الحصول من هذا المصــــدر على معارف عظمى ، وحقائق غابت عن العلماء[7] ... » .

---

(١) Problems of Belief

(٢) Life's Progression

(٣) Future of Man.

(٤) The Dead Have Never Died.

(٥) Frontiers of the After Life.

(٦) The Living Dead.

(٧) يشير راندال إلى ظاهرة الصوت المباشر وهى من أندر الظواهر الفيزيقية لكنها من أكثرها إقناعا (راجع ما سبق عنها فى ص ١٦٦)

هيروارد كارنجتون

ومن العلماء الأمريكيين أيضاً الدكتور هيروارد كارنجتون Hereward Carrington العالم النفسى الذى انضم إلى « الجمعيــة الأمريكية للبحث الروحى » فى سنة ١٩٠٦ ، وكانت تحت رئاسة الأستاذ هايسلوب فأصبح هو مساعداً له . وتجارب كارنجتون فى الظواهر الروحية كثيرة . منها تجاربه فى ســنة ١٩١٠ على الوسيطة الأسبانية أسابيا بلادينو[1] ، وقد ذكر عنها «أن جلساتى التى عقدتها قد أقنعتنى أخيراً — بدون أدنى اعتراض — أن هناك عدة ظواهر حقيقية تحدث فعلا . ومن الطبيعى فى مثل هذه الحالة أن يبرز أمامى السؤال الخاص بتفسيرها ، وإنى لأظن أن الفرض الروحى لا يمكن اعتباره فحسب نظرية عملية ، بل إنه فى الحقيقة النظرية الوحيدة التى يمكن بها تعليل هذه الحقائق تعليلا علمياً » .


هـ . كارنجتون

وفى ســنة ١٩٣٣ عندما زارت الولايات المتحدة الوســيطة البريطانية السيدة إيلين جارت Mrs. Eileen Garrett أخضعها كارنجتون لتجارب كثيرة داخــل « المعهد الروحى الأمريكى »[2] . ومنها تجارب متصــلة بالتحليل النفسى مصــحوباً بأجهزة تسجيل كهربائية ، كيما يكتشف ما إذا كانت الــكائنات المتصلة بالوسيطة


إيلين جاريث

(١) راجع ما سبق عنها ص ٢٠٥ — ٢١٠

(٢) The American Psychical Institute.

مستقلة عنها أم لا . واختتم بحوثه بما يلى : « يمكننى الآن أن أقرر أن تجاربنا أظهرت وجود كائنات عاقلة مستقلة عن سيطرة الوسيطة ، ومنفصلة عن العقلين الواعى والباطن ومعزولة عنهما » . كما خضعت نفس الوسيطة لتجارب التلباثى فى جامعة ديوك تحت إشراف الأستاذ ج ب . راين ، التى نشرها فى سنة ١٩٣٤ فى مؤلفه عن « الإدراك عن غير طريق الحواس » .

وأكد الدكتور كارنجتون — بالاشتراك مع الدكتور جون .ر. ميدر John R Meader فى مؤلفهما « الموت أسبابه وظواهره »[١] (١٩١١) — صحة ظاهرة الغيبوبة الوساطية . وقد ذكرا فيه « إذا نحن أردنا أن نقف على الجوهر الحقيقى للغيبوبة والحالات التى من نوعها نجد أنفسنا سادرين فى جهل فاضح مدهش بأمثال هذه المعلومات . ويرجع ذلك بالأكثر إلى أننا نعتبر البحث فيها نوعاً من الخرافة،أو علامة على التحريف . . . » . ثم بينا كيف أن الغيبوبة الوساطية ليست حالة مرضية ، بل إنه عند مرض الوسيط يصبح وقوعه فى الغيبوبة مستحيلا . وأكدا أن الوسيط الواقع فى الغيبوبة يمكنه أن يدلى بمعلومات صحيحة خارقة للعادة « وتلك هى عقدة العقد . ونحن لا تهمنا أية نظرية تقدم عن طبيعة الغيبوبة ، لكن بشرط أن يكون فى وسعها تفسير جميع الحقائق . والواقع أن النظريات المادية الحالية لا تستطيع ذلك » .

كما يقول كارنجتون فى مؤلفه عن « الظواهر الروحية الحديثة » « إنه لمن الواضح أن المس الروحى هو على الأقل شىء ممكن لا يجوز للعلم أن يهمله ، إذ أن هناك حقائق دامغة كثيرة تدعمه . وإذا ما سلمنا بإمكانية المس العقلى فإن مجالا واسعاً للبحث والدراسة سوف يفتح أمامنا ، ويكون بحاجة إلى كل

---

(١) Death, its Causes and Phenomena.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العناية والمهارة والصبر الذى يمكن أن يتكفل به العلم الحديث والفهم السيكولوجى » .

وحرر مقالا لمجلة «القدر» Fate فى عدد سبتمبر سنة ١٩٥٥ سلم فيه بصحة أغلب الظواهر الوساطية ، بما فى ذلك ظاهرة « المنازل المسكونة » ، أو الشغب المجهول المصدر . . . « وقد ظن أنها تصورات ذهنية نتيجة هلوسة . ولكن هذه التجارب الدقيقة القاسية قد أثبتت أنها حقيقة واقعة » . كما يتحدث عن التصوير الروحى قائلا إنه فى هذه الحالات « يؤثر إشعاع ما من الجسم فى المزيج الموجود فوق اللوحات التى تظهر فيها علامات غير متوقعة . . . » . وينتهى بأنه « فى مجال البحث الروحى توجد حقائق كثيرة تبدو لأول وهلة أنها تافهة ولا معنى لها ، لكنها ستصير ذات قيمة كبرى ، وستؤدى إلى فهم كثير من الأمور الخافية علينا فى الوقت الحاضر » .

ومؤلفات الدكتور كارنجتون فى جوانب الظواهر الروحية غزيرة أهمها : « الظواهر الفيزيقية للروحية »[١] (١٩٠٧) ، و « العلم الآتى »[٢] (١٩٠٨) ، و «أسابيا بلادينو وظواهرها[٣] »(١٩٠٩)، و «تجارب شخصية فى الروحية»[٤]، و «السحر الهندوسى »[٥] (١٩١٣) ، و « مشكلات البحث الروحى »[٦] (١٩١٤) ، و « قصص حقيقية للأشباح»[٧] (١٩١٥) ، و « الظواهر الروحية والحرب » [٨] (١٩١٨) ، و « الظواهر الروحية الحديثة »[٩] (١٩١٩)،

---

(١) The Physical Phenomena of Spiritualism.
(٢) The Coming Science.
(٣) Eusapia Paladino and her Phenomena.
(٤) Personal Experiences in Spritiualism.
(٥) Hindu Magic.
(٦) The Problems of Psychical Research.
(٧) True Ghost Stories.
(٨) Psychical Phenomena and the War.
(٩ Modern Psychical Phenomen i.

و « قوانا الروحية وكيف ننميها »[١] (١٩٢٠)، و « تقدم أسمى للروحية »[٢] (١٩٢٠)، و«الروحية»[٣] بالاشتراك مع الدكتور جيمس والش James Walsh (١٩٢٥)، «وطرح الجسد الكوكبي»[٤] بالاشتراك مع سيلفان ج. ملدون Sylvan J.Muldoon (١٩٢٩). و « قصة العلم الروحي »[٥] (١٩٣٠)، و « هوديني وكونان دويل »[٦] بالاشتراك مع برنارد م. ل. إرنست Bernard M. L.Ernest (١٩٣٢)، و « وأولية في البحث الروحي »[٧] (١٩٣٣)، و « ظواهر الطرح الروحي »[٨] و. « العالم غير المنظور »[٩]. و « العلم الروحي والحياة بعد الموت »[١٠] (١٩٣٩).

والتر فرانكلين برنس

ومن العلماء الأمريكيين المعروفين أيضا دكتور والتر فرانكلين برنس W. F. Prince، وكان راعياً دينياً ثم تفرغ للبحث الروحي فأصبح ضابطاً للبحث Research Officer « بالجمعية الأمريكية للبحث الروحي » من سنة ١٩٢٠ إلى ١٩٢٤. ثم مساعداً لرئيسها، ثم رئيساً لها في سنة ١٩٣١/١٩٣٢.

وأسس جمعية بوستن للبحث الروحي Boston S. P. R.، ودرس وساطة

---

(١) Our Psychic Powers, and How to Develop Them.
(٢) Higher Psychical Development.
(٣) Spiritualism.
(٤) Projection of the Astral Body.
(٥) The Story of Psychic Science.
(٦) Houdini and Conan Doyle.
(٧) A Primer in Psychical Research.
(٨) The Phenomena of Astral Projection
(٩) The Invisible World.
(١٠) Psychic Science and Survival.

السيدة دوريس فيشر Doris Fischer الوسيطة ذات الشخصيات المتعددة . وأهم مؤلفاته « حالة باشينس وورث »[١] (زوج مرشدة راقية) ، و « الوسيط فى المنزل »[٢] ، و « شهادات مدونة عن أحداث روحيــــة »[٣] . و « التخوم المسحورة »[٤] ، و « ليونارد وتجارب صول فى البحث الروحى[٥] » (١٩٢٩) .

وصول Soule هـــذه كانت وسيطة « جمعية البحث الروحى الأمريكية » وخضعت لتجارب الدكتور هايسلوب أيضاً . وكانت تتلقى الأشعار الراقية من أرواح تنيسون وبروننج ولو نجفلو ، وعدد آخر من أصحاب العقول الراقية من المنتقلين إلى العالم الآخر .

ناندور فودور

ومن أبرز العلماء الباحثين فى موضـوع الظواهر الروحية الدكتور ناندور فودور Nandor Fodor (١٨٩٥ — ١٩٦٤) ، وهو عالم نفسانى مجرى المولد والنشأة ، لكنه أمضى حياته موزعة بين الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا . وقد حصل على دكتوراه العـــلوم من جامعة بودابست فى سنة ١٩١٧ ، وأصبح محللا نفسـياً معروفاً ، واتصل بسيجموند فرويد شخصياً لفترة من الوقت . وفى سنة ١٩٢٠ سافر إلى الولايات المتحدة ، وتصادف هناك أن حضر جلسة لوسيط يدعى



نا ندور فودور

---

(١) The Case of Patience Worth.
(٢) The Psychic in the House
(٣) Noted Witnesses for Psychic Occurences.
(٤) The Enchanted Boundary.
(٥) Leonard and Soule Experiments in Psychical Research.

وليام كارتوزر W. Cartheuser فسمع فيها أحد أقربائه المنتقلين يحادثه باللغة المنغارية، وبمميزات معينة كانت من خصائص هذا القريب المتوفى الذى لا يعرفه الوسيط، كما كان لا يعرف حرفاً من اللغة المنغارية، فاجتذبت هذه الحادثة الفريدة فى وقتها اهتمامه إلى دراسة الظواهر الوساطية.

وبعد ذلك سافر إلى لندن حيث عكف على البحوث الروحية فى كل صورها. وعمل لمدى عدة سنين فى « المعهد الدولى للبحث الروحى »(١) ووصل إلى منصب مدير للبحث Director of Research. وقد كتب فيه عدة تقارير عن تشخيص حالات مس واستحواذ، مما كان يعد جديداً نسبياً على علم الأمراض النفسية والعصبية. كما حصل فى لندن على دكتوراه الفلسفة. وحاول فودور أن يضع نظرية عامة للأرواح الماسة والمشاغبة poltergeists تربط بين أعراض بعض الأمراض العصبية وبين كشوف الروحية الحديثة، وهى تتميز بسعة الأفق، وفى نفس الوقت بطريقة مدققة فى تحرى الحقائق العلمية، مع التسليم بضآلة المعلومات التى وصل إليها علم الإنسان حتى الآن فى هذا الربع المجهول، وهو ربع النفس الإنسانية، وما يكتنفها من ألغاز وأسرار كان العلم يقف مكتوفاً إزاءها بسبب ارتباطه الزمن بفلسفة خاطئة عن مادية الإنسان، بل الكون كله.

وفى سنة ١٩٣٤ أصدر فودور « موسوعة العلم الروحى »(٢) بمقدمة من سير أوليفر لودج مدير جامعة برمنجهام، ولا تزال تعد من أحسن المراجع فى الموضوعات التى تناولتها، ومن أكثرها حذراً فى تسجيل الحقائق الروحية، بل تسجيلها أحياناً فى قسوة بالغة على عدد من الوسطاء والباحثين المتسرعين.

ثم عاد فودور إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ووصل فيها إلى مراكز

---

(١) International Institute For Psychical Research.

(٢) Encyclopaedia of Psychic Science.

مرموقة ، منها عضوية « أكاديمية العلوم بنيويورك »[١] . كما أصبح أستاذاً في « المعهد التدريبي للتحليل النفسي » التابع « للجمعية النفسية الأهلية »[٢] ، وعضواً في «الجمعية النفسية »[٣] بواشنطون ، وعضواً في هيئة التحرير الدائمة « لجريدة التحليل النفسي »[٤] ، وله فيها أكثر من ثمانين بحثاً في هذا التحليل .

وأهم مؤلفاته الروحية « شعب الألغاز هذا »[٥] ،و « تجارب مع لاجوس باب »[٦] ، ومنها أيضاً « البحث عن المحبوب »[٧] (١٩٥٠) ، و « نزوات الفكر »[٨] (١٩٥١) ، و « في أعقاب الأرواح المشاغبة »[٩] (١٩٥٨) ، و«موضع الشعور السابق من أزمة الحياة»[١٠] (١٩٥٩)،و«العقل المسكون»[١١] (١٩٦٠) ، و « اقترابات جديدة لتفسير الأحلام »[١٢] (١٩٦٢) ، و « العقل فوق المكان»[١٣] (١٩٦٢) ،و «بين عالمين»[١٤] (١٩٦٤) .

وله بالاشتراك مع الدكتور هيروارد كارنجتون مؤلف عن « الأناس

---

(١) New York Academy of Science.
(٢) Training Institute of the National Psychological Association for Psychoanalysis.
(٣) Psychological Association, Washington.
(٤) Psychoanalytic Review. وهي أعرق جريدة أمريكية في التحليل النفسي
(٥) These Mysterious People.
(٦) The Lajos Pap Experiments.
(٧) The Search for the Beloved.
(٨) Conception Fantasies. (طبع في الهند)
(٩) On the Trail of the Poltergeist.
(١٠) The Place of Premonition in a Crisis of Life. (طبع في الهند)
(١١) The Haunted Mind.
(١٢) New Approaches to Dream Interpretation.
(١٣) Mind Over Space.
(١٤) Between Two Worlds.

المسكونين[1] » (١٩٥١) ، ومع الدكتور فرانك جاينور Frank Gaynor مؤلف عنوانه « قاموس فرويد عن العقل غير الواعى »[2] .

إدوين فردريك باورز

ومن أحسن بحاث هذا الموضوع أيضاً الدكتور إدوين فردريك باورز Edwin Frederic Bowers أستاذ علم النفس والأمراض العصبية بجامعة مينيابوليس . ومن مؤلفاته « ظواهر حجرة الجلسة (الروحية) »[3] ، وقد بدأه بقوله « بعد مضى خمس وثلاثين سنة قضيتها فى بحوث الظواهر الروحية ودراستها من جميع وجوهها المختلفة اقتنعت حقاً بأن المعرفة التى حصلت عليها نتيجة لبحث هذه الأمور بحثاً هادئاً متأنى فيه تقدم للناس ما لعله يكون أهم تجريب عقلى وروحى يمكن للإنسان أن يحصل عليه خلال حياته الأرضية . والواقع أننى واثق بأنه يوجد الآن ملايين من الناس يعتقدون أن البرهان على استمرار الوجود بعد الموت ، أى على بقاء الشخصية والقدرة على التواصل مع الأرواح غير المتجسدة ، هو أثمن ما يمكن التطلع إلى الحصول عليه .

إلى أن يقول عن المعارضين : « فهؤلاء إما أن يقولوا لنا شيئاً بصدد تلك البينات العظيمة المتراكمة الدالة على استمرار الحياة بعد الموت ، وهى تلك البينات التى جمعها فى كد ونصب أولئك العلماء المقطوع بشهرتهم وكفاياتهم ، وإما أنهم يستخفون بتلك البينات معتبرينها مادة تصاغ منها الأحلام والأخيلة . ومع ذلك يحزننا أن نقول إن هؤلاء الماديين يوجدون فى الكنيسة وفى المدرسة بنفس الكثرة التى يوجدون بها فى الأسواق التجارية الحاشدة حيث يسود الإلحاد ، وحيث يكون البغض للتقدم الفكرى عاماً باستمرار للرأى

---

(١) Haunted People.

(٢) Freud Dictionnary of the Unconscious.

(٣) Phenomena of the Séance Room.

الصائب الثاقب . على أن انعدام أصغر أجزاء الوعى الكونى فيهم يظهر حتى فى تأكيدهم القاطع لآرائهم ، وفى افتراضهم لأنفسهم الذكاء الخارق الأسمى » .

وفى الفصل الأول يقول باورز[1] : « هذا الكتاب تحدٍ — تحدٍ للجهل والتطرف وروح التعصب الناكرة الكارهة ما تجمع من البينات الدالة بشكل قاطع على بقاء الشخصية وحياتها بعد ذلك التغير الذى نسميه موتاً . وقوام نقاش العلم الروحى الحديث هو أن الروحية لم تعد بعد فى حاجة إلى دفاع ، فهى ليست بعد الآن ذلك اللاهث الهامس فى ذل ، المتوسل إلى قضاة الشك أن يستمعوا إلى قضيته . فمسائل الروحية واضحة لا تتطلب إلا جواباً صريحاً . ولكى لا يساء الفهم بصدد كتابى هذا أعود فأقول مرة أخرى إن هذا الكتاب ليس دفاعاً عن الروحية ، لأن الروحية لا تحتاج إلى دفاع ولكنه تحدٍ .

إنه تحدٍ لكل شخص يعتقد أن كتلة البينات التى سأعرضها هنا — من تجاربى الخاصة ومن تجارب كثيرين من كبار المفكرين الذين ظهروا فى الوجود — ماهى إلا قصص ونوادر يرويها جماعة من البلهاء .

وأنى لك أن ترد على هذه القصص والنوادر ؟ إننى أنا شخصياً أكون سعيداً لو أتيح لى أن أساجل فى هذا الموضوع أى مرتاب مقتدر يقبل التحدى. إن أصدقائى فرنك دكر Frank Decker وآرثر فورد Arthur Ford وايثيل بوست Ethel Post وغيرهم من الوسطاء الموثوق بهم ليسرهم كثيراً أن يقفوا أمام أية هيئة مسئولة موثوق فيها من العلميين والبحاث ويعيدوا التجارب الروحية التى دونتها هنا .

لقد مضى حتى الآن على وضع الروحية تحت الاختبار نحو تسعين سنة

---

(١) ص ٦٣ وما بعدها من الترجمة العربية بمعرفة المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبى الخير بعنوان « ظواهر حجرة تحضير الأرواح » طبعة ١٩٤٢ .

(الآن نحو مائة وعشرين) وذلك لما أن عادت إليها الحياة بعد ممارستها القديمة .ولقد حملت صابرة كأس الضيم وأطرقت على مضض ، ولكن قد حان الوقت لأن ننزع عنها هذا الرداء ، لكى تستعيض عنه بالحلى الأخلق بأن تزين به أركان فلسفتنا الراقية » .

وفى هذا الكتاب يصف باورز بدقة أنباء عدد من التجسدات الحقيقية النادرة التى تحتمل التجريب بالحوامض على حد وصفه . مع وسطاء تقصى أمرهم وتأكد أنهم من الشرفاء الصادقين ، ومنهم القس الدكتور روبرت مور Robert Moore راعى الكنيسة الروحية فى دايتون Dayton بولاية أوهيو Ohio . ويقول فى شأنها « ويغلب على ظنى أن الظواهر المدهشة التى تمت على يدى مور هذا تجهلها « جمعية البحث الروحى » ويجهلها البحاث عامة ، مع أن مور هذا من أعظم الوسطاء الوهوبين الأفذاذ الذين رأيتهم » .

كارل ويكلاند

ومن العلماء الدكتور كارل ويكلاند Carl Wickland عضو « الجمعية الطبية فى شيكاغو وإلينوى Illinois » ، كما هو عضو « الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم[1] » (المجمع العلمى الأمريكى) ، وقد انصبت دراسته على الأرواح الماسة التى تسبب بعض الأمراض النفسية والعصبية . وظل يواصل بحوثه فى هذا الشأن لمدى عشرات من السنين ثم نشرها فى مؤلفه « ثلاثون عاماً بين الموتى[2] » الذى قال فى مقدمته : « لست أبغى أى علم أو تفقه بتقديم هذا الكتاب للجمهور ، وإنما أود أن أقدم السجلات والاستنتاجات لأبحاث تجريبية استغرقت

---

(١) American Society For Advancement Of Science.

(٢) Thirty Years Among the Dead.

وقد نقله إلى العربية فى سنة ١٩٥٨ صديقنا الدكتور على عبد الجليل راضى الأستاذ بكلية العلوم .

ثلاثين سنة فى علم النفس العادى والشاذ الذى له علاقة كبيرة بالمواضيع الغامضة التى تتعلق بالحياة الأخرى وصلتها بشئون الإنسان ، والتى على جميع العقول المفكرة أن تتعرف عليها لأهميتها البالغة » .

وكانت وسيطته فى تجاربه العلاجية زوجته السويدية أنا ويكلاند ، وله مرشدون من عالم الروح كانوا يتولون طرد الأرواح الماسة بوسائل غير مادية بعد مدد تتفاوت فى طولها ، فنجحوا فى شفاء حالات مرضية مستعصية كانت قد فشلت تماماً فى علاجها وسائل التحليل النفسى والصدمات الكهربائية وغيرها من الوسائل القاصرة التى يملكها طب الأمراض العقلية والعصبية ، والتى يسلم بقصورها أى طبيب عقلى .

وقد أظهر فيه كيف أن تأثير الأرواح الضالة هو سبب بعض الحوادث الغامضة التى لايمكن تفسيرها فى الحياة الأرضية وسبب جزء كبير من بؤس البؤساء « وأن الحياة الطاهرة والنية السليمة أو الذكاء الشديد أمور لا تكفى للوقاية من المس الروحى ، وإنما المعرفة والاطلاع هما اللذان يحرسان . وتختلف الظروف الأرضية التى تسبب هذا التداخل فقد تكون من أثر حساسية طبيعية ، أو انهيار فى الجهاز العصبى ، أو من أثر صدمة مفاجئة . والاضطرابات الفيزيقية تقود للمس لأنه عندما تقل القوى الحيوية تكون المقاومة أقل ، وبذلك تصبح الأرواح المهاجمة أكثر تمكناً ، مع أنه فى غالب الأحيان لا يشعر كل من الكائن الحى ولا الروح بوجود الآخر معه »[١] .

وفى الباب الثالث وعنوانه « العقل اللاشعورى والإيحاء الذاتى فرضان خاطئان » يبين ويكلاند كيف أنه من المستحيل حدوث أى غش فى هذه التجارب « لقد سمعت عدة لغات أجنبية غير معلومة بالمرة للسيدة ويكلاند

---

(١) عن المرجع السابق ص ٣٤ .

(زوجته الوسيطة) كما أنها استخدمت اصطلاحات لم تسمع بها قط من قبل ، في حين أن شخصية الأرواح المهيمنة قد تحققت من صحتها مرات ومرات ، كما تم إجراء إثباتات لاعدد لها .

« لقد تناقشت مرة مع واحد وعشرين روحاً مختلفاً تكلموا خلال زوجتي ، وأعطاني معظمهم الدلائل الكافية على أنهم أصدقاء وأقارب كانوا معروفين لي عندما كانوا على الأرض . وعلى وجه عام لقد تكلموا بست لغات مختلفة في حين أن زوجتي تتكلم فقط الإنجليزية والسويدية »[1] .

والكتاب حافل بالبينات المستمدة من اسم المريض أو المريضة ، واسم الروح الماسة ، وظروف وفاة صاحبها ، مع التحقق أحياناً من دفاتر المستشفيات عن الاسم وظروف الوفاة ، بما اتضح أنه مطابق للمعلومات التي تلقاها المؤلف من الأرواح المعالجة والمرشدة . وهي تجارب مطابقة لتجارب أخرى تمت في بيئات مختلفة وأسفرت عن نفس هذه النتائج المتماثلة . ولنا عودة في الباب المقبل إلى بعض البينات العلاجية الأخرى .

وليام مكدوجال

وممن ساهموا بقسط وافر في بحوث علم الروح الحديث العلامة وليام مكدوجال W Macdougall (١٨٧١ — ١٩٣٨) الذي كان أستاذاً لعلم النفس بجامعة هارفارد ، ثم أصبح عميداً لكلية علم النفس بجامعة ديوك ، وهو صاحب سمعة عالمية في علم النفس الحديث . وقد اتجه إلى بحث الظواهر الوساطية أولا في « جمعية البحث الروحي بلندن » التي أصبح في سنة ١٩٢٠ — ١٩٢١ رئيساً لها ، ثم رئيساً « لجمعية البحث الروحي الأمريكية » في السنة التالية . كما كان عضواً في اللجنة التي حققت وساطة مارجري أو العجيبة الثامنة[2] .

---

(١) عن المرجع السابق ص ٦٠ .

(٢) راجع ما سبق عن هذه الوسيطة في ص ١٧٩ — ١٨٥ .

وقد أنشأ مكدوجال معامل للباراسيكولوجى داخل جامعة ديوك ، وهى المعامل التى نمت مع الوقت وتولى إدارتها من بعده مديرها الحالى العلامة ج. ب راين Joseph Banks Rhine .

وقد نجح مكدوجال — كما نجح من بعده راين — فى زعزعة أسس علم النفس المادى ، وتقويض كيانه ، ثم جاء من بعدهما يونج أشهر علماء النفس بعد فرويد لينعى هذه الأسس إلى الأبد ، كيما يحل محله علم الروح ، أو إن شئت علم النفس الروحى القائم على أساس التسليم بعدم الارتباط المحتوم بين المخ والعقل ، وبصحة الظواهر الوساطية ، وبخلود الإنسان .

وقد وضح مكدوجال آراءه فى مؤلفاته التى منها « التحليل النفسى وعلم النفس الاجتماعى »[1] (١٩٣٧) وهو عبارة عن سلسلة محاضرات ألقاها فى جامعة لندن فى سنة ١٩٣٥ . وقد هاجم فيه بوجه خاص الفهم القديم للعقل الباطن ولعقدة أوديب التى قال عنها « أعلم تمام العلم أن التخلى عن عقدة أوديب قد يتطلب جهداً جباراً من المؤمنين بفرويد ، بل إن ذلك قد يقارب الكفر بمعبود مقدس ، ولكنى أناشدهم باسم الإنسانية أن ينكروها وينبذوها نبذاً » .



وليام مكدوجال

ويشر مكدوجال فى مجلته « الباراسيكولوجى Para-Psychology » بصدق الظواهر الروحية ، وطالب بالاستعاضة عن العقل الباطن وعقدة أوديب

(١) Psycho-Analysis And Social Psychology.

بالجسم الأثيرى أو الروحى[1] ، وحاضر منذ سنة ١٩٢٧ فى موضوع « البحث الروحى كدراسة جامعية » ، وأخذ على بعض علماء النفس موقفه من البحث الروحى قائلا « يبدو فى الوقت الحاضر أن العلم ينقسم على نفسه يوماً بعد يوم حول مسألة صدق المادية . فالنقص فى المعلومات الأكيدة وتعدد الآراء فضيحة وهروب من ثقافتنا العلمية ، وخطر اجتماعى ساحق ، وهذا هو سبب وجيه كيما يتقدم رجل العلم المادى ليساهم فى البحوث الروحية » .

م . ب . راين

وتبحث الظواهر الوساطية بعناية خاصة فى العصر الحاضر فى جامعة ديوك Duke بكارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية بإشراف العلامة ج . ب . J. B. Rhine أستاذ السيكولوجى ومدير معامل الباراسيكولوجى بها — التى أنشأها مكدوجال . وراين يعد من أحسن العلماء الأحياء فيها ، إذ أنه أمضى فى دراستها أكثر من ثلاثين عاماً ، وأصدر فيها عدة مؤلفات منها مؤلف عنوانه « عالم جديد للعقل » قال فى مقدمته : « إن العالم الجديد الذى أريد أن أتكلم عنه ليس جديداً فى الواقع إلا لأبناء هذا العصر . فجميع هذه الظواهر التى تعد فى نظرنا خارقة للطبيعة كانت معروفة للإنسان منذ العصر البرونزى ، إذ ظلت أمراً مسلماً به حتى أوائل القرن الثامن عشر عندما بدأ لفيف من المتعلمين يشك فى وجودها ويشكك فيها . . »

وقد ظل راين يجرى خلال خمس عشرة سنة تجارب متواصلة يبحث فيها عما إذا كانت توجد بالفعل أعمال من التلباثى والجلاء البصرى والتنبؤ بالمستقبل ، وقال عن نتيجة تجاربه « إننا لانبحث كيف نبرهن على كل حالة على حدة ، بل عملنا مجرد بحث بحسب الطريقة العلمية مع استعمال الطرق

---

(١) لنا عودة تفصيلية إلى « الجسم الأثيرى » فى أحد فصول الباب المقبل .

السليمة ، ومقاييس كافية لإقناع الشخص المادى تماماً . ومن سنة إلى أخرى قمنا بتجارب عديدة بصبر وإيمان مع كثيرين من المشتغلين فى هذه المسائل ، وقد وجدنا أن التلباثى والجلاء البصرى هما عبارة عن القدرة الحقيقية للعقل البشرى »[1].

وقد زار راين انجلترا فى سنة ١٩٥٠ كيا يحاضر فى جامعاتها ، فألقى عدة محاضرات مبيناً كيف « أن مكان الإنسان فى الطبيعة لا يمكن أن يوجد البتة داخل حظيرة القوانين الفيزيقية،وأن وجهة النظر المادية عن الإنسان قد رفضت من الناحية التجريبية » . كما بين فى محاضرة له فى إذاعة لندن بتاريخ ٢٦ مايو سنة ١٩٥٠ كيف أن هناك عدة أحداث تثبت استمرار نشاط شخصية الإنسان بعد موته . وهذا النشاط لم تبحثه السيكولوجيا بعد بحثاً جدياً رغم النتائج التى وصلت إليها جمعيات البحوث الروحية . ثم روى وقائع محددة متعددة حققها بنفسه تثبت هذا الاستمرار ، وقد وصف بعضها بأنه « يصح أن يكون فعلا متعمداً من الشخص الميت » .

وهو يرى أن علمى السيكولوجيا والبيولوجيا يجب أن يعترفا بإمكان الحياة بعد الموت ، وينحى باللائمة على العلمين لإهمالها هذا الأمر ، ظناً منهما أنه لا يستحق عناء البحث والتمحيص ، قائلا « لو تتبعنا الأحداث الروحية التى حدثت فيما مضى لوجدنا عديداً من الأمور التى يجهلها هذان العلمان كل الجهل أو يرفضانها على اعتبار أنها خرافة . على أن التجريب فى ذاته ينبغى أن يدفعنا نحو السير فى بحث أى أمر حتى نهايته مهما كانت النتائج » .

وهو يرى أيضاً « أن الطبيعة من ناحية الوقوف على الحقائق خير معلم وأفضل مرشد ، مهما كانت الآراء التى سبق اعتناقها . وإذا كانت ثمة رتبة أخرى

---

(١) عن « كتاب اكتشاف عالم الروح » من تأليف جون بتلر ، وقد نقله إلى العربية الأستاذان عبد السيد جرجس وبرسوم روفائيل .

من الوجود الفيزيقي فإن هذه الرتبة تتألف من عالم يتحتم علينا كشفه ، لأن هذا العالم سيكون من الأهمية بمكان كبير ، بل إن كثيراً من القيم سيتأثر بغير ما ريب بكشف رتبة الوجود الجديدة تلك» . وهو يرى أنه في البحث في الروح يمكن أن تلعب علوم العلاج النفسي والسيكولوجيا بوجه عام والطب والبيولوجيا والأنتروبولوجيا والفلسفة دوراً هاماً[1] .

ويقول راين عن نظرة بعض الناس إلى بحوث الباراسيكولوجي في مؤلف له عنوانه « امتـــداد أثر العقل »[2] « فإن وجد من ينعت عالم الباراسيكولوجي بأنه مهفوف فهناك من ينعته بأنه رائد شجاع . ثم فوق ذلك فهناك الدافع القوى بأن الباحث يقوم برسالة لها أكبر الخطر بالنسبة للإنسانية ، وبأنه في ميدان ما زال بكراً ، وبأنه عضو في جماعة صغيرة من الباحثين ألهبها الشوق والاهتمام ببحثها . ثم إن في هذا العمل مجلاة لملـكات الإنسان ، لأن العمل من الجسامة بحيث يستغرق كل جهود الباحث .

وعلى ذلك فأنا لا أستطيع أن أشارك أحداً في الخوف من ميدان عملت به وعشت فيه ناعماً بالسعادة لمدة تزيد على العشرين عاماً ... والأمور تسير مع علم الباراسيكولوجي بما يدعو للتفاؤل . وهناك علامات كثيرة مشجعة تدل على حدوث تغيير ، وبعضها محسوس جداً لدرجة كافية تدعو لذكره ... فقد انضم بعض العلماء الشبان في علم النفس في منطقة نيويورك إلى «جمعية البحث الروحي الأمريكية » في جهودها ، وذلك لمصلحة الطرفين ، وكان ذلك تحت قيادة

---

(١) راجع مجلة Psychic News عدد ٩٣٨ الصادر في ٢٧ من مايو سنة ١٩٥٠ تحت عنوان « الدكتور راين أستاذ السيكولوجيا بجامعة ديوك يتحدث في الراديو عن حقيقة الحياة بعد الموت » ص ١ وما بعدها .

(٢) The Reach Of The Mind وله ترجمة عربية للدكتور محمد الملوجي عنوانها « العقل وسطونه » وعليها نعتمد في الإحالة هنا .

الدكتور جاردنرمورفي Gardner Murphy[1] .

وفى انجلترا بدأت تتضح معالم خطة مشابهة ، فقد رصد مبلغ من المال لكلية ترينيتى Trinity بجامعة كامبردج وكان ذلك فى عام ١٩٤٠ للإنفاق منه على أبحاث الباراسيكولوجى ، وبعض أساتذة كامبردج الذين لهم حق الإشراف على أبحاث هذه المنحة على علاقة رسمية « بجمعية البحث الروحى البريطانية » (لنا إليها عودة فى الفصل المقبل) ... والأبحاث على المشكلات الباراسيكولوجية على قدم وساق فى عدة كليات ومعامل جامعية هنا (فى أمريكا) وفى الخارج ، وكل ما هو مطلوب هو زيادة عدد هذه المراكز ، وتقديم عون أكبر لتلك التى بدأت ، وهذه الأبحاث تستغرق وقت الباحث بأكمله ، وتتطلب باحثين منقطعين قد أحسن تدريبهم[2] » .

ثم يقول فى مكان آخر « وهناك عدة عمليات تلقائية (أوتوماتيكية) يمكن الاستفادة منها : مثل الكتابة الأوتوماتيكية[3] ، واستعمال لوحة ويجا ، والعصا السحرية[4] . وقد تم بعض الفحص الجدى لقيمة هذه الوسائل الأوتوماتيكية فى الاستجابة ، ولكنى أعتقد أنه من المعقول القول بأن عالم الحركات الذاتية أو التلقائية — أوتوماتزم — يصلح لدراسة تجريبية جامعة فى ضوء الطرق والمعايير الحديثة وعلم الباراسيكولوجى» . . .

---

(١) له كتاب صادر فى سنة ١٩٦٠ عنوانه « البحث الروحى يتحدى » Challenge Of Psychical Research ، وله بالاشتراك مع روبرت بالو Robert O. Ballou مؤلف آخر عن دور الفيلسوف وليام جيمس فى البحث الروحى عنوانه :

William James On Psychical Research.

(٢) عن « العقل وسطوته » ص ٢٠٨ — ٢١١ .

(٣) الكتابة التلقائية هى بعض الأساليب التى يلجأ إليها فى التخاطب مع الكائنات غير المنظورة ومعناها أن تستولى يد ما على ذراع الوسيط فتبدأ يده تتحرك بالكتابة الأجنبية عن وعيه .

(٤) لوحة ويجا Ouija هى لوحة تكتب عليها الحروف الهجائية ، ثم توضع عليها كأس صغيرة تتحرك تلقائياً فى حضور بعض الوسطاء وتستخدم لتلقى رسائل روحية عن طريقها ، والعصا السحرية هى فرع من شجرة يستخدمه بعض الوسطاء فى تحديد أماكن وجود المياه الجوفية والمعادن .

ثم يقول « وحتى الآن لم يبد أى تعارض بين المعنى السيكولوجى والمعنى الدينى للروح ، ولـكن المعنيين يختلفان حينما نصل إلى المنطقة التى لم ينقب العلم فيها بأساليبه . ويجب أن نؤكد أنه بدون قيام هذه النظرية المحدودة عن الروح فسيكون من ضعف الجدوى أن نسير فى التنقيب عن المظاهر الأخرى لنظرية الروح كما تقدمها تعاليم الدين. ولذلك فقد كانت الخطوة الأولى ـ رغم تواضعها ـ ضرورية ، وقد استطاعت أن تحسم إشكالا لم تستطع ملايين المناقشات أن تحسمه . وهذه البداءة تمثل انحسار المد الذى استمر ثلاثة قرون من تسلط النظرية المادية على العلم الخاص بطبيعة الإنسان . وسيكون لهذا أكبر مغزى ثورى ، ولو أن نتائجه ستـكون بطيئة التحقيق ـ وهكذا الأيام لا تدور فجأة »[1] .

ثم يقول راين « وحتى البحث الجارى الآن فى الباراسيكولوجى يمس مسائل أخرى هامة فى الدين . فإذا كان عقل الإنسان شيئاً غير مادى فمن الممـكن تـكوين صورة عن نظام غير مادى أو عالم غير مادى يجمع كل تلك العقول فى عروة وثقى . وهذا يجرنا إلى صور من التأملات عن نوع من الروح الشاملة أو الجامعة أو المسلسلة أو المـكونة لعالم له نظامه وقوانينه وخواصه وإمكانياته . ويمكن أن يتصور المرء أن هذا الهيـكل الـكبير المتـكامل تفرداً يسمو على طبيعة الأفراد المـكونة له حتى ليسميه البعض لاهوتاً .

أما فى مشكلة الخلود فـكثيراً ما يلتقى الدين والباراسيكولوجى . وهذا الموضوع قديم بالنسبة لبقية الأشياء ، وذلك فى علم الباراسيكولوجى الحديث . فمنذ البداءة حاولت جمعيات البحوث الروحية أن تعالج هذه المشكلة ، وهى بقاء الإنسان بعد موته الجسدى ، وبهذا تجد حلا للمشكلة . وكانت جهودهم مركزة بصفة خاصة على تحليل الرسائل الواردة عن طريق الوسطاء الروحيين ، والمقول

---

(١) عن المرجع السابق ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

إنها آتية من الأرواح . وفى خلال خمسة وسبعين عاماً من دراسة الوسطاء اقتنع قليل من العلماء العالميين ، وعدد كبير ممن يقلون عنهم فى المرتبة ، بأن الرسائل — أو على الأقل بعضها — تعطى بكل تأكيد دليلا على استمرار البقاء لشخصيات ماتت ولأرواح بدون أجساد ... »[1] .

وهذا هو نفس الاقتناع الذى وصل إليه الدكتور راين — نفسه — كاملا فيما بعد عندما أخذ يحاضر ، منذ سنة ١٩٥٠ ، أى بعد صدور مؤلفه هذا ببضع سنوات عن هذا الاقتناع وبين أسانيده التجريبية على ما بيناه آنفاً ، ودفعه إلى السفر إلى انجلترا لإلقاء عدة محاضرات فيه فى جامعاتها ، وفى الإذاعة، عندما دعى للحديث فى هذا الأمر البالغ أعلى مراتب الخطورة للإنسان فى حاضره وفى مستقبله .

وتتابع بحوث الدكتور راين فى ملكة الإدراك عن غير طريق الحواس E . S.P. عقيلته الدكتوره لويزا راين Louisa E. Rhine ، وقد حصلت على الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة شيكاغو ووضعت مؤلفاً عنوانه «قنوات العقل المخبوءة»[2] (١٩٦١) ، وهو يتضمن ثمرة بحوث عشرة أعوام فى هذا الموضوع ، وقد أسهمت مع زوجها فى بحوثه فى جامعة ديوك أيضاً ، وهى البحوث التى انتهت إلى التسليم بصحة حياة الإنسان بعد الموت كحقيقة علمية مقررة .

فلو فرضنا جدلاً أن علم الروح الحديث لم يكن يملك من أدلة على صحته إلا بحوث جامعة ديوك — وحدها — والتى احتاجت إلى جهود شاقة دامت لمدى عشرات من السنين ، وساهم فيها عدد كبير من أحسن علماء النفس والرياضة ، مستخدمين أضخم معالم الباراسيكولوجى لتحقيق الظواهر الوساطية

---

(١) عن المرجع السابق ص ٢٤٤ .

(٢) Hidden Channels Of The Mind.

وأحدث المعدات ، وغير مرتبطين مقدماً بأى رأى خاص فى صحة هذا الموضوع أو بطلانه ، ومتبعين أشد الأساليب العلمية دقة وأكثرها تحفظاً ، أما كان يكفى ذلك وحده كيا يتحفظ بعض السادة من المعارضين فى معارضته ويخفف من حدة هجومه ، ويناقش فى هدوء نتائج هذه البحوث الإيجابية قبل الكلام المرتجل بثقة مطلقة وبيقين تام أن الحق فى جانبه ؟

فى البارابسيكولوجى بوجه عام

وهذه الاتجاهات الحديثة ليست مؤسسة على الآراء النظرية كما أشرت إلى ذلك مراراً ، بل على بحوث معملية صرف تجرى فى البلاد الأنجلوسكسونية تحت وصف الباراسيكولوجى — أى ما وراء النفس — كما تجرى فى ألمانيا تحت نفس هذا الوصف ، حين تجرى فى فرنسا والبلاد اللاتينية تحت وصف La Métapsychique — أى ما وراء الروح — وكلا الوصفين يشيران إلى موضوع واحد وهو دراسة الظواهر الوساطية برمتها دون التقيد مقدماً بمصدرها من عالم آخر ، ولكن بغير إنكار لهذا المصدر.

لذلك كانت جميع البحوث التى تدور حول إثبات إمكان استقلال الوعى — أحياناً — عن الجسد المادى ، والتى بدأت باكتشاف التنويم المغناطيسى ، تخدم بطريق مباشر موضوع الحياة بعد الموت كحقيقة علمية ، وتكمل دور الظواهر الوساطية فى هذا الشأن . فعلم الباراسيكولوجى وعلم الروح يعتبران من هذه الناحية فرعين متكاملين لموضوع أساسه ثبوت إمكان استقلال الوعى ولو فى بعض جوانبه عن الحواس المادية ، وهو ما يقتضى بالضرورة القول بعدم فنائه حتماً بفناء الجسد ، على ما لاحظه برجسون الذى سلم مراراً بوجود روح للإنسان مستقلة عن الجسد المادى[1] .

* * *

(١) وانا عودة إلى بعض ارائه فى هذا الشأن فى الجزئين الاول والثانى .

ويبرز عمق الصلة بين علم الروح الحديث وبين الباراسيكولوجى كعلمين متكاملين أن مؤتمر الباراسيكولوجى الذى عقد فى المدة من ٢٥ يوليه إلى ١٢ أغسطس سنة ١٩٥٣ بمدينة أوترخت بهولندا قام بتوزيع أعماله على ثلاث شعب على النحو الآتى : —

الشعبة الأولى : للباراسيكولوجى التجريبى ، وتختص ببحث أحدث التجارب الروحية والإحصائيات ومعدات التجريب .

والشعبة الثانية : للباراسيكولوجى بوجه عام ، وفيهـــا تناقش نظريات الباراسيكولوجى ، والتحليل النفسى ، وطرق البحث فى الظواهر التلقائية Spontaneous Phenomena ، وهى تلك التى يطلق عليها أيضاً وصف الظواهر الوساطية .

والشعبة الثالثة : تعالج المشكلات التنظيمية كالفهارس الخاصة بالباراسيكولوجى ، وتأليف موسوعة للبحوث الروحية ، وإنشاء جمعية دولية للبحث الروحى التجريبى .

وقد اشترك فى هذا المؤتمر الدولى حوالى أربعين من أساتذة الجامعات منهم ج . ب . راين الذى تحدثنا عنه آنفاً عن الولايات المتحدة الأمريكية ، وس. ج صول S. G. Soal عن انجلترا ، وهانز بندر Hans Bender عن ألمانيا . . .

الأسقف جيمس بايك

وممن قاموا ببحث الظواهر الوساطية حديثاً فى أمريكا وبعناية كبرى الأسقف جيمس بايك Rev.James A. Pike أسقف كاليفورنيا الحالى ، وقد صدر له فى أواخر سنة ١٩٦٧ مؤلف اسمه « لو كانت هذه هرطقة ؟ »(١) يناقش فيه المعارضين ، ويقيم الأدلة المتعددة على أن الروحية الحديثة من صميم العلم والاعتقاد الأمين معاً ، وأنها أبعد ما تكون عن الهرطقة التى يتهمها

(١) If This Be Heresy.

بها بعض منكريها . وفى هذا المؤلف يقول الأسقف « إنى متحدثاً عن نفسى ، وبإحساس كامل وحذر بمسئوليتى ، علىّ أن أقرر ، كخلاصة لبحوثى فى الشئون الروحية ، بأنى قد حصلت على المدى الطويل ، وبتدرج شديد ، وبعد دراسة دامت لأكثر من ثلاثين عاماً ، ليس فحسب على الاقتناع بأن الوجود المستمر حقيقة ، بل إن الاتصال العَرَضى عبر الأخدود Chasm ممكن ، وإن كان يجرى بصعوبة ومتى توافرت شروط معينة .

ولقد أقنعتنى البينات : أولاً بحياة الإنسان بعد الموت ، وثانياً بإمكان الاتصال بين الموتى والأحياء متى توافرت ظروف مؤاتية ، وثالثاً بأن الموت مجرد حادثة فى وجود مستمر . وإنى أعتقد أنه قد ثبت بما يكفى أن ثمة صوراً من المساعدة أو الإرشاد أو الإلهام تصلنا من آن إلى آخر عبر مايسمى أحياناً بالبرزخ The Gulf ، أو خلال ما يسمى عادة بالحجاب » .

اتساع نطاق الحركة الروحية فى أمريكا

بحسب إحصاء أجرى فى مطلع القرن الحالى اتضح أنه كان يوجد بالولايات المتحدة أكثر من ستمائة هيئة وجمعية تبحث أمور العلم الروحى الحديث ، وحوالى ثلاثمائة خطيب فيها ، وأكثر من ألف وسيط روحى عدا وسطاء الدوائر المنزلية الذين لا يظهرون فى الجلسات العامة .

واتضح أن هذه الجمعيات والهيئات الروحية تضم حوالى ستين ألفاً من الأعضاء ، ومائة وخمسة وعشرين ألفاً من المهتمين بهذه الأمور ومن المتصلين بها بطريقة أو بأخرى . أما عدد المقتنعين بها ـ حالياً ـ عن تجارب شخصية أو عن اطلاع فيمثلون ثلاثة أفراد من كل أربعة أو من كل خمسة من أفراد الشعب الأمريكى بحسب الإحصاء الحديث الذى قامت به إحدى الهيئات هناك .

ومن أهم المنظمات العامة «الجمعية الروحية الوطنية لأمريكا» N. S. A. A.(١).
وقد أسستها روح ، هى روح الأستاذ جون . ب . ولف John B. Wolff الذى كان فى حياته الأرضية مهتماً بالحركة الروحية ، ثم تجسد بعد انتقاله عدة مرات فى واشنطون فى سنتى ١٨٩٢ ، ١٨٩٣ عن طريق وسيطة التجسد هـ . ف . روس H. V. Ross ، وطلب فى تجسداته إنشاء هذه الجمعية ، التى أصبحت مع الوقت من أقوى الجمعيات الروحية . وتوالت عليها الهبات والتبرعات لنشر المعرفة الروحية ، وتقوم الجمعية بذلك على أوسع نطاق عن طريق الرحلات والمحاضرات ونشر المؤلفات .

ولا شبهة فى أن الحركة الروحية تقدمت كثيراً فى أمريكا منذ هذا التاريخ حتى الآن ، وإن كانت تعوزنى الإحصاءات الخالية عن الجمعيات ، لكن حركة البحث والتأليف فى نشاط مستمر هناك .

الحركة فى البلاد الأمريكية الأخرى

وليست الحركة الروحية مقصورة على الولايات المتحدة ، بل لقد انتشرت

---

(١) The National Spiritualist Association of America.

ولهذه الجمعية عدة هيئات تابعة لها أهمها :

Ministerial Association, National Spiritualist Teachers Club, Miss onaries, Club Healers, League and Junior League.

ومبادؤها الأساسية ثمانية وهى: (١) إننا نؤمن بالعقل اللانهائى (٢) ونؤمن بأن ظواهر الطبيعة الفيزيقية والروحيه معاً تعبير عن العقل اللانهائى (٣) ونؤكد أن الفهم الصحيح لهذا التعبير عن العقل اللانهائى وأن الحياة فى توافق معه يكونان معاً اعتقاداً صحيحاً (٤) ونؤكد بقاء الشخصية الإنسانية بعد التغير المسمى بالموت (٥) ونؤكد أن الاتصال بمن ندعوهم «موتى» حقيقة ثبت علمياً عن طريق ظواهر الروحية (٦) ونعتقد أن أسمى الأخلاق تتضمنها هذه القاعدة الذهبية وهى أن « كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم بهم أيضاً » (٧) ونؤكد مبدأ المسئولية الأدبية للإنسان (أى حرية الاختيار) وأنه يصنع بنفسه سعادته أو شقاءه بقدر ما يطيع أو لا يطيع قوانين الطبيعة المادية والروحية (٨) ونؤكد أن باب التوبة والإصلاح لا يغلق أبداً فى وجه أى نفس إنسانية هنا أو هناك .

انتشاراً قوياً فى كندا حيث توجد جمعية للبحث الروحى .P. R نمط الجمعية التى تحمل نفس الاسم فى الولايات المتحدة وفى إنجلترا ، وبضم عددا من كبار العلماء الكنديين . وذلك بالإضافة إلى البحوث الفردية التى يقوم بها عدد منهم فى منازلهم أو فى معاملهم الخاصة ، وتتضمن المراجع المختلفة إشارات شتى إليها .

ومن البحاث المعروفين هناك الدكتور جلين هاملتون Glen Hamilton ، الذى كان طبيباً بمدينة ونيبج Winnipeg حيث كان رئيساً « لجمعية البحث الروحى » لمدة خمس عشرة سنة وباشر تجاربه فى الجمعية ، وكذلك فى معمله الخاص ، فى ظروف علمية دقيقة ، وفى حضور عدد من الشخصيات المعروفة فى كندا وفى الولايات المتحدة .

وكانت دائرته النظامية مكونة من زوجته ، ومن أربعة أطباء ، ومحام ، ومهندس مدنى ،وآخر كهربائى . وقصر بحوثه على الوسطاء الهواة غير المحترفين مثل اليزابث .Elizabeth M ،ومارى ، وميرسيدس Mércedes ، وسجل أغلب ظواهره بالصور بواسطة مجموعة من الكاميرات مثبتة فى معمله ، وكان بعض هذه الصور مجسماً Stereoscopic وتبين منها ثبوت ظواهر شتى لرفع المناضد وتحريك الأجسام الصلبة ، ولأشكال تلبلازمية ، ولأيد ولوجوه ولرؤوس متجسدة .

ودرس جلين هاملتون بوجه خاص ظواهر الصوت المباشر ، والأضواء الغامضة التى قد تنبعث فى الجلسات الروحية من مصادر غير معروفة . وكانت تهيمن على جلساته أرواح عدد من أصحاب الأسماء الكبيرة من المنتقلين قديماً وحديثاً ، مثل سير وليام ستيد ، وسير آرثر كونان دويل ، وكامى فلاماريون ، ومنهم أيضاً ستيفنسون مكتشف قوة البخار ، والرحالة المعروف دافيد ليفنجستون

الذى اكتشف منابع النيل وغيرهم . وبحوث هاملتون تقع فى الصف الأول من البحوث العلمية الجادة[١] .

في بلاد أمريكا اللاتينية

وقد ازدهرت الحركة الروحية أيضاً ازدهاراً قوياً، وتعددت الأكاديميات وكراسى الأستاذية فى شتى الجامعات فى بلاد أمريكا اللاتينية ، كما تعددت الجمعيات والدوائر العامة والمنزلية ، خصوصاًفى البرازيل حيث توجدأكاديميتان للبحث الروحى إحداهما فى ريودى جانيرو ، والثانية فى سان باولو .

وتصدر فى أمريكا اللاتينية وحدها أكثر من ستين جريدة ومجلة معنية بالشئون الروحية ، وظهر فيها وسطاء ذوو شهرة عالمية مثل كارلو ميرابللى الذى تحدثنا عنه فيما سبق[٢] . ولما كانت هذه البلاد تنطق بلغات لا نعرفها لذلك نكتفى بهذه الإشارة العابرة كيما ننتقل إلى بيان « بعض الأسماء والمراجع » فى انجلترا .

(١) راجع ما سبق فى ص ١٧٨ موضحا بالصور .
(٢) راجع عنه ما سبق فى ص ٢١٨ — ٢٢٠ .

الفصل الثانى

بعض الأسماء والمراجع فى انجلترا

الجمعية الجدلية تبحث الموضوع

شاعت الجلسات العائلية فى انجلترا بعد أن عرفت فى أمريكا مباشرة فتقدمت عدة طلبات إلى « الجمعية الجــدلية بلندن « London Dialectical Society ، وكانت تضم صفوة من علماء المادة والسيكولوجيا — ممن سترد أسماء بعضهم فيما بعد — لبحث هذه « البدعة التى لا تستند إلى أى أساس علمى » فـكان أن شكلت الجمعية فى سنة ١٨٦٩ لجنة من أربعة وثلاثين عضواً كانت مهمتها حسبما ورد فى قرار تشكيلها « القضاء نهائياً على هذه الظواهر الروحية التى هى من عمل الخيال » . واستمرت اللجنة توالى جلساتها بغير توقف لبحث هذا الموضوع لمدة ثمانية عشر شهراً . وإذا بها فى النهاية تضع تقريراً فى سنة ١٨٧١ تسلم فيه بصحة هذه الظواهر تسليماً تاماً ، وهو يعد وثيقة خطيرة لمصلحة العلم الروحى . وكان من ضمن أعضاء هذه اللجنة مع آخرين :

— سيرجون لابوك John Lubbock عضو «الجمعية الملـكيـة» (المجمع العلمى البريطانى) .

— سير ألفريد راسل والاس A. Russel Wallace عالم البيولوجيـا المعروف وعضو« الجمعية الملـكية » .

— دى مورجان De Morgan رئيس « الجمعية الرياضية » بلندن .

— سير وليام كروكس W.Crookes عضو « الجمعية الملـكية » ، والعالم المعروف فى الفيزياء والـكيمياء .

— شارلس برادلاف Charles Bradlaugh عالم العلوم العقلية .

ومن الطريف أن علماء كباراً آخرين قد دعوا للمشاركة فى بحوثها مثل توماس هاكسلى Huxley (١٨٢٥—١٨٩٥)، و.ج.ه. لويز G. H. Lewes فرفضا. ورد هاكسلى قائلا « حتى إذا افترضنا أن هذه الظواهر صحيحة فإنها مع ذلك لاتعنينى » مما يعبر عن الطريقة العدائية التى كان بعض العلماء ينظر بها إلى هذه الأمور فى بدايتها وبغير أى بحث فيها.

وقد قسمت اللجنة العامة نفسها إلى ست لجان فرعية، واجتمعت حوالى أربعين اجتماعاً للبحث والتجريب، غير اجتماعاتها لتنظيم العمل وتوزيعه، وفى النهاية وضعت تقريراً إيجابياً سجلت فيه :

١ — سماع أصوات متنوعة تبدو كما لو كانت صادرة من مفروشات الغرف وجدرانها وأرضياتها.

٢ — تحرك أجسام صلبة ثقيلة بدون تداخل من أى إنسان.

٣ — أن هذه الأصوات والتحركات كانت تحدث بناء على طلب الحاضرين.

٤ — صدور ردود عاقلة على أسئلة متضمنة بيانات صحيحة لبعض الحاضرين لايعرفها إلا أصحابها.

٥ — أن حضور أشخاص معينين فى الاجتماع كان لازماً لحدوث هذه الظواهر.

٦ — أن حدوث هذه الظواهر لم يكن مضموناً فى بعض الأحيان رغم حضور هؤلاء الأشخاص.

وقد تحاشى بعض اللجان أن يستخدم الوسطاء المشتغلين بهذا العمل فى الخارج، أو أولئك الذين يأخذون أجراً عن عملهم هذا « فكان وسيطنا الوحيد هو أحد أعضاء اللجنة، وهو شخص جليل الاعتبار فى الهيئة الاجتماعية وحاصل على صفة النزاهة التامة، وليس له غرض مالى يرمى إليه ولا أية

مصلحة فى غش اللجنة . وكل تجربة من التجارب التى عملناها بما أمكن لمجموع عقولنا أن تتخيله عملت بصبر وثبات . وقد تمت هذه التجارب فى أحوال كثيرة الاختلاف ، واستخدمنا لها كل المهارة الممكنة لأجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا وإبعاد كل احتمال لغش أو توهم .

« وقد بدأ نحو أربعة أخماس اللجنة التجارب وهم فى أشد درجات الإنكار لصحة هذه الظواهر ، وكانوا مقتنعين أشد اقتناع بأنها نتيجة التدليس أو الوهم ، أو أنها حادثة بحركة غير إرادية للعضلات . ولم يتنازل هؤلاء الأعضاء المنكرون أشد الإنكار عن فروضهم إلا بعد ظهورها بوضوح لا يمكن مقاومته ، وفى شروط تنفى كل فرض من الفروض السابقة . وبعد تجارب وامتحانات مدققة ومكررة اقتنعوا مضطرين بأن هذه المشاهدات التى حدثت فى خلال هذا البحث الطويل هى مشاهدات حقة لاغبار عليها ...»

على ما ورد فى تقرير هذه اللجنة . وقد ورد فى هذا التقرير أيضاً ما يلى :

١ — أن ثلاثة عشر عضواً من أعضاء اللجنة يشهدون بأنهم شاهدوا أجساماً صلبة ترتفع تدريجياً فى الهواء وتظل معلقة لفترة من الوقت بغير وسيلة مادية منظورة .

٢ — أن أربعة عشر عضواً يشهدون بأنهم شاهدوا أيدى ووجوهاً لا تمت إلى أى كائن أرضى تبدو فيها الحيوية فى مظهرها وتحركها ، وأنهم أحياناً قد لمسوها أو ضغطوا عليها بشدة ، ولذا فقد اقتنعوا بأنها ليست نتيجة تدليس أو وهم[1] .

٣ — أن خمسة شهود يشهدون بأن كائنات غير منظورة قد لمستهم فى أجزاء مختلفة من أجسامهم ، وغالباً بناء على طلبهم عندما كانت أيدى جميع الموجودين فى الغرفة ظاهرة .

---

(١) راجع ماورد عن تجسدات الأيدى فيما سبق ص ١٧٩ — ١٩٤ .

٤ — أن ثلاثة عشر شاهداً يقررون أنهم استمعوا إلى قطع موسيقية جيدة العزف على آلات موسيقية لم تتداولها أيدى كائنات مادية.

٥ — أن خمسة شهود يشهدون أنهم شاهدوا قطع فحم تبدو كما لو كانت حمراء مشتعلة توضع فوق أيديهم أو رؤوسهم ، دون أن تحدث ألماً أو احتراقاً .

٦ — أن ثمانية شهود يشهدون أنهم تلقوا معلومات دقيقة خلال طرقات أو كتابات أو بوسائل أخرى لا يعلم أحد من الموجودين شيئاً عنها .

٧ — ويشهد أحد الشهود أنه تلقى تقريراً دقيقاً ومفصلا لكنه تبين له أنه خاطىء برمته .

٨ — أن ثلاثة شهود يقررون أنهم شاهدوا حدوث رسومات بالقلم الرصاص وبالألوان بسرعة شديدة ، وتحت رقابة تجعل إحداثها مستحيلا بمعرفة أى إنسان .

٩ — أن ستة شهود يشهدون أنهم تلقوا نبوءات عن حوادث مستقبلة كان وقت حدوث بعضها محدداً بدقة قبل حدوثها بأيام أو بأسابيع سابقة .

وبالإضافة إلى ذلك قدم التقرير بيانات أخرى عن تفوهات غيبوبية ، وعلاج روحى ، وكتابة آلية ، وإدخال زهور وفاكهة فى غرف مغلقة ، وأصوات فى الهواء ، ومشاهدة بللورات مجهولة المصدر ، وزجاج .

واختتمت اللجنة العامة تقريرها — الذى جاوز خمسمائة صفحة — بما يفيد أنه بالنظر إلى أنها تدخل فى الاعتبار الخلق العالى والذكاء الكبير الذى يتصف به شهود هذه الظواهر (من أعضاء اللجان الفرعية) وانتفاء كل دليل على حدوث وهم أو تدليس فى هذه الظواهر ذات الصفة الاستثنائية

فإن العدد الأكبر من كافة الطبقات الاجتماعية فى جميع أنحاء العالم المتمدين سيتأثر بها بدرجات متفاوتة من ناحية الاعتقاد بمصدرها فوق الطبيعى supernatural origin . وأنه بالنظر إلى أنها لم تصل إلى أى تعليل فلسفى لها، فإنها تقرر اقتناعها بأن الموضوع جدير بالمزيد من الالتفات الجدى والتحرى الحذر بما يتجاوز ما تلقاه حتى هذا التاريخ .

***

هذا ملخص سريع لهذه الوثيقة الهامة فى تاريخ الروحية التى أذيع أمرها فى العالم منذ سنة ١٨٧١ وطبعت ، وترجمت إلى أغلب اللغات الحية — عدا العربية للأسف الشديد — فهزت فى أواخر القرن الماضى أركان البيئات العلمية ، بالنظر إلى خطورة البيانات التى تتضمنها ، وإلى ضخامة أسماء بعض الموقعين عليها، وقد بلغوا أربعة وثلاثين عالماً من أفضل علماء بلادهم فى ذلك التاريخ .

وقد علق سير آرثر كونان دويل على هذا التقرير الهام فى مؤلفه « الوحى الجديد »(١) الصادر فى سنة ١٩١٨ ، والذى أعلن فيه أن تجارب ثلاثين عاماً واصلها بنفسه فى هذا الموضوع كانت كافية لبناء اقتناعه الخاص بصحته ، قائلا فى الفصل الأول : « ولقد تأثرت أيضاً بتقرير الجمعية الجدلية ، فإنه من الأعمال التى تفضى قراءتها إلى الاقتناع . وهو وإن كان قد قوبل من الصحفيين الجهلاء ومادبى العصر بالسخرية ، إلا أنه فى الواقع ذو قيمة جليلة . فلقد تألفت هذه اللجنة من جماعة من الرجال المتازين المعروفين بالنزاهة ، وقد رغبوا فى تحقيق هذه الظواهر الروحية الخارجية ، فجاء تقريرهم مفصلا تجاربهم مع التحوطات التى اتخذوها ضد التدليس .

فبعد أن يقرأ الإنسان البراهين المجموعة فى ذلك التقرير لا يستطيع

---

(١) The New Revelatoin ولها ترجمة فرنسية بمعرفة A. Tougarde De Boismilon عنوانها : La Nouvelle Revelation

أن يدرك كيف كان يصل هؤلاء المجربون إلى غير النتائج التى أعلنوها ، وهى أن هذه الظواهر حقيقية بلا أدنى ريب ، وتدل على وجود نواميس وقوى لا تزال مجهولة من العلم . والأغرب مما تقدم أنه لو جاء قرار هذه الجمعية ضد الحركة الروحية لطعنها طعنة قاتلة ، وما كان يقابل بالاستهزاء الذى قوبل به عندما ضمّن صحتها . . » .

ثم يضيف فى الفصل الرابع قائلا « إن هذا الموضوع كما برهنته يجدر أن يعتبر بعثاً لعلم كان قد اندثر لا استكشافاً جديداً . وإننا لسنا فى عهد يصح أن تهدر فيه الآراء الناضجة المتروى فيها لأمثال كروكس ، ووالاس ، وفلاماريون ، وشارل ريشيه ، ولودج ، وباريت ، ولومبروزو ، والجنرالين دريزون Drayson وتيرنر Turner ، والسرجنت بالانتاين Ballantyne ، وستيد ، والقاضى إدموندز ، والأميرال أسبورن مور Usbsorne Moore ، والمرحوم الأرشيدياكون ويلبرفورس Wilberforce ، وجم غفير من شهود آخرين . قلت لسنا فى عهد يصح أن توصف فيه أراء هؤلاء بأنها من الخلط أو اللغو الممل . وقد اتفقنا أنا والأستاذ آرثر هيل Arthur Hill [1] على القول بأننا وصلنا من هذا العلم إلى الغاية التى تعتبر معها كل شهادة جديدة زائدة عن الحاجة ويقع عبء كل إنكار على المنكرين أنفسهم . .

ثم يقول سير دويل فى مكان لاحق « إن زمن البحث والتنقيب قد مضى وحان وقت العمل منذ وقت بعيد . إن الأدلة التى يستند إليها هذا العلم من الكثرة بحيث تملأ مكتبة بأكملها ، والشهود الذين دعموه لا يعيشون فى غيابات الظلام ، ولاهم فى ماض بعيد لا يقبل التمحيص ، ولكنهم معاصرون لنا ، ومن أصحاب المدارك والصفات المجمع على احترامها . أما النظرية التى

---

(١) للأستاذ آرثر هيل مؤلف عنوانه « بينات جديدة فى البحث الروحى » New Evidences In Psychical Research بمقدمة من سير أوليفر لودج .

مؤداها أن الروحية لا تعدو التدليس والإفك فلا تثبت أمام الوضوح والعيان .
فإما أن يكون هذا الأمر من الجنون البحت ، وإما أن يكون انقلاباً يجعلنا نقابل الموت وجهاً لوجه بلا وجل ، وبتعزية لاحد لها باقتناعنا بأن الذين نحبهم لم يتلاشوا بالموت ، ولكنهم انتقلوا إلى عالم وراء حجاب . . »[١] .

* * *

كما علق المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى على نفس التقرير قائلا : « هل هذا الرأى العلمى الناضج الذى هو نتيجة تجارب ثلاثين من أكبر علماء الأرض فى مدى ثمانية عشر شهراً بغير وسيط مأجور. ولا تأثير من أى نوع كان ، يتأتى دحضه بكتابة مقالة يكتبها رجل مهما كانت منزلته لم يكلف نفسه تجربة هذه المسائل والتورط فى مآزقها ؟ .

إذا جوز العقل أن ينخدع بحيل المدلسين عالم أو عالمان أو عشرون عالماً درسوا هذه المسألة على انفراد ، فهل يجوز أن ينخدع بها مئات منهم لخصوها فى كل بلد ، وأن تنخدع كذلك ألوف مؤلفة من أطباء ومهندسين وأصوليين وماليين وصحفيين ومؤلفين ، ممن خبروا أحابيل الخلق وعرفوا دخائلهم فى مدى ثمانين سنة (الآن حوالى مائة وعشرون سنة) وفى كل صقع من أصقاع الأرض ؟ وهل يعقل أن ينخدع بها ثلاثون عالماً من أكابر علماء الإنجليز ندبوا خصيصاً لفحصها وهم فى أشد درجات الإنكار لها ، فبحثوها بغير وسيط مأجور فى مدى ثمانية عشر شهراً ، واتخذوا لتمحيصها ما أمكن لعقولهم الراقية من الوسائل والتدابير ؟

ماذا يريد الناس أكثر من هذا الضمان على صحة مشاهدة من المشاهدات؟ إن هذه الخوارق الروحية هى المسألة الوحيدة التى لا يقبل أن يأخذ بها آخذ إلا بعد أن يراها بعينى رأسه ، ولو رآها الناس أجمعون إلا واحدا

---

(١) راجع أيضاً ص ٣٧ ، ١٣٥ ، ١٢٩ من الترجمة الفرنسية .

منهم لظل ذلك الواحد منكراً لها حتى يراها . وهذا التنويم المغناطيسى الذى كافح العلماء الجامدين مائة سنة ثم تغلب عليهم وصار يدرس اليوم فى جامعات الطب الكبرى ، لا يزال فى الناس من ينكره ولا يأبه به ، فما قولك فى الخوارق الروحية التى لا تعد عجائب التنويم المغناطيسى بجانبها شيئاً يذكر ؟!...

ألا إن هذا الجمود العلمى الذى يعتبره البعض من قوة العقل ومن الألمعية هو شر ما منى به هذا الإنسان المسكين ، ولا ندرى متى يخلص من كابوسه ليسرع فى ترقيه إلى الغايات البعيدة التى أعد لبلوغها مدفوعاً بالقوى العلوية التى متع بها دون غيره من الكائنات الحية . نحن نكره بل نرى من الشؤم عليه أن يجرى وراء كل ناعق بخرافة ، ولسنا نربأ به أن ينكر ما يؤتى به حاصلا على كل الضمانات العلمية ، مما بحث على أدق الأساليب التجريبية ، وسريت عليه أشد الأصول التمحيصية »[١] .

. جمعية البحث الروحى بلندن S.P.R.

كان لنشر تقرير الجمعية الجدلية دوى ضخم فى الأوساط العلمية — لأنه لم يكن متوقعاً من جمعية مكونة من صفوة من علماء فى فروع شتى من العلوم — لذا علت الأصوات فى بريطانيا للمطالبة بإنشاء هيئة دائمة منظمة تتولى بحث موضوع الظواهر الوساطية على مستوى الأكاديميات الكبرى . وظلت الصيحات تتوالى بغير انقطاع منذ سنة ١٨٧١ إلى أن أثمرت فى سنة ١٨٨٢ عن إنشاء هذه الأكاديمية الدائمة تحت اسم « جمعية البحث الروحى » Society For Psychical Research التى انتظمت مجموعة من أفضل العلماء من عدة بلاد منهم: سيروليام باريت، وجورج. رومانس ، وفردريك مايرز، وإدموند جيرنى ، وسير وليام كروكس ، وسير ألفرد راسل والاس ، وسير

(١) « على أطلال المذهب المادى » : الجزء الثانى ص ٢٤ ، ٢٥ .

أوليفرلودج، وهنرى سيدجويك، وميرس، ورتشار هدجسون، وأوسكار وكلهم من أعضاء « الجمعية الملكية لتقدم العلوم » (المجمع العلمى البريطانى) أو أساتذة فى الجامعات البريطانية . ومنهم أيضاً تشارلس أليوت نورتون الأستاذ بجامعة هارفارد بأمريكا ، ووليام جيمس الفيلسوف الأمريكى وأستاذ علم النفس الذى أصبح مديراً لنفس الجامعة ، ووليام ر . ليوبولد أستاذ علم النفس بجامعة بنسلفانيا بأمريكا . وجيمس هايسلوب أستاذ العلوم العقلية بجامعة كولومبيا ، والعالم الفرنسى كامى فلاماريون الفلكى المعروف ، وشارل ريشيه الفزيولوجى الكبير وعضو المجمع العلمى والأستاذ بكلية الطب بباريس . وكان رئيس هذه الجمعية عند تشكيلها هو الأستاذ سيدجويك (١٨٣٨ — ١٩٠٠) ، ووكيلاها الأستاذين آرثر بلفور ، و.ج.ب لنجلى .

وقد حدد قرار تشكيلها اختصاصاتها كالآتى : « دراسة طبيعة أى تأثير قد يباشره عقل فى آخر خارج أعضاء الحس العادية ومداه ، والتنويم المغناطيسى، والسمرية Mesmerism ، والجلاء البصرى وما يلحق به من ظواهر ، وتحقيق كشوف ريخنباخ Reichenbach عما يسمى بالقوة الشاذة odic force ، والبحث فى ظهور الأشباح ، والمنازل المسكونة ، وتحقيق الظواهر الفيزيقية للروحية Physical phenomena of spiritualism وإنشاء مكتبة متعلقة بالموضوعات الروحية بوجه عام » .

وقد تعاقب على رئاسة هذه الجمعية عدد من أبرز الفلاسفة والعلماء فى القرنين الماضى والحالى وهم : هنرى سيدجويك (من ١٨٨٢ إلى ١٨٨٤ ومن ١٨٨٨ إلى ١٨٩٢) ، وبالفور ستيوارت (١٨٨٥ — ١٨٨٧) ، ولورد بالفور (١٨٩٣)[١] ، ووليام جيمس[٢] (١٨٩٤ — ١٨٩٥) ، وسير وليام كروكس (١٨٩٦ — ١٨٩٩) ،

---

(١) هو الإيرل آرثر جيمس أوف بالفور (١٨٤٨ — ١٩٣٠) الذى كان رئيساً للوزارة.
(٢) راجع ما سبق عنه فى ص ٢٧٠ — ٢٨٠ .

وف . و . هـ . مايرز (١٩٠٠) ، وسير أولفر لودج (١٩٠١ — ١٩٠٣) ، وسير وليام باريت (١٩٠٤) ، وشارل ريشيه (١٩٠٥) ، وجيرالد .و. بالفور (١٩٠٦—١٩٠٧)[1] ، والسيدة هنرى سيدجويك(١٩٠٨ — ١٩٠٩)[2]، و.هـ.ا. سميث (١٩١٠) ، وأندرولانج (١٩١١) ، والأسقف بويدكاربنتر (١٩١٢) ، وهنرى برجسون (١٩١٣) ، وف.ك.س شيللر[3] (١٩١٤) ، وجيلبرت موراى (١٩١٥—١٩١٦) ، ول.ب جاكس (١٩١٧ — ١٩١٨) ، ولورد رايلى (١٩١٩) ، ووليام مكدوجال[4] (١٩٢٠ — ١٩٢١) ، وت.و. ميتشل (١٩٢٢) وكامى فلاماريون (١٩٢٣) ، وج.ج بودنجتون (١٩٢٤ — ١٩٢٥) ، وهانز دريش (١٩٢٦ — ١٩٢٧) ، وسير ل .ج. جونز (١٩٢٨ — ١٩٢٩) ، وو. ف . برنس[5] (١٩٣٠ — ١٩٣١) ، والسيدة هنرى سيدجويك،وسيرأوليفر لودج (١٩٣٢) ،والسيدةا. ليتلتون (١٩٣٣—١٩٣٤)، وتشارلس د . بروض (١٩٣٢—١٩٣٦)، ولورد رايلى (١٩٣٧ — ١٩٣٨)، وهارى برايس (١٩٣٩ — ١٩٤١) ، و ر . هـ . توليس (١٩٤٢ — ١٩٤٤)، وج . ن.م تيريل (١٩٤٥ — ١٩٤٦) ،و و . هـ . سالتر (١٩٤٧ — ١٩٤٨)، وجاردنر مورفى (١٩٤٩ — ١٩٥٠)، و س . ج. سول (١٩٥١ — ١٩٥٢)، وجيلبرت موراى (١٩٥٢)، وف .ج.م ستراتون (١٩٥٣ — ١٩٥٥)،وج.و. لامبرت (١٩٥٦—١٩٥٨)،وتشارلس بروض(١٩٥٨—١٩٦٠)،وهارى برايس (١٩٦٠ — ١٩٦١) ، و . إ . ر. دودز (١٩٦١ — ١٩٦٣) ، و د . ج وست (١٩٦٣ — ١٩٦٥) ، وسير أليستر هاردى[6] (١٩٦٦ — ١٩٦٧) .

(١) شقيق الايرل آرثر جيمس وقدورث لقبه بعد وفاته .
(٢) وهى قرينة الأستاذ هنرى سيد جويك وشقيقة لوردبالفور رئيس الوزارة .
(٣) راجع ما سبق عنه فى ص ٢٨٢ .
(٤) راجع ما سبق عنه فى ص ٢٩٥ ــ ٢٩٧ .
(٥) راجع ما سبق عنه فى ص ٢٨٧ ــ ٢٨٨ .
(٦) وهو من علماء الطبيعة المعاصرين وظهر له فى يونية ١٩٦٧ مؤلف فى الروحية عنوانه « الشعلة الإلهية The Divine Flame »

والجمعية تواصل نشاطها بأسلوب علمى صرف، ولنا عودة إلى الحديث عن أعمال عدد من هؤلاء الرؤساء فى البحث الروحى فى الصفحات القادمة . ومنذ تأسيس هــذه الجمعية لم تنقطع تصريحات رؤسائها وأقطابها ـ وكلهم فلاسفة وعلماء من أرفع طراز ـ عن ثبوت صحة الظواهر الوساطية والاتصال بأرواح من نسميهم « موتى » ، وبالتالى ثبوت استمرار حياة النفس بعــد موت الجسد المادى . ومن هؤلاء من كانوا من قبل أبناء مدارس مادية مزمنة لا تسلم مطلقاً بصحة أى أمر من هذه الأمور .

ومن هؤلاء مثلا نجــد رتشارد هودجسون Richrad Hodgson أستاذ الأخلاق بجامعة كمبريدج يصرح ـ منذ سنة ١٨٩٩ ـ قائلا : « إن العالم على وشك رؤية حوادث خطيرة جداً . فأؤمل أن أهدى بعد مضى عامين أو أقل إلى العالم أجمع تفسيراً جديداً لنواميس الحياة الإنسانية ، ولهذه العقيدة القديمة التى لا يمكن أن يعارضها أى دين ولا أن تعترض طريق أية طائفة من الطوائف ... وسيتضح كل شىء للنوع الإنسانى الذى يئن ويتألم من الشكوك ، ويتأرجح معها إلى هنا وهناك . .

وإذا كان الأستاذ هايسلوب[١] قد أعلن أنه تحادث مع أرواح الموتى فإنه لم ينطق إلا بحقيقة نقية » .


ر . هودجسون

ثم يضيف هودجسون « لقــد بدأت أبحاثى أنا والأستاذ هايسلوب منذ اثنتى عشرة سنة ، وكنا ماديين دهريين لا نصدق فى شىء من ذلك مطلقاً ، ولم يكن لنا إلا غرض واحد ، وهو كشف الغش والتدليس ليس إلا . أما اليوم — وما أدراك ما اليوم —

(١) أستاذ المنطق والأخلاق بجامعة كولومبيا .راجع ما سبق عنه فى ص ٢٨٠ — ٢٨٢ .

فإنى أعتقد وأجزم بإمكان المحادثة مع أرواح الموتى ، وقد قام عندى الدليل على صحة هذا الأمر بحيث لا أتصور مطلقاً أن يتطرق إليه الشك» .

وفى المجلد رقم ٢٢ من مضابط « جمعية البحث الروحى » قال فى ص ٣٩٦ « لقد خبرت التلباثى بين الأحياء لدى سنين كثيرة ، وها أنا ذا لا أتأخر عن التأكيد بطريقة قاطعة بأن النظرية الروحية (أى إسناد هذه المشاهدات إلى الأرواح) حق لا شبهة فيه وتدل عليه النتائج بخلاف الفرض الأول (فرض التلباثى) .

وقال فى ص ٤٠٥ « إن وضوح هذه الأمور هذا الوضوح التام قد أزال عنى كل ما كان يصرفنى عن التصديق بأن هذه الظواهر نتيجة أفعال الموتى» . ثم قال فى ص ٤٠٦ « والآن لا يمكننى أن أقول بأن لدى أدنى شك أو ريبة فى أن المشاهدات التى تكلمت عنها فى الصفحات السابقة صادرة حقيقة من نفس الأشخاص الذين تدعى أنها صادرة منهم ، وأنهم لا يزالون أحياء بعد هذا التحول الذى نسميه موتاً ، وأنهم بواسطة جسم مدام بيبر[1] (الوسيطة) وهى فى غيبوبتها يعرفون أنفسهم بنا نحن الذين نسمى أنفسنا أحياء . . . » . وأمثال هذه التصريحات يجدها القارىء عند العشرات من رؤساء الجمعية وأعضائها فى مجلداتها الدورية[2] .

وتنشر الجمعية حتى الآن — وبغير انقطاع منذ ثمانين عاماً — مجلداتها فى صورة مضابط Proceedings بدأ صدورها منذ سنة ١٨٨٢ ، وجريدة Journal بدأ صدورها منذ سنة ١٨٨٤ . وتعتبر مجلداتها وثائق ذات قيمة كبرى فى

---

(١) راجع ما سبق عنها فى ص ٢٤٥ ، وراجع عن تجارب هودجسون معها كتاباً للأستاذ ألكس بيرد Alex Baird عنوانه The Life of Richard Hodgson:

(٢) راجع ماورد عن هذه الجمعية أيضاً فى دائرة معارف الأستاذ محمد فريد وجدى ، الجزء الرابع ص ٣٦٨ وما بعدها .

مختلف موضوعات العلم الروحي الحديث ، والظواهر الوساطية على كافة أنواعها وصورها . فماذا يقول المعارضون فيما تحويه هذه المجلدات وتلك من وثائق خطيرة ؟ وماذا يقولون فى أن بين جميع الذين تولوا رئاسة هذه الجمعية — وعضويتها — لم يظهر واحد فيهم كما يقول إنه اكتشف فى بحوثها أى لغو أو بطلان يدعوه للتخلى عنها ، و لتغيير رأيه فى ثبوت الحياة بعد الموت وثبوت إمكان الاتصال بين العالمين الروحي والأرضي ؟

برجسون يرأس هذه الجمعية

فكم مفكر فى قرننا الحالى يعد مثلا أو نداً لهنرى برجسون Henry Bergson (١٨٥٩—١٩٤١) الفيلسوف الفرنسى الكبير[١] ؟ وقد تولى رئاسة هذه الجمعية لعام ١٩١٣ ، وراح يحاضر فى هذه المناسبة محاضرة طويلة نقتطف منها هنا فقرات كافية لما تتضمنه من مناقشة مستفيضة للمعارضين: « وما أدرى كيف يسوغ أن تجعلونى خلفاً لرجال بارزين تعاقبوا على هذا المنصب (منصب رئيس الجمعية) وكانوا قد وقفوا أنفسهم على نفس الدراسات التى تقفون عليها أنفسكم . لعلكم « بالاستشفاف » أو « بالتخاطر » شعرتم من بعد بما أولى بحوثكم من اهتمام ، ورأيتمونى على مسافة أربعمائة كيلو متر منكم أقرأ تقاريركم فى عناية وأتتبع أعمالكم بشوق عظيم . لطالما أعجبت ببراعتكم ، ونفاذكم ، وصبركم ، وقدرتكم على ارتياد هذا الربع المجهول الذى تدور فيه الحوادث الروحية . لكنى أعجب ، أكثر من عجبى بالبراعة ونفاذ البصيرة والدأب الذى لا يكل ، بالشجاعة التى كان لابد منها ولا سيما فى السنين الأولى للنضال ضد سوء ظن قسم كبير من الجمهور ، والتغلب على السخرية التى ترعب أعظم الشجعان .

---

(١) يقول الدكتور زكريا إبراهيم فى تصدير كتابه عن برجسون « ليس هناك أكثر مما كتب عن برجسون فى اللغات الأجنبية ، فإن عدد ما ظهر من البحوث والدراسات عن فلسفته قد يبلغ عدة آلاف ... » .

ولذلك فإنى لأفتخر بانتخابكم إياى رئيساً « لجمعية البحث الروحى » فخراً يفوق قدرتى على التعبير . لقد قرأت عن ضابط عهد إليه بقيادة فرقته إثر خلو الميدان من القادة الذين ماتوا أو جرحوا ، أنه ظل طوال حياته يذكر ذلك اليوم ، وظل طوال حياته يتحدث عنه ، وظلت حياته كلها بعد ذلك معطرة بذكرى هذه الساعات القليلة . إنى ذلك الضابط ، فسوف أهنىء نفسى ما حييت على هذا الحظ العظيم الذى جعلنى على رأس فرقة من الشجعان ، لا لبضع ساعات بل لبضعة أشهر .

« فما مرد سوء الظن الذى لقيته العلوم الروحية وما تزال تلقاه من كثير من الناس ؟ نعم إن الذين يحاربون أمثال دراساتكم هم أشباه علماء ، ومن أعضاء جمعيتكم فيزيائيون وكيميائيون وفيسيولوجيون وأطباء . وقد كثر عدد العلماء الذين يعنون بدراساتكم ولو لم ينتموا إليكم . إلا أنه يتفق مع ذلك أن نرى علماء حقيقيين ممن يرحبون بأى عمل يخرج من المعامل مهما ضؤل يتحاشون عمداً ما تأتون به ، وينبذون جملة ما قد فعلتم ، فما سبب ذلك ؟

ليست غايتى أن أنقد نقدهم لمجرد أن أوجه نقداً أنا الآخر . فأنا أعتبر الوقت الموقوف على النقدفي الفلسفة وقتاً ضائعاً بوجه عام ، وليت شعرى ماذا بقى من الاعتراضات الكثيرة التى أثارها المفكرون بعضهم ضد بعض ؟!... لم يكد يبقى منها شىء ، فما يمكث على الأرض إلا حقيقة موضوعية يأتى بها الإنسان . فالرأى الصحيح يحل محل الفكرة الخاطئة بقوته الذاتية ، وهو أدمغ الردود على الإطلاق بدون أن يكلفنا نقد أحد من الناس .

غير أن ما أقصده هنا شىء آخر غير النقد وغير الرد . فإنما أريد أن أكشف وراء اعتراضات البعض وسخريات البعض الآخر عن وجود فلسفة مستترة غير واعية لذاتها ، غير واعية وبالتالى متقلبة ، غير واعية وبالتالى عاجزة عن أن تتكيف باستمرار مع الملاحظة والتجربة كما يخلق بالفلسفة الجديرة بهذا

الاسم . وأريد أن أبين من جهة أخرى أن سبب هذه الفلسفة هو العادة التى تعودها الفكر الإنسانى منذ زمن طويل ، وأن ذلك هو السبب فى بقائها وانتشارها بين الناس . أريد أن أزيح النقاب عن هذه الفلسفة وأقابلها وجهاً لوجه ، وأتبين مالها من قيمة .

ثم يقول فى محاضرته هذه : « وإنى حين أستعرض نتائج التحقيق الذى قمتم به فى غير ما كلل لمدة تشرف على ثلاثين عاماً[1] ، وحين أفكر فيما أخذتم به أنفسكم من الحيطة والحذر خشية الوقوع فى الخطأ ، وحين أرى أن حادثة التخاطر فى معظم الحالات التى سجلتموها قد رويت لشخص أو لعدة أشخاص بل سجلت كتابة من قبل أن يتبين صدقها ، وحين أرى كثرة هذه الحوادث وتشابهها على وجه الخصوص ، وما يتجلى فيها من قرابة ، وحين أرى توافق كثير من الشواهد المستقلة بعضها عن بعض ، والتى تحللونها جميعاً وتراقبونها وتجرحونها ، فإنى محمول على الاعتقاد بالتخاطر مثلما أحمل على الاعتقاد بتحطيم أسطول « الأرمادا الذى لا يغلب » .

ثم يقول : « تلكم هى باختصار النتائج التى توصلت إليها بفحص الوقائع المعروضة فحصاً حيادياً . ومعنى هذا أننى أعد المجال المفتوح أمام البحث الروحى واسعاً جداً ، بل لا يكاد يحد . وسيعوض هذا العلم الجديد ما فاته من وقت. إن الرياضيات ترجع إلى عهد اليونان القديم ، والفيزياء تعود إلى ثلاثة أو أربعة قرون ، والكيمياء قد ظهرت فى القرن السابع عشر ، وفى مثل سنها تكاد تكون البيولوجيا، أما علم النفس فهو ابن الأمس ، وأحدث منه البحث الروحى .

هل يجب أن نأسف لهذا التأخر ؟ لقد تساءلت أحياناً ترى ماذا كان يحدث لو أن العلم الحديث . بدلا من أن يمضى من الرياضيات إلى الميكانيكا والفلك

---

(١) إذ ألقيت هذه المحاضرة فى سنة ١٩١٣ كما قلنا .

والفيزياء والـكيمياء ، وبدلا من أن يوجه كل جهوده إلى دراسة المادة ، قد بدأ بالنظر فى الروح ؟ ماذا كان يحدث لو أن كبلر وجاليليو ونيوتن كانوا علماء نفس ؟ لو حدث ذلك لـكان بين أيدينا سيكولوجيا لا نستطيع اليوم أن نتخيلها ، كما أن الناس كانوا قبل جاليليو لا يستطيعون أن يتصوروا ما أصبحت عليه الفيزياء فى عصرنا الحاضر ، وربما عدت هذه السيكولوجيا من سيكولوجيا العصر الحاضر بمثابة الفيزياء الحديثة من الفيزياء التى كانت فى عهد أرسطو طاليس .

لو حدث ذلك لرأينا العلم الذى يكون عندئذ بعيداً عن كل فـكرة ميكانيكية يخف إلى تسجيل أمثال الحوادث التى تدرسونها فى كثير من الاهتمام ، بدلا من أن يشيح عنها قبلياً . ولعل البحث الروحى كان سيكون عندئذ فى طليعة مشاغله الرئيسية .

فإذا اكتشفت القوانين العامة للنشاط الروحى (كما كان شأن المبادىء الأساسية للميـكانيكا) انتقل الباحثون بعد ذلك من الروح المحض إلى الحياة ، فتـكونت البيولوجيا ، ولـكنها تـكون عندئذ بيولوجيا حيوية مختلفة عن بيولوجيا العصر الحاضر كل الاختلاف ، إذ تمضى إلى البحث وراء الصور المحسوسة للـكائنات الحية عن القوة الداخلية غير المنظورة التى ليست هذه الصور إلا تجليات لها . فلئن لم يكن لنا الآن سلطان على هذه القوة فلأن علمنا بالروح لا يزال فى المهد . ولهذا فإن العلماء ليسوا مخطئين حين يأخذون على النزعة الحيوية أنها مذهب عقيم .

نعم إنها الآن عقيمة ، ولـكنها لن تـكون كذلك دائماً ، وما كانت تـكون كذلك لو أن العلم الحديث فى الأصل كان قد تناول الأشياء من طرفها الآخر . فإذا ما وجدت هذه البيولوجيا الحيوية ظهر معها طب يشفى أمراض القوة الحيوية مباشرة فيستهدف السبب لا النتائج ، يستهدف المركز بدلا من المحيط . ولعل المعالجة بالإيحاء ، أو قل المعالجة بتأثير الروح فى الروح بوجه عام تأخذ عندئذ

أشكالا وأبعاداً لانتصورها الآن . وعلى هذا النحو كان يمكن أن ينشأ علم النشاط الروحي وكان يمكن أن ينمو .

ثم يقول الفليسوف العظيم : ولذلك فلو انصرف العلم إلى شئون الروح أول ما انصرف ، لظل غير يقيني ولا دقيق مهما تقدم . ولعله ما كان يميز عندئذ بين ما هو ممكن فحسب ، وبين ما ينبغي أن يقبل قبولا نهائياً . أما اليوم وقد أصبحنا بفضل دراستنا للمادة نحسن هذا التمييز ، ونتمتع بالمزايا التي تقتضيها ، فإننا نستطيع أن نغامر بدون ما خوف في هذا الربع الذي لم يكد يستكشف بعد ، ربع الوقائع الروحية . فلنتقدم في جرأة عاقلة ، ولنلق عن أكتافنا تلك الميتافيزياء السيئة التي تعرقل حركاتنا . ويقيني أن علم الروح سيؤدي إلى نتائج تفوق كل ما نرجوه من آمال »[١] .

برجسون يشيد فلسفة متفقة مع نتائج التجارب الروحية

ولم يقف الأمر فحسب عند حد اختيار برجسون لرئاسة « جمعية البحث الروحي » بلندن لفترة من الزمن ، وعند إشادته بها وبنتائج بحوثها ، بل إنه في مؤلفاته وبحوثه ومحاضراته ومقالاته استشهد مراراً بالظواهر الروحية التي حققتها واعتبرها ثابتة علمياً ، بما في ذلك الاستشفاف ، والتخاطر ، والرؤى التي يراها الوسطاء Intuition . وكثيراً ما تحدث عن « الروح التي قد تعلو بها الحياة حتى تتغلب على الموت ، وقد يسمو فيها العقل حتى يحطم قيود المكان والمادة » ، وقد جاءت فلسفته تدور على محاور تتضمن هذه المعاني الروحية في سداها ولحمتها . فهو تارة يتحدث عن « نظرية الديمومة » ، وأخرى عن « التطور الخالق » ، وأخرى عن « الحدس والميتافيزياء » ، وأخرى عن « النفس والبدن » ، وأخرى عن « الحياة والمادة » ، وأخرى عن « التصوف والحب الإلهي »[٢] .

---

(١) عن كتاب « الطاقة الروحية » لبرجسون L, Eneregie Spirituelle : تعريب الدكتور سامي الدروبي ص ٥٣ وما بعدها .

(٢) راجع فيها كتاب « برجسون » للدكتور زكريا إبراهيم . ولنا عودة إلى بعض آراء برجسون المتصلة بموضوع خلود الروح فيما بعد في الجزء الثاني .

وفى الجملة إن برجسون — كما وصفه الأستاذ يوسف كرم — « يعد أكبر فيلسوف ظهر فى فرنسا من عهد بعيد . . . ولعله أكبر فيلسوف على الإطلاق فى هذا النصف الأول من القرن العشرين . وقد كان نفوذه واسعاً وعميقاً فقد أذاع لوناً من التفكير وأسلوباً من التعبير طغيا على سائر فروع المعرفة العلمية وتجاوزها إلى الأدب . وكانت دلالته التاريخية أنه قصد إلى إنقاذ القيم التى أطاحها المذهب المادى . فهو يبدو من هذه الوجهة وكأنه واحد من أولئك الأبطال الذين أشاد بهم ، أولئك الذين يقومون فى الإنسانية ليعلنوا إيمانهم بالروح وينبهوا إخوانهم إلى أن الكون المادى ليس وطناً لهم ، وإنما الكون آلة لصنع آلهة ... »[1] .

هذا هو برجسون العظيم الذى انتهى إلى الروحانية العلمية الأصيلة العميقة المفرطة فى أصالتها وفى عمقها ، بعد أن بدأ حياته مادياً صرفاً على مذهب سبنسر كما قال هو عن نفسه ، وكان تحوله عن المادية بفضل بحوثه التجريبية . فكان موقفه من هذا العلم الناشىء أشبه ما يكون بموقف وليام جيمس فى أمريكا[2] ، وكلاهما فى عصره أبرز فلاسفة بلاده .

فقارن هذا الموقف بموقف بعض المتحذلقين من الجامدين أو الماديين الذين لا يجدون — لغاية الآن — ما يدحضون به نتائج أمثال هذه البحوث إلا ألفاظ « الخرافة » أو « التدليس » يلقون بها جزافاً ، وكأن فيها كل القوة الإقناعية المطلوبة لدحض بحوث خطيرة تجرى على أشد المناهج العلمية صرامة وأكثرها دقة ، بمعرفة فلاسفة وعلماء كبار يقدرون تماماً مدى خطورتها ، ولم تعرفهم البيئات العلمية إلا باحثين أمناء جادين عن الحقيقة العلمية أولا وأخيراً ،

---

(١) عن « تاريخ الفلسفة الحديثة » ١٩٦٢ ص ٤٤٩ . وهو يحيل القارىء إلى مؤلف برجسون « ينبوعا الأخلاق والدين » .

(٢) راجع عنه ما سبق فى ص ٢٧٠ — ٢٨٠ .

ولو من أكثر طرقها عناء ومشقة كيما تصل إلى إثبات أخطر النتائج ، وهى في نفس الوقت أروعها للإنسان ، وأدعاها إلى السرور والاطمئنان .

« جمعية البحث الروحي » تواصل نشاطها حتى الآن

وهذا الكلام من برجسون فى صدد نشاط « جمعية البحث الروحى » قيل فى محاضرة ألقيت فى مقر هذه الجمعية فى ٢٨ من مايو سنة ١٩١٣ فهل وقفت هذه الجمعية عند القدر من البينات الذى كانت قد حصلت عليه خلال ثلاثين سنة من عمرها . لإثبات الحياة بعد الموت عن طريق جميع أبواب التجربة المعملية الممكنة التى تزخر بها محاضرها وجريدتها ؟ .

كلا فإن هذه الجمعية تقوم حتى الآن بمقرها بلندن (بميدان تافستوك Tavistock Square, Bloomsbury) بأبحاثها وتوالى نشر مضابط جلساتها — وجريدتها أيضاً — مليئة بالمعلومات والمناقشات العلمية والفلسفية ، وبالظواهر الوساطية مؤيدة بالصور والبيانات والإحصائيات والحقائق التجريبية الصرف ، وكل ما يدور حول هذه الحقيقة الخطيرة وهى أن « الإنسان روح لا جسد » ، وأن الموت يعد حادثة فقط فى حياته ولا يعد نهاية لها .

إن عالماً معاصراً فى علم النفس وهو وليام براون William Brown الأستاذ بأكسفورد — وهو فى نفس الوقت وسيط للكتابة التلقائية — وقف منذ سنة ١٩٣٧ يتكلم فى مدينة ليدز بانجلترا عن موت الجسد واصفاً أبحاث هذه الجمعية بأنها « تضع حجر الأساس فى علم النفس الحديث » . وقد دفعته فى سنة ١٩٣٣ إلى أن يقول — فى محاضرة له فى الاحتفال السنوى لهذه الجمعية — « بالإشارة إلى البينات التى قدمتها لنا جمعية البحث الروحى خلال الخمسين السنة الماضية فإنها كافية كيما تجعل الحياة بعد موت الجسد راجحة علمياً إلى أقصى الحدود[1] » . وإذا كانت بحوث خمسين سنة لها هذا الأثر فما هوى يا ترى أثر

---

(١) اشترك الدكتور وليام براون مع لجنة من الأساقفة الانجليز شكلها الدكتور لانج كبير =

بحوث تسعين سنة بمعرفة نفس الجمعية وهو عمرها حتى الآن ؟ وما هو يا ترى أثر بحوث عشرات أخرى من المعاهد والجمعيات والهيئات العلمية المعترف بها إذا جاءت كلها مؤيدة نفس الاتجاه ومطابقة له فى مقدماته ونتائجه ؟ ! .

إن نتائج هذه البحوث دفعت أستاذاً آخر لعلم النفس فى جامعة لندن هو الدكتور فلوجل Fluger لأن يصرح بأن علم النفس قد أصبح شيئاً قديماً وضعيفاً أمام علم الروح الذى سيحتل مكانه ... « فلا شك إذن فى أن اطراد تقدم جنسنا البشرى — على حد قوله — يتوقف على قدرتنا فى التذرع بقانون المنطق .. وعلى شجاعتنا فى التخلص من عذاب التقاليد وترهاتها ، واستخدامنا الكامل للكشوف الحديثة لإسعاد الجنس البشرى وتقدمه ، ولهذا فقط توجد الحرية الداخلية الصادقة ، والتى بدونها لن تكون المقاييس السياسية والاقتصادية للتقدم إلا عرضاً زائفاً . » .

بحوث فردية للفيف من أفضل علماء انجلترا

تضاف إلى ما تقدم بحوث فردية واصلها عدد كبير من علماء كبار ، وانتهوا فيها إلى نفس نتائج « جمعية البحث الروحى » . ونكتفى بذكر بعضهم فى هذا الفصل الذى قصرناه على عرض تطور الحركة الروحية فى انجلترا . فنجد من كبارهم : —

دى مورجان

كان أوجستوس دى مورجان Augustus De Morgan (١٨٠٦ — ١٨٧١)

= أساقفة كنتربرى وقد انتهت بأغلبية سبعة أصوات ضد ثلاثة إلى ثبوت الاتصال بأرواح الموتى (راجع التفاصيل فى مجلة عالم الروح عدد يوليو — أغسطس ١٩٦٠ ص ١ — ٤) . وقد عالج الدكتور براون موضوعى الغيبوبة الوساطية والحياة بعد الموت فى مؤلفه عن « العقل والطب وما وراء الطبيعة » Mind, Medécine And Metaphysics الذى ظهر فى سنة ١٩٣٦ (راجع بوجه خاص ص ١٠٧ — ١٢٤ وص ٢٤٧ — ٢٦٦ من الطبعة الثانية التى ظهرت فى فبراير من سنة ١٩٣٨) .

أستاذاً للرياضيات بجامعة لندن، ورئيساً «للجمعية الرياضية» وسكرتيراً «للجمعية الملكية الفلكية» ، وله تجارب ترجع إلى سنة ١٨٤٩ مع وسيطة الجلاء والطرح الروحى السيدة اللن داوسن Ellen Dawson . ثم واصل تجاربه مع الوسيطة الأمريكية السيدة هايدن Mrs. Hayden ، ثم مع وسيطة كانت وصيفة تقيم فى منزله تدعى جين Jane ظلت لمدة عامين خاضعة لإشرافه ولإشراف زوجته . فكانت فى حضورها تتحرك المناضد بدون وسيلة مادية منظورة ، وكانت تحدث طرقات مجهولة المصدر ، كما كانت تروى مشاهدتها لرؤى Visions شتى .

وقد كانت جميع بحوثه فى منزله، وقد جمعها فى سنة ١٨٦٣ فى مؤلف عنوانه «من المادة إلى الروح[1]» . ضمنه نتيجة تجارب عشرة أعوام فى ظواهر الروح ، وفيه يقرر فى مقدمته « بأنى مقتنع تماماً بأنى شاهدت وسمعت بطريقة تجعل الإنكار مستحيلا أشياء توصف بالروحية، لا يمكن لأى كائن منطقى أن يفسرها بالخداع، أو بمصادفة التعاصر الزمنى Coincidence ، أو بالخطأ ، ولذا فإنى أشعر بأنى أقف على أرض صلبة . ولكن عندما أصل إلى البحث فى علة هذه الظواهر فإنى لا أجد نفسى قادراً على قبول أى تفسير من التفسيرات المقترحة حتى الآن» .

كما نشر كتاباً آخر عن « العقل Mind » فى نفس العام أكد فيه صحة هذه الظواهر ، كما أكد أن التعليل الوحيد المقنع لهذه الظواهر هو أن وراءها عقولا أجنبية عن المجربين .

وليام كروكس

كان سير وليام كروكس William Crookes (١٨٣٢ — ١٩١٩) رئيساً « للجمعية الملكية لتقدم العلوم » (المجمع العلمى البريطانى) ، ويعد من

---

(١) From Matter To Spirit : The Result of Ten Year's Experience in Spirit Manifestations.

أبرز العلماء الطبيعيين فى القرن الماضى . وقد كانت بحوثه فى موضوع الأرواح من القوة والوضوح بحيث أضفت عليها صفة العلم الرسمى منذ سنة ١٨٧٤ عندما قدم تقريره التاريخى إلى « الجمعية الملكية » تحت عنوان « بحوث فى الظواهر الروحية »(١) . وكان ذلك عملا معبراً عن نبل وعن شجاعة أدبية منقطعة النظير ، لأن الأذهان لم تكن قد تهيأت بعد للخروج على النظريات المادية التى كانت سائدة فى البيئات العلمية . وفى هذا المؤلف يقرر كروكس : « بما أنى متحقق من صحة هذه الحوادث فمن الجبن الأدبى أن أرفض شهادتى لها بحجة أن كتاباتى قد سخر منها الناقدون وغيرهم ممن لايعلمون عن هذا الأمر شيئاً » .

وبعد ست سنوات من البحث قال عبارة أصبحت مأثورة عنه ، وهى « لست أقول إن الاتصال بالأرواح ممكن الحدوث ، بل أقول إنه أمر حاصل بالفعل » . ولما تولى رياسة « الجمعية الملكية » أشار فى خطاب الرئاسة إلى بحوثه فى العلم الروحى وذكر أنه مضى عليه فيها خمسة وثلاثون عاماً ، وأن معارفه قد ازدادت وأنه سينشر فيها مؤلفاً جديداً .



وليام كروكس

وفى ٢٩ من يناير سنة ١٨٩٧ خطب كروكس فى « جمعية البحث الروحى » Society For Psychical Research التى كان عضواً فيها مع نخبة من العلماء فى بلاده وفى خارجها قائلا « إنى مستطيع أن أؤكد لكم أن أعمال جمعيتنا ونشراتها فيما يختص بالتدوين الدقيق للمشاهدات الجديدة الهامة ، أو بالفائدة التى تنتج من هذه المشاهدات ، تؤلف

---

(١) Researches In The Phenomena Of Spiritualism.

مقدمة لا تقدر قيمتها لعلم هو أبعد غوراً من أى علم ظهر على سطح الأرض ، سواء فى كشفه عن حقيقة الإنسان ، أو عن حقيقة الطبيعة، وعن عوالم أخرى ليس عليها إلى الآن أقل إشارة من علم .. » فانظر وتأمل ! . .

وفى سنة ١٩١٧ نشرت له « الجريدة الروحية الدولية »(١) حديثاً قال فيه « لم يجد بعد ما يجعلنى أغير رأيى فى الموضوع ، وإنى مقتنع تماماً بكل ما قلته فيما مضى ، وإنه لحق صراح أن الاتصال قد تم بين هذا العالم والعالم الثانى » .

وهذه الأقوال صدرت من كروكس فى حقب متباعدة، إذ يفصل بين أولها وآخرها أكثر من أربعين عاماً ، مما يظهر تماماً كيف أنها ليست أقوالا مرتجلة أو خواطر وهمية أملاها عليه التسرع ، وهو العالم الذى يقدر ولا ريب قيمة كل كلمة يتكلمها ، ومدى مسئوليته عنها إزاء ضميره ، وإزاء حكم التاريخ عليه . ولم يتهمه أحد بأنه كان متسرعاً فى أى بحث آخر من بحوثه العلمية ، التى كان لها شأن عظيم فى تقدم الكيمياء والفيزياء معاً ، بما فى ذلك اكتشافه للالكترون فى الذرة . ولنا عودة فى الفصل الأول من الباب المقبل إلى تلخيص بعض تجاربه فى موضوع الأرواح ، موضحة بالصور التى التقطها بنفسه لروح متجسدة تدعى « كاتى كنج » فى حضور الوسيطة فلورنس كوك .

ألفرد راسل والاس

لا تقل قيمة عن شهادة كروكس شهادة عالم آخر جليل الشأن فى تاريخ البيولوجيا هو سير ألفريد راسل والاس Alfred Russel Wallace (١٨٢٣—١٩٠٣)، عضو « الجمعية الملكية » وقد حقق بنفسه صحة الظواهر الوساطية مع عدد من وسطاء عصره من أمثال الدكتور مونك Monck ، والسيدتين جابى Guppy وكاتى كوك Katie Cook ، وإجلنتون Eglinton ، والسيدة روس Ross ، وكيلر P. L. Keeler

---

(١) The International Psychic Gazette.

وفريد إيفانز Fred Evans ،والسيدة مارشال Marshall وآخرين. ثم ألف في العلم الروحي مؤلفين أولهما « دفاع عن الروحية الحديثة »[1] . وثانيهما « المعجزات والروحية الحديثة[2] » (١٨٧٨) .

وقد ذكر في هذا الأخير « لقد كنت ملحداً بحتاً مقتنعاً بمذهبي تمام الاقتناع ، ولم يكن في ذهني أي محل للتصديق بحياة روحية ، ولا بوجود عامل في هذا الكون كله غير المادة وقوتها ، ولكني رأيت أن المشاهدات الحسية لا تغالب ، لذا فإنها قهرتني وأجبرتني على اعتبارها حقائق ثابتة قبل أن أعتقد نسبتها إلى الأرواح بمدة طويلة ، ثم أخذت هذه المشاهدات مكاناً من عقلي شيئاً فشيئاً . ولم يكن ذلك بطريقة نظرية تصورية ، ولكن بتأثير المشاهدات التي كان يتلو بعضها بعضاً على صورة لا يمكن تعليلها بوسيلة أخرى» . كما ذكر فيه أيضاً أن المعجزات عبارة عن أحداث مادية تقوم بها عوامل عاقلة غير منظورة، وتؤدي إلى نتائج لا تفسرها القوانين المعروفة .

وليام باريت



وليام باريت

ومنهم عالم الطبيعة سير وليام باريت William T. Barrett (١٨٤٥—١٩٢٦) الذي كان أستاذاً للفيزياء بكلية العلوم بجامعة دبلن Dublin من سنة ١٨٧٣ إلى ١٩١٠ وعضواً في « الجمعية الملكية » . ووصل في الفيزياء إلى كشوف كثيرة ، منها كشف ظاهرة تأثر « الشعلة

---

(١) A Defence Of Modern Spiritualism.

(٢) Miracles And Modern Spiritualism.

بالصوت» ، فضلا عن كشوف أثرت فى الصناعات الكهربية ، خصوصاً ما كان منها متصلا بصناعة الصلب .

وقد كان باريت ممن دفعوا الجمعية الجدلية إلى تشكيل لجنتها الآنفة الذكر لبحث الظواهر الوساطية . وفى يناير من سنة ١٨٨٢ دعا إلى عقد مؤتمر فى مقر « الجمعية البريطانية الأهليــة للروحيين » وهو الذى تمخض عن ميلاد « جمعية البحث الروحى » .S.R.R التى تحدثنا عنها آنفاً بما فيه الكفاية . ولما زار الولايات المتحدة فى سنة ١٨٨٥ أرسى أساس « الجمعية الأمريكية للبحث الروحى » . كما ساهم فى سنة١٩٢٠ فى «إنشاء الكلية البريطانية للعلم الروحى» British College Of Psychic Science.

وقد لخص وليام باريت نتائج بحوثه الطويلة الشاقة فى المجلد الرابع والثلاثين من « مضابط جمعية البحث الروحى » الصادر فى سنة ١٩٢٤ قائلا « لقد ثبت : أولا وجود عالم روحى . وثانياً الحياة بعد الموت . وثالثاً إمكان الاتصال بهؤلاء الذين انتقلوا إلى هناك » . وكان مقتنعاً — من ناحية معرفته بالفيزياء — بوجود أثير مضىء ذى طبيعة خاصة Luminiferous ether يحيا فيه سكان عالم الروح » . فهل هناك كثيرون يمكنهم أن يفهموا حقيقة الأثير مثله ؟

كما نجده يصرح أيضاً « إنى مقتنع تمام الاقتناع بالحقيقة الواقعة ، وهى إن أولئك الذين عاشوا على الأرض فى وقت من الأوقات يمكنهم الاتصال بنا ، بل هم فى الواقع متصلون بنا ، وإنه من الصعب جداً أن نبدى للمتشككين غير المدربين أية فكرة كافية عن القوة العظيمة للواقع المجهول » .

ومن مؤلفاته «البحث الروحى[1] »(١٩١١)، وفيه يلاحظ ملحوظة ينبغى أن يضعها فى الاعتبار كل مجرب فى هذه الأمور ، إذ يقول (ص٢٤٥—٢٤٦)

---

(١) Psychical Research.

« إن الرسائل الذكية التي قد تكشف عن شخصية أصحابها قد يشوب بعضها غموض يشير إلى أن الذكريات الأرضية آخذة فى الزوال والانحلال . وأن الراحلين يصبحون مستغرقين فى حياتهم الجديدة التى نعجز فى حالتنا الحاضرة أن نتصور طبيعتها تماماً ، فإن قيودنا الخاصة تجعل من المحال لمثل هذه البينة أن تأتينا باليقين بأننا إنما نراسل أفضل وأنبل ما فى أولئك الذين مروا إلى العالم غير المنظور » .

ومن مؤلفات باريت أيضاً « على عتبة غير المنظور »[1] (١٩١٧)، وفيه يقرر أنه « مما ينسجم مع كل معلوماتنا الاقتناع بعالم غير منظور تحيا فيه مواكب من كائنات حية يملك بعضها ملكات مثل ملكاتنا ، أو أقل أو أكثر ، ومن الجائز أن الارتقاء عن طريق التطور فى عالم كهذا جرى فى خطوط موازية للتطور فى عالمنا ، وأن تنازع البقاء ووجود الغرائز والعقل والوعى والإرادة القوية والسقيمة أمور تبدو متوافرة هناك كما هى متوافرة هنا. وبمرور الوقت يبدو أن الإحساس بالوجود الإنسانى قد وصل إلى جيراننا غير المنظورين ، وأيضاً أنهم قد عثروا على بعض وسائل للاتصال العقلى بنا ، بل حتى المادى » .

وله عدة مؤلفات أخرى منها «سويدنبرج : العالم والرائى »[2] (١٩١٢)، و « عصا التنجيم[3] » (١٩٢٦)، و « رؤى على فراش الموت»[4] (١٩٢٦) .

---

(١) On The Threshold of the Unseen.
وله ترجمة فرنسية فى سنة ١٩٢٣ عنوانها Au Seuil de l'Invisible.
(٢) Sweedenborg: The Savant and the Seer. راجع ما سبق عنه فى ص ١٩٧
(٣) The Divining Rod (La Baguette Divinitoire).
وهى العصا التى تستخدم فى الكشف عن المياه الجوفية وعن المعادن المخبوءة فى باطن الأرض وتعمل بالأمواج غير المنظورة وعن طريق نوع خاص من الوساطة .
(٤) Death — Bed Visions.

جون رايلى

ومنهم أيضاً عالم الطبيعة لورد جون وليام سترات رايلى John William Strutt Rayleigh (١٨٤٢ — ١٩٢٠) ، وقد كان أستاذاً للطبيعة التجريبية منذ سنة ١٨٧٩ فى جامعة كمبريدج ومديراً لمعاملها . وقد اكتشف فى الجو غازات لم تكن معروفة من قبل ونجح فى عزل غاز الأرجون Argon ، وفى سنة ١٩٠٤ حصل على جائزة نوبل فى الطبيعيات .

وترجع صلته بالبحث الروحى إلى سنة ١٨٧٤ عندما بدأ تجاربه مع الوسيطتين كات فوكس Kate Fox وأسابيا بلادينو[١] . وكان اهتمامه بالظواهر الفيزيقية أكثر منه بالظواهر العقلية ، مثل الغيبوبة والكتابة التلقائية . ومن رأيه أن التلباثى لا يصلح لتعليل هذه الظواهر فى جملتها ، وأنه إذا صح وجود التلباثى بين عقول الأحياء فليس هناك ما يمنع من القول بتوافره أيضا بين عقول « الأموات » والأحياء .

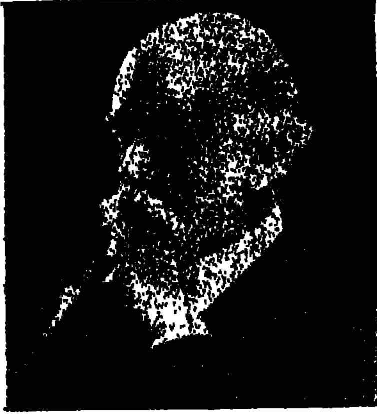
وفى خطاب رئاسته « لجمعية البحث الروحى » ، عندما اختير رئيساً لها فى سنة ١٩١٩ ، قال متحدثاً عن الوسيطين كات فوكس ودانييل دانجلاس هوم : « إنى أرفض كلية تعليل هذه الظواهر بالخطرفة فإن الأحداث كانت دائماً تقريباً غير متوقعـــة ، ووقعها فى نفوسنا مسلما به . . . » .

أوليفر لودج

ومن علماء المادة البريطانيين الذين أصبحوا أيضا من أبرز أعلام العلم الروحى ســير أولفر لودج Oliver Lodge (١٨٥٢ — ١٩٤٠) مدير جامعة برمنجهام ، وعضو « الجمعية الملكية لتقدم العلوم » ، وهو من أقوى علماء الفيزياء

---

(١) راجع ماسبق عنها فى ص ٢٠٥ — ٢١٠ .


أوليفر لودج

فى القرن العشرين . وتنصب بحوثه فى الطبيعة بوجه خاص على دراسة الأجواء الواسعة التى تقع بين الأجرام السماوية ، كما قام ببحوث عميقة حول طبيعة الأثير وانتقال الأمواج الكهربية المغناطيسية ، واخترع جهازاً لالتقاط هذه الأمواج يدعى The Coherer كان من أهم العوامل التى هيأت لماركونى أن ينجح فيما بعد فى اختراع المذياع .

ويعد مؤلفه عن « أثير الأجواء » من أعمق ما كتب فى هذا الموضوع ، ويصل إلى المستوى الذى يتعذر على علماء كثيرين أن يفهموه . وذلك بالإضافة إلى مؤلفات عديدة له فى الأثير ، وفى المادة الصلبة ، وفى نظرية النسبية ، وفى الالكترونات ، وفى الطاقة ، وفى اللاسلكى .

وبعد بحوث شاقة دامت لمدة خمسة وعشرين عاماً أعلن لودج شهادته الصريحة الحاسمة للحياة بعد الموت « وليقاء الشخصية الإنسانية بعد فناء الجسد » على حد تعبيره . ثم ظهرت له عدة مؤلفات رائعة فى الروحية مثل « الإنسان والكون[١] » . (١٨٨٠) ، ومثل « حياة الإنسان بعد الموت »[٢] (١٩٠٩) ، ومثل « العقل والاعتقاد[٣] » (١٩١٠) ، و « الحياة والمادة[٤] » (١٩١٢) ، و « المشكلات الحديثة »[٥] (١٩١٢) ، و « العلم والدين »[٦] (١٩١٤) ، و « ريموند

(١) Man And The Universe.
(٢) Survival Of Man.
(٣) Reason And Belief.
(٤) Life And Matter.
(٥) Modern Problems.
(٦) Science And Religion.

أو الحياة والموت »[١] ، الذى ظهر فى سنة ١٩١٧ وأعيدت طباعته منقحة فى سنة ١٩٢٢ .

ويتضمن الأخير بوجه خاص عشرات من الأدلة الحاسمة على أن ابنه ريموند ضابط الجيش الذى قتل فى الحرب العالمية الأولى أمكنه أن يتصل به ويعطيه شواهد ووقائع كثيرة لا يعلم عنها أى إنسان شيئاً . وذلك عن طريق الوسطاء جلاديس أو سبورن ليونارد Gladys Osborne Leonard ، وليونور بيبر L. Piper ، وفوت بيترز Vout Peters وغيرهم . وقد حققها لودج بنفسه فى صبر وأناة قبل أن يبدى رأيه فيها واستبعد منها كل ما يمكن تعليله بالعقل الباطن أو بظاهرة التلباثى .

ومن هذه مثلا قصة خطابات كان يتلقاها ريموند من فتاته ، ودفنها فى صندوق خشبى فى حديقة المنزل فى مكان سحيق عند ما تطوع فى الحرب خشية الوفاة ، فذكر له بعد انتقاله مكانها ، وتأكد لودج من صحتها عندما عثر على الخطابات فى المكان الذى عينته الروح وأعادها بنفسه إلى مرسلتها . . . فمن أى عقل أرضى تم التقاط هذه الواقعة التى لم يكن أحد يعرف عنها شيئاً ؟

ومنها أيضاً قصة عدة صور كانت قد التقطت لريموند فى فرنسا بعد تطوعه فى الحرب مع زملائه ضباط الفرقة التابع لها ، وقد وصفت له الروح موضع وقوف صاحبها أو جلوسه فى كل صورة وظروف التقاطها وأسماء بعض الموجودين فيها . ثم بحث أوليفر لودج عن هذه الصور مع رفقاء ابنه فى الحرب ممن عادوا سالمين فوجدها مطابقة لما أنبأته به الروح .

وهكذا الحال فى الأدلة العديدة التى اقتضى بيانها أكثر من ثلاثمائة صفحة من هذا الكتاب ، ثم تطرق إلى الكلام فى « الوجود المستمر » ، و « فكرة

---

(١) Raymond, Or Life And Death.

الماضى والحاضر والمستقبل» و« التداخل بين العقل والمادة »،و« بعث الجسد»، و«التمييز بين العقل والمخ» ، و « الحياة والوعى»، و «سبل التراسل»، و«نظرة عامة إلى الكون » . . . إلى غير ذلك من الفصول الرائعة التى لا يحسن فهمها وتقديرها إلا أصحاب العقول النيرة وحدهم .

وواصل لودج بحوثه الروحية الغزيرة فظهر له فيما بعد كتاب « لماذا أؤمن بخلود الإنسان ؟»(١) (١٩٢٨)، ثم «جدران الشبح»(٢) (١٩٢٩) ، ثم « مايلى الفيزياء» (٣) (١٩٣٠) ، ثم « حقيقة عالم الروح » (٤) (١٩٣٠) ، ثم « اقتناع بالحياة بعد الموت»(٥) (١٩٣٠) ، ثم « الأعوام الماضية » (٦) (١٩٣٢) ، ثم « فلسفتى»(٧) (١٩٣٣) .

وهكذا واصل لودج بحوثه الروحية على نمط دقيق لمدة جاوزت نصف قرن ، وكلما نجح فى الربط بين هذا العلم وبين معلوماته الواسعة فى الفيزياء الحديثة كلما ازداد اقتناعاً ، ولا غرابة فى ذلك لأن دراسة اللاسلكى عبارة عن دراسة الاهتزاز . ونظرية الاهتزاز Vibrationalsyst em هى التى تفسر وحدها وجود عوالم متداخلة تشغل نفس الحيز من الفراغ دون أن يشعر بعضها بالبعض الآخر، فلكل عالم منها أمواجه الضوئية والصوتية والحرارية التى تختلف فى أطوالها عن أمواج العالم الآخر .

* * *

ولم تنقطع أيضاً محاضراته ولا خطبه الشائقة عن الخلود والاتصال بالأرواح.

(١) Why I Beleive in Personal Immertality.
(٢) Phantom Walls.
(٣) Beyond Physics.
(٤) The Reality Of A Spiritual World.
(٥) Conviction Of Survival.
(٦) Past Years.
(٧) My Philosophy.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ففى خطبة له ترجع إلى سنة ١٩١٥ يقول لودج « إن الإنسان لا يسود الـكون ولا يعرف أسراره ، لـكنه يتلمس فيه الحقائق تلمساً . وقد كشف حديثاً الراديوم وغاز الأرجون وأشعة رنتجن وبعض خواص الـكهرباء . وقد بدأ الآن يعرف شيئاً عن بناء الجوهر الفرد ، وتظهر هذه الأمور كأنها جديدة ، وهى غير جديدة ، بل كانت موجودة أيضاً ونحن لا نعرفها . وفى الطبيعة أيضاً أمور كثيرة لم نـكشفها حتى الآن » .

إلى أن يقول فى نفس الخطبة : « وليس من العقل أن يقال إن النفس تضمحل إذا تلف الجسد ، بل سنظل موجودين بعد موتنا وانتهاء أعمارنا القصيرة على هذه الأرض . أقول ذلك مستنداً إلى أدلة علمية — أقوله لأنى تحققت أن بعض أصدقائى الذين ماتوا لا يزالون موجودين إذ أنى قد ناجيتهم ، ومناجاة الموتى ممـكنة لـكن ينبغى أن نجرى على نواميسها ، وأن نعرف شروطها ، وهى ليست من الأمور الهينة .

وقد حادثت أصدقائى الموتى كما أحادث واحداً من الحضـــــور . وقد كانوا فى حياتهم من أهل العلم ، ولذلك برهنوا لى ببراهين قاطعة ، نشر بعضها وسينشر البعض الآخر فى حينه ، إنهم هم أنفسهم كانوا يحدثوننى وإننى لست واهماً . إن تلك حقيقة أنا مقتنع بها وبصحتها بكل ما فى من قوة الاقتناع . إننى مقتنع بأننا لا نضمحل عند الموت ، وأن الموتى يهتمون بأمور هذا العالم ، ويساعدوننا ويعرفون أكثر مما نعرف بكثير ، ويقدرون على مناجاتنا أحيانا »[1] .

* * *

وبنفس هذا الاقتناع يتحدث عن الأرواح فى محاضرة له فى سنة ١٩١٧ قائلا « إنى كما تعلمون انضممت بصفة نهائية إلى جانب المقتنعين بدوام الوجود . وقد وصلت إلى هذا الاقتناع مستنداً إلى وقائع وتجارب لا تثبت فحسب حياة غامضة

---

(١) راجع أجزاء من هذه الخطبة فى مجلة « المقتطف » عدد ٦ ع الصادر فى فبراير من سنة ١٩١٥ .

غير محددة بعد الموت ، بل تثبت نظرية بقاء الشخصية والذاكرة بعد الانفصال الذى نسميه موتاً .

فبعد فحص عدد كبير من الحالات وجدت نفسى مضطراً بالبينة المقنعة إلى الاعتراف بالحقيقة البسيطة عن إمكان التحدث — متى توافرت شروط خاصة — مع أشخاص عاشوا حديثاً على الأرض ، وإمكان تلقى اتصالات ورسائل ، رغم أن هؤلاء الأشخاص فقدوا بالموت الوسائل المألوفة لإظهار أنفسهم .

وإنى أقدر كل ما لهذا الذى وصلت إليه من أهمية ، ومن جسامة كفيلة بأن تضفى عليه نتائج تتجاوز فى خطورتها كل قياس فى اليوم الذى يتقبلها الجنس الإنسانى ويقرها ، إذا قدر لهذا اليوم أن يجىء . ففى الواقع إن هذا الكشف إذا ماتقبله الناس غيّر مصائر البشرية .

ومن الأمور الحقيقية أن الحياة بعد الموت والاتصال بالأرواح كانا معترفاً بهما منذ أقدم العصور عند البعض ، لكن استمرار الوجود لم يعتبر أبداً حقيقة وضعية للحياة ، وقد أحاطت الاعتقادات الوقائع بغلالة كثيفة صناعية لها مظهر من الحقيقة جعلت هذه الحقائق تبدو غير مقبولة ، ومخيبة للآمال ومصدراً للاضطراب[١] » . . .

فهل كان يتأتى لمثله أن يقتنع روحياً مالم يقتنع ابتداء اقتناعاً علمياً مطابقاً تماما لمعلوماته الواسعة فى الأثير وفى الفضاء الكونى ؟ وأن يتحدث فى الموضوعين معاً بكل هذا الاطمئنان إلى صواب ما وصل إليه من نتائج بعد فحص عـــدد كبير من الحالات كما قال .

* * *

وفى محاضرة له فى سبتمبر من سنة ١٩٢٨ بقاعة ألبرت بلندن نجده يقرر أيضاً « إن التساؤل عما إذا كنا سنحيا بعد الموت أم لا تساؤل على بمقدورنا

(١) راجع La Verité Spirite Source de Bonheur للأستاذ جوزيف ميرا Joseph Mira ص ١٣ ، ١٤ .

أن نجيب عليه . ولست أصف هذا التساؤل بأنه دينى ، حتى وإن كان مرتبطاً بالدين وبالأخــــلاق وبما وراء الطبيعة ، بل إنه ليتطلب بذاته جواباً بالإيجاب أو بالسلب . واعتقد أنه يمكننى أن أجيب عنه جواباً نهائياً بالإيجاب دون أن ينتابنى تأنيب فى هذا الصدد » . كما قال عن قيمة البحث فى هذا الموضوع « إن الذى نعلمه لا يعد شيئاً مذكوراً إلى جانب ماينبغى أن نتعلمه . وقد يقال ذلك أحياناً بلا عقيدة حقيقية ، أما بالنسبة لى فهى الحقيقة الحرفية » .

وقال لودج « إننى أقول إننى مصر على أن الاتصال بالعالم الآخر ممكن ، ولقد برهنت على أن الأشخاص الذين يمكنهم الاتصال بالعالم الآخر هم الذين يحاولون ذلك ويرغبون فيه ، والنتيجة هى أن الحياة بعد الموت قد ثبتت بالبحث العلمى » . كما قال « الحقيقة هى ماتتوق كل نفس لمعرفتها ولا رغبة لأحد فى أن يخدع ، ولـكننا تواقون لمعرفة أصدق الأنباء عن كل من العالمين المادى والروحى اللذين يؤلفان الـكون . . . وأثير الفضاء هو حلقة الاتصال بينهما . فهو فى العالم المادى الحقيقة الأساسية الجوهرية ، أما فى عالم الروح لحقائق الوجود غير تلك ، وهى أرقى منها بكثير ، غير أن الأثير هناك أيضاً هو الأداة المستخدمة ، ولـكن بطرق لا يسعنا فى الوقت الحاضر إلا أن نتخيلها . . . »

* * *

وقد أخذ لودج يحاضر أيضاً فى الإذاعة البريطانية فى سنة ١٩٣٤ فى هذا الموضوع — وقد بلغ الثانية والثمانين من عمره — قائلا « إننى لم أصل إلى معتقدى فى صحة هذا الأمر عن طريق التأثير الدينى ، وإنما بنيت اعتقادى فيه على نتائج التجارب العلمية التى قمت بها فى مجال العلم الواسع المدارك . هذا العلم الذى ينبغى عليه كما أعتقد أن يلتفت إلى هذه الظواهر فلا يقصر أمره على ظواهر المادة كما حمله على ذلك علماء القرن التاسع عشر ، بل ورجال العلم منذ نيوتن .

ثم اختتم محاضرته قائلا : « دعونى أنتهز هذه الفرصة الفريدة كيما أتحدث

إلى هؤلاء الذين يجدون فى الحياة قسوة تصل بهم إلى مرحلة اليأس فيتساءلون فى عجب ، هل تستحق الحياة كل هذا العناء ؟ . . دعونى أبعث إليهم شيئاً من الاطمئنان وأقرر لهم الحقيقة التى تكشفت تدريجياً لعقلى نتيجة لاقتناع وصلت إليه فى مدى يقرب من خمسين عاماً (فتأمل) . فهذا الدليل الكامل الذى لاعيب فيه سارنى إلى هذه الفكرة ، وهى أن عالم الروح حقيقة عظمى . إننا لن نتغير فى اللحظة التى ننتقل فيها ، وعندما نتخطى الحدود سيقابلنا صحبنا بالترحاب . . . » .

وقد انتقل لودج إلى عالم الروح فى أغسطس من سنة ١٩٤٠ عن ثمانية وثمانين عاماً وهو مصر على اقتناعه هذا . وعادت روحه من جديد كيما تتحدث فى نفس هذا الموضوع فى قاعة كنجزواى بعد ذلك بسنوات قلائل فى شهر يونية من سنة ١٩٤٦ ، أمام أكثر من ألف وخمسمائة مستمع حضروا الاجتماع الحافل برئاسة مارشال الطيران لورد دودنج وبوساطة وسيط الصوت المباشر لزلى فلنت Leslie Flint [1].

فردريك و . ه . مايرز



ف . و. هـ. مايرز

ومنهم أيضاً عالم النفس المعروف فردريك و . ه . مايرز Frederic W. H. Myers (١٨٤٣ — ١٩٠١) الذى كان أستاذاً لعلم النفس بجامعة كبريدج ، والذى تعتبر بحوثه فى العقل الباطن من أعمق ما كتب فيه حتى الآن . وقد ظل مايرز من أهم الأعضاء

---

(١) راجع مجلة « عالم الروح » عددا أبريل سنة ١٩٤٨ ومارس سنة ١٩٥٥ .

العاملين فى « جمعية البحث الروحى » حتى انتقاله ، ومجلدات هذه الجمعية التى صدرت أثناء حياته حافلة ببحوثه فى الروحية .

ويعتبر مؤلفه «الشخصية الإنسانية وبقاؤها بعدموت الجسد »[1](١٩٠٣) فى مجلدين من أقوى الكتب التقليدية فى هذا البحث ، إذ أنه قد أقام دعامة العلم الروحى الحديث . وقد وصفه الفيلسوف وليام جيمس بأنه « الخطوة الأولى فى أية لغة لفهم الظواهر الروحية » وفيه يعالج مايرز العقل الباطن للإنسان الذى يمثل الذات الحقيقية له ولا يعد العقل الواعى إلا شطراً ضئيلا منه ، ويثبت الحياة بعد الموت لهذه الذات من هذه الزاوية .

كما يثبت هذه الحياة التالية للموت من جملة زوايا أخرى قائمة فى جملتها على دراسة عميقة لشتى الظواهر الوساطية ، بل لشتى الظواهر التى قد تبدو عادية لكنها تخفى ورائها معانى خطيرة قد لا يلتفت إليها الباحث العادى . فنجده لذلك يعالج موضوعات قد تبدو متناثرة، ولكن تربط بينها نظرية علمية واحدة. فهو يعالج مثلا انفصام الشخصية disintegrations of personality ، والعبقرية ، والنوم ، والتنويم المغناطيسى . والظواهر الوساطية التلقائية ، أو الحساسية التلقائية بحسب وصفه sensory automotism ، كما يعالج ظهور أشباح الموتى phantasms of the dead . والظواهر التلقائية الآلية motor automatism . وظواهر الغيبوبة trance ، والاستحواذ possession ، والنشوة الروحية ecstasy ، ويقيم من دراساته العميقة فقهاً علمياً مترابطاً عن « بقاء الشخصية الإنسانية بعد موت الجسد » .

وقد ظهرت لهذا الكتاب طبعة مبسطة حديثة فى سنة ١٩٦١ فى جزء

---

(١) Human Personality and its Survival of Bodily Death.

واحد[١] بتقديم من الفكر العميق الأستاذ ألدوس هكسلي Aldous Huxley يقول فيه إن آراء مايرز عن العقل الباطن متفوقة على آراء فرويد بالأقل من ناحية واحدة،وهي أنها أقرب إلى الفهم وإلى الصدق لاتصالها بواقع التجريب. بل ويعتبرها هكسلي متفوقة على آراء يونج Jung من ناحية أنها أغنى منها بالوثائق المستمدة من الوقائع المحسوسة ، وأقل منها ازدحاماً بالافتراضات النظرية العويصة التي تربك القارىء بغير جدوى .

كما يقرر هكسلي إن مايرز يغوص بالقارىء إلى أعماق هذا العالم الروحى غير الشخصى impersonal الذى يسمو على أجسادنا ويخترقها من كل جانب ، كما يخترق عقولنا الواعية وغير الواعية ... ويلاحظ أنه من الأمور الغريبةالمؤسفة أن هذا الكتاب المفرط فى غناه ، وفى عمقه ، وفى فائدته ، يمكن أن يهمل لحساب أوصاف للطبيعة الإنسانية أقل منه اكتمالا . ولحساب تفسيرات أقل منه ملاءمة للحقائق المعطاة ...

وقد ابتكر مايرز طريقة فى بحثه الروحى تسمى طريقة « التراسل المتبادل »[٢] ، وكانت هى الطريقة التى استعملها هو شخصياً لإثبات صحة شخصيته بعد انتقاله إلى العالم الآخر فى ١٧ يناير سنة ١٩٠١ أثناء زيارته لمدينة روما . ويقول الدكتور راينور جونسون Raynor C. Johnson

(١) وقد قام بإعدادها لفيف من أساتذة الجامعات البريطانية، منهم ديكاس C. J. Ducasse من جامعة براون، وبروض Broad من كامبريدج ،والسيدة روزالند هيوود R. Hywood والأستاذ لامبرت G. W. Lambert من جامعة لندن ، و . هـ . برايس H. H. Price من أكسفورد، وستراتون F. J. M. Stratton من كامبريدج.

(٢) Cross Correspondence.

مدير « كلية الملكة » بجامعة ملبورن[1] إن الفكرة الأساسية فى طريقة التراسل المتبادل هذه هى الاتفاق مع الكائن غير المتجسد على تقطيع الرسالة الروحية الواحدة إلى عدة أجزاء وعبارات حتى تصبح غير مفهومة ، ويرسل كل جزء منها عن طريق وسيط خاص للكتابة التلقائية automatist ، ثم يتم تجميع هذه الأجزاء بعد ورودها عن طريق وسيطين أو ثلاثة فتعود مترابطة مفهومة ، وهذا وحده ينفى كل احتمالات الخداع والتلباثى وتأثير العقل الباطن .

وقد وردت عدة رسائل من روح مايرز بهذه الطريقة عن طريق أربع وسيطات معروفات وهن السيدات ا . و . فيرال A. W. Verrall ، وكريمتها هيلين Helen (السيدة سولتر Mrs. Salter) ، وهولاند Holland ، وليونور بيبر Leonore Piper . وقد تلقت هاته الوسيطات الأربع مجموعة وافرة من معلومات مايرز وأرائه العميقة . وأجمع عدد من كبار العلماء على أنها حاسمة فى إثبات شخصيته . ومنهم فرانك بودمور Frank Podmore فى بريطانيا ، وجاردنر مورفى Gardner Murphy فى أمريكا[2] .

وبعد انتقال مايرز إلى العالم الآخر فى سنة ١٩٠١ ظلت روحه على صلة وثيقة بعدد من الدوائر الروحية ، وأثبت شخصيته لعدد من كبار الباحثين ، كما أملى معلومات قيمة عن عالم الروح وعن نفسية الإنسان وعواطفه فى بعض عوالم ما بعد المادة ، ومن ذلك مثلا : —

— ما قرره سير أوليفر لودج فى مؤلفه « لماذا أؤمن بخلود الإنسان؟ » .

---

(١) فى مؤلف عنوانه « الروعة الحبيسة » (١٩٥٣) .
The Imprisoned Splendour

(٢) وتقديمة لطبعة ١٩٥٤ الأمريكية من كتاب مايرز عن « الشخصية الإنسانية وبقائها بعد موت الجسد » . وراجع أيضاً ما سبق فى ص ٢٣٨ .

— وما قرره الأستاذ هـ . ا . دالاس H. A. Dallas فى مؤلفه عنوانه ؟ Mors Janua Vitae? من أنه من إملاء روح مايرز ، وقد قدم هذا المؤلف سير وليام باريت .

— وما قررته الوسيطة جير الدين كامينز التى أملاها مايرز فصلا كاملا عن « وثيقة الوجود » فى مؤلفها « الطريق إلى الخلود » ، ولنا إليه عودة عند الكلام فى هذه الوسيطة ، وعودة ثانية عند الكلام فى الجزء الثانى فى وصف ظروف الحياة فى عالم الروح .

— وما أكده الأديب الإرلندى المعروف شودزموند مؤسس « المعهد الدولى للبحث الروحى بلندن » فى مؤلفه عن « الحب بعد الموت » ، ولنا إليه عودة تفصيلية عند الكلام فى الجزء الثانى عن «ظروف الحياةفى عالم الروح» .

هذا وقد كان إدخال العلم الروحى الحديث ضمن مناهج البحث فى جامعة كامبريدج فى سنة ١٩٤٠ تخليداً لذكرى مايرز على ما ورد فى قرار إنشاء هذه الدراسة .

إدموند جيرنى

ومنهم أيضاً إدموند جيرنى Edmund Gurney (١٨٤٧ — ١٨٨٨) وهو من علماء النفس الكبار ومعروف ببحوثه فى التنويم المغناطيسى ، وتحليل الصلة بين الذاكرة وبين مراحل هذا التنويم ، وبينها وبين ذاكرة اليقظة . كما كان معروفاً ببحوثه فى التخاطر أو التلباثى Telepathy . وقد درس موضوع الاتصال بأرواح الأموات ووضع فيه مؤلفاً عنوانه « أشباح الأحياء »(١) وهو من أوائل الدراسات الهامة فى بريطانيا فى هذا الموضوع ، وذلك بالاشتراك مع الأستاذين فرانك بودمور Frank Podmore(٢) ، ومايرز F. W. H. Myers.

(١) Phahtasms of The Living.

(٢) له مؤلف عن «الروحية الحديثة» (١٩٠٢) Modern Spiritualism

وأشار الفيلسوف وليام جيمس إلى هذا المؤلف فى كتابه « إرادة الاعتقاد » (ص ٣١٢ — ٣١٣) قائلا عنه : « من أعظم مؤلفات جيرنى Gurney مؤلفه المعروف باسم « أشباح الأحياء » . ولكى يعطى للقارىء صورة واضحة للبحث المضنى الذى أجراه ذلك العلامة . . . يقول إنه يسرد سبعمائة حالة من حالات ظهور الأشباح ، وفى كثير منها تبدو هذه الظواهر واقعية مطابقة لمصائب حدثت للشخص الذى ظهر شبحه . وبناء على نظرية التلباثى أو التخاطر هـذه telepathic theory يمكننا أن نعتبر الأشباح حقائق « موضوعية objective » ولو أنها غير مادية . .

ولكى يختبر جيرنى ما إذا كانت هذه الظواهر ترجع إلى مجرد الصدفة أم لا ، فإنه قام بعمل إحصاء عن تجارب ٢٥ ألف شخص فى مختلف البلاد سئلوا عما إذا كانوا وهم فى صحة جيدة ويقظة تامة ، قد سمعوا صوتاً أو رأوا شبحاً أو شعروا بلمسة خارجية لا يمكن إيعازها إلى شخص ما بجانبهم ، والنتيجة كانت بالتقريب أن واحداً من عشرة من البالغين فى انجلترا جاز هذه التجربة مرة واحدة فى حياته ، ومن التجارب نفسها أن عدداً كبيراً منها يرتبط بحوادث جرت من زمان بعيد . . . والسؤال الآن : هل تكرر وقوع هذه الظواهر أكثر مما يمكن أن نعتبره قد وقع بالقضاء والقدر ، وهل من الواجب أن نقدر أن نعتقد أن ثمة ارتباطاً غامضاً بين الحادثتين ؟.. » .

وبعد انتقال إدموند جيرنى إلى عالم الروح تلقى منه سير أوليفر لودج عن طريق الوسيطة ليونور بيبر[1] L. Piper جملة إحالات واضحة ودقيقة للغاية إلى مؤلفاته الخاصة فى علم النفس، ولم يكن يعلم لودج شيئاً عنها، وقد تحقق بنفسه من

---

(١) راجع ما سبق عن هذه الوسيطة فى ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

صحتها . فكانت هذه الإحالات منه بمثابة أدلة قاطعة لإثبات شخصيته ، وحقيقته كروح لا تزال تواصل حياتها هناك .

و. ج. كروفورد

ومنهم أيضاً الدكتور ج. و. كروفورد J. W. Crawford أستاذ الهندسة الميكانيكية بجامعة بلفاست الذى باشر بحوثه بوجه خاص فى دائرة السيدة جوليجر الروحية من سنة ١٩١٥ حتى سنة ١٩٢٠ ، مستخدماً فى تسجيل الظواهر الوساطية الميزان والكاميرا والدينامومتر وجهازاً لتسجيل الأصوات . وقد تبين له أن وزن المنضدة التى كانت ترتفع فى الدائرة من تلقاء نفسها كانت تتحمل الوسيطة منه ٥٪ وجميع الحاضرين الباقى ، وأن مادة غير منظورة كانت تخرج من جسم الوسيطة وتتحول إلى حبال (لفائف) تتفاوت فى صلابتها ويمكنها أن تتشكل بأى شكل . وإذا كان ثقل المائدة كبيراً فإن أغلب هذا الوزن كان يتحول عن طريق هذه المادة إلى الأرض .

وأشهر مؤلفات كروفورد هى « حقيقة الظواهر الروحية »[١] (١٩١٧) ، و« تجارب فى العلم الروحى »[٢] (١٩١٩) ، و « التكوينات الروحية فى دائرة جوليجر »[٣] (١٩٢١) .

وظل كروفورد إلى ما بعد انتقاله إلى عالم الروح مهتماً — شأن غالبية علماء الروح الآخرين — بالحركة الروحية من ذلك الجانب من الحياة . وقد أمكن التقاط بعض صور لروحه ورسائل بخط يده وبتوقيعه على اللوح الحساس ، وقد نشر بعضها العالم الكيميائى ف. و . واريك F.W. Warrick فى مؤلفه « تجارب فى الروحيات » ولنا إليها عودة فى مناسبة لاحقة عندما نتكلم فى « البينة المستمدة من تأثير العقل المباشر فى المادة » .

---

(١) Reality Of Psychic Phenomena.

(٢) Experiments In Psychical Science.

(٣) The Psychic Structures In The Goligher Circle.

ج . و . ديون

ومنهم جون وليام ديون John William Dunne (١٨٧٥—١٩٤٩) الذى صمم أول طائرة حربية بريطانية فى عامى ١٩٠٦ ، ١٩٠٧ وهو من أبرز علماء الرياضة هناك ، وتعد أعماله الفلسفية مقدمة لعلم جديد عن حقيقة الكائنات أو المخلوقات Ontology. ومحور هذه الفلسفة الرياضية الجديدة التسليم ببقاء الحياة بعد الموت كحقيقة علمية مقررة ، وقد وضع فيها ديون نظريات أصيلة اجتذبت انتباه العلماء فى جامعتى لندن وأكسفورد لتحقيق مدى صحتها ، فنجحت جزئياً ولا تزال قيد البحث العلمى. وأهم مؤلفاته فيها « تجربة مع الزمن »[١] (١٩٢٧)، و« الكون المتعاقب »[٢] (١٩٣٤)، و« الخلود الجديد »[٣] (١٩٣٨) ، و « لا شىء يموت »[٤] .

جون هتنجر

من هؤلاء العلماء أيضاً جون هتنجر J. Hettinger وهو دكتور فى العلوم الطبيعية والهندسة الكهربية ، وقد ظل يجرى بحوثه على السيكومترى « قياس الروح أو تعقب أثر الإنسان فى الزمان والمكان » من سنة ١٩٣٤ إلى سنة ١٩٣٨ فى الكلية الملكية King's College بجامعة لندن. وفى عامى ١٩٤٥، ١٩٤٦ قام بسلسلة من التجارب الناجحة عبر المحيط الأطلسى فى التلباثى السيكومترى Psychometric Telepathy بالتعاون مع « جمعية البحث الروحى الأمريكية » ثبتت منها صحة هذه الملكة العجيبة .

وفى هذه التجارب كلف أحد الأشخاص فى نيويورك بأن يتصفح بعض

---

(١) An Experiment With Time.
(٢) The Serial Universe.
(٣) The New Immortality.
(٤) Nothing Dies.

المجلات والنشرات حين كان هناك وسيطان فى لندن يفصل بين أحدهما والآخر عدة أميال ، فنجح كلاهما فى الإنباء عما يفعله الرجل الأمريكى فى نيويورك ، ولم يكن أى واحد من الوسيطين يعلم شيئاً عن طبيعة التجارب التى كان يساهم فيها . وأهم مؤلفات هتنجر «القوة الفوق المدركة»[١] وهو رسالته التى حصل بها على الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة لندن، و«استكشاف القوة فوق المدركة[٢]»، ثم «التلباثى والروحية»[٣] (١٩٥٢) .

هارى برايس

ومنهم الدكتور هارى برايس Harry Price الأستاذ بجامعة أكسفورد، والسكرتير الفخرى لجامعة لندن ولمجلس التحقيق الروحى بها Council For Psychical Investigation . وقد كان برايس فيما مضى من غلاة المعارضين للروحية . لكنه بعد أن بحث الموضوع طويلا بنفسه اضطر للتراجع وأصبح باحثاً ومؤلفاً ممتازاً ، إلى حد أنه انتخب رئيساً لجمعية البحث الروحى بلندن فى سنة ١٩٣٩ إلى سنة ١٩٤١ ، ثم أعيد انتخابه فى سنة ١٩٦٠ — ١٩٦١ .

وقام بإلقاء عدد من المحاضرات عن شتى موضوعات العلم الروحى الحديث فى الإذاعة البريطانية B.B.C. ، منها إذاعات من « منازل مسكونة » لإذاعة ما كانت تسجله الأجهزة المختلفة من تغيرات فى درجات الحرارة ، وأصوات ، وتحركات غير معروفة المصدر . ولنا عودة إلى هذا الموضوع الهام فى فصل على حدة من الباب المقبل .

ولهارى برايس عدد من المؤلفات فى العلم الروحى منها : « كشوف وسيط

---

(١) The Utra — Perceptive Faculty.

(٢) Exploring the Ultra — Perceptive Faculty.

(٣) Telepathy and Spiritualism.

للروح[١] بالاشـــتراك مع عالم الباراسيكولوجي دنجوول E J Dingwall ، و«استلا : بيان عن ظواهر فريدة فى البحث الروحى »[٢] ، و« كتالوج مختزل عن أعمال فى البحث الروحى »[٣] ، و«رودى شنيدر : امتحان علمى لوساطته»[٤] ، و« بيان لتجارب لاحقةمعرودى شنيدر »[٥] ، و«صفحات من سجل روحى»[٦] ، و«خمسون عاماًمن البحث الروحى[٧]» (١٩٣٩) ، و«بحث عن الحقيقة[٨] » (١٩٤٢)، بالإضافة إلى عدد من المؤلفات عن المنازل المسكونة.

المعمل الوطنى للبحث الروحى

والـكلام عن هارى برايس يجرنا حتماً إلى الـكلام فى«المعمل الوطنى للبحث الروحى[٩] » الذى أسسه بنفسه منذ سنة ١٩٢٥ وقد أصبح رئيسه الفخرى فيما بعد لوردساندز Lord Sands، ومديره هـ. ج. بوا H. G. Bois ، وأخذ يصدر عدة مطبوعات دورية تتضمن نتائج بحوثه وتجاربه منها : « الجريدة البريطانية للبحث الروحى[١٠]»، و«مضابط المعمل الوطنى للبحث الروحى[١١]»، و «نشرات

---

(١) Revelations Of A Spirit Medium.

(٢) Stella C. : An Account Of Some Original Experiments In Psychical Research.

(٣) Short Title Catalogue Of Works On Psychical Research.

(٤) Rudi Schneider : A Scientific Examination Of His Mediumship.

(٥) An Account Of Some Further Experimets With Rudi Schneider. وراجع ما سبق عن رودى شنيدر فى ص ٢١٤ — ٢١٦.

(٦) Leaves Form Psychist's Case—Book.

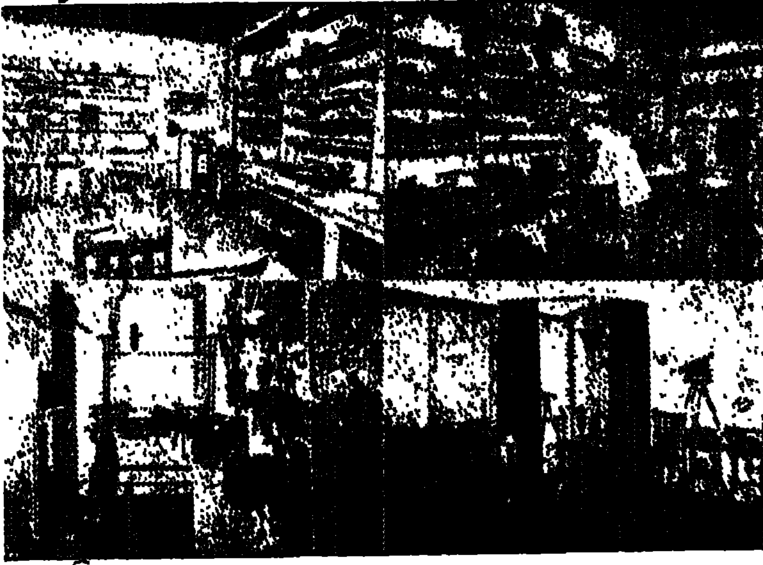
(٧) Fifty Years Of Psychical Research.

(٨) Search For Truth

(٩) National Laboratory of Psychical Research. وعنوانه 13 Roland Gardens, Lodon S W. 7.

(١٠) British Journal of Psychical Rosearch (bi—monthly).

(١١) Proceedings of the N. L. P. R.



أربع صور داخل « المعمل الوطنى للبحث الروحى » التابع لجامعة لندن

هذا المعمل »[١] . وقد ضمت جامعة لندن هذا المعمل وزودته بالأجهزة اللازمة لتحقيق كافة الظواهر الوساطية فأصبح أكبر معمل من نوعه هناك ، ولا تضارعه إلا معامل الباراسيكولوجى فى جامعة ديوك بأمريكا .

وأهم الوسطاء الذين خضعوا لبحوث هذا المعمل حتى سنة ١٩٣٨ :—

أولا وسطاء للظواهر الفيزيقية Physical mediums : منهم جان جوريك Jean Guzik (بولندى) ، وستلا . ك . Stella C. ، وويلى شنيدر[٢] Willi Schneider (نمسوى) ، ورودى شنيدر Rudi Schneider[٣] (نمسوى) ، وستانيسلافا.ب. Stanislawa P.[٤] (بولندية)، ووليام هوب W. Hope (وسيط

---

(١) Bulletins of the N. L. P. R.

(٢) راجع ما سبق عنه فى ص ٢١٣ .

(٣) راجع ما سبق عنه فى ص ٢١٤ — ٢١٦ .

(٤) راجع ما سبق عنها فى ص ١٧٣ .

بريطانى للتصوير الروحى) ، جورج موس G. Moss (وسيط آخر للتصوير الروحى)[1] ، وماريا سيلبرت M. Silbert (من جراز) ، وفريدا ويزل F. Weisl (من جراز) ، وجى ليسترانج Guy L'Estrange ، وإينر نيلزن Einer Nielsen (وسيط تجسد دانمركى)[2] ، وأنا راسموسن Anna Rasmussen (دانمركية) ، وستارجس E. M. Sturgess ، وإليونور زوجون Eleonore Zugun (من فينا) ، ودوجلاس درو Douglas Drew ، وهربرت دير Herbert Dyer ، ومارجرى (العجيبة الثامنـــــة)[3] ، وفردريكماننجز F. Munnings ، وهيلين دنكان H. Duncan ، وباسكال إرتو Pasquale Erto ، وفرانك دكر F. Decker (وسيط تجسد أمريكى)[4] ، والسيدة هندرسون Henderson ، وكلوديبشوب C. Bishop (أودولوريس) ، وماتيلدا سكرزتوسكا M. Skrzetuska ، ولورا برودن Laura A. Pruden ، وهارولد إيفانز H. Evans ، وإيرفنج Irving (وسيطة للتصوير الروحى) ، وكارنيجى Carnegie وغيرهم . . .

ثانياً وسطاء للظواهر العقلية : Mental Mediums : منهم أبيه لامبرت Abbé Lambert ، وجورج فاليانتين G. Valiantine (وهو وسيط للصوت المباشر أيضاً)[5] ، وأنا بيلش Anna Pilch (بولندية) ، وإنجبورج داهل Ingeborg Dahl (نرويجى) ، وبياتريس هاستنجز B. Hastings ، وسان جون

---

(١) لنا عودة تفصيلية إلى وساطة الصور الروحية فى الفصل الذى عنوانه « تأثير العقل المباشر فى المادة » .

(٢) راجع ما سبق عنه فى ص ١٧٧ ، وما سيلى عنه فى الفصل الأول من الباب الخامس .

(٣) راجع ما سبق عنها فى ص ١٧٩ — ١٨٠ .

(٤) راجع ما سبق عنه فى ص ٢٩٢ على لسان إدوين فردريك باورز .

(٥) لنا عودة إليه فى الفصـــل الرابع من الباب الخامس على لسان عالم النفس الإيطالى ارنستو بوزانو .

جيمس، وفلورنس كنجستون F. Kingstone ، و ج. م . لوز G. M. Laws ، وفوت بيترز Vout Peters ، وإيلين جاريت Eileen Garrett[1] ، وكلير كانتلون Claire Cantlon ، وفراولن ستيفي بريشا F. S Breicha ، وسوزانا هاريس كاى S. Harris—Kaye (أمريكية) ، وأوجينى بيكار E. Picquart (فرنسية)، ودكتور آرثرلينش A. Lynch ، والسيدة س (إيطالية) ، وفراولوت بلات Fraw Lotte Plaat ، وجان لابلاس J. Laplace (فرنسية) ، وفراو ليبرمان Frau Libermann (ألمانيــة) ، وستاهل رايت Stahl Wright ، وماريون Marion ، وجين دنيز Gene Dennis ، ومالويتز Maloitz وغيرهم كثيرون.

وقد ساهم فى نشاط هذا العمل عدد من أفضل علماء القرن الحالى ، وأساتذة الجامعات ، وأعضاء الأكاديميات ، من أعلام النفس والفــيزياء والطب والفسيولوجيا ، ومن دول متعددة سواء كأعضاء فى مجلس إدارته، أم محاضرين، أم مراسلين، أم باحثين، ومنهم :ــ سير ريتشارد جريجورى R. Gregory ، ووليام مكدوجال[2] ، ودكتور تليارد، وما كبريد، ولورد رايلى[3] ، وأندراد C. Andrade ، وبوسفيلد Bousfield ، وهيرون ألن Heron Allen ، ورانكين Rankine ، وسير وليام باريت[4] ، وجوليان هكسلى Julian Huxley ، وهانز دريش Hans Driesch (الفيلسوف وعالم النفس النمساوى)، وجود C. F. M. Joad (فيلسوف معاصر)، ودارسونفال D. Arsonval ، وفردريك شلر ، ووليام براون[5] (عالم نفس معاصر) ، وفلوجل (عالم نفس معاصر)[6] ، ودنجوول

---

(١) راجع ما سبق عنها فى ص ٢٨٤ .
(٢) راجع ما سبق عنه فى ص ٢٩٥ .
(٣) راجع ما سبق عنه فى ص ٣٣٥ .
(٤) راجع ما سبق عنه فى ص ٣٣٢ — ٣٣٤ .
(٥) راجع ما سبق عنه فى ص ٣٢٧ .
(٦) راجع ما سبق عنه فى ص ٣٢٨ .

وعشرات من أبرز العلماء فى انجلترا، وفرنسا، وألمانيا، والنمسا، وإيطاليا، وأمريكا، والسويد، واليونان، ممن يضيق المقام عن ذكرهم جميعاً هنا[١].

متابعة للعلماء البريطانيين : هوراس ليف

ومن العلماء البريطانيين الأستاذ هوراس ليف Horace Leaf الذى كان عالماً فى الجغرافيا وعضواً «بالجمعية الملكية الجغرافية» بلندن، وفى نفس الوقت وسيطاً للعلاج الروحى، والسيكومترى، والجلاء البصرى. وقد بدأ بحوثه الروحية منذ سنة ١٩٠٤. وقد ظهر له أول مؤلف روحى فى سنة ١٩١٨ وعنوانه «ماهى هذه الروحية؟»[٢]. ثم ظهرت له عدة مؤلفات منها : «علم النفس وتقدم الوساطة»[٣] (١٩٢٦)، ثم «كريمة أحمد»[٤] (١٩٣٣)، ثم «ماهى الوساطة؟»[٥]، ثم «صبى الكاهن»[٦].

تيريل

ومن هؤلاء العلماء أيضاً الأستاذ تيريل N. M. Tyrrell وقد انضم إلى «جمعية البحث الروحى» بلندن منذ سنة ١٩٠٨ وواصل بحوثه الروحية إلى حين انتقاله إلى عالم الروح فى سنة ١٩٥٢. وله عدة مؤلفات : أهمها «العلم والظواهر الروحية»[٧] (١٩٣٨)، و «الأشباح»[٨] (١٩٤٢) وقد انتخب تيريل رئيساً «لجمعية البحث الروحى» بلندن فى سنة ١٩٤٥ — ١٩٤٦.

---

(١) للمزيد عن نشاط هذا العمل راجع هارى برايس الأستاذ بأكسفورد فى مؤلفه «خمسون عاماً من البحث الروحى» Fifty Years of Psychical Research.

(٢) What Is This Spiritualism?

(٣) Psychology And The Developpement Of Mediumship.

(٤) Ahmed's Daughter.

(٥) What Mediumship Is?

(٦) The Parson's Boy.

(٧) Science And Psychical Phenomena.

(٨) Apparitions.

ونكتفى بهذا القدر من أسماء العلماء والهيئات العلمية التى ساهمت بنصيب ملحوظ فى تطور البحث الروحى وتقدمه فى انجلترا ، كما ننتقل إلى الكلام فى دور بعض رجال الفكر والأدب هناك .

دور المفكرين والأدباء

ثم يجىء دور المفكرين والأدباء ، ممن عرفت لهم البيئات الأدبية حق قدرهم ومكانتهم من الناحيتين الثقافية والاجتماعية . فنجد فى انجلترا عدداً وفيراً من رجال الفكر والأدب والصحافة قد أدلى بدلوه فى موضوع الاتصال بالأرواح وانتهى إلى الاقتناع بصحته ، بعد بحث وتجربة ، بما أدى إلى أن يمسك القلم ويعلن رأيه جهاراً . ومنهم من شعر بخطورة هذا الموضوع وبفائدته العظمى للناس فكرس الشطر الأكبر من جهده وماله لنشر المعرفة الروحية بين مواطنيه ، غير عابىء بسخرية الساخرين من الجهلة ، وما كان أكثرهم ، خصوصاً عندما كانت الكشوف الروحية فى مهدها لا يعرف أغلب الناس عنها شيئاً بعد .

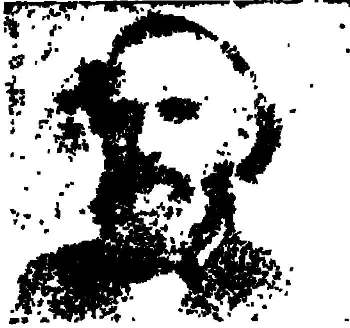
وليام ت . ستيد

فمن أوائلهم اسم لامع فى تاريخ الصحافة والروح معاً هو سير وليام ت . ستيد William T. Stead (١٨٤٩ — ١٩١٢) الذى كان نقيباً للصحافة ومديراً « لمجلة المجلات » Review of Reviews . وكان هو نفسه وسيطاً لروح تدعى أمس جوليا Ames Julia كانت فى حياتها الأرضية أمريكية الجنسية وتعمل محررة فى جريدة نسائية بمدينة شيكاغو[1] ، وانتقلت إلى عالم الروح فى ١٤ مارس ١٨٩٣ . وقد طلبت منه أن يفتتح مكتباً للاتصال بالأرواح مجاناً ، فافتتحه فى ٢٤ أبريل سنة ١٩٠٩ تحت اسم « مكتب

---

(١) اسمها The Woman's Union Signal.

جوليا Julia's Bureau » . وقد أملت عليه الروح جملة خطابات عن عالم الروح نشرت لأول مـرة تحت عنوان « خطابات من جوليـا »(١) فى سنة ١٩٠٨ . وأعيد نشرها فى سنة ١٩٥٢ بمعرفة « نادى الكتاب الروحى(٢) » بعد إضافة عدة خطابات جديدة تحت عنوان « بعد الموت »(٣). وقد ترجم هذا الكتاب إلى أغلب لغات العالم . وترجم حديثاً إلى اللغات اليابانية واليونانية والبولندية .



وليام ت . ستيد

ولم يكن اقتناع ستيد بافتتاح هذا المكتب أمراً هيناً ، فقد ظلت روحه المرشدة تلح عليه لمدى سـنين عديدة مبينة له المزايا التى تعود على الإنسانية منه ، ومحاولة أن تذلل الاعتراضات التى كان يثيرها ذهنه على هذا المشروع الخطير فى عصر مادى صرف ، ومن أقوال جوليا فى هذا الصدد :

« إنكم فى اشتياق لأن تقيموا قنطرة — كما تصف — بين العالمين ، ونحن أكثر منكم اشتياقاً ، ولكن عندما تقول ذلك هل تدرك كل مغزاه؟ وما هو الأثر المترتب على تحقيقه ؟ إن اقتناعى يتزايد يوماً فيوماً بأن ثبوت هذه الحقيقة ، وتوافر اليقين بالصلة بين عالمنا وعالمكم يمكن وصفه بدون أدنى مبالغة بأنه أخطر شىء فى كل ما أمكن للإنسان الفانى أن يحققه من أشياء . فلا يوجد ما يعادله بالنظر إلى الأثر البعيد المدى الذى سيحدثه فى جميع الأمور ، فإنه سيغير

---

(١) Letters From Julia.
(٢) Psychic Book Club.
(٣) After Death.

التفكير ، والتفكير هو الذى يصنع العالم الذى فيه تحيون . ولا يمكن لأى شخص أن يقدر مدى صدق ذلك طالما كان غارقاً فى المادة .

إن ذلك سيغير بؤرة الحياة نفسها ، لأنها فى الوقت الحاضر تنحصر — بالنسبة لغالبية الناس — بين الولادة والوفاة . فهذه البؤرة ستتغير عندما يصبح من الحقائق الثابتة علمياً أننا نحيا هنا ويمكننا الاتصال بكم ، ولا يعود ذلك مجرد احتمال . وإذا ما غيرتم بؤرة الحياة فقد غيرتم مفاهيم جميع الأشياء . . . هذه المفاهيم التى تبدو الآن صحيحة لأن بؤرة الحياة محدودة ضيقة ، لكن لن تصبح كذلك عندما تصبح هذه البؤرة لا حدود لها .

إن التغيير الأساسى الذى سيحدثه «مكتب القنطرة» The Bridge Bureau الذى تريد إنشاءه ، هو زيادة الإحساس بمسئولية الحياة إلى مدى لا يمكن تصوره . قد تظن أنه من الغريب أن يكون التحقق من الحياة الأخرى سبباً فى ازدياد أهمية الحياة الأولى ، لكن هذه هى الحقيقة ، ولا يمكنكم أبداً أن تقدروا مدى أهمية حياتكم إلا إذا نظرتم إليها من هذا الجانب . فأنتم لستم بعيدين عن التأثير فى الأبدية ، وليس ذلك تعبيراً مجازياً . لأنكم تصنعون هذا العالم الذى نعيش فيه فى العالم الذى فيه تعيشون ، وذلك إلى مدى يتجاوز بكثير ما يمكنكم أن تتخيلوه .

إنكم تصنعون حياتكم الأخرى ، نعم وتصنعون حياتكم هنا يوماً فيوماً ، وساعة فساعة .. وإيضاح هذه الحقيقة هو النتيجة «للمكتب القنطرة» . قد تقول إن هذه هى حقيقة جميع الأديان ، لكنكم لا تتمثلونها ، وغالباً ما تتجاهلونها ، فإذا ما أمكننا الاتصال بكم دائما فليس بمقدوركم أن تتجاهلوها بعد الآن ، لأنه لا يوجد تحول فجائى . فأنت هنا كما كنت هناك ، ولا يوجد انقطاع فى الاستمرار ، فأنت تبدأ هنا ما تركته هناك ، وما أنت عليه تظل عليه .

فنتيجة هذا المكتب هى فى رأيى تعميق الإحساس بمسئولية الحياة إلى مدى بعيد وتقويته . وهذا أمر مفيد بغير شك، فإن هذا الإحساس محتاج إلى تقوية . ستجدون أننا نحن الذين على هذا الجانب ، والذين أمكنهم أن يروا ويشعروا ويعلموا أن الله محبة سيخبرونكم أن هذه المحبة هنا كما هى عندكم ليس من طبيعتها أن تمحو الألم والأسى ، وكل ما ينجم عن نقص الإنسان من آثار . فلم نصل إلى الكمال بعد، بل نتجه فقط نحو ندائنا الأسمى هنا كما هى الحال عندكم.

فهل تظن أننا قد وصلنا إلى التمتع بمجد الله كاملا لمجرد أن بيت خيمتنا الأرضى قد نقض ؟ قطعاً لا ، فإذا ما سقط رداؤنا الأرضى فإننا نبقى أحياء . وزيادة هذا الإحساس بالبقاء ، وبحقيقة سيادة الناموس ، وبالمسئولية عن الوقت الذى أمضيناه إزاء الأبدية ، بكل ما يتضمنه ذلك من معانٍ ، هذا هو التغيير العظيم الذى يمكن للمكتب أن يقوم به .

ستكون « جدية الحياة » محددة وعظيمة ، وستصبح الحياة أكثر جدية بكثير مما هى الآن . ولن يوجد فيما بعد هذا العزاء الوهمى الذى تسرب إلى الكثيرين بأن الموت ينهى كل شىء ، فالموت لا ينهى شيئاً ، بل تبدأ به أشياء وأشياء . ولا تدعنى أخيب أملك ، ففى هذه الأشياء الجديدة من خير أكثر مما فيها من شر . وإذا أضاف المكتب إلى تعاسة أولئك الذين لا يعرفون الله اليقين بأنه لا فرار منه — ولا حتى فى القبر — فإنه سيجعل من الكون كله معبداً لله تتوافر محبته حيثما توافر الهواء والضياء » .

ثم تتحدث جوليا عن احتمال تداخل بعض الأرواح الشريرة قائلة : « إن هدف الحياة هو أن نناجى الله الذى فينا وننميه ، وذلك لا يتحقق بأن تسمح لغيرك أن يوجهك الوجهة التى يريدها ، لكنك ستجد أن الهدف الذى رسمه الآب لا يمكن أن يفسده جنون الأبناء على هذا الجانب أو ذاك . إن هاته الأرواح التى ستحاول أن تتدخل أكثر مما ينبغى لتفسد عملنا ستهرب.

منا وستخرج خارجاً ، ويضيع سلطانها ، وهكذا ستسير الأمور فى طريقها الصحيح فى النهاية .

كما ستجد أيضاً أن ثمة أضراراً ستحدث من أن أشخاصاً فى حياتكم الأرضية سيحاولون أن يجعلوا أفكارهم تصاغ لهم هنا بواسطتنا . كما يوجد هنا آباء كثيرون وآخرون على هذا الجانب يعيشون فى لهفة إلى أن يواصلوا استعمال سلطانهم على أولادهم الذى فقدوه بالانتقال . . . فلمَ إذاً تجدنى مهتمة بإنشاء هذا المكتب كما تقول ؟ !

إنى مهتمة بذلك لأن فوائده ستكون أعظم بكثير من أضراره . فإذا أردت أن يكون عندك تليفون فليس معنى ذلك أنك تريد أن يطلبك الناس دائماً أو أن يخبروك بما ينبغى عليك أن تفعله ، إنه على هذا الوضع يصبح محض ضرر ، وهكذا يمكن أيضاً أن يصبح مكتبى . فإذا ما أمكنك أن تحقق الاتصال لمجرد إثبات أن الحياة مستمرة وأن الحب باقٍ ، وأن العالم الآخر على صلة بعالمكم . . . ألا يكفى ذلك ؟ . . لو أن ذلك كان كذلك فحسب ، ولا شىء غيره ، لاستحق العناء لكى يعود قوياً الشعور بالعالم غير المنظور وحقيقة المحبة الخالدة ، إن ذلك يكفى »[١] .

كما تقول أيضاً نفس الروح : « لن تأتى أية روح فى أية درجة من درجات التقدم للاتصال عن طريق مكتبك إلا كيما تؤكد لكم أنه لاتوجد أية لحظة توقف فى دوام الوجود الإنسانى . سيقولون جميعهم لك إن الموت انتقال أكثر منه تحول ، ورغم أن الانتقال هام فإنه لايهدم حياة الروح فى أى معنى من المعانى . جميعهم سيقولون لك ذلك ، وجميعهم سيشهدون بالواقع ، وهو أنهم ظلوا يواصلون الوجود فى حياة واعية لايفصلها أى حاجز عن الحياة السابقة .

---

(١) After Death المرجع السابق طبعة ١٩٥٢ ص ٦٧ — ٧٦ .

بغير شك يوجد تغيير ، لكنه تغيير فى ظروف الحياة أكثر منه فى صفات الإنسان . والذاكرة تبدو أكثر سرعة لاحولا ، والعقل يبدو أقوى بصيرة ..

لن تأتى إليك روح واحدة إلا كيما تقرر لك أن المادة التى تغمركم محض بخار ووهم من صنع العقل يضيع مع الموت ، أما الروح فهى الحقيقة الوحيدة سواء أكانت فى الجسد أم خارجه ، وهذه هى الروح التى تحيا ثم تحيا . وهذان الشيئان : وهما دوام الإحساس الواعى بالذات ، وفراغ المادة معروفان عندهم ، وهما حقيقتان كونيتان . . فحيثما كنا فلن يحدث حطأ فى هاتين النقطتين »[1].

وهكذا ظلت جوليا تلح بعشرات من الخطابات الرائعة على وسيطها ستيد — ولمدة زهاء أربع سنوات — كيما يقبل أن يفتتح « مكتب القنطرة » هذا الذى افتتحه فى النهاية تحت اسم « مكتب جوليا » بعد تردد كبير ومناقشات طويلة بينهما . وكان يعمل به عدد من كبار الوسطاء بصفة منتظمة منهم روبرت كنج R. King ،وفوت بيترز Vout Peters، و ج . ج فانجو J. J. Vango ،والسيدة ويزلى آدمز Wesley Adams . وكان من ضمن الأرواح المرشدة كاترين الثانية قيصرة روسيا .

وكان ستيد ينفق على « مكتب جوليا » حوالى ألف وخمسمائة جنيه سنوياً لمجرد نشر الدعوة الروحية التى وهب لها جزءاً كبيراً من ثروته العريضة . كما أنشأ لها مكتبة عامة، وكان انضمامه إلى الحركة الروحية ودفاعه عنها كسباً كبيراً لها ، لما كان يعرف عنه من نضج عقلى ، ومن بنيان خلقى متين دفعه إلى أن يرفض أن يكون منفذاً لتركة اللورد الثرى سيسيل رودس ، لأنه وجد فيها ما يخالف مبادئه الخلقية رغم ما كانت ستدره عليه من دخل سنوى كبير .

وكان يصدر أيضاً جريدة ربع سنوية متخصصة فى موضوع الأرواح اسمها

---

(١) « بعد الموت » After Death المرجع السابق ص ٧٦ — ٨٢ .

« الأرض المجاورة »[1] ظلت منتظمة لمدة أربع سنوات ، ابتداء من سنة ١٨٩٤ وصدر آخر أعدادها فى أكتوبر سنة ١٨٩٧، ثم توقفت بعد ذلك بتوقف رسائل روحه المرشدة لفترة من الوقت . ثم عادت الصلة من جديد بين ستيد وروحه المرشدة ، وظل على صلة وثيقة بها عن طريق الكتابة التلقائية . وآخر رسائلها له كانت فى ١١ أكتوبر سنة ١٩٠٨ ، أى أن صلتهما ظلت قائمة لمدة حوالى خمس عشرة سنة . وبعد انتقاله التقى بها هناك ، وأخذا يواصلان معاً إرسال الرسائل من جديد إلى هذا المكتب الذى أعيد افتتاحه فى سنة ١٩١٤ تحت اسم « مكتبة ستيد ومكتبه» W. T. Stead Library and Bureau ، وكان عنوانه حتى سنة ١٩٢٧ هو ٥ ميدان سميث وستمنستر بلندن 5. Smith Square, Westminister .

وقد انتقل ستيد إلى عالم الروح فى حادثة غرق الباخرة تيتانيك فى شهر أبريل من سنة ١٩١٢ بعد اصطدامها بجبل من الثلج فى شمال المحيط الأطلسى بخطأ من قبطانها سميث الذى غرق معها[2]. وظل بعد انتقاله يراسل عالم المادة بخطابات كثيرة ، وبكتاب كامل أملاه على الوسيط باوردى ودمان عنوانه « الجزيرة الزرقاء »[3]، وقد ترجمه إلى العربية الأستاذ عبد الحميد فهمى مطر تحت عنوان

---

(١) Borderland.

(٢) من غرائب الاتفاق أن سير ستيد كان لديه هاتف غامض بمصيره الأليم هذا قبل حدوثه بعشرين عاماً تقريباً. ففى عدد يناير ١٨٩٣ من جريدته الخاصة « مجلة المجلات » كتب قصة كان من المفروض وقتئذ أن تكون محض خيال عنوانها « من العالم القديم إلى العالم الجديد » تدور حول أخطار الجبال الثلجية فى شمال المحيط الأطلسى وتصف غرق باخرة ضخمة اسمها « ماجستيك » بخطأ من قبطانها « سميث » وتصف كيف أصبح المحيط قبرا لركابها .
ومن الغريب أن هذا هو ما حدث له بالضبط فى سنة ١٩١٢ عندما غرقت أكبر بواخر العالم وقتئذ وهى « تيتانيك » بحوالى ١٦٠٠ من ركابها أصبح المحيط الأطلسى قبراً لهم. وأغرب ما فى الموضوع أنه اتضح أن اسم قبطان الباخرة الغارقة «تيتانيك» هو نفسه «سميث» الوارد فى قصة ستيد المنشورة فى جريدته منذ سنة ١٨٩٣ ، على أنها محض خيال خصب .

(٣) The Blue Island.

« ميت يتكلم » . وقامت بنشر هذا الكتاب كريمته اسنيل ستيد بمقدمة من سير آرثر كونان دويل يشهد فيها — كناقد أدبي — بمطابقة أسلوب الكتاب لأسلوب ستيد ، ومعه صورة روحية التقطت له فى دائرة كرو فى سنة ١٩١٥ . وسنعرض على القارىء بعض صفحات من هذا الكتاب الرائع فى الجزء الثانى فى الفصل الذى خصصناه لوصف عالم الروح ، ثم فى الفصل الذى خصصناه لمشكلة « الخلق والضمير » كيا نبين كيف يعالج ستيد دور الضمير هناك — بعد أن لمسه بنفسه — بطريقة الكاتب القدير ، والإنسان اليقظ الضمير .

آرثر كونان دويل

ومن هؤلاء الأدباء الكبار سير آرثر كونان دويل Arthur Conan Doyle (١٨٥٩ — ١٩٣٠) الذى كان طبيباً ، وفى نفس الوقت أديباً وخطيباً وقصصياً ذائع الصيت . ولعل كثيراً من القراء قرأوا له بعض قصصه عن شارلوك هولمز والدكتور واطسن ، وكان يتحدث فيها أحياناً عن الأرواح والأشباح ، لأن له تجارب معها دامت لمدى أكثر من ثلاثين عاماً ، ودفعت دويل إلى تأليف كتبه الشائقة فيها التى أهمها : « الوحى الجديد »(١) (١٩١٨) ، و « الرسالة الحيوية »(٢) (١٩١٩) ، ثم « مغامرتنا الأمريكية »(٣) (١٩٢٣) ، و « مغامرتنا الأمريكية الثانية »(٤) (١٩٢٤) ، وفيهما مجموعة خطب ومحاضرات كان قد ألقاها فى أمريكا عندما زارها داعياً لهذا الموضوع . ثم كتاب « البينة على التصوير الروحى »(٥) (١٩٤٢) ، و « تاريخ الروحية »(٦) فى جزئين كبيرين

---

(١) The New Revelation.
(٢) The Vital Message.
(٣) Our American Adventure.
(٤) Our Second American Adventure.
(٥) The Evidence For Spirit Photography.
(٦) The History Of Spiritualism.

(١٩٢٦) ، وكتاب « جولات روحي »[١] (١٩٢٦) ، و« قدوم الجنيات »[٢] ، فضلا عن بعض القصص الروحية مثل قصة « أرض الضباب »[٣] (١٩٢٦) .

كما قام دويل بنشر عدد من الكتب والرسائل الواردة من عالم الروح ، منها مثلا « القارىء الروحى »[٤] الذى قدم له بمقدمة يقرر فيها أن القارىء سيؤخذ ولا شك بالمستوى الرفيع لهذه الرسائل ، وبتوافقها الواضح فى الكليات مع أنها استمدت من مصادر متعددة .


آرثر كونان دويل

وقد قام دويل بدور هام فى إنشاء « الكلية البريطانية للعلم الروحى »[٥] بالاشتراك مع سير وليام باريت ، الذى تحدثنا عنه آنفاً ، وكان مديراً لها فى وقت ما .

واختير عضواً منذ سنة ١٩٠٢ فى « جمعية البحث الروحى S. P. R. » التى تحدثنا عنها أيضاً ، وأصبح رئيساً شرفياً منذ سنة ١٩١٥ « للاتحاد الدولى للروحيين[٦] » ، ورئيساً شرفياً « للاتحاد الأهلى للروحيين » بلندن[٧] ، و « الاتحاد اللندنى للروحيين[٨] » .

---

(١) Wanderings Of A Spiritualist.

(٢) The Coming Of The Fairies.

(٣) The Land Of Mist.

(٤) The Spiritualist's Reader.

(٥) British College Of Psychic Science. وعنوانها كالآتى : 15 Queens Gate London S.W. 7.

(٦) International Spiritualist Federation. ومقره الرئيسى بباريس : 8 Rue Copernic وله فروع فى شتى أنحاء العالم .

(٧) Spiritualist National Union.

(٨) London Spiritualist Alliance. وعنوانه : 16, Queensberry Place, South Kensington S. W.

وقد تأثر دويل بويلات الحرب العالمية الأولى إلى المدى الذى دفعه إلى أن يهب للدعوة الروحية بقية حياته ، إيماناً منه بأنها دعوة سلام ومحبة وإخاء بين جميع الأجناس والأوطان والأديان، كما هى دعوة عزاء واطمئنان . فأخذ منذ سنة ١٩١٨ — وكان قد أشرف على الستين من عمره — يلقى المحاضرات تباعاً فى موضوع الاتصال بالأرواح هذا وثبوت الحياة بعد الموت . فسافر إلى استراليا ونيوزيلندا لهذا الغرض فى سنتى ١٩٢٠ ، ١٩٢١، ثم إلى أمريكا فى سنة ١٩٢٢، ثم إلى أوربا وجنوب أفريقيا فى سنة ١٩٢٨ . وأصبح — بسبب رحلاته هذه — يطلق عليه لقب « قديس بولس الروحية » إذ أن القديس بولس معروف أيضاً برحلاته الكثيرة بين الرومان واليونان لتعريفهم بعقيدته الجديدة .

وبالإضافة إلى نشاطه فى البحث والتأليف والخطابة ، أسس دويل فى سنة ١٩٢٥ « المتحف الروحى» بلندن Psychic Museum كيما تعرض فيه صور فوتوغرافية للأرواح ، ولوحات وكتابات للوسطاء الروحيين ، ومجلوبات روحية ، ونماذج من تجسدات الأيدى والأعضاء ، وغير ذلك ، على أن تقدم من هيئات موثوق بها ، وهو متحف دائم ويعتبر الوحيد من نوعه فى العالم وملحقة به مكتبة روحية[1] . وقد انتقل دويل إلى عالم الروح فى سنة ١٩٣٠ عن واحد وسبعين عاماً .

وبعد انتقاله ظل يشرف على بعض الدوائر الروحية وتلقى منه الكثيرون معلومات هامة دقيقة، كما أمكن لبعض الباحثين أن يلتقط له صوراً . ومن هؤلاء الأسقف شارل تويدل Charles Tweedale رئيس أساقفة يوركشير الذى نشر صورة له التقطها بنفسه — وفى داخل منزله — وبوساطة زوجته وكريمته ، كما نشر

---

(١) وعنوان هذا المتحف كالآتى :

Abbey House, Victoria Street, Close To Westminister Abbev.

أنباءه فى مؤلف عنوانه « أنباء من العالم الآخر » (١) ، ومعه صور كثيرة لأشخاص آخرين مع أنبائهم هم أيضاً .

كما فعل مثل ذلك العالم الكيميائى المعاصر واريك Warrick الذى نشر أنباء أخرى لدويل مع مناظر متعددة لعالم الروح أرسلت بمساعدته فى مؤلف له عنوانه «تجارب فى الروحيات» (٢)(١٩٣٨)قدم له سير أوليفر لودج مدير جامعة برمنجهام شاهداً بدقة المؤلف ، و بطريقته الجادة الأمينة فى البحث الروحى ... فما رأى السادة المعارضين حتى الآن ؟ . . إن البينات كثيرة وأكثر بكثير مما يلزم للراغب فى الاقتناع الموضوعى المحايد .

كذلك أملى كونان دويل بعد انتقاله على الوسيطة جريس كوك Grace Cooke رسائل كثيرة تتميز كلها بنفس أسلوبه الجذاب وطريقته الشائقة المعروفة التى يعرفها أى ناقد أدبى ، وفى بعضها يقول : « وُصفت أثناء حياتى الأرضية بأننى صاحب رسالة ، وها أنا ما زلت أتمم هذا العمل لسكان الدنيا ولو اختلفت الوسائل عن تلك التى تعودت اتباعها . ما أصعبها من مهمة ، مهمة الاتصال مع الأرض وسكانها ! إن كل شىء يختلف عما كنت أنتظره ...

عند ما ينتقل المرء من العالم الكوكبى يخلع المحارة أو الرداء الذى كان يضم النفس عند حياتها الأرضية . هذا الرداء يظل فى العالم الكوكبى الذى نموت فيه (يتحدث عن الموت الثانى) لكى نرتفع إلى حياة روحية حقة . . . ويجب أن ندرك أن نسبة كبيرة من الناس الذين يعيشون فى العوالم الكوكبية ليست لهم رغبة بالمرة فى العودة إلى الأرض لأنهم لم يعودوا يهتمون سواء بتقدمها أم بالناس الذين تركوهم عليها . وهذا هو السبب فى أنه لا يجب على كل إنسان أن يبحث أو يحاول الاتصال بالقوة بين عالمه والعالم الذى تسمونه عالم الأموات .

(١) News From The Next World.
(٢) Experiments In Psychics.

إن الروحية فى العالم ينبغى أن تتطور فى المستقبل . ينبغى أن تتغير من حالتها الراهنة من اللهو والمداعبة بين الإنسان والنفوس المنتقلة ، حيث تثار فيها الذكريات الشخصية للمتع والحوادث الدنيوية ، إلى تفاهم أتم بين النفوس يؤدى إلى التعرف على الحاجيات الروحية لكل نفس . إنى أريد أن أكشف لكل أصدقائى بكل ما أوتيت من قوة روحى الحديثة الانطلاق عن الرجل الجديد الذى هو دويل . إنى لم أعد أهتم بعد بكل تفاصيل الحياة الدنيوية ، اللهم إلا إذا كانت هذه تؤثر فى التقدم الروحى للشخص المقصود . وليس فى إمكانى مساعدة شخص على النجاة بإخباره بالأسس التى تقوم عليها الحياة الروحية .

« نعم نعم إن دويل القديم يبدو أنه انتقل ، ولكن سوف أبرهن لكم جميعاً أننى عندما أموت أعيش من جديد ... نعم وأنه ليس هناك طلاء يترك على الإنسان عندما يمر من الموت الثانى ، فروحه الصافية هى التى تبقى بعد تلك التجربة العليا ، آه ولكن تلك هى اليقظة الثانية بالنسبة لى . وعندئذ أصبحت داعياً لشىء واحد فقط ، ويالالعجب لشىء واحد فقط ، وهو اللانهائية الكلية لمحبة الله لى ولكل البشر .

« وفى تلك اللحظة العليا أدركت أنه لا يوجد شىء اسمه الوجود المنفرد عن الله ، لأنه فى تلك اللحظة تموت الشخصية التى تفصل الإنسان عن الله وتولد له شخصية من جديد . لقد رأيت أمامى كتلة متدفقة من الحياة ، ومن الوجود الروحى الذى انتقلت إليه كل نفوس البشر الذين عاشوا فى طهر وفى إنكار للذات .

« إنى لا أريد إفساد معتقدا تكم فى الروحية ، وإنما أحاول وضع فهم أكثر عمقاً وحكمة ودقة للحق المبين للحياة بعد الموت . إن ثمة أناساً ممن ينتقلون من عندكم يكونون فى حالة إنهاك عقلى وروحى ، وبذا يعيشون أزمان طويلة كما لو كانوا فى حلم ، وبعض النفوس الأخرى يخترق العوالم السفلية بسرعة ويرمى بالجسم الكوكبى الثقيل ثم يدخل ملكوت السموات . تذكروا أنه فى حالة وعى كهذا

فقط تواجه النفس البشرية بحكمها أو بالله ، وعندما تواجه بهذا الحكم الذى ما هو إلا إدراك النفس على حقيقتها يصبح الإنسان قادراً على النظر فى أعماق ذاته مرة واحدة وإلى الأبد ...

... أنا لا أحب أن أتكلم الآن بلفظ « أنا » لقد أصبحت « نحن » بدلاً منها ، وهذا هو شعور كل من يدخل إلى مملكة الحياة الروحية حيث لا انفصال بينه وبين إخوانه ولا بينه وبين الله . وعندئذ سوف يعلم الإنسان أنه لا يستطيع التفكير أو الكلام أو العمل منفرداً بنفسه ، لأن كل فكرة أو كلمة أو عمل له تأثير فى المجموعة كلها ... » (١) .

هذا وقد أذاعت محطات الإذاعة فى بريطانيا واستراليا فى سنة ١٩٥٣ خطبة كاملة لروح سير آرثر كونان دويل مسجلة على شريط ، عن طريق وساطة الصوت المباشر استغرقت إذاعتها مدة خمس وأربعين دقيقة .

إرنست أوتن

كان الأديب الكبير إرنست أوتن Ernest Oaten هو الساعد الأيمن لسير آرثر كونان دويل أثناء حياته فى الدعوة للروحية الحديثة ، وكان المنظم لرحلاته فى البلاد المختلفة . ويرجع إليه جزء كبير من الفضل فى إنشاء « الاتحاد الوطنى للروحيين » Spiritualist National Union ، الذى أصبح رئيسه فى سنة ١٩١٥ . وفى سنة ١٩١٩ تولى رئاسة تحرير جريدة العالمين The Two Worlds الروحية ، وظل يشغل هذا المنصب حتى سنة ١٩٤٥ حين خلفه فيه الأستاذ إرنست تومسون Ernest Thompson الذى سيرد ذكره فيما بعد .

وقاد أوتن حملة مدوية فى البرلمان البريطانى فى سنة ١٩١٦ للاعتراف بالوساطة

(١) ترجمة الدكتور على راضى فى « أرواح مرسلة » ص ٧٨ — ٨١ .
وراجع فى هذا الشأن كتاب « عودة آرثر كونان دويل » Ths Return Of Arthur Conan Doyle للأستاذ إيفان كوك (١٩٥٦) .

الروحية وتنظيم ممارستها ، كما دافع عن قضاياها فى كل مناسبة ، ومثل الروحية فى اللجنة التى شكلها أسقف كنتربرى ، وقام بإلقاء عدة محاضرات فى الإذاعة البريطانية عن موضوع الأرواح . وينظر إليه هناك كرائد للتفكير الروحى ولفلسفاته . وأهم مؤلفاته « ما أومن به » (١) و « الصلة بين الروحية الحديثة والمسيحية » (٢) .

ألفرد كيتسون

ومن أبرز الرواد الأوائل للحركة الروحية فى انجلترا الأستاذ ألفرد كيتسون Alfred Kitson (١٨٥٥ — ١٩٤٣ .) وقد حمل لواء الدعوة لنشر المعرفة الروحية بين الأطفال والأولاد ، وكان ذلك قد بدأ فعلا منذ سنة ١٨٦٦ بافتتاح الأستاذ ج . هيتشكوك J. Hitchcock أول مدرسة روحية للأولاد . ثم بافتتاح مدرسة ساوربى Sowerby Bridge Lyceum فى سنة ١٨٧٠ ، فدعا كيتسون لإنشاء مدارس مماثلة للأطفال حتى تعدهم الإعداد الروحى المطلوب ، كيما يحسنوا فهم الحياة على المستويين المادى والروحى أيضاً ، وبدأ منذ سنة ١٨٨٢ فى تدريس الروحية فى مدرسة باتلى كار Batley Carr Lyceum ووضع لها منهاجاً مماثلا للمنهاج الذى وضعه لمثل هذه المدارس فى أمريكا رائد الروحية أندرو جاكسون دافيز A. J. Davis (٣)



ألفريد كيتسون

(١) What I Believe.

(٢) The Relation Of Modern Spiritualism To Christianity.

(٣) راجع ما سبق عنه ص ٢٠٠ — ٢٠٢ .

وقد نجحت حركة إنشاء مدارس روحية فى مستوى المدارس الثانوية للأولاد والبنات إلى الحد الذى اقتضى عقد مؤتمر فى برادفورد فى سنة ١٨٨٦ حين ظهرت الحاجة إلى كتاب مناسب يدرس فى هذه المدارس A Liceum Manual، والتى تبلورت عن ظهور هذا الكتاب من تأليف كيتسون وكيرزى Kersey فى سنة ١٨٨٧ .

وبفضل جهود كيتسون أيضاً تأسس « الاتحاد البريطانى للمدارس الروحية[١] » بمدينة أولدهام فى سنة ١٨٩٠ ، وظل كيتسون سكرتيراً لهذا الاتحاد لمدة تسعة وعشرين عاماً . ويوجد هناك من يطالب بجعل العلم الروحى إجبارياً فى جميع المدارس ، وذلك إيماناً منهم بأن التعليم الذى لا يكشف عن الروح ، ولا يمهد للإنسان أن يعرف نفسه جيداً ، إنما هو تعليم ضال يقوم به عميان يقودون عمياناً . ولأن الطفل الذى يلقن أن الإنسان مجرد حيوان راقٍ لن يحاول استطلاع نفسه فى المستقبل ، ولن يحاول التسامى إلى مستواه الحقيقى الذى أعدته له طبيعته الروحية الحقة .

هانن سوافر

ومن الكتاب البريطانيين الذين كانوا من أعلام الروحية الأستاذ هانن سوافر Hannen Swaffer الذى كان مثل سلفه ستيد نقيباً للصحافة ، وانتقل إلى عالم الروح فى يناير سنة ١٩٦٢ . وقد اقتنع بصحة موضوع الأرواح بعد جلساته مع وسيط الصوت المباشر دنيز برادلى Dennis Bradley فى سنة ١٩٢٤ . ومنذ هذا التاريخ أخذ يواصل البحث ويعقد جلسات دورية منتظمة فى منزله إلى حين انتقاله . وكان من أهم وسطائها الأستاذ موريس باربانيل Maurice Barbanell الوسيط للروح الحكيم سيلفر بيرش Silver Birch

---

(١) The British Spiritualist's Lyceum Union.

(أى الشجرة الفضية) وهى التى كانت تتولى الإرشاد الدائم فى دائرة هانن سوافر المنزلية [١].

وشأن آرثر كونان دويل كان هانن سوافر خطيباً مفوهاً أخذ على عاتقه أن يحاضر فى الروحية جاعلاً منها موضوعاً شعبياً . وبعد انتقال « دويل » إلى عالم الروح انتخب هانن سوافر خلفاً له كرئيس شرفى « للاتحاد الوطنى للروحيين S. N. U. » . وكان هانن سوافر اشتراكياً متحمساً لاشتراكيته ، معتقداً أن الروحية والاشتراكية مذهبان يكمل أحدهما الآخر . وكانت مكانته فى الحركة الاشتراكية ذات قيمة كبرى فى الكفاح لأجل الحرية الدينية فى البلاد الاشتراكية .



هانن سوافر

وأهم مؤلفاته فى موضوع الأرواح « عودة نورثكليف [٢] » (١٩٢٤) وفيه يتحدث عن عودة روح « ملك الصحافة » ، و « مغامرات مع الإلهام [٣] » (١٩٢٩) ، و « دراسات فى علم النفس [٤] » (١٩٣٣) ، و « قصتى العظمى [٥] » (١٩٤٤) ، كما ظهر له مؤلف آخر عنوانه « أحاديثى مع الموتى » [٦] . هذا وقد عقد اليوبيل المئوى للعلم الروحى احتفاله التاريخى بقاعة ألبرت تحت رئاسته .

---

(١) راجع عن هذه الدائرة كتاباً للأستاذ و . أوستن عنوانه .
W Austen : Home Circle (of Hannen Swaffer).

(٢) Northcliffe's Return.

(٣) Adventures With Inspiration.

(٤) Studies In Psychology.

(٥) My Greatest Story.

(٦) My Talks With the Dead.

وقد أسهم هانن سوافر فى نشر فلسفة الروح الحكيم «سيلفر بيرش» أى الشجرة الفضية التى أشرنا إليها آنفاً ، والتى تعد حالياً أبرز روح مرشدة فى العالم بسبب آرائها التى تمتاز بجمالها وبعمقها مع بساطتها . وهى تعالج مشكلات الأرضيين وآلامهم وتجيب على أسئلتهم فى تدفق، وبلاغة، وبساطة ، مما جعل هذه الكتب تترجم إلى أغلب لغات العالم الحية وتطبع تباعاً .

وأهم كتبها « تعاليم سيلفر بيرش[١] » ، و « تعاليم أخرى لسيلفر بيرش[٢] » ، و «حكمة سيلفر بيرش[٣] » ، و « حكمة أخرى لسيلفر بيرش[٤] » ، و « سيلفر بيرش يتحدث[٥] » ، و « سيلفر بيرش يتحدث ثانية[٦] » ، و « باقة سيلفر بيرش[٧] » ، و « إرشاد من سيلفر بيرش[٨] » ، و « إلى الروح الأعظم[٩] » ، وهو يتضمن مجموعة صلوات ودعاءات رائعة...

كما أسهم فى نشر هذه الفلسفة أيضاً وسيط هذه الروح وهو الأديب المعاصر الأستاذ موريس باربانل Maurice Barbanell — ولنا إليه عودة فيما بعد — والأديبة سيلفيا باربانل Silvia Barbanell . كما سنشير فيما بعد إلى بعض نبذات من أقوال هذه الروح فى الجزء الثانى فى الباب الذى خصصناه لمعالجة « بعض المشكلات الفلسفية فى ضوء العلم الروحى الحديث » .

---

(١) Teachings of Silver Birch.
(٢) More Teachings of Silver Birch.
(٣) Wisdom of Silver Birch.
(٤) More Wisdom of Silver Birch.
(٥) Silver Birch Speaks.
(٦) Silver Birch Speaks Again.
(٧) Silver Birch Anthology.
(٨) Guidance From Silver Birch.
(٩) To The Great Spirit.

واليس

كان ا . و . واليس E. W. Wallis (١٨٤٨ — ١٩١٤) أديباً باحثاً ، ووسيطاً للإلهام وللغيبوبة ، وخطيباً ، ومعالجاً روحياً . وقد تولى رئاسة تحرير جريدة العالمين The Two Worlds منذ أصدرتها في سنة ١٨٨٧ الرائدة الروحية إيما هاردنج بريتين Emma Hardinge Britten حتى سنة ١٨٩٩ حين ترك منصبه هذا كيما يصبح رئيساً لتحرير جريدة لايت Light الروحية ، وظل يشغل هذا المنصب الأخير حتى تاريخ انتقاله إلى عالم الروح في سنة ١٩١٤ .

وكانت لواليس عدة أرواح مرشدة: منها لايتهارت Lightheart ، وستاندارد بيرر Standard Bearer ، وليدر Leader ، وتوم جويس Tom Joyce وغيرها. وكانت زوجته وسيطة أيضاً ، بدأت وساطتها في الظهور منذ سنة ١٨٧٢ عندما كانت في الثامنة عشرة من عمرها. وعملت وسيطة منذ سنة ١٨٧٥ « لمعهد جيمس بيرنز الروحي »[١] ، كما خضعت لتجارب « اتحاد الروحيين اللندني »[٢] . ومن أهم أرواحها المرشدة فيناجوري Veina Goree وموراامبو Morambo .

وأهم مؤلفات واليس « الروحية مشروحة »[٣] . وله عدة مؤلفات أخرى بالاشتراك مع زوجته وهي : « الدليل إلى الوساطة »[٤] ، و « المرشدون بالروح »[٥] ، و « الروحية في الإنجيل »[٦] . ولزوجته بمفردها مؤلف

---

(١) James Burnes Spiritual Institution.
(٢) London Spiritualist Alliance.
(٣) Spiritualism Explained.
(٤) Guide To Mediumship.
(٥) Spirit — Guided
(٦) Spiritualism in the Bible.

بالإلهام الشعرى عنوانه « كما يجيئون » (١) .

إرنست تومسون

ومنهم أيضاً باحث قدير وهو إرنست توموسون Ernest Thompson رئيس تحرير جريدة العالمين The Two Worlds . ومن أهم مؤلفاته « تاريخ الروحية الحديثة وأسسها العلمية » (٢) . وفى هذا المؤلف يربط تومسون بين أسس علم الروح الحديث وبين مبادىء العلوم المادية . فهو يوضح تأييد الفيزياء له من نواحى الحركة والكهربائية والمغناطيسية والضوء والحرارة والصوت والطاقة والفعل والجاذبية والتناسق والنسبية . وفى الكيمياء من نواحى التمثيل الغذائى والذرة وحالات المادة والتركيبات العضوية وغير العضوية . وفى الفسيولوجيا من نواحى وظائف الأعضاء والأعصاب والمخ والروح . وفى البيولوجيا من نواحى نظرية التطور والانتخاب الطبيعى فى الحيوان والإنسان والروح . وفى علم النفس من نواحى البيئة والغرائز والانعكاسات والطاقة والجنس والتحليل النفسى . وحتى المشاعر التى يعانيها الإنسان المريض نفسانياً ، والوظائف الاجتماعية للعقل والإحساس بالمجهول والتنويم المغناطيسى والتلباثى والأحلام ، وكل ذلك فى مقدرة واطلاع كافٍ فى هذه العلوم .

ومن مؤلفاته أيضاً « تعاليم الروحية » (٣) ، و « ظواهر الروحية » (٤) ، و « علم الروحية » (٥) ، و « العلم فى عون الروحية » (٦) ، و « الاتصال

---

(١) As They Come Through.

(٢) History of Modern Spiritualism And Its Scientific Foundations.

(٣) The Teachings Of Spiritualism.

(٤) The Phenomena Of Spiritualism.

(٥) The Science Of Spiritualism.

(٦) Science An Aid To Spiritualism.

الالـكتروني»[1]، و « الأسس المستقبلة للروحية »[2]، و « الروحية في تطور الدين »[3]، و « الروحية في تطور الفلسفة »[4] .

جون لوب

ومن أعلام الروحية أيضاً الأستاذ جون لوب John Lobb (ولد في سنة ١٨٤٠) وقد بدأ حياته راعياً دينياً معتنقاً مذهب المثوديست Methodist Ministry ولـكنه انتقل بعد ذلك إلى الأعمال الاقتصادية والصحافة، فأسس في سنة ١٨٧٠ صحيفة شهرية ، ثم أصبح من ضمن أصحاب جريدة « العصر المسيحي » Christian Age ومساعداً لرئيس تحريرها لمدة أكثر من ثلاثين عاماً .

وله تجارب مثابرة في منزله الخاص — إذ كان هو نفسه وسيطاً للـكتابة التلقائية — وقد امتدت لسنين كثيرة قبل أن يعلن اقتناعه بالروحية . كما كانت قرينته — وهي من أصل أسباني — وسيطة للجلاءين السمعي والبصري معاً ، ولهما معاً تجارب في التجسد وفي العلاج الروحي .

وله مؤلفان يمثلان ثمرة تجارب هذه السنين الـكثيرة : أولهما يدعى « أحاديث مع الموتى »[5] (١٩٠٦) ويتضمن أحاديث مع أرواح بعض المعروفين ممن انتقلوا إلى الجانب الآخر من الحجاب، ومنهم غلادستون W E Gladstone، وشكسبير ، وتشارلز ديكنز ، وتوماس كارليل ، وتشارلس كنجسلي Ch. Kingsley ، والشاعر لونجفلو Longfellow ، وستيوارت ميل ، وماري ملـكة اسكوتلندا ، وريتشارد فاجنر ، وآخرين غيرهم ، وذلك بالإضافة

---

(١) Electronic Communication.
(٢) The Future Basis Of Spiritualism.
(٣) Spiritualism In The Evolution Of Religion.
(٤) Spiritualism In The Evolution Of Philosophy.
(٥) Talks With The Dead.

إلى بعض صور لأرواح متجسدة وغير متجسدة. ولهذا الكتاب ترجمة ألمانية(١).

وثانى مؤلفات جون لوب يدعى « الحياة المشغولة بعد الموت »(٢)(١٩٠٩) ويتضمن رسائل كثيرة لعدد من الأرواح تلقاها المؤلف عن طريق الكتابة التلقائية ، كما يتضمن صوراً لبعض أرواحه المرشدة تلقاها على الألواح الحساسة فى منزله . وبه معلومات كثيرة عن وصف الحياة فى عالم الروح ومشاغل الأرواح .

بول ميللر

ومن بحاث الروحية الثابرين أيضاً الأستاذ بول ميللر Paul Miller ، وأهم مؤلفاته فيها ، و « موكب الروح »(٣) ، و « عدو الجنس البشرى(٤) » ، و « العلم فى غرفة الجلسات »(٥) ، و « موتى الحرب يعودون »(٦) . وقد درس موهبة العلاج الروحى وألف فيها كتاباً تحت عنوان « ولد كيما يعالج »(٧) تناول فيه وساطة المعالج هارى إدواردز Harry Edwards .

وعن مؤلفه « وجوه الموتى الأحياء » الذى ظهرت طبعته الأولى فى سنة ١٩٤٣ نقدم فيما يلى بالصور بعض نماذج عن نتائج التحقيق الذى أجراه مع الرسام الروحى فرانك ليه Frank Leah المعروف بأنه وسيط للجلاء البصرى يرى الأرواح التى لا يعرف أصحابها ويرسمها واضحة ، والذى اقتضى من ميللر مثابرة فى عشرات من التجارب الناجحة .

---

(١) بعنوان Gespräche Mit Den Toten.
بمعرفة إرنست فيدلر من ليزج Ernst Fiedler.
(٢) The Busy Life Beyond Death.
(٣) Cavalcade Of The Spirit.
(٤) The Enemy Of Mankind.
(٥) Science In The Seance Room.
(٦) The War Dead Return.
(٧) Born To Heal.

بعض نماذج من رسوم الأرواح الغير المنظورة

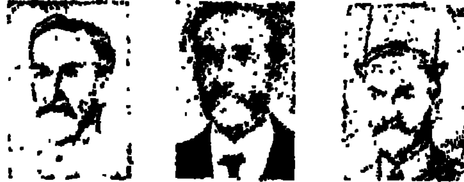


The first psychic drawing (left) is of a Person who "died" [illegible]. Normal photograph (centre) shows the [illegible]. The second psychic drawing (right) shows him wearing [illegible] bandage during his last illness. (See page [illegible])





Psychic drawing of Ann Hill (See page 15) Photograph of Ann Hill



The first picture is a spirit drawing of the man in the middle. The third picture is also a psychic drawing when he posed in his top hat to show how well-dressed he was when he went to work. (See page 15)

بعض رسوم روحية لوجوه « الموتى الأحياء » كما رسمها رسام الأرواح فرانك ليه Frank Leah تحت الرقابة العلمية ، وقام بمطابقتها على صور فوتوغرافية لهم البحاثة بول ميللر فى مؤلفه Faces Of The Living Dead .

والرسام لا يعرف أصحاب هذه الرسوم وقام بتحقيق وساطته عدد آخر من الباحثين فجاءت نتائج تحقيقهم إيجابية أيضاً (راجع مثلاً التحقيق الإيجابى المنشور فى جريدة سايكك نيوز عدد يونية سنة ١٩٦٤ رقم ١٦٧٤) .

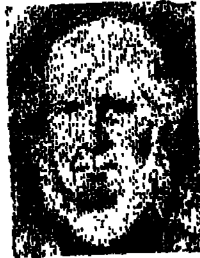
نماذج أخرى من تحقيق وساطة فرانك ليه رسام الأرواح



Psychic drawing of the Rev. G.Gibson Gunn.



Photograph of the same man.



Psychic drawing of John Millard



Photograph of John Millard.



Psychic drawing of the stranger.



Photograph of the stranger.



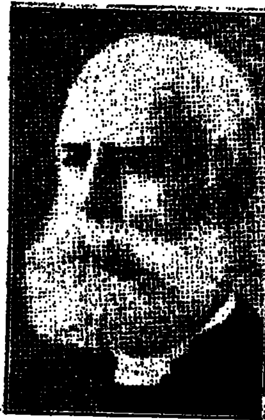
صورة فوتوغرافية أثناء الحياة الأرضية للسيد تفرسون Teverson كما عثر عليها البحاثة بول ميللر (مؤلفه المشار إليه آنفاً ص ٢٦ وما بعدها) .

رسم الروح التي لا يعرفها الرسام فرانك ليه . ولم ير صورتها من قبل



Bust modelled in two hours, based on Leah's psychic portrait

نموذج مجسم لرأس ريتشاردسون صنع في ساعتين مطابقاً للرسم الروحي الذي قام بعمله الرسام فرانك ليه (عن المرجع السابق) .



Normal photograph later sent from America by his son. (See page 51)

صورة فوتوغرافية عادية المتوفى قبل وفاته أرسلها ابنه من أمريكا لمضاهاتها على الرسم الذي إلى اليسار بعد أن تم صنعه بالفعل .



Psychic drawing of Archdeacon Richardson, of Ontario, Canada

رسم روح الأرشيد ياكون ريشاردسون من أونتاريو بكندا ، الذي لا يعرفه الرسام الروحي فرانك ليه ، ولم يسبق له رؤيته من قبل .

جيمس آرثر فندلاى

يعد الأستاذ جيمس آرثر فندلاى James Arthur Findlay من ألمع قادة الحركة الروحية فى بريطانيا . وقد ولد فى جلاسجو فى سنة ١٨٨٣ من أسرة مشتغلة بالمسائل المالية والاقتصادية . وبعد أن أتم تعليمه بجامعة فيت Fette ، ثم بجامعة جنيف ، بدأ حياته الاقتصادية . ثم أصبح مديراً لعدة شركات هامة ، إلا أن هذا النجاح المادى لم يشغله عن موضوع الأرواح ، فإذا به يبحث فيه ، ويؤلف بغزارة ، ويحاضر ، معالجاً إياه من زواياه العلمية والفلسفية الدقيقة .



جيمس آرثر فندلاى

ومن مؤلفاته فى الروحية « على حافة العالم الأثيرى[1] » وهو من أحسن الكتب الناجحة فى هذا الموضوع ، إذ ظهر فى سنة ١٩٣١ ، ولم تأت سنة ١٩٤٢ إلا وقد ظهرت طبعته الأربعون ، وقال الطبيب الدكتور جورج لندسى جونسون فى مقدمة كتابه « المسألة الكبرى والبينة على حلها »[2] ، إن مؤلفات فندلاى « قد حركت شعور الناس بشكل لم تصل إليه أية مؤلفات أخرى ، فأمكنها فى النهاية أن تثبت بشكل قاطع أن للإنسان حياة بعد الموت ، وأن فى الوجود عالماً ووعياً آخر يحيطان بنا » .

كما قالت عنه « موسوعة العلم الروحى » [3] إنه « فى التدليل على صدق

---

(١) On The Edge Of The Etheric.

(٢) The Great Problem And The Evidence For Its Solution.

(٣) Encyclopaedia Of Psychic Science.

الدعاوى الروحية قد استند إلى تلك الزيادات المضطردة فى علم الفيزياء » .
فلاغرابة إذا ما ترجم هذا الكتاب إلى حوالى عشرين لغة وطبع بحروف
العميان . وقد ترجمه إلى العربية الفقيد الكبير الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير ،
ولنا عودة إلى بعض صفحاته عندما نعالج عالم الروح من ناحيتى تعيين موقعه
ووصف ظروف الحياة فيه .

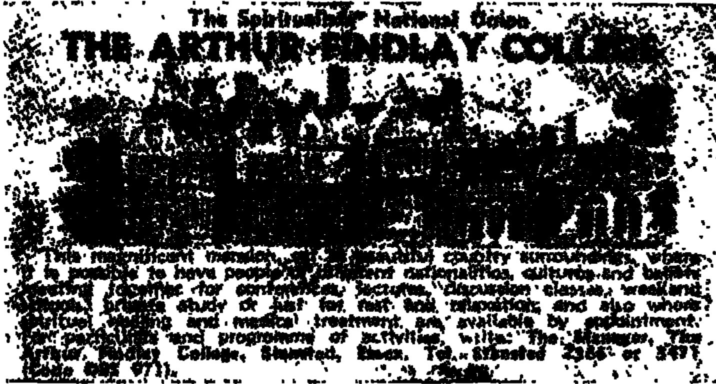
ثم ظهرت لفندلاى مؤلفات متعددة فى العلم الروحى قابلتها البيئات العلمية
بتقدير كبير مثل « صخرة الحق »(١) (١٩٣٣) ، و « الكون المنشور »(٢)
(١٩٣٥) ، و « مشعل العرفان »(٣) (١٩٣٦) ، و « المجرى الروحى »(٤)
(١٩٣٩) ، و « لعنة الجهل »(٥) (١٩٤٧) فى جزئين ضخمين ، وفيهما يستعرض
تاريخ الحضارات والشعوب من وجهة نظر العلم الروحى الحديث. ثم ظهر له بعد
ذلك « طريق الحياة(٦) » ، و« حيث يلتقى عالمان(٧) » ، و« النظر للوراء »(٨) .

وكان آرثر فندلاى إلى حين انتقاله إلى عالم الروح فى سنة ١٩٦٤ مديراً
« للمعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن. كما كان أحد نواب رئيس « اتحاد
الروحيين الوطنى» .S. N. U ، ورئيساً سابقاً « للاتحاد الروحى اللندنى» . وقد
أسس فى سنة ١٩٢٠ « جمعية جلاسجو للبحث الروحى(٩) » . وهو بالإضافة إلى
ماتقدم مؤسس جريدة «الأنباء الروحية Psychic News » التى تصدر منتظمة
أسبوعياً منذ سنة ١٩٣٢ .

---

(١) The Rock Of Truth.
(٢) The Unfolding Unverise·
(٣) The Torch Of Knowledge.
(٤) The Psychic Stream
(٥) The Curse Of Ignorance·
(٦) The Way Of Life.
(٧) Where Two Worlds Meet.
(٨) Looking Back.
(٩) The Glasgow Society For Psychical Research.

هذا وقد قام « اتحاد الروحيين الوطنى » بلندن بافتتـــاح كلية جديدة للعلم الروحى فى سنة ١٩٦٧ تحمل اسمه تدعى « كلية آرثر فندلاى[1] » فى نفس المبنى المنيف الذى كان يقيم فيه تخليداً لذكراه، وتقديراً لجهوده العلمية الموفقة فى خدمة العلم الروحى الحديث .



كلبة آرثر فندلاى

شودزموند

ومن أبرز الكتاب الروحيين الأستاذ شودزموند Shaw Desmond وهو مؤلف قصصى ومسرحى إرلندى المولد والنشأة ، وصاحب خبرة عشرات من الأعوام فى هذا الموضوع امتدت إلى الخمسين عاماً ، كما هو صاحب مؤلفات كثيرة فيه . وكثيراً ما كان يحاضر فيه فى جمعيات البحث الروحى فى جامعتى أكسفورد وكمبردج ولقيت محاضراته إقبالا كبيراً . وقد سافر للمحاضرة فى هذا الشأن إلى أمريكا واسكندناوة ، وبلاد القارة الأوربية . وتلقى مؤلفاته فى الأرواح نفس الإقبال ، وأهمها : « كيف نحيا عندما

---

(١) The Arhur Findlay College.
وعنوانها : Stansted, Essex, England

تموت »[١] أو الدليل للعالم الآخر . وفيه يوضح لكل إنسان أهم المشكلات التى سيقابلها هناك بمجرد انتقاله وطرق التغلب عليها ، و « نحن لا نموت »[٢]، و « يمكنك الحديث مع موتاك »[٣] ، و « الروحية ؟ »[٤] ، و « عودة التجسد لكل إنسان »[٥]. و « لم يمت إنسان منذ الأزل »[٦]، و « شراك روحية » [٧]، و « مغامراتى فى الغيب »[٨]، و « ميلاد العالم »[٩]، و « الحب بعد الموت »[١٠]. وفى هذا الأخير يعالج دزموند المشكلات العاطفية فى الحياة الأخرى بأسلوب شائق بناء على معلومات يقول إنه تلقاها من مرشديه فى عالم الروح . ويحاول أن يعالج بعض جوانب مشكلاتنا العاطفية أيضا فى ضوء هذه المعلومات الروحية، ولنا عودة تفصيلية إلى هذا الموضوع فى الباب الثانى من الجزء الثانى .

وقد أسهم دزموند بدور قوى فى تأسيس « المعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن ، كما كان إلى حين انتقاله — فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٦٠ — رئيساً « لرابطة الحياة بعد الموت[١١] » .

موريس باربانيل

ومن الكتاب المعاصرين أيضاً الأستاذ موريس باربانيل Maurice Barbanel

---

(١) How You Live When You Die.
(٢) We Do Not Die.
(٣) You Can Speak With Your Dead.
(٤) Spiritualism?
(٥) Reincarnation For Everyman.
(٦) Nobody Has Ever Died.
(٧) Psychic Pitfalls.
(٨) My Adventures In The Occult.
(٩) World Birth.
(١٠) Love After Death.
(١١) The Survival League.

وهو حالياً رئيس تحرير جريدة « الأنباء الروحية Psychic News »[١] . وقد مر اسمه فيما مضى كوسيط للروح الحكيم سيلفر بيرش ، وله جملة مؤلفات قيمة فى فلسفة الروحية منها : « ســــوف يدوى البوق »[٢] ، و « سوف يتعزون »[٣] ، و« عبر البرزخ »[٤] ، و« حالة هيلين دنكان »[٥] ، و « دع حرائق روما تشتعل »[٦] ، و « قوة الروح »[٧] ، و « حيث توجد إرادة »[٨] .



موريس باربانيل

كما عنى فى مؤلفات أخرى بدراسة بعض وسطاء العلاج الروحى، فألف كتاباً عن أكبر وسيط معروف فى تاريخ الروحية وهو وليام باريش تحت عنوان « باريش المعالج »[٩] ، وألف كتاباً آخر عن أبرز وسيط معالج على قيد الحياة تحت عنوان « هارى إدواردز وعلاجه »[١٠] ، فضلا عن كتاب آخر تحت عنوان « ملحمة العلاج الروحى »[١١] .

---

(١) وعنوانها كالآتى :
23. Great Queen Street, Kingsway, London W. C. 2.
وبها مكتبة ضخمة لنشر المؤلفات الروحية .

(٢) The Trumpet Shall Sound.

(٣) They Shall Be Comforted.

(٤) Across The Gulf

(٥) The Case Of Helen Duncan

(٦) Keep The Rome Fires Burning.

(٧) Power Of The Spirit.

(٨) Where There Is A Will

(٩) Parish The Healer.

(١٠) Harry Edwards And His Healing.

(١١) Saga Of Spirit Healing.

و . ه . إيفانز

ومن الباحثين المعروفين فى الفلسفة الروحية بوجه خاص الأستاذ و . ه . إيفانز W. H. Evans الذى كان رئيس تحرير جريدة Beyond الروحيـــة الشهرية . وأهم مؤلفاته فيها « الروحية الحديثة »[1] ، و « الروحية للإنسان المشغول»[2] ، و« كيف تصبح وسيطاً»[3] ، و«شمعة الإله»[4] ، و «الروحية فلسفة الحياة »[5] ، و « الروحية البناءة »[6] ، و « وزنابق المذبح »[7] ، و « الـكل واحد »[8] ، و «سماء جديدة »[9] ، و « هل العودة للتجسد حقيقة أم خرافة ؟ »[10] . كما يعد إيفانز حجة فى وساطة أندرو جاكسون دافيز ، وفى الفلسفة الرائعة التى تلقاها بطريق الإلهام ، وله فى شرح فلسفته مؤلف عنوانه « اثنتا عشرة محاضرة فى فلسفة التناسق لأندرو جاكسون دافيز[11] » .

فردريك . ه . وود

ومنهم الدكتور فردريك . ه . وود Fredric H. Wood ، وهو ملحن وصاحب عدة مؤلفات فى الموسيقى والأناشيد . وأهم مؤلفاته فى الروحية « بعد

---

(١) Modern Spiritualism.
(٢) Spiritualism For The Busy Man.
(٣) How To Be A Medium.
(٤) The Candle Of The Lord.
(٥) Spiritualism, A Philosophy Of Life.
(٦) Canstructive Spiritualism.
(٧) Altar Lilies.
(٨) All Is One.
(٩) A New Heaven.
(١٠) Reincarnation Fact Or Fallacy?
(١١) Twelve Lectures On The Harmonious Philosophy Of Andrew Jackson Davis.
وراجع ما سبق فى ص ٢٠٠ ، ٢٠٢ .

ثلاثين قرناً[١] »(١٩٣٥)، و « مصر القديمة تتحدث »[٢] (١٩٣٧) بالاشتراك مع الدكتور هوارد هيولم H. Hulme العالم فى التاريخ الفرعونى — وقد ترجمه إلى العربية الدكتور على عبد الجليل راضى تحت عنوان « روح فرعونية تتكلم » ، و « هذه المعجزة المصرية »[٣] (١٩٤٠) .

والمؤلفان الأخيران يتحدثان عن اتصالاته ببعض أرواح فرعونية أعطت أدق التفاصيل والبيانات عن مظاهر الحياة عند الفراعنة وتاريخهم ولغتهم ، وعن حضارتهم العظمى بما فى ذلك موسيقاهم . وقد حاضر فردريك وود فى جامعة أكسفورد فى هذا الموضوع ، مبيناً كيفية النطق باللغة الهيروغليفية طبقاً للشريط الذى سجله للروح الفرعونية الأميرة نونا على لسان الوسيطة روزمارى (الآنسة أيفى بومونت) والذى قام بترجمته إلى الإنجليزية الدكتور هوارد هيولم . ومن مؤلفات فردريك وود أيضاً « الوساطة الروحية والحرب »[٤] (١٩٤٢)، و « عصر جديد للروحيات »[٥] (١٩٤٣)، و « خلال الباب الروحى »[٦] (١٩٥٤) .

جيمس كوتس

ومن بحاث الروحية أيضاً جيمس كوتس James Coates وهو دكتور فى الفلسفة ، وله عدة مؤلفات فى التنويم المغناطيسى مثل « النوم العملى »[٧] ، و « المغناطيسية البشرية »[٨] .

---

(١) After Thirtv Centuries

(٢) Ancient Egypt Speaks.

(٣) This Egyptian Miracle.

(٤) Med'umship And War.

(٥) A New Era For Psychics.

(٦) Through The Psvchic Door.

(٧) The Practical Hypnotist.

(٨) Human Magnetism.

وأهم مؤلفاته الروحية « رؤية غير المنظور »[١] ، و «هل الروحية الحديثة مؤسسة على حقائق أم أوهام ؟ »[٢] ، و «الظواهر الروحية»[٣] ، و « تصوير غير المنظور»[٤] ، وقد نشر به ثماني وثمانين لوحة من الصور الروحية التقطت في ظروف تنفي كل خداع . وسنقدم فيما بعد عدة نماذج من هذه الصور بعد أن نتحدث في « تأثير العقل المباشر في المادة » لأنه موضوع وثيق صلة بظهور غير المنظور في الألواح الحساسة ، وهي الظاهرة التي سجلها جيمس كوتس ، كما سجلها عدد لا يستهان به من الباحثين المشهود لهم بالدقة وبالتحفظ الشديد في قبول الأمور.

ألكساندر كانون

ومنهم أيضاً الدكتور ألكساندر كانون Alexander Canon وهو طبيب ودكتور في الفلسفة ، وله عدة مؤلفات في التنويم المغناطيسي والتحليل النفسي والأمراض العصبية ، وفي نفس الوقت له عدة بحوث روحية تتضمنها مؤلفاته التي أهمها « قوة الكارما »[٥] ، (أو قانون السبب والنتيجة بحسب التعبير اليوجي) الذي أعيــدت طباعته تحت اسم « ظلال المصير »[٦] ، و « التأثير الغير المنظور»[٧] (١٩٣٢) ، وقد طبع للمرة السادسة والعشرين في سنة ١٩٤٨ . كما ظهر له مؤلف آخر يدور حول بعض الظواهر الوساطية وقوة الإرادة ، والجسد الأثيري، والخلود عنوانه «القوة التي بالداخل»[٨] (١٩٥٠) ،

---

(١) Seeing The Invisible.
(٢) Is Modern Spiritualism Based On Facts Or Fancy?
(٣) Psychical Phenomena.
(٤) Photographing The Invisible,
(٥) The Power Of Karma.
(٦) Shadow Of Destiny.
(٧) The Invisible Influence.
(٨) The Power Wilhin.

وذلك بالإضافة إلى مؤلف له عنوانه « القوى الـكائنة » (١) ، وآخر عنوانه « النوم خلال الفضاء » (٢) .

بول برنتون

ومنهم كذلك بول برنتون Paul Brunton وهو دكتور فى الفلسفة ، وله جولات كثيرة موفقة فى الروحية عند الأقدمين وبخاصة فى مصر القديمة ، وقد سجلها فى مؤلفه « بحث فى مصر الخفية » (٣) ، وفى الهند وقد سجلها فى مؤلفه « بحث فى الهند الخفية » (٤) . واهتمامه بدراسة الظواهر الروحية عند الأقدمين سببه ما يعتقده من أن الأقدمين كانوا عمالقة فى علوم الروح ، أقزاماً فى علوم المادة ، حين أن علماء الحضارة المعاصرة عمالقة فى علوم المادة ، أقزام فى علوم الروح ، وذلك على حد تعبيره .

وقد قضى برنتون شطراً من حياته جائلا فى بلاد الشرقين الأقصى والأدنى دارساً ظواهر الروحية التى يعجز العلم المادى عن تعليلها ، وواضعاً عدداً من المؤلفات فيها . ومنها «رسالة من أروناشالا» (٥) ، و«الفلسفة الهندية والثقافة الحديثة» (٦) ، و « التعليم المخبوء وراء اليوجا » (٧) ، و « ناسك فى الهملايا » (٨) .

وذلك بالإضافة إلى مؤلفاته الأخرى فى فلسفة الروحية والتى أهمها «الحقيقة الداخلية» (٩) ، و « البحث عن النفس العليا أى الروح » (١٠) ، «وحكمة النفس

---

(١) Powers That Be.

(٢) Sleeping Through Space.

(٣) A Search In Secret Egypt.

(٤) A Search In Secret India.

(٥) A Message From Arunachala.

(٦) Indian Philosophy And Modern Culture.

(٧) The Hidden Teaching Beyond Yoga.

(٨) A Hermit In The Himalayas.

(٩) The Inner Reality

(١٠) The Quest Of The Over Self.

العايا »[١] ، بالإضافة إلى أحدث مؤلفاته وهو « الطريق الخفى »[٢] الذى ظهر فى سنة ١٩٣٤ ، وطبع حتى سنه ١٩٥٠ أكثر من عشرين طبعة .

وخطة برنتون فى السياحة فى بلاد الشرقين الأقصى والأدنى لدراسة الظواهر الخارقة للعادة على الطبيعة فى بلاد السحر والخيال ، هى نفس خطة عدد ملحوظ من باحثى الروحية من أمثال الأديب شودزموند ، والدكتور ألكسندر كانون ، والسيدة ألكسندرا دافيد نيل وغيرهم . فهم يرون أن فى أسرار هذا الشرق العجيب وظواهره المعجزة ، خصوصاً منها ما يتم على الفطرة بواسطة بعض فقراء الهند من رهبان الهملايا والتبت وبعض سحرة أواسط أفريقيا ، ما يستحق التحقيق للتثبت من حصوله ، وقد انتهوا إلى الاقتناع بصحة عدد من هذه الظواهر الخارقة للعادة كيفما حدثت فى أرجاء هذه الدنيا الواسعة ، لأنها تتحدى فى الواقع معارف الغرب وعلومه المادية .

أولد فيلد

ومن بحاث الروحية أيضاً الدكتور جوزيا أولد فيلد Josiah Oldfield وهو صاحب عدة مؤلفات منها « العلاج والانتصار على الألم »[٣] ، و « لغز الميلاد »[٤] ، و « لغز الموت »[٥] . وقد أمضى أولد فيلد حياته بجوار مئات من المحتضرين ، ممن يخافون قدوم الموت وممن يرغبون فيه ، باحثاً فى مشكلات الحياة والموت بطريقة الفيلسوف والعالم المعروف فى دوائر « هارلى ستريت » ، ومعتقداً أن البحث فيها ينبغى أن يعتبر بمثابة استكشاف لأرض مجهولة ، وأن مخاوف الإنسان من الموت تقوم على الإيمان بخرافات قديمه العهد ، وعلى ذعر

---

(١) The Wisdom of the Over Self.
(٢) The Secret Path.
(٣) Healing and the Conquest of Pain.
(٤) The Mystery of Birth.
(٥) The Mystry of Death.

من المجهول ليس له ما يبرره ، وعلى تصديق عدد من كهنة كل دين الذين أدخلوا في روع الناس أنهم وضعوا أيديهم في يدى الله كيما يكفلوا للمحتضرين السعادة والنعيم في السماء ، أو التعاسة واللعنة الأبدية في الجحيم !! ..

وهو يؤمن أن مواليد هذا العالم يفدون إليه عن طريق الموت في عالم سابق ، كما أن الموت في هذا العالم يؤدى إلى الميلاد في عالم قادم ، وأن العامل الوحيد الذى يقرر سعادتنا أو شقاءنا في هذا العالم القادم هو الخلق الذى نميناه في هذه الحياة الدنيا . فنحن نولد بين يدى الله ، و بين يديه نموت أيضاً ، وليؤمن كل امرىء — في سلام وسعادة — بأبوة الله وعدالته ، فسواء أعشنا أم متنا فنحن بين يدى الخالق المحبوب .

جون وينّنج

ومن الباحثين المثابرين الذين قاموا بتحقيق الظواهر الوساطية الدكتور جون وينّنج John Winning وهو طبيب اسكتلاندى كان رئيساً « لاتحاد الروحيين الوطنى[1] » بلندن . وقد درس بعناية ظواهر العلاج المعجز على أيدى وسطاء متعددين بقاعة ستانستد Stansted Hall · كما درس ظواهر الصوت المباشر وسجلها على أشرطة تسجيل ، وأذاعتها محطات الإذاعة في اسكتلندا ولندن منذ أكثر من عشر سنوات .

ودرس أيضاً ظواهر التجسد الكامل التى كانت تحدث في حضور عدد من الوسطاء ، وبخاصة الوسيطة هيلين دانكان Helen Duncan فحضر معها حوالى مائة جلسة وشاهد معها ومع غيرها تجسد عشرات من الأرواح ، تتحدث بعدة لغات ولهجات ، مع أن الوسيطة لا تعرف سوى لغتها الانجليزية . وكان من بينها روح والدته المتوفاة بملامحها المألوفة ، وروح شقيقه المتوفى أيضاً ، وأرواح اثنى عشر شخصاً من أقاربه !! . .

---

(١) Spiritualists' National Union.

وقد سجل هذه التجسدات بالتصوير بكاميرا عادية مزودة بمرشح زجاجي للأشعة دون الحمراء[١] ، ومصباح إضاءة (قوة ٦٠ وات) . وكان يستعين بمصور محترف . وبكهربائي في تسجيل هذه الظواهر الفريدة التي كان يوافي بها « جمعية البحث الروحي » بلندن .

جيرالدين كامينز

ومنهم أيضاً باحثة روحية ووسيطة معروفة وهي السيدة جيرالدين كامينز Geraldine Cummins التي تلقى كتبها تقديراً كبيراً ، ومنها كتاب « مغامرات غير منظورة »[٢] ، الذي قدم له دافيد جراي السفير الأمريكي السابق ، وهو يتضمن تجارب أربعة وثلاثين عاماً من العمل في البحث الروحي .

ومنها أيضاً جملة مؤلفات تلقتها عن طريق وساطة الكتابة التلقائية مثل « مخطوطات كليوفاس »[٣] ، و « أيام أفسس العظمى »[٤] ، و « عندما كان نيرون دكتاتوراً »[٥] ، و « طفولة يسوع »[٦] ، « رجولة يسوع »[٧] ، و « بعث يسوع »[٨] ، و « ما يلي الشخصية الإنسانية »[٩] ، و « إنهم يحيون بعد الموت »[١٠] ، و « المسافرون في الأبدية »[١١] ، « العلاج الإدراكي »[١٢] ،

---

(١) Infra red glass filter plate.
(٢) Unseen Adventures
(٣) The Scripts Of Cleophas
(٤) The Great Days Of Ephesus.
(٥) When Nero Was Dictator
(٦) The Chilhood Of Jesus.
(٧) The Manhood Of Jesus.
(٨) The Ressurrection Of Jesus.
(٩) Beyond Human Personality.
(١٠) They Survive.
(١١) Travellers In Eternity.
(١٢) .Perceptive Healing.

و« بولس فى أثينا »[١] ، و «بعد عيد العنصرة[٢] » ، و « إنى استأنف إلى القيصر»[٣] ، ثم «الطريق إلى الخلود» (١٩٣٢)[٤] ، و « بجعة على بحر أسود» (١٩٦٥)[٥] ، بمقدمة من الدكتور شارل بروض Ch. D. Broad الفيلسوف المعاصر وأستاذ فلسفة الأخلاق بجامعة كامبريدج .

وفى مؤلفها « ما يلى الشخصية الإنسانية » يجد القارىء بيانات هامة أملتها روح عالم النفس فردريك و . ه . ما يرز (الذى كان قد انتقل إلى عالم الروح منذ سنة ١٩٠١) عن « تقدم الروح خلال الحالات التى تلى الموت » . كما تلقى سير أوليفر لودج بينات خاصة من روح ما يرز عن طريق الوسيطة ليو نارد عن اتصالاته بالوسيطة جير الدين كامينز ... على ما ذكره فى تقديمه لهذا الكتاب الذى يقول فيه أيضاً « إنى أعتقد أن فى هذا الكتاب مساهمة حقيقية تلائم بالتقريب أفكاراً صادقة خلال وساطة ذات ثقافة معقولة تميزها الرغبة المستعدة للخدمة المخلصة والأمانة الواضحة . . » .

أورسولا روبرتس

وأورسولا روبرتس Ursula Roberts بدورها وسيطة معاصرة معروفة للكتابة التلقائية Automatic writing وللغيبوبة Trance ، ولها عدة مؤلفات تلقتها عن طريق هذه الوساطة منها : « مارى بيكر إدى : اتصالاتها من بعد القبر »[٦] ، و « الصحة والعلاج وأنت »[٧] ، و « إشارات للمعالجين »[٨] ،

---

(١) Paul In Athens.
(٢) After Pentecost.
(٣) I Appeal Unto Caesar.
(٤) Road To Immortality.
(٥) Swan on A Black Sea
(٦) Mary Baker Eddy : Her Communications. From Beyond The Grave.
(٧) Health, Healing And You.
(٨) Hints For Healers.

و« إشارات عن التفتح الروحى »[١] ، و « لغز الهالة الإنسانية »[٢] . وقد تلقت الوسيطة مجموعة رسائل قيمة من روح حكيمة تدعى « رمضان » عن عالم الطبيعة وتعاليمه الروحية ، وقد نشرتها فى عدة كتب منها «إكليل الزهر»[٣] ، و «أحاديث عن الصلاة الربانية»[٤] ، و « الفضائل الروحية والهالة »[٥] ، وهذا الأخير يدور حول قيمة التضحية ، والاعتكاف ، والمثابرة فى تطور الروح .

جريس كوك

وهذه أيضاً مؤلفة ووسيطة معروفة للكتابة التلقائية ، وهى السيدة جريس كوك Grace Cooke التى يقترن اسمها دائماً بالروح الذائع الصيت الذى يستخدم اسماً تنكرياً هو « هوايت إيجل » White Eagle أى « النسر الأبيض » ، وله فلسفة غزيرة تتسم بالعمق والاتزان وصدق النظرة . ولا يكاد يضارعه فى ذيوع الصيت من الأرواح المرشدة سوى سيلفر بيرش ، وهو مثله أيضاً فى غزارة مؤلفاته ، إلى حد أن أصبحت له دار نشر خاصة تحمل اسمه[٦] .

ومن أهم مؤلفات الروح « هوايت إيجل » التى وردت عن طريق السيدة جريس كوك بمفردها ، أو عن طريقها بالاشتراك مع الأستاذ إيفان كوك Ivan Cooke ، كتاب « التأمل »[٧] وهو يتضمن تعاليم عدد من الأرواح الراقية أمليت للوسيطة عن طريق روحها المرشد هوايت إيجل هذا ، وكتاب

---

(١) Hints For Spiritual Unfoldement.

(٢) The Mystery Of The Human Aura.

(٣) The Garland.

(٤) Talks On The Lord's Prayer.

(٥) Spiritual Virtues And The Aura.

(٦) عنوانها كالآتى :

The White Eagle Publishing Trust, New Lands, Liss, Hampshire England.

(٧) Meditation

« الوساطة الجديدة »[١] ، و « العلاج »[٢] ، و « التفتح الروحى »[٣] ، و «طريق الروح»[٤] ، و «وضوء النهار على الطريق الروحى»[٥]، و « عالج نفسك»[٦] .وذلك بالإضافة إلى جريدة شهرية تدعى Stella Polaris تصدر منذ ربع قرن متضمنة فلسفة هذه الروح عن دار النشر التى تحمل اسمها ، وكان اسم هذه الجريدة فيما مضى Angelus .

وعن طريق السيدة جريس كوك أو مينستا Minesta (لقب الوسيطة) تم الاتصال بروح سير آرثر كونان دويل ، على ما يرويه الأستاذ إيفان كوك فى كتاب له عنوانه « عودة آرثر كونان دويل »[٧] .

سانكلير ستوبارت

وهذه كاتبة لها عدة دراسات روحية قيمة ، وهى السيدة م.ا. سانكلير ستوبارت M. A. St Clair Stobart ، وأهم مؤلفاتها « السر المفتوح »[٨] (١٩٤٧) . ثم «أضواء قديمة »[٩] ، و «حملة مشاعل الروحية »[١٠] ، و «إما هذا وإما ذاك فى الروحية»[١١]، و «سلم إلى السماء»[١٢]، و «المعجزات والمغامرات »[١٣] .

---

(١) The New Mediumship.
(٢) Healing.
(٣) Spiritual Unfoldment.
(٤) The Path Of The Soul.
(٥) Morning Light On The Spiritual Path.
(٦) Heal Thyself.
(٧) The Return Of Arthur Conan Doyle.
(٨) The Open Secret
(٩) Ancient Lights.
(١٠) Torchbearers Of Spiritualism.
(١١) The Either-Or Of Spiritualism.
(١٢) Ladder To Heaven.
(١٣) Miracles And Adventures.

بعض رجال العقيدة

بعد هذا البيان السريع لبعض الأسماء والمراجع فى موضوع الأرواح من العلماء والمفكرين والبحاث البريطانيين — وقد راعينا فى اختيارها أن تكون من أسماء الصف الأول دون غيره — نرى أن هذه القائمة لا تكتمل إلا بذكر طائفة من رجال الدين الذين عنوا أيضاً ببحث هذا الموضوع ، والذين اقتنعوا بصحته بعد تجارب شخصية فى دوائرهم المنزلية وغيرها فأصبحوا من خيرة الأقلام فى عرضه وفى الإفادة منه فى تكوين آرائهم العامة ، وتوجيه أفكارهم الدينية إلى الوجهة التى يمكن معها القول بأن « العلم والدين يتجهان بالتدريج ، ولكن بالتأكيد ، إلى الجهة التى تقودهما إليها المعلومات الروحية » على ما لاحظه الأستاذ جيمس آرثر فندلاى[1] .

ستانتون موزس

فمن أبرز رجال الدين هؤلاء الأسقف ستانتون موزس Stainton Moses (١٨٣٩ — ١٨٩٢) وقد كان هو نفسه وسيطاً قوياً للكتابة المباشرة، ولتحريك الأجسام الصلبة ، ولظواهر الضوء والمجلوبات الروحية . وقد خضعت وساطته لتجارب « جمعية البحث الروحى » S. P. R . ورغم قوة وساطته الخاصة ظل متشككاً لسنين طويلة — حول مصدر هذه الظواهر الغريبة التى كانت تحدث فى وجوده — بسبب روحه النقادة وتربيته الدينية المحافظة ، إذ عاش شطراً من حياته فى دير للرهبان اليونانيين فى جبل آتوس ، قبل أن يعين أسقفاً لجزيرة مان ، ثم فى لانجتون مكافرز



الأسقف ستانتون موزس

(١) « على حافة العالم الأثيرى » طبعة ٣ ص ٣٣ .

ثم فى سالسبورى ، ثم أصبح أستاذاً بجامعة لندن من سنة ١٨٧١ حتى سنة ١٨٨٩ . وقد ساعد فى إنشاء « جمعية البحث الروحى » فى سنة ١٨٨٢ وظل عضواً فيها ، إلى أن استقال منها بسبب القسوة المفرطة التى حققت بها وساطة بعض الوسطاء، والتى لم يكن لها فى تقديره أى داعٍ مع وضوح قوة هذه الوساطة. كما اختير رئيساً لاتحاد الروحيين بلندن فى سنة ١٨٨٤[١] . وظل رئيساً له إلى حين وفاته فى سنة ١٨٩٢ .

وقد تلقى من عالم الروح عدة كتب بالكتابة المباشرة أحياناً بدون أن يمسك القلم بيده ، وبالكتابة التلقائية أحياناً أخرى ، منها كتاب « تعاليم الروح »[٢] (١٨٨٣) ، و « تعاليم أخرى للروح [٣] » وهما يبحثان فى الأمور اللاهوتية على نحو يخالف تماماً آراءه الخاصة ، وقد نشرهما على لسان الأرواح لوعد كان قد ارتبط به معها على نشرهما ، ودون أن يقيد نفسه بهذه الآراء . ومن مؤلفاته أيضاً « نواحٍ أسمى للروحية »[٤] (١٨٨٠) و « الكتابة المباشرة للأرواح »[٥](١٨٨٢) وفيه يعالج الكتابة المباشرة لها التى تظهر أحياناً على الألواح الحساسة فى غرف الجلسات ، وكتاب تحقيق «شخصية الروح»[٦].

وذلك بالإضافة إلى كتاب عن « الروحية فى المجمع الكنسى »[٧] وآخر عنوانه « ذكريات شخصية لإيبس سارجنت »[٨].

---

(١) London Spiritualist Alliance .
(٢) Spirit Teachings.
(٣) More Spirit Teachings.
(٤) Higher Aspects Of Spiritualism.
(٥) Direct Spirit Writings.
(٦) Spirit Identity
(٧) Spiritualism At The Church Congress.
(٨) Personal Reminiscences Of Epes Sargent.

وكانت الأرواح المهيمنة على موزس متعددة . وكانت تفضل غالباً استعمال أسماء مستعارة ، ولو أنها فى النهاية أفصحت له عن شخصياتها ، فكان ملاخى يستعمل اسم إمبراتور Imperator (أى الآمر) ، وأليشع يستخدم اسم Preceptor (أى المعلم أو المهذِّب) ، ودانيال اسم Yates (وهؤلاء الثلاثة من أنبياء العهد القديم) ، ويوحنا المعمدان اسم Theologus (أى اللاهوتى ، وهو من أنبياء العهد الجديد) .

كما كان من أرواحه المهيمنة الفلاسفة سولون ، وأفلاطون ، وأرسطو وسينيكا ، والإمام الغزالى (وكان يستخدم اسم Mentor أى النصوح) ، وهيبوليت (وكان يستخدم اسم Rector أى المدير) ، وبلوتيناس Plotinus (وكان يستخدم اسم Prudens أى الحكيم) ، واسكندر أخيلينى A. Achillini (وكان يستخدم اسم Philosophus أى الفيلسوف) ... وغيرهم ممن بلغ عددهم تسعة وأربعين روحاً[١] .

شارل تويديل

ومنهم أيضاً شارل تويديل Charles L. Tweedale الذى كان رئيساً لأساقفة يوركشير . وقد بحث هذا الموضوع داخل منزله فى أبروشيته لمدة جاوزت أربعين عاماً . وتلقى معلومات كثيرة من أرواح منتقلين حديثاً — مثل سير وليام كروكس ، وسير ألفريد راسل والاس ، وسير آرثر كونان دويل ، فضلا عن روح زوجته — ونشرها فى كتابه « أنباء من العالم الآخر[٢] » الذى ظهر فى سنة ١٩٤٠ مؤيداً بصورهم الروحية مع عشرات من صور غيرهم

(١) راجع فى هذا الشأن « موسوعة العلم الروحى » .
Encyclopaedia of Psychic Science.
تحت اسم Moses ص ٢٤٨ — ٢٥٠ .
ومؤلفا عنوانه « الأرواح المهيمنة على ستانتون موزس » من تأليف ترثوى
A. W. Trethewy : The Controls of Stainton Moses.

(٢) News From The Next World.

التى تلقاها داخل منزله ، وبدون الاستعانة بوسيط أجنبي عن أسرته .

وذلك بالإضافة إلى صور بعض رسائل تلقاها بطريق الكتابة المباشرة من الأرواح التى كانت تظهر أحياناً على اللوح الحساس فى حضور زوجته وكريمته . وهى بنفس خط الأرواح وبتوقيعها ، وفى مناسبة لاحقة سنقدم للقارىء بعض صور فوتوغرافية من تلك التى تلقاها . كما ألف كتاباً آخر عن « حياة الإنسان بعد الموت [١] » ظهرت طبعته الأولى فى سنة ١٩٠٩ والخامسة فى سنة ١٩٤٧ . ومن مؤلفاته أيضاً « الظواهر الروحية الحاضرة والكنائس » [٢] .

جون لاموند

ومنهم أيضاً القس جون لوموند John Lamond الذى كان من معارضيها ، واختير عضواً فى اللجنة التى شكلتها الكنيسة الاسكتلندية لبحث الظواهر الروحية ، وبعد تجارب دامت شهوراً كتبت اللجنة تقريراً لمصلحتها . ومن مؤلفاته الروحية « المعجزات فى الحياة الحديثة [٣] » ، وكتاب « كاتلين Kathleen » وفيه يتحدث عن اتصالاته بروح كريمته المنتقلة كاتلين أوجيلفى لاموند Kathleen Ogilvy Lamond ، عن طريق وسطاء متعددين ، وحصوله على صورة روحية لها عن طريق الوسيط دجويد D Duguid . كما كتب سيرة آرثر كونان دويل ، وأخذ منذ سنة ١٨٧٨ يقيم عظاته الدينية على تجاربه الخاصة فى الظواهر الروحية . وهو من رجال العقيدة الذين يسعون جهدهم فى تفسيرها تفسيراً جديداً فى ضوء كشوف الروحية الحديثة .

---

(١) Man's Survival After Death.

(٢) Present Day Spirit Phenomena and the Churches.

(٣) Miracles In Modern Life.

جورج فيل أوين

ومنهم جورج فيل أوين George Vale Owen (١٨٦٩ — ١٩٣١) الذى كان أسقفاً لأبروشـــية أورفورد Orford بالقرب من وارنجتون Warrington كما كان وسيطاً للـكتابة التلقائية Spirit Controlled Writing وعن طريقها تلقى رسائل فلسفية راقية وعميقة نشرها تباعاً فى جريدة الديلى ديسباتش Daily Dispatch ابتداء من أول فبراير سنة ١٩٢٠ . وكان لها دوى هناك ، إذ أثارت اهتمام القراء والمعلقين .

كما قام بعدة رحلات فى انجلترا وأمريكا للدعوة الروحية بعد أن استقال من عمله كيما يتفرغ لهذه المهمة الجديدة . ثم أصبح راعياً « لمجمع الروحيين » بلندن Spiritualist Congregation ونشر كتاباً عن « الحياة وراء الحجاب »(١) فى خمسة أجزاء متضمناً الرسائل الروحية الآنفة الذكر ، وهو من الـكتب التقليدية الهامة فى موضوع الأرواح ، بالإضافة إلى كتابه « الحقائق والحياة المستقبلة »(٢) . وبعد انتقاله بعام واحد أملى بالـكتابة التلقائية على الوسيط فردريك هـ هاينز Frederic H. Haines مؤلفاً نشره الأخير فى سنة ١٩٣٣ تحت عنوان « صوت من السماء »(٣).

موريس إليوت

ومنهم أيضا القس موريس إليوت Maurice Elliot الذى بحث الظواهر الوساطية الحديثة مبيناً كيف أنه بدونها يصبح الدين غير مفهوم ، والعقيدة غامضة ، وموضحاً كيف كان السيد المسيح يختار تلاميذه من أصحاب المواهب الوساطية القوية ، وكان يعرفهم بمجرد النظر إليهم .

---

(١) Life Beyond The Veil.

(٢) Facts And The Future Life.

(٣) A Voice From Heaven.

وكان هؤلاء الوسطاء يتمتعون بما يتمتع به الوسطاء الأقوياء من وداعة في الخلق وبساطة ، إلى الحد الذى يصدق عليه قول الشاعر الملهم تنيسون Tennyson « إن من يستطيع أن يناجى الموتى ساعة من الزمان لابد أن يكون طاهر القلب سليم العقل ذا عواطف قدسية فياضة » . وأهم مؤلفات موريس إليوت « الروحية فى العهد القديم »[1] ، و « حياة يسوع المسيح الروحية »[2] .

درايتون توماس

ومن رجال الدين أيضا الأسقف درايتون توماس Drayton Thomas الذى قدم للعلم الروحى جملة مؤلفات قوية زاخرة بالأدلة مفعمة بتجاربه الشخصية ، دقيقة فى مقدماتها وفى استنتاجاتها ، نذكر منها : « الحياة بعد الموت بالبينة »[3] ، و « بعض بينات جديدة لحياة الإنسان بعد الموت »[4] الذى قد قدم له سير وليام باريت عالم الفيزياء . ثم يجىء مؤلفان فى وصف الحياة هناك وهما « فى الفجر بعد الموت »[5] ، و « بعد أفول شمس الحياة »[6] ، ويعتبران من أفضل ما كتب فى وصف الحياة هناك ، مع كثرة ما كتب فيه .

وذلك بالإضافة إلى مؤلفاته الأخرى وهى « الظواهر العقلية للروحية »[7] ، و « تجربة مذهلة »[8] و « من حياة إلى حياة »[9] ، و « التنبؤ وحياة الإنسان بعد الموت »[10] .

---

(١) Spiritualism In Old Testament.
(٢) Psychic Life Of Jesus Christ.
(٣) Life Beyond Death With Evidence.
(٤) Some New Evidence For Human Survival
(٥) In The Dawn Beyond Death
(٦) Beyond Life's Sunset.
(٧) The Mental Phenomena Of Spiritualism.
(٨) An Amazing Experiment.
(٩) From Life To Life.
(١٠) Precognition And Human Survival.

هذه طائفة من أسماء العلماء والهيئات العلمية والمراجع البريطانية فى علم الروح اخترناها من هنا ومن هناك ، متوخين أن تمثل مستوى خاصاً من العمق ودقة البحث والمثابرة فيه لسنين طوال ، بما يبعث على الثقة الكافية فيها وفى أصحابها ، لأنهم جميعهم من أفضل العلماء ، والمفكرين ، والباحثين ، ورجال الدين .

أما من الناحية الشعبية فقد قدرت جريدة « الديلى ميل » عدد الروحيين فى بريطانيا وحدها فى سنة ١٩٣٢ بثلاثة ملايين روحى . وقد ارتفع هذا التقدير فى جريدة «السايكك نيوز» الصادرة فى ٨ فبراير سنة ٤٧ إلى حوالى ١٥ مليوناً أى ما يوازى ثلث سكان الجزر البريطانية ، ولا ندرى كم بلغ هذا العدد الآن فى سنة ١٩٧٠ ؟... وهذا الانتشار المتزايد للروحية لم يأتِ جزافاً بل نتيجة لنمو المواهب الوساطية بالمثابرة وبالمران ، إلى الحد الذى أقنع الجماهير الغفيرة فى كل مكان . وعماد انتشار الروحية كما لاحظ الكثيرون هو أولاً وقبل كل شىء آخر الجلسات العائلية الخاصة لا الجلسات العامة ، حتى تلك المحوطة بضمانات كافية والتى تتم بإشراف هيئات جادة[1] .

بقى الآن أن نتبين بعض الأسماء والمراجع فى فرنسا والبلاد الأخرى .

---

(١) من أعرق الجمعيات البريطانية المعنية بالشئون الروحية « الجمعية الروحية لبريطانيا العظمى » The Spritualist Association of Great Britain ، ولها فروع فى بلاد كثيرة ، ولعلها أكبر جمعية فى العالم الآن ومقرها الرئيسى :—
33 Belgrave Square S.W. 1. Telephone: Belgravia 3351 (5 lines)
ومن أوجه نشاطها الهامة العلاج الروحى لمن يشاء . وبرامج جلساتها العلمية والعلاجية وغيرها تنشره أسبوعيا جريدة الأنباء الروحية Psychic News

الفصل الثالث

بعض الأسماء والمراجع في فرنسا والبلاد الأخرى

عرفت فرنسا العلم الروحى الحديث Science Psychique منذ أوائل العهد به ، فانتشرت فيها جلسات الاتصال بالأرواح انتشاراً سريعاً ، وسرعان ماعرفت طريقها إلى الصالونات الراقية ، فإذا بها تكسب من بين أنصارها الشاعر العظيم فيكتور هيجو V. Hugo عن طريق وساطة مدام دى جيراردان De Girardin.

كما انحاز إلى الحركة الروحية أصحاب أسماء لامعة كثيرة فى الأدب والفنون والعلوم المختلفة ، مثل أوجست فاكيرى Auguste Vacquerie ، وبوشيه دى برت Boucher De Pert· es المؤرخ فى عصور ماقبل التاريخ ، وهنرى مارتان Henr،Martin ، والفيلسوف بلزاك Balzac ، والعلامة تيوفيل جوتييه Theophile Gauthier ، والأديبة جورج صاند Georges Sand ، والفيلسوف بول جانيه Paul Janet . ومن العلماء أيضاً بويسون F. Buisson السياسى وعالم التربية ، وإدوارد برانلى E Branly أحد مخترعى المذياع ، وجيرار دى نيرفال Gerard De Nerval وكالدرون Calderone ، وسيجار Ségard ، ودارسنفال Darsonval ، وكورتييه Courtier ، وساباتييه Sabatier ، وواتفيل Watteville . ومن الكتاب والمفكرين دى سافى DeSavy ، وفورييه Fourier ، وجان رينو Jaen Reynaud ، وبلليتان Pelletean ، وفيكتوريان ساردو Victorien Sardou عضو الأكاديمية الذى كان هو نفسه وسيطاً روحياً للكتابة التلقائية وللرسم ، وعقد تحت رئاسته

أول مؤتمر روحى بباريس فى سنة ١٩٠٠ . ومنهم الدكتور داريبه Dariex الذى أسس «التقويم السنوى للعلوم الروحية»[١] بالاشتراك مع الدكتورشارل ريشيه Ch Richet .

دى جاسباران

ومن الرواد الأوائل لبحوث الظواهر الوساطية من العلماء الفرنسيين الكونت أجينور دى جاسباران Agenor de Gasparin وقد نشر منذ سنة ١٨٥٤ مؤلفاً عنوانه «العلم إزاء الروحية»[٢]. حقق فيه ـ تحت ظروف معملية دقيقة ـ صحة هذه الظواهر ، ولو أنه حاول تعليلها بتأثير من العقل فى المادة ، وذلك لأن البينات لم تكن قد تجمعت بعد عن ثبوت شخصية هذه الأرواح بأدلة لاتدحض ملأت الآن الآلاف من المؤلفات والمجلدات على مابيناه فيماسبق ، وما سنعود إليه تفصيلاً فيما بعد . هذا بالإضافة إلى أن ثبوت هذا التأثير للعقل فى المادة أصبح الآن من أحسن الأدلة العلمية لإثبات الخلود لا لنفيه على مابينته مثلا بحوث الدكتور راين[٣] ، وغيره من العلماء والفلاسفة المعاصرين . وذلك حتى أصبحت دراسة هذا التأثير من أعمق مباحث علم الروح الحديث ، وقد خصصنا لها فصلا على حدة فيما بعد .

بول جيبيه

ومنهم الدكتور بول جيبيه Paul Gibier (١٨٥١—١٩٠٠) مدير معهد باستير فى نيويورك وتلميذ باستير Pasteur مكتشف دنيا الميكروبات ، وقد بحث جيبيه فى الروحية الحديثة وأصدر فيها مؤلفاً فى سنة ١٨٨٩ عنوانه «الروحية»[٤] ، وآخر فى سنة ١٨٩٠ عنوانه «تحليل الأشياء : بحث فى علم

---

(١) Les Annales Des Sciences Psychiques.

(٢) Science versus Spiritualism وله طبعة أمريكية فى سنة ١٨٥٧ .

(٣) راجع ما سبق عنه فى ص ٢٩٧ .

(٤) Le Spiritisme (Fakirisme Occidental).

المستقبل »(١). وقد قال فى مقدمة أولهما « لنعلن على رؤوس الأشهاد بأننا بدأنا دراسة هذه المباحث الروحية معتقدين من صميم قلوبنا بأننا أمام عالم من خيالات وأباطيل ينبغى علينا أن نزيح عنها النقاب ونفضحها ، وقد احتجنا إلى كثير من الزمن كيما نتخلص من هذه الفكرة » .

وقال فى ثانيهما متحدثاً عن تجسد الأرواح فى ضوء تجاربه الخاصة « بأن التجسد يحدث بواسطة الأرواح العاملة عن طريق القوة التى تستعيرها من الوسطاء فثبت لدى العلماء الذين شاهدوا هذه العلامات الخارجية الحادثة فى حضور الوسيط بأنها تتضمن البرهان المفحم الذى لم نحصل قط على مثله بأن لنا روحاً مدركة ومميزة وخالدة بعد الموت . أما هذه الحالة التى نحيا فيها الآن فهى ليست سوى حالة عابرة ... » .

وقد كان جيبيه متشككاً وحذراً إلى آخر مدى ، ففى تجاربه على الوسيطة السيدة سالمون Salmon كان يضعها فى قفص من حديد مغلق بمفتاح وكان يحتفظ بمفتاحه فى جيبه ويلصق على القفل طوابع بريدية ، وبعد لحظات من إطفاء النور كان يشاهد تجسد أيدٍ وأذرع وأشكال آدمية حية تخرج من القفص ، منها رجل وسيدة ، وطفلة صغيرة تدعى ماندى Mandy مرحة ضاحكة ، وأخيراً كانت تخرج الوسيطة نفسها من القفص الحديدى ، وهى فى حالة نصف إغماء فيجدها ملقاة على الأرض . ومع ذلك فالباب الحديدى مغلق والطوابع سليمة كما كانت .

وكان أحياناً يوثق الوسيطة بأغلال مختومة وهى فى صندوق خشبى ، وبعد مضى أربع وعشرين ثانية كان يظهر خارج الصندوق ذراع ويد يسرى عارية متجسدة ، ثم شكل كامل يتحرك خارج « الكابينة » . وبعد بضع دقائق من

---

(١) Analyse De Choses, Essai Sur La Science Future.
وراجع له أيضاً « تجسدات الأشباح » Les Materialisations De Fantomes

الانتظار كان يظهر شيء أبيض كالبيضة يتحرك خارج « الكابينة » ثم يصبح طويلا ، ثم يتخذ شكل سيدة تبدو كما لو كانت حية تجيد التحدث بالفرنسية (بينما كانت الوسيطة لا تعرف سوى كلمات فرنسية قليلة) . ويظل الشبح متجسداً لمدة دقيقتين ، ويقول جيبيه عن هذا الشبح إنه نحيف لسيدة يتراوح عمرها بين العشرين والخامسة والعشرين بينما كانت الوسيطة تبلغ الخمسين من عمرها [1].

جان ماير

ومنهم عالم النفس جان ماير Jean Meyer الذى وهب جزءاً من ثروته « للمعهد الدولى لما وراء الروح » ، كما تبرع له و« للمركز الروحى » Centre Spiritualiste بمقر ومكتبة لكل منهما . وقد أصبح جان ماير فيما بعد رئيساً لتحرير « المجلة الروحية » La Revue Spirite منذ سنة ١٩١٦ حتى انتقاله إلى عالم الروح فى سنة ١٩٣١ ، وكان قد أسسها العلامة آلان كاردك منذ سنة ١٨٥٨ . كما أسس داراً لنشر المؤلفات الروحية لا تزال تحمل اسمه حتى الآن .



جان ماير

وقد خلف ماير فى رئاسة تحرير هذه المجلة الأستاذ هيبر فورستيه Hubert Forestier الذى ساهم بمقدرة فى نشر الفقه الروحى كتابة وخطابة .

دى روشا

ومنهم الكولونيل أوجين ألبير دى روشا De Rochas (١٨٣٧–١٩١٤)

(١) عن « كتاب ماوراء الروح » Traité De Métapsychiqne للدكتور شارل ريشيه الأستاذ بكلية الطب بباريس وعضو أكاديميتى الطب والعلوم: طبعة ١٩٢٣ ص ٦٨٧ .

الذى باشر بحوثه داخل «مدرسة الهندسة العسكرية» التى كان مديراً لها لفترة طويلة.

ويعد دى روشا من أفضل رواد العلم الروحى الحديث ومن أكثر الباحثين تعمقاً وتضلعاً. وقد أهدى إلى العلم الروحى عدة مؤلفات قيمة مثل «القوى غير المحددة[١]» (١٨٨٧)، و«سيال المغناطيسيين»[٢] (١٨٩١) والحالات العميقة للمغناطيسية[٣]» (١٨٩٢)، و«بروز القوة المحركة»[٤] (١٨٩٦)، و«الحالات السطحية للمغناطيسية[٥]» (١٨٩٨)، و«الانبعاثات الشاذة، والتعاويذ وحدود العلم[٦]» (١٩٠٢)، «والحيوات المتتابعة»[٧] (١٩١١)، و«تعليق الحياة»[٨] (١٩١٣).



دى روشا

كامى فلاماريون

ومن ألمع الأسماء كامى فلاماريون Camille Flammarion (١٨٤٢ — ١٩٢٥) الفيلسوف، وعالم الفلك، ومؤسس «الجمعية الفلكية الفرنسية»، وله فيها عدة مؤلفات معروفة مثل «الموت وغامضه»[٩] فى ثلاثة أجزاء، ومثل

---

(١) Les Forces Non Définies.

(٢) Le Fluide des Magnetiseurs.

(٣) Les Etats Profonds De L'hvpnose.

(٤) L'Extériorisaton De La Motricité.

(٥) Les Etats Superficiels De L'hypnose.

(٦) Les Effleuves Odiques. L.Envoutement. Les Frontiéres De La Science

(٧) Les Vies Successives.

(٨) L'a Suspension De La Vie.

(٩) La Mort Et Son Mystère,
وقد عرب المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى بعض أجزاء منه فى مؤلفه على «أطلال المذهب المادى».

«المنازل المسكونة»(١) التى حققها بنفسه ، ومثل «قوى الطبيعة المجهولة »(٢) ، و« تعدد العوالم المسكونة »(٣) ، و«المجهول والمشكلات الروحية »(٤) ، بالإضافة إلى مؤلفه « الله فى الطبيعة — أو الروحية والمادية إزاء العلم الحديث»(٥) فى مجلدين .

وعندما اختير فلاماريون رئيساً « لجمعية البحث الروحى » بلندن ، وكان فى الحلقة التاسعة من عمره ، لخص فى خطاب الرئاسة الذى ألقاه فى أكتوبر من سنة ١٩٢٣ نتائج تجارب ستين عاماً فى البحث الروحى قائلا : « إن هناك ملكات غير معروفة فى الإنسان تنتمى إلى الروح ، وثمة شىء أشبه ما يكون بنموذج آخر منه(٦) such a thing as the double ، وأن الفكر يمكن أن يخلف وراءه صوراً ما ، وأن التيارات الروحية تخترق الأجواء ، وأننا نحيا فى وسط عالم غير منظور ، وأن ملكات الروح تبقى بعد تحلل الأعضاء الجسدية ، وأن هناك منازل مسكونة ، وأن الموتى يظهرون بصورة استثنائية ونادرة ، وأنه لا محل للشك فى إمكان حدوث هذه الظواهر ، وأن التلباثى يوجد بين الأموات والأحياء بقدر ما يوجد بين الأحياء » .

وقد عادت روح فلاماريون فى سنة ١٩٣٢ عن طريق وساطة ا . ﻫ . لويمان A. H. Loweman ، وهو بائع محدود الثقافة ، وأملت كتاباً بتوقيع إيجولاند — على ما قرره إميلى لويمان Emily Loweman فى مؤلفه الذى يحمل هذا الاسم Egoland ، وهو ابن الوسيط — وكان ذلك ببلدة

(١) Les Maisons Hantées.
(٢) Les Forces Naturelles Inconnues.
(٣) La Pluralité Des Mondes Habités.
(٤) L'Inconnu Et Les Problèmes Psychiques.
(٥) Dieu Dans La Nature.
(٦) وسنعالج تفصيلا موضوع هذا النموذج فى الفصل الذى خصصناه للكلام فى « الجسد الأثيرى عند الانسان » وهو أحد فصول الباب المقبل .

« ليتل جلنهام » Little Glenham . كما قرر الدكتور جلين هاملتون أن روح فلاماريون كانت من ضمن الأرواح المرشدة فى جلساته بمدينة وينيبج بكندا[1] .

موقف أكاديمية العلوم بباريس

لأكاديمية العلوم بباريس[2] مقام رفيع بين الهيئات العلمية ذات السمعة الدولية . وفى سنة ١٨٥٤ وقفت هذه الأكاديمية موقفاً عدائياً صريحاً من جلسات الاتصال بالأرواح بوصفها تمثل محض خرافة ليس لها سند علمى ، وكان من أقطاب الأكاديمية فى ذلك الوقت أمثال فراداى Faraday وشيفريه Chevreul . وذلك لأن التجارب الروحية كانت فى مهدها لم تتكشف عن شىء يذكر من البينات التى تكشفت عنها فيما بعد ، لأن كل حركة التجريب الروحى لا ترجع لأكثر من سنة ١٨٤٨ كما ذكرنا فى فصل سابق .

ولكن بعد هذا الموقف العدائى تغير اتجاه الأكاديمية فى السنين اللاحقة فالتزمت موقفاً محايداً لا إثبات فيه ولا إنكار . ثم أخذ بعض كبار أعضائها — منذ مطلع القرن الحالى — يسهمون بنصيب وافر فى تحقيق الظواهر الوساطية ، ويؤسسون عليها أخطر النتائج العلمية . ومنهم بوجه خاص برجسون الفيلسوف العظيم ، وبيير كورى Pierre Curie وزوجته مارى كورى Marie Curie مكتشفا الراديوم ، وإدوارد برانلى أحد مخترعى المذياع ، وديران دى جرو Durand De Gros العالم الفسيولوجى ، ودارسونفال D' Arsonval الأستاذ « بالكوليج دى فرانس » ورئيس « المعهد العام لعلم النفس » بباريس .

---

(١) راجع ما سبق فى ص ٣٠٧ .

(٢) وهى إحدى أكاديميات خمس تضمها هيئة يطلق عليها Institut De France Academie des Sciences

ومنهم من استعان بهم « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس بعد إنشائه فى سنة ١٩١٩ فى تحقيق ظواهر الوساطة الروحية إلى جانب علماء المعهد . ومن هذا النفر الأخير نذكر العلماء الكونت دى بوتوكى De Potocki ، ودى جرامون De gramont ،وشارل ريشيه . وقد واصل الأخير بحوثه فى الظواهر الوساطية لمدى عشرات من السنين وجمع جزءاً هاماً منها فى مؤلف له «فيما وراء الروح»(١) وقد كان فى أصله عبارة عن تقرير أودعه فى أكاديمية العلوم هذه بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٩٢٢ ، ولنا إليه عودة تفصيلية فى أحد فصول الباب المقبل .

بل لقد أخذت هـــــذه الهيئة العلمية تمنح الجوائز عدة مرات لبعض المؤلفات الروحية القيمة ، على ما سيلى بيانه فيما بعد ، تأكيداً منها لموقفها الجديد المحايد من هذا الموضوع ، وبغير أن ترتبط — كهيئة — بأى رأى إثباتاً أو نفياً ، وهذا موقف طبيعى لا تثريب عليه فإن أية هيئة علمية راقية ترفض الارتباط — كهيئة — فى أى موضوع حتى يبقى باب الاجتهاد مفتوحاً فى وجه كل باحث ، وإلى أى اتجاه اتجهت نتائج بحثه ، فما بالك إذا تعلق الأمر بأخطر موضوع يبحث فى العالم العلمى الآن ، وهو فى نفس الوقت أكثرها اتصالا بأدق مشكلات العلوم الأخرى ؟!..

علماء المادة فى فرنسا يبحثون موضوع الروح والخلود

هذا وقد بحث علماء فرنسيون من ذوى المكانة الكبرى موضوع خلود الروح . ومنهم من قام بإثبات حقيقة الحياة بعد الموت عن طريق بحوثه فى علوم الأحياء ،وعن طريق معادلات رياضية شتى ، بالإضافة إلى بحوث الظواهر الوساطية ، وهى تتضافر معها فى إثبات هذه الحقيقة .

ومن هذه الطائفة الأخيرة العالم الأزاسى شارل هنرى Charles Henry الذى كان يدير معمل « فسيولوجيا الانفعالات بالسوربون » . وقد وجد سبيلا

(١) Traité De Métapsychique.

علمياً لإثبات الحياة بعد الموت قائلا « إذا كانت دراسة الروح كما تكون عليه بعد الموت اعتبرت فيما مضى مما يدخل فى نطاق البحث فيما وراء الطبيعة فإنها ستصبح غداً من البيولوجيا » . وهو واحد من هؤلاء العلماء الذين لا يمكن أن يفهم أعمالهم بالكامل سوى القايلين من أمثاله . وقد قادته مثارته إلى اكتشاف المواد التى تحدث التعادل البيولوجى . . . كما وجد دليلا رياضياً على الحياة بعد الموت[1] .

وكتب الأستاذ شارل أندرى بورجوا Charles Andry Bourgeois عنه قائلا إنه طبق الرياضيات على دراسة الانفعالات فشيد علماً حقيقياً عن الانفعالات من الوجهة النفسية الفيزيقية psychophysique des sensations وتأثير المواد التى تحدث التعادل فى بيولوجيا الروح[2] . وانتهى إلى الإثبات العلمى للحياة بعد الموت ولوجود الله تعالى . وهو على اتفاق مع برجسون Bergson وهنرى بوانكاريه H.Poincaré الذى قرر أنه لا يوجد ما هو حق إلا الروح ومظاهرها الخارجية ، ومع الدكتور جوستاف جيلى G. Geley فى مؤلفه عن « التفسير المثالى للعالم عن طريق عنصر واحد »[3] .

كما كتب الدكتور دارسونفال D'Arsonva عضو أكاديميتى العلوم والطب والأستاذ «بالكوليج دى فرانس» ورئيس « المعهد العام لعلم النفس » فى مقدمة لكتاب للسيدة ألكسندرا دافيدنيل Alexandra David Neel عن «الغيبيات والسحرة فى بلاد التبت»[4] يقول : « فى المحاضرات التى طلبت من مدام دافيد نيل أن تلقيها فى الكرسى الذى أشغله الآن (فى الكوليج

---

(١) أشار إليه أنكتيل Anquetil فى مؤلفه :
Le Reliquaire De la Mort p. 101.
(٢) Reactions des resonnateurs biopsychique.
(٣) Le Monisme Idéaliste.
(٤) Mysticisme Et Magiciens Au Thibet.

دى فراس) — والذى كان يشغله أستاذنا كلود برنار — أمكن للسيدة أن تنتهى إلى النتيجة الآتية ، وهى أن كل ما يتصل من قريب أومن بعيد بالظواهر الروحية — وتأثير القوى الروحية بوجه عام — ينبغى أن يدرس كأى علم من العلوم . فلا توجد هناك خوارق للطبيعة ، وليس هناك ما من شأنه أن يورث الأخطاء ، بل إن الدراسة الروحية العاقلة التى تسير على نهج علمى يمكن أن تؤدى بنا إلى نتائج مرجوة .

ولذلك فإن ما يجمع من المعلومات عن هذا الطريق — حتى ولو تمت تلك الدراسات بأسلوب حماسى وعلى أساس من النظريات التى لا يمكن قبولها كلها — تكون فى النهاية وثائق مفيدة جديرة بالتفاتنا » . ثم يضيف الدكتور دارسونفال معقباً « إن هذا هو النهج العلمى الصحيح البعيد عن التشكك قدر بعده عن التصديق الأعمى » .

وهذا هو ما عبر عنه الجراح الكبير مارتل Martel عندما قال أيضاً « إن خطة العلم المادى فى أن يحبس نفسه داخل صندوق من حديد كيما لا يمحص الأصوات ومظاهر القوى التى تأتينا من العالم الآخر . . . لخطة غير مشروعة ، فما يجب أن نرفض إجراء أية تجربة مهما كان نوعها»(١).

جان ليرميت

ومن علماء المادة الفرنسيين الذين بحثوا موضوع الروح الدكتور جان ليرميت Jean Lehermitte الأستاذ بكلية الطب بباريس ، والذى خرج من بحوثه بأن رؤية روح الإنسان الحى ليست خيالا بل حقيقة علمية ، وحاضر فى هذا الموضوع ونشرت نتيجة أبحاثه « الصحيفة البريطانية الطبية »(٢) .

---

(١) Mme Blavatsky : Isis Devoilée T. 4. P. 366.

(٢) British Medical Journal.

وذلك فى عدد الأسبوع الأول من شهر مارس سنة ١٩٥٠ .

وقد انتهى ليرميت إلى أن الطرح الروحى حقيقة واقعة.وقال إنه حقق حالة فتاة عندما تأوى إلى فراشها كانت تشعر بانقسام فى جسمها يتبعه انسياب جزء منه فوقه (وهو جسدها الأثيرى) . كما ذهب إلى أن الطرح الروحى الذى يحدث فى حالات الصرع هو فى حقيقته ضد ضلالة التصور أو الهلوسة .

وبعد أن سرد حوادث متعددة لهذا الطرح الروحى لاحظ — كما لاحظ عدد من الوسطاء الروحيين وأكدوه — وجود شعور من التبعية أو الارتباط المادى والروحى بين الروح المطروحة وصاحبها ، أو بين الشبح والأصل لأن « الإنسان فى هذه الحالة لا يعتقد فحسب أنه يستطيع أن يرى شبح نفسه وكأنما انعكس على مرآة ، بل يدرك كذلك أن فى هذا الشبح يوجد جزء من نفسه . فهو يشعر كما لو كان مرتبطاً بهذا الشبح بروابط روحية ومادية » .

دور « المعهد الدولى لما وراء الروح »

ويتعذر أن نأخذ فكرة كافية عن بحوث الروح فى فرنسا إلا إذا أفسحنا مكاناً مناسباً « للمعهد الدولى لما وراء الروح » Institut Métapsychique International . فعلم ما وراء الروح La Métapsychique هو — بحسب تعريف الدكتور شارل ريشيه — العلم الذى « يدرس جميع الظواهر التى تبدو مستندة إلى قوى عاقلة غير معروفة ، وتدخل فيها الظواهر الغريبة لعقلنا الباطن » . وهو بحسب دائرة معارف لاروس Larousse « علم دراسة ظواهر الروح الإنسانية التى تتجاوز علم النفس العادى» (١).

وقد تأسس هذا المعهد فى سنة ١٩١٩ وكان أعضاؤه المؤسسون هم : شارل ريشيه الأستاذ بكلية الطب بباريس رئيساً شرفياً ، وسانتو ليكيدو R. Santoli Quido مستشار الدولة فى إيطاليا رئيساً ، والمفتش العام ليكلينش

---

(١) Science des phénomènes de l'âme humaine qui dépassent la psychologie ordinaire.

Leclainche . والعـــالم النفسى الإيطالى إرنستو بوزانو E. Bozzano ، والوزير جيل روش Jules Roche ، والدكتور ترسييه Treissier ، وأرنودى جرامون Arnaud De Gramont عضو أكاديمية العلوم ، والمفتش العام الدكتور كالمت Calmette ، والدكتور شارل رو Charles Roux ، والسناتور سيراولو Ciraolo ، وسينيو Cuneo الأستاذ بكلية الطب ، وسير أوليفر لودج العالم الانجليزى ، والدكتور ماكسفل Maxwell المحامى العام الفرنسى . وإرنست ماير E. Meyer مستشار الدولة بباريس ، والعالم الألمانى شرنك فون نوتزنج Schrenck Von Notzing وعدد آخر من العلماء والباحثين فى فرنسا وانجلترا وألمانيا وإيطاليا .

وأطلق عليه اسم « المعهد الدولى لما وراء الروح » على اعتبار أن « ماوراء الروح » وصف عام يشمل كل الظواهر غير المألوفة وغير العادية التى قد لا يعرفها أو قد لا يعترف بها علم النفس العادى ، ومن بينها ظواهر الوساطة الروحية . فحين يطلق وصف « الاسبرتزم » أو علم التجريب الروحى على « الفقه المؤسس على وجود الأرواح وظواهرها وتعاليمها » بحسب تعريف الفيلسوف آلان كاردك ، يطلق وصف « ما وراء لروح » كما قلنا آنفاً على كل بحث يتجاوز بحوث علم النفس العادى وينصب مباشرة على دراسة الظواهر غير العادية أو غير المألوفة المسندة إلى قوى عاقلة غير معروفة ، بصرف النظر عما إذا كان مصدرها من عالم الروح أم من عالم المادة ، وبدون ارتباط مبدئى بمصدرها من عالم آخر ، ولـكن بدون إنـكار لهذا المصدر .

فعلم ما وراء الروح هو فى الواقع قطاع من العلم الروحى الحديث ينصب مباشرة على دراســة الظواهر الوساطية ، وتسجيلها بين ظواهر أخرى . أما التجريب الروحى أو الاسبرتزم Spiritisme فهو يطوى دراسة هذه الظواهر ، كما يطوى أيضاً دراسة الـكائنات العاقلة المحدثة لها ، من ناحية حقيقة

أمرها كأرواح أشخاص انتقلوا إلى عالم الروح أو غيرهم ، ومن ناحية إثبات شخصيتها ، ومن ناحية صلاتها بنا . ووصف العالم الذى تعيش فيه ، هذا إلى دراسة الآراء التى تنادى بها نقداً وتحليلا .

والموضوعات التى تبحث فى فرنسا تحت وصف « ما وراء الروح » هى نفس الموضوعات التى تبحث فى البلاد الأنجلوسكسونية وألمانيا تحت وصف « الباراسيكولوجى »[1] . لذا يمكن القول بأن علوم التجريب الروحى « الاسبرتزم » ، والروح ، وما وراء الروح والباراسيكولوجى متكاملة ، تجمعها رابطة هامة واحدة هى أنها هى كلها تدور حول التسليم بإمكان استقلال الوعى الإنسانى عن الجسد والشعور عن الحواس . ووصف علم الروح (بالفرنسية Science Psychique وبالإنكليزية Ps·chic Science) بالإضافة إلى أنه يشمل دراسة الظواهر غير المألوفة ، فإنه يشمل دراسة المشكلات الفلسفية والعلمية المتصلة باستقلال الوعى عن الجسد . فهو أكثرها شمولا ، ويعد الأصل العام للعلوم الثلاثة الأخرى التى تعتبر فروعاً منه .

وكان علم « ما وراء الروح » يعد فى وقت من الأوقات منافساً خطراً لعلم الروح . لكن سرعان ماتبين أن الفصل بينهما متعذر ، بل لقد تراجع « ما وراء الروح » تراجعاً واضحاً لمصلحة العلم الروحى الذى تفوق عليه مكتسباً أنصاراً جدداً على الدوام من بين أنصاره[2] . حتى ليمكن القول

(١) راجع ما سبق ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٢) راجع فى هذا المعنى مدام إيفون كاستلان Yvonne Castellan فى مؤلفها : Le Spiritisme·
وهى أيضاً باحثة فى علم «ما وراء الروح» ولها فيه مؤلف عنوانه La Métapsychique
وراجع أيضاً مؤلفاً عنوانه «ما هو ماوراء الروح بحسب ريشيه وبرجسون وأوستى ؟ » Qu'est-ce Que La Métapsychique للأستاذ فردريك سيسيه Frédéric Saisset . باريس سنة ١٩٤٠ .

الآن إنه لا يكاد يوجد باحث علمى جاد بدأ بحوثه الروحية تحت وصف علم ما وراء الروح (أو الباراسيكولوجى) إلا وقد اتجه مع الوقت اتجاهاً واضحاً وصريحاً نحو تعليل الظواهر الوساطية بالروح ، ونحو الاقتناع بالحياة بعد الموت كحقيقة علمية مؤكدة تكمن وراء هذه الظواهر فى دلالاتها الواضحة ، والتى يتعذر أن يجد العلم المادى لها تعليلا آخر فى قوة التعليل الروحى ، أو يمكن الاستغناء به عنه .

على أنه بين العلمين فى النهاية وثيق صلة ، فلا يمكن للعلم الروحى أن يزعم أن كل الظواهر الوساطية تخضع لتأثير مباشر من عالم الروح أو من أرواح المنتقلين . فقد تبين أن ثمة ظواهر وساطية — وإن كانت بذاتها تثبت استقلال الوعى عن الجسد المادى — وبالتالى إمكان بقائه بعد تحلل هذا الأخير — إلا أنها ليست خاضعة حتماً لتأثير من عالم آخر .

وهذا التحفظ فى اختيار اسم « المعهد الدولى لما وراء الروح » قصد به توسيع رسالة هذا المعهد ونطاق نشاطه ، كما روعى فيه عدم تقييده مقدماً بأى اتجاه معين ، مع أن جل مؤسسيه كانوا قد انحازوا انحيازاً صريحاً إلى جانب التعليل الروحى فى بحوثهم للظواهر الوساطية . ومنذ بدأ هذا المعهد أعماله فى سنة ١٩١٩ تلقى اعترافاً رسمياً من الحكومة الفرنسية بأنه « مؤسسة ذات نفع عام » . ومجلته تتضمن أحياناً ظواهر حضور الأرواح من العالم الآخر ، وتجارب الجلاء البصرى ، والتجسد الكلى والجزئى ، وكافة المباحث الروحية وما يتصل بها ، حتى كاد أن يكون معهداً للأرواح . لكنه لم يقصر نشاطه على هذه المباحث وحدها .

جوستاف جيلى

ومن الدلالات ذات المغزى الهام أن مديره الأول وهو الدكتور

جوستاف جيلي Gustave Geley (١٨٦٨ — ١٩٢٤) الذى تولى إدارته من سنة ١٩١٩ إلى سنة ١٩٢٥ كان من الباحثين الروحيين الذين عنوا بوجه خاص بظواهر التجسد ودراسة مادة الإكتوبلازم .

وقد حاضر جيلي فى هــــذا الشأن فى أرقى معهد على فرنسى وهو « الكوليج دى فرانس « Collège De France عن تجاربه على الوسيطة الروحية إيفا Eva — وقد استغرقت ثمانية عشر شهراً بين عامى ١٩١٧ ، ١٩١٨ ـ تحت عنوان « الفسيولوجيا التى توصف بأنها فوق العادية[1] » . وشرح فى محاضراته بكل دقــة ظاهــــرة التجسد الجزئى لأيد ولوجوه ولرؤوس غير منظورة عن طريق مادة الاكتوبلازم التى حللها مراراً ووصفها وصفا دقيقــاً فى محاضراته[2].



جوستاف جيلي

وأهم مؤلفات الدكتور جيلي الروحية « الروحيتان »[3] (١٩٠٣) ، و « المثالية وعلم النفس » (١٩١٣)[4] ، و « مساهمة فى دراسة المراسلات المتبادلة »[5] (١٩١٣) ، و « الكائن الفوق الواعى »[6] (١٩١٩) .

---

(١) Physiologie dite supra-normale.

(٢) وراجع ما سبق ص ١٨٨ — ١٩٤ .

(٣) Les Deux Psychismes.

(٤) Idéalisme Et Psychologie.

(٥) Contribution à L'Etude des Correspondences Croisées.
وراجع ما سبق عن هذه المراسلات فى ص ٢٣٨ .

(٦) L'Etre Subconscient.

و « من العقل الغير الواعى إلى العقل الواعى[١] » (١٩٢١) ، وهو دراسة فريدة لنظريات التطور الإنسانى ونشوء الحياة على هذا الكوكب ، أو بالأدق للوعى الإنسانى وتطوره نحو الاكتمال . ومنها كذلك « أدلة التحول وتعاليم نظرية التطور »[٢].

ومن أهم مؤلفاته أيضاً «الإكتوبلازم والجلاء البصرى»[٣](١٩٢٤) ، و « محاولة لفحص عام وتفسير تركيبى للروحية»[٤] . وهذان الكتابان الأخيران يتضمنان عشرات من اللوحات الحاسمة لتجسدات الأوجه والأيدى ، ولنماذج كثيرة من الشمع للأعضاء المتجسدة فى أوضاع شتى لها ، وقد صنعت كلها داخل « المعهد الدولى لما وراء الروح » ، وفى ظروف تتوافر لها كل الضمانات المطلوبة ، وقد قدمنا بعض نماذج منها فيما سبق ، وسنقدم نماذج أخرى فيما بعد .

وقد توفى جيلى فى حادثة سقوط طائرة كان قد استقلها من وارسو عائداً إلى باريس بتاريخ ١٤ يوليه سنة ١٩٢٤ ، وكانت إحدى الوسيطات وهى مدام بيروتيه Peyroutet قد تنبأت بالحادثة — بإشارات واضحة الدلالة — داخل المعهد فى ٩ يوليه للدكتور أوستى الذى كان يعمل معه فيه ! . . (على ما رواه الدكتور شارل ريشيه فى مجلة المعهد : سنة ١٩٣٠ ، العدد الأول ص ١٠٨ — ١١٠) .

(١) De D'inconscient au Conscient.

(٢) Les Preuves du Transformisme et Les Enseignements de la Doctrine Evolutionniste.

(٣) L'Ectoplasmie et la Clairvoyance.

(٤) Essai de Revue Génerale et D'interprétation Synthétique du Spiritisme

وقد ظهرت طبعته الأولى فى سنة ١٨٩٧ ولكن أضيفت إليه فى طبعته الثانية التى ظهرت فى سنة ١٩٢٥ وثائق جديدة حاسمة عن نتائج التجارب على الوسيطة إيفا كارييه (فرنسية) وفرانك كلاسكى (بولونى) (راجع ما سبق فى ص ١٨٨ — ١٩٤) .

أوجين أوستى

ثم راح خلفه الدكتور أوجين أوستى Eugéne Osty ـ الذى تولى إدارة المعهد من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٣٨ – يبحث بوجه خاص فى ظواهر الإدراك عن غير طريق الحس perception extra sensorielle التى منها التاباثى ، والجلاء البصرى ، والجلاء السمعى ، وألف فيها كتاباً عنوانه «المعرفة الفوق العادية[١]» التى كانت تميز بعض العرافين والعرافات الذين أخضعهم لبحوثه ، مثل العراف باسكال فورتينى Pascal Forthuny ، ومدام دى فليريير De Fleurière .

وقد تعرض فيه لطائفة من العوامل التى قد تلعب دوراً فى أخطاء الوسطاء ، خصوصاً أخطاء التنبؤ بالمستقبل . ومن بينها سوء استخدام الوسيط ، أو مقاطعة أفكاره بأفكار أخرى ، أو توجيهه فكرياً فى اتجاه معين من نفس الشخص الذى قد يستشيره ، إلى غير ذلك من عوامل التداخل التى قد توجه الوسطاء إلى بعض صور الخطأ المحتملة . يضاف إلى ذلك أن العقل الواعى للوسيط قد يترجم ترجمة خاطئة ما قد يراه من رؤى مختلفة قد تؤدى به إلى خطأ فى الشخصية . ومن ذلك ماذكره من أن وسيطاً تنبأ يوماً لأحد سائليه بكل التفاصيل التى ستقع عند انتقاله إلى عالم الروح ، فتحققت النبوءة عند وفاة والد السائل بكل تفاصيلها . فهنا حدث خطأ فى الشخصية . . . وهكذا .

وللدكتور أوستى مؤلفات أخرى قيمة مثل « شفافية وإلهام : دراسة تجريبية»[٢] (١٩١٣) ، و « اتجاه الحياة الإنسانية »[٣] (١٩١٩) ، وذلك

---

(١) Connaissance Supra Normale.

(٢) Lucidité Et Intuition. Etude Experimentale: Alcan 1913.

(٣) Le Sens De La Vie Humaine.

بالإضافة إلى دراسة موضوعها « القوى المجهولة للروح على المادة »(١) قام بها بالاشتراك مع الأستاذ مارسيل أوستى Marcel Osty .

رينيه فاركولييه


ر. فاركولييه

ولا يزال « المعهد الدولى لما وراء الروح» يواصل رسالته . وقد تولى إدارته منذ سنة ١٩٥٠ إلى سنة ١٩٦٢ المهندس رينيه فاركولييه René Warcollier الذى انتقل إلى عالم الروح فى هذا العام الأخير . وقد عرف ببحوثه الغزيرة التى جاوزت خمسين بحثاً فى الظواهر الوساطية، بما فى ذلك السيكومترى ، والتجسد، والتلباثى، والجلاء البصرى، والتنبؤ، وتعريف الزمان والمكان بحسب علم الروح، ونظرية العودة للتجسد Reincarnation ، إلى غير ذلك من الموضوعات التى يعنى بها علماء الروح وما وراء الروح . ومن يرجع إلى مجلد سنة ١٩٦٢ من مجلة هذا المعهد يجد فيه بياناً ببحوث فاركولييه نشر بمناسبة انتقاله إلى عالم الروح ، فليرجع إليه من شاء الاستزادة فى هذه الأمور(٢) . وله أيضاً كتاب عن التلباثى يرجع إلى سنة ١٩٢١(٣) ، وآخر عنوانه « معجزات الإرادة »(٤) بالاشتراك مع ديشاتيل Duchatel .

---

(١) Les Pouvoirs Inconnus De L'Esprit Sur La Matière.

(٢) Revue Métapsychique. ص ٢٥ ، ٣٦ .

(٣) La Telepathie.

(٤) Les Miracles De La Volonté.

طائفة من الفلاسفة والمفكرين

هذا عن البحوث التي جرت بمعرفة علماء متفرقين ، أو داخل « المعهد الدولي لما وراء الروح » . ولا يتم سردنا لبعض الأسماء والمراجع الفرنسية في هذا الموضوع إلا إذا أوردنا بعض شذرات سريعة عن جانب من أبرز فلاسفة هذا الموضوع وكبار مفكريه في فرنسا ، أسوة بما فعلناه عنهم في غيرها :

آلان كاردك

لعل أبرز فيلسوف فرنسي في موضوع الأرواح حتى الآن هو آلان كاردك Allan Kardec (١٨٠٤ — ١٨٦٩) . وقد كان طبيباً ، وعالماً تربوياً ، وواصل بحث هذا الموضوع لسنين طويلة داخل جمعية روحية أنشأها خصيصاً كانت تضم صفوة من أهل الأدب والفكر هناك ممن ذكرنا بعض أسمائهم آنفاً ، ولها جملة فروع في الأقاليم ، كما كان ينشر اتصالات هذه الجمعية مع الأرواح في مجلة أنشأها لهذا الغرض اسمها « المجلة الروحية[١] » . وله مؤلفات عديدة تعد من أفضل المراجع في هذا الموضوع في فرنسا والبلاد اللاتينية بوجه عام أهمها « كتاب الأرواح »[٢] ، و« كتاب الوسطاء »[٣] ، و « التكوين »[٤] ، و« مؤلفات ما بعد الموت »[٥] ، و « الجنة والنار »[٦] ، و « تعريف عملي بالظواهر الروحية »[٧] . ولنا عودة إلى أعمال هذا الباحث الفيلسوف عندما نعرض

---

(١) La Revue Spirite.
(٢) Le Livre Des Esprits.
(٣) Le Livre Des Mediums.
(٤) La Genèse.
(٥) Oeuvres Posthumes.
(٦) Le Ciel Et L'Enfer.
(٧) Instruction Pratique Sur Les Manifestations Spirites.

فى الجزء الثانى لموضوع « الثواب والعقاب » إذ ستكون بحوثه هى المرجع الرئيسى لنا فيه ، وبخاصة مؤلفه « الجنة والنار » .

ليون دنيز

ويجىء بعده دور ليون دنيز Léon Denis (١٨٤٧ — ١٩٢٧) الذى كان وسيطاً وفيلسوفاً ، وقد ألف فى موضوع الأرواح حوالى ثمانية عشر كتاباً ؛ ودخل بسبب بعضها فى صراع شديد مع رجال الدين من الكاثوليك الذين جهروا بعدائهم للحركة ، فهاجمهم بعنف أصبح مميزاً لكتاباته فى عدد من المواضيع الكهنوتية التى أثارها فى بعض مؤلفاته .

وأهم هذه المؤلفات « بعد الموت »(١) ، و « مشكلة الكائن والمصير »(٢) الذى يتضمن ثمرة تجريب طويل فى دائرته الروحية بمدينة تور Tours ، و « المسيحية والروحية »(٣) . و « العالم الغير المنظور والحرب »(٤) ، « وعبقرية الصلت والعالم الغير المنظور »(٥) ، وقد ذكر فيه « أن روح آلان كاردك هى التى دفعتنى إلى تحرير هذا الكتاب ، وسيجد فيه القارىء مجموعة من الرسائل التى أملتها علينا روحه بطريق الاندماج incorporation فى ظروف تنفى كل خداع . وفى خلال هذه المحادثات قدمت إلينا أرواح تحررت من حياتها الأرضية نصائحها وتعاليمها » .

---

(١) Après La Mort.

(٢) Le Problème de l'Etre Et De La Destinée.

(٣) Christianisme Et Spiritisme.

وله ترجمة انكليزية عنوانها Christianity And Spiritualism بمعرفة السيدة هيلين درابر سبكمان Helen Draper Speakman .

(٤) Le Monde Invisible Et La Guerre.

(٥) Le Genie Celtique Et le Monde Invisible.

ومن أهم مؤلفاته أيضاً « فى الغير المنظور : الروحية والوساطة »(١) . و « اللغز العظيم »(٢) ، و « الله والكون »(٣) الذى شرح فيه نظريات بعض الأرواح فيما وراء الطبيعة .

ومن مؤلفاته أيضاً « الحقيقة حول جان دارك »(٤) الذى أظهر فيه قديسة اللورين فى ردائها الصحيح كوسيطة كانت تعمل بتوجيه من أرواح ذكرت أسماءها : وهى أرواح القديس ميخائيل والقديستين كاترين ومارجريت ، التى ظلت تسمع أصواتها مرتين أو ثلاثاً كل أسبوع . وقد ظهرت لها القديستان كاترين ومارجريت فى زى الملكات يعلو رأس كل منهما تاج ثمين ، وطلبتا منها تحرير وطنها من البريطانيين حتى تمكنت من تحريره من معتد غاصب فكان جزاؤها الأوفى اتهامها بالسحر وإحراقها حية ، فراحت ضحية الظلم الغشوم ، كما راحت من قبل القديستان مرجريت وكاترين . وقد كانت جان دارك فى حياتها ومماتها أروع مثال لقصة الكفاح الخالد بين الخير والشر ، ثم أصبحت الساحرة فى حياتها الأرضية قديسة تستحق الاحترام والتبجيل ، وتقام لذكراها الموائد والأعياد بعد مضى خمسة قرون .

ومن يدرس تاريخ جان دارك (١٤١٢ — ١٤٣١) بعناية يدرك تماماً أنها لم تكن واهمة : فمن رؤى صادقة ، إلى مشاهدة الأرواح وسماع أصواتها ، إلى محاولات متكررة كيما تروغ منها لمدة أربع سنوات ، إلى أن أذعنت على مضض ، مما يبين تماماً أنها كانت مسيرة بقوى غير منظورة غلبتها فى النهاية على إرادتها ، لخدمة هدف وطنى معين كانت الأرواح تريد تحقيقه ، ولو أنها لم

---

(١) Dans l'invisible : Spiritisme Et Mediumnité.
(٢) La Grande Enigme.
(٣) Dieu Et l'Univers.
(٤) La Vérité Sur Jeanne D'Arc.

تـكن تتصور لجان دارك المسكينة مصيرها الأليم الذى رسمه لها شياطين الأرض لا جند السماء . وقد أعجب به الأديب الـكبير سير آرثر كونان دويل فنقله إلى الإنـكليزية تحت عنوان « لغز جان دارك »[١] .

وقد انتخب ليون دنيز رئيساً فخرياً « للمؤتمر الروحى الدولى » الذى عقد فى باريس فى سنة ١٩٠٠ ، كما أعيد انتخابه رئيساً للمؤتمر الذى عقد فى سنة ١٩٢٥ وانتقل إلى عالم الروح فى سنة ١٩٢٧ .

جابرييل ديلانه

ومن الباحثين الفرنسيين أيضاً جابرييل ديلان Gabriel Delanne (١٨٥٧ — ١٩٢٦) وكان مهندساً ، وتولى فى وقت ما رئاســة تحرير « المجلة العلمية والخلقية للروحية »[٢] ، وقام ببحث الظواهر الروحية بأسلوب علمى ، وكان باحثاً مدققاً ؛ ويعتبر من كبار رواد الحركة الروحية الفرنسية ، إذ ظهر له أول مؤلف فيها وعنوانه « الظاهرة الروحية : شهادة العلماء »[٣] فى سنة ١٨٩٤ ؛ ثم ظهرت له بعد ذلك عدة مؤلفات مثل « الروحية إزاء العلم »[٤] (١٨٩٥)، ومثل « بحوث على الوساطة »[٥] (١٨٩٦) ، و « الروح خالدة ، أو بينات على الحياة المستقبلة »[٦] (١٩٠٤) ، و «أشباح متجسدة لأحياء ولأموات»[٧] فى جزئين ظهر أولها فى سنة ١٩٠٩ وثانيهما فى سنة ١٩١١ .

---

(١) The Mystery Of Joan Of Arc.
وراجع فى تاريخ جان دارك كتاباً عنها عنوانه « جان دارك : عرض وتحليل وتعقيب » (القاهرة ١٩٦٦) للأستاذ عبد اللطيف محمد الدمياطى .

(٢) La Revue Scientifique Et Morale Du Spiritisme.

(٣) Le Phenomène Spirite, Témoignage Des Savants

(٤) Le Spiritisme Devant La Science.

(٥) Recherches Sur La Mediumnité.

(٦) L'Ame Est Immortelle.

(٧) Les Apparitions Materialisées Des Vivants Et Des Morts.

وقد كان ديلان أكثر اعتدالا من ليون دنيز فى موقفه من رجال الكنيسة . والتزم موقف آلان كاردك المعتدل من ناحية محاوله التوفيق بين آرائهم وآراء بعض الأرواح . وقد أسس ديلان مع آخرين « الاتحاد الروحى الفرنسى »(١) فى سنة ١٩١٧ .

بحاث آخرون

ومن البحاث المعروفين السيدة جوليت ألكسندر بيسون J. A. Bisson التى ظلت تواصل تجاربها فى باريس على الوسيطة إيفا من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٣ بالاشتراك مع العالم الألمانى الدكتور شرنك فون نوتزنج Schrenck Von Notzing ، والتى ورد بيانها فى مؤلف لها عنوانه « الظواهر الموصوفة بالتجسد »(٢) (١٩١٤) ، وفى مؤلف للدكتور نوتزنج عنوانه « ظواهر التجسد »(٣) (وله ترجمة إنكليزية) .

ومنهم الدكتور شارل شازاران Ch. Chazarain وله مؤلف عنوانه « الأدلة العلمية على حياة الروح بعد الموت »(٤) (١٩٠٥) ، وآخر عنوانه « تجسدات غير معروفة كثيراً شوهدت فى باريس »(٥) (١٩١١) .

ومنهم أيضاً الأستاذ إدوارد شيريه Edoward Schuré وله مؤلف فى جزئين عنوانه « المبتدعون الكبار »(٦) ، وثان فى نفس الاتجاه عنوانه

---

(١) L'Union Spirite Francaise.
(٢) Les Phenomènes Dits De Materialisation.
(٣) Phenomena Of Materialisation.
(٤) Les Preuves Scientifiques De La Survivance De L'Ame.
(٥) Materialisations Peu Connues Observées à Paris.
(٦) Les Grands Initiés.
وله ترجمة انكليزية عنوانها The Great Initiates بمعرفة روثويل F. Rothwell.

« آمون وأفلاطون »[١] ، وثالث عنوانه « كاهنة إيزيس »[٢] . ومؤلفات شيريه تتناول بعض أسرار الحياة الروحية عند الفراعنة والإغريق ، والحضارات القديمة بوجه عام .

ومنهم الدكتور بول جوار Paul Joire الأستاذ «بالمعهد النفسى الفسيولوجى الفرنسى »[٣] ، ورئيس « الجمعية العالمية للدراسات الروحية »[٤] ، وله مؤلف عن « الظواهر الروحية والفوق العادية »[٥] (١٩١٦) .

ومنهم الدكتور توماس بريه Thomas Bret وله عدة مؤلفات منها «الشفاء المعجز » (فى جزئين)[٦] ، و « ما وراء الروح »[٧] فى مؤلفين أحدهما فى جزء واحد ، والثانى فى ثلاثة أجزاء .

ومنهم الأستاذ ب . كورنيليه P. E Cornillier بمؤلفيه عن « دوام حياة الروح وتطورها بعد الموت »[٨] ، وعن « ظروف الحياة بعد الموت بحسب أوليفر لودج »[٩] .

---

(١) Hermès Et Platon.
وله ترجمة انكليزية عنوانها .Hermes And Plato بمعرفة نفس المترجم .

(٢) La Prêtrise D'Isis
وله أيضاً ترجمة انكليزية عنوانها The Priestess Of Isis.

(٣) Institut Psycho-Physiolotque De France.

(٤) Société Universelle D'Etudes Psychiques.

(٥) Phenomènes Psychiques Et Supernormaux: Leur Observation Et Experimentation.
وله ترجمة انكليزية عنوانها :
Psychical And Supernormal Phenomena: Their Observation And Experimentation

(٦) La Guerison Miraculeuse (ou Métiatrie).

(٧) Traité de Métapsychie (ou Métapsychoses)

(٨) La Survivance De L'Ame et Son Euolution Après La Mort.

(٩) Les Conditions de la Vie Post Mortem d'Après Oliver Lodge.

ومنهم الأستاذ إميل بوراك Emile Boirac مديراً كاديمية ديجون Dijon الذى واصل بوجه خاص بحوث دى روشا ، ثم بول جوار فى المغناطيسية الحيوانية. وله عدة مؤلفات فى العلم الروحى منها « علم النفس المجهول »[1] (١٩١٥) الذى نال جائزة إمدن Emden من « أكاديمية العلوم » بباريس ، ومنها « مستقبل العلوم الروحية »[2] (١٩١٧) .

ومنهم الأستاذ ليروى ديبريه ليون شفريه Leroy Dupré Léon Chevreul الذى وضع مؤلفاً عنوانه « الإنسان لا يموت »[3] ، نال بدوره جائزة إمدن فى سنة ١٩٣٠ من « أكاديمية العلوم » بباريس .

ومنهم الأستاذ جاك كلير Jacques Clair وله مؤلف عنوانه « هل نحيا بعد الموت ؟ »[4] يحوى سلسلة من البحوث فى هذا الموضوع ، ومنها عدد من بحوث « المعهد الدولى لما وراء الروح بباريس » وغيره ، وقد حملته مجتمعة على أن يقرر فى النهاية « نعم إن الموتى يحيون استناداً إلى آلاف من الوقائع والمشاهدات والشهادات التى خضعت للرقابة الدقيقة » .

ومنهم الأستاذ ميشيل ساج Michel Sage ، ومن مؤلفاته « مدام بيبر وجمعية البحث الروحى الأنجلو أمريكية » (١٩٠٢) بمقدمة من الفيلسوف كامى

---

(١) La Psycholog'e Inconnue.
وقد ترجم إلى الانكليزية ونشر فى نيويورك فى سنة ١٩١٧ تحت عنوان قوانا الخبيئة Our Hidden Forces.. ثم نشر فى لندن فى سنة ١٩١٨ تحت عنوان « العلم الروحى »
Psychic Science.

(٢) L'Avenir Des Sciences Psychiques.
وله ترجمة انكليزية نشرت فى سنة ١٩١٨ تحت عنوان « علم نفس المستقبل » .
The Psychology Of The Future.

(٣) راجع مقالا عن المؤلف بقلم المهندس رينيه فاركوليية مدير « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس فى مجلة المعهد عدد ١ من سنة ١٩٤٠ .

(٤) Vivons-Nous Après La Mort?

فلاماريون[1]، و« منطقة الحدود بين العالم الآخر وهذا العالم »[2] (١٩٠٣)، وقد تناول فيه بوجه خاص أعمال وتأملات العالم والفيلسوف الروحى الألمانى كارل دى برل Carl De Prel . ثم ظهر له كتاب « الصعود الكونى »[3]، ثم كتاب « الروحية مشكلة علمية[4] » (١٩٣٠).

ومنهم الراعى ألفريد بينزيك Alfred Bénézech الذى انتقل إلى عالم الروح فى سنة ١٩٢٦ بعد أن وضع عدة مؤلفات مثل «الظواهر الروحية ومسألة العالم الآخر»[5] ، و«الألم هو الحياة مجددة»[6] ، و«محادثات خلقية ودينية»[7]. كما ساهم فى تحرير « الجريدة الروحية » .

وقد واصل ابنه الأستاذ شارل بينزيك Charles Bénézech — الذى كان مستشاراً بمحاكم الاستئناف — بحوث والده وأصدر فيها مؤلفاً عنوانه «الحياة الأرضية وحياة ما بعد القبر »[8] سنعود إليه فى الجزء الثانى .

ومن البحاث المعروفين أيضاً الأستاذ شارل لانسلان Charles Lancelin الذى له عدة مؤلفات فى هذه الأمور منها « العالم الآخر ومشكلاته »[9] (١٩٠٧)، «والتدليس فى إحداث الظواهر الوساطية »[10] ، و« كيف يموت

---

(١) Mme Piper Et La Societé Anglo-Americaine Pour Les Recherches Psychiques (Leymarie).

(٢) La Zone Frontière Entre L'autre Monde Et Celui-Ci

(٣) L'Ascension Cosmique.

(٤) Le Spiritisme Problème Scientifique.

(٥) Les Phenomènes Psychiques Et La Question De L' Au—Delà.

(٦) Souffrir Revivre.

(٧) Causeries Morales Et Religieuses.

(٨) La Vie Terrienne Et La Vie D'Outre Tombe.

(٩) L'Au-Dela Et Ses Problèmes.

(١٠) La Fraude Dans La Production Des Phenomènes Mèdiumniques.

الإنسان وكيف يولد »[١] ، و« طريقة الازدواج الشخصى »[٢] ، و« العودة إلى التجسد »[٣] ، و «الروح الإنسانية »[٤] ، و «الحياة بعد الموت »[٥] .

ومنهم الأستاذ بيير لى كور Pierre Le Cour ، وله فى الروحية عدة مؤلفات منها « ظواهر ما بعد الموت »[٦] الذى يسرد فيه اتصالاته مع غير المنظورين من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٨ ، بخلاف ذلك تجارب التجسد التى شاهدها بنفسه فى «المعهد الدولى لماوراء الروح» فى حضور مديره الدكتور جيلى وبعض الباحثين مؤيدة بالصور التى التقطها للوسيطة إيفا وللأرواح ، إذ أنه من هواة التصوير . ومن مؤلفاته أيضاً «الحاسة السابعة»[٧] ، و «البحث عن عالم مفقود[٨] » .

ومنهم رينيه سيدر René Sudre الأستاذ « بمدرسة الدراسات العليا الاجتماعية» بباريس ، ونائب رئيس «المعمل الوطنى للبحث الروحى» بلندن[٩] . كما كان مساعداً للدكتور جيلى فى إدارة « المعهد الدولى لماوراء الروح » بباريس من سنة ١٩٢١ إلى ١٩٢٦ ، وله بحوث عديدة نشرت فى مجلة هذا المعهد بين عامى ١٩٢٦ و ١٩٣٠ فى نظريات التعليل الروحى للطبيعة . كما أسهم بدور فعال فى المؤتمرات الروحية الدولية التى عقدت فى كوبنهاجن فى سنة ١٩٢١ ، وفى وارسو فى سنة ١٩٢٣ ، وفى باريس فى سنة ١٩٢٧ ، وأسس «المكتبة الدولية للعلم الروحى

---

(١) Comment On Meurt. Comment On Nait?

(٢) Metrode De Dédoublement Personnel.

(٣) La Réincarnation.

(٤) L'Ame Humaine.

(٥) La Vie Posthume.

(٦) Manifestations Posthumes. وراجع ما سبق فى ص ٤١٦

(٧) Le Septième Sens

(٨) A La Recherche D'un Monde Perdu. L'Atlantide Et Ses Traditions.

(٩) راجع ما سبق عنه فى ص ٣٥١ — ٣٥٥ .

والباراسيكولوجى[١] » التى قامت بترجمة أهم مؤلفات العلماء سيرباريت ، وكروفورد وشرنك فون نوتزنج ، وغيرهم إلى اللغة الفرنسية . وأهم مؤلفاته « مقدمة لعلم ما وراء الروح الإنسانى »[٢] (١٩٢٦) .

ومن البحاث المعروفين أيضاً ج. سيمون G. Simon الذى له مؤلف عن «الموائد المتكلمة عند فيكتورهيجو[٣] » (١٩٢٣) .

والكونت سيزاردى فيزم Cesar De Vesme وله عدة مؤلفات منها « تاريخ الروحية التجريبية »[٤] الذى حصل على جائزة أكاديمية العلوم بباريس (١٩٢٨) .

ومنهم ج. لابادية J Labadié بمؤلفه « عندحدود العالم الآخر »[٥] (١٩٣١) .

ومنهم أندريه ديماس André Dumas ، ومن أهم مؤلفاته الروحية « التطور العالمى ، أو أصل الروح الإنسانية ومصيرها »[٦] ، و« علم الروح »[٧] (١٩٤٧) ويتضمن الأخير منهما شرحاً للأصول العلمية لدراسة الظواهر فوق المألوفة ونظرية علم ما وراء الروح .

ومنهم موريس ماجر Maurice Magre وهو شاعر ومؤلف مسرحى وصاحب عدة مؤلفات فى الموضوعات الروحية منها : « الموت والحياة

---

(١) Bibliothèque Internationale de Science Psychique et Para-Psychologie.

(٢) Introduction A La Méta — Psychique Humaine, Payot.

(٣) Chez Victor Hugo: Les Tables Tournantes de Jersey.

(٤) Histoire Du Spiritisme Experimental. (J. Meyer. Paris).

(٥) Aux Frontières De l'Au—Delà (Grasset. Paris).

(٦) L'Evolution Universelle (Les origines et le devenir de l'ame humaine).

(٧) La Science de L'Ame (Ocia. Paris).

المستقبلة »[١]، و « الجمال غير المنظور »[٢]، و « فى مطاردة الحكمة »[٣]، و « التداخلات الفوق الطبيعية »[٤].

ومنهم جورج فيتو Georges Vitoux الذى له عدة مؤلفات أهمها « خفايا الجانب الآخر »[٥]، و « الغيب العلمى »[٦]، و « الأشعة السينية وتصوير غير المنظور »[٧].

إدوار سابى

ومنهم إدوار سابى Edoward Saby وهو بدوره صاحب عدة مؤلفات قيمة فى العلم الروحى مثل كتاب « الصعود الإنسانى »[٨] (١٩٣٨)، وكتاب « ماوراء العالم المنظور »[٩] (١٩٤٧)، و « نهاية عالم وبعثه »[١٠]، و« على طريق الابتداء »[١١]. كما أسس فى سنة ١٩١٦ مدرسة روحية خاصة اسمها Ecole Addéiste تجمع على حد وصفه « أصحاب العقول المتحررة فى البحث عن الحقيقة » لمعالجة أمور العقيدةوالفلسفة والاجتماع، وتصدر جريدتين إحداهما تدعى «المجهودالروحى»[١٢]؛ والثانية تدعى « جبهة الروح »[١٣].

La Mort Et La Vie Future. (١)
La Beauté Invisible. (٢)
A La Poursuite De La Sagesse. (٣)
Les Interventions Surnaturelles. (٤)
Les Coulisses De L'Au—Delà. (٥)
L'Occultisme Scientifique (٦)
Les Rayons x, Et La Photographie De L, Invisible. (٧)
L'Ascension Humaine. (٨)
Au Delà Du Monde Visible (٩)
Fin Et Ressurrection D'un Monde. (١٠)
Sur Le Sentier De l'Initiation. (١١)
L'Effort Spirituel. (١٢)
Le Front De L'Esprit. (١٣)

ومن أهداف هذه المدرسة ـ بالإضافة إلى التوفيق بين شتى الاتجاهات الروحية ـ تعزيز الأخوة بين أعضائها عن طريق محبة العدالة ، ومساعدة أعضائها فى البحث عن الله وشعارها « مزيد من المعرفة لمزيد من المحبة »[1] .

جورج باربارانه

ومنهم جورج باربارانه George Barbarin وهو باحث وأديب معاصر غزير الإنتاج ؛ فقد ألف حتى الآن حوالى أربعين كتاباً فى كافة الموضوعات المتصلة بالروحية التجريبية وفلسفتها وما يرتبط بها من أمور . ومن أهم مؤلفاته « غير المنظور وأنا »[2] ، و« مؤلف صغير فى الغيب التجريبى »[3] ، و« الدليل الروحى للانسان العصرى »[4] ، و« كتاب الموت الهادىء »[5] و « هل الله رياضى[6] ؟ » ، و« ماهو الإشعاع الحيوى ؟ »[7] ، و« ما بعد الموت »[8] ، و« رحلة إلى أطراف العقل »[9] . وقد ترجم عدد من مؤلفاته إلى لغات شتى .

بعض الأسماء والمراجع فى بلاد أخرى

ولنترك فرنسا اكتفاء بما بيناه من أسماء ومراجع كما ننتقل إلى البلاد الأخرى فنجد عدداً كبيراً من أفضل العلماء الذين بحثوا فى الظواهر الروحية واقتنعوا بصحتها ، وبدلالتها البالغة الخطورة على بقاء الحياة بعد موت الجسد ، ولنذكر منهم هنا بعض الرواد الكبار :

---

(١) Mieux comprendre pour mieux aimer
(٢) L'Inivisible Et Moi.
(٣) Petit Traité De Mysticisme Experimental.
(٤) Guide Spirituel De L'homme Moderne.
(٥) Le Livre De La Mort Douce.
(٦) Dieu Est-il Mathématicien?
(٧) Qu'est-ce Que La Radiesthésie?
(٨) L'Après Mort.
(٩) Voyage Au Bout De La Raison.

ففى بلجيكا : نجد الأديب والشاعر المعروف موريس ما ترلنك M. Materlink (جائزة نوبل فى الأدب فى سنة ١٩١١) يعالج موضوعات الروحية الحديثة بعمق وغزارة فى جملة مؤلفات : منها « مملكة سر »(١) ، و« الضيف المجهول »(٢) ، و« أبديتنا وحطام العاصفة »(٣) ، و« العالم العظيم التالى »(٤) ، و« الموت »(٥) .

وفى هذا الأخير (طبعة ١٩١٣) يقول إن أول ما يخطر على الذهن عندما نبدأ فى دراسة هذه الظواهر غير المألوفة هو تعليلها بالتدليس وبالدجل ، ولكن أقل إلمام بحياة الوسطاء الثلاثة أو الأربعة الأوائل وعاداتهم وأساليبهم كاف لزحزحة أى ظل من الشك فى هذا الشأن . وبين جميع التفسيرات المتصورة فإن التفسير الذى يعزو كل شىء إلى الدجل والحيلة هو بغير نزاع أكثرها غرابة وأقلها احتمالا ... فمنذ اللحظة التى يطرق فيها الإنسان طريق هذه المعرفة يجد أن شكوكه قد تبددت غير تاركة وراءها أى أثر ، ويقتنع أن مفتاح اللغز لا يمكن أن يكون فى الدجل ... ومنذ أقل من خمسين عاماً كانت أغلب ظواهر التنويم المغناطيسى المعترف بها علمياً الآن معتبرة تدليساً ، ويبدو أن الإنسان يأبى أن يعترف أنه تكمن بداخله ملكات تتجاوز كثيراً مدى تصوره ..

وفى هولندا : من الأسماء التى ساهمت فى البحوث الروحية الدكتور ج . ل ماتلا J. L. Matalla ، والدكتور فان زيلست Van Zelst ، والدكتور فردريك فان إيدن F. Van Eeden ، والدكتور ب . و . كونينج P. W. Koning ..

---

(١) Le Royaume De Morts.

(٢) L'Hôte Inconnu وله ترجمة انكليزية عنوانها : The Unkown Guest.

(٣) وله ترجمة انكليزية عنوانها : Our Eternity and the Wrack of th Storm.

(٤) ولة ترجمة انكليزية عنوانها : The Great Beyond.

(٥) La Mort.

وفى ألمانيا : من أقدم العلماء الذين بحثوا موضوع الحياة بعد الموت جوهان هيريش يونج Johann Heinrich Jung (١٧٤٠—١٨١٧) وقد كان طبيباً ، وفى نفس الوقت أستاذاً للاقتصاد السياسى بجامعة ماربورج Marburg . وقد أسس مدرسة روحية كونية Spiritual School of Cosmology . ويحوى مؤلف له عنوانه Pneumatology عدداً وافراً من وقائع ثابتة عن ظهور الأشباح وما إليه من ظواهر . وفى مؤلف آخر له[1] يستعرض نظرية قد ثبتت صحتها الآن عن وجود جسد روحى للإنسان على أساس من أثير مضىء ذى طبيعة خاصة Luminiferous Ether ويتحدث فيه عن هذا الجسد الأثيرى حديثاً دقيقاً واضحاً وعن إمكان طرحه من الجسد المادى ، وحيازته للحواس الخمس ، وقدرته على الحياة المتحررة الطليقة بعيداً عنه .

ومن العلماء الألمان الذين بحثوا فى علم الروح عالم النفس والبيولوجيا هانزدريش Haus Driesch أستاذ الفلسفة بجامعة ليبزج ، وبعدة جامعات أخرى ، وله فيه مؤلف هام عنوانه « البحث الروحى »[2] .

كما نجد منهم الفلكى المعروف جوهان زولنر C. F. Zollner الأستاذ بجامعة ليبزج (١٨٣٤ — ١٨٨٢) الذى يعد من رواد البحث الروحى ، وهو يعلن بكل ثقة فى « الفيزياء السماوية »[3] « نؤكد لبنى الإنسان تأكيداً بعيداً عن الشك أنه يوجد عالم ذكى آخر . ولقد صافحت صديقاً من هذا العالم » . ثم نشر فى هذا الموضوع كتاباً آخر عنوانه « أوراق علمية »[4] أثبت فيه ما رآه وحققه بنفسه مع مجموعة أخرى من العلماء من المشاهدات الحسية فى الظواهر الروحية .

ومن الأسماء الألمانية البارون شرنك فون نوتزنج Shrenck Von Notzing

(١) عنوانه : Theorie Der Geisterkunde

(٢) Pschyical Research.

(٣) وله ترجمة إنكليزية عنوانها : Transendental Physics 1882.

(٤) وله ترجمة إنكليزية بمعرفة ماسى Massey ترجم إلى سنة ١٨٨٩ Scientific Papers.

(١٨٦٢ — ١٩٢٩) وهو من علماء ميونيخ . ومؤلفه (ظواهر التجسد)[١] يعد من المراجع الأولى فى موضوع الإكتوبلازم . كما أن منهم ألريشى Ulrici، وفيبر Weber، ورودلف تشنر R. Tischner الأساتذة بجامعة ليبزج. ومنهم كارل دى رل Carl Du Prel (١٨٣٩ — ١٨٩٩) الفليسوف والأستاذ بجامعة ميونخ، وفرتز جرونوالد Grunewald ، وكارل جروبر Karl Grüber، وبول سونر Paul Sünner ، وريتشارد بوروالد R. Baeruald، وإدوارد هارتمان E.Hartmann، وألبير مول A. Moll، وماكس دسوار M. Dessoir، وكونستانتين أويسترتش C. Oesterreich وفرتيز هومل F. Hommel و ف. شواب F. Schwab .



شرنك فون نوترنج

وفى سويسرا : اشترك فى بحث الظواهر الوساطية العلامة كارل جوستاف يونج C. C. Jung (١٨٧٥ — ١٩٦١) أبرز علماء النفس فى العصر الحاضر تحت وصف الباراسيكولوجى[٢]. وقرر فى مؤلفه عن «علم النفس والدين »[٣] أن فكرة العقل الباطن ليست سوى فرض اختير من باب التسهيل ، وأن تجريبه السيكولوجى أظهر له غير مرة « أن ثمة أشياء تصدر عن نفس أو عن روح أكثر اكتمالا من الوعى ، وأن هذه الأشياء تتضمن تحليلا أرقى ، أو نظرة فاحصة أدق لمعرفة لا يستطيع الشعور أن يمدنا بها»...

---

(١) Phenomena Of Materialisation.
وقد نشر هذا الكتاب بالألمانية وله أيضاً ترجمة فرنسية عنوانها :
Les Phenoménes Physiques De La Mediumnité.
بمعرفة E. Longaud وبمقدمة من شارل ريشيه (١٩٢٥) .

(٢) راجع ما سبق فى ص٢٥١، ٣٠٣ — ٣٠٤ .

(٣) Psychology And Religion.

وفى مؤلفه « الإنسان الحديث يبحث عن نفس »(١) نجده فى طبعة سنة ١٩٤١ فى الفصل العاشر (وعنوانه : مسألة الإنسان الحديث الروحية) يبشر بعالم الروح والحياة الروحية ، ويقرر أن عالم المادة قد تبخر واندثر حتى فى ضوء الفيزياء الحديثة . وسنبين فى الجزء الثانى عند الكلام فى موقع عالم الروح كيف قد تبخر عالم المادة هذا واندثر طبقا لأحدث حقائق الفيزياء . كما سنعود إلى رأى ليونج بالغ أقصى درجات الخطورة عن اقتناعه بوجود الجسد الأثيرى للإنسان .

وفى إيطاليا : تشير المراجع الروحية إلى أعمال وبحوث سيزار لومبروزو C. Lombroso (١٨٣٥—١٩٠٩) وهو أبرز الأسماء فى تاريخ علم الإجرام، وصاحب «المدرسة الوضعية الإيطالية» التى أدت جليل الخدمات لدراسة مكافحة الجريمة . وكان لومبروزو أستاذاً للطب الشرعى وللأمراض العقلية بعدة جامعات إيطالية ، وظل يرمى المصدقين بالظواهر الروحية بالجنون وينتقدهم فى مؤلفاته . ثم أتيحت له فرصة بحث هذه الظواهر فى باريس بالاشتراك مع الفيلسوف كامى فلاماريون Camille Flammarion ، ومع الفسيولوجى شارل ريشيه Charles Richet .

كما قام لمبروزو ببعض التجارب فى نابلى بناء على دعوة الأستاذ كيايا Chiaia من علمائها فى فبراير من عام ١٨٩١ . وتمت أغلب التجارب فى شقة لومبروزو الخاصة فى نابلى بحضور العلماء تامبوريني Tamburini . وفرجيليو Virgilio، وبيانكى Bianchi ، وفزيليو Vizilio ، وكلهم أساتذة فى جامعة نابلى . وحضر بعض جلسات روحية مع أسابيا بلادينو فصرح بعدها « بأنى لأشعر بالكثير من الخجل ، كما أشعر بالأسف الشديد لمعارضتى فى كثير من التشبث بإمكان وقوع هذه الأمور الحقيقية المسماة ظواهر روحية » . ثم عدل عن رأيه السابق نهائياً وألف فى الروحية مؤلفاً معروفاً عنوانه «ماذا بعد الموت؟ »(٢) قال فى مقدمته « لم يكن هناك أحد

---

(١) Modern Man In Search Of A Soul. 1933.

(٢) وله ترجمة إنكليزية عنوانها : After Death – What?

أشد مني عداء للظواهر الروحية بحكم تربيتي العلمية وميولي النفسية . وكنت أعتبر أن من البديهيات العلمية أن كل قوة ليست إلا خاصية من خواص المادة . وأن كل فكر وظيفة من وظائف المخ . وكنت أهزأ من الموائد المتكلمة ، لكن ولعي بإظهار الحقيقة وكشف غموض الحوادث المرئية قد تغلب على عقيدتي العلمية» . وقال فيه أيضاً : « ولنحذر من ادعائنا دقة العقل واعتقادنا أن كل الناس من قبيل الخرفين والظن بأننا نحن فقط العلماء ، فإن ذلك يوقعنا في الضلال .. »(١) .



سيزار لومبروزو

ومن العلماء الإيطاليين الذي اقتنعوا بصدق الظواهر الوساطية وبدلالتها المحتومة شكياباريلي Schiapàrelli (١٨٣٥ — ١٩١٠) مكتشف قنوات كوكب المريخ ومدير مرصد ميلانو . وعالم الطبيعة جيروزا Gerosa ، والفسيولوجي دي أميسيس De Amicis ، والسيكولوجي إرنستو بوزانو Ernesto Bozzano — عميد الروحيين الإيطاليين — وسنفرد في الباب المقبل فصلا لتلخيص مقال له في الأرواح نقلا عن مجلة « الكلية البريطانية للعلم الروحي » .

ومن الإيطاليين أيضاً ألفريدو باسيني Alfredo Passini ، وبوتازي Botazzi ، وفوا Foa ، وفنزي موروسيلي Finzi Morselli (٢) ، وكيايا Ciaia ، وبروفيريو (٣) Brofferio وهم أساتذة في الجامعات الإيطالية .

وفي روسيا : تشير البحوث الروحية إلى أعمال الأساتذة بوتلروف

(١) كما ألف لومبروزو كتاباً عنوانه « الظواهر المغناطيسية والروحية » .
Fenomeni Ipnotici e Spiritci.
وله ترجمة فرنسية بمعرفة روسينيه Rossigneux ظهرت في سنة ١٨٣٠ عنوانها :
Hypnotisme et Spiritisme.

(٢) من مؤلفاته : Psicologia e Spiritsmo, Turin 1908.

(٣) من مؤلفاته : Per Lo Spiritismo.

Boutlerow، وفاجنر Wagner، وأوستروجرادسكي Ostrogradsky، وقد كانوا أساتذة بجامعة بطرسبورج (التي أصبح اسمها لينينجراد) . ومن أشهرهم أكزاكوف Aksakoff الذي كان عالماً لغوياً ووزيراً ومستشاراً للقيصر اسكندر الثالث[1]. ومنهم أيضاً الكونت دي بوديسكو De Bodisco الذي كان ياوراً للقيصر ، ثم كوروفيتش .

ومنهم ليونيد فاسيليف Leonid Vasiliev وهو عالم فسيولوجيا ، واصل بحوثه في الباراسيكولوجي على أسس ناقدة ، على أمل الوصول إلى تعليل فيزيقي للظواهر الوساطية بوجه عام ، لكنه انتهى إلى التسليم بصحتها ، وبصحة مصدرها غير المادي ، ولقيت مؤلفاته في الباراسيكولوجي تقديراً ملحوظاً في خارج بلاده . وقد بحث أيضاً ملكة التلباثي عن بعد ، وتوفي في سنة ١٩٦٦[2] .

وفي أسبانيا : من الأسماء التي يشار إليها في هذا الميدان رامون دي لاساجا من علماء الطبيعيات، والكونت دي توريس سولانو Torrès Solanot وقد نشطت حركة البحث الروحي منذ أوائل هذا القرن فلم تعد تخلو مدينة من جمعية ، أو مجلة ، أو جهة للبحث الروحي . ومنها دائرة برشلونة Centro Barcelones ؛ ومنها « اتحادات الدراسات الروحية »

---

(١) وكان يصدر جريدة « الدراسات الروحية » أثناء إقامته في ألمانيا .
Psychische Studien.
ومن مؤلفاته « الروحية والعلم » Spiritualism And Science.
وكتاب « حالة فقدان تجسد جزئي لجسد الوسيط » وقد كتبه بالألمانية وترجم للفرنسية في سنة ١٨٩٦ بعنوان :
Un Cas De Dematerialisation Partielle Du Corps D'Un Médium.

(٢) وفي سنة ١٩٦٦ شكلت لجنة سوفيتية رسمية لدراسة ملكة التلباثي عن بعد برئاسة الدكتور ا . م . كوجان I. M. Kogan بأمل الوصول إلى استخدامها بصورة عملية في النشاط السياسي والحربي ، وذلك أسوة بالأبحاث المماثلة التي تنفق عليها البحرية الأمريكية .

L' Union Escolar Espiritista الذى يصدر «مجلة الدراسات النفسية»[1] ، « واتحاد جمعيات كتالونيا »

. La Federation Des Groupes De Catalogne

وفى تركيا : حركة روحية من روادها الدكتور بدرى روهسلمان Badri Rubselman رئيس « الجمعية التركية لما وراء الطبيعة » ومؤلف بعض كتب روحية منها « الروح والكون » (١٩٤٦) . كما قام بعض أساتذة الجامعات والأطباء باجراء تجارب على الوسيط ريكال أوتكين Rekal Otken؛ وماست أراى Macit Aray . وفى سنة ١٩٥٠ قام روهسلمان بإلقاء عدة محاضرات بجامعة أنقره عن عالم الروح . كما تأسست فى نفس العام « الجمعية التركية للبحوث الروحية » وبدأت نشاطها بإلقاء المحاضرات عن هذا الموضوع بجامعة استامبول ، مما دفع وزير المعارف إلى أن يعلن أن الوقت قد حان لإدخال العلم الروحى فى مناهج التعليم الجامعى هناك .

وفى المراجع إشارات كثيرة إلى الحركة الروحية فى باقى بلاد العالم ، وإلى جمعيات ، ومؤتمرات ، واتحادات ودوائر روحية فى آسيا وأفريقيا تبحث هذا الموضوع بما لديها من وسائل تتفاوت فى قيمتها ونوعها ، بما يضيق المقام عن التعرض له هنا ، خصوصاً وأن أغلبها خاص ببلاد تنطق بلغات لا نعرفها .

ونكتفى بهذا القدر من أسماء القائمين على العلم الروحى فى شتى بلاد العالم ، ومن مراجعه الهامة قبل الكلام فى « بعض الأسماء والمراجع باللغة العربية » .

---

(١) Revista De Estudios Psicologicos.

الفصل الرابع

فى بعض الأسماء والمراجع باللغة العربية

وصلت أنباء الكشوف الروحية إلى بلادنا فى تاريخ حديث نسبياً ، وكان بعض المجلات يشير إلى بعضها بطريقة الراغب فى تسلية القارىء أو إثارة روح الطرافة عنده ، أكثر منها بطريقة الراغب فى تعريفه بأخطر موضوع على بيحث بدون توقف منذ منتصف القرن الماضى ، ويلزم كل قارىء أن يعرفه على النحو الجاد الذى ينبغى أن يكون طابع الحقائق الخطيرة .

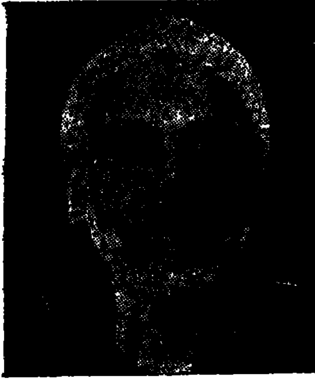
الشيخ طنطاوى جوهرى

وقد بدأ بعض المؤلفات يظهر فى بطء وتثاقل باللغة العربية عن هذا الموضوع. منها مثلا « كتاب الأرواح » للمرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى، أحد أصحاب التفاسير القيمة الذى ظهرت طبعته الأولى فى سنة ١٩١٨ ، وفيه يدافع عن هذا البحث ويبين مدى انطباق نتائجه مع العقيدة ويدفع كل شبهة قد تجىء من هذه الناحية .

وقد كان الشيخ طنطاوى أستاذاً بدار العلوم . كما اختير ضمن هيئة التدريس فى الجامعة المصرية القديمة حين إنشائها ، ثم كان هدفاً لدسائس كثيرة من بعض الجامدين انتهت به إلى المدارس الثانوية التى ظل فيها أستاذاً حتى أحيل إلى المعاش.

وكان من أبرز أعضاء « دائرة القاهرة الروحية » وقاراً وعلماً وتقوى . ويقول الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير فى رثائه له بعد انتقاله إلى عالم الروح فى سنة ١٩٤٠ إن صلته « لم تنقطع بنا بعد انتقاله ، فكثيراً مايحضر جلساتنا ويراه وسطاء الجلاء البصرى ويسلمون عليه ، ورأيته بنفسى فى حجرة التحضير رؤية خاطفة ، فإذا بطنطاوى جوهرى المفقود موجود ، وإذا العقل الفياض

هو العقل الفياض ، وإذا بعواطفه الخيرة متغلبة عليه . وكثيراً ما كان يرد على أسئلتنا إما بطريق وسيط الكتابة التلقائية وإما بالحروف النورية ، يراها الوسيط المختص ويمليها حرفاً حرفاً فى سرعة متناهية...»[1] .



طنطاوى الجوهرى

كما كتبت جريدة الجمهورية فى ٢٩ من يناير سنة ١٩٥٦ عنه « عنى الأب جوميه أحد رهبان دير الدومينيكان منذ سنوات بدراسة عالم مسلم مصرى لم ينصفه معاصروه وجهلوا قدره ، بل وحاربوه فى مكانته العلمية مع أنه لا يقل مكانة عن الرازى والزمخشرى وابن سيناء وابن خلدون . ذلك هو العلامة طنطاوى جوهرى الذى أدخل لأول مرة فى تاريخ البحث العلمى العربى العلوم الحديثة فى تفسير القرآن الكريم ... »[2] .

فهو قد قام بنفس الدور الذى قام به فى الخارج ذوو الأذهان المتفتحة عندما عرفوا كيف يربطون بين الآراء الدينية وبين حقائق العلم الروحى الحديث . وهو لا يجد أية غضاضة فى أن يكون رجوعه فى « كتاب الأرواح » إلى مراجع الفرنجة وبحوثهم قائلا فى ص ٤٧ من طبعة سنة ١٣٣٨ هجرية (١٩٢٠ ميلادية) : « إن سائر العلوم المدونة من سماوية وأرضية يقرؤها القوم ونحن معهم ، وأهل كل فن صادقون . ولا جرم أنك تعلم أن سائر الناس لم يكونوا ليعلموا أن ههنا مخلوقات صغيرة « ميكروبات » تحدث فى أجسامنا الحمى والجدرى وأمراض الوباء حتى أن آلافاً مؤلفة من تلك المخلوقات الحية تؤلف جماعة عظيمة تتعاون على إتلاف أجسامنا ، وتمزيق أحشائنا ، وبعثنا من عالم الأجسام إلى عالم الأرواح . فأصبح بفضل علماء أوروبا الإيمان بهذه

(١) عن مجلة « عالم الروح » عدد مارس سنة ١٩٥٦ ص ٢ — ١٠ .
(٢) عن مقال عنوانه « طنطاوى جوهرى » بإمضاء « عطارد ».

الحيوانات الذرية التى لا تراها العين يقيناً لا يشك فيه أحد . وقد آمن بها الصعاليك والملوك والجهلاء والعلماء .

« فهكذا هم الذين خاطبوا الأرواح بتلك النفوس العصبية (يقصد النفوس الحساسة Sersitives وهو وصف يطلق بالإنكليزية على الوسطاء) والأمزجة المستعدة للتخاطب مع العالم اللطيف الذى لم نقرأ عنه إلا فى الكتب الدينية ، فهل نصدقهم فى الحيوانات الذرية المسماة (بالميكروبات) ونكذبهم فى حياة الأرواح ؟.. » .

وهكذا يسترسل هذا العالم الجليل فى مؤلفه هذا (الذى يقع فى أكثر من ثلاثمائة صفحة) فى تبيان الاتفاق التام بين العلم الروحى الحديث وبين العقيدة ، وفى الدفاع عن النتائج التى تكشف عنها هذا العلم . وهو فى نفس الوقت من أصحاب التفاسير الدينية القيمة التى أهمها تفسير « الجواهر » الذى له فى الشرق الأقصى . وفى إيران بوجه خاص سمعة واسعة النطاق ، وهو يقع فى خمسة وعشرين جزءاً . وذلك بالإضافة إلى مؤلفات كثيرة له فى مختلف الموضوعات ، وقد ترجم بعضها إلى الإنجليزية والأوردية والهندوسية والأندونيسية وغيرها . وله عشرات من البحوث والمقالات فى الشئون الدينية والاجتماعية .

محمد فريد وجدى



محمد فريد وجدى

لعلهم قلائل الذين يعرفون أن المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى كان يصدر فيما مضى أول جريدة عربية للبحث فى الأمور الروحية الحديثة وهى مجلة « الحياة » . ثم كان ينشر هذه الأمور فى جريدته اليومية « الدستور » ، ثم فى مجلتى المقتطف والهلال . ولما أسندت إليه رئاسة تحرير مجلة الأزهر فى سنة ١٩٣٤ أدخل

على أبوابها البحوث الروحية الحديثة إلى أن اعتزل رئاستها فى سنة ١٩٥٢ .

وظهر مؤلف قيم له من أربعة أجزاء صغيرة تحت عنوان « على أطلال المذهب المادى » وقد وفق فيه فى عرض هذا الموضوع من عدة جوانب له ، مستعرضاً فيه خلاصة بحوث متعددة جرت فى الخارج بمعرفة علماء وفلاسفة معروفين ، استعراضاً دقيقاً بطريقة الأديب المقتنع بفائدة ما يكتب فى درء أخطار المذهب المادى الذى كان قد استحوذ على النفوس فكاد أن يحطم جميع القيم الخلقية الراقية .

وقد كتب فى مقدمته « لقد رأيت أن أكشف النقاب عن حقيقة هذه المسألة التى شغلت جمهور العلماء اليوم ،وأثرت فى المدركات البشرية تأثيراً قضت به على الفلسفة المادية قضاء لا قيام لها بعده ، وأوجدت للبحث عن الحقيقة التى بدأت الأجيال فى تلمسها عن طريق العلم الطبيعى عهداً جديداً لم يكن يحلم به الباحثون منذ أقدم أزمنة الفلسفة ، وقد أقر بهذه الحقيقة من علماء الطبيعة وكبار الفلاسفة العصريين مئات لا يعقل تواطؤهم على الكذب والانخداع » .

إلى أن يقول « وإنى ماوقفت سنين كثيرة من حياتى العلمية لاستقصاء هذه المباحث إلا لأنها حادث جلل فى تاريخ العلم العصرى سيكون من أثره تعديل مزاج الفلسفة العصرية ، وتكميل بناء المدركات البشرية على المادة والروح معاً »[1] . كما خصص مكاناً لهذه البحوث الروحية فى « دائرة معارف القرن الرابع عشر إلى القرن العشرين » التى وضعها[2] .

هذا وقد كتب المستشرق الألمانى بول كراوس يقول عن محمد فريد وجدى «خلقت كلمة أديب له ..وهو يستمد أدبه وعلمه من وثيق إيمانه وصدق إسلامه .. وإيمانه بالله يضىء له ظلمات الفكر .. وبحوثه تهدى الحيارى من قرائه .. » .

(١) راجع أيضاً ماسبق فى ص ٣١٥ ، ٣١٦ بخصوص رأيه فى تقرير الجمعية الجدلية البريطانية .
(٢) فى الجزء الرابع تحت كلمة «روح» .

كما كتب الأستاذ أنور الجندى يقول عنه « وفى خلال هذه الحياة الفكرية العقلية لفريد وجدى ... تبدو صورة باهرة لعمل ضخم امتد خلال سبعة وخمسين عاماً لم يتوقف ولم يفتر من أجل رسالة التنوير واليقظة ، وبناء الفكر الإسلامى المعاصر على أساس العلم والعقل ، ومقاومة الجمود من ناحية ، ومقاومة المادية من ناحية أخرى ، ورد هذا الفكر إلى مقوماته الأساسية التى تمتزج فيها الروح والمادة والعقل والقلب .

ولم تكن مؤلفات فريد وجدى المنشورة باسمه وهى تربو على عشرين كتاباً هى كل آثاره وإنتاجه ، بل إن آثاره المطمورة فى بطون الصحف والدوريات لتزيد على هذا القدر . ولعلها أكثر أهمية وخطراً ... فقد تابع تطور الفكر الإنسانى فيما قبل القرن العشرين وخلال نصفه الأول متابعة راشدة يقظى من خلال زاويته الإنسانية الروحية ، المدافعة عن الدين ، المشدودة إلى حاجة البشرية إليه ، المتخذة من سلاح العلم والعقل وسيلتها إلى كل رأى تراه ، أو وجهة نظر تصل إليها ... »[1] .

أحمد فهمى أبو الخير

ثم جاء دور المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير الذى كان مراقباً عاماً للسينما التعليمية « بوزارة المعارف » وهو فى نفس الوقت أستاذ قديم « للطبيعة » ومؤلف قدير فيها . وقد روى لى أنه رأى يوماً كتاب « على حافة العالم الأثيرى » للأستاذ جيمس آرثر فندلاى فظنه يعالج موضوع الأثير فى الطبيعة الحديثة ، فلما قرأه أعجبه موضوع الأرواح ووجد أنه جدير بعناء بحثه فانكب على الاطلاع فيه .

---

(١) عن مقال عنوانه « العلامة فريد وجدى » بمجلة « قافلة الزيت » عدد أبريل — مايو ١٩٦٧ ص ٢٢ .

ثم انتقل من الاطلاع إلى التجريب ، ونجحت جلساته بوجه خاص فى موضوع العلاج الروحى ففتح أبواب منزله بالروضة — سنين طوالا — لمن يريد أن يعالج مجاناً . وقد شاهد الكثيرون نجاح بعض حالات الشفاء عنده ، كما شاهدوا الأضواء التى كانت تتطاير فى جو الغرفة من مصدر غير منظور . وبعض الوسطاء المعالجين كان من المثقفين الذين يشغلون مناصب مرموقة، كما كان بعضهم الآخر من البسطاء .


أحمد فهمى أبو الخير

وكان الأستاذ أبو الخير نشيطاً فى خدمة القضية الروحية عن اقتناع تام بها ، كما كان كاتباً لبقاً، ومحاضراً جذاباً، طالما تحمل العناء فى سبيل الدفاع عن اقتناعه ، فكان رحمه الله علماً فى الدعوة الروحية حتى آخر لحظة من حياته الأرضية . وكان يصدر صحيفة « عالم الروح » شهرية منتظمة منذ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، ثم احتجبت بعد صدور عدد أغسطس سنة ١٩٦٠ باحتجاب صاحبها فى « عالم الروح » صحيفة مسطورة فى سجل الأبرار المجاهدين[(١)] .

وله عدة مؤلفات قيمة منها : « ظواهر الطرح الروحى » ، « والسيكولوجيا والروح » ، و « العجيبة الثامنة »[(٢)] . كما نقل إلى اللغة العربية مؤلفين هامين : أولهما « على حافة العالم الأثيرى » للأستاذ جيمس آرثر فندلاى مدير « المعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن ، وثانيهما « ظواهر حجرة تحضير الأرواح » للطبيب أدوين فردريك باورز الأستاذ بجامعة مينيابوليس بالولايات المتحدة .

(١) وقد نشرت لنا صحيفة « عالم الروح » مشكورة مقالات كثيرة فى علم الروح بتوقيع الحروف الأولى (ر.ص.ع.) كانت بمثابة النواة الأولى للطبعة الأولى من المؤلف الحالى .

(٢) وهى مارجرى Margery عقيلة الدكتور كراندون . (راجع ماورد عنها فيما سبق ص ١٧٩ — ١٨٥) .

وفى مقدمة هذا الكتاب الأخير (ص ٥١) يناقش الأستاذ أبو الخير معارضى البحث فى الروح قائلا : « يحاول معارضو الروحية الكلاميون — وجلهم من الملاحدة أو بلهاء المتدينين — أن يكسبوا معارضتهم شيئاً من القوة فيقولون إن الروح من أمر الله فلا يصح لنا أن نبحث فيها ! ! وكأن دعاة المذهب الروحى قالوا إنهم خلقوا روحاً ! منطق سقيم وتفكير بلغ منتهى الإسفاف من الوجهتين الدينية والعلمية .

فمن قال إن الروح ليست من أمر الله ؟ كل شىء من أمر الله . المادة من أمر الله ، والطاقة من أمر الله ، وتبادل التحول بين الطاقة والمادة من أمر الله . الضوء من أمر الله ، والكهربائية من أمره ، والموجات الأثيرية اللاسلكية التى هى أساس الراديو من أمره ، والإشعاعات المختلفة بين معلومة ومجهولة من أمره ، فهل منع ذلك من البحث الذى أدى إلى الكشوف العلمية البارعة، فالمخترعات العظيمة المدهشة ؟ . . . لولا البحث فى المادة وحقيقة تكوينها وفى الأثير وخصائصه ومختلف موجاته ، ولولا معرفة الاهتزازات وفهم لغتها ما كان يمكن فهم الروح ولا عالم الروح » .

كما كتب ينقد الماديين فى مقال له قائلا « ونقاد العلم الروحى الحديث وكارهوه هم سلالة تلك العصابات القديمة التى أرهقت أحرار المفكرين ، وأوسعتهم تعذيباً وتقتيلا وحرقاً . لكنهم لعجزهم فى الوقت الحاضر عن ارتكاب أعمال القسوة والوحشية مضوا يسممون العقول والأفكار بتلك النظريات المادية الملتوية . حتى لقد انتهى متحذلق منهم إلى أن جان دارك كانت مصابة بالتهاب فى مجموعها العصبى جعلها تتخيل أنها تسمع أصواتاً وترى أشباحاً ... فاللهم قنا شر هذا التنطع الطبى السيكولوجى » ![1] .

---

(١) مجلة « عالم الروح » عدد فبراير سنة ١٩٥٠ ص ١٢ .

جزاك الله « أبا الخير » خيراً بقدر ما كافحت طويلا فى خدمة أخطر قضية علمية فى عصرنا الحاضر ، وفى وقت كانت بحاجة ماسة فيه إلى أمثالك ، وكأن يد القدر الرحيم قد اختارتك كيما تبذل حياتك من أجلها بكل ما حبتك به من سعة فى الأفق ، وصلابة فى الحق ، ودماثة فى الخلق .

على عبد الجليل راضى


على عبد الجليل راضى

وممن يخدمون حالياً بإخلاص قضية علم الروح فى بلادنا صديقنا الدكتور على عبد الجليل راضى الأستاذ بكلية العلوم بجامعة عين شمس ، وقد أنشأ « دائرة الأهرام الروحية »[1] . وله عدة مؤلفات قيمة مثل « حياة محمد الروحية » ، و « العالم غير المنظور » ، و « وأرواح مرسلة » ، و « سفير الأرواح العليا » ، و « أضواء على الروحية » . كما نقل إلى اللغة العربية كتاب « ثلاثون سنة بين الموتى » للطبيب الأمريكى كارل ويكلاند[2] . وقصة « أول فرعون » للوسيطة دجمار أوكنور Dagmar Oconnor .

وفى مؤلفه « أضواء على الروحية » (١٩٦١) يقول الدكتور على راضى. (ص ٣٩ — ٤١) : « وتكلم الإمام الرازى فى « مفاتيح الغيب » عن درجات الأرواح التى تتصل بالناس فقال « إن من النفوس البشرية من يستعين بالأرواح الأرضية ، وإن اتصال النفس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية » . ثم وصف طريقة إعداد الوسطاء للأعمال الروحانية فقال ، ولذلك

---

(١) عنوانها ١٤ شارع إسماعيل أباظة بالمبتديان بالقاهرة .
(٢) راجع ما سبق عنه فى ص ٢٩٣ ــ ٢٩٥ .

أجمعت الأمر على أنه لابد لمزاولة هـذه الأعمال والوصول إلى غايتها من الانقطاع عن المألوفات والمشتهيات ، وتقليل الغذاء، ومخالطة الخلق » .

وقال فضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف فى كتابه « المطالب القدسية فى أحكام الروح وآثارها الكونية » و « ما أظن ذا فهم مستقيم يرتاب فى كرامات الأنبياء ، وتصرفات أرواحهم حال الحياة وبعد الممات ، أو يستغرب حوادث التنويم والتحضير . . »

وقال فى مجلة المساجد عدد ذى القعدة سنة ١٣٦٦ (سبتمبر سنة ١٩٤٧) « ينبغى أن يعلم أن عالم الأرواح يختلف عن عالم المادة اختلافاً كثيراً فى أحواله وأطواره . . . ». ثم يقول عن الروح بعد الموت « والروح تبقى فى البرزخ — وهو ما بين الحياة الدنيا والحيـاة الأخرى من يوم الموت إلى يوم البعث والنشور — حية مدركة تسمع وتبصر وتسبح فى ملك الله حيث أراد وقدر ، وتتصل بالأرواح الأخرى وتناجيها وتأنس بها ، سواء كانت أرواح أحياء أو أرواح أموات[1] » .

وقال المرحوم الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر السابق فى مقدمة كتاب «حياة محمد» لمؤلفه المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل « والكهرباء وما نشأ عنها من المخترعات قربت إلى العقل إمكان تحول المادة إلى قوة ، وتحول القوة إلى مادة . وعلم استحضار الأرواح فسر للناس شيئاً كثيراً مما كانوا فيه يختلفون . وأعان على فهم تجرد الروح وإمكان انفصالها وفهم ما تستطيعه من السرعة فى طى الأبعاد » .

وقال المرحوم الأستاذ الأكبر محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر فى حديث

---

(١) وذلك فى فتواه فى مأتم الأربعين ، وهى أيضاً مطبوعة على شكل رسالة بتاريخ ٢٩ أغسطس سنة ١٩٤٧ ، ونشرت فى الأهرام بتاريخ ١٢ أغسطس من نفس العام .

أدلى به إلى جريدة المصرى بتاريخ ١٤/١١/١٩٥٣ ما يلى « وهناك سؤال لا بد من طرحه فى هذا الشأن ، وهو هل رؤية أرواح الموتى من البشر فى صورة بشرية خاصة بالأنبياء وحدهم ، أو أنه أمر عام جائز عليهم وعلى غيرهم من البشر ؟ والجواب على هذا السؤال أن اختصاص المولى جل شأنه وحده بأمر الروح يجعل هذا أمراً جائزاً ممكن الوقوع ، إذ أن الجسد ليس إلا قيداً حديدياً للروح تسبح بعد مغادرتها إياه فى عالمها غير المحدود الذى تعرفه . بيد أن الذى يعطيهم الله إشراقة من إشراقه فى عالمنا غير المحدود ويقربهم منه منازل فى الحياة الدنيا قد يرون صوراً لهذه الأرواح » ...

ونشرت صحيفة الأخبار بتاريخ ١/٤/١٩٦٠ رأياً لفضيلة المفتى المنتدب للديار المصرية جاء فيه « أما دراسة الأرواح دراسة علمية فلا مانع من ذلك شرعاً » .

وأدلى فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق برأيه إلى مجلة الرائد وقد جاء فيه « الأديان تبيح ولا تمنع البحث فى هذا الموضوع . فمن رأى التجربة فليصدقها ومن لم يرَ فلا جناح عليه » ...

وقد زاد فضيلته رأيه هذا إيضاحاً فى حديث له منشور فى مجلة « آخر ساعة »(١) قائلا : « إن هذه القضية ليست قضية الدين من حيث الجواز والتحريم ، لأن الدين لم يرد فيه نص محرم مانع، ولا نص مجوز مبيح . ومن ادعى أن ثمة نصاً بالإباحة أو المنع فقد ادعى على الدين ما ليس فيه ، وأخشى القول أنه يصبح ممن يفترون على الدين . إن القضية فى نظرى هى قضية علم تجريبى قامت له دراسات منتظمة فى انجلترا وأمريكا وفرنسا .

فإذا ثبت صحة هذا عند بعض الناس فعليهم أن يصدقوه ، وتصديقه لا يمس دينهم فى شىء . أما إن وقع هذا الأمر فى نفس بعض الناس أنه أوهام فى أوهام

(١) عدد ١٧٤٤ الصادر فى ٢٧ مارس ١٩٦٨ .

فعليه أن يكذبه ولا يمس دينه فى شىء[1] » .

ونضيف إلى ذلك أيضاً فتوى فضيلة المرحوم الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية « فى كرامة الأولياء » (الفتوى رقم ٤٣٦ من السجل رقم ٨ بتاريخ ٢٤/٧/١٩٤٠م) وهى صريحة فى جواز وقوع الكرامات للأولياء بعد مماتهم. كما يشير إلى ما كتبه فى مقدمة كتاب « شفاء السقام » للإمام السبكى وها هو نصه (ص ١٤) : « وكما جاز أن يتوسط حى فى قضاء مصلحة حى أو ميت ، والفعل لله وحده ، يجوز أن يتوسط روح ميت فى قضاء مصلحة حى أو ميت والفعل لله وحده . والأرواح باقية على الحياة وأفعالها فى عالم الملك . . . والروح باقية خالدة، ففعلها باق ،وتصرفها فى أفعالها لا يتغير إلا بعدم ظهور الأفعال بواسطة البدن ...»[2].

كما نضيف إلى ما تقدم أيضاً رأى فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى الوزير السابق ومدير جامعة الأزهر وفيه يقول « والقول أن الأرواح يمكن تجسيدها أو الاتصال بها فهذا لا علم لى به ، بل إن العلم نفسه لا يزال عاجزاً عن التوصل فيه إلى قول فاصل[3] ... أما الاحتجاج[4] بما جاء فى القرآن فى سورة الإسراء « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » فإن هذه الحجة مبنية على تفسير خاطىء ، لأن المراد هنا بالروح ليست الروح التى فى جسم الإنسان ، بل المراد به هو القرآن ، ويستدل على ذلك فى أرجح الأقوال بالآيات السابقة واللاحقة على هذه الآية . فالروح هنا ليس المراد به الروح الحيوان . . ولكن

---

(١) وبداهة أن هذا الاحتمال الثانى تنفيه الأدلة العلمية الحاسمة التى لا حصر لها الآن ، والتى اقتضت — على ما لاحظه صاحب الحديث — إنشاء دراسات منظمة لهذا العلم فى إنجلترا وأمريكا وفرنسا ، فالدراسات العلمية لا تقام على الأوهام .

(٢) راجع الفتوى كاملة فى مجلة « عالم الروح » عدد سبتمبر ١٩٤٨ ص ٢٠ — ٢٧ .

(٣) وهذا قول قد انقضى وقته على ما سنبينه مدعماً بالأدلة الكثيرة فى الباب المقبل، وبخاصة فى الفصلين الأول والثانى بالاضافة إلى الأدلة الأخرى التى سبق بيانها .

(٤) الحديث هنا عن المعترضين على البحث الروحى .

المراد به القرآن لأنه فى الأمة كالروح .. فكما أنه لا حياة لإنسان بغير روح لا حياة للأمة الإسلامية بغير قرآن » [(١)].

وهذه كلها فتاوى صريحة وحاسمة ممن يملكون صفة الإفتاء الدينى الصحيح فى هذا الموضوع .. فهل للمعارض باسم العقيدة الذى تعود أن يلقى الكلام جزافاً أن يرجع إليها ويقرأها فى ترو و يتدبرها — ولو قليلا — قبل أن يغامر باعتراض لا سند له ، وقد مضى وقته نهائياً فى العالم أجمع ؟ . . .

بحاث آخرون

ومن ينقب فى أعداد مجلة « عالم الروح » التى كان يصدرها فقيد الروحية المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير يجد بحوثاً دينية كثيرة لإظهار مدى اتفاق تجارب العلم الروحى الحديث وما أسفرت عنه من كشوف مع جوانب العقيدة . ونوجه نظر القارىء بنوع خاص إلى بحث قيم للأستاذ رابح لطفى جمعة القاضى بالمحاكم المصرية عنوانه « الناحية الروحية فى القرآن الكريم » نشر مسلسلا على ٢٤ عدداً ابتداء من يناير سنة ١٩٤٨ إلى نوفمبر سنة ١٩٥٢ . وقد جاء هذا البحث وافياً بالاستشهادات الدينية والعلمية الحاسمة التى تقطع السبيل على كل مكابر .

وقد اختتمه الأستاذ رابح قائلا : «وبعد فإنا نريد أن نقول كلمة أخيرة صريحة هى أن ماجاء فى القرآن الكريم عن الروح والحياة بعد الموت والثواب والعقاب والظواهر الروحية المختلفة ، كل ذلك أثبتته الروحية الحديثة فى أوربا وأمريكا على أيدى وسطاء أجلاء وعلماء معترف لهم بالفضل والتحرر الفكرى فى الأوساط العلمية — إثباتاً لا يتطرق إليه الشك مؤيداً بالتجارب العلمية العملية

---

(١) راجع الحديث برمته فى مجلة «آخر ساعة» عدد رقم ١٧٤٤ فى ٢٧ مارس ١٩٦٨.

مصداقاً لقوله عز وجل « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »[1].

كما ظهرت عدة مؤلفات باللغة العربية تجمع بين دراسة بعض الجوانب العلمية والدينية فى وقت واحد ، منها بترتيب صدورها :

— كتاب « قصتى فى الروحية » للدكتور نصيف إسحق (طبعة أولى فى سنة ١٩٤٧ وثانية فى سنة ١٩٦٧) ، ويتضمن طائفة من خواطره الخاصة فى تفسير بعض جوانب الاعتقاد، بالإضافة إلى سرد بعض النتائج التى حصل عليها فى دائرته المنزلية سرداً حلياً مشوقاً .

— وكتاب « الحياة الأخرى » للدكتور عبد الرزاق نوفل .

— و « بين عالمين: عالم المادة وعالم الروح » للأستاذ مصطفى السكيك (١٩٦٥) وهذان الكتابان الأخيران يوفقان بين العلم والاعتقاد، أو بالأدق يقدمان تفسيرات روحية قيمة لبعض جوانب الاعتقاد .

— و « المذهب الروحانى » للأستاذ عبد الله أباجى (ببغداد ١٩٦٦) ، وهو سفر ضخم يقوم بدوره بمحاولة للربط بين العلم والاعتقاد .

— و « الروح والخلود : بين العلم والفلسفة » للأستاذ عبد العزيز جادو (١٩٦٨) ، ويتضمن تلخيصاً طلياً لجانب من أمور الروحية الحديثة .

هل من يقظة علمية ؟ !

ومما لا ريب فيه أن اللغة العربية لا تزال فى مسيس الحاجة إلى المزيد من البحوث والدراسات الجادة فى جميع جوانب العلم الروحى الحديث الذى لا يزال

---

(١) عدد نوفمبر سنة ١٩٥٢ ص ١٥ .

(٢) راجع أيضاً آراء الأقدمين من الفلاسفة والأئمة من أمثال الفارابى ، وابن سيناء ، والغزالى، وابن رشد ، وابن باجة، وابن طفيل، وابن القيم الجوزية ، وابن خلدون، والأصفهانى وابن مسكويه ، وإخوان الصفا فيما سبق (ص ١٣٦ — ١٤٤) .

يتعثر للأسف فى عقبات وهمية كثيرة . كما أنها فى مسيس الحاجة إلى نشاط ضخم فى ترجمة المؤلفات الجديرة بالترجمة ، وهى كثيرة . وإذا كانت هيئاتنا العلمية قد ضاق صدرها — لغاية الآن — عن أن يتسع لمثل هذه الدراسات الروحية التى اتسع لها صدر عدد كبير من الهيئات فى العالم فماذا ينتظر إذاً غير هذا الركود الضار ؟ !

وفى هذا الصدد كتب الأستاذ محمد زكى عبد القادر — المفكر العميق — يقول : « . . . والعصر عصر العلم ما فى هذا ريب ، فلتصبح الروح أيضاً مادة للبحث العلمى لها معاهدها ومدارسها وكلياتها . . . ولقد كان الشرق ، وكانت المنطقة العربية التى نعيش فيها وننتمى إليها منذ أقدم العصور مثابة الروح والأديان والرسالات السماوية . فنحن أولى من غيرنا أن نكون سبّاقين إلى هذه الأبحاث المتعلقة بالروح ؛ أو على الأقل مشاركين فيها ، خاصة ونحن نعلى فى وجداننا وحياتنا السياسية والاجتماعية القيم الروحية ، ونجعلها بعض الأسس التى تقوم عليها مجتمعاتنا العربية ... »[١] .

فلنتقبل إذاً على البحث الروحى الجاد فى غير ما وجل ولا تردد ، ولنثق بأنفسنا ، وبحقنا المطلق فى التحقيق والاستكشاف ، فقد انقضى — منذ زمن بعيد — الزمن الذى كان يثار فيه مثل هذا التساؤل المحزن عما إذا كان البحث فى الروح حلال أم حرام ... فلا يوجد حرام — فى أى اعتقاد — إلا الجهالة ، والانطواء ، والمكابرة فى الحقائق .

ولننتقل الآن إلى سرد « بعض البينات والوقائع » وهو موضوع « الباب الخامس » .

---

(١) عن مقال له عنوانه « العقل والروح لا انفصال بينهما » فى جريدة « الأخبار » (عدد ٥٤٩٠٤ فى ٣ مايو ١٩٦٨) تعقيباً منه على خطاب كنت قد بعثت إليه به فى هذا الشأن فنشره مؤيداً ، ومشكوراً على نشره وعلى تأييده .

الباب الخامس

فى بعض البينات والوقائع

تمهيد

نظن أن الأبواب السابقة تتضمن بيانات كافية للاقتناع بأن موضوع الروح دخل نطاق البحث العلمى منذ أواخر القرن الماضى . بل دخل — فى اقتناع كبار الباحثين — نطاق الحقيقة العلمية ، لأنهم يفهمون هذه الحقيقة على أنها اقتناع له أسانيده العقلية المحتومة . أما عند من يفهمون الحقيقة العلمية على أنها مكابرة ، أو أنها تتطلب إخضاعاً للروح إلى قوانين آلية ، شأنها شأن المادة الصلبة عندما تخضع لإرادة الإنسان فيشكلها كيفما شاء ووقتما شاء ، فلن تدخل الروح أبداً نطاق هذه « الحقيقة العلمية »، لأنه ليس من حقائق الكون ما يتطلب مثل هذا التحول المطلوب شرطاً للاقتناع وإلا فلا .

على أننا بعد أن قدمنا فى الباب السابق « بعض الأسماء والمراجع » فى البلاد المختلفة، مع بعض بيانات سريعة للتعريف بها وبأصحابها، نرى لزاماً علينا فى الباب الحالى أن نقدم فى أناة — وفى حذر شديد — « بعض البينات والوقائع» التى اخترناها من هنا وهناك كنماذج سريعة من البينات الحاسمة التى لا تحصى ، والتى تزخر بها الآن المؤلفات والمراجع الروحية التى أشرنا إلى بعضها آنفاً .

وذلك بالإضافة إلى أن المجلات الروحية تحوى هى الأخرى أكداساً أخرى من البينات والوقائع المبينة بشهودها ، وتفاصيلها ، وأدلتها ذات الدلالة الواضحة . وهى تتفاوت فى قيمتها الإقناعية ، لكنها لا تقبل — مجتمعة — إلا تأويلا واحداً هو ثبوت استمرار الحياة بعد الموت وقيام الصلة بين عالمى الروح والمادة كأشد ما يدل عليه اللفظ . ومن المجلات الروحية ما ينطوى على عوامل للثقة فيه لا تقل بحال عن عوامل الثقة التى يستمدها الباحث من أحسن المجلات

العلمية الأخرى بالنظر إلى الهيئات الراقية التى تصدرها ، والتى لا مصلحة لها إلا فى البحث عن الحقيقة العلمية وحدها ، وإلى الضمانات الكثيرة المستمدة من الشخصيات القائمة على تحريرها وإصدارها . ومنها مثلا مجلة « العلم الروحى » التى تصدرها الكلية البريطانية للعلم الروحى أربع مرات سنوياً[1] ، و « مضابط جمعية البحث الروحى »[2] بلندن ، وجريدة هذه الجمعية[3] ، و « مضابط الجمعية الأمريكية للبحث الروحى »[4] ، وجريدة هذه الجمعية[5] ، و « مضابط المعمل الوطنى للبحث الروحى »[6] التابع لجامعة لندن ، وهو يصدر أيضاً جريدة منتظمة journal ، ونشرة دورية بأعماله Bulletin .

وذلك بالإضافة إلى بعض المجلات العريقة المتخصصة فى الأمور الروحية مثل مجلة « العالمين »[7] التى تصدر شهريا بمانشستر منذ سنة ١٨٨٧ حتى الآن ، و « الأنباء الروحية »[8] ، و « الإنسان الروحى »[9] ، و « خدمة العالم والمجلة الروحية »[10] ، وهى مجلة شهرية تعالج موضوعات الحياة بعد الموت والإصلاح

---

(١) Psychic Science:
Quarterly Transactions Of The British College Of Psychic Science.

(٢) Proceedings Of The S. P. R. (London).
وهى تصدر منذ سنة ١٨٨٢ وقد بلغت مجلداتها حتى سنة ١٩٦٢ خمسة وخمسين مجلداً . وراجع ما سبق عنها فى ص ٣١٦ — ٣٢٨ .

(٣) Journal Of The S. P. R. (London).
وهى تصدر منذ سنة ١٨٨٤ وقد بلغت مجلداتها حتى سنة ١٩٦٢ أربعين مجلداً .

(٤) وتصدر منذ سنة ١٨٨٩ Proceedings Of The American S P. R.

(٥) وتصدر منذ سنة ١٩٠٧ Journal Of The American S. P. R.

(٦) Proceedings of the N. L. P. R.

(٧) وهى الآن فى سنتها الثانية والثمانين The Two Worlds

(٨) وتصدر منذ سنة ١٩٣٢ Psychic News.

(٩) The Spiritualist.

(١٠) World Service And Psychic Review.

الاجتماعي والخدمة العالمية في وقت واحد ، و« المراقب الروحي » الأمريكية[١] ، و « مجلة المعهد الدولي لما وراء الروح بباريس »[٢] ، و « المجلة الروحية » الفرنسية[٣] وغيرها كثير ، وهي تعد الآن بالعشرات ومنتشرة في العالم أجمع .

وفي عدد أبريل سنة ١٩٢٨ من المجلة التي تصدرها « الكلية البريطانية للعلم الروحي » إحصاء عن المجلات المتخصصة في العلم الروحي الحديث يبين منه أن عدد هذه المجلات في الخارج كان في ذلك التاريخ ١٥٤ مجلة دورية يصدر منها بانتظام ٦ في بريطانيا ، و٢٣ في فرنسا وبلجيكا ، و٩ في ألمانيا واسكنديناوة ، و١٤ في شمال أمريكا والمكسيك ، و٦٣ في أمريكا الجنوبية وحدها ، والباقي في بلاد مختلفة ، وتشير كل الدلائل إلى أن هذا العدد في تزايد مستمر منذ هذا التاريخ حتى الآن .



وهذه البيانات والوقائع التي سنقدم بعضها في الباب الحالي ، منتزعة من المراجع الموثوق بها ، ومن المجلات العلمية الراقية ، لم نخترها اعتباطاً ، بل راعينا في اختيارها مدى الثقة الخاصة التي توحي بها بالنظر إلى قيمة العلماء الذين قدموها ، وإلى الظروف التي قدمت فيها كما قلنا . هذا إلى أننا راعينا فيها أن تكون من أنواع مختلفة كفيلة بأن تعطي القارىء فكرة عامة عن نواح شتى من البحوث الواردة في شتى المراجع ومن بلاد مختلفة . وأن تكون من بيئات أكاديمية أو جامعية ، ومن أعلى مستوى عرفه العلم التجريبي حتى الآن .

ونقدمها إلى القارىء بالإضافة إلى تلك البينات الشخصية التي قد يحصل عليها

---

(١) Psychic Observer.

(٢) Revue Metapsychique «De l'Institut Mètapsychique International».

(٣) La Revue Spirite.

من يوالى التجريب بعناية وصبر فى منزله ، والتى لانشك فى أن عدداً وفيراً من القراء قد حصل عليها بالفعل بعد انتشار الجلسات العائلية فى بلادنا فى السنين الأخيرة على مالاحظته خلال أحاديثى مع كثير من المعارف والأصدقاء . ولاريب أن للتجربة الشخصية فى مجال الاقتناع تأثيراً يفوق كل ما للأدلة المستمدة من تجارب الآخرين ، مهما كانت قوية ومحوطة بالضمانات العلمية المطلوبة . فلايرجع الفضل فى انتشار الحركة الروحية إلى انتشار البحوث أو الكتابات العلمية — مهما كانت قيمتها — بقدر مايرجع ابتداء إلى هذه الجلسات العائلية البسيطة التى انتشرت فى كل مكان فنجحت — متى توافرت وسائلها — فى إيجاد صلة وثيقة بين العالمين أشبه ماتكون بصلة التليفون أوالإرسال اللاسلكى . ألم يكن أيهما خرافة كبرى فى الماضى ؟... بل من تخيلهما فى الماضى حتى مجرد خيال ؟...

أما الاعتقاد فى الصلة بين عالمى الروح والمادة فقديم قدم كل حضارة إنسانية ، بل قدم كل وجود إنسانى على مابينته فى الباب الثانى . وتضمنت كتب الأقدمين بيانات كثيرة عنه بوصفه حقيقة واقعة ، لكنها أهملت عندماذاع الاعتقاد بمادية الكون فى وقت من الأوقات . إلى أن بعث بحث هذه الصلة من جديد فى منتصف القرن الماضى — على أوسع نطاق وعلى أرقى مستوى علمى — فكان بعثها بعثاً لمعرفة هامة للإنسان ، وتحقيقاً لمعجزة حقيقية يصدق عليها قول أحدهم « إن أكبر أعجوبة هى أن تصبح المعجزة الحقيقية أمراً عادياً من أمور الحياة اليومية » . بل كان بعثها بعثاً لأفضل القيم الروحية والخلقية التى تكمن حتماً وراء كل حضارة حقيقية ، على ما سأوضحه تفصيلا فى الجزء الثانى .

الفصل الأول

من تجارب وليم كروكس في الظواهر الروحية

يعد سير وليام كروكس W. Crookes (١٨٣٢ — ١٩١٩) من أبرز العلماء فى الفيزياء والكيمياء الحديثة ، وقد اكتشف عناصر جديدة مثل التاليوم والفيكتوريوم والإستريا . كما اخترع الراديومتر الذى يعمل بتأثير الضــوء وحده ، وكذلك الاسبنتاريسكوب Spinthariscope ، وأنابيب كروكس Crooke,s tubes المستخدمة فى توليد أشعة رنتجن . كما اكتشف خواص المادة المشعة مما دعاه إلى تقسيم المواد تقسيماً رباعياً بعد تقسيمها الثلاثى المعروف إلى مواد صلبة وسائلة وغازية ، وكان عضواً «بالجمعية الملكية لتقدم العلوم» (المجمع العلمى) ثم رئيساً لها حتى مماته ، وحاز جميع ألقاب الشرف العلمية فى بلاده .

فعالم هذه مكانته لا تكون بحوثه فى العلم الروحى التجريبى وشهادته محل مطعن إلا من مكابر أو من مادى موغل فى ماديته بعناد لا يريد عنها بديلا . خصوصاً وأن انحياز كروكس للجانب الروحى جاء — من جانبه هو أيضاً — بعد إنكار تام للظواهر الروحية ، ثم بعد تشكك طال أمداً طويلا . ولم يقتنع إلا بعد تجارب دامت لمدى سنين طويلة شاركه فيها كثير من العلماء المجربين من بينهم أعضاء فى «الجمعية الملكية» ، وآخرون حضروا بدعوة منه لمشاهدة الظواهر التى قلبت أفكاره المادية رأساً على عقب .

وذلك إلى المدى الذى دفعه لأن يخطب فى «الجمعية الملكية» قائلا : «من بين جميع الصفات التى عاونتنى فى بحوثى الروحية وذللت لى طرق الكشوف الطبيعية — وكانت أحياناً غير متوقعة — اعتقادى الصحيح الراسخ بجهلى .

وأكثر الذين يدرسون الطبيعة يستحيل أمرهم عاجلا أو آجلا إلى إهمالهم الكلى لجانب عظيم من رأسمالهم العلمى المزعوم ، لأنهم يرون أن رأسمالهم هذا وهمى محض» .. إلى أن يقول : « متى امتحنا عن قرب بعض النتائج العادية للظواهر الفيزيقية نبدأ بإدراك إلى أى مدى تنحصر هذه النتائج أو النواميس فى دائرة أخرى ليس لنا بها أقل علم . أما أنا فإنى تخلىّ عن رأس مال العلمى الوهمى قد بلغ حداً بعيداً . فقد تقوض عندى هذا النسيج العنكبوتى للعلم ، كما عبر عن ذلك بعض المؤلفين ، إلى حد أنه لم يبق منه سوى كرة صغيرة لا تكاد تدرك ..

ولست آسفاً على الحدود التى يضعها أمامنا جهل الإنسان ، بل اعتبرها منشطاً منقذاً . إنى أعتقد بأنى لست أنا ولا غيرى أهلا لأن نعين مقدماً ما ليس بموجود فى هذا الكون ، ولا يستطيع أحد منا أن يقول شيئاً معيناً لا يحصل حولنا فى كل يوم من أيام حياتنا . هذه العقيدة تدع لى أملاً مقوياً بأن اكتشافاً رئيسياً جديداً يمكن أن يحدث فى أى مجال من المجالات فى أقل الأوقات تفكيراً فيه »[1] . .

وقد جرى كروكس فى أبحاثه الروحية على أشد الأساليب العلمية صرامة ، مصمماً عدة أجهزة لمنع التدليس وخداع الحواس ونفى التأثيرات النفسية . ونجح بعد ذلك كله فى تصوير الجسد الأثيرى للإنسان عن طريق استخدام هليومتر جرينوتش Heliometer Of Greenwich ، كما نجح فى تصوير روح متجسدة تجسداً تاماً على ما سنوضحه تفصيلا فيما بعد مؤيداً بالصور .

وقد باشر كروكس بحوثه على عدد من الوسطاء مثل السيدة مارشال Marshall فى يونيه سنة ١٨٦٩ ، وج.ج. مورس J. J. Morse فى ديسمبر من نفس العام ، ثم الآنسة فوكس Fox ، ثم واصلها مع الوسيط دانييل دنجلاس هوم

---

(١) « على أطلال المذهب المادى » المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى ج ١ ص ١٣٦ . وراجع عن كروكس أيضاً ما سبق فى ص ٣٢٩ — ٣٣١ .

Daniel Dunglas Home[1] . ففى حضور كروكس كانت وساطة هوم تجعل الأكورديون يعزف ألحاناً جميلة ، وهو داخل قفص حديدى موضوع تحت مائدة فى غير متناول الوسيط . كما كان نفس الأكورديون يعزف أحياناً وهو يجوب فى جو الغرفة[2] . هذا فضلا عن ارتفاع الوسيط بكرسيه من على الأرض إلى أبعاد مختلفة . ويعد هوم هذا من أقوى وسطاء القرن الماضى ، وكان من أصل اسكتلندى عريق ولم يكن موسراً ، ومع ذلك كانت جلساته مجانية دائماً ، لأنه كان يعلم جيداً أنه يقوم برسالة أسمى كثيراً من رسالة جمع المادة . وكان يتمتع بكل صور الوساطة الفيزيقية عدا وساطة الصوت المباشر Direct Voice .



هوم

وقد خضعت تجاربه لعدد كبير من الباحثين غير كروكس فى شتى البلاد إذ كان كثير التجوال فى أنحاء العالم بدعوة من الباحثين الروحيين . فامتحن وساطته فى أمريكا القاضى جون وورث إدموندز J. W. Edmonds رئيس مجلس الشيوخ الأمريكى ورئيس المحكمة العليا بنيويورك ، والعالمان روبرت هير R. Hare ، وجيمس مابس J. Mapes[3] ، كما حقق وساطته العالم والوزير الروسى أكزاكوف Aksakoff .

---

(١) وللوسيط هوم هذا كتاب فى الروحية عنوانه الأضواء والظلال .
The Lights And The Shadows (1882).
وله ترجمة فرنسية عنوانها : Les Lumières Et Les Ombres (1883).

(٢) وهذه الظاهرة سجلها أيضاً تقرير الجمعية الجدلية . راجع ما سبق ص ٣١٢ .

(٣) راجع ما سبق فى ص ٢٦٦ — ٢٦٨ .

بحوثه فى الظواهر الفيزيقية

وقد أثبت كروكس هذه الظواهر فى مؤلفه «بحوث فى الظواهر الروحية»(١) (١٨٧٤). وهذا المؤلف يمثل ثمرة تجاربه الخاصة لمدى أربعة أعوام، وفيه يستعرض كروكس كافة الظواهر الوساطية، ويعالج فيه « الروحية فى ضوء العلم الحديث »، ثم يعرض للكلام فى « بحوث تجريبية فى طاقة جديدة »، ثم للكلام فى « الطاقة الروحية والروحية الحديثة »، وفى « البحوث فى نطاق الظواهر الموصوفة بالروحية خلال الأعوام من ١٨٧٠ — ١٨٧٣ ».

وبعد ذلك يعرض للحديث عن تجاربه فى ثلاث عشرة طائفة مختلفة من هذه الظواهر الفيزيقية كالآتى(٢): —

الطائفة الأولى : تحرك أجسام ثقيلة عن طريق الملامسة، ولكن بغير جهد آلى.

الطائفة الثانية : ظواهر « الطرقات » والأصوات الأخرى التى من نفس طبيعتها.

الطائفة الثالثة : تغيرات أوزان الأجسام.

الطائفة الرابعة : تحرك أجسام ثقيلة موضوعة على بعد معين من الوسيط.

الطائفة الخامسة : ارتفاع مناضد وكراسٍ من الأرض بدون ملامسة إنسان.

الطائفة السادسة : ارتفاع أجسام آدمية.

الطائفة السابعة : تحرك أشياء صغيرة متنوعة بدون ملامسة أحد.

الطائفة الثامنة : الظهور المضىء Luminous Appearances.

الطائفة التاسعة : ظهور أيدٍ مضيئة بذاتها، أو منظورة فى الضوء العادى.

الطائفة العاشرة : الكتابة المباشرة Direct Writing.

---

(١) Researches In The Phenomena Of Spiritualism.

(٢) وراجع فى الظواهر الوساطية الفيزيقية ما سبق فى ص ١٦٥ — ١٩٦.

الطائفة الحادية عشرة : أشكال الأشباح ووجوهها .

الطائفة الثانية عشرة : حالات خاصة تبدو أنها تشير إلى نشاط عقل أجنبى .

الطائفة الثالثة عشرة : ظواهر متنوعة ذات خصائص مركبة .

* * *

وهذه الظواهر الفيزيقية قد عرضت لها فيما سبق عندما تحدثت فى فصل على حدة عن « الظواهر الوساطية بوجه عام »[1] . ويعد التعرض لها من جديد على لسان كروكس تكراراً لاداعى له . وإنما ينبغى هنا أن أثبت ماسجله كروكس عن مشاهداته الخاصة بالنسبة لبعضها فقط ، ومنها الطائفة التاسعة وهى « ظهور أيدٍ مضيئة بذاتها أو منظورة فى الضوء العادى » لوثيق اتصالها بما سبق أن أوردته عن « الإكتوبلازم والتجسدات »[2] من ناحية ، ولوثيق اتصالها من ناحية أخرى بما سيرد حالا عن حالات التجسد الكامل التى سجلها كروكس بنفسه فى حضور الوسيطة فلورنس كوك . إذ أنه لا يوجد فارق حقيقى بين التجسد الجزئى والكلى من ناحية أسلوبهما وطبيعتهما ، بل إن كل الفارق يكاد ينحصر فى المدى فحسب ، وهو يتوقف من ناحية على مدى تدفق مادة الإكتوبلازم من جسم الوسيط ، ومن ناحية أخرى على مدى قدرة الكائنات غير المنظورة على حسن استخدامها ، وعلى التحكم الماهر فى « الطاقة الروحية » المنتزعة من جسم الوسيط أو الوسيطة ، وربما بالإضافة إلى جسوم بعض الجلساء .

فمن هذه التجسدات الجزئية يكتب كروكس « إن هذه الأيدى لم تظهر لى دائماً صلبة كما لو كانت أيدى حية . ففى بعض الأحايين ينبغى — بالأقرب —

---

(١) فى ص ١٥٦ وما بعدها .

(٢) فى ص ١٧٠ وما بعدها .

القول بأنها كانت تعطى مظهر غيم بخارى مركز جزئياً فى شكل يد . وجميع الموجودين لم يكونوا يرونها بنفس الدرجة من الوضوح . . . ولقد شاهدت أكثر من مرة شيئاً يتحرك فى الابتداء ، ثم غيماً مضيئاً يبدو كما لو كان يتكون تدريجياً حول هذا الشيء ، ثم يصبح كثيفاً ويأخذ شكلا ما ويتحول إلى يد كاملة الصنع ، وعندئذ كان بمقدور جميع الموجودين أن يروا هذه اليد . وهى ليست فى جميع الأحوال مجرد يد ، فهى تبدو فى بعض الأحيان يداً نابضة بالحياة تماماً ، وأنيقة ، فالأصابع تتحرك ، واللحم يبدو إنسانياً كلحم كل إنسان عادى ، ولكن يصبح شكلها عند الرسغ أو عند الذراع بخارياً ، ويضيع فى غيمة مضيئة .

وعند اللمس تبدو هذه الأيدى أحياناً باردة كالثلج ولا حياة فيها ، ولكنها فى أحيان أخرى بدت لى دافئة وحية . وقد ضغطت على يدى بحرارة كما لو كانت صديقاً قديماً يصافحنى . وقد أمسكت يداً من هذه الأيدى مصمماً على ألا أدعها تفلت منى ، ولم أقابل أية محاولة ، أو أى جهد للإفلات ، ولكن بدت لى هذه اليد وقد ذابت تدريجياً وتحللت إلى بخار ، وبهذه الطريقة أفلتت من ضغط قبضتى » .

* * *

وينتقل كروكس بعدئذ إلى الطائفة العاشرة من هذه الظواهر وهى الكتابة المباشرة Direct Writing عن طريق بعض هذه الأيدى قائلا « لقد حصلت عدة مرات على كلمات ورسائل على أوراق عليها علامات معينة تحت أكثر صور الرقابة صرامة ، وسمعت فى الظلام صوت القلم وهو يتحرك على الورقة ، وكانت الاحتياطات التى اتخذتها قوية لدرجة أن روحى قد اقتنعت كما لو كنت قد شاهدت الحروف وهى تتكون . ولضيق المقام فلن أدخل فى كل التفصيلات

ولكنى سأقتصر على ذكر الحالات التى كانت فيها عيناى وأذناى — بنفس المقدار — شهوداً على العملية » .

ثم يسرد كروكس بعض تجاربه فى هذا الشأن مع الآنسة فوكس ، ثم مع الوسيط هوم قائلا إنه فى حضور هذا الأخير وُضعت أوراق ومعها قلم رصاص فى وسط المنضدة ، فارتفع القلم واتجه تلقائياً نحو الورق بقفزات غير مستقرة ثم سقط ، ثم استقام وسقط ثانياً ، وكرر نفس العمل مرة ثالثة ، وبعد هذه المحاولات اليائسة ، انزلقت « مسطرة » خشبية ، كانت موجودة على المنضدة نحو القلم وارتفعت تلقائياً إلى ارتفاع بضعة بوصات من المنضدة ، وارتفع معها القلم من جديد واستند على « مسطرة » الخشب ، وقاما معاً بمجهود مشترك للكتابة على الورقة . وبعد ثلاث محاولات عادت « المسطرة » إلى مكانها تاركة القلم ، ونزل القلم على الورقة وكتب الرسالة الآتية : « لقد حاولنا أن نرضى رغبتكم ، ولكن هذا فوق قدرتنا » !

* * *

وفى الطائفة الحادية عشرة يعالج كروكس فى إيجاز موضوع « أشكال الأشباح ووجوهها » فيقول : « إن هذه الظواهر التى شهدتها تبدو الشروط اللازمة لظهورها دقيقة جداً ، كما تكفى أشياء قليلة جدا لكى تحول دون ظهورها ، إلى حد أنه لم تسنح لى سوى فرص نادرة لمشاهدتها فى شروط كافية للرقابة ، وسأشير إلى اثنتين منها : —

ففى خلال جلسة فى منزلى مع السيد هوم Home فى آخر النهار شاهدت ستائر أحد النوافذ تهتز ، وكانت على بعد ثمانية أقدام تقريباً من السيد هوم ، وشاهد جميع الحاضرين شكلاً معتماً وغامضاً ، ونصف شفاف ، يشبه شكلا إنسانياً ، واقفاً بالقرب من النافذة ويهز « الستارة » بيده ، وبينما كنا نتأمل فيه تلاشى وتوقف اهتزاز الستائر .

والحالة الآتية أكثر استرعاء للانتباه ، وكان الوسيط فيها هو هوم كما فى الحالة السابقة،وقد تقدم شكل شبح نحو ركن من الغرفة ، وانتزع «أكورديون» وأخذ يتجول فى الغرفة عازفاً بهذه الآلة الموسيقية ، وكان هذا الشكل منظوراً لمدة بضع دقائق من جميع الأشخاص الموجودين ، كما كنا نشاهد فى نفس الوقت السيد هوم . ثم اقترب الشبح من سيدة كانت تجلس عـلى مسافة من باقى الحاضرين ، فانبعثت منها صرخة خافتة ، اختفى الشبح على إثرها » .

* * *

وبعد ذلك يستطرد كروكس فى الطائفة الثانية عشرة من هذه الظواهر لإثبات أنه وإن كانت إرادة الوسيط وذكائه قد ظهرا فى كثير من الحالات بوصفهما ذوى تأثير كبير على الظواهر « إلا أننى شاهدت حالات كثيرة تبدو أنها تظهر — بطريقة حاسمة — وجود نشاط لعقل خارجى وأجنبى عن جميع الأشخاص الموجودين » . .

ومن هذه الحالات يقول إنه شاهد الآنسة فوكس تـكتب تلقائياً رسالة إلى أحد الحاضرين ، فى الوقت الذى كانت تتلقى فيه رسالة أخرى عن موضوع آخر لشخص آخر عن طريق الحروف الهجائية بواسطة الطرقات المسموعة . وخلال ذلك كانت الوسيطة تتحدث مع شخص ثالث بدون أى ارتباك فى موضوع مختلف تماماً عن الموضوعين الآخرين ! !

«وهناك حالة أخرى ربما كانت أكثرمنها استرعاء للانتباه . ففى جلسة مع السيد هوم اجتازت «مسطرة من الخشب» المنضدة لـكى تصل إلىّ تحت إضاءة كاملة ، وأعطتنى رسالة بطريق الطرقات على يدى ، فـكنت أتهجى الحروف الأبجدية وكانت « المسطرة » تحدث الطرقات اللازمة ، وكان الطرف الآخر لها مرتـكزاً على المائدة على مسافة مامن يدى السيد هوم .

وكانت الطرقات واضحة ومحددة، وكان من الجلى جداً أن «المسطرة» كانت واقعة تحت تأثير قدرة غير منظورة توجه حركاتها إلى حد أنى قلت لها « هل يمكن للعقل الذى يوجه حركات هذه «المسطرة» أن يغير اتجاه حركاتها ويعطينى بطريقة الطرقات على يدى رسالة تلغرافية بأسلوب مورس Morse ؟ [(١)].

وعندى كل الأسباب الممكنة التى تحملنى على الاعتقاد بأن أسلوب مورس كان مجهولا تماماً من جميع الأشخاص الموجودين. وحتى أنا كنت أعرفه بطريقة ناقصة . وما أن نطقت بهذه الكلمات حتى تغير أسلوب الطرقات لكن استمرت الرسالة بالطريقة التى طلبتها ، وبسرعة شديدة جداً إلى حد أنى التقطت بصعوبة كلمة من هنا وكلمة من هناك فضاعت الرسالة ، ولكنى شاهدت ما يكفى لإقناعى بأنه كان فى الطرف الآخر للمسطرة عامل ملم تماماً بطريقة مورس أياً كان هذا العامل» . . .

* * *

والطائفة الثالثة عشرة من هذه الظواهر يسميها كروكس « ظواهر متنوعة ذات خواص مركبة » ، وهى ظواهر المجلوبات الروحية فيقول « لقد وعدتنى الآنسة فوكس أن تقدم جلسة لى فى منزلى فى ليلة من ليالى الربيع فى هذا العام الأخير ، وعندما كنت فى انتظارها ، كان موجوداً فى غرفة المائدة سيدة من أقاربنا ، ونجلاى البالغ عمر أولهما أربعة عشرة عاماً وثانيهما أحد عشر عاماً . وفى هذه الغرفة كانت تعقد الجلسات دائماً ، وكنت أنا وحيداً فى مكتبتى مشغولا بالكتابة .

وعندما حضرت الآنسة فوكس اصطحبتها إلى غرفة المائدة بالدور الأرضى وطلبت من نجلىّ أن يذهبا إلى المكتبة لكى يستذكرا دروسهما ، ثم أغلقت

---

(١) هى طريقة الاختزال المعروفة عند المختصين بتبادل البرقيات ، والتى ترمز إلى كل حرف هجائى بعدد معين من النقط أو الشرط أو كليهما .

الباب من خلفهما بالمفتاح ووضعت المفتاح فى جيبى كعادتى فى أثناء الجلسات .

وبعد ذلك جلسنا ، وكانت الآنسة فوكس إلى يمينى والسيدة الأخرى إلى يسارى . وسرعان ماتلقينا رسالة بالحروف الأبجدية تطلب منا أن نطفىء المصباح، فلما فعلنا أصبحنا فى ظلام تام ، وكنت أمسك طيلة الجلسة يدى الآنسة فوكس فى يدى . وعلى الفور تقريباً تلقينا رسالة صيغتها كالآتى « سنحدث لكم ظاهرة تعطيكم الدليل على قدرتنا » . وبعد ذلك رأساً سمعنا ضربات جرس لم يكن ثابتاً فى مكان واحد، بل كان يروح ويجىء فى جميع جوانب الغرفة ، أحياناً بالقرب من الحائط ، وأحياناً أخرى فى ركن بعيد من الشقة ، وأحياناً كان يلمس رأسى ثم يسقط على الأرض ، وظل على هذا المنوال لمدى خمس دقائق بالأقل، ثم سقط الجرس الصغير على المنضدة بالقرب من يدى .

وأثناء كل الوقت الذى استمرت فيه هذه الظاهرة لم يتحرك أحد من مكانه، واستمرت يدا الآنسة فوكس ساكنة تماماً ، وكنت أعتقد أنه لا يمكن أن يكون جرسى الصغير هو الذى يدق لأننى تركته فى مكتبتى (فمنذ لحظة قصيرة قبل وصول الآنسة فوكس احتجت إلى كتاب كان موجوداً فى ركن من رف الكتب ، وكان فوقه هذا الجرس ونحيته جانباً كيا آخذ الكتاب ، وهذه الحادثة الصغيرة أكدت لى أن جرسى كان فى المكتبة يقيناً) . وعندما أضأت شمعة لم يصبح عندى أى شك فى وجود جرس هناك على المائدة أمامى فتوجهت إلى المكتبة رأساً ، وتبينت بنظرة واحدة أن الجرس لم يعد فى مكانه حيث كان ينبغى أن أجده . فقلت لأبنى البكر « هل تعلم أين جرسى الصغير ؟ » فأجاب « نعم ياأبى هاهو » وأشار إلى المكان الذى تركته فيه ، وعندما نطق هذه الكلمات رفع عينيه واستمر قائلا : « كلا إنه ليس هناك ولكنه كان هنا منذ لحظة . . ماذا تريد أن تقول ؟ هل حضر أحد لأخذه ؟ كلا لم يدخل أى إنسان ، ولكنى متأكد أنه كان هناك لأننا عندما خرجنا من غرفة المائدة وحضرنا إلى هنا أخذ

« ج » (الشقيق الأصغر) فى الدق به بشدة منعتنى من المذاكرة فطلبت منه التوقف» . وأكد ابنى «ج» هذه الأقوال،وأضاف أنه بعد أن دق الجرس أعاده إلى المكان الذى وجده فيه (على الرف) .

ثم يروى كروكس حادثة أخرى لجلوات روحية فى حضور الوسيط هوم قامت فيها الكائنات غير المنظورة بنقل فرع حشيش أخضر Chinagrass طوله ١٥ بوصة كان موجوداً فى وسط إناء به أزهار كثيرة ، وقد ارتفع ببطء من بينها فى الضوء العادى للغرفة ونزل على منضدة كانت موضوعة بين الوسيط وبين هذا الإناء ، وعندما وصل هذا الفرع الأخضر إلى المنضدة لم يتوقف ، بل اتجه رأساً إلى أسفل مخترقاً خشب المائدة تحت أبصارنا جميعاً ، إلى أن أتم اختراقها . ثم شاهدت زوجتى التى كانت تجلس إلى جوار السيد هوم يداً تخرج من تحت المائدة تحمل هذا الفرع . وقد ضربت به كتف زوجتى مرتين أو ثلاثاً محدثة صوتاً سمعه جميع الموجودين ، ثم تركت الفرع على الأرض واختفت ، وكان هوم جالساً فى هدوء أمامها . وكان الفرع سليماً لم يكسر ، ولايحمل أية علامة لأى ضغط أو تشويه [1] .

* * *

وغنى عن البيان أن هذه الظواهر كلها يسجلها كروكس بعد تحققه بطريقة قاطعة لكل شك من صحة حدوثها فى منزله الخاص وفى ظروف معينة ، وبعد اتخاذ أضخم الاحتياطات على ما أكده فى عدة مواضع . وبعد ذلك يتكلم فى « النظريات التى قيلت لتفسير الظواهر المشاهدة » ، وينفى احتمال أن تكون نتيجة تدليس ، أو هلوسة ، أو وهم ، أو حتى نتيجة نشاط واع أو غير واع للمخ ، أو صادرة من عقل الوسيط ، أو من عقول الجلساء أو بعضهم ، أو من

---

(١) وراجع ما سبق فى ص ١٦٧ ، ١٦٨ عن الجلوات الروحية بوجه عام .

بعض الأرواح الشريرة ، أو الشياطين التى تريد أن تخدع الناس عن عقائدهم ، أو أن تغرر بهم ، ويستبقى نظريتين فقط لايرى تناقضاً بينهما وهما نظرية « الطاقة الروحية » ، ونظرية القائلين بدوام الحياة بعد الموت ونسبة هذه الظواهر إلى أرواح الموتى بوصفها « النظرية الروحية المثالية » التى يتقبلها الروحيون بوصفها اعتقاداً لايتطلب المزيد من الأدلة .

وبذلك يختزل كروكس الخلاف بينهما إلى مجرد « مسألة وقائع » ، قائلا إنها لن تحل إلا بعد تجارب مثابرة جادة، وإلا بعد إجتماع عدد ضخم من « الوقائع النفسية » وهذا هو الواجب الذى سيقع على عاتق الجمعية التى يجرى تكوينها « الآن » أن تقوم به . وهذا الكلام كتب فى سنة ١٨٧٤ والإشارة فيه إلى الجمعية التى أعلن تأسيسها نهائياً فيما بعد فى سنة ١٨٨٢ باسم « جمعية البحث الروحى » S. P. R. ، والتى جمعت الأدلة المتراكمة ــ منذ تأسيسها لغاية الآن ــ فى « جانب النظرية الروحية » دون غيرها ، وعلى ما سردناه فيما سبق[1] ، وعلى ماسنعود إليه من جديد فى فصل على حدة ، ثم فى عدة مناسبات أخرى لاحقة من الجزئين معاً .

عن تجاربه مع الآنسة كوك

وأقوى تجارب كروكس وادعاها للاقتناع تمت مع الوسيطة الآنسة فلورنس كوك Florence Cooke التى تجسدت فى حضورها روح تجسداً كاملا ، هى روح كاتى كنج Katie King ، والتى ذكرت أنها كانت تعيش على الأرض تحت اسم أنى أوين مورجان Annie Owen Morgan فى جزيرة جامايكا ،

---

(١) و ص ٢٧٠ — ٢٧٣ ، ٣١٦ — ٣٢٨ . وراجع أيضاً ما سبق عن النتائج التى وصل إليها العلماء باريت ، ولودج ، ومايرز، وجيرنى، وهارى برايس، وغيرهم من أعضاء « جمعية البحث الروحى » بلندن، ووليام جيمس ، وهايسلوب ، وكارنجتون، وولتر فرانكلين برنس ، وغيرهم من أعضاء « جمعية البحث الروحى الأمريكية » ومئات بل آلاف غيرهم .


فلورنس كوك

فى عهد الملك شارل الأول، وأنها أنجبت طفلين وماتت مبكرة فى سن الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين. وذكرت أسماء بلدان وطرقات وجبال وأنهار ومعالم كثيرة فى الجزيرة لم يكن أحد من الحاضرين يعرف عنها شيئاً، وتحقق كروكس فيما بعد من صدق البيانات التى قالتها. كما تحدثت عن ذكرياتها الأرضية، وعن احتلال الجنود الأسبان للجزيرة . . وقد صورها كروكس أربعاً وأربعين صورة، وأخضع الروح المتجسدة، كما أخضع الوسيطة لكشف طبى دقيق بمعرفة الدكتور جالى Gully الأستاذ بكلية الجراحين، ثم أودع كروكس صورها مع تقريره والتقرير الطبى فى « الجمعية الملكية » .

ولم يكن تجسد كاتى كنج فى حضور كروكس جديداً على متتبعى كشوف البحث الروحى، فقد وصفها قبله العالم والوزير الروسى أكزاكوف Aksakoff، وكان ظهورها عن طريق الوسيط إدنجتون Edington، ووصفها كروكس بعد تجسدها لأول مرة بوقت كاف. وقد وصفتها من بعده مدام دى لافيرسى De Laversey فى المجلة الروحية الفرنسية[1] . كما وصفها من بعده أيضاً المهندس جابرييل ديلان Gabriel Delanne فى مؤلفه « الروح خالدة[2] » . وكل هؤلاء رأوها رؤية العين فى ظروف مختلفة، وفى تواريخ متباعدة .

(١) أعداد مارس إلى أكتوبر سنة ١٨٩٧ .
(٢) راجع ما سبق عنه فى ص ٤٢٣ .

ونحن ننقل هنا للقارىء وصف هذه الظاهرة الغريبة كما ثبتت فى محضر جلسة يوم ٢١ أبريل من سنة ١٧٨٢، الذى نشره فى جريدة «الإنسان الروحى» The Spiritualist (١) أحد الحاضرين، وهو الأستاذ وليام هاريسون W. H. Harrison رئيس تحرير هذه الجريدة الذى دعى لحضور التجربة المثيرة، وهو مطابق بدوره لما رواه كروكس عنها فى تقريره التاريخى إلى «الجمعية الملكية» (٢) : —

« سمع فجأة طرق على ألواح الزجاج وصوت موجه إلى السيد كوك والد الوسيطة فلورنس بأنه ينبغى أن ينزح بالوعة منزله إذا شاء حفظ بنيانه من التداعى. فكلف من قام بفحص البالوعة فوراً، وتبين أن قاع المنزل قد امتلأ فعلا بالماء الذى فاض نتيجة للأمطار، ثم حدثت سلسلة من الظواهر الغريبة التى أخذت تزداد دقة بفضل وساطة الآنسة كوك، إلى أن كانت الجلسة التى ظهرت فيها كاتى متجسدة فى حالة من نصف الظلام، وقد وصفها السيد كوك بأن وجهها كان بيضاوياً وأنفها منحنياً، كما كانت عيناها نابضتين بالحياة وجهها بالغ الجمال ».

ثم حدثت جلسة التجسد الثانية، وفى هذه الجلسة جلس لفيف من الحاضرين بين الوسيطة وبين الروح وهو مايثبت أن الشبح لم يكن ازدواجاً للوسيطة. وقد ثبت أيضاً فى محاضر الجلسة اللاحقة مايلى « ظهر وجه كاتى لنا وقد التف بالبياض حتى تمنع السيال Fluid من أن يتبدد سراعاً طبقاً لمقالته. ثم أعلنت أن وجهها هو الذى تجسد فحسب، وأمكن للجميع أن يروا ملامحه

(١) فى المجلد الثامن ص ٢٩٩ وما بعدها.

(٢) وذلك بالإضافة إلى الوصف الذى كتبه كروكس بقلمه فى جريدة الإنسان الروحى فى مجلد سنة ١٨٧٤ ص ٢٧٠، وفى الجريدة العلمية الربع السنوية Quarterly Journal Of Science التى كان كروكس نفسه هو رئيس تحريرها فى ذلك الوقت.

جلية ، وقد لاحظنا أن عينيها كانتا معلقتين واستمر الوجه ظاهراً لمدة نصف دقيقة اختفى بعدها . ثم طلبت زيادة الضوء فأمكن لكل واحد منا أن يبصر وجهها وهو يفيض شباباً وسعادة، وعينيها وهما تفيضان حيوية وذكاء إلى حدما. ولم يعد وجهها باهتاً غير محدد كما كان لدى ظهوره فى ٢١ من أبريل سنة١٨٧٢ لأول مرة ؛ لأنها صارت تعلم الآن خيراً من قبل ماينبغى عليها أن تفعله طبقاً لقولها » .

ثم توالت الجلسات بنجاح ، وازدادت قوة كاتى كنج شيئاً فشيئاً . على أنها لم تتملك المقدرة على الظهور بحرية ، وفى بهرة الضوء خارجاً عن الغرفة المظلمة، وبشكل إنسانى أمام جمهور من الشاهدين المشدوهين، إلا بعد خبرة طويلة ابتدأت غير كاملة فى مبدأ الأمر ؛ ولكنها تكاملت تدريجياً إلى حد أنها فى جلسة الخميس ٢١ مايو سنة١٨٧٤ دخلت الوسيطة فلورنس إلى خبائها فى الساعة السابعة والدقيقة الثالثة والعشرين مساء ، وظهر صوت كاتى بعد خمس دقائق بالضبط ، وفى السابعة والنصف ظهرت كاتى بشكلها الكامل خارج الخباء مرتدية رداءها الأبيض ذى « الكمين » القصيرين والرقبة العارية . ومنذ تلك اللحظة بسطت على الوسيطة رقابة قاسية منظمة ، فأعلن صحة هذه الظواهر كل من العلماء بنجامين كولمان Benjamin Colman ، والدكتور جيمس جالى James Gully ، وجورج سكستون Sexton[1] بعد دراسة أحيطت بكل أسباب التحفظ .

وقد التقط كروكس بيديه لكاتى كنج عدة صور فى ضوء المغنسيوم على عدة دفعات ، وكانت متجسدة فيها تجسداً كاملا وواقفة فى القاعة فى ظروف

---

(١) كان الدكتور جورج سكستون عالماً وخطيباً قديرا وكان من أعداء الروحية الحديثة، ولكنه انضم إليها بعد تجارب خمس عشرة سنة جعلته من أقوى دعاتها . وكان الدكتور جيمس جاللى بدوره من أعدائها ثم انقلب إلى الدفاع عنها .

أخضعت لرقابة بالغة الدقة(١) . ومنذ بدأت وساطة الآنسة كوك فى الظهور تبرع لها شارل بلاكبورن Ch. Blackburn بهبة مالية كبيرة كفلت لها نفقاتها وانصرافها إلى مايؤدى إلى تقوية وساطتها ، ولذ كانت جميع جلساتها مجانية .

ولم تتم التجارب التصويرية بغير احتياط ، فقد اصطحبت السيدة كورنر Corner وكريمتها الوسيطة إلى غرفتها حيث طلبتا منها خلع ملابسها لفحصها جيدا ، ثم ألبستاها معطفاً كبيراً من القماش الرمادى بدلا من ثوبها الذى كانت ترتديه ، ثم اصطحبتاها إلى قاعة الجلسة وقد قيد معصماها بشريط من المعدن كما فحصت جميع أركان الغرفة ، ثم جلست الآنسة كوك ووضع الشريط الذى كان يقيدها فى حلقة من المعدن ثبتت فى الأرض ، ووضع فوقها رداء كان بمثابة ستار للخباء وربط طرفه بكرسى بحيث إذا تحركت الوسيطة أحس بها الجميع على الفور . ثم نامت الوسيطة ، وبعد لحظات ظهرت كاتى كنج وتقدمت فى الغرفة مرتدية فستاناً



وجه كاتى كنج متجسداً عن قرب

(١) ويقول كروكس فى مقاله فى مجلة الإنسان الروحى The Spiritualist (عدد ٢٦ مايو سنة ١٨٧٤ ص ٢٧٠ وما بعدها) إنه كان قد ثبت خمس قواعد للتصوير فى أمكنه مختلفة من الغرفة فى منزله الخاص، وكانت الروح تتجسد ليليا فى منزله لمدة أسبوع حتى تمكنه من أن يلتقط لها صوراً فى الضوء الصناعى ، وأنه كان يلتقط لها أحيانا خمس عشرة صورة فى الجلسة الواحدة .

أبيض مفتوح الرقبة قصير الأكمام بحيث أثار جمال رقبتها الرائعة وذراعيها إعجاب الحاضرين .

« وعندما أخذت لها الصور فى الأوضاع المطلوبة أخذت تتمشى فى الغرفة متحدثة مع الجميع ومداعبة إياهم ، وأخذت الصور فى ضوء المغنسيوم . أما إضاءة الغرفة فقد استمرت بعد ذلك بواسطة شمعة ومصباح صغير . وقرب انتهاء الجلسة أعلنت كاتى أن قواها فى طريق الانتهاء ، وأنها آخذة فى الانهيار فشاهدناها تجلس القرفصاء ، ثم اختفى جسدها ولامس رأسها الأرض ، وكانت الوسيطة لا تزال بعد مقيدة الوثاق . ثم حدثت تجسدات أخرى عن طريق الآنسة كوك وتحررت محاضر بما حدث وقع عليها الحاضرون » .

وقد أنكر الماديون طبعاً صحة هذه الظواهر الغريبة وأثاروا حولها غباراً كثيفاً حتى بين أنصار هذه الروحية الجديدة ، ولكن تجارب كروكس كانت قد طبعت تجسدات كاتى كنج بطابع رسمى لا محل للمنازعة فيه ، كما أظهرت تجارب هذا العالم كيف أنه لا يمكن تعليل ظهور كاتى كنج بأنه ازدواج للوسيطة .

* * *

ثم نقتطف الفقرات الآتية من محضر إحدى الجلسات التى ظهرت فيها كاتى متجسدة فى حضور كروكس وعلماء آخرين وقد ورد فيه « كان بمقدور الجميع أن يروا الوسيطة فى غيبوبتها ، وقد غطى وجهها بنقاب أحمر لحمايتها من الضوء . وكانت كاتى تتحدث واقفة أمام الحاضرين عن قرب رحيلها . وتقبلت باقة من الورد قدمها لها السيد تاب Tapp ، كما قدم إليها سير كروكس بعضاً من أزهار الزنبق ربط بعضها بالبعض الآخر ، فطلبت كاتى من السيد تاب أن يفك الباقة وينثر الأزهار علينا ونحن من حولها . كما كتبت خطابات وداع إلى

بعض الجالسين ووقعت على الخطابات باسم أنى أوين مورجان Annie Owen Morgan قائلة إن هذا هو اسمها الذى كانت تعرف به أثناء حياتها الأرضية .

ثم حررت خطابا لوسيطتها ، واختارت لها برعم زهرة كهدية للفراق . ثم أمسكت بمقص وقصت خصلة من شعرها وأعطت إلى الجميع كية كبيرة منه ، ثم أمسكت بذراع كروكس وأخذت تتجول معه فى أنحاء الغرفة مصافحة أيدى الجميع إلى أن عادت إلى مكانها، وقصت قطعاً عديدة من فستانها ونقابها وأهدتها للحاضرين . فسألوها عما إذا كانت تستطيع أن تصلح من التلف الذى أصابهما كما فعلت فى مرات سابقة فعرت جزءاً مقطوعاً من فستانها وضربت بيدها عليه ، وللحال عاد الجزء كاملا وجايا كما كان . . ! (ألا تنفى هذه الحركة — وحدها — القول بأن كاتى كنج كانت سيدة عادية متنكرة ؟ ...) .

« وأعطت كاتى بعدئذ تعلياتها الأخيرة إلى كروكس وإلى باقى أصدقائها فيما يتعلق بما ينبغى اتباعه نحو الظواهر الأخرى التى وعدت بأن تجريها مستقبلا ثم بدا الإعياء عليها وقالت والحسرة بادية عليها إنها ترغب فى الرحيل وإن قواها آخذة فى الزوال ، وكررت للجميع عبارات الوداع بطريقة عاطفية متناهية فى الرقة ، كما شكرها هؤلاء على مامنحته إياهم من ظواهر رائعة ، وكانت أثناء ذلك تلقى نظرة تفكير وأسى عميقين على الجميع ، وتركت الغطاء ينزل ، ثم صارت غير منظورة منا » .

كروكس يصف بقلمه بعض الجلسات

ويكتب سير كروكس وصفاً لإحدى هذه الجلسات بقلمه قائلا « لم تظهر كاتى مطلقاً فى مثل هذا الكمال الذى ظهرت به فى جلسة الأمس . فقد ظلت مايقرب من ساعتين تتمشى فى الغرفة متحدثة مع الحاضرين بألفة ، وفى عدة مرات كانت

تمسك بيدى وهى تتمشى ، وكان الإحساس الذى طاف بروحى أن هذه امرأة حية التى تقف بجوارى ، وليست مجرد زائر من العالم الآخر . وكان هذا الإحساس قوياً عندى إلى حد أن أصبح لدى شعور لا يقاوم بوجوب تكرار هذه التجربة الجديدة الفريدة .

ولتفكيرى بأنه إذا لم تكن هذه روح التى تقف إلى جوارى ، فهى بالأقل سيدة . فقد طلبت إليها أن تسمح لى بأن آخذها بين ذراعى حتى أتمكن من تحقيق الملحوظات الهامة التى عبر عنها باحث جرىء بطريقة أكثر إسهاباً منى ! ! وقد سمحت لى بذلك متلطفة . فقمت بالتنفيذ بطريقة مناسبة ، وبالكيفية التى يتصرف بها أى رجل مهذب تماماً فى مثل هذه الظروف . ولعله يسر السيد فولكمان Volckman أن يعلم بأنى تمكنت من أن أدعم زعمه بأن الشبح الذى لم يبدِ أية مقاومة ، كان كائناً مادياً كالآنسة كوك نفسها .

وقالت كاتى عندئذ إنها تعتقد فى هذه المرة أنه بمقدورها أن تظهر فى وقت واحد مع الآنسة كوك فخفضت مصباح الغاز ، ودلفت بالمصباح الفوسفورى الذى كان معى إلى الغرفة التى كانت تستخدم كخباء ، ورجوت من أحد أصدقائى الذى يتقن فن الاختزال أن يدون كل ملحوظة تبدر منى فى أثناء وجودى فى هذا الخباء ، لأننى أعلم الأهمية المرتبطة بأحاسيسى الأولى ، ولأننى لم أكن أرغب فى أن أعتمد على ذاكرتى إلا بالقدر الضرورى فحسب . ومذكراته أمامى فى هذه اللحظة .

وقد دخلت إلى الغرفة فى حذر ، وكانت مظلمة ، وبحثت عن الآنسة كوك فوجدتها مستلقية على الأرض . فجثوت على ركبتى وتركت الهواء يدخل إلى مصباحى ، فشاهدت فى ضوئه هذه الآنسة الصغيرة مرتدية فستانها وكان من القطيفة السوداء ، كما كانت فى أول الجلسة ، وكان عليها كل مظاهر فقدان الإحساس .

فلم تتحرك عندما أمسكت بيديها وقربت المصباح من وجهها جداً ، ولـكنها كانت تتنفس بهدوء .

وعندما رفعت المصباح نظرت حولى فشـاهدت كاتى واقفة قريبة من الآنسة كوك وخلفها ، وكانت مرتدية ملابسها البيضاء الفضفاضة ، على نفس النحو الذى شاهدتها عليه أثناء الجلسة ، وكنت ممسكاً بإحدى يدى الآنسة كوك وجاثياً على ركبتى أرفع المصباح وأخفضه كيما أضىء وجه كاتى بالـكامل ، وكيما أقنع نفسى بأنى أشاهد فعلا وتماماً كاتى الحقيقية التى أخذتها بين ذراعى منذ بضع دقائق مضت ، فلم أكن ضحية شبح من صنع مخ مريض ولم تـكن كاتى تتحدث إلى ، بل كانت تهز رأسها بطريقة المتابعة .

وقد فحصت بعناية ، وبثلاث طرق مختلفة ، الآنسة كوك التى كـانت مستلقية أمامى كيما أتحقق من أن اليد التى كنت أمسك بها هى يد إمرأة حية ، وعلى ثلاث دفعات مختلفة كـنت أحول المصباح نحو كـاتى لـكى أمتحنها بانتباه متزايد ، إلى أن زال عنى أدنى شك فى أنها كـانت تقف هناك أمامى . وفى النهاية تحركت الآنسة كوك حركـة خفيفة . كما أبدت كـاتى إشارة الذهاب وعندئذ انسحبت إلى مكان آخر من الغرفة ولم أعد أرى كـاتى ، ولـكنى لم أغادر الغرفة إلا بعد أن استيقظت الآنسة كوك ، ودخل إلى المـكان اثنان من الحاضرين ومعهم الضوء . . . »

* * *

كما يكتب كروكس بقلمه وصفاً لآخر تجسد شاهده لـكاتى كنج قائلا فيه «خلال الشهور الستة الأخيرة زارتنى الآنسة كوك مرات عديدة ،ومكثت عندى فى بعض الزيارات أسبوعاً كاملا ، ولم تحضر معها سوى رداء النوم ، ولم تـكن تغلق باب غرفتها بالمفتاح ، وكانت دائما برفقة قرينتى ، وبرفقتى ، أوبرفقة بعض أعضاء آخرين من الأسرة ، ولم تـكن تبيت بمفردها ، فلم تـكن لديها أية فرصة

لتدبير أى شىء ، مهما كان فجاً مما يمكنه أن يلعب دور كاتى كنج . وقد أعددت بنفسى غرفة مكتبتى، وكذلك الغرفة السوداء (الخباء) . وكالمعتاد بعد أن تناولت الآنسة كوك معنا طعام العشاء وتبادلنا الحديث سوياً ، توجهت إلى الغرفة رأساً، وأغلقتُ بالمفتاح باب الغرفة الثانية كطلبها واحتفظتُ بالمفتاح خلال الجلسة كلها، وعندئذ أطفأنا مصباح «الغاز» وتركنا الآنسة كوك فى الظلام .

وعندما دخلت إلى الغرفة استلقت على الأرض واضعة رأسها على وسادة ؛ وسرعان ما راحت فى سبات عميق Lethargy . وخلال جلسات التصوير كانت كاتى تغطى رأس وسيطتها «بشال» حتى لا يقع الضوء على وجهها. وكثيراما رفعتُ جانباً من ستار الخباء عندما كانت كاتى واقفة أمامى ، ولم يكن من النادر أن يتمكن الستة أو السبعة الأشخاص الموجودين فى المعمل من رؤية الآنسة كوك وكاتى فى نفس الوقت فى الضوء الكهربائى القوى . وكنا عندئذ لا نشاهد وجه الوسيطة بسبب « الشال » ؛ ولكنا كنا نشاهد يديها وقدميها ، وكنا نراها تتحرك متألمة من هذا الضوء الساطع ، وكنا نسمع أحياناً أنينها ، وعندى صورة لكاتى ولوسيطتها تظهران فيها معاً . ولكن كاتى تظهر أمام رأس الآنسة كوك . . .

والصورة عاجزة عن إظهار الجمال الكامل لوجه كاتى ، بل إن الكلمات نفسها عاجزة عن وصف أساليبها الجذابة ، فالصورة ربما يمكنها أن توضح وضعها، ولكن كيف يمكنها أن توضح النقاء اللامع للونها ، أو التعابير المتغيرة دواماً لملامحها المتقلبة ؟ والتى كانت تغطيها أحياناً مسحة من الحزن عندما كانت تسرد بعض أحداث مرة تعرضت لها فى حياتها السابقة . كما كانت ملامحها تبدو ضاحكة بكل براءة الطفلة الصغيرة عندما جمعتْ أطفالى حولها، وأخذت تسليهم بأن تسرد عليهم بعض قصص مغامراتها فى الهند ... » .

ثم يستطرد كروكس قائلا فى وصف ختام هذه الجلسة الأخيرة «واستيقظت الآنسة كوك وتوسلت إلى كاتى — والدموع فى عينيها — أن تبقى لفترة أخرى

من الوقت فأجابتها قائلة « لا يمكنني ياعزيزتي ، فقد أتممت مهمتي ، وليباركك الإله » . وظلت تتبادل الحديث معها لفترة بضع دقائق أخرى إلى أن توقفت الآنسة كوك بسبب الدموع التي كانت تذرفها ، وبحسب تعليمات كاتي لي ، تقدمت نحو الآنسة كوك أسندها لكيلا تسقط على الأرض وكانت على وشك السقوط ، وهي متشنجة بانفعال ، ونظرت من حولي ولكن كاتي كانت قد اختفت بردائها الأبيض، وبمجرد أن هدأت أضيء النور ، واصطحبتها إلى خارج الخباء .

ولقد كانت الجلسات —اليومية تقريباً— التي حبتني بها الآنسة كوك سبباً في إجهاد قواها ، ويتعين عليّ أن أعبر لها عن أعمق تشكراتي للحماس الذي أبدته كيما تساعدني في تجاربي . فقد قبلتْ كل امتحان اقترحته عليها وخضعت له عن طيب خاطر ، وهي صاحبة قول صادق ، ويتجه إلى هدفه رأساً ، ولم أشاهد عليها بالمرة أي شيء يمكن أن يلتبس مع أدنى محاولة لرغبة الخداع . وإني أعتقد بكل صدق بأنها ما كان يمكن أن تقوم بأي خداع حتى النهاية ، وأنها لو حاولت شيئاً من هذا القبيل لا كتشف فوراً ، لأن هذا كله بعيد تماماً عن طبيعتها .

ولئن تخيل المرء أن مثل هذه الطالبة الساذجة التي لا تزال في ربيعها الخامس عشر كانت تستطيع أن تفهم ، وأن تقود هذا الخداع الهائل ، ثم تتقن القيام به لمدى ثلاثة أعوام تكون معرضة خلالها لكل صور الامتحان التي طلبت منها، وأن تتحمل كل صور الفحوص الدقيقة ، بل كانت تطالب هي نفسها بأن تفتش في أية لحظة ، إما قبل الجلسات وإما بعدها ، وكانت تستطيع أن تقوم بنجاح لهذا الدور في منزلي أنا أكثر مما في منزل والديها ، عالمة بأنها حاضرة إليه خصيصاً لكي تخضع لبحوث علمية صارمة . . . لئن تخيل المرء أن كاتي كنج — التي ظهرت في هذه السنين الثلاث الأخيرة نتيجة للخداع ، فإن هذا

يسيء بعنف إلى العقل وإلى الذوق السليم ، أكثر مما يسيء إليهما التصديق بأن كاتي كنج هي ما تؤكده بنفسها (من أنها روح متجسدة) .

ولا يجمل بي أن أغلق الحديث في هذا الموضوع بغير أن أشكر أيضاً السيد والسيدة كوك (والدي الوسيطة) للتسهيلات الكبرى التي منحتاني إياها حتى أتمكن من متابعة ملاحظاتي وتجاربي . كما أقدم شكري وشكر جميع الروحيين للسيد شارل بلاكبورن لكرمه الذي سمح للآنسة كوك أن تخصص كل وقتها لتقوية هذه الظواهر ، وفي نهاية المطاف للتمكن من فحصها علمياً »[1] .

بعض الفروق بين الوسيطة والروح المتجسدة

ولم يكتف سير كروكس بسرد وقائع التجسد التي حدثت في حضوره وفي حضور عدد من العلماء والشهود بدقة تامة ، بل أورد عدة تفاصيل عن الفروق التي سجلها بنفسه بين أوصاف الروح المتجسدة كاتي والآنسة كوك والتي دفعته لأن يقرر « إن لدى أكثر اليقين إطلاقاً بأن الآنسة كوك وكاتي شخصيتان متميزة كل منهما عن الأخرى بالأقل فيما يتعلق بجسديهما » وهذه الفروق أهمها :

أولاً : أن طول كاتي كنج لم يكن ثابتاً في جميع الجلسات ، لكنه كان دائماً أطول من طول الوسيطة بأربع بوصات ونصف إلى ست بوصات .

ثانياً : أن رقبة كاتي كانت ملساء من ناحيتي اللمس والمنظر ، حين كان برقبة كوك أثر جرح ملتئم وكانت الرقبة خشنة اللمس ، وكانت بشرة كاتي بيضاء جداً ، أما بشرة الوسيطة فكانت سمراء جداً .

ثالثاً : أن هناك عدة علامات صغيرة على وجه الآنسة كوك لا وجود لها على وجه كاتي .

---

(١) عن طبعة سنة ١٩٥٣ من كتاب سير وليام كروكس المشار إليه آنفاً (ص ١٠٠ — ١٢٨) : ولهذا الكتاب ترجمة فرنسية عنوانها :
Recherches Sur Les Phenomènes Du Spiritualisme.
بمعرفة ج أليدل J. Alidel (ص ١٦١ — ١٩٦) .

رابعاً : أن أذنى كاتى كانتا غير مثقوبتين على عكس الآنسة كوك .

خامساً : أن وجه كاتى كان أضخم من وجه الآنسة كوك ، وكان يبدو ضاحكاً . أما وجه الوسيطة فلم يكن كذلك .

سادساً : أن أصابع كاتى كانت أطول كثيراً من أصابع الآنسة كوك .

سابعاً : أن نبض كاتى كان ٧٥ باستمرار ، حين كان نبض الآنسة كوك ٩٠ فى الدقيقة فى المعتاد ، وكانت رئة الروح المتجسدة أسلم من رئة الوسيطة .

ثامناً : أن شعر كاتى كان لامعاً ذهبياً[١] ، حين كان شعر الوسيطة بنياً غامقاً يبدو أسود تقريباً[٢] . ويقول كروكس إنه قص خصلة من شعر كاتى الغزير الأشقر التى كانت تحت بصره وقت كتابة تقاريره هذه[٣] .

* * *

وقد استفسرت جريدة « بانرأوف لايت » Banner Of Light الأمريكية من وليام كروكس عن مدى تحققه من وجود شخصيتين أمامه فرد عليها برسالة مطولة جاء فيها : « رداً على استفساركم أقرر أنى رأيت كلا من الآنسة كوك وكاتى معاً فى نفس اللحظة ، وكان ذلك بواسطة ضوء مصباح فسفورى ، وقد كان ضوءاً كافياً لتمكينى من أن أشاهد بوضوح كل ما وصفته . إن العين الإنسانية تستطيع فى حالة طبيعية أن تحيط بزاوية واسعة ، وهكذا ظهر الشكلان فى مجال البصر أمامى فى وقت واحد ، وبسبب أن النور كان ضعيفاً والوجهين يبعد أحدهما عن الآخر بضعة أقدام كنت مضطراً إلى تحويل الضوء ، كما كنت أحول بصرى بالتعاقب من أحد الوجهين إلى الآخر ، وذلك عند ما كنت أرغب

---

(١) Rich Golden Auburn.

(٢) So dark a brown as almost to appear black.

(٣) وقد تكررت نفس هذه التجربة مرارا بنجاح فى « المعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن ، وخارجه بمعرفة بعض العلماء منهم هاتز جيرلوف ، وإدوين باورر ، وشارل ريشيه على ما سيرد فيما بعد .

فى التثبت فى وضوح من وجه كل منهما . وقد رأيت — ومعى ثمانية أشخاص فى الواقعة التى أصفها هنا — كاتى والآنسة كوك معاً ، وذلك فى منزلى...(١)» .

وهكذا ظل ظهور كاتى يتكرر لمدة ثلاث سنوات ، وكانت تقول إنها — بقيامها بإحداث هذه الظواهر — تحملت كثيراً من العناء ، وإنه صار لها بعد ذلك أن ترقى فى حياة الروح إلى مرتبة أسمى ؛ وإنه لن يمكنها أن تتصل بعد الآن بوسيطتها عن طريق المراسلة إلا فى فترات متباعدة ، ولو أن بمقدور هذه الأخيرة أن تراها عن طريق وساطة الجلاء البصرى .

ومن الطريف أن الدكتور جلين هاملتون Glen Hamilton رئيس «جمعية البحث الروحى» بكندا ذكر أن روح كاتى كنج عادت إلى التجسد من جديد فى أكتوبر من سنة ١٩٣٠ عن طريق وساطة الوسيط ميرسيدس Mercédès فى دائرته بمدينة وينبيج(٢) .

* * *

ويعطى الأستاذ ليون دنيز Léon Denis تعليلا لظاهرة تجسد الأرواح — وهى ظاهرة نادرة لكنها حدثت مراراً فى حضور باحثين ثقات ، وتتضمن المؤلفات الروحية تفاصيل متعددة عنها — فيقول « إن بقاء الجسد الأثيرى على حاله بعد الموت كما كان قبله يفسر ظهور الأطياف وتجسد الأرواح . فالجسد الأثيرى وهو يحيا فى الفضاء طليقاً يملك كل ما يلزم لتكوين الأعضاء المادية بلا استثناء ، ولكنه لا يستعملها .

(١) وقد نشرت نفس الرسالة جريدة The Spiritualist اللندنية بتاريخ ١٧ يوليه سنة ١٨٧٤ ص ٢٩ . راجع أيضاً مؤلف سير آرثر كونان دويل عن «تاريخ الروحية» جـ١ ص ٢٤٥ .

(٢) كما تتجسد أحيانا حتى الآن فى حضور الوسيط الأمريكى راينهارت Reinhart . وقد تجسدت بالقاهرة فى حضور عشرات من الأطباء المصريين عند ما عقدهذا الوسيط جلسة بنادى الأطباء بالقاهرة فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥٧ على ما رواه صديقنا الأستاذ الدكتور على راضى أحد شهود الجلسة فى كتيب عنوانه « معجزة فى مصر » (١٩٥٨) .

فإذا ما وجدت الروح نفسها فى الظروف المؤاتية ، بمجرد أن تتمكن من استعارة المادة السيالة (مادة الإكتوبلازم Ectoplasm من عالم المادة التى تصبح تلبلازم عنـد معالجتها بمواد أثيرية ، وتتخذ أشـكالا مختلفة بخارية وغضة وصلبة ... [١]) ، وكذلك من استعارة القوة الحيوية وهما لازمتان لها ، فإنها تندمج فى الإكتوبلازم وترتدى تدريجياً مظهر المادة الأرضية ، فيسرى فيها تيار حيوى بتأثير السيال المأخوذ من الوسيط ، وتنتظم الجزيئات الفيزيقية طبقاً لخريطة الأعضاء ، تلك الخريطة التى يحوى الجسد الأثيرى جميع خطوطها الرئيسية ، ومن ثم يتـكون الجسـد الإنسانى من جديد وتؤدى الأعضاء وظائفها [٢] » .

نقاط للتأمل

إنها مع ذلك حقائق غريبة من شأنها لفرط غرابتها أن تبعث فى نفس القارىء لأول وهلة كثيراً من الريبة والشك،وله عذره . لـكن حقائق الـكون لا يمكن أن يحيط بها إدراكنا القاصر وحواسنا العاجزة ، ولا يمكن أن يرقى إلى بعضها خيالنا مهما كان واسعاً ، لأن الخيال مستمد فى الأصل مما يمكن أن تدركه هذه الحواس ، أما ما تقصر عنه ، فيقصر عنه أيضاً خيالنا ، حتى ولو كان حقيقة من حقائق الـكون الثابتة التى لا ندركها بحواسنا . فما أضأل ماتعقله عقولنا، وما أتفه ما تحسه حواسنا ! !

فمن يتصور أن هذا الـكوكب الثابت تماماً — بحسب إدراك حواسنا — منطلق فى فضاء غير محدود بسرعة تبلغ حوالى ١٨٠٠٠ كيلومتر فى الساعة ؟! . بل من يتصور أنه يتحرك عدة حركات وهو منطلق بهذه السرعة الخيالية ، حتى أن علم الفلك الحديث يقدر حركاته بأربع عشرة حركة مختلفة ، فلا نشعر بأية

---

(١) راجع عنها ما سبق فى ص ١٧٠ وما بعدها .
(٢) راجع ما سبق عن ليون دنيز ص ٤٢١ وما بعدها .

واحدة منها ؟! فهل يصح أن نجعل حواسنا التافهة هى الفيصل الوحيد بين الحق والباطل ؟.. أم أن من واجبنا أيضاً أن نتواضع قليلا ونسلم بأن إدراكنا قاصر كأشد ما يكون القصور ؟ !.. لكن للقارىء المتشكك أن يتدبر مع ذلك فى هدوء النقاط الآتية ويتأمل فيها ملياً بعين الإنصاف والحيدة :—

أولاً : أن من قام بفحص ظاهرة تجسد الروح كاتى كنج نخبة من العلماء على رأسهم واحد مشهود له بقوة الملاحظة ، وبالدقة والعمق إلى الحد الذى دفعه إلى اكتشاف الالكترون فى الذرة ، وحاز جميع ألقاب الشرف العلمية فى بلاده ، بما فى ذلك رئاسة المجمع العلمى لغاية مماته .

ثانياً : أن اقتناعه لم يأت نتيجة تجربة واحدة ، بل جاء بعد إنكار تام ، ثم تشكك دام طويلا ، وكان له ما يبرره من ناحية خطورة الموضوع واتساع نطاقه إلى المدى الذى قلب رأساً على عقب كل نظرياته المادية ، وألقى بها نهائياً فى ذمة التاريخ كأثر من مخلفات ماضية أصبحت لا قيمة لها عنده فيما بعد ...(١).

ثالثاً : أنه اتخذ احتياطات كافية تماماً لدفع كل اعتراض ، وذلك إلى حد أنه طلب من الوسيطة أن تنزل ضيفة مقيمة مع أفراد أسرته فى منزله حتى يخضعها لكل وسائل الفحص ، فظلت تقيم معهم فى مناسبات عديدة . وكانت كاتى كنج تتجسد كثيراً فى منزله . وطلبت منه ذات مرة أن تحمل طفلا رضيعاً فسلمه لها فابتسمت له بحنان ثم ردته له ثانية ، والوسيطة تغط فى غيبوبة عميقة لا تدرى شيئاً . فهل يعقل أنه كان طيلة تجاربه هذه ضحية خدعة مستمرة من طالبة ريفية ساذجة فى شبابها المبكر ، إذ كانت تبلغ الخامسة عشرة فقط من عمرها ؟ ومع ذلك كان يخضعها دائماً للتفتيش الدقيق بمعرفة زوجته ، ولاحتياطات لا يتصور إنسان أدق منها .

---

(١) راجع من أقواله مثلا ما سبق فى ص ٤٥٨ .

ويكفى فى هذا الصدد أن نذكر أنه أخذ يستعين بالأسلاك المعدنية، وبجهاز الجلفانومتر Galvanometer بعد توصيله بجسد الوسيطة، كيما يسجل كل حركاتها . وكان يراقب هذا الجهاز أحد العلماء وهو فارلى Varley ويدون ما يسجله من تغييرات فى جسم الوسيطة دقيقة بدقيقة ، وكان جسم الوسيطة يستخدم كموصل كهربائى أثناء غيبوبتها ، وذلك لدفع أى اعتراض محتمل بالخطأ أو بالتدليس . كما طلب كروكس من الروح أن تضع يدها فى محلول أيودور البوتاسيوم Potassium iodore فلم تتحرك عقارب الجلفانومتر ، مع أنها كان ينبغى أن تتحرك لو كانت الروح على صلة بأسلاك معدنية بالوسيطة .

رابعاً : أن ظهور الروح واختفاءها كان يحدث دائماً بنفس الطريقة ، وهى انبعاث مادة الإكتوبلازم واضحة فى صورة بخار أو ضباب أو لفائف متعددة الأشكال ، ويتراوح لونها بين الأبيض والرمادى ، ثم تتشكل تدريجياً حتى تصير بشراً سوياً مستقلا فى مظهره وملابسه ، وملامحه ، وشخصيته وإدراكه تماماً عن الوسيطة .

خامساً : أن جميع العلماء والبحاث الذين بحثوا هذا الموضوع اتفقوا على كيفية حصول التجسد وتلاشيه على هذا النحو . وقام عدد منهم بتحليل مادة الإكتوبلازم إلى حد معرفة تركيبها الكيميائى ومنسوجها الجزيئى والذرى[1].

سادساً : أن تصوير كاتى كنج عشرات من الصور بالكاميرا ينفى تماماً فكرة التنويم المغناطيسى، أو الإيحاء النفسى ، أو الوهم، أو نحو ذلك من التعليلات التى يقول بها أحياناً بعض النفسيين ، أو تلك التى كانوا يقولون بها فيما مضى . إذ ليس للكاميرا عقل واعٍ ولا باطن ، وكذلك الشأن فى الكشف الطبى عليها وعلى الوسيطة فى وقت واحد بمعرفة أستاذ الجراحة فى كلية للجراحين هو الدكتور جالى الذى كان قبلها من أشد المنكرين لصحة هذه الظواهر .

(١) راجع ما سبق فى ص ١٧٠ — ١٩٦ عن الإكتوبلازم، وتجسدات الأيدى فى ظروف شتى ، ومع وسطاء مختلفين .

سابعاً : أن هذه الظاهرة قد تكررت فى بيئات مختلفة ، بما فى ذلك عدة معاهد علمية والتقطت فيها أيضاً عشرات من صور مختلفة ، كما حدثت ظاهرة التجسد لأشخاص انتقلوا حديثاً إلى الجانب الآخر ، وكانوا وثيق صلة ببعض الحاضرين ، إلى الحد الذى يستحيل فيه تماماً خداعهم أو التمويه عليهم . ومنهم مثلاً الدكتور أدوين فردريك باورز الذى ذكر أن روح أمه قد تجسدت فى إحدى الجلسات وحاطبته بصوتها المعروف لديه ، وعانقته هو وشقيقه فى نفس الوقت ، وأنه قص خصلة من شعرها المتجسد. وقائل هذا الكلام أستاذ للأمراض العصبية والنفسية فى جامعة مينيا بوليس [1]. ومنهم أيضاً الدكتور دى سوزا De Souza رئيس جمهورية البرازيل الذى أكد تجسد روح ابنته فى حضور الوسيط كارلو ميرابللى ، لمدة ٣٦ دقيقة، وقد التقط لها عدة صور واضحة ، وأوقع الكشف الطبى عليها بنفسه [2] . ومئات من أمثال هذه التأكيدات القاطعة من أشخاص لهم جليل اعتبارهم فى البيئات العلمية والاجتماعية يقرؤها القارىء فى شتى المراجع الموثوق فى أصحابها .

ثامناً : ومن أبرز هؤلاء من العلماء المعاصرين الألمانى الدكتور هانزجيرلوف Hans Gerloff ، وقد بحث الظواهر الفيزيقية على عدد كبير من الوسطاء، منهم بوجه خاص الدانمركى إينر نيلزن Einer Nielsen .وعن طريقه حصل على عدة تجسدات، وأخذ بصمات كثيرة لبعض الأرواح المتجسدة ، ومنها روح جون كنج (أحد الأرواح المرشدة فى جلسات الوسيطه الأسبانية المنتقلة أسابيا بلا دينو)[3]، والقس السويدى مارتن ليجبلاد Martin Liljeblad .

---

(١) راجع « ظواهر حجرة تحضير الأرواح » الذى ترجمه إلى العربية المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير ص ٢٤٦ .

(٢) راجع ما سبق عنه فى ص ٢١٩ .

(٣) راجع ما سبق عنها فى ص ٢٠٥ — ٢١٠ .

وقام جيرلوف بأخذ بعض عينات من الإكتو بلازم ، كما قام بقص خصلة شعر من روح فتاة متجسدة تدعى فالبورج Valborg فى جلسات نيلزن ، وتم فحص هذه الخصلة بمعرفة عدد من المعاهد والجامعات . ومن الغريب أن هذه الخصلة المتجسدة رغم أنها ترجع إلى سنة ١٩٥٦ ، إلا أنها لا تزال لغاية الآن محتفظة بكيانها كما كانت .

وطلب من الأرواح المتجسدة أن تتنفس خلال ماء الجير lime water واتضح له أن التنفس كان طبيعياً ، وسجل أصواتها على أشرطة التسجيل ، كما فحص نبضات قلوب هذه « التجسدات » بالسماعة كيما يتحقق من أنها تعمل بطريقة طبيعية ومغايرة لنبضات قلب الوسيط . وقد واصل جيرلوف بحوثه مع ١٧ وسيطاً مختلفاً ، منهم ١١ وسيطاً للظواهر الفيزيقية ، وسجل تجسد ٩٥



هانز جيرلوف
وأمامه عينات من الإكتوبلازم ، وخصلة وبصمات متنوعة لتجسدات شتى

شكلا مختلفا ظهرت له مائتا مرة . وأهم مؤلفاته « أزمة الباراسيكولوجى : جمود أم تقدم ؟ »[1] الذى ظهر فى سنة ١٩٦٥ ، وله أيضاً كتاب عن « كارلو ميرابلى » الآنف الإشارة إليه .

---

(١) The Crisis In Parapsychalogy : Stagnation or Progress?

تاسعاً : بالاضافة إلى ذلك فمن الملاحظ أنه رغم تباين الظروف والبيئات التي حدثت فيها ظاهرة التجسد — كلياً كان أم جزئياً وتاماً كان أم ناقصاً — فانه يوجد تشابه واضح في الأسلوب العام لكيفية التجسد له عدة شواهد . من بينها مثلا إصرار الأرواح — غالباً — على الظهور مرتدية ما يشبه « الطرحة أو الشال » على الرؤوس والأكتاف بما في ذلك كاتي كنج .

هذا وقد قررت روح من الأرواح في شأن هذا الغطاء الذي يشبه « الطرحة أو الشال » أن الغرض منه هو حماية رؤوسها من بعض التأثيرات التي تنتمي إلى عالمنا ، والمغايرة لتلك التي تنتمي إلى عالمهم . وذلك بالنظر إلى الحساسية المفرطة للأرواح التي تحصل عليها عند خروجها بالموت من أجسادها المادية ، كما تخرج المحارة الغضة من قوقعتها اليابسة . فعندما تعود الأرواح بأجسادها الأثيرية إلى المستوى الأرضي تجتاز مستويات منخفضة في اهتزازها عن مستواها الروحي أو الأثيري ، ولذا كثيراً ما تحتاج إلى غطاء إكتوبلازمي تصنعه لنفسها بنفسها كيما يحميها من بعض التأثيرات المنخفضة الاهتزاز ، خصوصا عندما تريد أن تثبت وجودها في غرف الجلسات عن طريق التجسد ، أو ظهورها على الألواح الحساسة [1] .

فهذا الغطاء أشبه ما يكون بالغطاء الذي يحمي به الإنسان نفسه من قيظ الظهيرة ثم يخلعه عندما يعود إلى الظل ، أو بالغطاء الذي يرتديه رواد جبال الألب عندما يصلون إلى المناطق المرتفعة ويخلعونه عندما يهبطون منها . كذلك الأرواح تحتاج أحياناً لغطاء يحمي أجسامها وهالاتها لفترة نزولها في غرف الجلسات، ولكنها سرعان ما تتخلى عنه عند انصرافها منها. وهناك أرواح قد تعجز عجزاً كلياً عن إظهار ملامحها عند تجسدها فتظهر مغطاة برداء إكتوبلازمي

---

(١) راجع في هذا المعنى كتاباً للأستاذ جون لوب John Lobb عنوانه The Busy Life Beyond Death طبعة ١٩٠٩ ص ١٣٥ (وراجع ما سبق عن المؤلف في ص ٣٧٥).

يغطيها كلها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها ، أو يغطيها إلى النصف فقط بحسب مقدار الإكتوبلازم المنبعث من جسم الوسيط أو الوسيطة،ووسائل العمل التى لديها فى جسوم الوسطاء ، ومدى مهارتها فى استخدام الطاقة الروحية أية كانت صورتها ومصدرها .

ويتضح ذلك كله من هذه الصور المختلفة التى نقدمها فى الصفحات المقبلة لعدة حالات تجسد محوطة بضمانات جمة اخترناها لوسطاء من سبعة دول ، وهى انجلترا ، وفرنسا ، والدانمرك . وإيطاليا ، وكندا . والولايات المتحدة الأمريكية، والبرازيل . كما سنلحظ نفس الظاهرة بالنسبة للصور التى سنقدمها فى مناسبة لاحقة لأرواح غير متجسدة . وقد التقطت فى بيئات جادة تماماً وبواسطة أشخاص موثوق بهم . ألا يدل ذلك وحده على وجود نواميس طبيعية تحكم عالم الأرواح كما تحكم بالتبعية الظواهر الروحية على مختلف أنواعها ؟ ... وهذه النواميس الطبيعية المشتركة التى سجلها علماء الروح وباحثوها فى كل مكان ألا تكفى وحدها لنفى شبهة الوهم أو الخرافة ؟ ...

وعاشراً : أن تجسد الأرواح متفق تماماً مع الحوادث التى ورد ذكرها فى الكتب السماوية . ومنها مثلا حادثة تجسد روح النبيين موسى وإيليا على جبل الزيتون فى حضور السيد المسيح وتلاميذه ، وقد ورد عنها فى إنجيل لوقا (أصحاح ٩ عدد ٣٠) « وإذا رجلان يتكلمان معه (مع المسيح) وهما موسى وإيليا » ، وكان موسى قد توفى منذ ١٤٨٢ سنة،وتوفى إيليا قبله ب ٩٤٨ سنة . كما ورد فى عدد ٣٢ « وأما بطرس واللذان معه فكانوا قد تثقلوا بالنوم (أى فى غيبوبة وساطية بحسب التعبير العصرى) فلما استيقظوا رأوا مجده والرجلين الواقفين معه » . وورد فى عدد ٣٣ « قال بطرس ليسوع يامعلم جيدأن تكون ههنا ، فلنصنع ثلاث مظال : لك واحدة، ولموسى واحدة، ولإيليا واحدة » . أى كان بطرس سادراً فى الغيبوبة شأن معظم الوسطاء ، ولم

يكن يعرف أن خباء واحداً (أو لا خباء) كان كافياً للغرض ، وذلك على مالاحظه الدكتور آرثر ج. ولز A. J. Wills مدير « كلية العلم الروحي والبحث » بالولايات المتحدة (١) في مؤلفه عن « الحياة الآن وإلى الأبد » (٢) .

فهل ثمة بقية من شك ؟ إنا نسلم بأن التجسدات الواضحة من الظواهر الروحية النادرة . ولكن هل ندرة أية ظاهرة طبيعية أخرى مثل ظهور قوس قزح ، أو حدوث الكسوف الكلي للشمس ، تنفي صحتها ؟ ... هذا هو كل التساؤل من الناحية المنطقية . . . أما الاعتراض بأنها يجب أن تحدث فوراً الآن أمامي حتى اقتنع بها ، فهو كمثل الاعتراض بأني يجب أن أشاهد الآن ، أو في الزمان والمكان اللذين أحددهما ، الكسوف الكلي للشمس حتى أسلم أن هناك شيئاً اسمه كسوف كلي للشمس وإلا فلا . وهكذا الشأن بالنسبة لأية ظاهرة طبيعية نادرة الحصول مثل خسوف القمر ، أو ظهور قوس قزح ، أو حتى نمو زهرة أو شجرة ، أو غير ذلك من كافة الظواهر الطبيعية المألوفة .

فكل هذه الظواهر محكومة بنواميس طبيعية تخرج تماماً عن سلطان العلم المادي . فليس له أن يحدثها بوسائل آلية ، وإنما دوره فحسب هو تسجيلها عندما تحدث مع تأسيس نتائجها الضرورية واستخراج دلالاتها المحتومة . وفهم الظواهر الروحية برمتها على وضعها الصحيح هذا يذلل بغير ماريب الكثير من اعتراضات المعترضين الذين لايزالون حتى الآن يجهلون طبيعتها ، ويتصورون خطأ أن العلم المادي يزعم أنه قد أخضع الروح لسلطانه . وهذا مالم يذهب إليه أحد من قبل ولا من بعد ، لأن بحاث الروح خير من يعلمون أن الروح لا تخضع لسلطان المادة ، بل إن المادة هي التي تخضع لسلطان الروح .

---

(١) U. S. College of Psychic Science and Research.

(٢) Life Now And Forever. في الفصل الثاني منه ص ١٧ من طبعة ١٩٤٢ .

تجسدات «كاتى كنج» بالصور

٤ من عشرات من صور «كاتى كنج» متجسدة التقطت في ضوء المغنسيوم الأبيض



الوسيطة في غيبوبتها على الكرسي إلى اليمين ، والروح واقفة إلى اليسار



الروح متأبطة ذراع كروكس



الدكتور جالى Gully الأستاذ بكلية الجراحين وهو يجس نبض الروح المتجسدة .



كروكس واقف إلى يمين الروح المتجسدة

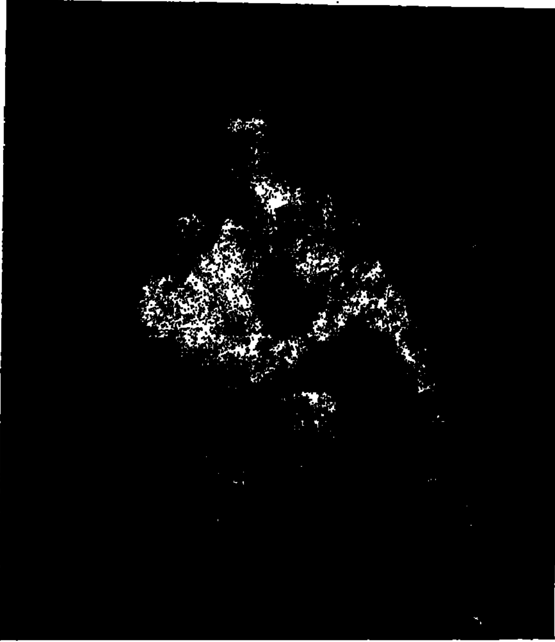
تجسد روحين في وقت واحد في حضور إجلنتون



روحان متجسدان معاً وهما « إرنست » و « كاتى » . وقد كان أولهما أحد الأرواح المرشدة لوسيط التجسد وليام إجلنتون ، والثانية لروح زوجة الرسام الذى رسم هذه الصورة وهو الفنان الفرنسى جيمس تيسو James Tissot فى نفس الضوء المنبعث من الروحين Self-made light ، وهذا الضوء سجله باحثون عديدون فى الأرواح . وقد حدث هذا التجسد الفذ بجلسة ترجع إلى ٢٠ مايو سنة ١٨٧٥ (راجع التفاصيل بمؤلف جابرييل ديلان وعنوانه « أشباح متجسدة لأحياء وأموات » طبعة ١٩١١ الجزء الثانى ص ٣٣٧ — ٣٤١).

كما امتحنت وساطة إجلنتون عدة هيئات علمية ، منها « جمعية البحث الروحى » بلندن فى شهر أكتوبر سنة ١٨٨٤ فى حضور وليام غلادستون رئيس الوزارة ، وعدد من كبار العلماء ، وقد جاز بنجاح جميع صور التحقيق العلمى التى خضع لها . (راجع أيضاً ما سبق عن إجلنتون فى ص ٢١٢) .

حالة تجسد تام للوجه
فى « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس



صورة المركيزة دى سانت أمارانت — التى أعدمها الثوار فى سنة ١٧٨٩ — متجسدة داخل المعهد الدولى لما وراء الروح (جلسة ٢٦ فبراير سنة ١٩١٨) وسط لفائف الإكتوبلازم المنبعثة من جسم الوسيطة إيفا تحت إشراف الدكتور جيلى وعدد من العلماء .(راجع ماسبق فى ص ٤١٦).
←

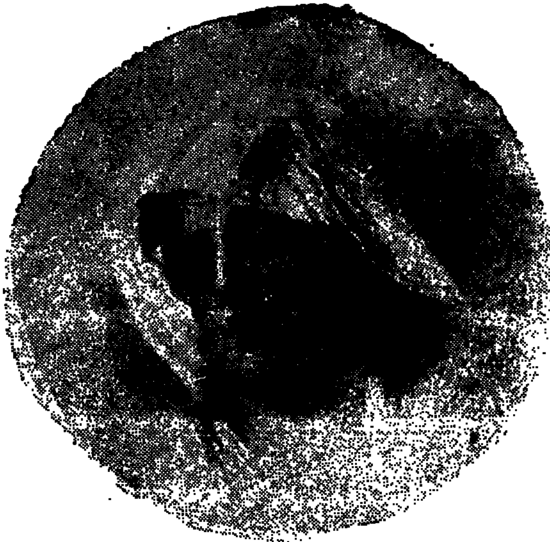


إميلى دى سانت آمارانت فى طريقها إلى المقصلة (لوحة الرسام جاكوب فى متحف ديز استامب Des Estampes للمقارنة) .
→

تجسد آخر عن طريق نفس الوسيطة



إلى اليمين رأس الوسيطة إيفا (مارابيرو) من الخلف حيث تشاهد رقبتها بوضوح، ثم انبعاث سيال أبيض expansion blanche fluidique يبدو كما لو كان خارجاً من شعرها ومن قفاها، ثم ينزل إلى أسفل في شكل أشرطة قبعة. وإلى اليسار بدأ تكوين شكل إكتوبلازمي في صورة وجه متكامل بعد يغطيه «خمار أو برقع» وقد تكونت أرنبتا الأنف بالكاد (عن تجارب مدام بيسون وشرنك نوتزنج معها. راجع ما سبق عنهما في ص ٤٢٤ وماسيرد في الفصل المقبل في ص ٥٠٨ وما بعدها).



صورة روح متجسدة فى جلسات الأستاذ جون لوب فى منزله الخاص وعن طريق وساطة زوجته (عن مؤلفه « أحاديث مع الموتى » . وراجع ما سبق عن المؤلف فى ص ٣٧٥ ، ٣٧٦) .

A SPIRIT FRIEND: THE CYPRIAN PRIESTESS.

'The spirit friend, whose materialised form appears above, has, since her entrance into spirit life, been photographed more than once under test conditions. She kindly arranged to pose again for this book; and on May 17, 1907, she appeared on the sensitive plate, in full spirit robes, with Mrs. Lobb, who, at the request of the spirit, joined me to assist in the process of materialising, but the picture is not so clear for printing as the one reproduced here from 'The Veil Lifted,' by permission.

EDITOR



صورة روح أخرى متجسدة فى نفس الظروف (المرجع السابق ص ٧)

THE SPIRIT OF THERESE MATERIALISED

Therese looks after little children in the spirit world.
"They serve Him day and night in His temple."—REV. vii. 15.



صـــورة للوسيطة السيدة ديسبرانس ومعهـــا الروح المتجسدة يولندا في حالة تجسد كامل ، كما حدثت في شهر يونية ١٨٩٠ ، والوسيطة مغمضة العينين كيما تتفادى تأثير ضوء المغنيسيوم (عن مؤلفها « أرض الظل » Shadow Land ص ٢٣٢)





الروح ليلى Leila كما ظهرت متجسدة جزئياً بتاريخ ١٣ مارس ١٨٩٠ في حضور الوسيطة السيدة ديسبرانس والتقطت الصورة في ضوء المغنسيوم (عن كتاب «أرض الظل» ص ٣١٢ ، وهو من تقديم العالم والوزير الروسي أكزاكوف Aksakoff الذي حضر جلسات الوسيطة وتحقق بنفسه من صحتها . وراجع ما سبق عن الوسيطة في ص ٢١١)

من حالات التجسد التام فى الدانمرك



الملكة الراحلة أستريد Astrid متجسدةعلناًفى حضور الوسيط الدانمركى أينرنيلزن Einer Nielsen أمام عدد كبير من الشهود. وقام بالتصوير القس السويدى مارتن ليلجبلاد Martin Liljeblad بعد أن وضع ٣ كاميرات فى مواضع متفرقة من القاعة واستخدم الضوء الأبيض (عن كتاب « أدلة صلبة على الحياة بعد الموت » Solid Proofs Of Survival . راجع تقرير القس السويدى فى الفصل الخامس عشر) . ←



وجه الروح المتجسدة عن قرب



وجه الملكة أثناء حياتها الأرضية للمقارنة

وتتجسد الملكة الراحلة أستريد — التى كانت ولية لعهد السويد قبل أن تصبح قرينة للملك ليوبولد وملكة للبلجيك ، والتى راحت ضحية حادثة اصطدام سيارتها — أحياناً فى لندن أيضاً بنفس الأسلوب والطريقة فى حضور الوسيطة « السيدة س » (راجع جريدة الأنباء الروحية « السايكك نيوز » عدد ١٩٦٢ الصادر ٧ نوفمبر سنة ١٩٦٤) .



روح متجسدة أخرى تحيي القس ماوتن لجلاد وتضع يدها على كتفه في جلسات الوسيط الدانمركي أينر نيلزن (راجع ما سبق عن نفس الوسيط ص ١٧٧)



المرحوم الأسقف ناتان سودربلوم Nathan Soderblom متجسداً في جلسات نفس الوسيط (لاحظ قوة اللاغ ومدى وضوحها) .

حالة تجسد جزئي واضحة في إيطاليا



روح متجسدة جزئياً في حضور الوسيطة الإيطالية ليندا جازيرا Linda Gazzera التي ترى في غيبوبتها العميقة . وقد حقق وساطتها عدة علماء منهم شارل ريشيه والدكتور إيمودا E. Imoda من علماء تورينو .

حالة تجسد واضحة فى أمريكا



وجه روح متجسد لسيدة تدعى هيباتيا Hypatia كانت مرشدة لعدد من الوسطاء منهم إميل ديزنج E. Dasing ، وقرينته ، والسيدة س موزا S. Musa . وقد التقط هذه الصورة بنفسه الدكتور آرثر . ج . ولز A. J. Wills مدير « الكلية الأمريكية للعلم الروحى والبحث » U. S. College of Psychic Science and Research فى شهر نوفبر ١٩٣٩ .

وقد استخدم الدكتور ولز جهازاً للأشعة دون الحمراء قوة ١٥٠٠ وات مزود بستة مصابيح ، وجهازى تصوير اتساع عدسة كل منهما ٢½ (F. 2, 5—lens) ، وكانت مدة فتح العدسة ثانية واحدة ، وعلى بعد ٩ أقدام من الوسيطة السيدة موزا . ويقول الدكتور ولز إنه التقط فى نفس الجلسة حوالى عشرين صورة للروح المتجسدة تتفاوت فى مدى وضوحها وكان التجسد فى الضوء الأحمر الذى كان يكشف كل شىء يدور فى الغرفة (عن مؤلفه « الحياة الآن وإلى الأبد » Life Now and Forever طبعة ١٩٤٢ ص ٨٨ ، ٨٩) .



صورة روح متجسدة تجسداً تاماً التقطها الأستاذ ويلبور تولبرت Wilbur Tolbert من والش Walsh بولاية كولورادو Colorado . وهي زوجته المنتقلة روز Rose وقد وضع بجوارها صورة عادية لها وبعضاً من الزهور بناء على اقتراح بعض المرشدين الروحيين (عن كتاب « أصدقاء هنا وهناك » Friends Here And There للسيدة كولين أوين بريت Coleen Owen Britt لاحظ وضوح تجسد الرداء وشفافيته الواضحة) .



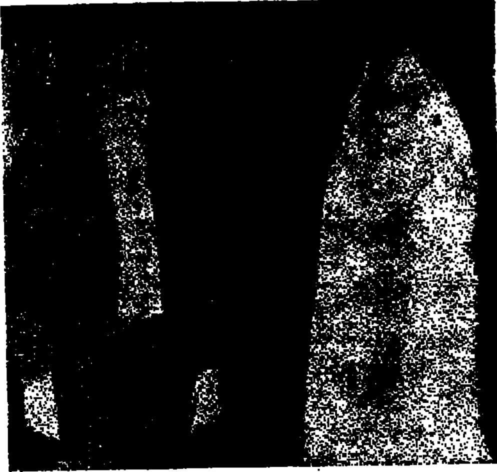
Dr. Glen Hamilton materialised his features when he returned in his own seance room.



This photograph of Dr. Glen Hamilton is reproduced to compare with his m-teri-lised face.

الدكتور جلين هاملتون G. Hamilton الذي كان في حياته الأرضية من رواد البحث الروحي في كندا (راجع ما سبق عنه في ص ٣٠٧) كما ظهرت ملامحه متجسدة في دائرته الخاصة بعد انتقاله . وإلى اليمين صورة عادية للمقارنة (عن جريدة الأنباء الروحية Psychic News عدد ١٨٤٩ في ١١ نوفمبر ١٩٦٧) .

حالة تجسد أخرى فى أمريكا



صورة مأخوذة عن صحيفة المراقب الروحى « سايكك أوبزرفر » Psychic Observer الأمريكية (عدد ٢٥ مارس سنة ١٩٥٠) للفتاة المتجسدة موريل هوفنر (فى حضور الوسيطة فانشيو هاروود) واقفة بجوار والدها الدكتور ميللر ، وقد استخدمت فى التقاطها الأشعة دون الحمراء .

لحظة فقدان التجسد



صورة مأخوذة عن نفس الصحيفة (عدد ١٠ مايو ١٩٥٠) تمثل الفتاة المتجسدة فى لحظة فقدان تجسدها تدريجياً . وقد عزفت الروح المتجسدة البيان لمدة سبع دقائق ، وقام بالتصوير المصور بايتون Payton أمام ثلاثين شخصاً من بينهم محرر الجريدة ، وقد حمضت الصورة بعد نصف ساعة فقط ، واختيرت لجنة من الحاضرين لمراقبة المصور وهو يقوم بالتصوير والتحميض والطبع ، ونشرت الصحيفة أسماء الحاضرين وعناوينهم . وقد وصفت الصحف السيارة هذه الصورة الفريدة بأنها « صورة القرن » .

حالات تجسد متتابعة حديثة فى أمريكا

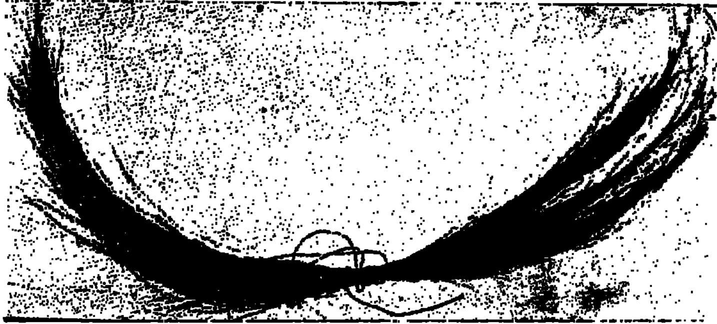


صورة التقطت بالأشعة دون الحمراء لروح متجسدة (إلى اليمين) تدعى سيلفر بل Silver Belle وهى المرشدة لوسيطة التجسد إيثيل بوست باريش Ethel Post Parrish التى ترى إلى اليسار فى غيبوبتها وبجوارها تقف مساعدة لها . وقد حدث هذا التجسد فى المخيم الروحى الذى يحمل اسم الروح المرشدة بمدينة إيفراتا بمقاطعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة . وقد حدث مرة أن ظهرت حوالى مائة وخمسين روحاً على التعاقب فى هذا المخيم فى جلسة دامت لمدة ثلاث ساعات (عن جريدة الأنباء الروحية Psych'c News عدد رقم ١٦٨٢ الصادر فى ٢٩ أغسطس سنة ١٩٦٤)



حالة تجسد مغطاة فى البرازيل

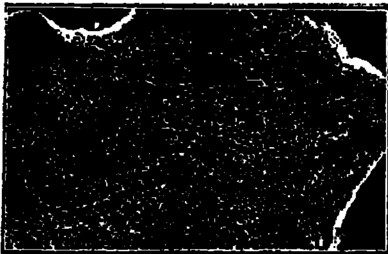
روح مغطاة الوجه ظهرت فى سان باولو بالبرازيل كيما تهنىء عروسين فى حفل زفافهما واسم الروح Petrius Leferinus (عن صحيفة Yours Fraternally التى يصدرها ربع سنوية اتحاد الروحيين الدولى Interntional Spiritualist Federation عدد رقم ٥٠ وهو الثانى من سنة ١٩٦٢) .



خصلة من شعر الروح المتجسدة هوايت موز White Moose بجلسة ٥ أبريل ١٩٣٧ عرضت فى « المعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن ابتداء من ٦ أبريل ١٩٣٧ . وقد فحصها عدد من الخبراء فقال الدكتور و.ج وولى W. J Wooley بمستشفى سان توماس إنها خصلة من شعر إنسان حى بدون تردد . ثم فحصها فى ٢٦ يونية ١٩٣٧ خبراء فى معمل كلاركسون ويجماكرز Clarkson's Wigmakers فقرروا أنه ليس شعر كائن حى ، وإن كان يشبه شعر اليابانيين . ثم أصبح الشعر جافاً قابلا للكسر ، وقد قرر الخبراء فى معمل واطسون Watson's أن السبب فى جفافه هو أنه قطع من رأس إنسان ميت . ولم يكن الذين فحصوه يعلمون أنه شعر روح متجسدة .

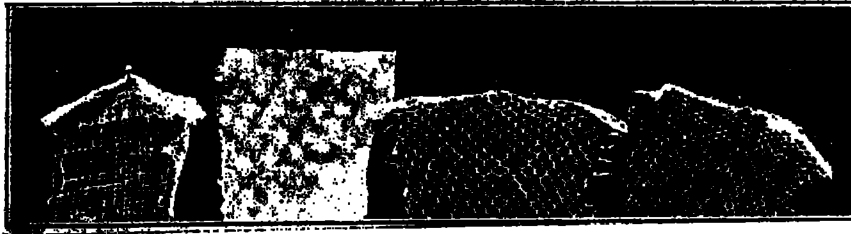
(عن مؤلف التجسدات Materialisaticns لهارى بودنجتون طبعة ١٩٣٩) .

وأيضاً عينة من رداء روح متجسدة



صورة عينة من رداء كانت ترتديه روح متجسدة . وقد لوحظ أن نسيجه شبكى من نوع غير معروف ، وخال من « البرسل » الذى يوجد فى شتى أصناف المنسوجات .

(عن المرجع السابق) .



حرير　　　قطن　　　« شيفون » شفاف　　　شاش

عينات من منسوجات شبكية تبين اختلافها التام عن رداء الروح

الفصل الثاني

شارل ريشيه ينحاز إلى النظرية الروحية بعد طول مقاومة لها

ولد شارل ريشيه Charles Richet في سنة ١٨٥٠، وانتقل إلى عالم الروح في سنة ١٩٣٥ عن خمسة وثمانين عاماً . وكان عالماً وأستاذاً للفسيولوجيا بكلية الطب بجامعة باريس منذ سنة ١٨٨٧ ، وعضواً في أكاديمية الطب منذ سنة ١٨٩٨[١] . وحصل على جائزة نوبل في الفسيولوجيا في سنة ١٩١٣ ، كما اختير عضواً في أكاديمية العلوم في سنة ١٩١٤ . واختير في سنة ١٩٠٥ رئيساً « لجمعية البحث الروحي » بلندن . ولم يكن ريشيه عالماً في الطب والفسيولوجيا فحسب ، بل كان عالماً في النفس أيضاً . وله مؤلف قيم في « علم النفس العام »[٢] طبع عشرات من المرات ، بقدر ما كان في نفس الوقت شاعراً وأديباً مرموقاً .

وقام ريشيه بإجراء آلاف التجارب التي اقتضى بعضها استدعاء الوسيطة الأسبانية أسابيا بلادينو Eusapia Palladino من بلادها، وسجل في حضورها تحرك الأجسام الصلبة بدون وسيلة مادية ظاهرة ، وعزف آلات ، والقيام بأعمال نحت عن بعد ، وهي نفس الظواهر التي شاهدها في حضورها كل من العلماء دوكوروويز D'Ochorowiez ، ومايرز Myers ، ولودج Lodge ، وهنري

(١) بحث بوجه خاص في القابلية للعدوى ، وتكون الوليا بواسطه الكبد، والاسهالات الأوكسيجيني ، كما بحث في أمراض الربو ، والارتسكاريا ، والالتهاب الرئوي ، والاستعداد الصرعي .

(٢) Essai De Psychologie Generale.


ريشيه

سدجويك H. Sidgwick ، وشرنك فون نوتزنج S. V Notzing ، وكامى فلاماريون Camille Flammarion وغيرهم(١) .

كما سجل بالتصوير انبعاث مـادة بروتوبلازمية من الوسيطة كانت تصل بينها وبين الأجسام المتحركة . وسلم مع شرنك فون نوتزنج ودوكورويز أن علة هذه التحركات هى نوع من الإكتوبلازم . وسجل ريشيه صوت الطرقات العاقلة وغير العاقلة ، وارتفاع الوسيطة كمشكلة علمية حقيقية بغير إيجاد حل لها .

وعالج مشكلة المنازل المسكونة التى تعددت وثائقها فى مؤلفاته ، ومؤلفات لومبروزو Lombroso ، وبوزانو Bozzano ، وفلاماريون ، ومضابط « جمعية البحث الروحى » بلندن وغيرها ، ووزعها بين ظواهر شخصية وموضوعية . وبعد استبعاد حالات معينة لعدم صحتها أو للشك فيها يسلم ريشيه بصحة وقائع معينة حققها بنفسه من المنازل المسكونة ، وبثبوتها علمياً ، ولكنه لم يرَ فيها حالات تثير مشكلات مستقلة تخالف غيرها من الظواهـــــر التى كان يعتبرها « ما وراء روحية » ويعزوها إلى وسطاء لا يعرفون أنفسهم بين سكان هذه المنازل ، واعتبرها من ضمن الظواهر الموضوعية المتصلة بتحريك الأجسام الصلبة بدون وسيلة مادية .

وتجارب ريشيه فى الظواهر الوساطية قديمة بدأت منذ سـنة ١٨٧٢ فى

(١) راجع مؤلفه « قوى الطبيعة غير المعروفة » Les Forces Naturelles Inconnues وراجع ما سبق عن أسابيا فى ص ٢٠٥ — ٢١٠ .

الاستشفاف lucidité ، ثم باشر تجارب كثيرة مع إجلنتون[1] ، ومع مدام ديسبرانس[2] . ومع أربع وسيطات للإدراك عن غير طريق الحواس وهن أليس Alice .وكلير Claire ،وأوجينى Eugenie ، وليونتين Leontine. وكان عضواً فى «لجنة ميلانو» التى حققت وساطة أسابيابلادينو[3] E. Palladino وجاءت نتيجة هذا التحقيق لصالحها .

وفى سنة ١٨٩٠ اشترك مع الدكتور داربيه Dariex فى إصدار « التقويم السنوى للعلوم الروحية»[4] . وظل يواصل بحوثه الروحية بعد ذلك مع عدة وسطاء ، وفى عدة بلاد . ومنهم بوجه خاص مارتا بيروMarthe Béraud (التى أصبحت تعرف فيما بعد باسم إيفا) فى الجزائر ، ثم فى باريس ، وحصل فى حضورها على نتائج باهرة سترد فيما بعد . كما قام بتحقيق وساطة عدد من كبار الوسطاء فى وارسو ، وداخل «المعهد الدولى لما وراء الروح» بباريس[5] ، منهم كلاسكى Kluski [6] ، وبرجيك Burgik [7] ، وجوزيك Guzyk [8] وأوسوفيكى Ossowecki .

وقد استعرض ريشيه ثمرة بحوث ثلاثين عاما فى المسائل الروحية فى مؤلفه الرائع « مطول ما وراء الروح » [9] الذى هو فى أصله عبارة عن تقرير أودعه فى « أكاديمية العلوم » بباريس فى ١٣ فبراير سنة ١٩٢٢ ، وقد اعتذر فيه عن

---

(١) راجع ما سبق عنه ص ٢١٢ ، ص ٤٩١ .
(٢) راجع ما سبق عنها فى ص ٢١١ ، ص ٤٩٥ .
(٣) راجع ما سبق عنها فى ص ٢٠٥ — ٢١٠ .
(٤) Annales des Sciences Psychiques
(٥) راجع ما سبق عنه فى ص٤١٢ وما بعدها .
(٦) راجع ما سبق عنه فى ص ١٨٧ — ١٩٣ .
(٧،٨) لنا عودة إليها فيما بعد عند الكلام عن « الجسد الأثيرى للانسان » .
(٩) Traité de Métapsychique.
واعتمادنا فى هذا الفصل على الطبعة الثانية منه (١٩٢٣) .

إنكاره السابق فى عناد شديد لصحة هذه الظواهر. ولذلك فقد بدأه بإهداء منه يؤكد اعتذاره هذا إلى سير وليام كروكس[١]، وفريدريك مايرز[٢]، «صديقىّ وأستاذىّ اللذين — بعظمة شجاعتهما وأفكارهما — رسما الخطوط الأولى لهذا العلم». وفى مقدمته يوضح للقارىء أنه لا يعالج اعتبارات غامضة عن مصير الإنسان، أو عن السحر، أو عن الثيوصوفية، بل إنه يحاول عمل كتاب عن علم جديد لا أحلام فيه. وهذا العلم هو علم «ماوراء الروح» الذى يتكون — فى رأيه — من دراسة ثلاثة أنواع من الظواهر الأساسية وهى : —

أولاً : الإدراك عن غير طريق الحواس La Crypthesthésie (أو الاستشفاف lucidité عند المؤلفين القدامى)، وهو يمثل مقدرة على الوصول إلى المعرفة تختلف عن السبل الحسية العادية.

ثانياً : تحريك الأجسام الصلبة بغير وسيلة مادية La télékinésie أى بدون ملامسة، وعن بعد، وفى شروط معينة، وقد تقع على أشياء أو على أشخاص.

ثالثاً : الإكتوبلازم L'ectoplasmie (أو التجسد بحسب المؤلفين القدامى) أى تكوين أشياء مختلفة تبدو فى أغلب الأحيان كما لو كانت منبعثة من جسم الإنسان، وتتخذ مظهر حقيقة مادية (مثل الملابس، والأقمشة، والأجسام الحية).

ويرى ريشيه أن هذه الأنواع الثلاثة من الظواهر تمثل كل علم «ما وراء الروح»، وأن مجرد الوصول إلى دراستها يمثل مرحلة متقدمة جداً. أما تجاوزها فليس — بعد — من العلم. وأنه ينبغى على العلم بمعناه الحرفى الصارم أن يتقبل هذه الظواهر التى يرفض الاعتراف بها فى الوقت الحاضر (فى سنة

---

(١) راجع ما سبق عنه فى الفصل السابق.

(٢) راجع ما سبق عنه فى ص ٣٤٢ — ٣٤٦.

١٩٢٢) ، وأنه — بوضع كتابه هذا فى نفس الإطار العلمى للعلوم الأخرى مثل الفيزياء ، وعلم النبات . والباتولوجيا — يريد أن ينتزع المظهر فوق الطبيعى أو الغامض عن هذه الحقائق التى كان يطلق عليها فيما مضى وصف غامضة Occultes والتى فيها الكثير حقيقى بدون أدنى منازعة .

وقد قسم ريشيه مؤلفه الضخم هذا (حوالى ثمانمائة صفحة) إلى ثلاثة كتب : عالج فى أولها موضوع « ماوراء الروح » بوجه عام مبيناً تاريخه ، والمراحل المتتابعة التى مر بها : وهى المرحلة الأسطورية periode mythique ، ثم المرحلة المغناطيسية magnétique ، ثم المرحلة الروحية spiritique ، وأخيراً المرحلة العلمية scientifique .

وعالج فى الكتاب الثانى الظواهر الشخصية لما وراء الروح de la Métapsychique ، فتناول فيه موضوع الإدراك عن غير طريق الحواس واعتبره من ضمن صور الشفافية الغامضة Cryptesthesie التى سلم بصحتها سواء بالنسبة لبعض الأمور الماضية أو الحاضرة أو المستقبلة ، كما تناول فيه موضوع الجلاء lucidité بوجه عام، وعصا التخمين[1] Baguette divinatoire. واختتمه بفصل عن استشعار الأمور الحاضرة Monitions ، والتنبؤ الصحيح بالأمور المستقبلة Prémonitions ، وذلك سواء عن طريق التنويم المغناطيسى ، أم عن طريق الاتصالات الروحية Spiritiques .

وعالج المؤلف فى الكتاب الثالث الظواهر الموضوعية objectifs ، وأهمها تحرك الأجسام الصلبة بدون وسيلة مادية télékinesies ، والإكتوبلازم ، وبوجه عام التجسدات metarialisations متحدثاً فيـــــه عن تجاربه الخاصة بالإضافة إلى تجارب عدد من العلماء الآخرين .

---

(١) العصا التى يستخدمها بعض الوسطاء فى الكشف عن المياه الجوفية والمعادن المخبوءة تحت الأرض .

تحقيقات فى بعض التجسدات

وفى هذا الكتاب وقائع كثيرة بالغة الخطورة ، ولا ريب أن أكثرها خطورة هى التجسدات التى شاهدها بنفسه فى سنة ١٩٠٦ فى فيلا كارمن بمدينة الجزائر ، والتى سجلها بالصور فى حضور الوسيطة مارتا بيرو Marthe Béraud تحت الرقابة العلميـة الدقيقة[١] .ويقول فى شأنها (فى ص ٦٥٦ — ٦٦٥) « إن التجسدات التى أعطتها مارتابيرو على أهمية قصوى ، وقد قدمت وقائع عديدة تسمح بتحديد كيفية الأسلوب العام لظواهر التجسدات ، وبإدخال معطيات données جديدة تماماً وغير متوقعة على علم ما وراء الروح .

وبعد مشاهدة وقائع غريبة خلال سلسلة من التجارب دامت ما يقرب من عامين بمعرفة الجنرال نويل Noel وقرينته [٢] دعانى الجنرال نويل للمشاركة فى هذه التجارب ، ونزلت ضيفاً عنده فى مدينة الجزائر Alger ، كما نزل أيضاً ج. ديلان G. Delanne مدير «جريدة الروحية» la Revue du Spiritisme ، وقد أثرت فىّ بقوة التجارب الأولى التى شاركت فيها ، ولكنى أحذر دائماً من شعورى الأول ، ولذا فقد رجعت فى العام التالى إلى مدينة الجزائر مصمماً أن أمتحن شروط التجربة بصرامة أكثر .

والوسيطة مارتا بيرو كريمة ضابط كبير، وخطيبة ابن الجنرال نويل ، الذى توفى فى الكونغو قبل الزواج . وهى آنسة صغيرة الحجم سمراء ذات عينين

---

(١) وقد نشر تقريره عنها فى « التقويم السنوى للعلوم الروحية » منذ شهر ابريل سنة ١٩٠٦ ، وقد أثار منذ نشره انتباهاً ضخماً فى الدوائر العلمية .

(٢) وقد شهد بصحتها وأيدها الضابط البحرى ديمادرى Demadrille، والطبيب الدكتور ديكركى Décrequy، وكتبا عنها أيضاً فى التقويم السنوى للعلوم الروحية A. S. P.، وكانت تعليقاتهما وصورهما مؤيدة « لتجاربنا » اللاحقة بصورة ملفتة للنظر .

نابضتين بالحياة ، وشعر قصير وتتمتع بذكاء وحيوية مفرطتين . وقد أعطت بعد تجارب مدينة الجزائر أدلة متعددة على توافر وساطة قوية لديها ، وهى نفس الوسيطة التى خضعت فيما بعد — تحت اسم إيفا كاريير Carrière — لتجارب مدام بيسون Bisson وشرنك نوتزنج Schrenck Notzing بباريس (وقد حصر ريشيه جانباً منها على ما يقرره فيما بعد) .

وبعد أن يصف ريشيه الغرفة التى حدثت فيها التجسدات ، ويبين موقعها فى « فيلا كارمن » يقرر أن الحاضرين كانوا الجنرال نويل وقرينته ، وشقيقتين صغيرتين جداً للوسيطة تدعيان مارى Marie وبول Paule ، وكانتا بعيدتين عن ستار الخباء الذى كانت تجلس فيه الوسيطة ، ثم آنسة لم يذكر اسمها ، ثم هو وديلان . وكانت هناك إضاءة كافية من مصباح أحمر . وكانت مارتا تجلس فى الخباء — الذى قام بتفتيشه جيداً — على كرسى ، وبجوارها فتاة تدعى عائشة لم يكن لها أى دور — بدليل أن أحسن التجسدات التى جرت تمت فى غيابها ، وإنما هو الجنرال نويل الذى تمسك بجلوس عائشة إلى جوار مارتا فى الخباء .

« وبعد فترة من الوقت تتراوح كثيراً بين القصر والطول الذى قد يصل إلى ساعة ، وربما إلى ساعتين ، كانت تفتح ستائر الخباء بحيث كان الإنسان يرى مارتا وعائشة جالستين على كرسيهما ونائمتين نوماً عميقاً . وكنا بعد الجلسة نفتش الخباء بدقة ، وكانت مارتا لا ترتدى — بسبب شدة حرارة الطقس — إلا رداء خفيفاً جداً ، وكنت أوقظها من غيبوبتها بنفسى عن طريق بعض تمريرات مغناطيسية من أعلى جسمها إلى أسفله ، وكنت بالتالى أتحقق من أنها لا ترتدى إلا هذا الرداء الخفيف . ولم يكن فى الخباء بداهة أى جهاز أو أداة يمكن أن تستخدمها الوسيطة ، ومن جهة أخرى كان من المحال على أى شخص أجنبى أن يتدخل فى إحداث هذه الظواهر .

والتجسدات التى حدثت كانت كاملة تماماً ، وكلية تماماً très parfaites, très complètes . وقد ظهر الشبح « بيان بوا » Bien-Boa عدة مرات ، ربما خمس أوست مرات، وفى ظروف مرضية تماماً بهذا المعنى . وهو أنه لا يمكن افتراض أن مارتا هى نفسها الشبح وقد تنكرت هذا التنكر الهزلى بخوذة ورداء معينين، فمعنى ذلك أنه كان يتعين على مارتا — ليس فحسب أن تحضر هذه الأشياء بل أن ترتديها أيضاً ، ثم أننا فى مرات عديدة شاهدنا مرتا والشبح معاً وفى وقت واحد . أما افتراض أن هذا الشبح عبارة عن دمية فهذا افتراض غير معقول ، لأن هذا الشبح كان يمشى جيئة وذهاباً ، ويتمايل وعيناه تتلفتان بهدوء فيما حوله ، وعندما كان يحاول الحديث كنا نشاهد شفتيه تتحركان .

وكان له مظهر الحياة إلى حد أن تنفسه كان مسموعاً فأحضرت له كأساً مملوءاً بمحلول الباريوم eau de baryte وطلبت منه أن يتنفس فيها فنتج عن تنفسه ثانى أكسيد الكربون ، ككل الكائنات الحية[1] ، كما كان تنفسه يقوم بتحريك محلول الباريوم . ومنذ وضعت الكأس بين يدى بيان بوا جعلتها موضع نظرى ، فبدت عند الزاوية اليسرى للستار كما لو كانت معلقة فى الهواء على ارتفاع أعلى مما يمكن أن تصل إليه مارتا حتى لو كانت واقفة ، وكنت — عندما كان « بيان بوا » ينفخ فى أنبوبة الكأس المتصلة بها فيتحرك السائل بصوت مسموع — أوجه الحديث إلى ديلان (الذى كان فى داخل الخباء يراقب الوسيطة) متسائلا « هل ترى مارتا ؟ » فكان يجيب « أراها كلها » . وكانت عائشة فى الجانب الآخر من الخباء نائمة لا تتحرك، وكنت من جانبى أرى جيداً شكل مارتا (من فتحة الخباء) جالسة على كرسيها ، ولكنى لم أكن أشاهد رأسها ولا كتفها الأيمن .

(١) وهناك تجارب مماثلة لعالم الباراسيكولوجى الدكتور هانز جيرلوف (راجع ما سبق فى ص ٤٨٦) .

ومهما كانت هذه التجربة مثيرة إلا أنه توجد تجربة أخرى تبدو لى أكثر منها فى هذا الشأن ، فبعد الجلوس لفترة طويلة فى الغرفة شاهدت بالقرب منى ؛ أمام الستار وبدون أية حركة فيه ، شيئاً كبخار أبيض على بعد لا يزيد عن ٤٠ سم منى ، يتخذ صورة قماش أبيض . أو منديل على الأرض ، ثم يرتفع ويصبح مستديراً ، ثم يتخذ شكل رأس قريبة من الأرض ، ثم يرتفع ويكبر ويأخذ شكلا إنسانياً ، رجلا صغير الحجم ، يرتدى عمامة ومعطفاً أبيضين ، وله لحية ، ويسير من يمينى إلى يسارى بعرج خفيف ، أمام الستار . وعندما وصل إلى جوار الجنرال جلس لجاة القرفصاء على الأرض ، محدثاً صوتاً واضحاً، ثم أصبح مفلطحا أمام الستار . وبعد ثلاث أو أربع دقائق (وكان فى هذه المرة أقرب إلى الجنرال منى) ظهر الشكل من جديد وارتفع من الأرض فى خط مستقيم كأنه ولد من الأرض إذا صح هذا التعبير ، وعاد إليها محدثاً نفس الصوت السابق .

والتفسير الوحيد ـ غير الروحى ـ الذى بدا لى ممكناً هو أن الأرض قد انشقت ثم أغلقت من جديد، ولكن لم يكن فى الأرض أية فتحة ، وقد تحققت من ذلك بنفسى فى اليوم التالى ، وشهد بذلك فى محضر مكتوب — المهندس الذى استعنت به . وقد شاهد ديلان نفس الظاهرة ولكنه كان أبعد منى قليلا ، فلم يتمكن من أن يميز بوضوح — مثلما ميزت أنا — تسلل الشبح إلى تحت الأرض .

ويبدو لى أنه من المستحيل استحالة تامة أن تتمكن مارتا مهما كانت مرنة وصغيرة الحجم من أن تخرج من تحت الستار بغير أن تهزه ، ثم تقدم هذا الخداع عن شخصية إنسانية تعلو من على الأرض فى خط مستقيم . ثم كيف نفسر هذه الرأس التى تبدو كما لو كانت رأساً مقطوعة ملقاة على الأرض ؟ ! ثم الاختفاء الفجائى فى خط مستقيم ، وذلك مع أننى بعد هذه الظاهرة مباشرة شاهدت مارتا من جديد جالسة بهدوء ! ونائمة على كرسيها ؟ !

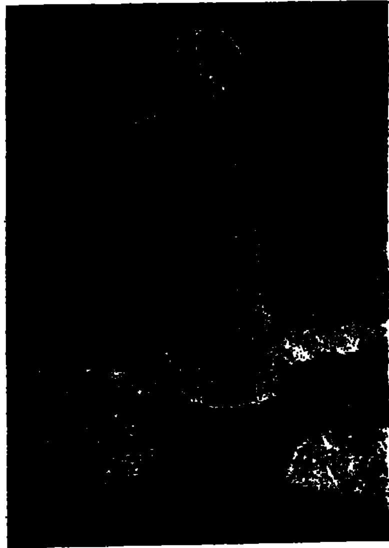
وقد التقطت صور كثيرة بمعرفة ديلان وبمعرفتى، مجسمة Stéréoscopiques

وغير مجسمة . وتظهر فيها تفصيلات هامة إلى حد أن أوليفر لودج قرر لى بعد نقد ثاقب ، أنها أفضل صور روحية يعرفها . . »



صورة التقطها ريشيه للروح المتجسدة « بيان بوا » ويرى إلى اليسار الجنرال نويل Noel ثم قرينته، ثم جابرييل ديلان G. Delanne ممسكا بكاميرا حيث التقط صوراً أخرى لها (عن مؤلفه أشباح متجسدة لأحياء ولأموات ج ٢ ص ٥٤٣) .

←



صورة أخرى من الأمام للروح المتجسدة عن « مطول ما وراء الروح » التقطها الدكتور ريشيه طبعة ثانية ١٩٢٣ ص ٦٦١ .

→

ثم يضيف ريشيه أنه من المحال أن شخصاً أجنبياً يكون قد دلف إلى الغرفة ، ومن المحال أن مرتا تكون قد قدرت أن ترتدى الخوذة والرداء ، ثم أن تحرز دمية تحل محلها على الكرسى ، وفى نفس الوقت أن تحدث غيماً أبيض اللون أمام الستار . فكل شىء كان يجرى كما لو كانت هناك أبخرة سيالة

Vapeurs Fluidiques تخرج من رأسها ومن جنبها الأيمن ، إلى حد أنها كانت تحجب رأسها وجنبها الأيمن هذا ، ثم ترتفع هذه الأبخرة فى الهواء بدون أن يمسكها شىء سوى رأس مارتا وجسمها[1].

كما شاهدت فى فيلا كارمن تجسداً آخر دقيقاً. ففى المساء السابق لليوم الذى كان ينبغى فيه أن أغادر مدينة الجزائر بعد إقامة طويلة ، قال لى بيان بوا — محاولا احتجازى : « انتظر فسترى تلك التى تريدها ! » . فأجلت سفرى طبعاً . وفى اليوم التالى ، بعد فترة قصيرة ، بل رأساً بعد إغلاق الستار انفتح من جديد عن وجه سيدة صغيرة جميلة للغاية ، بل رائعة الحسن ، وعليها نوع من شريط مذهب ، وحلية أوتاج diadème مغطياً شعرها الأشقر وأعلى رأسها . وكانت تضحك من كل قلبها ، إلى حد الانفجار إذا صح هذا التعبير ، وكثيرة الدعابة إلى حد أننى فيما يبدو لى لا أزال أشاهد ضحكتها وأسنانها اللامعة . وظهرت على هذا النحو مرتين أو ثلاث مرات ، وهى تظهر رأسها ثم تخفيها كما يفعل الأطفال عندما يلعبون « الاستغماية » . وفجأة رفضت الظهور من جديد ...

وسمعت صوتاً من خلف الستار يقول لى أحضر غداً مقصاً ، فأحضرته فى اليوم التالى ، وعادت هذه الملكة المصرية إلى الظهور فأظهرت لى أعلى رأسها مغطى بشعر أشقر طويل وغزير ، وكان اهتمامها الضخم منحصراً فى معرفة ما إذا كنت قد أحضرت المقص أم لا ، وعندئذ قمت بقص خصلة من هذا الشعر الطويل ، ولم يكن الوجه واضحاً بل مختبئاً خلف الستار ، وعندما حاولت أن أقص ضفيرة طويلة من الشعر من أعلى رأسها ظهرت يد خلال الستار فخفضت

(١) الحديث هنا عن مادة الإكتوبلازم التى تحدثنا عنها فيما سبق (ص ١٧٠ — ١٨٣). كما قدمنا عدة صور تمثل انبعاث هذه المادة وتشكلها بأشكال مختلفة عند بعض هذه الوسيطة (إيفا كارييه) وعند غيرها ، وكلها صور التقطت تحت أدق سبل الرقابة العلمية .

مستوى يدى كثيراً إلى أن أمسكت بطرف الشعر وقصصت خصلة طولها ١٥سم تقريباً ، ولأنى ربما تأخرت نوعاً فى عملية قص الشعر كانت تقول لى « أسرع ! أسرع ! » ثم اختفت . ويقول ريشيه إنه احتفظ بهذه الخصلة من الشعر الأشقر الناعم كالحرير ، غير المصبوغ ، الذى أظهر الكشف بالميكروسكوب أنه شعر حقيقى تساوى الخصلة منه حوالى ألف فرنك ، بينما شعر مارتا أسود وقصير[1] .

* * *

ويلاحظ مدى الضمانات القوية التى فى هذه التجارب ، والمستمدة من أن الوسيطة كانت فرداً فى الأسرة، فقد كانت فى ذلك الوقت خطيبة الضابط موريس نجل الجنرال نويل صاحب فيلا كارمن ، فلم تكن وسيطة عامة أو محترفة . كما هى مستمدة من مكانة ريشيه العلمية الضخمة ، والاحتياطات الشديدة التى اتخذها . ويكفى أنه رغم مشاهدته لهذه التجسدات فى مدينة الجزائر عند زيارته لها لأول مرة رفض أن يسلّم بها أو يثبتّها فى بحوثه إلا بعد أن عاد ثانية فى العام التالى إلى الجزائر لتحقيق وساطتها برفقة المهندس جابرييل ديلان G. Delanne رئيس تحرير « الجريدة الروحية » الذى قام بمراقبة الوسيطة إلى جانبه ، ونزلا ضيفين معاً على الجنرال نويل لمدة كافية .

ثم رفض أن يتحدث عنها إلا بعد أن سجلها بصور فوتوغرافية عديدة مجسّمة وغير مجسمة ، وإلا بعد أن تحقق من تنفس الروح على ما وضحه ، وإلا بعد أن شاهد تجسدات أخرى لنفس الوسيطة فى ظروف تنفى كل احتمال لخداع ، أو لخطأ ، أو لتوهم ، أو لتسرع ، إدراكاً منه لمدى خطورة تسجيل هذا الذى كان يشاهده يجرى أمام عينيه كحقائق علمية .

---

(١) وقد تمت تجارب مماثلة فى عدة هيئات علمية (راجع ما سبق فى ص ٤٨٠ ، وفى ص ٥٠٢) .

وذلك كله بالإضافة إلى شهادات الشهود الآخرين الذين ظلوا يتابعون هذه الظواهر الغريبة فى « فيلا كارمن » لمدة عامين سابقين ، قبل أن يفكروا فى دعوة الدكتور شارل ريشيه للحضور من باريس كيما يشترك معهم فى تسجيل هذه الظواهر الفريدة ودراستها، بوصفه عالماً مرموقاً ، وعضواً فى أكاديميتى الطب والعلوم ، وأستاذاً بكلية الطب بها .

* * *

ثم يقول ريشيه « إن تجسدات مارتا خضعت من جديد بعدئذ فى باريس لبحوث الدكتور شرنك نوتزنج Schrenck - Notzing ، ومدام بيسون Bisson ، وتحدثا عنها فى مؤلفاتهما ، والتقطا لها صوراً كثيرة منشورة فى هذه المؤلفات مع النصوص . وهذه التجارب الأخيرة استمرت لمدة أكثر من أربع سنوات فى حذر وصبر جديرين بالإعجاب ، واحتياطات دقيقة ضد التدليس إلى حد نزع جميع ملابس الوسيطة وإلباسها رداء حمام يغطيها من الرقبة إلى القدمين ، مع فحص شعرها ، وإبطيها ، وأنفها ، وفمها ، وركبتيها ، بل ومع فحص مواضعها الدقيقة أحياناً . . . وكالمعتاد كانت الأشكال المتجسدة تخرج من فمها ، ولذلك كانوا يضعون فى فمها « مربى ملونة » ذات أثر قوى فى الصباغة[1] . ومع ذلك كانت تخرج غيوم التجسد (الإكتوبلازم) من فمها بيضاء تماماً . بل وكانوا أحياناً يبالغون فى الشدة فى تجريبهم فيطلبون من الوسيطة أن تتناول قبل الجلسة مادة تحدث القىء[2] .

وكانت الإضاءة القائمة أمام الستار تسمح بقراءة الحروف الكبيرة ، وخلف الستار فى داخل الغرفة كان يوجد مصباح أحمر ، وثلاث آلات

---

(١) Confitures de Myrtil.

(٢) وذلك لدرء الشبهة بأنها تخفى شيئاً فى جوفها تستعين به فى إحداث هذه الظواهر . وراجع بعض نماذج أخرى من هذه التجسدات فيا سبق فى ص ٤٩٢ ، ٤٩٣ .

للتصوير إحداها للتصوير المجسم ، وكلها مستعدة للتصوير عند أول إشارة ، وكانت آلات التصوير يبلغ عددها أحياناً تسع آلات ... وفى هذه الظروف من المحال أن يحدث أى تدليس ، وافتراض تسلل شريك لها إلى الغرفة مضحك ، ولا يقل عنه إضحاكاً افتراض استعانة الوسيطة بأشياء متعددة تحضرها من الخارج، وذلك خصوصاً لأن الوسيطة كانت تقيم عند مدام بيسون ، وكانت مدام بيسون لاتفارقها إلا نادراً ، وتبيت معها فى نفس غرفتها .

وحتى إذا افترضنا هذه الخرافة الكبرى وهى أن مدام بيسون كانت سيئة النية ، فقد كان من المحال على الوسيطة أن تخدع خلال ثلاث سنوات شرنك نوتزنج S. Notzing[١]، وجيلى Geley[٢]، و ج. ماكسفل Maxwell (المحامى العام)، والدكتور بوربون Bourbon، وشيفريه Chevreul، وسيزار دى فسيزم[٣] C.De Vesme ، ودى فونتناى De Fontenay ، وأنا شخصياً ، وأشخاصاً آخرين شاركوا فى جلساتها . ونضيف إلى هذا أن جلساتها عقدت فى باريس ، وفى بيارتز ، وفى ميونيخ ، وطالت لمدى أربع سنوات » .

ثم يسرد ريشيه وصفاً لبعض الجلسات التى عقدت لنفس الوسيطة فى باريس تحت الرقابة العلمية الدقيقة بتاريخ ١٥ أبريل ١٩١٢ ، و ٣٠ أغسطس ١٩١٢ ، و١٣ يونية ١٩١٣ . ثم يعرض لتجارب أخرى لها فى حضور الدكتور جوستاف جيلى فى «المعهد الدولى لما وراء الروح» بباريس ، مقارناً بين ما أثبته عنها بنفسه فى سنة ١٩٠٦ ، وما أثبته جيلى عنها فيما بعد فى سنة ١٩١٩ .

كما يعرض كذلك إلى التحقيق الذى جرى لوساطة هذه الوسيطة فى «جمعية البحث الروحى» S P R. بلندن فى يناير سنة ١٩٢٢ ، بمعرفة العلماء دنجوول

---

(١) راجع ماسبق عنه فى ص ٤٣٤ .
(٢) راجع ما سبق عنه فى ص ٤١٦ .
(٣) راجع ما سبق عنه فى ص ٤٢٩ .

Dingwall ، والسيدة سالتر Salter ، وباجالى M. Baggally ، وفورنيه دالب Fournier D'Albe ، وبوفور Beaufort ، وولى Woolley ، وفيلدنج Feilding ، وواتلى سميث Wathelv Smith ، ومس نيوتن Newton ، وذلك باحتياطات كبرى ، ومشروعة فى دقتها ، لمنع كل احتمال للاعتراض بالغش .

ثم يتعرض ريشيه لبعض النتائج السلبية لتحقيق الوساطة بمعرفة بعض غير المتخصصين فى هذه الموضوعات.مبيناً كيف أن هذه النتائج السلبية تعلل إما بأن وساطة الوسيط تكون قد ضعفت أو اختفت ، وإما بأن الظروف السيكولوجية للتجريب تكون معيبة ، وإما لاجتماع الأمرين معاً ، وهو ما يبدو أكثر رجحاناً . ويرد على نتائج مثل هذا التحقيق السلبى قائلا إن خمس عشرة واقعة سلبية مثلا لا تدحض نتائج مائتى واقعة إيجابية ، حتى إذا تعلق الأمر بتجربة من تجارب الكيمياء أو الفيزياء ، فما بالك إذا تعلق التجريب بجهاز رقيق ، متقلب ، غير مستقر ، وهو الوسيط الآدمى ؟ ! [١] ، ثم يلاحظ ريشيه كيف أن صحفيين أو ثلاثة غير متخصصين يمكنهم عندئذ أن يغرروا بالرأى العام حول صحة هذا الموضوع .

وبعد ذلك يعرج ريشيه على بعض تجارب أخرى إيجابية للتجسدات تمت فى عدة بلاد بمعرفة علماء كبار : منها تجارب الدكتور إيمودا E. Imoda مع الوسيطة ليندا جازيرا Linda Gazzera فى تورينو [٢] ، وتجارب الدكتور

---

(١) ونضيف أن نجاح هذا التجريب مرتبط كذلك بالنشاط الواعى لكائنات غير منظورة ، وهى لها بدورها ظروفها الخاصة ، وقوانينها التى تتحكم فى ميولها ، وفى وقتها ، وفى أسلوبها فى العمل مع الوسطاء . هذا وقد بينا فيما سبق (فى ص ٢١٨) كيف أن بعض جلسات الوسيط كارلوميرابللى فى « أكاديمية الدراسات الروحية » بالبرازيل كان سلبياً والبعض الآخر كان إيجابياً خلال ثلاثمائة واثنتين وتسعين جلسة عقدت فى نفس الأكاديمية . فالجلسات السلبية لا تعنى شيئاً بالمرة ،حين أن الجلسات الإيجابية — متى أحيطت بكل الضمانات المطلوبة — تعنى كل شىء .

(٢) راجع صورة عنها فى ص٤٩٧.

جيبيه Gibier مدير معهد باستير فى نيويورك مع الوسيطة سالمون Salmon (١)، وتجارب البارون إيرهارد Erhardt مع الوسيط كارانزينى Caranzini فى روما، وتجارب علماء عديدين آخرين مع نفس الوسيط فى باريس، وتجارب الدكتور فياجو Feiajao أستاذ الجراحة بكلية طب لشبونة مع الوسيطة داندراد D'Andrade، وغيرها كثير مما جرى فى البرازيل، وفى بولونيا، وفى انجلترا. كل هذا يعرضه ريشيه عرضاً وافياً فى أكثر من مائة صفحة، موضحاً ببعض الصور للتجسدات التى التقطها بنفسه، والتقطها غيره من العلماء قبل أن ينتقل إلى الفصول اللاحقة.

ثم يختتم ريشيه هذا الفصل عن الإكتوبلازم والتجسدات قائلا « على أية حال لدينا فى الوقت الحاضر (١٩٢٢) عدد كاف من البينات على أن التجسد التجريبى — أو الإكتوبلازم — ينبغى أن يأخذ مكانه نهائياً فى العلم. قطعاً نحن لا نفهم فيه شيئاً بالمرة، فكل شىء فيه خارق جداً للعقل (بقدر ما يمكن لأية حقيقة أن تكون خارقة للعقل).

ولطالما لامنى الروحيون على التعبير بكلمة « خارق للعقل » ولهم عذرهم، فهم لم يستطيعوا أن يدركوا أن تراجعى لقبول صحة هذه الظواهر لم يكن خلواً من الألم. ولكن عندما تسأل فسيولوجياً، أو فيزيقياً، أو كيمائياً أن يصدق بأنه يمكن أن يخرج من الجسم الإنسانى شكل له دورة دم، وحرارة خاصة به، وعضلات، وينفث غاز ثانى أكسيد الكربون، وله وزن، ويتكلم، ويفكر فأنت تطلب منه مجهوداً عقلياً مؤلماً للغاية فى الواقع. نعم إن هذا كله خارق للعقل absurde، ولكن لا قيمة لذلك لأنه أمر حقيقى »(٢).

* * *

(١) راجع ما سبق عنها فى ص ٤٠٤.
(٢) المرجع السابق ص ٥١٧.

وفى مواضع أخرى يلوم ريشيه نفسه لوماً عنيفاً على بعض آرائه السابقة عندما كان منكراً صحة هذه الظواهر قائلا « إن عبادة الآراء السارية كانت أمراً سائداً فى ذلك الزمن ، فلم تبذل جهود لتحقيق آراء كروكس أو رفضها ، واكتفى الناس بالسخرية منها . وإنى لأعترف فى خجل بأنى كنت مع العميان عامداً متعمداً . فبدلا من الإشادة بشجاعة رجل علمى ممتاز اجترأ إذ ذاك (فى سنة ١٨٧٢) على أن يجهر بأنه توجد حقيقة أشباح وأرواح يمكن تصويرها بالكاميرا ، ويمكن سماع قلوبها وهى تنبض — بدلا من هذا سخرت منه »[1] .

وما شيء هذا كله ؟

وفى النهاية يختتم ريشيه مؤلفه القيّم «فيما وراء الروح» قائلا: « إن هذا العلم لا يبدو أنه يتجه بعد الآن إلى دراسة قوى عمياء ، بل إلى قوى عاقلة ، أى قادرة على أن تكون صاحبة أهواء ونوايا (وربما عدائية) ، وبالتالى كيف يمكن مواجهة المشكلة ؟ إن كل شىء يصبح متأرجحاً جداً très aléatoire .

ولحسن الحظ أنه لا يبدو من المحتمل إطلاقاً أن هذه القوى العاقلة غير خاضعة لقوانين لا يمكن تناولها بالبحث ، وهذه هى القوانين التى ينبغى أن تعرف . ومن يدرى إذا كانت هذه القوى العاقلة بدلا من أن تعوقنا فى تعرف هذه القوانين هى نفسها التى قد تساعدنا على ذلك ؟ . وعلى أية حال فإنه من المأمول أنه عن طريق الوقائع المتفرقة العديدة التى جمعت يمكن أن تقوم عقلية جديدة للمجتمعات الإنسانية بإلهامها ، بقدر ما يتقدم « علم ما وراء الروح » إلى الأمام .

ولقد كنا محمولين أحياناً على الاعتقاد بأن الوقائع المادية التى يسجلها

---

(١) ولعله لهذا السبب جعل ريشيه إهداء كتابه هذا إلى سيروليام كروكس وفريدريك مايرز « صديقىّ وأستاذىّ ... » على ماذكرناه آنفاً .

ويدرسها العلماء ليست — فى مجموعها — بعيدة عن علومنا الحالية . ولقد حاولنا أن نعين بعض حدود لهذه الوقائع ، ولقد كان أفقنا الغض محكوماً تقريباً بقدرة الميكروسكوب ، والتلسكوب ، والجلفانومتر — عندما يكون أكثر رقة ودقة ! ولكن أملنا الحاضر أكثر اتساعاً من ذلك بكثير ، إذ أننا نرى خلال هذا الأمل عالماً كاملا لم يستكشف بعد ؛ عالماً مليئاً بالألغاز التى نقف إزاءها حيرى ومذهولين ، كما يقف واحد من القدامى إزاء دوامات بوانكاريه ، أو الأمواج الهرتزية ، أو ميكروبات باستير ، أونسبية أينشتين . وهذا العالم الجديد هو العالم المجهول ، وهو المستقبل ، وهو الأمل .

وكما توقع توقعاً رائعاً فردريك مايرز ، وأوليفر لودج ربما تستخلص من هذه الدراسات التى لم تكد تبدأ بعد فكرة جديدة عن واجبات الإنسان ، فلا يمكن أن يساعدنا على توقع الانقلاب الذى سيحدثه علم ما وراء الروح فى آرائنا عن المصائر النهائية للبشر . ومن المؤكد أن علم الذرات ، والقوى المادية ، والجاذبية ، والحرارة ، والكهربائية ، وحقائق الكيمياء ، كل هذه لا يمكن أن تنقلب رأساً على عقب لأن أسسها لاتقبل الزعزعة ، ولكن من المحتمل إضافة أشياء خطيرة جديدة إليها .

و بعدئذ ربما ستكون نهاية الإنسان أقرب إلى الفهم . ولن تظل كما كانت فى الماضى مخبوءة فى غيوم لا يمكن اختراقها . لو أننا أمكننا أن ندخل فى نطاق العلم الوضعى بعضاً من وقائع هذا العلم الجديد ، ومن أكثرها تماسكا . وبالتالى ففى الوقت الحاضر — حيث لا يزال الظلام يحيط بنا من كل جانب — قد تم تحديد الواجب علينا ، فلنتجنب كل افتراض ضائع ، ولنعمد إلى تعميق الوقائع وتحليلها ، ولنتشدد فى تجاربنا بقدر ما نتشدد فى جرأتنا على الافتراض ، وعندئذ سيخرج هذا العلم من نطاق الغيبيات كما خرجت الكيمياء

من نطاق الخرافة Alchimie[1] ، وسيكون مصيره المذهل متجاوزاً كل تقدير .

ومع ذلك فلا ينبغي أن ننساق وراء الوهم كثيراً ، فإن أجزاء الحقائق غير المفهومة التي يقدمها علم الغيب la science de l'occulte تبين تعاسة ذكائنا الإنساني . فالفلكي الذي يدرس الكواكب سرعان ما يقتنع بأن الإنسان مسرف في الضآلة . وكذلك الشأن أيضا في دراسة علم ما وراء الروح فإنه عندما تكشف لنا الأضواء الباهتة العابرة عن وجود عوالم ذكية تحف بنا ، وبداخلنا ، فإننا نشعر بأن هذه العوالم ستظل ، وربما للأبد ، بعيدة عنا وعن متناول أفهامنا ، بقدر ماتبدو بعيدة عنا وعن أفهامنا النجوم التي تعمر قبة السماء .

ولكن هذا لا يصلح سبباً يحول دون أن نضاعف جهودنا وأعباءنا . لأنه توجد هناك ألغاز عظمى ينبغي أن نلج إلى أعماقها . ولأن تحقيق هذا الأمر لعمل رائع إلى حد أنه حتى ولو قدر له الفشل ، فإن شرف القيام به كفيل بأن يعطي بعض القيمة للحياة »[2] . وهذه العبارات القوية ، التي تحف بها الخطورة من كل جوانبها تدل على مدى إحساس ريشيه بخطورة النتائج التي وصل إليها في نطاق بحوثه الوضعية في الظواهر الوساطية لمدى ثلاثين عاماً .

عن مؤلفه «حاستنا السادسة»

كما أصدر ريشيه مؤلفه عن « حاستنا السادسة » Notre Sixième Sens وقد سلم فيه بأنه توجد في الإنسان حاسة سادسة مركبة من أكثر من حاسة ،

---

(١) أو بالأدق الاعتقاد بإمكان تحويل المعادن إلى ذهب ، وهو كناية عن أي اعتقاد خرافي .

(٢) عن المرجع السابق طبعة ١٩٢٣ ص ٨٢٠ — ٨٢٢ .

يمكن أن تعتبر بدورها حاسة سابعة أو ثامنة . وبالتالى سلم أن بداخله جهازاً روحياً يمكنه أن يسجل أحياناً أحداث العالم الخارجى ووقائعه ، أو أفكار الآخرين دون أى تنبيه عقلى عن طريق الحواس العادية .

كما قرر أن هذا الجهاز يمكن أن يتأثر عن طريق ما يسميه باهتزازات العالم الحقيقى Les vibrations du monde rèel ، الذى تصدر منه من حولنا اهتزازات ،أى أمواج تلتقط بعضها حواسنا العادية وبعضها الآخر حواسنا الروحية، كما لا تلتقط بعضها الآخر ؛ إنما تحدث تأثيرها فى بعض العقول الإنسانية وتكشف لها أجزاء من الحقيقة .

ولأن العقل يكون جزءاً لا يتجزأ من الحقيقة فإن هذا الافتراض يطوى ظاهرة التلبأتى Télépathie أى التخاطر أو انتقال الأفكار ، ويتجاوزه . إنما لمَ يلتقط بعض الأشخاص هذه الأمواج دون غيرها على غير وعى منهم ؟... إنه لغز . لكن هذه الأمواج الصادرة من العالم الحقيقى الذى يهتز برمته ، ومع ذلك لا يختلط بعضها بالبعض الآخر ، تمثل فى نظر ريشيه مشكلة ليست أكثر غرابة من مشكلة المذياع عندما يلتقط رسائل واردة من باريس ، أو لندن ، أو طوكيو ، أو غيرها محدودة العدد ، وتبدو كل واحدة منها بالنظر إلى طول موجتها كما لو كانت صادرة وحدها .

وهذه الحاسة السادسة تصور ريشيه فى مستهل أعماله أنها موجودة لدى كل إنسان بصورة خامدة وقابلة للتنمية والتهذيب ، لكنه لم يصر على ذلك فى ختام أعماله ، بل انتهى إلى أن هذه الحاسة إذا وجدت لدى شخص معين قد لا توجد لدى آخر ، وإذا حدثت لإنسان لمدة لحظة قصيرة من حياته فقد لا تحدث له مرة أخرى .

كما يتعرض ريشيه فى مؤلفه هذا للإحساس بالمستقبل Les prémonitions ويسلم بصدق بعض حالاته . كما يسلم بوجود ظاهرة الشفافية Cryptesthésie.

Lucidité، ويستخدم هذا التعبير بمعنى واسع يكاد يطوى كل صور الإدراك عن غير طريق الحواس المادية Perception extra sensorielle، ولا يعللها إلا بهذا التعليل بوجود اهتزازات تنبعث من العالم الحقيقى. ويسلم بالظواهر الفيزيقية الوساطية، وبوجود تأثير مباشر للعقل فى المادة الصلبة .. وينسب هذه الظواهر إلى قوى نشطة إسانية الأصل أو المصدر.

Puissances énergétiques d'origine humaine.

بعض آراء أخرى متنوعة لريشيه

وفى جريدة «أعرف كل شىء»[1] قرر ريشيه فى مقام المفاضلة بين الظواهر الروحية الشخصية والموضوعية أنه لا يخفى تفضيله للظواهر الشخصية، لأنه تبين له عن طريق التجربة، والتجربة وحدها، أن الحقائق تصل أحياناً للفهم عن طرق غير طرق الإحساس العادية، ويشير إلى أربعين تجربة لاشائبة فيها للرؤية خلال الأجسام الصماء تمت بدقة لانظير لها مع الوسيط أوسوفيكى Ossowecki[2].

وفى الواقع أن ريشيه كان يقدر أن الظواهر الوساطية الموضوعية تتعرض أكثر من غيرها للهجوم، وتقتضى عناء أكثر من غيرها فى تحقيقها والاقتناع بصدقها. فهى فى الغالب غير مستقرة Inconstants لأنها غير خاضعة لإرادة إنسان ما، وقد تتأثر برواسب فيزيولوجية أو خلقية عند الوسيط أو الوسيطة. بل يذهب متسائلا: «ألا توجد درجات فى اليقين؟ فمثلا إننى متأكد من أن الأيدروجين يمكن أن يتحد بالأوكسيجين، كما أننى متأكد

---

(١) Je Sais Tout. عدد مايو سنة ١٩٢٣.

(٢) راجع مؤلف الأستاذ فردريك سيسيه Frederic Saisset وعنوانه «ماهو علم ماوراء الروح طبقا لكل من ريشيه وبرجسون وأوستى».

Qu, est—ce Que La Metapsychique d'après Richet, Bergson et Osty?

أنه لا يوجد تكاثر ذاتى Generation Spontanée[1] هذان يقينان ، ولكن أولهما أقوى من ثانيهما ، وبنفس الطريقة أنا متيقن من أن الظواهر الموضوعية الوراء الروحية صحيحة ، ولكنى أكثر تيقناً من صحة الظواهر الشخصية الوراء الروحية[2] .

وفى سنة ١٩٢٧ نشرت جريدة Comaedia الفرنسية آراء كبار العلماء فى شأن الحياة بعد موت الجسد ، فقال ريشيه مخاطباً محرر المجلة « سأجيبك فى صراحة تامة . إننى أحياناً كنت أصدق ، وأحياناً أخرى كثيرة كنت لا أصدق ، إذ كيف يستطيع فسيولوجى أن يدرك أن هناك بعد الموت وعياً يبقى دون مخ ؟ ! . . . ولكن من جهة أخرى كيف يستطيع إنكار الحقائق الروحية التى تقدم من الوجهة النظرية تفسيراً أبسط من أى تفسير آخر؟ !.. » .

وكتب ريشيه فى مجلة الطبيعة Nature تحت عنوان « العلم الروحى » يقول « إن الروح يمكن الوصول إليها بقوى تكشف لنا عن حقائق لا يمكن أن يظهرها النظر أو السمع أو اللمس » . كما كتب — بعد أن استنفد كل إمكانياته فى بحوثه الجادة — يقول «إنى — مغلوباً على إرادتى — علىّ أن أقرر فى النهاية أن التفسير الروحى هو النظرية الوحيدة التى بمقدورها أن تفسر جميع نتائج هذه البحوث » .

ألم أقل إن هؤلاء العلماء بدأو بحوثهم منكرين تماماً للحياة بعد الموت وظلوا منكرين طويلا بإصرار وعناد ؟ . . . وهذا الإنكار هو الذى دفعهم إلى مواصلة التجريب لمدى سنين عديدة قبل إعلان رأيهم ، لأن الإنسان المقتنع أو سريع الاقتناع لا يجد فى نفسه الحاجة — ولا القدرة — على التجريب

---

(١) أى عن غير الطريق التوالد ، وبعبارة أخرى أن الكائنات الحية — ولو كانت مجرد فيروسات مثلا — لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها .

(٢) راجع فى الظواهر الشخصية والموضوعية ما سبق فى ص ١٦٠ وبعدها .

التواصل لعشرات من السنين . بل لا يجد الحاجة إلى التجريب الجاد لمدى بضعة شهور ... وهذه ضمانة من أكبر الضمانات التى تضفى قيمة خاصة على نتائج بحوث عالم منكر شديد المراس مثل شارل ريشيه ومن هم من طرازه .

* * *

وكتب ريشيه أيضاً مقدمة لكتاب للأستاذ جوزيف ماكسفل Maxwell نائب الجمهورية بمحكمة استئناف بوردو Bordeaux (وهو يقابل فى بلادنا منصب المحامى العام) عن «الظواهر الروحية »[1] قائلا : «يجب على الإنسان مع احترامه العظيم للعلم العصرى أن يعتقد بقوة أن هذا العلم العصرى مهما بلغ من الصحة فهو لا يزال ناقصاً نقصاً هائلا ... إن حواسنا من القصور والنقص على حال يكاد معها يفلت من شعورها الوجود كل الإفلات . فالقوة المغناطيسية العظيمة لم تعرف إلا عرضاً ، وإذا لم يوضع الحديد بجانب حجر المغناطيس اتفاقاً لكنا جهلنا دائماً أن المغناطيس يجذب الحديد . وما كان أحد منذ عشر سنين يحلم بوجود أشعة رنتجن . وقبل اكتشاف الكاميرا كان لا يدرى إنسان تأثير الضوء فى أملاح الفضة . ولم تكتشف الأمواج المرتزية إلا منذ ثلاثين سنة ، ومنذ مائتى عام كان لا يعرف عن هذه القوة الكهربائية العظيمة إلا خاصية جذب الكهرمان إذا ما دلك بالصوف .

إذا سألنا رجلا بدائياً ، بل لو سألنا فلاحاً مصرياً ، أو قروياً روسياً ، عما يعلمه عن قوى الطبيعة لوجدنا أنه لا يدرى منها عشر ما تسرده الكتب الابتدائية لهذا العلم فى سنة ١٩٠٣ . ويظهر لى أن علماء هذا العصر سيكونون حيال علماء القرون المقبلة فى مثل موقف قروى اليوم إزاء أساتذة الكوليج دى فرانس» .

---

(١) Les Phenomènes Psychiques : Recherches, Observations, Méthodes (Alcan).

وله عدة مؤلفات أخرى منها La Divination (١٩٢٧) ، و La Mage (١٩٢٨) ، و Les Tarots (١٩٣٣) .

إلى أن يقول : « لماذا لا نصرخ بصوت جهورى بأن كل هذا العلم الذى نفخر به إلى هذا الحد ليس فى حقيقته سوى إدراك لظواهر الأشياء ؟ أما حقائقها فتفلت منا ولا تقع تحت مداركنا . والطبيعة الصحيحة للنواميس التى تقود المادة الحية أو الخامدة تتعالى عن أن تلم بها عقولنا . .

« إننا نعيش فى وسط ظواهر تتوالى من حولنا ، ولم نفهم سر واحدة منها فهماً يليق بدرجتها . حتى أن أكثرها سذاجة لا يزال سراً من الأسرار المحجوبة كل الاحتجاب . فما معنى اتحاد الأيدروجين بالأوكسيجين ؟ ومن الذى استطاع أن يفهم ولو مرة وحدة معنى هذا الاتحاد وهو يفضى إلى إبطال خواص الجسمين المتحدين وإيجاد جسم ثالث مخالف للأولين كل المخالفة ؟ ! ! . إن العلماء لم يتفقوا حتى الآن على طبيعة الذرة المادية التى توصف بأنها غير قابلة للوزن ، وهى مع ذلك تصبح قابلة له متى اجتمع عدد كبير منها .

« فالأولى بالعالم الصحيح أن يكون متواضعاً وجريئاً فى آن واحد . متواضعاً لأن علومنا ضئيلة ، وجريئاً لأن مجال العوالم المجهولة مفتوح أمامه » . ثم اختتم مقدمته قائلا « فالويل للعلماء الذين يظنون أن كتاب الطبيعة قد أغلق وأنه لا يوجد شىء جديد يحسن تفهيمه للإنسان الضعيف » . . . وكل ذلك فى مقدمة لكتاب عن « الظواهر الروحية » .

الفصل الثالث

من تجارب إرنستو بوزانو وبحوثه

يعد العالم الإيطالى إرنستو بوزانو Ernesto Bozzano (١٨٦٢—١٩٤٥) من أحسن العلماء النفسيين الذين واصلوا بحوثهم بدقة ولسنين طويلة ، قبل أن ينحازوا للنظرية الروحية . وقد كان بوزانو أستاذاً معروفاً لعلم النفس بعدة جامعات إيطالية، وبدأ بحوثه منذ سنة ١٨٩١ واشترك معه فيها عدد من العلماء مثل تيودور ريبو Theodore Ribot، وموروسيلى Morselli، وبورو Porro ، وانضم بعدها إلى الروحية العلمية الحديثة . وكان بعد انضمامه لها مقتنعاً بها



إرنستو بوزانو

إلى الحد الذى دفعه إلى أن يكتب فيها فى عمق وتدفق إلى أن انتقل إلى عالم الروح حتى لقد بلغ ما كتبه فيها أربعة وعشرين مؤلفاً[1] ، ومئات من المقالات التى ظلت تظهر بغير انقطاع فى المجلات الروحية الإيطالية، مثل جريدة النور والظلام Luce & Ombra ، والفرنسية مثل «الجريدة الروحية» La Revue Spirite ،

---

(١) من مؤلفاته التى ترجمت إلى الفرنسية :—

Phénomènes De Hantise.
Phenomènes Psychiques Au Moment De La Mort.
Les Manifestations Métapsychiqus Et Les Animaux.
Des Manifestations Supranormales chez Les Peuples Sauvages.
Les Enigmes De La Psychometrie, Et Les Phénomènes De Télékinésie.

والانكليزية مثل مجلة « العلم الروحى » التى تصدرها « الكلية البريطانية للعلم الروحى » .

ومؤلفات بوزانو زاخرة بالتجارب العلمية المدروسة ، وكذلك مقالاته . وقد ظلت هذه وتلك تتوالى بغير انقطاع منذ حوالى سنة ١٩١٠ حينما أعلن صحة هذا الموضوع واقتناعه به ، إلى تاريخ انتقاله إلى عالم الروح فى سنة ١٩٤٥ أى لمدة خمسة وثلاثين عاماً .

وقد لخص رأيه فى عبارات صريحة حاسمة نرجو أن يتأملها ملياً المعارض المتسرع الذى قد يتصور أن الموضوع كله عبارة عن محض مساجلات كلامية ، عندما قال « لو أن أى إنسان بدلا من أن يضل طريقه فى بيداء مناقشات مملة أقبل على البحوث الروحية ، وواظب عليها لمدى سنين طويلة جامعاً قدراً كبيراً من الوقائع كيما يخضعها إلى طرق التحقيق العلمى ، لانتهى حتماً إلى الاقتناع بأن الظواهر الفوق العادية تكون مزيجاً رائعاً من الأدلة الحيوية والروحية ، التى تشير كلها إلى ثبوت وجود حياة للنفس الإنسانية بعد الموت ثبوتاً علمياً كأشد ما يدل عليه اللفظ . هذا هو اقتناعى الثابت . ولست أشك فى أن الزمن كفيل بإظهار أنى على صواب[1] » .

وقد بدأ بوزانو بحوثه مؤمناً بالفلسفة الوضعية لا النظرية . ومتحمساً — مثل الفيلسوف الفرنسى برجسون — لمذهب التطور المادى كما وضعه الفيلسوف البريطانى هربرت سبنسر Herbert Spencer (١٨٢٠ — ١٩٠٣) ، وذلك قبل أن يصل « على أســــاس من الوقائع إلى اليقين العلمى ببقاء الإنسان بعد الموت » على حد قوله . . . فهل ينبغى أن تهدر بسهولة شهادة من عالم فى مستوى بوزانو إذا كانت تتضمن ثمرة تجريب دام لأكثر من ثلاثين عاماً ؟ . . . وهل ترجحها أقوال قد يلقيها جزافاً أى أديب أو متأدب

---

(١) عن « المجلة الروحية » الفرنسية عدد فبراير ١٩٣٩ ص ٤٦ .

يتصور أنه كلما ازداد عنفاً فى هجومه كلما كان أقرب إلى تقويض عمد هذا البنيان الشامخ من بحوث — علمية هادئة رزينة — دامت لمدة نيف ومائة عام — حتى الآن — وتكشفت — كلها — عن نتائج إيجابية من علماء من الطراز الذى أشرنا إليه فى صفحات هذا المؤلف ؟ وذلك فى أغلب بلاد العالم ؟ وفى نفس البيئات التى تدين لها الحضارة العلمية المعاصرة بالكثير ! نترك الجواب للقارىء لا لنا . .

* * *

وفى خطاب أرسله الدكتور شارل ريشيه ، الذى تحدثنا عنه فى الفصل السابق ، قبل وفاته بشهور قليلة إلى إرنستو بوزانو ، ونشرته جريدة « الأنباء الروحية » اللندنية ، كما نشره الأستاذ بول ميللر Paul Miller فى مؤلفه « العلم فى حجرة الجلسات الروحية » الذى ظهر فى أواخر سنة ١٩٤٥ ، يقول ريشيه :

« صديقى العزيز وزميلى الفاضل . . . إننى متفق معك تماماً ، وما كان لى أن أصدق ذلك التفسير البسيط القائل بأن أحداث حياتنا وتسلسل وجودنا أمور ترجع كلها إلى المصادفة وحدها ، وهذا رغم العجز عن إثباته . هناك قضاء وقدر ، أى قوة ترشدنا وتقودنا حيث تشاء بطرق غريبة مبهمة . » إلى أن يقول : « والآن فلأسر إليك أن ما قررته أنت صحيح، وأن مالم يستطعه مايرز ، وهودجسون ، وهايسلوب ، وسير أوليفر لودج قد استطعت أنت أن تصل إليه برسائلك الممتعة التى يختص كل منها بموضوع واحد . تلك الرسائل التى قرأتها بحماس يكاد يشبه الحماس الدينى ، فهى تتباين تبايناً غريباً مع تلك النظريات المكدرة التى تعمى علومنا وتبهمها ... » .

* * *

ومن التجارب التى ساهم فيها بوزانو نقدم هذا التعليق الذى نشرته له مجلة « لايت » Light بتاريخ ١٠ من مارس سنة ١٩٢٨ ونقلته عنها مجلة « العلم

الروحى»[1] — التى تصدرها « الـكلية البريطانية للعلم الروحى » B. C. P. S والذى نلخصه هنا فى هذه الصفحات القليلة عما دار فى عدة جلسات عقد بعضها فى قلعة تاريخية تملـكها عائلة من النبـلاء الإيطاليين تسمى قلعة ملليزيمو Millesimo Castle ، وقد تم فيها كثير من الظواهر الروحية الناجحة بالنظر إلى تعدد الوسطاء الموهوبين . وقد حضرها غير صاحب التعليق كل من :

— المركيزة لويزاسنتريونى سكوتو ، وهى وسيطة روحية .

— المركيز كارلو سنتريونى سكوتو وهو وسيط للصوت المباشر ، فضلا عن أنه محام ، ونائب سابق ، وصاحب القصر التاريخى .

— السيدة فابين رومى F. Rossi ، وهى فرنسية الأصل ، ووسيطة للمجاوبات الروحية .

— السنيور باولو رومى P. Rossi وهو وسيطروحى ومن رجال الأعمال.

— البروفسور تيليو كاستلانى وهو أستاذ للاقتصاد السياسى ومحام .

— البروفسور جليدو باسينى G. Passini وهو أديب ، وعالم فى الأدبين الفرنسى والإغريقى .

— السيدة جوندولين كيلى هاك ، وهى فنانة أمريكية ووسيطة للـكتابة التلقائية والجلاء السمعى .

وها هو تلخيص أهم الظواهر التى نجمت عن اجتماع عدة وسطاء أقوياء — تنوعت مواهبهم الوساطية — فى مكان واحد فى وقت واحد : —

١ — اتصال بأرواح متعـددة لبعض « المنتقلين » من أقارب الموجودين ، ومع بعض الشخصيات التاريخية مثل رابليه Rabelais ، وفيكتور هيجو ، ونابليون ، وجنرالين أسبانيين هما نافارا Navarra ، وجريتا Guerrita .

---

(١) عدد يناير ١٩٢٩ ص ٢٧٢ — ٣٣٠ . Psychic Science.
Quarterly Transactions Of The British College Of Psychic Science.

٢ — ظهور آلة موسيقية تسمى الفلكساتون Flex - a-tone أخذت تجوب جو الغرفة ، وهى تعزف ألحاناً شجية متسقة مع الأنغام التى كانت تنبعث من الجراموفون عند بدء الجلسة[١] .

٣ — إحضار مجلوبات روحية مختلفة بعضها مجهول المصدر ، وبعضها من غرف مختلفة بالقصر رغم إغلاقها إغلاقاً محكماً ، مثل صور ، وأزهار ، وسيفين ضخمين أحضرت أحدهما روح الجنرال نافارا ، وثانيهما روح الجنرال جريتا ، فضلا عن قرط ذهبى ثمين أحضرته روح كهدية لإحدى الحاضرات وظل مجهول المصدر[٢] .

٤ — تنبؤ بالمستقبل عن مرض أحد أقارب الأسرة بعد يومين ثم وفاته فى هذا المرض ، وقد تحققت النبوءة بحذافيرها .

٥ — حديث بالصوت المباشر بلغات لا يتكلمها الحاضرون .

٦ — تجسدات لبعض أجزاء الجسم من أيد وأقدام كانت تلمس الموجودين[٣] .

وقد تناول بوزانو بحث هذه الظواهر من ناحية القول بمدى إمكان تعليلها بنظرية العقل الباطن مفنداً إمكان هـذا التعليل ، وقائلا : « لعل مما لاحظه القراء أن الأصوات المباشرة التى سمعناها أثناء تجارب قلعة ملليزيمو لم تحدث كلها بطريق البوق[٤] ، لأنه كثيراً ما كان يدوى صوت قوى من أبعد أركان السقف ، أو من أرض الحجرة وسط الحلقة ، كما لو كان منبعثاً من قبر . فقد كان يتكرر فى تجارب ملليزيمو نفس النوع من ظواهر الصوت المباشر التى كانت تحدث فى جلسات برادلى Bradley مع الوسيط فاليانتين Valiantine ، وكانت لا تقل عن أحسن ما كان يحدث فى هذه الجلسات

(١) راجع ظواهر مماثلة فيما سبق فى ص ٣١٢ ، ٤٥٩ ، ٤٦٤ .
(٢) راجع ظواهر مماثلة فيما سبق فى ص ١٦٧ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ .
(٣) راجع ظواهر مماثلة فيماسبق فى ص ١٧٩ — ١٩٥ ، ٤٦١ .
(٤) راجع ظواهر مماثلة فيما سبق فى ص ١٦٦ ، ٢٣٧ .

الأخيرة ، وهو ما لاحظه أيضاً المركيز سنتريونى ، والأستاذ روسى اللذان حضرا بعض جلسات فاليانتين فى لندن ، فقد كان صوت برت إيفيرت Bert Everett الروح الإنجليزية المرشدة يدوى فى جلسات ملليزيمو بنفس القوة التى كان يدوى بها فى لندن .

كما كان صوت مرشدنا المحترم دانجلو D Angelo طبيعياً وواضحاً كصوت إنسان حى . وكذلك كانت أصوات الجنرال نافارا، وأسابيا بلادينو ، وجريتا، ووالدة السيدة المركيزة، ورابابيه . وقد كان صوت ابنة السيدة المركيزة ضعيفاً ولكن مفهوماً ، حين كان صوت والدتى ضعيفاً بلا رنين وصعب الفهم. وهنا ينبغى أن أقرر أن مجرد ملاحظة كيفية تتابع الأصوات المباشرة فى جلسة واحدة بحيث كان يختلف بعضها عن البعض الأخر اختلافاً كلياً، وتنوعها بشكل بيّن من ناحية قدرتها على التعبير بوضوح يكفى لأن يكوّن – إذا ما أضيف إلى بعض حقائق الجلسة الأخرى – برهاناً صحيحاً عن المصدر الخارجى أو الروحى لهذه الأصوات.

وإن تنوع الأصوات ليتفق بشكل واضح مع ما نفترضه من أننا كنا فى حضور شخصيات هؤلاء الموتى ، لأن هذه الشخصيات توجد بينها يقيناً فروق فنية وعقلية مختلفة حسبما تكون قد وصلت إليه من التطور فى المناطق الروحية المتعاقبة (فالأرواح الأقل تطوراً أسهل تعاقباً من الأرواح الأكثر تطوراً) . كما ينبغى ألا ننسى أنها جميعا تحتاج إلى مران على استعمال السيال الروحى قبل أن تتمكن من مخاطبتنا بوضوح ، ولذا كانت الأرواح المرشدة –وهى فى حالة من المران المستمر– تتصل بنا فى كل جلسة بأصوات طبيعية تماماً وواضحة كأصوات الأحياء.

وهنا يهمنى أن أسجل الخطورة النظرية لهذه الحقائق المركبة ، وكيف أن النظرية الروحية قادرة على تفسيرها حين تعجز عن ذلك نظرية «تشخيصات العقل الباطن» The Sub-Conscious impersonation . إذ طبقاً لهذه النظرية تكون

شخصية الوسيط الذى فى حالة يقظة نومية[1] somnambulistic personality هى التى تجسد خلال الإيحاء الصادر لها أو إيحائها الذاتى لنفسها suggestion or auto suggestion أفكار الحاضرين ورغباتهم .

فلعل من يظن أنه فى حالتنا أيضا كانت هذه الشخصية الباطنة أو تلك التى فى حالة حركة التنويم المغناطيسى تقوم بتقليد أساليب المخاطبة المتعددة هذه أو بإتمامها لمحض الرغبة فى خداع الحاضرين ! . . ولكن الذين حضروا جلسة كهذه لاحظوا كيف أن المخاطبة كانت طبيعية ، وكيف أن بعض الشخصيات التى لاقت صعوبات فى التعبير عن نفسها كان يجاهد المرة بعد الأخرى حتى نفهمه ــ نقول إن أولئك الذين حضروا جلسة كهذه سيحتجون وسيرفضون بشدة . أو يبتسمون فى سخرية ــ إذا ما أخذ بعض المتشككين الذى لم يشاهد مطلقاً ظواهر كهذه فى المجادلة فى الحقائق . أما إذا غلبنا مهزلة العقل الباطن هنا فإننا سنجد أنفسنا إزاء ظاهرة من ظواهر التنويم الذاتى المتيقظ auto - somnambulistic أية كانت درجة صحتها من الناحية العلمية ، لكن علينا حينئذ أن نفترض أن فى عقل الإنسان الباطن قوة عليا عاقلة ، بل شخصية واعية ، وأيضاً أخرى شيطانية ، بل مؤذية حقاً .

وإن افتراضاً كهذا ليبدو فجاً وسخيفاً ، فضلا عن أن حقائق التنويم المغناطيسى تكذبه ، لأن هذه قد أظهرت أن ما يسمى بالنماذج الموضوعية objective types التى يخلقها الإيحاء فى نفوس المنوَّمين تنويماً مغناطيسياً إنما هى أشياء جامدة ليس لديها ابتكار خاص وقوة إرادية أو فكرية ، وتقوم بدورها فى التمثيلية مقيدة بإرادة المنوِّم . أو بعبارة أخرى إن هذه النماذج

---

(١) يشير بوزانو إلى الحالة الرابعة من التنويم المغناطيسى التى اكتشفها الدكتور برنارد منذ سنة ١٨٨٤ والتى فيها يكون المنوَّم واقعاً تحت تأثير المنوِّم لكنه يبقى مع ذلك شاعراً بما حوله ، محتفظاً بذكرى ما قد يحدث له فى حالة اليقظة النومية الحركية .
Somnambulistic stage.

لا تحدث إلا بدافع الإيحاء حين لا تحدث مطلقاً فى حالة هذه الشخصيات الواعيةالتى تجىء وتذهب كما يحلو لها ، كاشفة أسراراً مجهولةمن جميع الحاضرين، متحدثة إليهم بلغات مجهولة من الوسيط — بل وأحياناً منهم — قارئة أفكارهم ، لاعبة بحذق على آلات موسيقية لا يعرف أحد من الحاضرين عنها شيئاً ، محضرة مجلوبات رائعة ، موقعة بأسمائها بكتابتها المباشرة ، وصانعة غير ذلك الكثير .

وإنى أعتقد أن فى ذلك ما يسمح لى بأن أقرر بأنه رغم البحوث النظرية التى تشيرإلى أن شخصية هذه الأرواح لم تثبت بعد ـ وبغير خوف من خطأ ـ أن ما يسمونه « بتشخيصات العقل الباطن » التى تحدث للمنوَّم مغناطيسياً لا تربطها أية صلة بالشخصيات التى تظهر نفسها فى حضور الوسيط عن طريق الصوت المباشر . فإنه فى بعض الأحوال تكون الشخصيات التى تتصل بنا قادرة بغير شك على أن تثبت شخصيتها بالكشف عن حوادث حدثت لها خلال حياتها الأرضية مجهولة من الوسيط والحاضرين .

فإذا ما أضيف إلى ذلك البينة المستمدة من التعرف على صوتها، وعلى أسلوبها الخاص فى الحديث بنفس الطريقة ، وبنفس الخلال والآراء والسجايا التى عرفت بها خلال حياتها الأرضية ، لكان من نافلة القول بعدئذ أن نضيع الوقت فى إثبات شخصية الروح لأنصار نظرية « تشخيصات العقل الباطن » التى ليس فى جانبها أدنى دليل، حين يمكننا من جانبنا أن نستند إلى مجموعة طيبة من البينات التى تشير كلها إلى حقيقة واحدة رئيسية، وهى بقاء شخصية الإنسان بعد الموت.

أما من الناحية العلمية البحت ، فلو أنه لم تكن هناك حالة كاملة فى هاتين الجلستين لإثبات شخصية أحد الأموات ـ وهو ما لم يكن منه مفر لأن اليقين العلمى التام لا يقوم إلا من مجموعة براهين ، ولا يحدث إلا فى سلسلة متتابعة من الجلسات كما حدث فى جلسات دنيز برادلى

Dennis Bradley — إلا أن ذلك لا ينفى إمكان القول بأن أسابيا بلادينو والجنرالين جريتا ونافارا أعطونا براهين كاملة تثبت وجودهم بالغرفة حقيقة .

ففى هاتين الجلستين حدثت عدة ظواهر مادية وهى ، ولو أنها لم تثبت شخصية أحد منهم ، إلا أنها تثبت بغير شك وجود كائنات روحية أجنبية عن جميع الأشخاص الموجودين بالغرفة ، وهو ما يؤدى من الناحية النظرية إلى نفس النتيجة . ويكفينى أن أشير إلى الألحان الجميلة التى كانت تنبعث من آلة الفلكساتون ، إذ ماذا يعنى ذلك ؟!... فلم يكن أحد من الموجودين يعرف شيئاً عن العزف على الآلة الصغيرة ، فمن الذى كان يعزف عليها إذن ؟ جوابان فقط ممكنان على هذا السؤال : إما أن يكون العازف هو العقل الباطن، وإما أن يكون مصدراً روحياً .

منذ عهد غير بعيد حدثت ظاهرة تختلف بعض الشىء عن هذه فى جلسات الوسيط فاليانتين عند ما تخاطبت روح صينى قديم بلغتها الأصلية وأعطت قراءة صحيحة لشعرها الذى حرفه الناقلون فجعلوه غير مفهوم . وكان أحد أعداء الروحية وناقديها موجوداً فقال إنه يعتقد أن هذه ظاهرة تفسيرها من اليسر بمكان ، لأن عقل الوسيط الباطن انتقل إلى الصين باحثاً عن طالب يجيد قراءة هذا النوع الخاص من الشعر ، ثم عاد إلى لندن فى أقل من لمح البصر حيث أدلى بما حصل عليه من معلومات — طازجة وساخنة — إلى الحاضرين ، وكل ذلك قد تم بقصد طيب أو خبيث وهو خداع المجربين ! !

وطبقاً لهذه النظرية يكون العقل الباطن لأحد وسطائنا قد طار إلى شمال أمريكا حيث بحث عن لاعب خبير على الفلسكاتون . فاختطف منه موهبته الموسيقية — كما يختطف لص حافظة نقود — وعاد بها إلى الجلسة . وكل ذلك لنفس الغاية الجميلة أو القبيحة وهى خداعنا. هذا هو التعليل الوحيد الذى يمكن لأنصار نظرية العقل الباطن أن يتعلقوا بأهدابه .

إلا أن منطقى لا يسمح لى البتة أن أصدق أن الشخصية الباطنة للوسيط يمكنها أن تعزف بمهارة فائقة على آلة لا يعرف عنها هو — ولا أى واحد من الحاضرين — شيئاً . فلا يكون أمامى إلا أن أقبل التفسير الآخر الأقرب إلى التصور وإلى المعقول ، وقد قدمه لنا دانجلو D'Angelo الروح المرشد ، وهو أن أمريكياً من أهل الشمال كان فى حياته الأرضية عازفاً خبيراً على الساكسفون ، هو الذى عزف لنا على آلة الفلكساتون . وتجلت هذه الروح خلال الوسيط فاليانتين فى لندن ، ثم فى جلسات ملبزيمو فى إيطاليا . هذا هو رأيى، وإنى أتحدى باسم المنطق والعقل السليم كائناً من كان أن يثبت خطأ هذا الرأى .

أنتقل بعدئذ إلى شخصية رابليه Rabelais التى تجلت خلال الوساطة، وهى بحاجة أكثر من غيرها إلى تعقيب وتوضيح ، فالبروفسور جليدو باسينى Glido Passini أحد الحاضرين حجة فى تعرف عبقرية هذا المؤلف الفرنسى المعروف ،وقد قام بترجمةمؤلفاته إلى الإيطالية . وإن الذين يقبلون النظرية الروحية يصبح من السهل عليهم القول بأن باسينى — وقد درس خصائص أدب المؤلف المذكور بعناية وتقدير له لمدى سنوات طوال — قد أنشأ صلة روحية بين شخصية عقله الباطن وروح رابليه (إذ ينبغى ألا ننسى أن الفكر يملك قدرة على الانتقال أقوى من القوة المادية التى تنبعث من الإرسال اللاسلكى) .

فالقوة التى مكنت رابليه من الاتصال بباسينى كانت هى هذه الرابطة الروحية، وهى التى مكنت الأول من معرفة ما كان يجرى فى حياة هذا الأخير . وذلك يفسر إذن وجود روح رابليه فى هذه الجلسات التى حضرها باسينى ، وعلىّ هنا أن أشير إلى أنه عند ما اتصل بنا رابليه لأول مرة أخبره باسينى أنه قام بترجمة مؤلفاته إلى اللغة الإيطالية فأجابه رابليه « نعم أعلم ذلك » .

فإذا نظرنا إلى هذه الحقائق من وجهة نظر خصومنا فإنهم سيرجعون كل ما أظهره المتوفى إلى « تشخيصات العقل الباطن » . هذا ممكن بلا شك ، لكنه من الناحية الأخرى أبعد ما يكون عن أن يصلح حجة لدعواهم ، لأن ذلك مما يمكن به أيضاً وبغير نزاع تفسير الحقائق من وجهة النظر الروحية . فإنني أوافق تماماً على أن نظرية «تشخيصات العقل الباطن» تستمد وجودها من أنه قد أمكن بوسائل التنويم المغناطيسي خلق نماذج موضوعية objectivation of types لكن لا صلة بينها وبين الشخصيات الوساطية الحقيقية .

فإذا أسارع إلى القول بأن ثمة حقيقة هامة جديرة بالتسجيل ، ولا يمكن التوفيق بينها وبين نظرية « تشخيصات العقل الباطن» ، بل تستوجب استبعاد حالتنا من الحالات التي يجوز فيها تطبيق هذا التفسير . وهي أن الماركيز سنتريوني سكوتو قام بعبء البحث الروحي وذهب إلى لندن لحضور جلسة مع الوسيط فاليانتين ، كيما يحاول الاتصال بروح ابن عزيز فقده ونجح في ذلك هناك ، أما الآن بعد أن أصبح قادراً على الحصول على وساطة الصوت المباشر بنفسه وفي منزله الخاص ؛ وحيث لم تكن عنده وعند زوجته سوى فكرة واحدة هي محاولة الاتصال بهذا الابن ، فلم يحاول ابنهما مع ذلك الاتصال بهما ولا مرة واحدة في سلسلة من الجلسات التي عقداها في منزلهما .

وهذه الحقيقة سهل تفسيرها من الناحية الروحية بأن الأرواح ليست دائماً تحت تصرفنا ، لكن لا يمكن مع ذلك التوفيق بينها وبين نظرية « التشخيصات الباطنة » ، لأنه تبعاً لهذه النظرية تكون جميع الشخصيات الروحية التي تتجلى عن طريق الوسيط محض خداع خلقته أفكار الحاضرين ورغباتهم ، ورغم ذلك فلم يقم الابن ولا مرة واحدة بالاتصال بهما مع ما سببه ذلك من خيبة أمل لدى والديه .

يتعين علينا بعدئذ أن نناقش ظاهرة المجاوبات الروحية ، وجدير بالذكر

أن نلاحظ أن الظواهر الثلاث الهامة منها لم تكن حوادث مستقلة ، بل حدثت كجزء لا يتجزأ من عملية إظهار ثلاثة من أرواح الموتى لشخصياتها ، لأنه فى حالتين منها لجأت هذه الأرواح إليها كيما تثبت وجودها الحالى ، حين كانت الأخيرة بمناسبة الإجابة عن سؤال وجهته إحدى الحاضرات ، وهى تستحق تعليقاً خاصاً لخطورتها القصوى من الناحية النظرية .

ذلك أن السيدة المركيزة — عندما أثقلت كاهلها نبوءة عن قرب وفاة أحد أقاربها — توسلت إلى الروح المخاطبة ألا تتركها نهباً لشك رهيب ، وأن تذكر لها اسم ذلك القريب الذى تنبأت بقرب وفاته فأجابتها الروح قائلة « سأحضر لك صورته » ، وبعد ذلك مباشرة سقطت صورة فوتوغرافية لهذا القريب — داخل إطار — عند قدمى المركيزة .

والخطورة القصوى من الناحية النظرية تنحصر فى أن هذا المجلوب كان نتيجة لنبوءة عن وفاة ، ولسؤال خطر لدى المركيزة عفو الساعة ، وذلك كاف وحده لأن يقلب رأساً على عقب هذه التفسيرات للملة الجاهلة التى تقول بأن الروحية « تدليس عالى » . ففى هذه الحالة كان على الوسيط المدلس المزعوم أن يتنبأ بأن قريباً لعائلة سنتريونى سكوتو سيصاب بعد يومين بمرض ثم يتوفى (وهو ما تحقق) وأن السيدة المركيزة ستبادره بسؤال كهذا الذى صدر منها كيما يعد مقدماً مجلوبه الزائف المثير .

فما دامت رؤية المستقبل فوق مقدور القوى العادية للوسيط المدلس فلا يكون هناك أحد قد تمكن فى هذه الحالة من إعداد ظاهرة زائفة ، وذلك لأنها كانت نتيجة لظروف غير متوقعة . وتبعاً لذلك أنه ما دام قد تحقق لنا — بطريق اليقين — صدق هذه الحالة فلا يمكن منطقياً أن يكون لدينا أى شك فى صدق الاثنتين الأخريين ، نظراً لأن المجلوبات الروحية الثلاثة قد تمت على نفس النمط .

أما فيما يتعلق بالحديث بلغات لا يفهمها الوسيط فلا يمكن مقارنتها بنظائرها التى حدثت فى جلسات الوسيط برادلى . لكن إذا ما راعينا أننا حصلنا عليها فى جلستين فقط لتبين كيف أننا حصلنا على ما فيه الكفاية ، فقد تحدثت إلينا أصوات باللغات الانجليزية ، والفرنسية ، والأسبانية ، واللاتينية . فإذا استبعدنا الانجليزية التى كانت لمجرد التحية ، والفرنسية التى كنا نعرفها جميعاً ، تبقت بعد ذلك اللغتان الأسبانية واللاتينية .

ففيما يتعلق بالأسبانية لم يكن أحد منا يعرفها ، بل كنا كإيطاليين قادرين على أن نفهمها بدرجات متفاوتة فى وضوحها ، لكن ذلك لا يعنى أن أحداً كان قادراً على الكلام بها . أما اللاتينية فلم يكن يعرفها غير الأستاذ باسينى ، ومع ذلك فالقول بأن الصوت المتحدث المباشر قد دلف إلى عقله الباطن كيما يستخرج منه اللاتينية إنما هو فرض لا يقوى على مواجهة الحقائق كما أظهرتها فى مقدمتى للترجمة الإيطالية لكتاب « حكمة الآلهة » .

وعلىّ أن أضيف الآن إلى الأمثلة الفنية واللغوية التى أشرت إليها فيها مثلا آخر مما يحدث فى حالة التنويم المغناطيسى واليقظة النومية hypnotic & somnambulistic order ، وهو أنه إذا كانت الأصوات المباشرة التى تتحدث بطلاقة بلغة مجهولة من الوسيط يمكن تفسيرها بقوى العقل الباطن — أى بأن هذه الأصوات استخرجت ما تحتاج إليه من معلومات لغوية من عقول الحاضرين الباطنة — فحينئذ يتعين علينا أن نجد أمثلة متشابهة لذلك فى حالات التنويم المغناطيسى واليقظة النومية ، وبالأخص عندما يكون المنوَّم قادراً على الجلاء البصرى تحت تأثير التنويم . وبالتالى أن يتمكن هذا الأخير فى حضور طبيب أو أكثر من أن يصف بدقة الأعضاء الداخلية له أو لأحد الموجودين ، وكذلك ما قد يشكو منه من أمراض وأن يعبر عن ذلك — فى بعض الأوقات بالأقل — بألفاظ طبية فنية يكون قد استخرجها من عقل الطبيب المنوم

medico - hypnotiser ومن قد يكون على صلة روحية بهم . لكن هذه الظاهرة لم يسجلها أحد ، وبدلا منها يصف الشخص المنوَّم الأعضاء الداخلية وحالة المريض الموجود بألفاظ اللغة الدارجة للرجل العادى .

ويستنتج من ذلك أنه ما دام المنوَّم مغناطيسياً عاجزاً عن أن يستعمل عدداً محدوداً من الألفاظ الفنية رغم الصلة الوثيقة التى تربطه بالمنوِّم فهو عاجز من باب أولى عن الحديث بطلاقة بلغة مجهولة منه ، وهى نتيجة مبنية على حقيقة لا جدال فيها تثبت وجود كائن خارجى أو بتعبير أدق وجود روح .

وأخيراً أعتقد أنى كنت قادراً على إثبات أنه فى هاتين الجلستين نهضت حقيقتان واضحتان : أولاهما أن ظاهرة الصوت المباشر ، ولو أنها ليست وحدها الظاهرة الحقيقية ، إلا أنها أكثر الظواهر تأثيراً فى إقناع أشد المتشككين . والثانية أنى خرجت من هذه الجلسات بقرائن قوية جداً على صدق ماتؤكده نفس هذه الأرواح من أنها هى بذاتها أرواح الموتى التى تتصل بالحاضرين عن طريق الصوت المباشر .

وقصارى القول أن جميع ما مضى من حقائق يشير إلى النتائج الآتية :

أولاً : أن هذه الأصوات التى يتابع بعضها البعض الآخر بسرعة فى الجلسة الواحدة ، ويختلف بعضها عن البعض الآخر بدرجة قوية ، وتظهر فيا بينها تبايناً قوياً فى قدرتها على التعبير عن نفسها بوضوح يمكن تعليلها بالنظرية الروحية ، حين تعجز عن ذلك تماماً نظرية « تشخيصات العقل الباطن » .

وثانياً : أن نفس النتيجة يمكن استخلاصها من الأصوات التى تتحدث بلغات مجهوله من الوسيط .

وثالثاً : يمكن استنتاج نفس النتيجة من ظاهرة اللعب الرائع على آلة الفلكساتون الصغيرة التى كانت تتابع موسيقى الجراموفون بقدرة موسيقى متمكن . وبما أن أحداً منا لم يكن يعرف شيئاً عن استعمال هذه الآلة فلابد من افتراض وجود لاعب غير منظور منا هو يقيناً ليس أحد الجالسين .

ورابعاً : أن نفس النتيجة تفرض نفسها علينا أيضاً من الحديث الذى قمت به مع روح أسابيا بلادينو (الوسيطة الأسبانية التى كانت آنذاك قدغادرت عالم المادة)[1] ، التى كانت تتحدث بنفس نغمة الصوت التى كانت تستعملها حال حياتها ، وبنفس اللهجة والمميزات الصغيرة التى لا يمكن تقليدها ، والتى كانت تتميز بها صلاتها الشخصية بى ، وذلك غير الحديث عن المحاورات الروحية التى حصلنا عليها ،والتى تحتم علينا اعتقاداً كهذا ، والتى تشير إلى حقيقة حضور أرواح الموتى بيننا ، وأن أحدها كان قادراً على التنبؤ بقرب حدوث وفاة .

وبالمقارنة بين ما تقدم وبين حقائق الروحية الأخرى ، كتجسد الأيدى والأقدام ، ورفع الأجسام الثقيلة ونقلها عن بعد ، والحصول على التوقيع بواسطة الكتابة المباشرة ، نجد أن هذه الأخيرة مهمة ، لكن أهميتها تضعف إزاء هذه الظاهرة الأهم ، وهى ظاهرة الصوت المباشر ، ولو أنها كلها تدعم بعضها البعض فى إظهار هذه القوة غير المحدودة التى نتجت عن تعاون عدد من الوسطاء مجتمعين معاً . وهى تبين أيضاً ما كان يمكن أن يتم لو أمكن الاستمرار فى عقد جلسات كهذه بانتظام . فبوساطة مادية وعقلية كاملة كهذه كان من المؤكد يمكن الإجابة على كثير من الأسئلة المحيرة ، والمسائل التى بقيت بلا حل حتى الآن فى نطاق العلم الروحى ، وهو مالم يتم للأسف لاضطرار السيد رومى وقرينته إلى العودة إلى منزلهما بلندن .

* * *

وفى الفصل المقبل سنبين كيف أن التعليل بالتلباثى أو بظواهر العقل الباطن ، كما لا يصلح لتفسير الظواهر الروحية عند بوزانو ، لا يصلح لتعليل بعض الظواهر العقلية الصرف ، وسيتضح ذلك جلياً عندما نعرض لبيان « بعض الوقائع التى لها دلالتها » مأخوذة من مضابط « جمعية البحث الروحى » وجريدتها بلندن .

---

(١) راجع ما سبق عنها فى ص ٢٠٥ — ٢١٠ .

الفصل الرابع

وقائع لها دلالتها

عن مضابط « جمعية البحث الروحى » وجريدتها

من الاعتراضات الشائعة التى كثيراً ما يوجهها البعض إلى صحة الظواهر الوساطية ، وإلى دلالتها فى الإنباء عن استمرار حياة الروح بعد موت الجسد الاعتراض بالتلباثى ، أى بانتقال الأفكار من عقل أحد الجلساء إلى عقل الوسيط. وتعليل الظواهر الوساطية بالتلباثى لا يصمد للنقد لاعتبارات كثيرة أوردنا بعضها فى الفصل السابق على لسان عالم النفس إرنستو بوزانو ،ونضيف إليها هنا مايلى :—

أولا : أن ظاهرة التلباثى ، وهى من ظواهر الإدراك عن غير طريق الحواس ، إن كانت تشير إلى أمر له دلالته فى نطاق البحث الروحى فهو إلى استقلال الإدراك عن الحواس المادية ، وهو ما يدحض بذاته النظرية المادية عن الإنسان ، ويشير بذاته إلى « احتمال » بقاء الإدراك بعد تحلل هذه الحواس المادية بالوفاة ، وهو ما يتفق مع النظرية الروحية دون غيرها (١) .

ثانياً : أنه إذا صح علمياً إمكان انتقال الأفكار من عقل إنسان حى إلى عقل إنسان حى آخر بدون أية وسيلة مادية ، وعبر المسافات الشاسعة أحياناً ، فليس ثمة ما يمنع من انتقالها بنفس الكيفية من عقل قد تجرد من جسده المادى إلى عقل إنسان آخر لم يتجرد منه بعد . وهذا هو ما يفسر الكثير من التفوهات الصحيحة لبعض وسطاء الغيبوبة عن أحداث ماضية قد تشير إلى أشخاص منتقلين معينين بالذات . فالتلباثى — على هذا الوضع — يثبت صحة بعض صور الوساطة الروحية ولا ينفيها ، كما قد يثبت إمكان بقاء الوعى بعد انفصاله عن الجسد المادى .

---

(١) راجع رأى الأستاذ ج . ب . راين عن نتائج بحوثه التى سبقت الإشارة إليها فى ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

ثالثاً : أن التلباثى لا يصلح مطلقاً لتعليل عدد ضخم من الظواهر الوساطية المادية ، مثل تجسد الأرواح ، الذى سجله علماء كثيرون ، منهم كروكس فى انجلترا، وريشيه فى فرنسا وغيرهما (على ما وضحناه فى الفصلين الأول والثانى من الباب الحالى) — وظهور صورها وكتاباتها على الألواح الحساسة ، وتحريك الأجسام الصلبة ، والصوت المباشر ، والعلاج الروحى ، والتنبؤات الصحيحة أحياناً عن المستقبل ، والجلوبات والمأخوذات الروحية ، التى سجل حدوثها علماء كثيرون مثل إرنستو بوزانو فى إيطاليا (على ما وضحناه فى الفصل الثالث) — إلى غير ذلك من الظواهر الفيزيقية والعقلية التى تتساند وتتكامل فى إثبات النظرية الروحية بجانب ظاهرة التلباثى ، دون أن يصح القول بأن التلباثى بمفرده يصلح لدحضها كلها ، أو يصلح لتعليلها مجتمعة ، وبالتالى لنفى دلالتها المحتومة فى الإنباء عن بقاء الوعى بعد موت الجسد ، وهذه كلها سنعرض لها تفصيلا فى باقى فصول هذا الباب ، بالإضافة إلى ما أوردناه منها عند الكلام فى أهم الظواهر الوساطية ، وفى بعض الوسطاء المعروفين [1] .

رابعاً : أن هناك عدداً من العلماء والباحثين حصل عن طريق بعض وسطاء التلباثى على معلومات لم يكن يعلمها أحد من الأحياء مطلقاً ، بل تشير إلى شخصيات معينة غادرت عالم المادة منذ زمن بعيد أو قريب، وثبتت صحتها بطرق التحقيق المادى العادية ، والأمثلة على ذلك كثيرة وحققها الباحثون فى أكثر من نطاق لهذا البحث الشاق .

ففى نطاق الأدب الروحى مثلا لم تصمد نظرية التلباثى على النقد العلمى حين صمدت النظرية الروحية . ولخطورة هذا الموضوع بالذات خصصنا له فصلين كاملين فى آخر الباب الحالى . وفى نطاق تحقيق اللغات القديمة والمعلومات التاريخية التى

---

(١) راجع ما سبق فى ص ١٥٩ — ٢٢٢ .

ترجع إلى الماضى السحيق لم تصمد أيضاً نظرية التلباثى حين صمدت النظرية الروحية على النقد [1].

* * *

والمؤلفات التى تدور حول دراسة مدى إمكان تعليل بعض الظواهر الوساطية بالتلباثى كثيرة ، والبحوث شاقة ومتنوعة ، ومنها عدد عالج الموضوع بطريقة علمية منظمة . ونشير على القارىء بعدة مؤلفات: منها بنوع خاص كتاب عنوانه « أصوات من القضاء » [2] (١٩١٩) للسيدة هستر ترافرز سميث Hester Travers Smith ، وقد عالجت فيه موضوع صلة التلباثى بالروحية وانتهت فى تجاربها إلى أن التلباثى ممكن الحدوث بين عقول أحياء ، كما هو ممكن الحدوث بين عقول « أحياء » وعقول « أموات » . وهذه التجارب تم بعضها فى حضور عالم النفس المعروف الدكتور مكدوجال ، والكتاب من تقديم سير وليام باريت عضو « الجمعية الملكية » وعالم الفيزياء .

كما نشير على القارىء ببحوث الدكتور جون هتنجر John Hettinger التى أجراها « بالكلية الملكية بجامعة لندن » التى ضمنها مؤلفاته التى أشرنا إليها فى مناسبة سابقة [3] ، وخصوصاً أحدث مؤلفاته وهو « التلباثى والروحية » (١٩٥٢) .

كما نشير على القارىء أيضا بقــراءة كتاب للأستاذ و . ف . نيش W. F. Neech وعنوانه « لم يكن بمقدور إنسان حى أن يعرف » [4] (١٩٥٥)

---

(١) راجع فى هذا الشأن بوجه خاص مؤلف الدكتور فردريك وود الذى عنوانه « هذه المعجزة المصرية » This Egyptian Miracle (١٩٣٩) ما ورد عنه فى ص ٣٨٦ .
وراجع ما سبق فى ص ٢١٨ ، ٢١٩ عن الوسيط البرازيلى كارلو ميرابللى واللغات المندثرة التى ثبت أنه كان يتكلم بها مع أنه لايعرف منها حرفاً واحداً .

(٢) Voices From The Void.
وراجع بوجه خاص الفصل الرابع منه .

(٣) راجع ما سبق فى ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

(٤) No Living Person Could Have Known.

وهو يتضمن وقائع متعددة وردت عن طريق الوساطة الروحية لم يكن يعرفها أحد من الأحياء — فى أية رقعة من الأرض — وهو ماينفى تماماً إمكان التعليل بالتلباثى . ومن ضمن هذه الوقائع يبين للقارىء كيف أمكن لأرواح رهبان «موتى» منذ مئات من السنين أن توجه توجيهاً صحيحاً حفريات تقوم بها إحدى الهيئات العلمية للبحث عن آثار الدير الذى كانوا يقيمون فيه ، بعد أن اندثرت معالمها تماماً . إلى غير ذلك من شتى البينات التى أوردها المؤلف بتفاصيلها كيما تنفى إمكان تعليل أمثال هذه الظواهر بالتلباثى عن قرب أو عن بعد .

ومنها أيضاً كتاب عنوانه « بينة ذات مغزى » (١) للأستاذ زويه ريتشموند Zoë Richmond (١٩٣٨) وهو يتضمن عدة وقائع مأخوذة من مضابط « جمعية البحث الروحى » بلندن وجريدتها . ويتعذر تعليلها بأية صورة من صور التلباثى ، حين يمكن بسهولة تعليلها ببقاء الوعى الإنسانى بعد موت الجسد المادى ، وباتصاله بعقل الوسيط أو الوسيطة بصورة ما .

وقيمة هذه المضابط ليس فى أمانتها فحسب ، بل أيضا فى قيمة الجمعية التى تصدرها ، والتى تضم صفوة مختارة من علماء المادة والنفس من عدة دول تقوم ببحث هذا الموضوع وتمحيص وقائعه منذ حوالى تسعين عاماً تمحيصاً ناقداً جاداً ، حتى أن أعمال هذه الجمعية تؤسس تدريجياً — وعلى أسس وطيدة — علم النفس الحديث على ما وصفها عدد من العلماء المعاصرين .

وهذه الهيئة لا تبحث — فحسب — موضوع الصلات بين عالمى الروح والمادة ، فهى ليست جمعية « تحضير أرواح » كما يتصورها البعض خطأ ، بل إنها جمعية للبحث الروحى بوجه عام كما سبق أن بينا ، أو بالأدق جمعية للبحث فى « الإنسان » فى أضواء معملية جديدة بعيدة عن الارتباط مقدماً بأية فلسفة

(١) Evidence Of Purpose.

تسلم بالخلود أو تنكره . وهذه الطريقة العلمية المحايدة تضفى على أعمالها قيمة خاصة . فإذا كانت أعمال هذه الهيئة العلمية الراقية قد انتهت إلى أن تجعل من الخلود حقيقة علمية ، ومن الروح حقيقة معملية ، كان ذلك أقوى فى الدلالة على ذلك من أى بحوث أخرى قد تجرى بطريقة حماسية بعيدة عن روح العلم الصحيح . وهذه البحوث الدقيقة الخطيرة مسجلة فى مضابطها وفى جريدتها[1] .

والوقائع — فى هذه وتلك معاً — زاخرة بالأدلة على دوام الحياة بعد موت الجسد المادى ، ونقدم منها عدداً محدوداً — لضيق المقام — ويجمع بينها أنه يتعذر تعليلها بنظرية التلباثى أى انتقال الأفكار بين الأحياء ، حين يسهل تعليلها ببقاء الوعى بعد انفصاله عن الجسد المادى ، وبوجود صلات متعددة الصور بين عالمين أحدهما منظور والآخر غير منظور . فإذا صح أن ثمة تلباثى فى الموضوع فهو بين عقلين : أحدهما عقل الوسيط أو الوسيطة ، وثانيهما عقل كائن متجرد من جسده المنظور ، أى روح تواصل حياتها بصورة ما ، وفى رقعة ما من هذا الكون الفسيح ، وقد رتبنا هذه الوقائع بحسب تواريخها : —

الواقعة الأولى : شبح يظهر تلقائياً Spontaneous Apparition

عن مضابط « جمعية البحث الروحى » S. P. R. Proceedings (المجلد الثانى عشر ص ١١٦ بتاريخ ١٠ يونيه سنة ١٨٩٥) : فيما يلى تقرير عن شبح رآه السيد فنسنت إيدانويز Vincent Idanowiez بمدينة كريزيلوكا بمقاطعة جاجزين بودوليا بروسيا . « فى العاشر من نوفمبر سنة ١٨٩٤ ذهب السيد إيدانويز إلى جاجزين Gajsin كما يوصى بعمل معطف من الفراء عند ترزى يدعى إزلوما سيوروتا I. Sierota فعرض عليه معطفاً يكاد يكون جديداً ، واقنعه بشرائه بمبلغ خمسة وأربعين روبل بعد أن عرفه بأنه كان قد اشتراه من شخص يدعى لاسوتا Lassota .

---

(١) راجع ما سبق عن هذه الجمعية فى ص ٣١٧ — ٣٢٨ .

ولما نام السيد إيدانويز نوماً عميقاً فى منزله أيقظه فى الليل « رجل » بملابس سوداء ، ولم يخف منه لكنه تعجب أن يرى شخصاً لا يعرفه ولم يره من قبل ، بالإضافة إلى تأكده من أن الغرفة محكمة الإغلاق . فسأل القادم الغريب « من أنت وماذا تريد » ؟ ! فأجاب الشبح . اسمى ويزنيكوسكى Wiszniecoski وأنصحك أن تعيد بأسرع ما يمكن معطف الفراء الذى اشتريته من سيوروتا بمبلغ خمسة وأربعين روبل لأنه ليس ملكاً له . بل هو ملك قاض مات أخيراً بمرض السل الرئوى ، والمعطف ملوث بجراثيم هذا المرض . ولما اختفى الشبح قام السيد إيدانويز ليرى كيف خرج فوجد الباب محكم الإغلاق ، فظن ان ما رآه مجرد حلم أو هلوسة ، ولا سيما أن شقيقه الذى استيقظ فيما بعد لم يرَ ولم يسمع شيئاً قط ، بل سخر منه عندما سمع قصته .

ثم عاد السيد إيدانويز إلى فراشه ، وفى اليوم التالى ذهب إلى عمله كالمعتاد ولم يخبر أحداً بما حدث فى الليلة الماضية . وفى الليلة التالية ذهب الشقيقان إلى فراشيهما ، ولكنهما لم يتمكنا من النوم فبقيا يتحدثان عن أعمالهما ... وفجأة سمعا معاً خطوات تقترب من غرفتهما ، ولاحظا أن الباب الذى كان محكم الإغلاق ينفتح . ولشدة دهشتهما رأيا رجلا فى ثياب سوداء يدخل ويقول لهما « إنكما مستيقظان كلاكما فلا داعى لأن تقول ياسيد فنسنت إن ظهورى بالأمس كان مجرد هلوسة ، إنى حضرت الليلة كيما أكرر القول بأن تذهب غداً وتطلب من السيد كرونهلم Kronhilm بأن يسمح لك بأن تذهب إلى جاجزين Gajsin وتعيد الفراء إلى السيد إيزلو ما سيوروتا ، الذى قرر لك أنه ملك شخص يدعى السيد لاسوتا ، حين أؤكد لك أنه كان ملكاً لقاض توفى بمرض السل الرئوى ، وأنه ملوث بجراثيم ذلك المرض . أما عن شخصيتى فإنى كنت موظفاً حكومياً بمدينة ليبوفتش Lipowice بمقاطعة كيف Kieff ، ثم مت فى سنة

١٨٩٢ ، ولكن بما أن رسالتى هى حراستك فإنى أحذرك مما قد يحدث لو لم تتبع نصيحتى » ثم اختفى الشبح .

ثم يقول صاحب هذا التقرير — بعد أن سمع القصة من السيد فنسنت إيدا نويز ومن شقيقه — إنه رافقهما بنفسه إلى جاجزين كيما يتحقق من صحة رسالة « الملاك الحارس » . وهناك أصر السيد سيوروتا على أنه اشترى هذا المعطف من السيد لا سوتا كما سبق أن قال ، فتوجه صاحب التقرير إلى قاضى المدينة فأخبره بأن سلفه كان قد مات فعلا بمرض السل الرئوى ، ولكنه لا يعرف شيئاً عن ملابسه التى تسلمها أقاربه فيما يعتقد ، ونصحه بأن يتصل بتاجر للملابس المستعملة يدعى بوراك فونكونوجى Boruch Fonkonogi فقال له إنه فعلا اشترى جميع ملابس القاضى المتوفى فيما عدا المعطف (وكان من الفراء) فقد اشتراه السيد إيزلوما سيوروتا. وعند ما عرضناه عليه أكد أنه هو بالذات المعطف الذى شاهده فى مخلفات هذا القاضى ، ولم يتوصل إلى الحصول عليه » .

هذا ما ثبت فى مضابط الجمعية ، ويلى ذلك تعليق الأستاذ زويه ريتشموند صاحب المؤلف المشار إليه آنفا وقد ورد فيه: «هذا الشبح يجابهنا بنقطة جديدة دقيقة، إذ أن الشخص الذى رآه لم تكن لديه أية فكرة عنه. وكان من الممكن نسيان الحادث على أنه مجرد هلوسة لو لم يتكرر حدوثه ثانية أمام شاهد عيان آخر. لذلك فإنه من العسير جداً تفسيره على أساس من التلباثى Telepathic basis وأبسط تفسير هو له قبوله على علاته ، إلا إذا قدرنا أن الوقائع كانت معروفة لدى العقل الأسمى Super-Conscious mind للشخص صاحب الرؤية ، وأنه لم يكن بوسعه الوصول إليها إلا على هذا النحو . .

ومما يؤسف له أن التاريخ لم يسجل ما إذا كان يوجد فعلا موظف حكومى بذلك الاسم توفى فى مدينة ليبوفيتشى Lipowice فى التاريخ الذى حدده

أم لا ، وحتى إذا وضحت هذه النقطة فسيكون علينا أن نعلم لماذا أعطى مهمة حراسة السيد فنسنت ؟! . .

الواقعة الثانية : (عن مضابط « جمعية البحث الروحى » المجلد الواحد والثلاثين ص ٢٥٣) : نظمت السيدة بيدون Beadon جلستين روحيتين للسيدة للى تالبوت Lily Talbot مع الوسيطة السيدة ليونارد ، الأولى منهما فى الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم السبت ١٧ مارس سنة ١٩١٧ والثانية فى يوم الاثنين ١٩ منه . ولم تكن السيدة ليونارد تعرف اسم السيدة تالبوت ولا عنوانها ، ولم يسبق لها رؤيتها .

وفى يوم الاثنين أعطت الروح المهيمنة — واسمها فدى Feda — وصفاً صحيحاً للغاية لشكل زوجها المتوفى ، وكان زوجها يحاول — كما قالت — أن يثبت لها شخصيته وأن يؤكد لها أنه هو بعينه ، إلى حد أنها اقتنعت تماماً بذلك . وقد ذكر لها على لسان الروح «فدى» بعض حوادث من الماضى لم تكن معروفة لأحد غيرهما . وأشار إلى ممتلكات خاصة قليلة الأهمية ، ولكن كان لها إعزاز خاص عنده . .

وفجأة بدأت فدى تصف كتاباً معيناً قائلة إنه مصنوع من الجلد غامق اللون ، يتراوح طوله بين ثمانى وعشر بوصات ، وعرضه بين أربع وخمس بوصات ، وأنه ليس مطبوعاً . فتذكرت الجليسة مفكرة جلدية حمراء اللون تخص زوجها المتوفى ، وكان يسميها « دفتر الأحوال » . فطلبت الروح المهيمنة منها أن تفتح صفحة ١٢ أو ١٣ منه ، إذ أن زوجها يسر جداً لو وجدت الفقرة المطلوبة هناك ، وأخذت تشدد عليها فى الاهتمام بذلك .

ثم أضافت قائلة إن زوجها غير متأكد من اللون فإنه لايذكره ، فهناك

كتاباًن « ولكن ستعرفين الكتاب المطلوب برسم بيانى للغات على غلافه » ، وتلا ذلك ذكر سلسلة من الكلمات المتعاقبة من لغات الهندو — أوروبيين والآريين والساميين وغيرها، وكررتها مراراً كثيرة ثم قالت: « هناك أيضاً سطور غير مستقيمة تمتد من الوسط إلى الجانبين » . ثم قالت « إن هناك جداول للغات العربية والسامية » ، ثم أكدت الروح المهيمنة على الوسيطة من جديد قائلة للجليسة : « انظرى الصفحة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة بعد هذه الحادثة ، فهناك شيء يهمه جداً ويريد أن تعديه بتحقيق طلبه » .

وتقول السيدة ليلى تالبوت إنها فى اليوم التالى بحثت فى منزلها فوجدت دفتراً لزوجها لم تتصفحه من قبل ، لون غلافه من الجلد الأسود الكالح يطابق حجمه الحجم الذى حددته الوسيطة ، فوجدت فيه ورقة عبارة عن جدول عام للغات الآرية والهندو — أوروبية ، ومطابق للوصف الذى أعطته الروح المهيمنة فدى ، ولم تكن تعرف عنه هى شيئاً .

كما وجدت فى الصفحة ١٣ ما يلى من مذكرات زوجها المتوفى : « اتضح لى من همسات معينة خيل لقائليها بأنى لا أسمعها ، ومن نظرات حب استطلاع غريبة تراءى لأصحابها بأنى لا أراها بأنى على وشك الموت .

وفى الحال بدأ عقلى يشعر بسعادة ليست على وشك الوقوع ، بل هى حقيقة واقعة ، فقد رأيت أشباحاً كنت قد نسيت أشكالها ، منها أصدقاء طفولة وزملاء مدرسة ، وأصدقاء لى من أيام شبابى وشيخوختى . رأيتهم جميعهم يبتسمون لى ، ولم تكن ابتساماتهم ابتسامات شفقة لم أكن أشعر بالحاجة إليها ، بل كانت نظرات حنان متبادلة بين أشخاص ينعمون بنفس السعادة .

لقد رأيت والدتى ووالدى ، وشقيقاتى الذين سبقونى إلى الموت . إنهم لم يكلمونى بل شملونى بعطفهم الذى لم يتغير ، وقرب الوقت الذى ظهروا فيه إلىّ بدأت

أحدد حقيقة موضع جسدى ، أى جاهدت أن أربط بين روحى وجسدى الذى كان يرقد على السرير فى منزلى ، وفشلت المحاولة » .

أما عن الرسم البيانى فقد تبين أن به خطوطاً تمتد من الوسط إلى الخارج كما ذكرت الروح المهيمنة » .

هذا ما ثبت بمضابط « جمعية البحث الروحى »، ويلاحظ أن جميع الوقائع التى ذكرتها الوسيطة للسيدة ليلى تالبوت ، لم تكن معلومة منها ، ولا من أحد من الحاضرين . وقد ثبتت صحتها فيما بعد ، مما يعجز تماماً عن تعليله التلباثى . والنظرية الروحية تعلل مثل هذه الوقائع الثابتة تعليلا كافياً ، فروح زوجها وحدها كانت تعلم هذه الوقائع وقد أرادت أن تثبت شخصيتها بأدلة لا تدحض، كما كان الزوج المنتقل حريصاً على أن تقرأ زوجته ما سطره لنفسه بنفسه عن الرؤيا الغريبة التى رآها قبيل انتقاله بأيام ، والتى كتبها فى « دفتر أحواله » كعادته فى كتابة مذكراته اليومية ، ثم تذكرها بعد انتقاله إلى هناك ، فأراد من زوجته أن تطلع عليها حتى تطمئن وتتعزى بعد افتراقهما، بالاقتناع بأن الموت انتقال للإنسان من حياة إلى حياة أخرى أكثر منها سعادة .

الواقعة الثالثة (عن مضابط « جمعية البحث الروحى » : المجلد السادس والثلاثين ص ٣٠٧) : أرسلت الوسيطة السيدة ليونارد إلى السيدة كاتى داوسن سميث Katie Dawson Smith خطاباً تقول لها فيه « أبلغتنى فدى Feda (روحها المهيمنة) أن زوجك (المتوفى) يقول لك هل معك مفتاحى الصغير ؟ إنك كنت ممسكة به فى المرة السابقة ، وأنك عندما كنت تتحركين هنا وهناك كنت تمسكين به . وكان هناك « كيس » قديم ولكن أرجو أن تجديه بأية حالة كان، قديماً، ممزقاً، متسخاً ، مندساً بين أشياء كثيرة . هو يعرف أنه فى حوزتك ويرجو أن تجديه . إنه يدعوه « كعب إيصال » ففتشى عنه ، فإن ذلك يهمه جداً، ويعلم جيداً أنه معك وهو بجوار ورقة مغلقة طويلة . وقد لاحظت ذلك عفواً وهو يقول إنه مهم جداً .

وبعد إرسال نتيجة الجلسة إلى سير أوليفر لودج بتاريخ ١٥ يناير سنة ١٩٢١ أكدت السيدة داوسن سميث بأن المعلومات صحيحة . وبعد مضى أربع سنوات ظهرت أهمية الواقعة فضلا عن صحتها ، فحررت إلى سير أوليفر لودج خطاباً بتاريخ ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٤ ملخصه أنها تلقت خطاباً من «مكتب تصفية ديون الأعداء» يطالبها فيه بمبلغ مستحق على زوجها المتوفى لحساب مؤسسة هامبورج منذ يولية سنة ١٩١٤ (أى قبل الحرب العالمية الأولى) .

وكانت تعلم جيداً أن زوجها سدد هذا المبلغ قبل وفاته ، ولكن لم يكن لديها الدليل المادى على ذلك ، وعندئذ تذكرت رسالة روح زوجها إليها عن طريق الوسيطة ليونارد منذ أربع سنوات ، فلما بحثت عن الكعب القديم تبين لها أنه يحوى كعب الإيصال المطلوب ، وفعلا أقر محاسب المؤسسة بسبق حصول السداد وأرسل إليها اعتذاره لإزعاجها ، وتأكيده بأن الموضوع أصبح منتهياً .

وجلى أن المكان الذى كان الزوج المتوفى يضع فيه إيصال السداد لم يكن أحد يعرفه على الإطلاق من الأحياء ، فلا محل للقول بأن الوسيطة عرفته عن طريق التلباثى . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنه وقت ورود الرسالة الأولى فى سنة ١٩٢١ لم يكن أحد يتوقع هذه المطالبة غير المنتظرة من مكتب تصفية ديون الأعداء ، ولم يطلب أحد من الوسيطة ولا من الروح المهيمنة شيئاً فى هذا الصدد ، بل وردت هذه الرسالة من تلقاء نفسها ، ثم ظهرت أهمية الموضوع بعد حوالى أربع سنوات من ورود هذه الرسالة ، ولذلك كله قيمته البالغة فى نفى إمكان تعليل مثل هذه الواقعة بالتلباثى .

الواقعة الرابعة : رسائل تظهر التصميم بطروء وسامية معترف بها

(عن جريدة «جمعية البحث الروحى» : المجلد السادس والعشرين ص ١) :

كتبت السيدة نياووكر Nea Walker قائلة : فى شهر أغسطس من هذه السنة (١٩٢٩) وصلنى خطاب من السيدة ليونارد Leonard تخبرنى فيه عن

كارثة صغيرة ألمت بها ، وتعزو حدوثها إلى أنها لم تعر التفاتاً إلى تحذير وصلها من فدى Feda (روحها المهيمنة). والتحذير كما يحدث غالباً كان فى صورة أمر بألا تفعل شيئاً معيناً ، وهو عقد جلساتها فى غرفتها المعتادة . وبما أن السيدة ليونارد لم تفهم مبررات هذا التحذير فقد تجاهلته ، ونظراً لمعرفة سير أوليفر لودج بالوسيطة رؤى تسجيل هذه الرسالة بالكتابة .

وبتاريخ ١٧ أغسطس من سنة ١٩٢٩ أثناء عقد الجلسة الروحية انشق بياض سقف الغرفة ، وسقط جزء منه يزيد محيطه على ستة أقدام كما تشقق تماماً بياض باقى السقف ، وكانت طرقعة السقف قوية تشبه الانفجار ، ومع ذلك ظلت الروح المهيمنة «فدى» تدمدم بهدوء أثناء الجلسة قائلة «لا بأس لا بأس ، كل شىء على ما يرام » . ولحسن الحظ لم يصب أحد بسوء سوى كاتبة الجلسة التى أصيبت فى رأسها إصابة نرجو ألا تكون خطيرة . . . وفى هذه الواقعة لم يكن أى إنسان يعلم بوجود خلل فى بياض السقف من قبل ، وهو ما يجعل تفسير هذه الحادثة بالتلباثى أمراً متعذراً .

خامساً : سلسلة من وقائع أخرى

هناك نوع آخر من براهين « التصميم أو التأكيد » يثبت صحة الوساطة الروحية وتعجز نظرية التلباثى عن تعليله ، وذلك عند ما يسرد الوسيط معلومات متعددة لا تكون معروفة إلا لشخص الميت ، ولا يعلم أحد من الأحياء عنها شيئاً أو يعلم منها قدراً يسيراً ، أو يعلم عدد من الأحياء أجزاء متفرقة منها . فإذا كان هناك من يزعم أن الوسيط جمع هذه المعلومات المتفرقة من عقول عدة أشخاص أحياء فعلينا أن نزن هذه المعلومات ، ونقدر ما إذا كانت تطابق الأمر المعروض علينا أم لا . فمثلا إذا تمكن الوسيط أن يجمع معلومات منوعة من عقول ا ، ب ، ج ، د ، جاعلا منها مجموعة واحدة غير معروفة بأكملها لدى أى واحد من هؤلاء الأفراد الأربعة ، فهناك نقطة ينبغى إيضاحها ، وهى ما إذا كانت

هذه المعلومات كلها معروفة كمجموعة لدى شخص خامس أم لا ؟[١] .

ويستشهد الأستاذ ريتشموند فى مؤلفه الآنف الإشارة إليه بأمثلة متعددة جمعتها السيدة ا و. فيرال A .W. Verrall فى كتاب لها عنوانه «ظواهر الغيبوبة عند السيدة طومسون فى مضابط جمعية البحث الروحى[٢] » . ومن هذا الاستشهاد يقدم ريتشموند خمسة أنواع من المعلومات ، كتبت عنها السيدة فيرال تقول : « إن الحالات الخمس التالية متقاربة والمعلومات التى تحويها أمكن إيصالها إلى الحواس بواسطة قريب متوفٍ للوسيطة » .

والمعلومات التى وصلت أولا فى إحدى الجلسات كانت متناثرة وغير متناسقة حتى صعب تفسيرها ، فلذا أعيدت تلاوة جميع المعلومات التى جمعت فى هذه الجلسة جملة جملة فى جلسة ثانية ، وكانت نيللى Nelly (الروح المهيمنة) تقرر بعد كل مقطع ما إذا كانت هذه الجملة صحيحة أم لا ، وعما تشير إليه. وبذلك تمكنا من الاستدلال على معانى الأقوال الصادرة من الوسيطة التى كانت فى غيبوبة ، وبعضها كان معروفاً إلى السيدة « ا » الجليسة التى قررت أنه حقيق ، وبعضها كان غير معروف لديها ، وكان عدد الوقائع ستًا ، واحدة منها بدت غير صحيحة من أصلها،والخمس الأخريات نسردها فيما يلى: —

(١) ذكرت الوسيطة أن للسيد « ا » قريبة كبيرة السن وسيدة نادرة فى مقدرة شغل « التريكو » ، وأن هذه السيدة اعتادت أن تحمل دائماً سلة مستديرة الشكل لشغل «التريكو»، وكانت تحتوى على ربطة لزينة رأسها يمكنك أن تسميها « طاقية » (top - knot).ولقد كانت السيدة « ا » على صلة وثيقة بقريبة لزوجها كبيرة السن اشتهرت بأشغال « التريكو » ، ولكن لم ترها قط تحمل شيئًا لشغل « التريكو » ،أو أى شيء آخر لغطاء الرأس حفظته فى

(١) إن البرهان ينبغى هنا أن يكون برهاناً لحقيقة الشخص التحدث وبرهاناً للوقائع ، كما ينبغى أن يشتمل على أمثلة عديدة لوقائع متشابهة .

(٢) The Trance Phenomena Of Mrs. Thompson In S. P. R. Proceedings.

سلة ما . والسيد « ا » لم يتمكن من أن يفسر لنا شيئاً أكثر بخصوص هذه الواقعة ، ولكن شقيقات السيد « ا » عند سماعهن هذه الواقعة ذكرن أن تلك القريبة كان شعرها خفيفاً عندما بلغت وسط العمر ، وأنها قبل أن تعرفها السيدة « ا » بغطاء الرأس المألوف عندها كانت تلبس شبكة شعر سوداء على رأسها ، وكانت قريباتها الشابات يطلقن على هذا الغطاء اسم « الطاقية » وكانت تحملها فى سلة مستديرة الشكل « للتريكو » .

(٢) ذكرت الوسيطة أن والدة السيد « ا » المتوفية كانت على صلة بزوجة ضابط بحرى متقاعد « ويمكنك التأكد من هذه الواقعة » . ولقد كان من المعروف للسيدة وللسيد « ا » أن والدة السيد « ا » لم يكن لها إلا أصدقاء قليلون مقربون لها ، ومن بينهم كانت السيدة « س » التى لم تعرِّف السيدة « ا » شيئاً عن وظيفة زوجها ، إذ أن السيدة « س » كانت أرملة عند ما تعرفت بها السيدة « ا » . وأضاف السيد « ا » قائلا بأن الزوج كان يدعى القبطان «س» ولكنه كان يظن أنه ضابط فى الجيش ، ولكن شقيقات السيد « ا » عرَّفنه بأنه كان قبطاناً فى البحرية ، واستقال من عمله قبل أن يتزوج ، وأضفن إلى ذلك بأن قلن بأن أرملة القبطان «س» كانت هى السيدة الوحيدة خارج أفراد العائلة التى زارت أمهن أثناء مرضها الأخير .

(٣) ذكرت الوسيطة أن والدة السيد « ا » كانت ترتدى « شالا » من الصوف الأبيض وبأن « الشال » لا يزال فى منزل زوجها « إنه هنا فى بيتك يا مسز « ا » .... » . ومن الغريب أن السيد والسيدة « ا » كليهما لم يتذكرا البتة أى شىء عن ذلك «الشال» بل أن السيدة «ا» أكدت بأنها لم تر مطلقاً حماتها تلبس « شالا » من الصوف الأبيض ، ولكن كريماتها أكدن أن والدتهن كانت تلبس فى المساء « شالا » من الصوف الأبيض عند ما كن أطفالا وقبل أن يتعرف شقيقهن بزوجته ، و « الشال » لا يزال فى منزل الزوج . وبما أن « الشال » كانت له ذكريات خاصة لكريمات

المتوفاة فقد احتفظن به، وربما تثار نقطة جدل بأن يقال بأن سيدة أخرى فى مثل عمر والدة السيدة « ا » كانت تلبس « شالا » من الصوف الأبيض أيضاً ، ولكن بالطبع لا يمكن أن يقال إن «شالا» كهذا لا يزال فى منزل السيدة الأخيرة.

(٤) ذكرت الوسيطة أن هذه السيدة نفسها كانت تربط هذا « الشال » بدبوس « بروش » أعطى وصفه بالتفصيل ، فقيل بأن البروش كان يشبه فى طوله « بروش » آخر كانت تلبسه السيدة طومسون فى ذلك الوقت ، ولكنه لا يوازيه فى الارتفاع «إنه كان طويلا ويحليه شغل ذهبى حوله وضفائر من الشعر خلفه » . وطُلب من السيدة « ا » بأن تسأل « السيدة البدينة » عن ذلك « البروش » ، ولكن السيدة « ا » لم تعلم شيئاً عن هذا « البروش » حين كانت تعلم عن « بروشين » آخرين لا ينطبق عليهما هذا الوصف .

ولكن كريماتها ذكرن أنه كان هناك « بروش » ينطبق عليه تمامًا هذا الوصف إلا أنه لم تكن به ضفائر الشعر من الخلف ، وكان « الفص » مصنوعًا من حجر الياقوت الأخضر وكانت تلبسه والدتهن عند ما كن أطفالا ، كما أن شقيقتهن الكبرى لبسته من ثلاثين سنة ، وسألت السيدة « ا » ماذا سيتم بخصوص الاقتراح الخاص بسؤال « السيدة البدينة » عن « البروش »؟ . وقد كانت تظن أنها تعنى بالسيدة « الأكثر بدانة » الشقيقة الصغرى التى كانت فى الحقيقة أنحف من شقيقاتها ، وبدا أنه ليست لها أية علاقة « بالبروش » .

ولكن اتضح لها أخيراً أن « البروش » كان مع قطع ذهبية أخرى من المصوغات كانت محفوظة فى درج غرفتها منذ وفاة والدتها . وتحت هذه العوامل سألت السيدة « ا » السيدة الأكثر بدانة عن « البروش »، وبالبحث عثر عليه محفوظاً كما كان منذ أن وضع منذ ست أو سبع سنوات ، ووجد أنه محلى بضفيرتين مختلفتين من الشعر الأسود والرمادى . وكان حجر الياقوت الأخضر اللامع مركباً على قطعة من المعدن وكان يبدو براقاً .

(٥) قررت الوسيطة أن والدة السيد «ا» كانت سيدة ميالة للتنسيق والنظام

ولذا احتفظت بدفتر إيصالات لا يزال موجوداً بمنزل زوجها ، وكان به إيصال خاص بجانب إيصالات المصروفات اليومية هو إيصال دواء لدهان الشعر والبشرة، وكانت السيدة « ا » تعرف أن حماتها تملك مثل هذا الدفتر ولكن لا تعلم شيئاً عن محتوياته ، وكان السيد « ا » وشقيقاته يعلمون عنه كذلك ، وأكدوا أن والدتهم استعملت نفس الكلمة التى قالتها الوسيطة اسماً لدواء الشعر ، ولكنهم لم يعلموا شيئاً عن ذلك الإيصال .

وقد عثر على الدفتر وكان مكتوباً عليه من الجهتين، وكان له كذلك فهرست ، ولكن لم توجد فى الفهرست أية إشارة عن إيصال دهان الشعر ، ولكن لما لمسته الشقيقات من صحة معلومات السيدة طومسون الخاصة «بالبروش» أعدن التفتيش بدقة فى دفتر الإيصالات للعثور على إيصال دهان الشعر المذكور ، وأخيراً وجدن أن الإيصالات الخمسة الأخيرة لم تدون فى الفهرست ، وكان من بينها إيصال من أحد الأطباء لدهان الشعر . وكان من المؤكد أن دفتر الإيصالات هذا لم يخرج من بيت صاحبته إطلاقا، كما أن السيدة طومسون لم تدخل عتبة هذا المنزل، وكان الإيصال فى وسط الدفتر، ولكن كان من الصعب لأى شخص تعليل السبب فى عدم إدراج هذا الإيصال فى الفهرست، حتى أولئك الذين سمح لهم وقتهم بالبحث فى هذا الشأن.

وفى هذه الوقائع يلاحظ الأستاذ ريتشموند أن ثمة نقاطاً متشابهة وأخرى مختلفة ، لجميع الحالات تتفق فيما يلى :

أولا : أن المعلومات لم تكن معروفة على الإطلاق للجليسة السيدة « ا » .

ثانيا : من المؤكد أيضاً أن هذه المعلومات لم تكن معروفة فى العقل الواعى للجليس الثانى السيد « ا » .

ثالثا : من المؤكد أن المعلومات كانت معروفة لتلك السيدة المتوفاة ، ومنها حصلت نيللى (الروح المهيمنة على الوسيطة) على تلك المعلومات .

وفى الحالتين ١ و ٢ : من المرجح أن السيد « ا » كان يعلم بطريقة ما شيئاً عن غطاء الرأس، وعن وظيفة القبطان « س » ، كما بدا أنه كان قد رأى « الشال » الأبيض من الصوف.

وفى الحالة الثالثة : لم يكن يعلم أن « الشال » لا يزال موجوداً للآن .

وفى الحالة الرابعة : إذا كان قد رأى « البروش » وهو طفل فإنه لم يكن يعلم حينذاك شيئاً عن ضفائر الشعر السوداء التى خلف « البروش » ، ومن المؤكد أنه لم يكن يعلم أنه فى حيازة شقيقته الصغرى .

وفى الحالة الخامسة : لم يكن السيد « ا » عالماً بوجود دفتر الإيصالات ، أو يمكن التأكيد أنه لم يكن يطلع عليها ، وأكثر المعلومات كانت معروفة لأشخاص آخرين أحياء .

وإذا كان يمكن إيصال هذه المعلومات بطريقة ما من الأحياء إلى الوسيطة كانت هذه الطريقة بحاجة إلى إثبات . وهؤلاء الأحياء لم يكونوا معروفين للسيدة طومسون ، وهم شخصيًا لم يكونوا عالمين أن هناك إشارة قد عملت إلى أقاربهم أو أصدقائهم حتى تتجه خواطرهم نحو ذكريات أقاربهم المتوفين ، علاوة على أن المعلومات لم تكن معروفة بأكملها إلى هؤلاء الأشخاص الأحياء البعيدين ، والشخص الوحيد الذى كان على علم بها كلها هو السيدة المتوفاة نفسها . وإذا كانت الاختبارات التى من هذا القبيل كثيرة بهذا الشكل، فإنه من الصعب ألا نستنتج بأن مصدر المعرفة هو وعى الشخص المتوفى الذى يعرف كل المعلومات ، بدلا من أن يكون موزعاً على وعى إناس كثيرين ...

وفى باقى فصول هذا الباب — السابقة واللاحقة — ما ينفى تمامًا إمكان تعليل أى من الظواهر الوساطية الصحيحة بالتلباثى بين عقول الأحياء خصوصاً منها الظواهر الفيزيقية ، وأخطرها إطلاقاً ظاهرة تجسد الأرواح التى عرضنا لهـا فى الفصلين الأول والثانى ، وظاهرة الصوت المباشر وغيرها من الظواهر التى عرضنا لها فى الفصل الثالث ، ثم ظاهرة العلاج الروحى التى سنعرض لها فى الفصل المقبل ، ثم باقى الظواهر العلمية والأدبية التى ستتعاقب تباعاً فيما بعد .

الفصل الخامس

مارشال الطيران لورد دودنج

يصبح من أقطاب الروحية الحديثة

يعد مارشال الطيران لورد دودنج Lord Dowding من ألمع الأسماء فى تاريخ بريطانيا الحربى ، فقد قاد بمهارة المعارك الجوية خلال الحرب العالمية الثانية ، ويسند إليه البريطانيون فضل إنقاذ بلادهم من الغارات الجوية ، ومن الغزو الذى كان يتهددها بشكل مباشر فى عامى ١٩٤٠ ، ١٩٤١ من جانب الأسطول الجوى الألمـــانى وهو فى عنفوان جبروته . وعندما يذكرون فضل قائدهم دريك Drake الذى أغرق أسطول الأرمادا ، وفضل نلسون الذى أغرق أسطول نابليون ، فإنهم يذكرون بنفس المقدار فضل المارشال لورد دودنج هذا .

فمن يصدق أن هذا القائد الـكبير يجد من مشاغله وقتاً كافياً يبحث فيه موضوع الأرواح ، كما يواصل اتصالاته بها أثناء الحرب ، وتحت وابل من القنابل المتساقطة فى كل مكان ؟ . . نعم لقد حدث هذا بالفعل وأكده بنفسه فى مؤلفاته التى ظهر أولها فى سبتمبر سنة ١٩٤٥ ، أى فى أعقاب المدة مباشرة تحت عنوان « بوابة الجثث »[١] ، وظهر ثانيها بعده بفترةوجيزة تحت عنوان « منازل كثيرة »[٢] ، ثم ظهر له مؤلف ثالث تحت عنوان «الـكوكب المظلم »[٣] ، ورابع تحت عنوان « سحر الآلهة »[٤] .

(١) Lychgate.

(٢) Many Mansions.

(٣) The Dark Star.

(٤) Gods' Magic.

وفى هذه المؤلفات يعرض دودنج خلاصة تجاربه التى واصلها بنفسه لمدى سنين كثيرة ، وعندما كان من أهدافه الرئيسية محاولة الاتصال بأرواح ضباطه وجنوده من قتلى الطيارين فى الحرب العالمية الماضية ، ويقول إنه قد اتصل بعدد منهم فعلا ، وحصل على معلومات قيمة كثيرة أفادته فى توجيه دفة المعركة ، التى كانت بالنسبة لبلاده معركة بقاء أو فناء .

كما يقول فى الفصل الأول من كتاب « بوابة الجثث » إنه قد حصل على يقين كامل لا يمكن أن يزعزعه شىء ، وإن من بين أسباب يقينه أنه على اتصال مستمر بروح زوجته وعدد من أقاربه وأصدقائه ممن انتقلوا إلى المرحلة التالية من الحياة . وأنه بالإضافة إلى ذلك قد اكتسب أصدقاء جدداً من عالم الروح لم يشاهدهم من قبل على الأرض ويعتبرهم من أعز معارفه وأوثقهم صلة ! . .



لورد دودنج

وكان اقتناعه من البينات التى حصل عليها تاماً إلى حد دفعه لأن يكرس بقية حياته لهذا البحث ، فيصبح من أعلامه المعروفين فى القرن الحالى ، وإلى حد أنه أخذ منذ نهاية الحرب العالمية الثانية يحاضر فى هذا الموضوع من حين إلى آخر فى الإذاعة . كما أخذ يعقد الجلسات العامة للاتصال بالأرواح فى قاعة من أكبر قاعات لندن وهى كنجزاوى هول ابتداء من يونيه سنة ١٩٤٦ . وكان الوسيط الروحى فيها هو لزلى فلنت Leslie Flint وسيط الصوت المباشر ، وفى حضوره يسمع فى كل جلسة عدد من الحاضرين أصوات طائفة من معارفهم ممن سبقوهم إلى عالم الروح

تخاطبهم بصوتها المباشر خلال الميكروفون ، وتتعاقب عليه فى سرعة عجيبة ، فتتعاقب معها الأصوات واللغات واللهجات ، وتدلى كل منها بمعلومات خاصة لا يعلمها إلا بعض أقارب الروح من الموجودين . وتدون محاضر دقيقة لهذه الجلسات تنشر فى المجلات الروحية ... فهل تفضل أحد من السادة المعارضين بالاطلاع عليها قبل التصدى بالمعارضة ؟... وهل لأحد منهم تعليل مقبول يقدمه لدحض هذه الظواهر يضاهى فى قيمته التعليل الروحى ؟ ..

ومن ضمن الوساطات الروحية التى امتحنها لورد دودنج وتحقق منها بنفسه وساطة العلاج الروحى ، وقد تعرض لها فى الفصل الثامن من مؤلفه « بوابة الجثث » مبيناً السبل المختلفة التى يتم بها هذا العلاج ، وذاكراً أن الأرواح تعالج المرضى بأساليب متعددة وهى :

أولا : شفاء عن طريق صلاة المريض وابتهاله إلى الله تعالى ، وهو أسمى صور العلاج الروحى ، وقد شاهد ذوو الجلاء البصرى فى جلساته وسائل غير منظورة تمتد لمعاونة جهود المصلين .

ثانياً : أرواح تتولى تشخيص المرض مستخدمة إشعاعات سينية (أشعة إكس X) تمكن الوسيط من رؤية موطن الإصابة أو الداء ، ووصفه للطبيب البشرى المعالج .

ثالثاً : أرواح تشخص المرض مباشرة ثم تترك العلاج لطب البشرى العادى .

رابعاً : أرواح تشخص المرض ثم يتولى الوسيط العلاج بلمسات بالأيدى ، أو بحركات أخرى منه .

خامساً : أرواح تشخص المرض ثم تعطى وصفة علاجية من الصيدلية .

سادساً : أرواح تشخص المرض ثم تتولى هى العلاج بالأضواء والألوان .

سابعاً : علاج غيابى يتم بعلم المريض والطبيب المعالج أو بدون علمهما .

ثامناً : علاج غيابى يزور الوسيط فيه المريض وهو فى جسده الأثيرى .

تاسعاً : علاج عن طريق ميــاه محملة بسيالات روحية spiritually charged waters كما يحدث فى قرية لورد Lourdes (مزار فرنسى بجهة جبال البرانس ظهر فيه طيف السيدة العذراء فى سنة ١٨٥٨ وقد حدثت فيه — ولاتزال تحدث — معجزات علاجية كثيرة سجلتها عدة لجان من الأطباء الـكبار فى تقارير رسمية)[1].

عاشراً : علاج تتولاه أيد متجسدة لأرواح بأجهزة طبية بشرية (وسنقدم عدة نماذج منه فى الفصل المقبل) .

حادى عشر : علاج مغناطيسى يختفى فيه العنصر الروحى فى الظاهر فقط لا فى الواقع .

ويعقب المؤلف على ذلك قائلا : لو أنى كنت طبيباً بشرياً لأخذنى الذعر عند قراءة هذا الـكلام ، ولتذكرت حكاية طبيب معالج تلقى طلباً بالتليفون وهو يتناول طعامه فقام مندفعا يرتدى معطفه فسألته زوجته عن الخبر فأجابها: « إن السيدة جونز تطلبنى لأن ابنها الصبى جرح إصبعه » . فلما أرادت أن تستمهله حتى يتم طعامه بحجة أن الحالة ليست عاجلة أجابها « كلا لا يمكننى الانتظار يا عزيزتى لأن السيدة جونز اشترت كتابا فى الإسعافات الأولية وأخشى أن تبادر إلى إسعاف الصبى قبل أن يكون لى فضل إسعافه » !

ثم يقول إن عدد المعالجين الروحيين فى هذه البلاد يتزايد يوماً فيوماً وليسوا جميعاً فى مستوى واحد من ناحية إنـكار الذات،ومن ناحية الفائدة التى يقدمونها للمرضى . وهى مسألة طالما شغلت مجمع الأساقفة لأنها فى الواقع مسألة شائـكة،لأن الوسيط المعالج الذى يأخذ على عاتقه أن يتدخل بالنصيحة أو بالعمل

(١) وحدثت معجزات مماثلة كثيرة بضاحية الزيتون بالقاهرة ابتداء من ٢ أبريل سنة ١٩٦٨ بعد ظهور نفس الطيف مراراً فى حضور عدد غفير من الشهود ، بالإضافة إلى ظواهر روحية كثيرة سجلتها جهات الإعلام المختلفة فى مصر والخارج منها أضواء قوية مجهولة المصدر .

فى علاج يجريه طبيب قادر إنما يتحمل فى الواقع مسئولية كبرى ، وقد يوقع نفسه تحت طائلة العقاب ...

لكن من الجلى أن التشخيص والعلاج الروحيين — متى أمكن الجمع والتوفيق بينهما وبين العلاج الطبى العادى — لا محل لأن يكونا موضع نقد من أحد .
فكثير من أساليب العلاج الروحى التى سبقت الإشارة إليها يمكن الجمع بينها وبين العلاج الطبى العادى ، متى لوحظ أن المريض الذى يعالج روحياً لا يطلب منه الامتناع عن علاجه العادى أو تجاهل نصائح الأطباء .

فبتطبيق ذلك على الوسائل الآنفة الذكر نرى أن أحداً لا يمكن أن يعترض اعتراضاً جدياً على أن يضع الوسيط يده على المريض ، وأن أسوأ أن يعترض به الماديون على هذا العمل هو أنه عديم الجدوى .

والطريقتان الثانية والثالثة تتضمنان بذاتهما ضرورة مساهمة العلاج الطبى العادى فيهما .

أما الطرق الرابعة والخامسة والسادسة فإنها تتطلب من الوسيط أن يكون حذراً ، حتى لا يتعارض علاجه مع العلاج الطبى المستقر ، اللهم إلا حيث تكون الحالة ميئوساً منها وقد تخلى عنها الأطباء .

أما عن الطريقتين السابعة والثامنة فلا يمكن أن يدينهما أى نظام مشروع، ما لم يسلم كقاعدة أساسية باستحالة الاتصال بالأرواح .

أما عن الطريقة التاسعة فتبدو صحيحة دائماً ، ولم أسمع بعد من أى إنسان أنه اضطهد بسبب أنه ذهب إلى مزار قرية « لورد » Lourdes .

لكن يمكن بسهولة أن أتصور اعتراض البعض على استعمال أدوات جراحية بواسطة أيد متجسدة لأرواح ، ولو أن الصعوبات التى تعوق نجاح علاج كهذا تبدو واضحة .

أما الطريقة الحادية عشرة ، وهى الخاصة بالعلاج المغناطيسى فهى خالية من

طابع « العدوى الروحية » وهى لذلك قد تغرى بعض الماديين بفحص ظواهرها التى يمكن إخضاعها لأساليب الفحص العلمى ، لأنه يمكن تكرارها عند الطلب فى ظروف معملية .

ثم يقول المؤلف عن دائرته العلاجية الخاصة : « إننى أكتب بحرج كبير فى الموضوع لأننى لا أعلم إلا بصعوبة ما نقوم به فى هذه الدائرة العلاجية . فلسنا نحن المعالجين ، ولو أننا نساهم فحسب بنصيب من القوة فى اهتزازات الموجات الأرضية فتختلط بالاهتزازات العليا ، ونوجد بذلك خليطاً يستعمل فى أغراض العلاج .

والسبيل كما أفهمه هو هذا : نعطى المعالجين الروحيين اسم شخص مريض فيتولون فحص هالته وجسمه الأثيرى[1] ، وكل اعتلال فى الصحة يقابله تغير فى لون أحد هذين الشيئين أو فى كليهما . ثم نستمع بعدئذ لما ينبغى علينا أن نفعله ، ثم تعلمنا أن نبنى معاً —وفى وقت واحد— أقوى ما نقدر عليه من صور ما يسمى « باللون الفكرى » .

وقد يظهر فى لحظة ما بريق ضوء خافت أو هالة من الضوء يقف المريض فيها ، أو يتساقط عليه مطر من الضوء « كالألعاب النارية » ، أو غلاف من الضوء تغلف به الأعضاء العليلة . والأضواء المستعملة غالبًا ما تكون ذهبية اللون ، أو فضية ، أو خضراء ، أو صفراء ، أو زرقاء فاتحة أو قاتمة ، أو وردية. ويعيد العلاج الروحى اللون المعيب فى الجسد الأثيرى إلى حالته الطبيعية ، وهو ما يؤثر بدوره فى الجسد الفيزيقى أى المادى — لا على الفور — بل بعد فترة قد تمتد إلى شهور .

وهذا العمل دفعنى إلى أن أحقق بجلاء معنى عبارة أن « الفكر حقيقة واقعة » التى يرى البعض أنها مجرد مثل جار بلا مغزى . بل إن الفكر على

---

(١) انا عودة تفصيلية فى الفصل الثامن الى الكلام فى الجسد الأثيرى والهالة .

العكس من ذلك شيء ينبغى اعتباره وتقديره إلى حد يدعو إلى العجب والحيرة. فقد حدث ذات مرة أن طلب إلينا أن نتخيل فى أذهاننا ركبة لساق جريحة مربوطة فى أربطة بيضاء وهمية . وقالت لنا الروح ل . ل . « إن أحدكم يفكر فى المادة التى تأخذ فى إحاطة الركبة بها ، إن الركبة المريضة لا تحتاج إلا لهذه المادة كيما تلف بها فى رفق فتشفى » . وكان ذلك صحيحاً فقد كنت أتصور المادة التى كانت تحاط بها الركبة كما لو كانت أربطة تلف فيها .

وفى مناسبة أخرى كنا نشاهد كرة فضية مضيئة فقالت الروح « كلا يا ديزى إنك تفكرين فى اللون الأخضر ، بل فكرى فى لون فضى متلألىء » ، فأجابت ديزى بأنها كانت تفكر بالفعل فى لون حلية من حلى شجرة عيد الميلاد تمتاز بلون أخضر خاص بها. إن ذلك يبدو مثيراً بعض الشىء ، ولو أن الفائدة ليست مضمونة دائماً بقدر ما يمكننا من الحكم ، إلا أنه يبدو أن أغلب الحالات قد استفادت من هذا الأسلوب فى العلاج وكان بعضها واضحاً فى نتيجته .

ثم يستطرد المؤلف « إنى لست فى مركز من يثبت أن ليس ثمة شىء مما حدث لا يمكن تعليله بالمصادفة ، لكنى واثق من أننا لم نلحق ضرراً بأحد ، كما إنى أومن عن يقين ثابت أننا ربما نجحنا فى حوالى ٢٥٪ من الحالات فى الحصول على الشفاء الذى ما كان ليحدث لولا تدخلنا . وذلك رغم أنى أكتب بتحرج كبير كما قلت ، ورغم أنى لم أطرق الموضوع إلا لأنى شعرت أنه ليس من الإنصاف فى شىء أن أكتب فصلا عن العلاج الروحى وأتجاهل فيه كل وصف لتجاربنا الخاصة مهما كانت هذه التجارب محدودة » .

***

وهذا الذى كتبه لورد دودنج ليس بجديد فى البحث الروحى ، إذ أن العلاج يعتبر من أهم موضوعاته ، وفيه مؤلفات كثيرة ، وشهد بصحته أطباء كبار شهادات مؤيدة بالوقائع ، والأسماء ، والصور ، والإحصاءات ، وذلك إلى الحد الذى دفع « الجمعية الطبيعة البريطانية » فى سنة ١٩٥٦ إلى الاعتراف بصحة العلاج الروحى ، كما فتحت مستشفيات متعددة أبوابها للوسطاء المعالجين .

وإلى الحد الذى دفع « المعهد الدولى لما وراء الروح » فى باريس أن يشكل لجنة خاصة دائمة — هى اللجنة السابعة من لجان المعهد — مهمتها متابعة أعمال الوسطاء المعالجين للتميز بين الصادقين منهم وغير الصادقين[١] . كما جرت فى العلاج الروحى تجارب ناجحة كثيرة فى بلادنا . ومع ذلك فإن من لا يروقهم الموضوع يخيل إليهم أنهم إذا نطقوا كلمة إيحاء، أو استهواء، أو أوهام فقد أوفوا الموضوع حقه وألزموا معارضيهم الحجة ، دون أن يتهموا أنفسهم بعدم الاطلاع أو بالتسرع فى الحكم على الأمور . على أن من حق القارىء أن يؤجل حكمه على موضوع العلاج الروحى — بالأقل — إلى أن يتم قراءة الفصل المقبل ، فهو وثيق صلة بالفصل الحالى .

---

(١) راجع مثلا مجلة المعهد لسنة ١٩٦٢ ، وفى ص ٣ — ٥ منها تجد تشكيل لجانه الثلاث عشرة خلال عام ١٩٦٣ .

الفصل السادس

بينات متنوعة : علمية وعلاجية

تفيض المؤلفات الروحية بأدلة لا حصر لها على بقاء الشخصية بعد الموت ، ولا يكاد يخلو مؤلف من عشرات منها تتفاوت فى قيمتها التدليلية . والمستفاد منها فى النهاية أن الكائنات العاقلة التى تتحدث أحيانا فى جلسات الاتصال الروحى تختلف تماما عن الوسيط أو الوسيطة من ناحية المستوى العقلى أو الثقافى . وتتحدث الأرواح أحيانا على مستوى رفيع من ناحية المعرفة أو الأسلوب . وقد يكون ذلك فى حضور وسيط أو وسيطة لا إلمام لأيهما إطلاقا بالموضوع الذى يدور فيه الحديث ، وربما يكون فى غيبوبة تامة بحيث لا يعلم شيئا حتى عن ماهية الموضوع أو الموضوعات التى دار فيها الحديث .

وقد يضاف إلى ذلك أن الروح المتحدثة قد تكون لشخص منتقل حديثا معروف جيداً لبعض الحاضرين ، فيبدو التطابق واضحا بين مستواه الثقافى هنا وهناك، وقد تبدو نفس المميزات اللفظية المعروفة واضحة ، ونفس طريقة إدارة دفة الحديث التى تختلف بين شخص وآخر بطبيعة الحال ، بل نبرة الصوت التى قد تظهر عن طريق وساطة الصوت المباشر .

فكما تظل المعرفة على حالها بعد الانتقال تظل كذلك الميول ، والعواطف والمعلومات ، والاتجاهات ، والهوايات ، والاهتمامات إلى أن يلحقها بعض التطور على المدى البعيد لا القريب ، وعلى ذلك أجمعت الدراسات الروحية . بل إن الآراء العلمية والأدبية والسياسية وغيرها .... ومن مجموعها يتكون طابع يميز شخصية الإنسان المثقف عن غيره — تظل على حالها أيضا إلى أن يلحقها مع الوقت مزيد من النضج والنمو على ما ذكرناه فى مناسبة سابقة[1] .

---

(١) راجع ما سبق فى ص ٢٣٩ — ٢٤٣ .

أرواح عالمة تفيد الأرضيين

فلا غرابة إذا وجدنا بعض المثقفين على المستوى الأرضى — أو بعض العلماء — يستفيد أحياناً من الاتصال بأرواح راقية فيتلقى معلومات لم تكن تخطر بباله من قبل ، ولم يكن أحد منهم يتصور إمكان الحصول على مثلها عن طريق الوساطية الروحية . وكثير من العلماء المشهود لهم بالعمق وبالاتزان أعلنوا صراحة هذه الحقيقة الخطيرة ، وهى أنهم استفادوا من معلومات بعض الأرواح،وأنهم اضطروا أن يراجعوا بعض آرائهم فى الحياة،أو بعض نظرياتهم العلمية فى ضوء معلومات صحيحة تلقوها عن طريق الوساطة الروحية .

وقد صرح بذلك سير أوليفر لودج عالم الطبيعة الذى كان مديراً لجامعة برمنجهام وعضواً فى«الجمعية الملكية» (المجمع العلمى) فى مؤلفه «ريموند أو الحياة والموت » . وفيه يراجع هذا العالم الكبير بعض نظرياته القديمة فى ضوء معلوماته الروحية عن المادة والطاقة، والزمان والمكان، والإنسان . كما يراجع فهمه القديم لجوانب فلسفية كثيرة للحياة ، وذلك إلى حد أن أكثر من نصف كتابه الضخم هذا يدور حول هذه المعانى الجديدة التى تخالف آراءه القديمة .

بينات لها قيمتها من ثقات

وهذه واقعة تشير إلى المستوى العلمى الذى قد يبلغه بعض الأرواح فى الجلسات الراقية نشرتها جريدة لومين Lumen ببرشلونة ، ونقلتها عنها « المجلة الروحيـــــة » بباريس[1] ، ومقتضاها أن الدكتور جوان ريكالد Juan Ricalde وهو رئيس سابق لجمهورية باراجواى، وجراح كبير بها ، كان موجوداً فى مدينة سان باولو بالبرازيل حيث تقيم الكونتيسة تانو Tano، التى كانت تعقد فى منزلها جلسات روحية تدعو إليها بعض الشخصيات فدعت الدكتور ريكالد إلى حضور إحداها ، فحضر رغم أنه أكد لها مقدماً عدم إيمانه بوجود

---

(١) La Revue Spirite عدد فبراير ١٩٢٥.

أرواح أو بحياة تلي الموت . لكنه قال إنه على استعداد للاقتناع إذا قدم له الوسيط الدليل المقنع .

وبعد أن اتخذت جميع الاحتياطات اللازمة لمنع التدليس أعطت إحدى الأرواح رسالة تناولت فيها بالألفاظ الفنية الدقيقة مسألة من مسائل الجراحات الشديدة التعقيد. وبعد انتهاء الجلسة كتب الدكتور ريكالد بياناً بيده جاء فيه : « نعم إن هذا يبدو غير قابل للتصديق لكنه صحيح . فالأرواح موجودة على سبيل اليقين ويمكنها أن ترشدنا . أتعلمون ماذا قالت لى هذه الروح ؟ لقد كنت أستمع إليها وأتبادل معها الحديث خلال ساعتين وعشرين دقيقة كما لو كنت أحادث زميلاً عظيماً بخصوص عملية جراحية سأجريها غداً ، وإنى لمقتنع أن الأمر خاص بروح لا بإنسان حى ، وكانت هذه الروح متخصصة فى الموضوع فأجابت بتدفق وبوضوح على جميع أسئلتى . وعلى ما أثاره ذهنى من اعتراضات شتى .

وعلاوة على ذلك فقد أمكننى أن أتحقق من ظاهرة يعجز العلم عن تفسيرها ، فإنه أثناء الغيبوبة تغيرت درجة حرارة الوسيط فجأة ، وكانت تطفر بغتة من خمس إلى ثمانى درجات، فخمس عشرة، فعشرين درجة حتى وصلت إلى ٣٧ درجة، ثم إلى ٤٠ درجة سنتيجراد . وكان ذلك هو الشأن أيضا فى النبض الذى نزلت سرعته إلى ست نبضات فحسب فى الدقيقة »[1] .

* * *

(١) سجل الباحثون فى عدة أمكنة هذا التغير الشديد المفاجىء فى النبض والنفس عند بعض وسطاء الغيبوبة، واستخدموا فى ذلك أجهزة دقيقة . ومنهم هيروارد كارنجتون الأمريكى (مجلة Fate عدد سبتمبر سنة ١٩٥٥)، ومنهم هارى برايس فى انجلترا فى بحوثه على الوسيط رودى شنيدر والوسيطة ستلا . وراجع أيضا مقالا للأستاذ دادلى E. E. Dudley عنوانه « تحول الطاقة فى الجلسات الروحية » فى عدد يولية ١٩٢٦ من صحيفة « جمعية البحث والروحى الأمريكية » A. S. P. R. Journal .

وهذه أيضا واقعة وردت « بالمجلة الروحية » بباريس[1] مقتضاها أن أحد العلماء الحاضرين ناقش الروح الراقية التي كانت تشير إلى نفسها بكلمة سيمبول Symbol — أى الرمز — فى موضوع الإشعاعات الكونية المسماة ميليكان Millikan فأجابت الروح بتاريخ ٨ يناير سنة ١٩٣١ . « تأتى هذه الإشعاعات من الأرض ومن الفضاء فى نفس الوقت . وبمجرد أن تتقاطع الأشعة الصادرة من الأرض مع تلك الصادرة من الكواكب تنخفض التموجات الطقسية التى تصبح أكثر سيولة وأشد بطئاً فتسمح للطاقة المدامة فيها أن تمر . وهذه الطاقة عبارة عن كربون وسائل هيدرات الكربون Carbures Hydratés الشديد العنف . ومن خصائصه أنه يسمح بتصحيح الأوزون (غاز ينجم عن تكثيف الأوكسيجين) عن طريق الاحتراق . وبمضى السنين تخرج الغازات المخربة الداخلية ولا يمكن للأوزون أن يتغلب عليها لأنه ضئيل القدر إلى مدى يتعذر تقديره infinitésimale » .

ويضيف الأستاذ ليون شين Léon Chéne معلقاً على هذا البيان من الروح سيمبول أنه « منذ أوائل ١٩٣١ وعلماء الطبيعة مقتنعون بأن إشعاعات ميليكان تنبعث من مصادر سحابية ومن أماكن فلكية . لكن فى أغسطس سنة ١٩٣٢ أودعت العلامة إيرين كورى Irène Curie تقريراً فى أكاديمية العلوم تزعزع فيه هذا الفرض القديم عن إشعاعات ميليكان . ثم تمكن العالمان دوفيليه Dauvillier ورينيه Regner من ستوتجارت ، ثم بيكار Picard من هدم هذا الفرض برمته تقريباً مما يؤيد أقوال الروح سيمبول هذه ! ! »

***

وهذه واقعة أخرى يرويها جراح برازيلى كبير وأستاذ فى كلية الطب بجامعة بايا Baya ، ونائب سابق فى اتحاد المؤتمر التأسيسى البرازيلى ، وهو الدكتور متى براسيلار Matta Bracellar: « توجهت فى ١٠ أكتوبر سنة

(١) La Revue Spirite عدد ديسمبر سنة ١٩٣٥ .

١٩٢٢ إلى أر ييبدس برادو Enripidés Prado كما أشاهد عملية فتح خراج لطفل بواسطة طبيب من عالم الروح ، وكانت الوسيطة هي السيدة آنا برادو Anna Prado . وتقدم إلى الطفل واسمه ج. اندراد J. Andrade وسنه ١١ عاماً فحصته قبل العملية،وتبينت أن به خراجاً تحت إبطه الأيسر . وكان يتعين عليّ إذا ما شئت أن أتدخل بنفسي الانتظار لمدة ثلاثة أيام أو أربعة حتى لا أحمّل المريض سوى اليسير من الألم بالنظر إلى التهاب موضع الخراج . وفي الساعة التاسعة مساء دخل الوسيط إلى الغرفة المظلمة ، وجلس الحاضرون متشابكي الأيدي ، وجلس الغلام بجوارهم بعد أن كشف عن ذراعه الأيسر .

« و بعد نصف ساعة تجسد وجهان ، أحدهما لروح تسمى جواو Joao ترتاد كثيراً جلسات برادو ، وثانيهما لروح مجهولة تقدمت نحو الكرسي الذي كان يجلس المريض عليه ، ثم صار جسم جواو أكثر وضوحاً فلمست أصابعه ، وأخيراً ظهر شبح كامل تقدم ناحية المريض وانحنى عليه بطريقة شخص يجري عملية . وانتهت العملية بعد ثلاثين دقيقة ، فانسحب الشبح واختفى وأخبرنا بفم الوسيط بأنه لم يفتح الخراج أكثر مما فتحه حتى يوفر على المريض ألماً أشد وطأة ، وأن العملية تعد على هذا النحو كافية كيما تؤدي إلى الشفاء العاجل . ثم قال « إن الصغير لن يشعر بأي ألم بعد الآن » .

ثم أضيئت الغرفة وتقدمت ناحية المريض،ولفرط دهشتي العظمى تبينت أنه يمسك بيده منديلا ملوثاً بالدم والصديد، وقد فتح الخراج وكان لا زال ينضح دماً وصديداً.وقد أحس الفتى بحصول التدخل الجراحي أثناء حصوله ، لكنه كان ألما محتملا بحيث لم نسمع منه أنيناً خلال النصف الساعة»[1] .هذه شهادة أستاذ بإحدى كليات الطب ننقلها للقارىء بحروفها ، فهل له مصلحة في الكذب،أو المبالغة ؟ !

وتشبه الواقعة السابقة أخرى رواها مراسل جريدة «ديار رداتوات» البرازيلية ملخصها أن مريضاً إيطالياً يدعى أندياردي برناردي يعمل عاملا في صناعة الصلب

(١) عن المجلة الروحية الفرنسية عدد مايو سنة ١٩٢٣ ص ٢٣٠ .

أجرت له الأرواح عملية إزالة الزائدة الدودية، بعد تجسدها، وكان ذلك فى غرفة مغلقة ومختومة بالشمع، وكان ينتظر إلى جوارها أحد عشر شخصاً منهم ثلاثة من الأطباء المنكرين للروحية الذين أصابهم الذهول مما تحققوا منه بأنفسهم قبل الجراحة وبعدها من استئصال الزائدة الدودية للمريض ووضعها فى وعاء للكحول : وقد شهدوا بأنه لا يمكن لغير جراح ماهر جداً أن يقوم بمثل هذه الجراحة، حتى لو كانت الغرفة مضاءة[1].

الكاميرا تسجل وجود إشعاعات غريبة فى غرف الجلسات

وهذه الظواهر الوساطية الفيزيقية التى قد تصل إلى حد تجسد طبيب أو أكثر تجسداً تاماً أو جزئياً للقيام بجراحات تشبه فى وسائلها الخارجية الوسائل الأرضية نادرة مع ذلك . فلم تسجل الجلسات إلا حالات قليلة من هذا القبيل، فلا يتصورن أحد أن هذه هى الطريقة المألوفة فى العلاج الروحى .

بل إن العلاج الروحى كما ذكر لورد داودنج فى الفصل السابق[2] يتم عادة بوسائل مختلفة تماماً عن التجسد الكلى أو الجزئى للروح، وهو فى ذاته أمر قليل الحدوث. فهو يتم غالبا بواسطة أرواح غير منظورة (إلا من وسطاء الاستشفاف)، وبوسائل غير مادية هى عبارة — فى أغلبها — عن إشعاعات مختلفة من مصدر غير أرضى يشاهدها أحياناً الحاضرون جميعاً فى الجلسات العلاجية . وأمكن تسجيل إشعاعات مماثلة بالتصوير الفوتوغرافى ، بمناسبة تحقيق وساطة ج. لويس من سوث ويلز داخل « الكلية البريطانية للعلم الروحى » ، كما أمكن تصوير أجهزة — غير معروفة المصدر — وهى تعمل فى الغرفة ، وكان بعضها يدور بسرعة دوران المروحة الكهربائية ، والوسيط مقيد الوثاق بالحبال فى كرسيه وهو فى غيبوبة عميقة ، فضلا عن وجود جهاز كهربائى متصل بهذه الحبال كيما ينم عن أية حركة قد تصدر منه ، كما هو مبين باللوحات الأربع الآتية : —

---

(١) راجع تفصيل الواقعة بقلم الأستاذ الدكتور على راضى فى « مجلة عالم الروح » سنة ١٣ العدد الأول ص ٤ — ٦ .

(٢) راجع ما سبق فى ص ٥٦١ — ٥٦٥ .

ظواهر غريبة تسجلها الكاميرا فى « الكلية البريطانية للعلم الروحى »

(١)



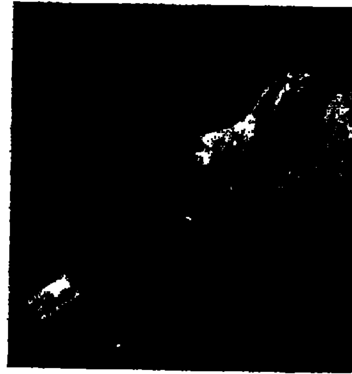
الوسيط فى غيبوبته مقيد الوثاق، وقد ظهر جهاز مضىء مجهول المصدر يعمل بجواره ، كما ظهر فوقه شبح مصباح بجوار مصباح حقيقى مضىء .

(٢)



الوسيط فى غيبوبته التامة مقيد الوثاق على كرسيه ، وقد ظهر فى أعلا الصورة جهاز مضىء مجهول المصدر يدور كالنحلة، كما أخذ مصباح الثريا الأوسط يعطى إشعاعاً قوياً مخالفاً لطبيعته المألوفة فى الصورة رقم (٤)

(٣)



الوسيط فى غيبوبته وبجانبه بطاقة معلقة فى الهــواء تدور بسرعة خيالية بدون وسيلة منظورة .

(٤)



الوسيط مقيد الوثاق فى غيبوبته ومتصلة به أجهزة كهربية تنم عن أية حركة قد يأتى بها. وعندما وضعت منضدة إلى جواره أخذت تدور من تلقاء نفسها بسرعة شديدة .

فهل للكاميرا التى التقطت هذه الصور — وهى كثيرة وواضحة ومنشورة فى عدد يناير سنة ١٩٢٩ من مجلة « العلم الروحى » التى تصدرها الكلية —[1] عقل باطن صور لها أوهاما خرافية ؟!... أم هل تواطأ علماء كبار فى معهد علمى راق على خداع البيئات العلمية لغير حكمة مفهومة ولا سبب واضح ؟!...

عن المس والاستحواذ

والعلاج الروحى يتم فى بيئات كثيرة وكتبت عنه مؤلفات عديدة لها قيمتها، وتعرض له باحثون كثيرون من أطباء وغيرهم ، وأثبتوا جدواه أحيانًا فى علاج بعض حالات من الأمراض الجسدية والعصبية التى قد تعزى إلى المس والاستحواذ ، بشرط أن تتوافر لنجاحه وساطة راقية ، وأرواح قادرة على مباشرته . ومن أهم المراجع فيه كتاب «ثلاثون سنة بين الموتى» ، وهو خلاصة تجارب دامت لمدى هذه السنين الطوال بمعرفة الطبيب الأمريكى كارل ويكلاند Carl Wickland عضو « الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم » ، (المجمع العلمى الأمريكى) ، وبعدئذ استأنفها لمدى خمسة عشر عاما أخرى فى معهد خاص للعلاج الروحى فى لوس أنجيليس بكاليفورنيا . أى أن هذا الطبيب العالم واصل بحوثه فى الاستحواذ والمس لمدى خمسة وأربعين عاماً، ولم تتوقف تجاربه الناجحة فى العلاج إلا بانتقال قرينته الوسيطة السويدية إلى عالم الروح فى عام ١٩٣٧[2].

وقد جاءت نتائج تجاربه مؤيدة لتجارب الدكتور تيتوس بول Titus Bull وكيل « جمعية البحث الروحى الأمريكية » وهو بدوره عضو فى « الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم » التى واصلها لمدى عشرين عاماً ، ولخصها فى

(١) Psychic Science. ص ٣٣١ —وما بعدها.

(٢) من أوائل من اقتنعوا بصحة موضوع المس والاستحواذ الفيلسوف الأمريكى وليام جيمس (راجع ما سبق عنه فى ص ٢٧٨) ، والدكتور فردريك مايرز أستاذ علم النفس بجامعة كامبريدج (راجع بوجه خاص الفصل التاسع من مؤلفه عن الشخصية الإنسانية ، وبقائها بعد موت الجسد).

(٣) راجع عنه ما سبق فى ص ٢٩٣ — ٢٩٥ .

مؤلف له ظهر فى سنة ١٩٣٢ عنوانه « تجارب فى علاج العقول المريضة »[١] . وكانت وسيطته فى طرد الأرواح الماسة تدعى السيدة ديوك Duke ومبين تلخيص لها فى مجلة « الكلية البريطانية للعلم الروحى[٢] » . وتدور كلها حول علاج بعض الأمراض المستعصية التى ثبت بعد بحث كاف أن مصدرها مس روحى Obsession أو استحواذ كامل Possession فنجح فى علاجها هذا الطريق ، بعد أن فشلت تماما السبل المألوفة من تحليل نفسى وصدمات كهربائية وغيرها .

* * *

هذا وقد سئلت الروح التى ترمز لنفسها باسم « هوايت راى » White Ray (الشعاع الأبيض) لماذا يصاب بعض الناس فى عقولهم ؟ فأجابت قائلة: — « يرجع ذلك أحياناً على أرضكم إلى الوراثة ، وأحياناً أخرى يرجع إلى أمراض مختلفة ، أو إلى إصابات فى المخ ، ومن ناحية أخرى ، فهناك الأفراد الموهوبون بموهبة وساطية بدرجة عالية ، ولكنهم لا ينمونها إما لجهلهم الطريقة اللازمة لذلك ، وإما لإهمالهم إياها ، ولذا لا يتيحون لخالقيهم من المناطق العليا الفرصة لأن يحصّنوا لهم ذلك الباب المفتوح الذى يتمثل فى المواهب الوساطية ، فيصابون بالمس من روح شريرة .

وهذه الحالات جميعها لا يمكننا أن نقول إنها تحل بالإنسان كعقاب له . بل إنها تأتى كرد فعل أو كنتيجة لعملكم ، أو لتصرفكم ، أو لتخطيطكم ، والحالات الناجمة عن الوراثة لا تأتى بتاتاً كيد من عالمنا . وتلك التى تتسبب عن المرض — لا عن الوراثة — من الممكن، بل من الواجب ، علاجها فى عالمكم. ولو أن كل الجهود التى تنفق على الحروب فى عالمكم وجهت إلى العناية بصحة البشرية ، ولو أن كل التفكير الذى يعطى لأسلحة الدمار تحول إلى علاج

(١) Experiences in Healing Relative to Diseased Minds.

(٢) عدد أكتوبر ١٩٢٨ (مجلد ٧ عدد ٣) ص ١٩٧ — ٢١٤ .
والتلخيص بقلم سكرتيرته الخاصة هيلين س لامبرت Helen C. Lambert .

أمراض الجسم والعقل ، إذاً لحصلتم على علاج لهذه الأمراض ، وإن كنتم ستواجهون كثيراً من المشكلات في سبيل الوصول إلى ذلك العلاج .

أما السبب الثالث (غير الوراثة ، وغير الأمراض المختلفة وإصابات المخ) وهو المس بأرواح شريرة فيرجع إلى الجهل بالقوانين الطبيعية . إنكم تذهبون إلى المدارس وأنتم أطفال، وتلقنون كيف تقرأون وكيف تكتبون ، وكيف تكتسبون رزقكم ، وكيف تصيرون مواطنين صالحين . كذلك تلقنون أنه نظراً لوجود أناس فى عالمكم بعقلية منحطة أو إدراك ناقص ، فعليكم أن تغلقوا أبواب بيوتكم فى وجوههم لئلا يدخلوها ، ويسببوا لكم إزعاجاً أو ضرراً .

نعم إنكم تتعلمون هذه الأشياء ، ولكنكم لا تعرفون كيف تحمون أنفسكم من أولئك الذين لهم عقليات منحطة أو إدراك ناقص فى عالم الروح ؛ فتبقون أبوابكم مفتوحة بسبب الجهل ، معرضة إلى جميع اللصوص غير المنظورين الذين قد يفدون عليكم ويتلفون عقولكم . إننا لا نقول لكم إن كل شيء رائع فى عالمنا . فعلى العكس من ذلك يوجد فى المناطق السفلى من عالمنا أولئك الذين لم يستطيعوا أن يرتقوا فى عالمكم،أولئك الذين لم تسنح لهم الفرصة لرفع أرواحهم ، أو الذين كانت لديهم الفرصة لذلك ولكنهم لم يستخدموها .

إن الاضطراب العقلى ليس محنة مرسلة من الله ، ولكنه قد يحدث بسبب الجهل الذى تعيشون فيه . وفى الوقت الذى تستيقظ فيه معرفتكم وتقوى ، تنقص المخاطر التى تتعرضون لها ، لأنكم ستكونون على جانب من الحكمة أكبر مما أنتم عليه الآن »....

كما سئلت الروح « ماذا يحدث للمصابين عقلياً عندما ينتقلون إليكم ؟... فأجابت قائلة : « إن هؤلاء الأشخاص عندما يأتون إلينا سيجدون رعاية خاصة،لأن لدينا لكل نوع من الأرواح مساكن خاصة لإعداد أصحابها لملاءمة الحياة الجديدة . وهناك يوزعون على أقسام مختلفة : فيوضع المصابون بأمراض عقلية فى قسم خاص ، والمصابون بمس من روح شريرة فى قسم آخر .

وهؤلاء المصابون بالمس يمثلون أصعب الحالات ، لأنهم كثيراً ما يرتبطون بالأرواح التي اختلطت هالاتها بهم ، ومع أنه لا يمكن الجمع بين تلك الأرواح بالحب أو بأى رباط آخر ، إلا أنها تبقى معاً في المستوى المظلم . هذه إذاً أصعب الحالات لنا ، لأننا إذا لم نستطع التفريق بينها في لحظة قطع الرابطة بالحياة الأرضية ، فإنه سيبقى أمامنا عمل شاق طويل قبل الوصول إلى علاج الحالة .

وفى النهاية نستطيع أن نتصل بها ونجعلها تدرك إمكانياتها الخاصة ، وملكاتها السماوية ، وذكاءها الخاص ، وفى أثناء تلك العملية نستعين بعلماء التحليل النفسى الذين على هذا الجانب من العالم ، ولو أن هذه الحقيقة قد تبدو غريبة جداً لكم . نعم ثمة حاجة ماسة إلى التحليل النفسى ، ففى حالة وجود أمراض عقلية أو حالات مس بالأرواح الشريرة ، يجب الاستعانة بالتحليل النفسى . ولو أن هذا لا يتبع الآن عندكم كقاعدة عامة إلا أنه بهذه الطريقة قد يمكن معالجة تلك الحالات[1] .

أما المرضى الآخرون فيتعهدهم الأطباء . وبواسطة معالجة الجزء المصاب من الروح (الجسد الأثيرى) القابل لما يقابله في الجسم البشرى ، يمكن إعادة القوة إليه ، وتمكين العقل من التفكير المستقل . وبعد ذلك يبدأ تعليمهم مثل الأطفال الصغار في مدارسكم ، فيدربون على استعمال عقولهم مع تفهيمهم أن عقولهم المريضة قد تركت خلفهم وأنهم – بعد – ليسوا مصابين بشىء .

(١) التحليل النفسى الذى تتحدث عنه الروح ، هو التحليل الحديث القائم على أسس جديدة من التسليم بدوام الحياة بعد الموت ، وصحة الظواهر الوساطية ، وإمكان التداخل بين عالمى الروح والمادة ، وإمكان المس الروحى والاستحواذ . وقد بدأ فعلا بعض مدارس التحليل الحديثة يتجه هذا الاتجاه بفضل عباقرة نفسيين وفلاسفة كبار من طراز وليام جيمس ، وبرجسون ، ومكدوجال ، وراين ، ويونج ، وفردريك مايرز ، وبوزانو ، وناندورفودور ، وبرونس ، وكارل ويكلاند ، وتيتوس وبول وغيرهم من أصحاب العقول المتحررة من أغلال الماضى وقيوده البالية . وفى نفس الوقت لاحظنا على بعض الوسطاء الروحيين فى بلادنا أنه يسىء استخدام كلتى المس والاستحواذ إساءة بالغة ، وينسب إليهما حالات كثيرة من الأمراض النفسية والعضوية التى لا تمت إليهما بأية صلة . ولا ريب أنه كلما تقدمت البحوث الروحية الجادة كلما أمكننا أن نصل إلى نتائج أقرب إلى الصحة من غيرها .

وبعد تدريبهم يتمكنون من التفكير ومن الابتكار مثل سائر الأرواح . كذلك يتعلمون الحكمة من نواميس الحياة، فيفقهون أن تلك النواميس لا ترضى باستمرار النقص أو عدم الكمال . وبذا يصير فى ميسور من كانوا يعانون من الانحطاط العقلى فى عالمكم أن يتقدموا ويحصلوا على الحكمة الروحية، وعلى النور السماوى ؛ فإن جميع الأرواح خلقها الروح الأعظم وهى جزء منه »[١] .

هذا وقد بعثت سيدة متألمة إلى نفس هذه الروح المرشدة «الشعاع الأبيض» قائلة لها : « إن ابنتى الصغيرة متأخرة عقلياً ، فهل معنى هذا أن بها مساً من روح شريرة ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، ولم يعمل شىء هنا لعلاجها، فماذا يكون مصيرها عندما تنتقل إلى العالم الآخر ؟ » فأجابت الروح على هذا السؤال قائلة : «إن الإنسان المصاب بنقص فى قواه العقلية ليس من الضرورى أن يكون مصاباً بمس من روح انتقلت من عالمكم إلى عالمنا (بالوفاة) ، ثم ظلت هائمة حول عالمكم ، ولو أن تلك قد تكون الحال أحياناً . بل إن ذلك النقص قد يكون راجعاً، فى كثير من الأحوال، إلى الوراثة . وليس من الضرورى أن تكون الوراثة عن الآباء أو الأجداد الأقربين، بل ربما من الأجداد فى الماضى السحيق ، فهؤلاء ربما كانت لديهم نقائص جسمية أو عقلية، بسبب أخطائهم أو أخطاء آبائهم . فمن الحقائق التى توصل إليها علماؤكم أن ذنوب الأجيال السابقة قد تقع عواقبها على الأطفال الأبرياء .

وقد تتساءلون : وهل هذا من العدل فى شىء ؟ !

وعلى هذا نجيب بأن هذا قانون لا يمكن تغييره . فالروح الأعلى قد عمل نواميس معينة للبشر فيتمتعون بالأجسام الصحيحة طالما كانوا لا يخرجون على هذه النواميس، ومنها القانون الذى يحكم العالم ، ولو بعد أجيال كثيرة من الجهاد والآلام ، وهو قانون السبب والنتيجة، ومن حقائقه الثابتة أن ذنوب الآباء قد تحل على الأبناء أيضاً .

(١) عن كتاب فلسفة « هوايت راى » (الوسيطة السيدة بوليت أوستن) .
The Philosophy Of White Ray (Through The Trance Mediumship of Paulette Austen). ص ١١٠ — ١١٢ .

وليس هذا نتيجة لإرادة الله ، بل نتيجة للطريق الذى اتخذه الإنسان لنفسه . ولو أن الطرق رسمت لكم بواسطة العقل الأكبر ، غير أنه بسبب الإرادة الحرة التى منحتموها ، فإنكم تختارون الطريق الذى يروق لكم . ونتيجة لذلك وقعت المآسى لبنى البشر فى أوقات مختلفة . فمثلا قد تنمو ثمار جميلة جداً على شجرة ما. ولكن إذا تلفت الجذور، أصيبت الشجرة بنفس الضرر الذى أصيبت به الجذور . وهكذا الحال للجنس البشرى، بل لكل الخليقة، عندما تتلف الجذور، يقاسى النبت جميعاً معها إلى أن يشفى بعد كثير من التعاسة والألم .

نعم ستنتصر الطهارة فى النهاية ، وهى تنطوى على النور الجميل والقوة اللذين يشعان من الإخلاص والنبل والكرم ، نعم إنها تنتصر دائماً وإن كان يبدو لكم أحياناً أنها هزمت . ولا تنسوا أنه رغم الوراثة اللعينة ، والذكريات المريرة، ستحل القداسة حتى بأكثر المذنبين أو المنسيين منكم منذ الولادة . وحتى إذا ظهر عدم الاتزان على الإنسان، فإن الومضة القدسية تكون كامنة فيه، وإن كانت فى بعض الأحيان تخبو أو تختفى ، فلا بد أن يأتى اليوم الذى تتلألأ فيه .

وإذا كان الجسم ، وحتى العقل ، قد أتلف فى عالمكم ، فإنه يعود إلى قواه الكاملة ، حالما يواصل الحياة فى عالم الروح . وإلى هذا العقل ، وهذه الروح ، يمنح الإدراك العميق للحقيقة الجميلة التى تمنح لسائر البشر ، فتعطيه سائر مباهج الحياة ، ثم تزدهر منه نفس الروح التى تصل فى أروع مجدها إلى العلياء »[1] .

بعض كبار المعالجين

ومن يريد الاستزادة فى شتى موضوعات العلاج الروحى يمكنه أن يرجع إلى بعض مؤلفات الأستاذ هارى إدواردز Harry Edwards أبرز معالج روحى معاصر ورئيس «الاتحاد الوطنى للمعالجين الروحيين[2]». ومنها: «علم العلاج الروحى[3]»

(١) المرجع السابق ص ١١٨، ١١٩ .

(٢) The National Federation Of Spiritual Healers.

(٣) The Science Of Spirit Healing.

(١٩٤٥) ، و «العلاج الروحى»[1] (١٩٤٩) وغيرها كثير[2]. وذلك بالإضافة إلى الكتب التى وضعت عن هذا المعالج من مؤلفين ثقات حققوا وساطته بأنفسهم ، مثل الأستاذين موريس باربانيل وبول ميللر وقد أشرنا إلى هذه المؤلفات فيما سبق[3] . ويجرى الوسيط هارى إدواردز جلسات علاجية علنية متعددة،منها جلسة عقدت فى ٢٥سبتمبر سنة ١٩٥٤ فى أكبر قاعة عامة فى أوروبا وهى قاعة ألبرت حضرها ستة آلاف شخص كان من بينهم لجنة من الأطباء أرسلتها «الجمعية البريطانية » كيما تحقق نفسها ما يتم فى هـــذه الجلسات من معجزات علاجية محيرة للعقول . كما حضر الاجتماع أعضاء اللجنة التى كان قد شكلها أسقف كانتربرى لتحقيق الظواهر الروحية . وقد نجح هارى إدواردز فى هذه الجلسة فى رد حاسة



هارى ادواردز

(١) Spirit Healing.

(٢) ومن هذه المراجع الأخرى للأستاذ هارى إدواردز :—

A Guide To Spirit Healing.
Psychic Healing.
The Evidence For Spirit Healing.
The Truth About Spiritual Healing.
The Power Of Spiritual Healing.
The Mediumship Of Arnold Clare.

وراجع أيضاً كتاب The Quest For Healing للأســتاذ جودفرى ون Godfrey Winn (١٩٥٦) ويدور حول وساطة السيدتين فيفيان درانت وشبرد وغيرهما .

وكتاب « العلاج » Healing للسيدة جريس كوك Grace Cooke بالاشــتراك مع الأستاذ إيفان كوك Ivan Cooke ، وكتاب « علاج العقل » Healing The Mind من تأليف الدكتور ر . كونيل R. Connell بالاشتراك مع الوسيطة جيرالدين كامينز G. Cummins (١٩٦٧) ويتضمن بيانات عن حالات كثيرة كان ميئوساً من شفائها شفيت عن طريق الوساطة الروحية .

وبالفرنسية راجع كتاب Les Guérissons Supranormales للأســتاذ رينيه ترنتزوى René Trintzuis ومبين به بعض حالات تمت لشفاء معجز على ثلاثة أطباء من أعضاء أكاديمية الطب بباريس بمعرفة الوسيط شارل بارلانج Charles Parlange .

(٣) راجع ما سبق فى ص ٣٧٦ ، ٣٨٤ .

السمع لسيدة صماء منذ أربعين عاماً ، وفى شفاء عمود فقرى مشوه لطفلة ، وحالة شلل أطفال لطفلة أخرى ، وغدة متضخمة فى الرقبة كانت تمنع صاحبتها من النطق ، وحالات أخرى كثيرة ذكرتها موضحة بالصور ، صحف الأوبزرفر ، ونيوز أوف ذى وورلد ، ورينولد نيوز ، وببول ، وصنداى بكتوريل ، وصنداى جرافيك ، وديلى سكتش ، والتيمس وغيرها .

وتاريخ الحركة الروحية يعرف معالجين كبار آخرين غير هارى إدواردز، منهم الدكتور بومروى Pomeroy ، والسيدة هيس ، وفيليسياد . كروسلى ، ووليام باريش ، وليلى . ومنهم أيضاً السيدة ريدت Wriedt وسيطة العلاج والصوت المباشر ، والسيدة نينا فرانسس Nina Francis ، والسيدة إيلين جاريت Eileen Garrett [1] . وقد حقق وساطة بعضهم ر . هـ . سوندرز R. H. Saunders فى مؤلفين له فى العلاج الروحى : أولهما « العلاج عن طريق سفارة الروح [2] » ، وثانيهما « الصحة : استردادها والمحافظة عليها [3] » .

وقد كان يهيمن على هؤلاء الوسطاء الثلاثة الأخيرين روح معالج معروف فى الدوائر العلاجية فى الغرب وهو الطبيب عبد اللطيف الفارسى (١١٦٢ — ١٢٣١م) الذى يرأس إحدى الإرساليات العلاجية الهامة فى الأجواء [4] . كما كانت نفس الروح تهيمن أحياناً على المعالج الشهير باريش Parish ، وعلى

---

(١) راجع ما سبق عنها فى ص ٢٨٤ .

(٢) Healing Through Spirit Agency.

(٣) Health, its Recovery and Maintenance.

(٤) وكان فى حياته الأرضية عالماً وطبيباً ورحالة ومؤرخاً ، وقد ألف أكثر من مائة كتاب فى مختلف العلوم ، وقد وجد له المؤرخ سوندرز Saunders كتاباً بخط يده وسط مكتبة بودلين باكسفورد ، وهو يحوى مشاهداته بمصر حوالى سنة ١٢٠٠ ميلادية . وكان عبد اللطيف هذا من المعاصرين للبطل العربى صلاح الدين الأيوبى ومن المقربين إليه .

وسيط التجسد الأمريكي فرانك دكر Frank Decker. وقد قدم المؤلف الثانى سير آرثر كونان دويل بمقدمة يسرد فيها بعض أنباء اتصالاته الخاصة بروح الطبيب عبد اللطيف الفارسى هذا .

علماء كبار يحققون صحة النتائج

وقد قام علماء ذوو سمعة عالية فى الطب والفسيولوجيا بتحقيق عدد كبير من حالات الشفاء المعجز فى شتى صوره وأوضاعه . وانتهوا إلى التسليم به حقيقة علمية مقررة ، سواء منه ما يتم بمعرفة معالجين من الوسطاء الذين خضعوا لتجاربهم المدققة ، أو ما يتم فى مزارات معروفة قد يختفى فيها العنصر الآدمى كيما يتبقى العنصر الروحى الخالص يعمل عن طريق سبل شتى ، منها مياه محملة بسيالات روحية بوسائل لا يزال يجهلها العلم المادى .

فمثلا شهد لحالات من الشفاء المعجز التى تحقق منها بنفسه الطبيب المعروف ألكسيس كارل Alexis Carrel مدير «معهد روكفلر» بنيويورك[1] والحائز على جائزة نوبل ، وأشار إليها إشارة صريحة فى مؤلفه «الإنسان ذلك المجهول» L'homme Cet Inconnu وفيه يقول : « ولقد حاول المؤلف أن يتعلم خصائص هذه الطريقة فى الشفاء مثلما تعلم طرقه العادية ، وبدأ دراساته لها فى عام ١٩٠٢ ، أى فى وقت كانت وثائق هذا العلم نادرة فيه ، وكان من الصعب جداً على طبيب شاب ، ومن الخطر على حياته المستقبلة أن يبدى أى اهتمام بمثل هذا الموضوع . . أما اليوم ففى إمكان أى طبيب أن يلاحظ المرضى الذين يحضرون إلى لورد

---

(١) ولد الدكتور ألكسيس كاريل فى سنة ١٨٧٣ بمدينة ليون بفرنسا ثم أصبح أستاذاً فى كلية الطب بها . ثم سافر إلى الولايات المتحدة فى عام ١٩٠٥ حيث عمل فى معهد روكفلر للأبحاث العلمية بنيويورك لمدة ثلاثين عاما . وحصل على جائزة نوبل فى الطب سنة ١٩١٢ ، وأصبح مديراً لهذا المعهد إلى أن عاد إلى فرنسا فى سنة ١٩٣٩ حيث أشرف على عدد من المعاهد الطبية والمستشفيات . وعرف بأبحاثه العميقة فى القلب الميكانيكى وتوفى بباريس فى نوفمبر من عام ١٩٤٤ .

Lourdes (حيث يوجد مزار مشهور) وأن يفحص السجلات المحفوظة فى المكتب الطبى .

ولورد مركز لاتحاد طبى دولى ويتكون من عدد كبير من الأطباء ، وقد أخذت الكتب والنشرات التى تبحث الشفاء المعجز تنمو وتكثر ببطء..ومن ثم بدأ الأطباء يصبحون أكثر اهتماما بهذه الحقائق الخارقة . ولقد أبلغت حالات كثيرة للجمعية الطبية ببوردو Bordeaux بواسطة أساتذة مدرسة الطب والذين بأكاديمية نيويورك الطبية التى يرأسها الدكتور بيترسون » ...[(١)] .

كما شهد لحالات متعددة من الشفاء المعجز الدكتور جيمل Gemmel أستاذ الطب الباطنى بجامعة جلاسجو ، وزميله الدكتور كولفن Colvin أستاذ الجراحة بنفس الجامعة ، وسير وليام أوسلر W . Osler أستاذ الطب الباطنى بجامعة أكسفورد ، والدكتور كارميكل Carmichael أستاذ علم الصحة وأمراض المناطق الحارة بجامعة لندن وأحد المؤلفين لكتاب A Text Book Of Medicine الذى يدرس فى كليات الطب ... ومثلهم كثيرون الآن .

وهذه الشهادات لم تلقَ على عواهنها ، لأن أمثال هؤلاء لم يتعودوا أن يلقوا هذا النوع من الشهادات جزافا فى أمور خطيرة تمس إلى أبعد الحدود سمعتهم الأدبية ومكانتهم العلمية لو كانت فيها كلمة واحدة قيلت ارتجالا ، فالارتجال فى تكوين الرأى لم يكن يوماً من شيمة هؤلاء العلماء ، ولا تغذية أوهام العوام أو الانقياد لها.إنما هى الشجاعة الأدبية،وهى فداحة مسئولية الأمانة العلمية ، التى دفعت هؤلاء إلى مشقة تحقيق مدى صحة بعض حالات العلاج الروحى وإعلان رأيهم جهاراً بعد اتباع أشد أساليب التحقيق العلمى دقةوتحفظاً .

* * *

(١) راجع الترجمة العربية للأستاذ عادل شفيق ص ١١٨ ، ١٢٠ .

بل ما على المتشكك إلا أن يراجع كتاباً واحداً ، مثل كتاب « المسألة الكبرى والبينة على حلهـــا »[١] للطبيب جورج لندسى جونسون George Lindsay Johnson الحاصل على عدة مؤهلات طبية عالية منها شهادة F. R. C.S. من انجلترا ، و F, R, S من إيطاليا وغيرها . وفيه يتحدث بدوره عن حالات شفاء خارقة حدثت فى مدينة لورد بجبال البرانس حيث يوجد المزار الذى تحدث عنه آنفاً الدكتور كاريل .

وتجد أيضاً بياناً وافياً عن بعضها فى كتاب « البراهين الطبية للعلاج المعجز » لمؤلفه الطبيب الفرنسى لى بك E. Le Bec جراح مستشفى سان جوزيف بباريس، وقد نقله إلى الإنجليزية الدكتور إزارد H. E. Izard وقدمه للقراء الدكتور إرنست وير Ernest E. Ware كبير جراحى مستشفى سان جون وإليزابث بلندن . كما تجد بيانا آخر عنها فى كتاب « عشرون حالة شفاء فى لورد » لمؤلفه الدكتور دى جراند ميزون دى برينو De Grand Maison De Bruno وقد نقل بدوره إلى اللغة الانجليزية .

ويقدم الدكتور لى بك بيانات إكلنيكية كاملة عن إحدى عشرة حالة لشفاء معجز مع أسماء الأطباء الذين قاموا بفحصها ، ومن الحالات التى شفيت :

١ — حالة خطيرة للعروق الدوالى .　　٢ — كسر قائم فى ساق .

٣ — كسر غير قائم فى فخذ.　　٤ — انحناء فى الظهر بسبب مرض بوت.

٥ — قرحة شديدة فى الساق.　　٦ — ذئبة فى الفم .

٧ — إعوجاج فى القدم .　　٨ — درن بريتونى به ناصور .

٩ — ستة ثقوب فى الأمعاء فى وقت واحد .

١٠ — حالتان لسرطان بشرى مخاطى .

١١ — سل رئوى ذو تجويف .

(١) The Great Problem And The Evidence For Its Solution.

وهذه الحالات بحثت بحثاً دقيقاً، واتخذت فيها احتياطات كافية تحول دون شبهة الخطأ فى الحكم أو التسرع فى التقدير . ويقول الدكتور جورج لندسى جونسون فى شأنها « إننا لا نعرف إلا النزر اليسير جداً من قوانين الطبيعية ، ومن ثم تبدو ظواهر كثيرة لأول وهلة أنها مخالفة للطبيعة ، فإذا ازدادت علمنا أن هذه الظواهر خاضعة فى الواقع لقانون طبيعى ، ويختفى عندئذ مظهرها المعجز الخارق للطبيعة .

لكننا زيادة على تلك القوانين الطبيعية التى تحكم العالم المادى بدأنا نعرف عالماً آخر مخالفاً كل المخالفة لعالمنا ، وهذا العالم هو الذى تسميه عالم الروح . ولا مراء فى أننا نعرف الكثير من ظواهر الحياة، ولكنا سنجد أن هذه الظواهر الحيوية ترجع فى الأصل إلى شىء وراء الحياة ، وهذا الشىء هو الذى طالما قلت عنه إنه سبب الحياة التى ما هى فى الواقع إلا المظهر المنظور للنفس . وكلما مضينا فى درس طبيعة الحياة ازددنا اقتناعاً بأنها شىء منفصل عن العالم الفيزيقى[1] » .

هذا وقد أذاعت الجمعية الطبية البريطانية تقريراً فى سنة ١٩٥٦ جاء فيه أنه « ينبغى التسليم بأن كثيراً من طرق العلاج تخرج عن نطاق علمنا . غير أنه لم يعرف مطلقاً أى نوع من المرض عولج بالطرق الروحانية وحدها ولم يكن ممكناً أن يعالج بالطرق الطبية[2] » .

العلاج الروحى يبلغ شأواً كبيراً

فلا غرابة — إزاء هذه الحقائق المتراكمة لمصلحة العلاج الروحى — أن نجد أنه قد بلغ الآن فى الخارج شأواً بعيداً ، وبلغ الاهتمام به ذروته فى بعض البلاد

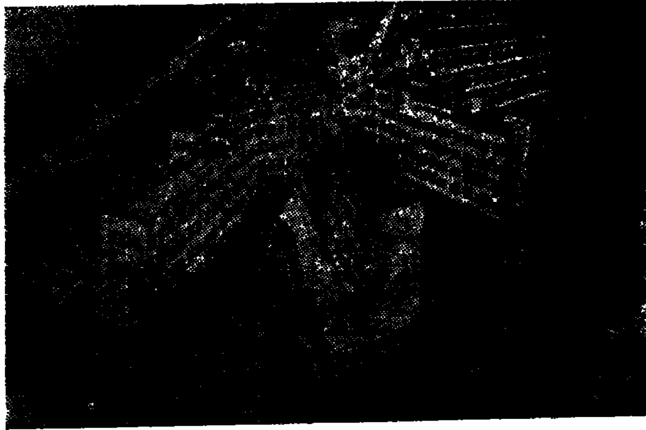
---

(١) راجع بيانا تفصيليا عن هذه الحالات نقلا عن كتاب « المشكلة الكبرى » مرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير فى مجلة « عالم الروح » عدد نوفمبر سنة ١٩٥٤ ص ٢ — ٢٦ . وراجع ما سبق فى ص ٢٧٦ ، ٢٧٨ عن رأى الفيلسوف وليام جيمس فى صحة العلاج الروحى ، وص ٣٢٤ عن رأى برجسون وكلاهما اقتنع عن تجارب عملية حقق صحتها بنفسه .

(٢) راجع ما نشر بجريدة « أخبار اليوم » بتاريخ ٢٢ مايو سنة ١٩٥٦ تحت عنوان « الجمعية الطبية البريطانية تعترف بالعلاج الروحى » .

مثل البرازيل، حيث قام « الاتحاد الدولى للروحيين[١] » بتشييد مستشفى ضخم متخصص فى هذا النوع من العلاج فى مدينة بورتو ألليجر Porto Allegre .

وقد أخذ هذا المستشفى — الذى يعد إنشاؤه طفرة كبرى فى تاريخ الروحية — يتسع تدريجياً ، وقد أصبح الآن يضم عدة مبانٍ تحتوى على ٥١٧ سريراً بعد أن أضيف إليه منذ سنوات قليلة جناح حديث يتسع لمائة وخمسين سريراً جديداً . ويجرى كشف عادى على كل مريض عند دخوله ، كما يتابع الأطباء العاديون سير الحالة عن كثب ، بالتقارير الفنية وعمل الإحصائيات لتكون تحت تصرف المختصين .



مستشفى بورتو أللجر

وتقول هذه الإحصائيات عن سنة ١٩٦٤ إنه قد عولج فيه عدد من المرضى بلغ ١٢١٨ مريضاً ، فشفى منهم تماماً ٤٢٠ ، وتحسن منهم ٥٢٩ إلى المدى الذى مكنهم من الرجوع إلى أعمالهم ، ولم يجدِ نفعاً مع الباقين . فإذا وضعنا فى الاعتبار أنه لا تحول إلى العلاج الروحى — فى المعتاد — إلا الحالات المستعصية والخطيرة التى نفض منها الأطباء العاديون أيديهم لاتضحت خطورة هذه الأرقام ودلالتها الواضحة فى نجاح التجربة نجاحاً ضخماً .

(١) International Spiritualist's Federation (I. S. F.).

وقد كانت النتائج التى تكشف عنها العلاج فى هذا المستشفى من الخطورة بحيث كانت من أهم الموضوعات التى بحثها « المؤتمر الدولى السابع للروحيين» الذى عقد فى مدينة كوبنهاجن (عاصمة الدانيمرك) فى شهر أغسطس سنة ١٩٦٦، والذى حضره أكثر من ثلاثمائة عالم يمثلون خمساً وعشرين دولة .

* * *

وفى بريطانيا لايقل الاهتمام بالعلاج الروحى عنه فى البرازيل ، وقد بلغ عدد أعضاء « الاتحاد الوطنى للمعالجين الروحيين »[1] حالياً هناك مايقرب من ستة آلاف معالج ، حين بلغ عدد المعالجين الروحيين (من أعضاء الاتحاد وغيرهم) مايقرب من عشرة آلاف . وقد وافقت الهيئات المختصة بإدارة ألف وخسمائة مستشفى عام على السماح لهؤلاء المعالجين بمزاولة العلاج الروحى بداخلها. ويبلغ عدد من يتلقون هذا العلاج بالفعل مالا يقل عن مائة ألف شخص أسبوعياً[2] .

كما يبلغ عدد الدوائر المعالجة باسم الروح المعالج الحكيم الذى يرمز لنفسه « بالنسر الأبيض » White Eagle وحده ثلاثاً وستين دائرة ، منها ثلاثون تعمل فى المقر الرئيسى[3] ، وثمانية فى نيولاندز[4]، والباقى فى جهات متفرقة من الجزر البريطانية .

ويجرى هناك العلاج الروحى أيضاً فى سائر الكليات والمعاهد الروحية التى أشرنا إلى بعضها فى عدة مناسبات سابقة، وذلك بالإضافة إلى الهيئات المتخصصة

---

(١) The National Federation of Spiritual Healers.

(٢) عن جريدة « الأنباء الروحية » Psychic News عدد رقم ١٨٥٩ الصادر فى ٢٠ يناير ١٩٦٨.

(٣) وعنوانه كالآتى :
White Eagle's Lodge, Kensington, High Street, West London.

(٤) وعنوانه كالآتى : New Lands, Rake, Liss, Hants, England.

فى هذا العلاج ، مثل « ليتارى هاوس » Letari House (١).

* **

ومقتضى ذلك أن العلاج الروحى — وإن كان الآن حقيقة علمية — إلا أنه فى أية صورة من صوره لايغنى عن العلاج الطبى العادى . فهو ليس أكثر من وسيلة من وسائل العلاج التى قد تنجح كما قد تفشل ، وربما تنجح أحياناً فى أخطر الأمراض وتفشل فى أهونها شأناً . فليس هناك علاج روحى « مضمون » فى أية حالة من الحالات . فالعلم لم يصل بعد إلى معرفة نواميس العلاج الروحى ، ولا إلى أى تحديد لنطاقه ، ولا إلى إخضاعه إلى سبل تماثل بصورة أو بأخرى وسائل العلاج الطبى العادى .

وكل مالوحظ فى هذا الشأن أن ثمة أمراضاً معينة تعتبر أكثر استجابة للوسائل الروحية من غيرها ، وأن ثمة أمراضاً قد لاتستجيب بسهولة لهذه الوسائل ، وبخاصة تلك التى عرف لها مصدر من ميكروب أو فيروس معين . وكلما ثبت أن أصل الداء اضطراب فى وظائف الأعضاء مجهول المصدر ، أو حالة مس أو استحواذ ، كلما كان ذلك ادعى لاحتمال نجاح العلاج الروحى ولتفوقه فى هذا الشأن على السبل العادية المتبعة فى طب الأمراض العقلية والنفسية ، والتى لايزال بعضها يتعثر فى سدود ضخمة من الجمود والعناد ، هى التى تفسر عجز وسائله وقصورها الواضح حتى الآن (٢).

---

(١) وعنوانه كالآتى :

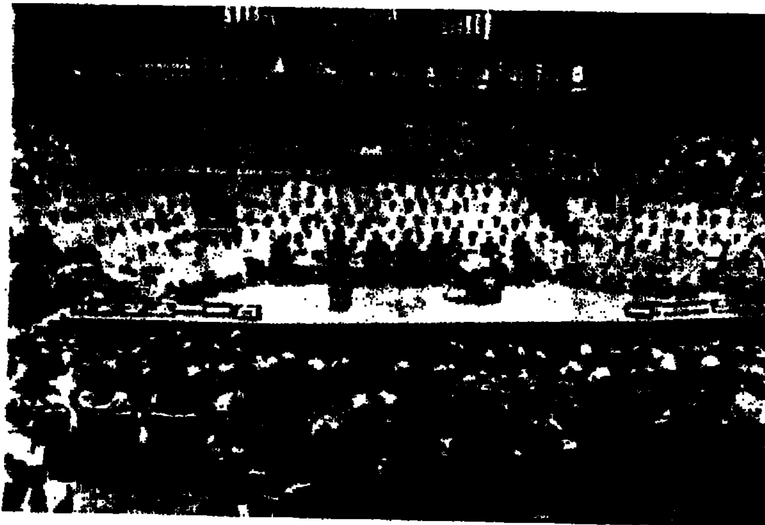
Letari House, 329 Wigan Road, Leigh, Lancshire, England (Tel. 72023).

(٢) ولا ينبغى الخلط بين العلاج الروحى والعلاج بالإيحاء Suggestion . وهذا الأخير قام ببحثه عدد من العلماء مثل ليبو Liébeault وبرنهايم Bernheim ، وأوجست فوازان A. Voisin فى فرنسا ، وشرنك نوتزنج Schrenk-Notsing فى ألمانيا ، وفوريل Forel فى سويسرا ، وفان إيدن Van Eeden فى هولندا ، وورترستاند Wetterstand فى السويد ، وميلن برامويل Milne Bramwell ، ولويد توكى Llyod Tuckey فى إنجلترا . وهو متميز تماماً فى خصائصه وأسلوبه وآثاره عن العلاج الروحى .

العلاج الروحي في إنجلترا



منظر من الجو لصحة بريطانية مخصصة للعلاج الروحي عنوانها The Sanctuary Burrows Lea. Shere, Guildford. Surrey, England يقصدها سنوياً المرضى بأمراض مستعصية التماسا للعلاج الروحي بمعرفة « الاتحاد الوطني للمعالجين الروحيين » .



المعالجون من أعضاء « الاتحاد الوطني للمعالجين الروحيين » يعالجون علنا في « القاعة الملكية للحفلات » بلندن Royal Festival Hall تحت إشراف هيئة ضخمة من الأطباء والجراحين توقع الكشف الطبي على كل مريض قبل العلاج الروحي وبعده لتسجيل النتائج .

بعض حالات العلاج الروحى



حالة تشنج عصبى مفصلى يعالجها الوسيط المعروف هارى إدواردز بنجاح فى طفلة صغيرة (عن كتاب قوة العلاج الروحى الصادر فى سنة ١٩٦٣ ص ٤٨)



حالة التهاب نخاع شوكى polio-myelitis شفيت فى مصحة خاصة بالعلاج الروحى (عن كتاب « العلاج الروحى » ص ٤٨)



حالة روماتزم مفصلى Rheumatoid Arthritis فى اليد اليمنى يشفيها هارى إدواردز
بالعلاج الروحى العلنى فى قاعة الحفلات الملكية بلندن
(المرجع السابق ص ٦٥)



مريض بروماتزم المفاصل
Rheumatoid Arthritis
يتقدم إلى العلاج الروحى العلنى مستنداً إلى عصاه



نفس المريض بعد شفائه أمام الأطباء وقد
ألقى عصاه وعاد يسير منتصباً

الفصل السابع

تحقيق ظاهرة الشغب المجهول المصدر

من الألغاز أو الطلاسم التى يقف العلم المادى إزاءها صامتاً لايحير جواباً ظاهرة الشغب المجهول المصدر ، ومنها ظاهرة « المنازل المسكونة » . وما دام لايعرف لها تعليلا فلا توجد هذه للظاهرة ، ومن يعتقد بها فهو ساذج يردد خرافات العوام ! ! لكن ما العمل إذا كان بعض كبار العلماء الماديين قد حقق بنفسه هذه الظاهرة ، وتحقق من صحتها بكل الأساليب المادية المتنوعة التى يملكها العلم المادى للفحص وللتحقيق ؟ . . ومنهم من خصص لها باباً أو أكثر فى مؤلفاته ، ومنهم من خصص لها مؤلفاً برمته أو أكثر . . ولم يكن ذلك نقلاعن الغير ، فهى فى هذه المؤلفات ليست روايات تروى للتسلية بل إنها بحوث علمية بحت .

وقد كان هؤلاء العلماء ينتقلون ، مجتمعين أحياناً ومنفردين أحياناً أخرى، إلى هذه المنازل ، وقد يقيمون فيها أياماً طويلة ، مستعينين بكل وسائل الخبرة والتحقيق ، وبفنيين كثيرين فى أمورشتى بالقدر الذى قد يقتضيه نوع أوأنواع الشغب المجهول المصدر.فمثلا يقول القاضى الأمريكى إدموندز Edmonds الذى كان عضواً بالمحكمة العليا بنيويورك ـ والذى أصبح رئيساً لها ثم رئيساً لمجلس الشيوخ الأمريكى (السناتو) — يقول فى تقريره عن الشغب الذى حدث فى كوخ هيد سفيل بقرب روشيستر بولاية نيويورك فى سنة ١٨٤٦ — والذى بدأت به حركة البحث الروحى الحديث — إنه اضطر إلى التردد على الكوخ مرتين أسبوعياً ، وإلى الاستعانة بعشرة من العلماء ، وبخبير فى الكهرباء، كيما يساعدوه فى تعليل هذا الشغب بمصدر مادى معروف قبل أن يكتب تقريره

الخطير هذا ، ويتحمل فيه أمام ضميره وأمام الرأى العام الذى لا يرحم مسئولية التسليم بصحة هذا الشغب، وبمصدره الروحى، بعد أربعة شهور متوالية من البحث والتحقيق[١].

ومن يقرأ « كتاب ما وراء الروح »[٢] لعالم الفسيولوجيا شارل ريشيه Charles Richet يجد أنه حقق هذه الظاهرة وتحقق بنفسه من بعض حالات إيجابية لها فى فرنسا والجزائر . ولم ينسب هذه الظاهرة إلى أرواح الموتى — لأنه لم يكن بعد قد انحاز إلى النظرية الروحية — وهو مايعطى لتحقيقه ولشهادته قيمة خاصة — بل سلم فقط بصحة هذه الظاهرة ، كما سلم بوجود الوسيط الذى يجهل نفسه فى المنزل ، ولكنه لم يخط الخطوة التالية مباشرة وهى نسبتها إلى الأرواح مبالغة منه فى التحفظ ، وحتى يصل إلى نظرية عامة تعلل هذه الظواهر المتدفقة من كل جانب فى مؤلفه هذا . ثم سلم بعد أكثر من ثلاثين عاماً من البحث بأن النظرية الروحية هى التى تعلل وحدها هذه الظواهر مجتمعة على ماسبق بيانه فى مناسبة أخرى[٣].

وللفيلسوف كامى فلاماريون Camille Flammarion بدوره تحقيق فى هذه الظاهرة فى مؤلف عنوانه « المنازل المسكونة »[٤] استعان فيه بكل وسائل الفحص والتمحيص الدقيقة بغية الوصول إلى الحقيقة العلمية ، وقد تبين له فعلاً أن حوادث كثيرة من الشغب صحيحة .

---

(١) راجع تلخيصاً وافياً لتقرير القاضى إدموندز و مؤلف سير آرثر كونان دويل Arthur Conan Doyle عن تاريخ الروحية The History Of Spiritualism الجزء الأول ص ١٢٥ — ١٣٢ .

(٢) Mètapsychique.

(٣) راجع ماسبق عنه فى ص ٥٠٤ — ٥٢٤ .

(٤) راجع ما سبق عن المؤلف و ص ٤٠٦ — ٤٠٨ . Les Maisons Hantées.

وقد بحثها بعناية أيضاً سير وليام باريت W. Barrett — عالم الفيزياء وعضو «الجمعية الملكية[1]» ونشر عنها تقريرين : أحدهما فى مضابط « جمعية البحث الروحى » بلندن، وثانيهما فى مجلة جامعة دبلن[2] .

كما بحثها الدكتور فرانك بودمور Frank Podmore فى مؤلف له عن « الروحية الحديثة»[3]، وفى آخر له عن « دراسات فى البحث الروحى »[4]، وفى تقرير له عن « الأرواح المشاغبة » فى مضابط « جمعية البحث الروحى » أيضاً[5] .

وبحثها أيضاً عالم النفس الإيطالى إرنستو بوزانو[6] E. Bozzano، والعالم الجنائى المعروف لومبروز C. Lombroso ، ومثلهم الأستاذ أندرو لانج Andrew lang الذى كان رئيساً « لجمعية البحث الروحى » فى سنة ١٩١١

---

(١) راجع ما سبق عنه فى ص ٣٣٢ — ٣٣٤.

(٢) والتقرير الأول عنوانه Poltergeist Old and New منشور فى مضابط « جمعية البحث الروحى » مجلد رقم ٢٥ سنة ١٩١١ والثانى عنوانه The Derrygonnelly Case منشور فى The Dublin University Magazine عدد ديسمبر سنة ١٨٧٧ .

(٣) Modern Spiritualism, London 1902.

(٤) Studies In Psychical Research, London 1897.

(٥) Poltergeists.

مضابط جمعية البحث الروحى بلندن : مجلد رقم ١٢ سنة ١٨٩٦ — ١٨٩٧ .
وراجع له أيضاً :

The Naturalisation Of The Supernatural. New York And London 1908.

(٦) Dei Fenomeni d'Infestazione. Roma 1919.

وله ترجمة فرنسية عنوانها Les Phenomènes de Hantise بمعرفة سيزار دى فيزم C De Vesme

وكتب فيها عدة مؤلفات وبحوث فى مضابط هذه الجمعية[١] ، وفى « الموسوعة البريطانية[٢] » .

كما بحثها الدكتور هيروارد كارنجتون[٣] H. Carrington ونشر عنها تقريراً فى نشرة « المعهد الدولى للبحث الروحى بلندن » فى سنة ١٩٣٥[٤] كما سبق له أن ألف فيها كتاباً منذ سنة ١٩١٥ عنوانه « قصص حقيقية للأشباح[٥] » .

وممن اهتم بهذه الظاهرة اهتماماً خاصاً الدكتور هارى برايس[٦] Harry Price الأستاذ بأكسفورد ، ورئيس «جمعية البحث الروحى» وقد نشر فيها عدة مؤلفات من أهمها« الأرواح المشاغبة فوق انجلترا[٧] » (١٩٤٥) ، و « أكثر منازل انجلترا إيواء للأرواح »[٨] .

---

(١) ومنها The Poltergeist, Historically Considered فى محاضر « جمعية البحث الروحى » سنة ١٩٠١—١٩٠٢ مجلد رقم ١٧ ص ٣٠٥—٣٢٦ .

(٢) ومنها Hauntings : Encyclopaedia Britannica, Cambridge. 1910. Vol. 13 p. 67.

ومنها Poltergeist : Encyclopaedia Britannica, Cambridge 1911. Vol 22 P.P. 14—17.

(٣) راجع ماسبق عنه فى ص ٢٨٤ — ٢٨٧ .

(٤) Historic Poltergeist : Bulletin I. of International Institute For Psychical Research, London 1935.

(٥) True Ghost Stories.

(٦) راجع ما سبق عنه فى ص ٣٦٠ — ٣٥١ .

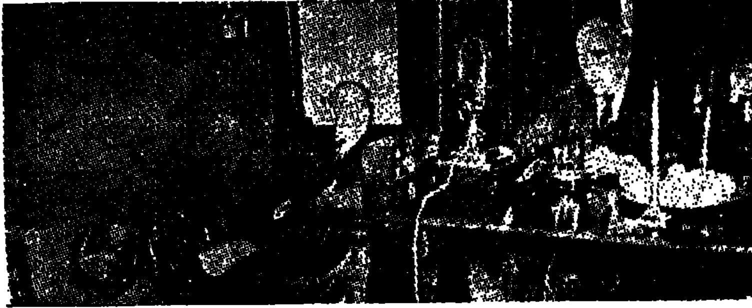
(٧) Poltergeist Over England.

وفى نهايته يجد القارىء أكثر من مائة مرجع فى هذا الموضوع باللغات الانكليزية والفرنسية والألمانية .

(٨) The Most Haunted House In England.

وهو يتضمن نتائج تحقيق استمر عشر سنوات فى شأن الشغب الذى كان يحدث فى هذا المنزل . وقد أعقبه مؤلف آخر عن نفس هذا المنزل عنوانه « خاتمة منزل بورلى »(١٩٤٦): The End of Borley Rectory ; The Most Haunted House In England.

ومن مؤلفاته فى الأرواح المشاغبة أيضاً : Confessions Of A Ghost-Hunter
The Haunting Of Cashen's Gap.



هارى برايس الأستاذ باكسفورد يذيع بتاريخ ١٩٣٦/٣/١٠ باللاسلكى من منزل مسكون ما يشاهده من ظواهر وما تسجله الأجهزة الدقيقة من أصـوات وتغيرات فى درجات الحرارة بدون مصدر مادى

وللدكتور ناندور فودور Nandor Fodor صاحب « موسـوعة العلم الروحى[١] » جولاته أيضاً التى نشرها فى موسوعته، وفى نشرة « المعهد الدولى للبحث الروحى» بلندن[٢] ، وفى آخر مؤلفاته وهو «بين عالمين[٣]» (١٩٦٤) .

وفى سنة ١٩٤٠ نشر أيضاً فى هذا الموضوع سير إرنست بينيت Ernest Bennett مؤلفاً عن « الأشباح والمنازل المسكونة[٤]» .

وللمرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير جولاته فى هذا الميدان التى كان ينشرها تباعا فى مجلته « عالم الروح » وفى مؤلفاته ، ثم خصص له مؤلفاً عنوانه « أرواح وأشباح » (١٩٥٤) .

---

(١) Encyclopaedia of Ps·chic Science.

(٢) The Saragossa Ghost.
Bulletin I. of The International Institute for Psych cal Research. London 1935

(٣) Between Two Worlds وراجع ما سبق عن المؤلف فى ص ٢٨٨ — ٢٩١

(٤) Apparitions And Haunted Houses.
وراجع تعليقاً عنه فى مجلة « المعهد الدولى لما وراء الروح» بباريس عدد ٢ من سنة ١٩٤٠.

الأسلوب العلمي في بحث هذه الظواهر

ولم يقل أي واحد من هؤلاء إن كل ما يقال أو يذاع في هذا الشأن صحيح لامطعن عليه ، بل سلموا جميعاً بأن هناك حوادث كثيرة للشغب المفتعل أو الموهوم . وذلك أمر طبيعي ، لكن الأمر المهم أنهم تحققوا أيضاً من صحة بعض حوادث لشغب حقيقي يعجز العلم المادي عن تعليله . فالتحقيق السلبي في نتيجته لحالة أو لبضعة حالات في هذا الشأن لا ينفي إمكان صحة الظاهرة ، لكن التحقيق الإيجابي في نتيجته — إذا ما أحيط بكل الضمانات العلمية المطلوبة ، وإذا ما جرى بالأسلوب المتأني الناقد — بل المنكر الذي ينبغي أن يجرى به — له قيمة كبرى فيه[1].

فهل يا ترى من الأسلوب العلمي في شيء أن نهدر قيمة بحوث عشرات من العلماء والباحثين الراغبين في الوصول إلى الحقيقة لمجرد عجز النظريات المادية عن التعليل ؟ !.. وإذا كان الأمر كذلك فلمَ لا نهدر كل قيمة للشهادة أمام المحاكم ؟!.. بل والثقة حتى في بحوث علمية دقيقة من علماء محايدين كبار !.. وما مصلحة كل هؤلاء في التدليس على الناس ؟!. . .

بل لندع هذه البحوث الفردية جانباً ولنتساءل من جديد ما مصلحة

---

(١) هذا وقد حدث سنة ١٩٦٥ أن شغباً مجهول المصدر ابعث في منزل أسرة في مدينة فانتقل لتحقيقه الدكتور جورج أوين G. Owen الأستاذ بكامبريدج ، مصطحباً معه آلة تصوير سينمائي قامت بتصوير تحركات بعض المنقولات بدون وسيلة مادية ، وجهازاً ء بواسطته تسجيل أصوات غريبة مجهولة المصدر . وكتب أوين تقريره الذي أثبت فيه صحة هذه الظواهر التي كانت تحدث — كما هي الحال عادة في أغلب ظواهر الشغب المجهول المصدر — في حضور وسيطة تجهل مسها هي فتاة من الأسرة تدعى فيرجينيا كامبل Virginia Campell في الخامسة عشرة من عمرها . وبعث بصورة من تقريره إلى قسم الباراسيكولوجي بجامعة ديوك بأمريكا .

فهذه الظواهر التي كان ينكرها العلماء فيما مضى — بل ويسخرون ممن يرددها ويتهمونه بالسذاجة والجهل — أصبحوا يسرعون إلى تحقيقها بأنفسهم مستخدمين كل وسائل التحقيق الممكنة ، ومرتبين عليها أخطر النتائج ، وأكثرها تعلقاً بما يبحثون عنه من حقائق الحياة والموت.

مجلدات « جمعية البحث الروحى S. P. R » — وهى تضم صفوة من علماء السيكولوجيا والمادة من عدة دول[١] — فى تسجيل هذه الظواهر كحقيقة علمية ثابتة ؟ ! . . وما مصلحتها بوجه خاص فى أن تقيم فى يوليه سنة ١٩٥٥ مؤتمراً دولياً داخل كلية نيوهام بجامعة كامبردج حضره ٢٩ خبيراً بوصفهم مندوبين عن عشر دول ، وهى : بريطانيا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وفرنسا ، وألمـانيا ، وإيطاليا ، والنرويج ، وهولندا ، وسويسرا ، والدانمرك ، وهايتى ، وقد ظلوا لمدة سبعة أيام يبحثون موضوع « القواعد الدولية الواجب اتباعها عند تحقيق ظهور الأشباح التى تحدث أصواتاً وتأتى أفعالا غريبة فى المنازل[٢] » ؟ ! فهل تعودنا من المؤتمرات الدولية أن تجتمع فى الجامعات العريقة لتغذية الأوهام وخرافات العوام ؟ ! أو للهزل وإثارة روح الاستغراب والطرافة لديهم ؟ ! .

وما مصلحة « الـكلية البريطانية للعلم الروحى » فى تسجيل حوادث مماثلة للشغب حققها أساتذة الـكلية بأنفسهم وبكل وسائل التحقيق المادى الممكنة[٣] .

وما مصلحة « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس — وهو مؤسسة معترف رسمياً بأنها ذات نفع عام ـ فى تسجيل مثل هذه الحوادث فى مجلته[٤] ؟ وفى تشكيل لجنة دائمة من بين علماء المعهد لتتبع هذه الحوادث[٥] .

---

(١) راجع ماسبق عنها فى ص ٣١٦ وما بعدها .

(٢) وقد نشرت أخبار هذا المؤتمر الدولى جريدتا الأهرام والأخبار فى عدد ١٣ يوليه ١٩٥٥ .

(٣) راجع مثلا المجلد السابع من مجلة « العلم الروحى Psychic Science » التى تصدرها الـكلية عدد أكتوبر ١٩٢٧ ص ٢١١ وعدد أكتوبر سنة ١٩٢٨ ص ٢٣٤ وما بعدها .

(٤) راجع مثلا مقالا فى مجلة المعهد (عدد ٢ من سنة ١٩٣٦) بقلم مديره الدكتور أوجين أوستى عنوانه « المنازل المسكونة » Maisons Hantées .

(٥) وهذه اللجنة مختصة أيضا بفحص ظواهر تحريك الأجسام الصلبة بغير وسيلة مادية Telekinesie ورفعها Lévitation ، والأرواح المشاغبة Poltergeist ، والمنازل المسكونة Maisons Hantées ، لأنها كلها من طبيعة واحدة ، فهى ظواهر روحية فيزيقية . (راجع مجلة هذا المعهد واسمها Revue Métapsychique عن سنة ١٩٦٢ ، وفى ص ٢ — ٥ منها نجد تشكيل لجان هذا المعهد وتوزيع العمل بينها خلال عام ١٩٦٣) .

من أسباب الشغب

والأمر لم يقف عند مجرد تسجيل بعض حوادث لشغب غير معروف المصدر ، بل تعداه إلى تقصى أسبابها فى العالمين غير المادى والمادى معاً . ففى العالم غير المادى تتصل هذه الأحداث بذكريات معينة دفينة فى عقول بعض الأرواح لا تريد أو لا تقدر أن تتخلى عنها ، وهى التى تعلل حدوث هذا الشغب فى ساعات معينة من الليل أو النهار ، أو فى شهر أو فى شهور معينة من السنة ، كما قد تعلل اتخاذ هذا الشغب مظهراً معيناً دون غيره .

وفى العالم المادى اتضح أن سبب الشغب يرجع إما إلى وجود مخزن لطاقة غير مادية ولا معروفة فى بعض المنازل بسبب تداخل بعض الاهتزازات بين العوالم المختلفة ، وإما إلى وجود وسيط لنوع أو لآخر من الظواهر الفيزيقية يجهل نفسه فى المنزل ، هو فى المعتاد صبى أو صبية فى سن المراهقة ، وإما يرجع الشغب إلى توافر العاملين معاً . وقد تبين أن لسن المراهقة صلة ما بنشاط الغدة الصنوبرية Pineal Gland التى تقع فى قاعدة المخ ، والتى ربما تكون لها صلة مباشرة بالوساطة الروحية من ناحية نشاطها أو خمولها .

هذا وقد كان الفيلسوف ديكارت Descartes يقول إن الغدة الصنوبرية فى الدماغ هى الحلقة المتوسطة بين روح الإنسان وجسده . ويقول المرحوم الأستاذ العقاد فى مؤلفه عن « الله » إن « عددا من العلماء المعاصرين يؤيدون هذا القول ويدعمونه بالمشاهدة والاستقراء[1] » فتأمل فى خطورة هذا القول !

ويقول الدكتور هارى برايس الأستاذ بجامعة اكسفورد فى مؤلفه عن « الشغب فوق انجلترا ، أو ثلاثة قرون من الأشباح الشريرة » عن نتائج بحوثه الخاصة فى هذا الشأن إن الغالبية العظمى من وسطاء المراهقة هؤلاء من الفتيات لا من الفتيان ، وإن النسبة تعادل حوالى ٩٥٪ للفتيات فى مقابل ٥٪ للفتيان ،

(١) ص ١٩٣ .

وإن هذه النسبة وحدها تنفى إمكان تعليل هذه الحوادث بالافتعال و « بشقاوة الأولاد » لأن الأولاد فى المعتاد أكثر « شقاوة » من البنات .

كما يقول بأن الوساطة فى النساء عموماً أقوى منها فى الرجال لأسباب قد تكون سيكولوجية ، وقد تكون فسيولوجية متصلة بتكوين المرأة . وبأن هناك صلة مابين المشاعر الجنسية وبعض الظواهر الوساطية . كما لوحظ أن حوادث الشغب هذه تكون أسهل وقوعاً كلما كان الوسيط المراهق نائماً ، إذ يكون فى حالة أشبه ما تكون بحالة الغيبوبة التى يقع فيها أغلب وسطاء الظواهر الروحية الأخرى(١) . وأن غالبية هذه الوساطات وقتية تزول بتمام نضج الوسيط أو الوسيطة . كما يرى الأستاذ أندرو روبرتسون Andrew. J. B. Robertson أحد بحاث هذه الأمور أن هذه الوساطة هى عبارة عن اتجاه الطاقة التى يحصل عليها المراهق بالبلوغ إلى غير وجهتها الداخلية الصحيحة(٢) .

كما تمكنت التحقيقات العلمية لهذه الظواهر الغريبة — فى أحوال كثيرة — عن طريق الاستعانة بوسطاء الاستشفاف البصرى والسمعى من تعيين شخصية الروح أو الأرواح الساكنة فى المكان ، ومن معرفة تاريخ حياتها ، وظروف انتقالها ، بعد مطابقة معلومات الوسطاء على المعلومات التى تقدمها وسائل التحرى والاستقصاء العادية عن الشخص المنتقل . ووصلت إلى نظرية مترابطة مقتضاها أن الأرواح المشاغبة أرواح غير سعيدة أو غير راقية : —

— فهى إما متألمة من ذكريات أرضية قاسية تعرضت لها قبل انتقالها بسبب آلام جثمانية أو نفسية عانت منها ، ولا تزال تلازمها رغم تخليها عن أجسادها .

— وهى إما تجهل أمر انتقالها لوفاتها بسبب جريمة ، أو حادثة فجائية ، وتتصرف على اعتبار أنها لاتزال تقيم فى هذا المكان .

---

(١) عن الفصل الثلاثين من مؤلفه : Poltergiests Over England

(٢) المرجع السابق ص ٣٧٨ — ٣٨٢ .

— وإما تعلم أنها انتقلت — وبعضها أرواح قديمة — لكنها لاتزال هائمة على وجهها فى الأرض لتخلفها عن المستوى الروحى المطلوب ، فهى تنتهز فرصة وجود الوسيط الذى يجهل نفسه فى المنزل كيما تسلى نفسها حين تشاهد الناس فى حالة من الذعر والاضطراب بسبب الخوف الناجم عن الشغب . فهى تسخر منهم بسبب انحطاطها العقلى أو الخلقى .

وعن طريق الوسطاء الروحيين أمكن فى جميع الأحوال — تقريباً — إنهاء حالات الشغب هذه بعد جهود تراوحت فى مداها ومدتها ، بمساعدة أرواح راقية كان هدفها ليس مجرد طرد الأرواح المشاغبة بقدر محاولة ترقيتها خلقياً والنهوض بها عن طريق التوعية والإقناع . كما كان هدف الأرواح الراقية تخفيف آلامها بوسائل شتى و إفهامها حقيقة حالتها الجديدة .

ومن يراجع بعض البحوث والمؤلفات والمجلدات التى بيناها آنفاً يجدها تدور حول هذه المعانى . أى أنها وصلت إلى حلول مترابطة ، وإلى نتائج إيجابية متماسكة لاينكرها إلا من تعود الهرب من حقائق الحياة — حلوها ومرها معاً — كيما لايتنازل قيد إنملة عما تعوده من طريقة معينة للتفكير . فهل يوصل العناد المتأصل إلى أية حقيقة علمية ، أم أن الحقيقة بنت البحث العلمى المحايد والتجربة الطويلة ؟ . .

وسنعلم فى مناسبة لاحقة كيف أن الروح الراقية ـ على عكس الأرواح غير الراقية ـ قد تعثر على الوسيط المناسب فتساعده بالإلهام الراقى وتجعل منه مع الوقت شاعراً ، أو فيلسوفاً ، أو عالماً عبقرياً ، بالقدر الذى يتفق مع استعداده الفطرى ومع مجهوداته الخاصة بالإضافة إلى مجهودها معه . فالإلهام الراقى قد يرجع إلى فضل مزدوج تتقاسمه الروح الملهِمة مع الوسيط الملهَم . وكأن موضوع الشغب — ومثله المس الروحى — يمثل الجانب المظلم من الوساطة غير الراقية

للأرواح غير الراقية ، حين يمثل موضوع الإلهام – ومثله الظواهر الوساطية الراقية – وهى كثيرة – الجانب المضىء من الوساطة الراقية.

وكل ذلك لا يعبر عنه شىء قدر قول سويدنبرج الفيلسوف الوسيط « إن من عاش فى العالم المادى داخلياً فى الخير ، يتصرف هناك بمنطق وبحكمة ، بل بحكمة أكثر مما كان يفعل فى العالم المادى لأنه تحرر من الرابطة التى كانت تربطه بالجسد، وبالتالى بالأشياء الأرضية التى كانت تولد الظلام وتضع أمام ناظريه نوعاً من الغيوم .وبالعكس من عاش فى العالم فى الشر يتصرف هناك بحماقة وجنون ، وربما بجنون أكثر مما كان يفعل فى العالم المادى لأنه يشعر نفسه حراً غير مقيد الوثاق.وفى الواقع أنه عندما كان يحيا فى العالم المادى كان يتظاهر بالتعقل ، ويتصنع عن طريق جسده مظهر الإنسان العاقل ، أما إذا نزع عنه هذا الجسد انكشف جنونه . فالإنسان الشرير الذى يتظاهر بمظهر الإنسان الطيب يصح أن يشبه بوعاء نظيف ولامع من الخارج ومغلق بغطاء محكم ، لكنه يخفى فى داخله قاذورات من كل نوع . . . » .

كما يقول «إن كل ما فى الإنسان من إرادة ومن ميول يبقى بعد الموت .فمن يريد الشر ويحبه فى الدنيا يريده ويحبه فى الآخرة ، ويزداد ألمه إذا ما منع عنه . . . ولا يتمنى شيئاً إلا أن يكون حيث يوجد الشر ، ولذا فإن الإنسان هو الذى يندفع مختاراً بعد موته إلى العذاب لا يدفعه أحد إليه . . . . وإنه فى عالم الروح لا يمكن لإنسان أن يقاوم شهوته ، لأن الشهوة تنتهى إلى الميل ، والميل إلى الإرادة ، والإرادة إلى الطبيعة ، وكلٌّ يتصرف بحسب طبيعته(١)» .

---

(١) « الجنة والنار » Le Ciel et L.Enfer ترجمة فرنسية بقلم L. Jean Francais فقرة ٥٠٥ ص ٣٧٥ ، وفقرة ٥٤٧ ص ٤١٨ ، وفقرة ٥٧٤ ص ٤٤١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثامن

بينات على وجود الجسد الأثيرى

أجمع بحاث العلم الروحى فى كل البيئات على أنه يوجد لكل كائن حى إنسانا كان أم حيوانا جسد غير مادى يطلق عليه وصف أثيرى أو كوكبى Etheral or Astral Body . وهذا الجسد الآخر له كيان مادى إلا أنه بالنظر إلى ارتفاع اهتزازه إلى مافوق اهتزاز الضوء بكثير لا يكون له على المستوى الأرضى ، وبالنسبة لحواسنا المادية، هذا الكيان المادى الذى يكون له هناك .

وهذا الجسد اللامادى يلازم الجنين فى بطن أمه ، ثم ينمو بنمو الجسد المادى ، فهو يشكله ويتشكل به عند كل كائن حى لاعند الإنسان فقط ، وهو يتخلله كما يتخلل الماء العود الرطب . ويشغل معه نفس الحيز من الفراغ ، وهذا جائز علميا الآن ، بالنظر إلى تفاوت مرتبتى الاهتزاز فيما بينهما ، وبالتالى « طول الموجة » بحسب التعبير الذى يستعمله علم اللاسلكى .

وهذا الجسد اللامادى هو صلة الوصل بين الروح الناطقة ــ بمعنى الشرارة القدسية التى تهبنا الحياة ــ وبين الجسد المادى . ويصل بين الجسدين المادى والأثيرى حبل من ضوء يسمى الحبل السرى الروحى psychic imbilical cord. وقد وصفه الكتاب المقدس « بالحبل الفضى » ، وهو يعد مقابلا للحبل السرى الذى يصل الجنين بالمشيمة ويلزم قطعه وربطه عند الولادة . أما هذا الحبل الفضى فينقطع من تلقاء نفسه عند الوفاة فتتوقف بانقطاعه الحياة فى الجسد المادى ، كما تبدأ من جديد فى المستوى الكوكبى ، وهو أول مستوى تصل

إليه النفس بعد الانفصال عن الجسد المادى بالوفاة ،وبغير إمكان الانفصال عن هذا الجسد اللامادى الخاضع لناموس التطور ، ولكن بحسب مستوى الوجود الذى قد يحيا فيه صاحبه . فمستواه الكوكبي فى العالم الكوكبى Astral يتطور إلى روحى فى العالم الروحى Spiritual ، ثم إلى عقلى فى المستوى العقلى للوجود Intellectual . وقد تعددت النظريات والمدارس فى شأن هذا الجسد غير المادى بما يضيق المقام عن تفصيله ، لكنها تسلم كلها بوجوده،وبأنه هو الإنسان الحقيقى المختفى وراء قناع سميك مضلل هو الذى يطلق عليه وصف « الإنسان » .

وكان سقراط يؤمن بوجود هذا الجسد اللامادى ويقول إن النفس لاتعدو أن تكون « صورة مماثلة للجسم المادى، وأنها كمال أولى لجسم طبيعى آلى ذى حياة بالقوة » على حد تعريفه .

وعرفته أيضاً العقائد الهندية كلها . وقد وصفه أحد حكماء الهند القدماء بأنه « الذات الحقيقية للإنسان التى لا تُرى لكنها ترَى ، ولا تُسمع لكنها تسمع ، ولا تدرَك لكنها تدرِك ، ولا تعرَف لكنها تعرِف . هذه هى الذات الآمر الداخلى الذى لا يفنى » . . فنحن نحيا حياتنا الحقيقية فى أعماق هذه الذات لا فى الجسد البالى الذى نكشفه للعالم لكن لا نكشف به العالم.

كما تحدث عنه بولس الرسول قائلا « يزرع (الإنسان) جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانياً . يوجد جسم حيوانى ويوجد جسم روحانى . . . الإنسان الأول من الأرض ترابى ، والإنسان الثانى من السماء . . . وكما لبسنا صورة الترابى سنلبس أيضاً صورة السماوى . فأقول هذا أيها الأخوة إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ، ولا يرث الفساد عدم فساد»[1].

---

(١) فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: أصحاح ١٥ عدد ٤٤ ـ ٥٠ .

وهذا الجسد الأثيرى يعد من أخطر الحقائق التى كشف عنها علم الروح الحديث . وهو كشف جديد من الناحية العلمية، وإن كان بعض الكتابات القديمة لا يخلو من إشارات عنه تتراوح بين الوضوح والغموض كما بينا . وقد كشف العلم الحديث النقاب تدريجياً ـ وبمشقة بالغة ـ عن صحة وجود هذا الجسد غير الخاضع للحواس العادية بفضل عنايته بدراسة بعض الظواهر الغامضة التى كان يتجاهلها العلم الرسمى فيما مضى ، أو يتهرب منها ، على غير أساس منطقى سليم ، وذلك لأن العلم الصحيح لا ينبغى أن يتهرب من بحث أية ظاهرة مهما كان نوعها ، ومهما بدت قبل البحث تافهة ، فإن غالبية فتوح العلم جاءت عن طريق الدراسات المثابرة لظواهر الحياة ـ فى شتى صورها ـ ومهما بدت لأول وهلة تافهة ، أو مهما كانت الدراسة محفوفة بالمشاق ، وبالصعاب الجسام .

وغنى عن البيان أن هذا الجسد الأثيرى هو حامل شعلة العقل والروح . ويستخدم بعض المؤلفين فى التعبير عنه وصف الروح من باب التجاوز فى التعبير فحسب ، ولطالما جنى هذا التجاوز فى التعبير على البحث الروحى بمعناه الصحيح على ما بيناه فى مناسبة سابقة[١] .

وهذا الجسد الأثيرى ليس من خصائص الإنسان فحسب ، بل قد تبين من الدراسات الوساطية أنه من خصائص الحيوان الأبكم أيضاً . وعند الكلام فى المادة والطاقة فى الجزء الثانى من هذا المؤلف سنبين كيف أن الفيزياء الحديثة توصلت إلى اكتشاف أن لكل جسم مادى ـ ولو كان شجرة أو زهرة مثلا ـ مقابلا أثيرياً أيضاً . ولكن اكتشاف الجسم الأثيرى فى المادة الصلبة يعد كشفاً رياضياً خالصاً لا صلة له مباشرة بالدراسات الوساطية[٢] ، أما فى

---

(١) راجع ماسبق فى ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٢) فيما خلا دراسة موضوع المجلوبات والمأخوذات الروحية .

الإنسان والحيوان فهو وثيق صلة بهذه الدراسات ، وبما تكشفت عنه من نتائج مفرطة فى خطورتها ، وفى خطورة دورها فى الكشف عن الإنسان الحقيقى الداخلى المتخفى وراء الإنسان الخارجى المزيف الذى خضع لشتى الدراسات العلمية تحت أوصاف متعددة مثل الطب ، والفسيوجيا ، والبيولوجيا ، حين لم يخضع هذا الإنسان الحقيقى لأية دراسات جادة إلا منذ بدأ علم الروح يشق طريقه بمشقة بالغة ، كيما يتبوأ مكانه الضخم الحالى بوصفه « علماً للعلوم » .

وفيما يلى سنعرض لماماً لبعض النتائج الهامة التى وصل إليها علم الروح الحديث فى شأن هذا الجسد الأثيرى فى الإنسان والحيوان معاً ، بقدر اتصال هذه النتائج بموضوعات المؤلف الحالى ، وبخاصة بموضوعات فصوله اللاحقة لهذا الفصل ، وذلك فى مباحث ثلاثة على الوجه الآتى :ـ

المبحث الأول : أقوال متنوعة فى الجسد الأثيرى .

المبحث الثانى : دراسات علمية فى الجسد الأثيرى ، وفى وظائفه وخواصه .

المبحث الثالث : ماذا عن الجسد الأثيرى للحيوان ؟

المبحث الأول

أقوال متنوعة فى الجسد الأثيرى

الجسد الأثيرى فى رأى أوليفرلودج

وصف سير أوليفرلودج هذا الجسد الأثيرى بأنه وسيط الاتصال بالأثير وبالحياة الأخرى وبالله . وهو يكون واسطة يتعرض الجسد المادى عن طريقها للاهتزازات التى يسجلها العقل عن طريق الحواس الخمس العادية (وهى النظر والسمع واللمس والذوق والشم) .

كما تحدث عنه فى مؤلفه « لماذا أومن بخلود الإنسان ؟ »[1] (١٩٢٨) قائلا : « إنى أسلم بأن الاستخدام العملى للذكاء يحتاج إلى « مركبة جسدية » ولكن لا يلزم فى الجسد أن يكون ـ فحسب ـ مكونا من اجتماع شحنات متقابلة من الطاقة هى تلك التى تعودنا أن نطلق عليها وصف « المادة » ، فإن هذا افتراض يقوم على غير أساس وألقى على عواهنه شأن الكثير من الافتراضات الأخرى التى دفعتنا الكشوف العلمية الحديثة (مثل نظريات النسبية) إلى أن نتخلى عنها .

فيمكننى أن أتصور بنيانا مكونا من الأثير وصلبا ومحسوسا كالمادة العادية، ولكن مختلفا عنها فى أنه لا يخضع لحواسنا الحيوانية الحاضرة ، كما لا يذعن لإشراف عضلى مباشر منا . فإن الجزيئات التى تكون أية كتلة عادية من المادة متماسكة فيما بينها عن طريق قوى للتماسك وللارتباط الكيميائى وللجاذبية، وهى قوى غير مادية يعترف بها العلم اعترافا متزايداً كوظائف لأثير المكان . فجسم المادة الذى نشاهده ونمسك به ليس هو كل جسمها ، بل ينبغى أن يكون له مقابل أثيرى كيما يمسك بين أجزائه . وهذا المقابل الأثيرى هو المزوِّد الحقيقى بالحياة عند الكائنات الحية فيما أعتقد .

ففى اعتقادى أن الحياة والعقل ليسا مرتبطين بالمادة ارتباطاً مباشراً ، بل إنهما فحسب يتملكان العمل عن طريقها بشكل غير مباشر خلال اتصالهما الأوثق صلة بمركبة أثيرية تشكل الأداة الحقيقية لهما ، أى بجسد أثيرى يعمل بالاشتراك معهما (أى مع الحياة والعقل) وبالتالى يتحكم فى المادة» .

وبعد أن يبين لودج كيف أن المادة الصلبة ذات أوجه نقص متعددة يقرر أن الأثير لم يتكشف عن أية إشارة لأى نقص فيه أو قصور « فهو شفاف

---

(١) Why I Believe In Personal Immortality?

لآخر مدى ، ولا يضيع أية طاقة ، وأى بنيان مكون من الأثير دائم فيما يبدو . ونحن نملك منذ الآن جسداً أثيرياً مستقلا عن الحوادث التى قد تحدث للمادة المحسوسة المتصلة به ، والمشتركة معه . وهذا الجسد الأثيرى سنظل نحوزه لفترة طويلة بعد انفصال المقابل المادى له .

وهذا التلخيص الموجز السريع هو النتيجة التى وصلت إليها تدريجياً ، والذى له أن يبين بطريقة عامة نوع أسس التجربة التى يستقر عليها ، وبعض ما يتضمنه من دلالات . ولا يمكننى الآن أن أواصل السير إلى الحجج الحديثة عن الأثير ، وضرورته الفلسفية لفهم جميـــع الظواهر وعرضها ، إلا إذا عولجت بطريقة مجردة صرف من شأنها أن تدع المعادلات الرياضية بغير تفسير فيزيقى لها ، ولـكنى سأحاول أن ألخص الوضع العام الذى قادنى إمعان النظر فى الحقائق لأن اقتنع به ، وعندئذ سأبين قصة هذه الحقائق كما وصلت إلى نطاق بصرى . . »[(١)] . ثم يبين لودج أسانيد اقتناعه هذا .

الجسد الأثيرى فى رأى جيمس آرثر فندلاى

وبحسب رأى الأستاذ جيمس آرثر فندلاى J. A. Findlay مدير «المعهد الدولى للبحث الروحى » فى مؤلفه « على حافة العالم الأثيرى » : « إن الحمل ممكن فقط حينما يقرن العقل نفسه بالمادة . والعقل من رتبة مغايرة لرتبة المادة ، وهو مادة . وليس لدينا لفظ آخر غير هذا – تهتز فيما فوق الأشعة البنفسجية بكثير – فهذه المادة الأكثر لطافة تسبب اتحاد خلية تذكير بخلية تأنيث ، وبعدئذ يبدأ التـكشف والنمو . وكل جرثومة حيوية ثالوث يتألف من عقل ، ومادة

---

(١) Why I Believe In Personal Immortality.
طبعة رابعة : سبتمبر ١٩٢٨ ص ٩ — ١١ .

أثيرية ، ومادة فيزيقية ، وتؤلف المادتان الأخيرتان الجسم ، وعلى ذلك فكل خلية فيزيقية لها خلية أثيرية تشبهها ، ومن ثم يكون الجسم الأثيرى مشابهاً للجسم الفيزيقى خلية خلية.

وتجمع هذه المادة الأكثر لطافة حولها فى الظلام مادة فيزيقية ، ولا يمكن أن يكون الجمع فى غير الظلام فى مبدأ الأمر لأن الضوء يجعل تجسد الروح هذا مستحيلا . وبعبارة أخرى تجمع حولها مادة تهتز بين الأشعة تحت الحمراء والأشعة فوق البنفسجية[1]. وتفكر هذه المادة الألطف منذ البداءة ، وتكون الإطار للمادة الأكثف لكى تتجمع حولها فيتكون فى النهاية جسم ، فإذا ما قوى هذا الجسم واستطاع أن يتحمل اهتزازاتنا الضوئية غادر الظلام وحدث ما نسميه ولادة .

وينحدر من ثم إلى العالم الفيزيقى عقل أو نفس (وكلتا الكلمتين صالحتان) ليؤدى وظائفه فيه ، وتستمر عملية التكشف والترقى . فالمادة الفيزيقية تستمر فى تجمعها حول الإطار الأثيرى ، ويسير النمو العقلى مع النمو الفيزيقى جنباً إلى جنب . ولا يقف النمو العقلى على الرغم من أنه مع تقدم السن لا يستطيع أن يؤدى الوظيفة بنفس السهولة . ومع ذلك فالشخصية تكون قد تعينت بالضبط ، لأن العقل تتبعه الصفات التى تجعلنا ما نحن عليه ، وما المخ الفيزيقى إلا غطاء يقى العقل من الاهتزازات الفيزيقية حتى يقوى على تأدية وظيفته خلال المخ الأثيرى وحده ، ويتبع العقل الذاكرة والعواطف بل يتبعه فى الواقع كل ما يكون الخلق والشخصية .

وعند الموت يطرح الغطاء الفيزيقى ليعود إلى الأرض التى منها جاء ،

(١) أى مادة من مواد المستوى الفيزيقى للحياة وكله يهتز بين الأشعتين تحت الحمراء وفوق البنفسجية .

ويعود العقل هو والروح بدورهما إلى الوسط الذى جاءا منه ، وليس ضروريا أن يحدث تغيير فى الإقامة . فالروح تستطيع أن تبقى فى نفس الحجرة التى تكون فيها ، أو فى نفس قطعة الفضاء التى حدث فيها الموت، أو الانفصال كما يصح أن نسميه . ولما كانت الروح تتبع مدى من الاهتزازات أعلى درجة من مدانا فهى عندئذ تستجيب لهذه الاهتزازات ، وهى لا تستطيع الاستجابة للاهتزازات الفيزيقية، لأن هذه الاستجابة كانت مستطاعة خلال الجسم الفيزيقى فقط ، وهى بعد الموت لا تتأثر بالعالم الفيزيقى ، وإنما تتأثر فقط بالعالم الأثيرى ، لأن المادة — ما بقيت الروح فى هذا العالم — كانت وهى تهتز فى حدود معينة تصدم العقل خــلال الجسم الفيزيقى .

وأما فى العالم الأثيرى فتصدم الجسم الأثيرى اهتزازات من درجة أعلى ، ثم تنفذ منه إلى العقل ، وإذن فلا يدرك العقل عندئذ إلا هذه الاهتزازات الأرق درجة ، فيدرك من ثم النسوج الأرق والألطف الذى كان الجسم الفيزيقى متصلا به (أى الجسم الأثيرى) ، ويظل شاعراً بالقالب الذى صيغ فيه الجسم، لأن ما تـكشف وارتقى فوق الأرض إنما بنى وشيد على ما صوّره العقل وارتآه .

ولقد وصل الجسم الأرضى بمادة أثيرية ، وتشكل بالشكل الذى أشار به العقل . فإذا ماطرح الجسم الفيزيقى جانباً ، وبقى العقل نفسه كما هو ، بقيت كذلك نفس الآراء والصور لتـكسب الجسم الروحى السمة والشكل ، وما من جديد سوى الوسط . إن العقل لا يفنى، وهو باق على الرغم من أن الموت يغير غطاءه ووسطه . ويستبقى الجسم الروحى الشكل الذى كان له على الأرض ويظل يفـكر ويذكر تجاريبه الأرضية ولا يضيع بالموت شىء ذو قيمة ، وكل ما فى الأمر وسط جديد نصل إليه ، وهذا الوسط من حيث الوضع هو عين الوسط الذى حدثت فيه الوفاة[1] .

---

(١) عن الترجمة العربية للمرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبى الخير: طبعة ثالثة ص ٧٠، ٧٩ .

هذا عن الجسد الأثيرى للإنسان ، أما عقل الإنسان فشىء بحسب تعبير آرثر فندلاى فوق الأثيرى Super-etheric » ولا يستطيع أى إنسان وهو فى جسمه الفيزيقى أن يشرح العقل ويفسره ، ولـكنه لا بد أن يكون شيئاً فوق الأثيرى لأنه يعمل بعد الموت،فهو الذى يرشد الجسم الأثيرى ويضبطه ولو لم يكن العقل شيئاً فوق الأثيرى لأفسده أولدمره أولئك المطبوعون على الشر فى العالم الأثيرى . إنهم يستطيعون أن يروا الصور التى يكونها ، ولـكنهم لا يستطيعون أن يمسوه أو يصيبوه بأذى ، فهو ليس فى متناولهم بتاتاً ، وهم لا يستطيعون إزاءه شيئا إلا أن يروه يعمل . والجسم الأثيرى هو الذى يحفظ كيان الجسم المادى فوق الأرض،ومن الجائز أن يكون لـكل شىء فى الوجود جسم أثيرى [1] » .

الجسد الأثيرى فى رأى هيوات ما كنزى

وبحسب رأى الأستاذ هيوات ما كنزى J. H. Mckenzie مدير «الكلية البريطانية للعـلم الروحى » فى مؤلفه عن « الاتصال بالروح »[2] يتـكون الحبل السرى الروحى الذى يصل بين الجسدين الروحى والفيزيقى من خيوط دقيقة تنبع من رأس الجسد الروحى ورئتيه وقلبه إلى الأجزاء المقابلة لها فى الجسد الفيزيقى . وعندما تغادر الروح جسد الإنسان عند الوفاة فإنها تفلت منه خلال عظام الجمجمة . ولـكن فى النوم أو الغيبوبة تغادره من منطقة القفص الصدرى . وبذلك تظل مرتبطة بروابط حيوية بالأعضاء الجسدية .

وقد تـكون الروح Soul بعيدة عن الجسد المـادى حال الحياة بآلاف

---

(١) عن المرجع السابق ص ٢٦ . ولنا عودة فى الجزء الثانى للـكلام فى وجود جسم أثيرى لـكل جسم مادى .

(٢) Spirit Intercourse.

الاميال ، إذ أن الطبيعة المطاطة للحبل الذى يصل بينهما تسمح للروح بحرية تامة فى التنقل . وهذا ما يحدث فى حالات الطرح الروحى أو الكوكبى Projection of Astral body . وطالما كانت الروح مهيمنة على الأعضاء الفيزيقية عن طريق الحبل الروحى (أو الأثيرى) فإن قوانين التحلل لا يمكن أن تنال من الجسد المادى ، ولكن عند انفصال الحبل الأثيرى يحدث الموت حتماً .



رسم من عمل الأستاذ هيوات ماكنزى يمثل الجسدين المادى واللامادى والحبل الأثيرى الذى يربط بينهما أثناء الاحتضار .

أما قبل هذا الانفصال فلا يحدث الموت ، حتى وإن راح الوعى أحياناً فى غيبوبة كاملة بسبب الطرح الروحى قد تلتبس فى بعض الأحيان مع غيبوبة الموت الحقيقى ، وقد تتوقف أثناءها جميع الأعضاء والأجهزة عن العمل فيبدو الجسد المادى ميتاً وما هو بميت . وقد تحدث نفس هذه الاعراض فى وقت الاحتضار • وبعض حالات الغيبوبة العميقة نبهت العلماء إلى حقيقة هامةوهى وجوب عدم التسرع فى دفن الموتى بوجه عام عقب الاحتضار مباشرة ، لأنه فى بعض صور « الغيبوبة الحيوية » قد تتوقف كل أعراض الحياة ، ومنها دقات القلب والتنفس ودورة الدم بغير وفاة حقيقية . فإذا تنبه

« الميت » إلى وعيه وهو فى قبره قاسى أهوالا جساما تجل عن الوصف إلى أن يموت موتاً رهيباً بطيئاً أشد فظاعة من كل صور التعذيب التى عرفها البشر ، فارحموا موتاكم ، وتأنوا فى الجزم بالوفاة أيها الأطباء والأقرباء . بل يشير العلم الحديث بوجوب التأنى فى دفن الموتى بالأقل إلى ما بعد ظهور البقع الزرقاء على البشرة ، وتتطلب تشريعات كثيرة ألا يدفن الميت قبل مضى ٢٤ ساعة من تشخيص وفاته[١] .

هذا وقد أثبت علم الروح أيضا أن انسلاخ الجسد الأثيرى بالوفاة عن المادى لا يتم بغتة ، ولا انقطاع الحبل الأثيرى الذى يصل بينهما . كما أثبت أن « الوفاة » قد تكون فى حقيقتها غيبوبة كاملة عميقة قد تحدث بسبب الألم أو الإعياء أو بعض الحالات العصبية ، ولذا فقد تعقبها أحيانا ـ كما قلنا ـ عودة الصلة بين الجسدين كما كانت من قبل .

أوصاف شتى للجسد الأثيرى

وهذا الجسد الأثيرى هو الرابطة بين الجهاز العصبى والمستودع الكونى للطاقة بحسب التعبير الثيوصوفى . وهو يقابل الجسد الذى يطلق عليه وصف الجسد المطابق The Double فى بحوث علم الروح ، ووصف النموذج أو المثال الأصلى The Archetypal فى بحوث الباراسيكولوجى . فكل هذه أوصاف شتى للتعبير عن حقيقة واحدة وهى أن للإنسان جسداً آخر غير جسده المادى الخاضع للحواس . وهذا الجسد الآخر غير مادى على المستوى المادى ، ولكنه مادى على المستوى غير المادى (أى الكوكبى ، أو الروحى ، أو العقلى بحسب مرحلة التطور التى وصلت إليها النفس) .

وفى الفلسفة الثيوصوفية يطلق وصف الجسد الأثيرى على هذا

---

(١) تبين من بعض الاحصائيات أن حوالى ٢٪ من « موتى » مدينة نيويورك يدفنون أحياء بسبب الخطأ فى تشخيص الموت والتسرع فى الدفن ، وهى نسبة رهيبة جداً لو كانت صحيحة .

الجسد غير المادى حال الحياة الأرضية ويطلق عليه وصف الجسد الكوكبى فحسب عند تحرره من الجسد المادى بالوفاة ، أما فى المؤلفات الروحية فيستعمل الوصفان كمترادفين ، فيحل أيهما محل الآخر فى التعبير عن الجسد اللامادى للإنسان .

المبحث الثانى

دراسات علمية فى الجسد الأثيرى

بينا فى مناسبة سابقة كيف تتجسد الأرواح، بعد تحررها من ربقة أجسادها الترابية ، عن طريق هذه الأجساد الأثيرية تجسداً تاماً أو جزئياً بحسب قدرة الروح المتجسدة — ومن ورائها الأرواح المرشدة — وإمكانيات الطاقة الوساطية وظروفها، وكيف أمكن عمل نماذج من الشمع للأعضاء المتجسدة، كما أمكن تصوير التجسد الجزئى والكلى فى عدة مشاهد تحت أدق صور الرقابة[1] .
كما سنبين فى فصل مقبل كيف أمكن عن طريق التأثير المباشر للعقل فى المادة الحصول على صور كاملة أو جزئية لأجساد أثيرية لبعض المنتقلين غير متجسدة، وبالتالى غير منظورة بالنظر العادى بل قد يراها فحسب بعض وسطاء الجلاء البصرى.

الإحساس من خواص الجسد الأثيرى

والسائد الآن فى البحوث الروحية هو أن كل عضو فى الجسد المادى له مقابل فى الجسد الأثيرى يشبهه تماماً من حيث الشكل ويؤدى نفس وظائفه . وقدرة الإحساس الكائنة فى الجسد المادى مستمدة من قدرة الإحساس المقابلة فى الجسد الأثيرى، وقدرة الاحساس هذه لا تنتهى فى النهاية إلى الجسد الأثيرى، بل إلى العقل أو ان شئت إلى الشعلة القدسية فى الإنسان وهى الروح حاملة العقل. وإنما تنتقل هذه القدرة إلى الأعضاء المادية عن طريق الجسد الأثيرى الذى هو بمثابة القنطرة

(١) راجع ماسبق فى ص ١٧٠ — ١٩٦ ، ٤٦٠ — ٥٠٢ ، ٥٠٨ — ٥١٩ .

بين العقل – أو الروح — وبين الجسد المادى . وعند سقوط الجسد المادى بالموت يتبقى الجسد الأثيرى متمتعاً بالقدرة التامة على الإحساس المستمد من الروح بمعنى الشعلة القدسية للإنسان ، وحاملا العقل الذى هو وراء هذه القدرة سواء على المستوى المادى أم الأثيرى .

وهذه الحقيقة تعلل بعض الظواهر الشاذة التى يبحث العلماء عن تعليل « مادى» لها بغير جدوى. ومن ذلك مثلا ظاهرة الفتاة الروسية روزا كوليشوفا التى ثبت بعد تجارب عمية استبعدت كل احتمال للخطأ أنها تستطيع أن ترى بأصابعها ، فتميز الألوان ، وتقرأ الكتب ، وتحدد بدقة مذهلة كل عناصر وتفاصيل أى رسم أو صورة ، وذلك كله رغم غشاوة تامة على عينيها تمنع عنها إمكان استخدامها فى الرؤية . وقد اتضح أن الفتاة عصبية ومتقلبة المزاج شأن عدد من الوسطاء الروحيين ، وأن هذه الظاهرة ليست الأولى من نوعها فى التاريخ ، وهى تشير إلى قدرة خاصة على الرؤية بالأنامل ، وأحياناً بالجبين ، يبحث العلماء الآن فى احتمال إمكان تنميتها ليستفيد منها المكفوفون[١]. وهذا كله يشير إلى أن العين هى أداة الرؤية لكنها ليست مصدرها ، كذلك المخ ، فهو أداة التفكير لكنه ليس مصدره ، ولنا عودة تفصيلية إلى ذلك فيما بعد .

هذا وقد أثبتت بحوث متعددة أن للإنسان المعتقل فى جسده المادى حاسة روحية ، هى تلك التى توصف بأنها حاسة سادسة ، واحدة فى جوهرها لكنها متعددة فى قدراتها وفى أساليب عملها . وهذه القدرات الروحية على الإدراك قد تتم خلال أدوات الإحساس المادية والمخ فى نشاطه العادى ، أى قد تتم بطريقة باثولوجية صرف ، كما تتم أحياناً نادرة جداً بطريقة مباشرة أى خارج أعضاء الحس الفيزيقية ، فيرى صاحبها عن غير طريق العين ، كما قد يسمع عن غير طريق الأذن

---

(١) راجع جريدة « أخبار اليوم » عدد ٣ يناير ١٩٦٨ .

وهكذا دواليك ، فتوصف عندئذ بأنها تمثل الإدراك عن غير طريق الحواس Extra Sensory Perception ، ويبدو أن هذه الملكات غير خاضعة حتى لقانون التطور المادى .

وقد أكد بعض العلماء مثل جيمس هايسلوب فى أمريكا[١]، وإرنستو بوزانوفى إيطاليا [٢] بعد بحوث شاقة أن هذه الملكات فوق العادية لاتنتمى إلى الجسد المادى ، بل إلى الروح بمعنى الجسد الأثيرى ، وأنها خاملة ومستترة فى العقل الباطن لكل منا . فلا تعمل بطريقة منتظمة خلال حياتنا الأرضية ، ولا تظهر إلا بصورة استثنائية جداً رغم أن استخدامها بطريقة منتظمة كان سيزود الإنسان بأسلحة هامة فى مرحلة كفاحه لأجل الحياة ، لأن الطبيعة قد رسمت لهذه الحاسة السادسة (التى تتضمن فى الواقع جميع الحواس المعروفة) ألا تعمل بكل قوتها إلا بعد الخلاص من ربقة الجسد المادى ، أى لا تعمل إلا فى وسط روحى، أو ان شئت أثيرى صرف .

هذا إلى أن المرحلة الحالية التى وصلت إليها معارف الإنسان المادية لاتفسر كيفية عمل الحواس الخمس العادية . فالعين المادية — رغم دقتها المفرطة كجهاز — لا تفسر مثلا حاسة النظر حتى لو أضيف إليها المخ الذى هو بدوره آلة صماء لاتعمل شيئاً بغير « كهربائية العقل » ، هذا العقل الذى هو من خصائص الروح لا الجسد المادى . أو هو بالأدق من خصائص الجسد الأثيرى الذى يحمل العقل كما يحمل الحواس الخمس، وهى البصر والسمع والشم واللمس والذوق مجتمعة فى قدرة واحدة تعمل عن طريق العقل، عندما يزودها العقل بالطاقة اللازمة للعمل، كما تزود الكهرباء أى جهاز مادى بالطاقة التى بدونها لا يمكن أن يعمل شيئاً، وبدونها يختزل أى جهاز كهربى إلى آلة صماء عاجزة، كما يختزل المخ نفسه إلى آلة صماء بدون « كهربائية العقل » هذه .

---

(١) راجع عنه ما سبق فى ٢٨٠ — ٢٨٢
(٢) راجع عنه ماسبق فى ص ٥٢٧ وما بعدها.

وعندما أقول إن هذه القدرة الواحدة على الإحساس كائنة فى العقل فقتضى. ذلك أيضاً أنها كائنة فى الجسد الأثيرى لأنه هو حامل شعلة العقل ، أما الجسد المادى فهو يحمل جهاز المخ وحده . وعندما أقول ذلك لا أنفى أن هذه القدرة الواحدة على الإحساس تنتهى فى نفس الوقت إلى الروح التى يبدو أنها تعمل وراء كل عقل وجسد . بل أنها هى بنفسها مصدر هذه الطاقة للعقل التى سميناها تجاوزاً بكهربائية العقل ، مع أنها أعمق بمراحل كثيرة، وأخطر فى آثارها ، وأبعد مدى من كل طاقة كهربية وصل إليها العلم المادى . وإنما هى الحاجة إلى وصف يقرب الفكرة من ذهن القارىء هى التى أحوجتنى إلى هذا التعبير القاصر جداً وهو « كهربائية العقل ».

وهذا القول يصدق على كل حاسة من حواسنا الخمس المعروفة . فوراء كل حاسة منها تعمل « كهربائية العقل » هذه عملها محكومة بنواميس طبيعية مفرطة فى عمقها ، وفى خطورة دورها فى الحياة . وإنما ارتبطت فى أذهان الماديين حاسة البصر مثلا بالعين لأنهم لاحظوا أن فقد العين لمرض أو لعاهة أو لبتر يؤدى حتما إلى العمى الكلى أو الجزئى ، وفاتهم أن هذه النتيجة حتمية أيضاً حتى لو اعتبرنا العين مجرد أداة للبصر لا مصدراً له ، أو حتى لو اعتبرناها مجرد شرط واحد من بين شروط أخرى متعددة لازم توفرها كلها لإمكان البصر الواعى فى المستوى المادى للحياة [1] .

---

(١) وهذه الشروط لإمكان الرؤية العادية متعددة ومعقدة أكثر مما كان يتصور العلماء إلى عهد قريب . فمثلا بعد بحوث أربعين عاماً تبين للدكتور جورج والد أستاذ البيولوجيا بجامعة هارفارد أن الرؤية عملية كيميائية ينتج عنها تيار كهربائى ينقله العصب البصرى إلى المخ (فالتيار لا يبدأ من المخ بل ينتهى إليه) . كما تبين للدكتور هالدان هارتلين أستاذ الطبيعة الحيوية بجامعة روكفلر أن الضوء يسبب انفصال المادتين الكيميائيتين داخل خلايا الشبكية، وهما بروتين اسمه «أوبسين» ونوع خاص من فيتامين (ا) اسمه «ريتينين» وتنتج عنهما موجة كهربائية تنتقل إلى المخ. وعند غلق العين أو فى الظلام تتحد المادتان استعداداً لضوء جديد=

وفى المدارس الروحية يصدق ذلك أيضا على وظائف الأعضاء اللازمة كلها للحياة على مستوى الوجود المادى لها . فما الذى يدعو القلب لأن ينبض بطريقة منتظمة حوالى ٧٢ مرة فى الدقيقة ؟ ... إن الذى يدعوه لذلك هو مركز من مراكز الطاقة Chakra كائن فى الجسد الأثيرى فى موضع القلب يمده بالقوة المحركة . كما يمد الجهاز العصبى فى مراكزه الرئيسية بالطاقة التى تكفل له العمل المنتظم طالما كان الجسدان معاً متمتعين بأسباب الصحة التى قد تضطرب فى الجسد الأثيرى لعوامل اعتدنا أن نسميها بالنفسية ، كما قد تضطرب فى الجسد المادى لعوامل شتى بين فسيولوجية وبيولوجية يعرفها جيداً الطب المادى الذى لا يعرف بعد شيئاً يذكر عن مراكز الطاقة هذه وكيفية عملها ، مع أنها بمثابة «الدينامو» الحقيقى الكائن وراء وظائف الأعضاء الظاهرة والباطنة .

وعدد كبير من وسائل العلاج الروحى إنما يتجه رأساً إلى مراكز الطاقة هذه فى الجسد الأثيرى ، إذا ما لحقها اضطراب ما ، كما تحاول هذه الوسائل أن تعيدها إلى اهتزازها الطبيعى عن طريق استخدام إشعاعات غير مادية المصدر ، حتى وإن كان لها فى بعض الأحيان مظهر منظور بالعين المجردة . أو عن طريق استخدام سيالات Fluids غير مادية المصدر أيضاً ، فتتولى بعدئذ بنفسها محاولة إصلاح ما أفسده الزمن فى الجسد الأثيرى أولاً ، وهو الذى قد يتولى بدوره التأثير المباشر فى وظائف الأعضاء المادية. وقد يحتاج ذلك إلى زمن قد يطول أو يقصر بحسب الأحوال ، كما قد ينجح فى ذلك أو قد يفشل ، فكل ما يمت إلى الصحة والمرض عرضة للنجاح أو للفشل ، وللتقدم أو للتأخر بحسب الظروف .

ومراكز الطاقة فى الجسد الأثيرى هذه تتأثر كثيراً بانفعالات الإنسان ،

= وكل هذا لا يفسره أبداً الاعتقاد بأن الرؤية عملية آلية تبدأ فى العين وتنتهى فى المخ ، بل يكشف أن وراء الرؤية « جهاز عاقل » ، وأنها عملية عقلية روحية يشترك فيها العقل (أو الروح) مع العين والمخ فى وقت واحد .

ومن هنا جاء تأثير الانفعالات فى الصحة العامة وفى وظائف بعض الأعضاء . ولنا عودة فيما بعد للكلام فى مراكز الطاقة فى الجسد الأثيرى التى ابتدأ بعض العلماء فى كشف غوامضها وتعرف بعض أسرارها ، الأمر الذى فتح آفاقاً جديدة بالغة أقصى درجات الخطورة لطب الجسد والروح معاً .

***

ومثل ذلك يصدق أيضاً على علاقة العقل بالمخ . فقد تقوضت تماماً أركان النظرية المادية التى كانت تعتبر العقل نتاجاً للمخ . ووضح الآن لعدد كبير من أفضل علماء الفسيولوجيا والنفس والطب أنها نظرية زائفة ، وأن « الرأى القائل بأن المخ هو المحور للإنسان تدليس على لم يكن له أساس حقيقى » على حد وصف الأستاذ ج . ب . راين بعد تجارب عشرات من السنين فى جامعة ديوك بالولايات المتحدة . ولنا عودة تفصيلية إلى هذا الموضوع الخطير فى الفصل القبل لنبين كيف أنه أصبح الرأى السائد الآن هو تعليل المخ بالعقل ، لا تعليل العقل بالمخ ، مع الاتجاه إلى القول بأن العقل هو المهيمن على المخ ، وأن المخ هو جهاز مؤقت للعقل لا مصدره .

وإذا قلت إن المخ هو جهاز العقل فهو جهازه المادى الذى يعبر به مؤقتاً عن نفسه ، ولكنه فى نفس الوقت جهاز يقيد نشاطه ، ويعوق الكثير من إمكانياته القصرية ، إلى حين انطلاقه من أسر هذا الصندوق الضيق المحبوس فى عظام الجمجمة والمسمى المخ عن طريق الوفاة ، كما ينطلق الطائر الحبيس من قفصه . و « هناك » يعبر العقل عن نفسه تعبيراً أكثر انطلاقاً وتحرراً ، عندما تكون صورته الواعية الطبيعية هى كل إمكانياته فى مستوى آخر من مستويات الوجود .

الجسد الأثيرى غير قابل للبلى أو للفساد

ومن خصائص هذا الجسد الأثيرى أو الروحى أنه لا يهرم مهما هرم الجسد

المادى، وهو غير قابل للبتر. فإذا ما بتر ذراع إنسان حى فى حادث أو فى جراحة فإن الذى يبتر هو ذراعه المادى فقط ، أما الذراع الأثيرى فهو جــزء من الجسد الأثيرى الحامل للعقل ، ومن ثم فهو يظل رغم بتر مقابله أو ردائه اللحمى فى مكانه يؤدى وظائفه كاملة فى حالتى الطرح الروحى المؤقت، أى الغيبوبة الوساطية أو النومية أحياناً ، والطرح الروحى النهائى أى الوفاة .

وقد بحث بعض الأطباء والعلماء أمر وجود أعضاء أثيرية فى موضع الأعضاء المادية المبتورة قد يشعر بها أصحابها ويتألمون أحياناً من موضعها ، وقد يتأثرون بما يلامسها من برودة أو حرارة ، وما قد تحركه فيهم من لذة أو ألم، ومن راحة أو تعب فى أحوال كثيرة . وقد أشار العــــالم الإيطالى إرنستو بوزانو Ernesto Bozzano فى بحث له عنوانه « ظواهر ازدواج الأعضاء »[١] إلى ما ذكرته الدكتورة بلليتيه Pelletier، وإلى النتائج التى حصل عليها كل من برنشتين Bernestein، وبيترز Piters، وويرميتشيل Weir Mitchell فى باريس فى هذا الشأن.

وهو يحيل القارىء بوجه خاص إلى مانشره فى هذا الموضوع الفيلسوف وليام جيمس فى مضابط «الجمعية الأمريكية للبحث الروحى»[٢] عن نتيجة بحث قام به على ٢٨٥ شخصاً من ذوى الأطراف المبتورة . وفيه يقول إن الإحساس بوجود عضو محل العضو المبتور يظل بعد عملية البتر لـــمدة تتراوح بين بضع ساعات وبضع سنوات. وقد ظل شيخ فى السبعين من عمره يشعر بوجود فخذه المبتورة منذ كان فى الثالثة من عمره بنفس القوة والوضوح اللذين يشعر بهما بوجود فخذه الأخرى التى لم يتناولها البتر . كما يقرر فى نتائج تحرياته هذه أن الإحساس بالحرارة وبالبرودة هو بوجه خاص أقوى أنواع الإحساسات التى قد تظل باقية لدى صاحب العضو المبتور .

---

(١) Les phenomènes de la bilocation.

(٢) Proceedings of the American Society For Psychical Research 1885—1889p, 294.

ويرى بوزانو أن العضو الشبح يشعر به البعض كاملا فى شكله، وحجمه، ودرجة حرارته، والوضع الذى قد يكون عليه، والحركة التى قد يتحركها. لكن فى الغالب يكون الشعور به أقل وضوحاً من غيره. فيشعر من بترت يده أو ساقه بأطراف الأصابع فقط، ويكون إحساسه بباقى العضو غامضاً. كما قد يحدث أن يكون الإحساس واضحاً لكن يبدو العضو الشبح لصاحبه أكبر من حجمه الطبيعى أو أصغر حجماً. على أن ذلك لا ينفى أن المرضى الذين يحسون بأطرافهم المبتورة يشعرون أن إحساسهم هذا حقيقى. حتى لقد قال مريض إلى وير ميتشل «إنى متيقن من وجود عضوى المبتور أكثر من العضو الذى أنا محتفظ به».

ومما يسترعى الانتباه أن أحد العلماء الفرنسيين وهو ريزيه Riset بحث أمر هذه الظاهرة منذ أيام نابوليون بونابرت، ولم يكن العلم الروحى الحديث قد ظهر بعد، ولم تكن هناك أية فكرة عن الجسد الأثيرى، فقال إنه سأل ٤٤٥ شخصاً من مشوهى الحروب والحوادث فقال له جميعهم — عدا ١٤ منهم — إنهم يشعرون بأعضائهم كما لو كانت موجودة فى مكانها لم تبتر بعد. وهذه النسبة تتفق — إلى حد ما — مع النسبة التى وصل إليها بيترز Piters الذى أشرنا إليه آنفاً، والذى يقول إنه فى حالة واحدة فقط من كل ثلاثين حالة ينعدم لدى المشوه الإحساس بوجود العضو المبتور أو بوجود شبح لهذا العضو. كما يضيف أن هذا الإحساس ينشأ عادة عقب البتر مباشرة، كما قد يتأخر ظهوره إلى ثلاثة أيام، وفى أحوال أخرى قد يتأخر ظهوره إلى ستة أسابيع.

بين الجسد الأثيرى والحياة فى الأثير

فهذا الجسد الأثيرى هو الذى يحمل حواس الإنسان وشخصيته وعقله، أما الجسد المادى فهو غلافه الخارجى المؤقت. ومن ثم يظهر تماماً صواب ما سبق أن قلته من أن أعضاءنا المادية هى أدوات الإحساس لكنها ليست هى مصدر الإحساس. ولذا فإن العلم الروحى يبين كيف أن سكان عالم الأثير يشعرون

بالوجود عن طريق أجسادهم الأثيرية بصورة أكثر وضوحاً وانطلاقاً مما نشعر نحن عن طريق أجسادنا المادية ، لأنهم لا يعتمدون على جهاز عصبي محدود القدرة كيما يشعروا ببعض مظاهر الوجود التي من حولهم .

فأثير الفضاء قد حل لديهم محل ذلك الجهاز العصبي البالي ، ولم يعودوا بحاجة لأن يترقبوا دخول أشعة الشمس إلى « نوافذ » أجسادهم حتى يدركوا شيئاً قليلا من هـذه المظاهر ، لأنهم يحيون في أثير مضيء ذي طبيعة خاصة . فهم هناك يحيون في بيئة الحياة التي بعثت المادة ولم تبعث بها ، وأوجدت وسائل الحس والإدراك ولم توجد عن طريقها . وبعبارة أخرى إنهم يحيون في بيئة هي أصل الحياة ، ويشعرون بها عن طريق أجساد أثيرية كانت هي مصدر الإحساس في الأجساد المادية التي تخلوا عنها « بالوفاة » .

وهذه الكشوف تمثل الآن عقيدة فلسفية قبل أن تكون مجرد « وجهة نظر » روحية ، أو حتى مجرد نتيجة بحوث معملية . فني مؤلف الفيلسوف برجسون عن « التطور الخالق »[1] نجده ينتهى « إلى نتيجة ميتافيزيقية هامة للغاية ، وهى أن الحياة ليست هى المادة ، ولا هى تنشأ عن المادة . بل ضد ذلك هو الصحيح . ويبقى بعد ذلك أن العين ليست هى أصل النظر ، بل النظر هو أصل العين . وفى عبارة أخرى يقول إن العضو ليس أصـل الوظيفة . وإنما الوظيفة أصل العضو . ومن هنا يمكن القول بأن مسير الحياة نحو الإبصار إنما هو مشروط بحركة الحياة ذاتها . وليس مرتبطاً بظروف خارجية أو بالصدفة على النحو الذى يتصوره التطوريون من أمثال لامارك وداروين »[2] .

وهكذا الحال بالنسبة لباقى الحواس التى نعرفها ، فكلها عبارة عن ملكات فى الجسد الأثيرى يستمدها من الروح . فمن يفقد إبصاره هنا ، أو من يولد أعمى لعلة موروثة فى أداة الإبصار الأرضية وهى العين يسترد حاسة البصر التى

(١) L'Evolution Creatrice.

(٢) راجع « المذهب فى فلسفة برجسون » للدكتور مراد وهبه ١٩٦٠ ص ٧٢ .

كانت خامدة فى الروح ، بعد انتقاله إلى هناك وتخلصه من الجهاز المعتل الذى كان يعوق البصر هنا ، وهكذا الحال بالنسبة لأى خلل قد يصيب أى جهاز أرضى من أجهزة الحواس المختلفة.أو بعبارة أخرى إن هذه القدرة الخامدة التى يطلق عليها الجلاء البصرى أو الجلاء السمعى . . . أو غيرهما من أوصاف هنا تصبح هى الصورة الطبيعية للحياة فى الأثير بعد التخلى عن أعضاء الحس المادية فى الجسد الأرضى ، وذلك لإمكان العيش فى مستوى عقلى أو روحى تعمل فيه الحياة بأساليب مغايرة تماماً لأساليبها فى مستواها المادى المقيد بشتى قيود الحس والحركة ، فهى أساليب أكثر انطلاقاً وتحرراً .

* * *

وعن هذه الملكات غير العادية يكتب الأستاذ إرنست هولمز Ernest Holmes فى مؤلفه عن «علم العقل»[1] (الطبعة الخامسة والعشرين:١٩٥٧) قائلا : « لماذا زودتنا الطبيعة بملكات رقيقة كهذه إن لم تكن تعلم مقدماً أننا سنحتاج إليها فى زمان ما ، وفى مكان ما ؟ فالطبيعة ليست حمقاء ، ولا تصنع شيئاً بدون سبب قوى ، كما لاتترك ثغرات ما ، بل إنها تواجه جميع الضرورات. ففى حياة كل يوم نحن لا نحتاج للملكات الأثيرية الرقيقة التى تملكها الروح ، ومن المنطقى أن نعزو تزويدها لنا بهذه الملكات إلى خدمة استمرار الحياة ، وانتصار تقدم الروح ، ومن ثم أعطتنا الطبيعة حواساً مزدوجة خلال حياتنا بأكلها حتى يكون لنا أن نستخدمها — بكل ما بها من فعل ورد فعل — على مستوى آخر .

والآن إذا كانت قدرة تفكيرنا سليمة ، وإذا ثبت أن الظواهر الفيزيقية تحدث خلال قوة عقلية ما ، وإذا ثبت أن أولئك الذين انتقلوا من هنا لابد وأن يظلوا قريبين منا ، فلا يمكننا أن ندرى من أين يمكن أن يجىء الاعتراض

(١) The Science of Mind ص٣٧٨ ، ٣٧٩ .

ضد إمكان الاتصال بالأرواح !؟ وكيف يمكن اعتباره اعتراضاً كاملاً ؟!.. بل إننا نميل إلى الاعتقاد بأن الوقائع الكثيرة تثبت أن بعض هذه الظواهر ـ بالأقل ـ يمكن أن يصدر إما عن طريق الإنسان الحى، وإما عن طريق أولئك الذين نصفهم بالموتى، وهذا ما نعتقد أنه يمثل الواقع .

فهناك آلاف من الحالات المسجلة التى أمكن فيها لأشخاص عديدين أن يخترقوا بحواسهم حجاب الجسد، وينظروا إلى ما وراءه . فإذا لم نصدق تجارب هذا العدد الغفير فكيف يمكن أن نصدق أى تجريب كان ؟! . لاريب أنه يوجد مجال واسع لخيبة الأمل، وليس من المحتمل أن تكون كل رسالة مزعومة رسالة حقيقية، ولكن القول بأنها كلها عبارة عن أوهام يتضمن امتهاناً للعقل الإنسانى، واتهاماً له بأنه لا يمكن أن يرى أبداً شيئاً واضحاً » .

* * *

وفى هذا الصدد يكتب أيضاً الأستاذ جيمس آرثر فندلاى قائلا : « وحينما نخلع عنا ذلك الرداء البالى بعد التغير الموتى نقف فى مأوانا الجديد بجسم أثيرى وتصبح قوانا الذهنية أنقى، وتصير تحركاتنا أسرع . . . ولن نفقد بهذا التغيير شيئاً ذا قيمة، فسنبقى كما نحن شكلا وملامح وفكراً وعملا . وأولئك الذين فقدوا أذرعهم وأرجلهم يستردونها . وكذلك يسترد كل نقص جثمانى، لأن العضو الذى فقد هو الفيزيقى فقط . فالفيزيقى ليس إلا غطاء، وهو يتحلل ويتلاشى باستمرار، لكنه يتجدد بالدم، وهذا دليل آخر على وجود بناء دائم تعلق به المادة الفيزيقية»(١) . . . كما يقول نفس المؤلف إن العقل يحصل فى العالم الأثيرى بمضى الزمن على سيطرة كاملة على الجسم الأثيرى بحيث يمكن بالفكر إزالة جميع العاهات الجسمانية أو إبراؤها .

ضوء الهالة البشرية The Human Aura

الهالة البشرية عبارة عن إشعاعات ضوئية تصدر من جسم الإنسان

---

(١) « على حافة العالم الأثيرى » الترجمة العربية ص ١٣١ .

وتحيط به من كل جانب، ويراها وسطاء الاستشفاف بيضاوية الشكل تعلو وتنخفض وتتحرك بصور شتى فى أجزاء الجسم المختلفة. وهى تختلف من إنسان إلى آخر، كما تختلف الأشكال والأجسام المادية ولكن على نطاق أوسع. وهى ذات ألوان متداخلة مثل قوس قزح. لكن هناك إنسان يغلب على هالته اللون الأخضر، وآخر يغلب عليها اللون الأزرق أو البنى وهكذا.

وهذه الهالة هى السجل الطبيعى الذى يسجل على الإنسان « خائنة الأعين وما تخفى الصدور ». فهى تسجل عليه رغباته، وعواطفه، ونزعاته، وأفكاره ومدى نضجه العقلى والخلقى والروحى. بل تسجل عليه أيضاً حالته الصحية لأنها تتأثر بآلام الجسد وبأمراضه من ناحيتى الألوان المنبعثة منها، وتشكيلها العام وما قد يصيبها من انقسام أو انبعاج، ويبدو هذا التأثر أوضح ما يكون عند المس الروحى، ومن باب أولى عند الاستحواذ.

والهالة من الموضوعات الهامة التى عنى بها من عنوا ببحث موضوع الأرواح وبخاصة العلاج الروحى. وممن بحثوا الهالة براعة البحاثة الروحى شارل لانسلان Charles Lancelin فى مؤلفه « الروح الإنسانية : دراسات تجريبية ـ روحية ـ فسيولوجية ـ بمعرفة روحى »(١)، الذى يتضمن ثمرة بحوث فيها دامت من سنة ١٩١١ إلى سنة ١٩٢٠ موضحة باللوحات العديدة للهالة فى مختلف أوضاعها وحالاتها.

كما عنى بدراسة الهالة الدكتور ولتر كيلنر Walter J. Kilner وقد اخترع لوحة الدبسيانين لرؤية الهالة فى الضوء العادى Dicyanin Screen، وقد نشر الدكتور كيلنر مؤلفاً تحت اسم « المحيط الإنسانى » Human Atmosphere منذ سنة ١٩١١، ثم أعيد نشره فى سنة ١٩٢٠ تحت اسم « الهالة الإنسانية » Human Aura، كما أعيد نشره فى سنة ١٩٦٥ تحت هذا الاسم الأخير.

(١) L'Ame Humaine . وراجع ما سبق عن المؤلف فى ص ٤٢٧، ٤٢٨

ولم يكن المؤلف باحثاً روحياً ، بل كان طبيباً للعلاج بالأشعة بمستشفى سان توماس بلندن ، ويعتبر من أوائل الرواد فى بحث موضوع الهالة بأسلوب معملى.

وقد أثبت كيلنر بدراسته وبجهازه أن إشعاعات الروح الإنسانية — وبالتالى الإشارات الموجية الصادرة منها — حقيقة واقعة . وهى تتخذ ألواناً متعددة ومتداخلة تشبه ألوان قوس قزح ، وكل لون منها يمثل اتجاهاً نفسياً معيناً عند صاحبها . وبحسب الرأى السائد عند الروحيين اللون الوردى مثلا يمثل الحب العذرى ، والأصفر يشير إلى النشاط العقلى الراقى ، والأزرق القاتم يشير إلى التدين ، والأخضر الرصاصى يشير إلى الخديعة ، والأخضر القاتم يدل على الغيرة ، والزاهى على التسامح . والأحمر الزاهى يرمز إلى الغضب والقوة ، أما الأحمر القاتم فيشير إلى الشهوانية ، والبنى يدل على حب المال والجشع . وهكذا . .

وقد واصل البحث فى هذا الشأن الأستاذ هارى بودنجتون Harry Boddington ، الذى كان نائباً لرئيس « الاتحاد الروحى الأهلى » بلندن U. N. S ، ورئيساً لمجلس مقاطعة لندن فى هذا الاتحاد ، واخترع جهاز « شاشة كيلنر » Kilnascrene [1] للكشف على الهالة ، وعلى ألوانها المتعددة التى قد لا تكون دائماً منظورة بالعين المجردة حتى لوسطاء الجلاء البصرى الذين قد يرى بعضهم جانباً من الهالة فحسب فى صورة إشعاعات تتفاوت فى مدى وضوحها .

* * *

---

(١) وقد أسماه على اسم سلفه الدكتور كيلنر تخليداً لذكراه ، بوصفه صاحب فكرة الكشف على الهالة بهذه الطريقة . ولهارى بودنجتون أيضاً جهاز لتنمية موهبة الجلاء البصرى يدعى Aurospecs ، كما أن له مؤلفات متعددة فى الروحية منها :—

« التجسدات » Materialisations.

و « جامعة الروحية » The University Of Spiritualism.

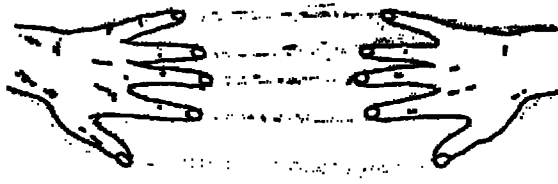
و « أسرار الوساطة » Secrets Of Mediumship.





هارى بودنجتون

رسم يمثل إشعاعات منبعثة من يدى الوسيط الروحى بشاهدها وسطاء الجلاء البصرى وتظهر واضحة خلال جهاز كيلنا سكرين Kilnascrene



نفس الإشــعاعات تتحرك فى كل اتجاه مع حركة يدى الوسيط وهو ما ينفى خداع النظر .



وأى مرض عضوى أو عصبى يحدث أثره فى هذه الهالة، ويروى الدكتور و.ج. ريتشاردز W. C. Richards أنه طلب من وسيطين منفردين زيارة مريض لرؤية هالته . وبعد أيام عاد كل منهما كيما يصف هذه الهالة . وقد اتفق كلاهما على أن الكبد هو أسوأ المواضع فقد كان لون الهالة بجانبه أسود تقريباً ، كما وصف الوسيطان انبعاثات فى مواضع معينة بعضها أسود ، وبعضها الآخر بنى غامق ، ورأى كلاهما سحابة خفيفة على الصدر . وفى اليوم التالى فحص الطبيب مريضه وتحقق من صدق الوسيطين . كما وجد فى الجلد بقعة معينة قرر المريض أنها من أثر حقنة زرنيخ أخذها منذ عام ، وكان تأثير البقعة واضحاً فى لون الهالة .

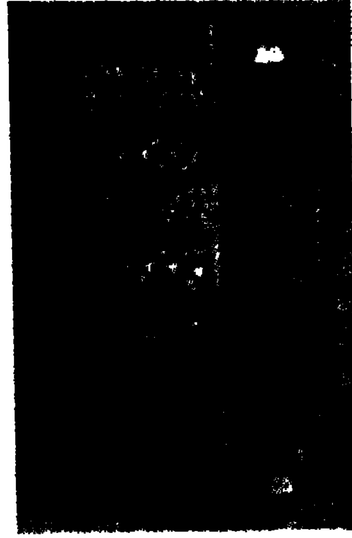
ويوجد أيضاً جهاز يعرف باسم صندوق أبرامز Abram's Box نسبة إلى مكتشفه الدكتور ألبرت أبرامز، وهو يحوى عدداً من الريوستاتات Rheostats متصلة على التوالى. وتزداد مقاومتها بواسطة ملفات تشبه مافى جهاز الراديو العادى . وتستخدم فيه ذبذبات الأوم Ohm كيما تدل على الألوان غير المنظورة المنبعثة من الهالة . وقد راجع الدكتور ريتشاردز هذه الذبذبات اللونية للهالة مع ذبذبات أفلام ملونة فوجدها متطابقة ، وحرر بياناً مفصلا لقياس حلقات الهالة Aura Rings فى مختلف مراحل التطور[1] .

وهذه الإشارات الموجية الصادرة من الهالة هى التى تنقل الأفكار عن طريق التلباثى ، ولولاها لماتوافرت هذه الموهبة عند إنسان . وفى سنة ١٩٦١ صنع « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس جهازاً الكترونياً لقياس استكشاف وسائل وظروف التواصل بالأفكار بين الأفراد Appareil electronique pour biotelecommunication experimentale

---

(١) عن مقال للأستاذ حسن محمد السكرى فى مجلة « عالم الروح » السنة السادسة عدد مارس ١٩٥٣ ص ١٥ — ٢٠. ومن الكتب الحديثة فى موضوع الهالة كتاب للسيدة أورسولا روبرتس Ursula Roberts عنوانه « لغز الهالة الإنسانية » :
The Mystery of The Human Aura

وهو من تصميم الأستاذ رينيه هاردى René Hardy بالاشتراك مع المهندس رينيه فاركوليه R. Warcollier مدير المعهد(١) .



جهاز الكترونى لاستكشاف وسائل وظروف التواصل بالأفكار بين الأفراد



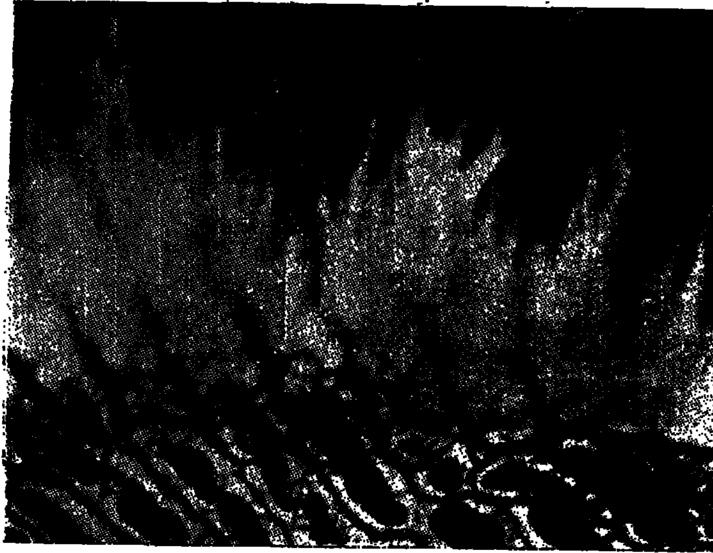
صورة أخرى لنفس الجهاز

والهالة ليست جزءاً من الجسد المادى، ولا من خصائصه، بل هى محيط خارجى من الجسد الأثيرى كما قلنا . والإشارات الموجية تنبعث من هذا الجسد الأثيرى، الذى هو الإنسان، والذى يحمل كل حواسه وصفاته وملكاته ، والذى يلازمه وحده فى رحلة الأبدية، ويظل خاضعاً لناموس التطور الروحى . وهذه الهالة وإن كانت متصلة بهذا الجسد الأثيرى إلا أنها بدورها أعلى اهتزازاً منه بكثير ، إلى حد أن الأرواح يرى بعضها البعض متجسداً هناك مع أن الهالة تظل غير منظورة منها فى الظروف العادية .

---

(١) راجع عدد ديسمبر سنة ١٩٦١ من مجله المعهد، وملحق هذا العدد وهو خاص بهذا الجهاز.

ومن الأنباء الحديثة فى هذا الشأن أن بعض العلماء السوفييت قد نجح فى الحصول على صور للهالة الآدمية ظهرت فيها حلقات الهالة ، وتنبعث منها واضحة شعلات الحياة Flares of life عن طريق استخدام كاميرا متصلة بجهاز ذى سرعة تردد عالية high-frequency ، كما يظهر من الصورة الآتية[1] :—



ويبدو أن هذه الهالة هى الوسيلة الوحيدة التى تصل الإنسان بعالم أرقى — على غير وعى منه — أثناء وجوده على المستوى الأرضى ، وتجعله يشعر أن له ذات عليا تختلف عن ذاته السفلى أو الحيوانية ، ويستمد منها الإلهام والأفكار الراقية ، وبسبب ارتفاع اهتزازها فإن اقتحامها يكون أحياناً هدفاً سهلا لبعض الأرواح غير الراقية ، خصوصاً إذا ما حدث فيها انقسام بسبب صدمة عاطفية أو انفعال عنيف ، كالخوف الشديد أو الحزن المفرط ، أو الغيظ المكتوم ، مما قد

(١) عن جريدة لأنباء الروحية « السايكك نيوز » عدد ١٤ مايو سنة ١٩٦٤ .

يسبب لصاحبها مرضاً عصبياً أو عضوياً عضالاً . كما أن التأثير فيها هو الوسيلة الطبيعية للروح المرشدة عندما تريد وضع الوسيط فى غيبوبته لتحقيق بعض الظواهر الوساطية، هذه الغيبوبة التى هى بمثابة تخدير مؤقت له عن طريق تنويم هو أشبه ما يكون بالتنويم المغناطيسى العادى . لكنه يقع بتأثير من عقل روح على عقل إنسان متجسد يصلح وسيطاً لإمكان التأثير فى إرادته بصورة ما .

تصوير الجسد الأثيرى لدى إنسانه

ودراسة الجسد غير المنظور — بهالته الخارجية — هى حجر الزاوية فى العلم الروحى الحديث، ومن أهم أبوابه . والجسد الأثيرى أو الروحى هو ذلك الذى تعود الباحثون الروحيون أن يطلقوا عليه تجاوزاً وصف الروح ، وقد بينا كيف جنى هذا التجاوز اللفظى على تقدم العلم الروحى — فى بلادنا — وكيف خلق له معارضين كثيرين من بين من قد يهمهم أحياناً اللفظ قبل المعنى، وتعنيهم القشور دون اللباب . . ! وهذا الجسد غير المنظور — إلا من وسطاء الاستشفاف — يخرج من الجسد المادى عند حدوث ظاهرة الطرح الروحى، خروجاً تاماً أو جزئياً ، بغير انفصام للحبل الأثيرى الذى يؤدى انفصامه حتماً إلى الوفاة، كما سبق أن بينا[1]. لذا كانت دراسة ظواهر الطرح الروحى أو الكوكبى The Phenomena Of Astral Projection إحدى السبل التى أمكن عن طريقها التحقق من وجود هذا الجسد الأثيرى ، ومن كيانه المستقل عن كيان الجسد المادى .

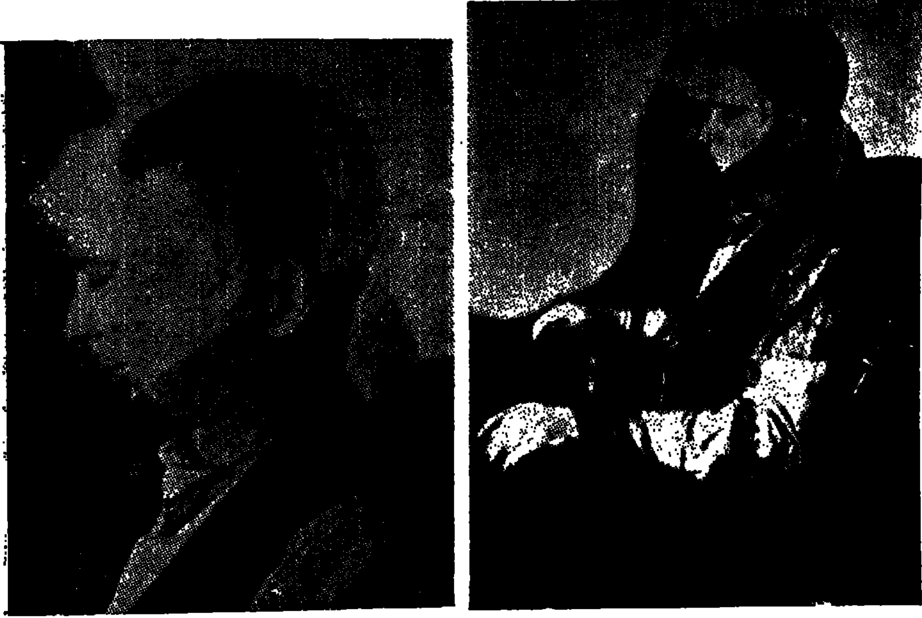
وظواهر الطرح الروحى هذه خضعت للتحقيق الدقيق من علماء كثيرين وهم بصدد بحوثهم فى التنويم المغناطيسى[2] ، كما خضعت لهم وهم بصدد بحوثهم

---

(١) راجع ما سبق فى ص ٤٣٠ .

(٢) مثل الأستاذ هـ . ف . برفوست باترسبى H. F. P. Battersby فى مؤلفه « الإنسان خارج نفسه » Man Outside Himself . ومثل الأستاذ روبرت كروكول Robert Crookall فى مؤلفه « دراسة الطرح الكوكبى وتطبيقه » The Study and Practice of Astral Projection، ومثل الدكتور الكسندر كانون فى مؤلفيه « ظل المصير » The Shadow Of Destiny و « القوة التى بالداخل » The Power Within ، ومثل الأستاذ هيروارد كارنجتون فى مؤلفيه « طرح الجسد الكوكبى » The Projection Of Astral Body ، « والطرح الكوكبى » =

فى الظواهر الروحية الصرف. وتمت تجارب ناجحة عديدة للطرح الروحى قضت نهائياً على نظرية مادية الإنسان، وذلك فى عدد من المعاهد والهيئات. بل لقد نجحت التجارب العلمية فى تصوير الجسد الأثيرى للوسيط جاك وبر أثناء طرحه طرحاً جزئياً، وبعد الاستعانة بجهاز للأشعة دون الحمراء كما يتضح من الصورتين الآتيتين: —



الرأس الكوكبية للوسيط جاك وبر Jack Webber خارج رأسه الفيزيقية . يلاحظ أن كثافة الصورة مزدوجة فى الوسط عند التقاء الرأسين الفيزيقية والكوكبية . ولم تكن هناك أى رأس فيزيقية بحالتها الطبيعية وقت التقاط هذه الصورة التى التقطت بالأشعة دون الحمراء Infra Red . (عن كتاب « وساطة جاك وبر » للأستاذ هارى إدواردز)

* * *

وعن ظاهرة الطرح الروحى يكتب الدكتور فردريك و . هـ . مايرز أستاذ علم النفس بجامعة كامبريدج قائلا : « إن ثمة نقطتين هامتين هما : مقدار الجهد الذى بذله المجرب، ودرجة إدراكه لمدى النجاح الذى حققه. ففى هذه الحالات

═ و The Astral Projection . ومن المؤلفات القيمة فى الجسد الأثيرى بوجه عام مؤلفات الكولونيل آرثر باول Arthur G. Powell وأهمها :

The Etheric Double, The Astral Body, The Mental Body, The Causal Body And Ego

وبالعربية راجع كتاب « ظواهر الطرح الروحى » للمرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير

من الطرح الذاتى توجد لدينا أكثر ما تقدر الإرادة الإنسانية على تحقيقه من أمور غير مألوفة، ولا أقول أنفع ماتقدر عليه. فاذا يمكن أن يكون أبعد عن أية قدرة معروفة لهذه الإرادة من القدرة على أحداث مظهر للذات مرئى على مسافة ما؟!. فهل يمكن أن يوجد عمل مركزى Cenntral action يبدو ثمرة جهد أكثر عمقاً، وأشد ارتباطاً بكل الوجود الإنسانى من عمل كهذا ؟ ! ..

هنا فى الواقع يبدأ تبرير الفكرة التى مقتضاها أننا ينبغى الآن ألا ننظر إلى الذات العليا Subluminal كمجرد رابطة تربط بين مجموعة أعاصير نفسية أو دوامات. ومعزولة بصورة ما عن مجرى الوجود الإنسانى، بل بالأحرى بوصف أنها تمثل بذاتها المجرى المركزى الفعال، وأقوى ما يمكن أن يميز بحق شخصية الإنسان نفسه.

فهناك إنجازات تحققت فعلا، ولكن لها حدها الظاهر، إنما أين الحد هنا ؟ إن الروح spirit قد أظهرت نفسها منفصلة جزئياً عن الأعصاب، فإلى أى مدى يمكن أن يذهب هذا الانفصال ؟ لقد أظهرت الروح نوعاً من الاستقلال، ونوعاً من الذكاء، ونوعاً من الدوام permanence فإلى أى مدى من الذكاء ومن الاستقلال ومن الدوام يمكن أن تصل الروح فى تصورنا ؟ فبين جميع الظواهر الحيوية يكفنى أن أقول إن هذه أعظمها دلالة . فهذا الطرح الذاتى للروح هو العمل المحدد definite act الذى يبدو أنه يظهر الإنسان قادراً على أن يتصرف على قدم المساواة قبل وفاة الجسد وبعده perform equally well before and after bodily death(١).

* * *

وجميع الصور التى سنوردها فى فصل مقبل عند الكلام فى « تأثير العقل المباشر فى المادة » إنما تمثل أجساداً أثيرية لسكان ذلك العالم الآخر بعد تخليهم بطبيعة الحال عن طريق الوفاة عن أجسادهم المادية . وهى تبدو مماثلة تماما لأجسادهم الأرضية التى عادت إلى أمها الأرض بهذه الوفاة . وقد أرجأنا

(١) Hmuan Personality and its Survival of Bodily Death
طبعة ١٩٦١ ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

عرضها على القارىء إلى فصل مقبل ، لأن هذه الصور تثبت هذا التأثير المباشر للعقل فى المادة ، كما تثبت فى نفس الوقت وجود الأجساد الأثيرية وعدم فنائها بالموت،فهى وثيقة صلة بالموضوعين معاً.والمراجع الروحية حافلة الآن بالمئات من هذه الصور التى جاءت تحت أدق رقابة،وألفت عنها مؤلفات من علماء لا صالح لهم إلا فى تقرير الحقيقة العلمية مهما بلغت خطورتها،على ما سيرد تفصيلا فيما بعد .

موقف علم النفس المعاصر من الجسد الاثيرى

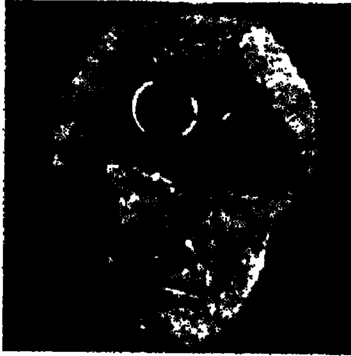
وكما فعل الدكتور مايرز سلم عالم النفس المعروف مكدوجال أيضاً بوجود الجسد اللامادى فى الإنسان ، إلى حد أنه قال إنه يفضل — بعد بحوثه فى الباراسيكولوجى — أن يستعمل تعبير الجسد الأثيرى أو الروحى للإنسان بدلا من الحديث عن العقل الباطن[1].

وحذا حذوهما السويسرى كارل جوستاف يونج C.G. Jung وهو أبرز علماء علم النفس الحديث بغير ريب ،وكان عضواً «بجمعية البحث الروحى» بلندن وقد وصل إلى أن الروح حقيقة قائمة بذاتها ، ومستقلة عن كل ماهو فيزيقى[2]. كما اقتنع بعد بحوث مضنية فى الباراسيكولوجى بوجود هذا الجسد أيضاً،واستعمل فى التعبير عنه وصفاً أصبح شائعاً الآن وهو The Archetypal أى النموذج أو المثال الأصلى،أسوة بعدد من العلماء الآخرين[3].ووصفه يونج بأنه الإنسان السماوى L'homme Celeste للإشارة إلى أنه يمثل العنصر الخالد فى الإنسان، والذى يعده لحياة السماء لا لحياة الأرض . وقال يونج عنه إنه من طبيعة روحية The psychoid nature of the Archetype،وإنه بالتسليم به لا يعارض آراءه

(١) راجع ما سبق فى ص ٢٩٥ — ٢٩٧ .
(٢) راجع فى هذا الموضوع مؤلفاً للأستاذ برنارد بروماج Bernard Bromage عنوانه : C. G. Jung, Grand Prètre De La Psychologie Occulte
(٣) راجع مجلدات Eranos-Jahrbucher (بالألمانية ولها ترجمة كاملة بالانجليزية) فى الجزء الثانى عشر (سنة ١٩٤٥) وعنوانه « دراسات فى مشكلة النموذج أو المثال الأصلى » Studies on The Problem of the Archetypal

السابقة فى علم النفس ، لكنه يدفع بها قدماً إلى الأمام للوصول إلى تعاريف علمية أكثر دقة ، بعد أن وجد نفسه مضطراً إلى القيام بتحليل عام لطبيعة النفس ولإيضاح الخصائص الأولية المتعلقة بها، والصلات بين بعضها والبعض الآخر.

ويقول يونج « إن النفس البيولوجية التى تحمل الغرائز — شأن الأشعة الروحية دون الحمراء The Psychic Infrared — تتخلل تدريجياً إلى فسيولوجيا الأعضاء، ومن هناك تنتشر بظروفها الكيميائية والطبيعة . وكذلك أيضاً هذا النموذج أى المثال الأصلى أو « الإشعاع فوق البنفسجى الروحى » The Psychic Ultraviolet أو النفس البيولوجية التى تحمل الغرائز يمثل حقلا لا يبرز أياً من الخصائص الفسيولوجية . ومع ذلك لا ينبغى أن ينظر إليه فى نهاية التحليل بوصفه أنه محض أمر روحى ، رغم أنه يكشف عن نفسه بطريقة روحية ، لكنه عبارة عن مجموعة وظائف فسيولوجية تتم بنفس طريقتها».



يونج

ثم يقول يونج «إن هذه النماذج الأصلية The Archetypes لا نشعر بها ، لكنها خضعت للاختبار كعوامل تلقائية Spontaneous agencies ولا تملك اليوم إلا أن نصف طبيعتها بما يتفق مع آثارها الرئيسية بوصفها روحاً فى المعنى الذى حددناه فى مقال لنا عن «علم ظواهر الروح فى قصص الجنيات» (١) . وإذا كان الأمر كذلك فينبغى تحديد مركز النموذج أى المثال الأصلى تحديداً مشابهاً لتحديد الغريزة الفسيولوجية من ناحية وجوب اعتبار هذا النموذج بطبيعته الروحية بمثابة القنطرة إلى المادة بوجه عام . ثم يقول إنه فى النظريات القائمة عن هذا النموذج أو المثال الأصلى (للجسد المادى) تواجه الروح والمادة كل منهما الأخرى

(١) The Phenomenology of the Spirit in Fairy Tales.

على المستوى الروحى،فالمادة أسوة بالروح تبدو فى مملكة النفس ذات صفات متميزة .

وينتهى يونج إلى أن هذا النظر يتطلب وجود نفس مرتبطة بالمادة فى رقعة ما ، أو بعبارة أخرى مادة لها روح خامدة ، ولا تبعد طبيعتها كثيراً عن بعض الصيغ التى صاغها علماء الفيزياء المعاصرون عن المادة الصرف من أمثال إدنجتون وجينز وغيرهما (أى أن لهذا النموذج كياناً لا يختلف فى طبيعته عن الكيان المادى) . ثم يضيف بكل وضوح أنه بهذا الارتباط « يجب أن يذكر القارىء بوجود ظواهر وراء روحية Parapsychic Phenomena لا يقدر قيمتها الحقيقية إلا أولئك الذين أتيحت لهم فرصة الاقتناع بها عن ملاحظة شخصية . . . »[1] .

هذا هو كلام يونج عالم النفس وأحد ثلاثة عمد قام عليها علم النفس فى القرن العشرين بجانب فرويد وآدلر ، وهذه هى ثمرة بحوثه لعشرات من السنين فى الباراسيكولوجى . فهل أطلع أحد من العارضين على هذه البحوث الخطيرة فى الجسد غير المادى أو فى المثال الأصلى ؟! . .

ويلاحظ أن ما يذكره يونج من أن هذا النموذج أو المثال الأصلى لا يبعد فى طبيعته كثيراً عن بعض الصيغ التى صاغها علماء الفيزياء المعاصرون عن المادة يتفق مع أقوال الأرواح من أن لأجسادهم كياناً مادياً بالنسبة لحواسهم . وليس فى ذلك غرابة إذا ماراعينا أن أجسادنا المادية فى نهاية المطاف ليست أكثر من أجساد أثيرية ذات رتبة اهتزاز منخفضة . فكأن كل الفارق بين الجسدين

---

(١) راجع البحث بأكمله وعنوانه « الروح بحسب علم النفس » The Spirit Of Psychology بقلم يونج فى مجلد عنوانه « الروح والطبيعة Spirit And Nature » صدر فى سنة ١٩٥٥ مترجماً عن المجموعة الالمانية الآنف الإشارة إليها ص ٣٧١ — ٤٤٤ وجوهره يدور حول هذا النموذج أو المثال الأصلى The Archetypal

المادى والأثيرى هو فى درجة الاهتزاز لا فى طبيعته، لأن كل مادة تصل فى نهاية التحليل إلى أن تكون مجرد اهتزاز أثيرى . ولنا عودة تفصيلية إلى كل ذلك فى الباب الأول من الجزء الثانى معززة بأحدث حقائق الفيزياء .

مراكز الطاقة فى الجسد الأثيرى

وقد حاول بعض العلماء استكشاف مراكز الطاقة فى هذا النموذج أو الجسد الأثيرى ، ومنهم الأستاذ م. فويوم **M. Voillaume** مستخدماً طريقة التوافق البندولى المعروفة فى علم الإشعاعات الحيوية غير المنظورة **Radiesthésie** . ومنهم الدكتور لى برنس **A. Le Prince** مستخدماً جهاز الراديو بيوميتر **Radiobiometer** فاثبتا معاً وجود مناطق فى الجسد الأثيرى تطلق طاقة خاصة تؤثر بدورها فى الجسد المادى ، وهى موزعة كالآتى:

المنطقة الأولى : تقع تحت الذقن مباشرة .

المنطقة الثانية : تقع فى مستوى الضفيرة الشمسية **Solar Plexus** .

لمنطقة الثالثة : تقع فى مستوى الضفيرة المساريقية **Mesentric Plexus**

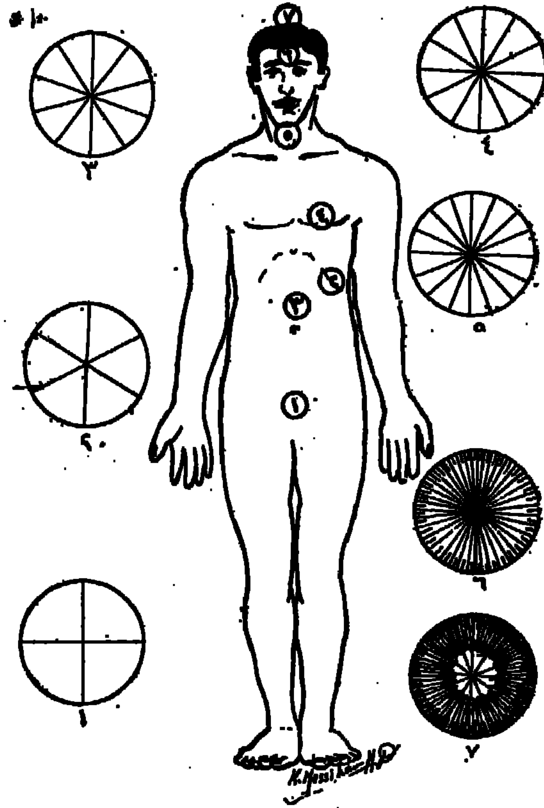
المنطقة الرابعة : تقع فى مستوى الضفيرة العجزية **Sacral Plexus** .

المنطقة الخامسة : تقع فى مستوى مفاصل الركبتين وتحتهما .

وقد اختبر فويوم عدة أشخاص من المعالجين الروحيين فتبين له أن قوة الطاقة الخارجة من الجهاز العصبى السمبثاوى تزيد عن قوة الطاقة المماثلة الخارجة من الشخص العادى بنسبة تتراوح بين ٣٠٠ ٪ إلى ١٠٠٠ ٪ ، أى من ثلاثة إلى عشرة أضعاف .

كما اكتشف لى برنس مناطق أخرى للطاقة تقع خلف الأذن، وعند قاع المخ، وهى تصدر بدورها إشعاعات قوية .

مراكز الطاقة فى الجسد الأثيرى



وقد وضحت هذه الأبحاث بطريقة معملية كيف يتم العلاج الروحى . ذلك لأن لكل خلية حية ذبذبة موجية معينة ، فإذا ما مرض أى عضو فى الإنسان اضطربت ذبذبات خلاياه . ومهمة المعالج الروحى هى أن يكون بمثابة جهاز استقبال لإشعاعات معينة آتية من عالم الروح، ثم جهاز عاكس إلى العضو المريض ، فتحاول الروح المعالج عن طريق هذا الجهاز الآدمى أن تؤثر فى اهتزازات الخلايا المريضة عن طريق إحداث نوع من التوافق أو الرنين بين التردد الموجى الصادر من الوسيط المعالج و بين التردد المضطرب للخلايا المريضة، وذلك حتى ترجع هذه إلى ترددها الصحيح فى الجسد الأثيرى الذى قد ينجح أو لا ينجح فى التأثير بدوره تأثيراً طيباً فى العضو المريض من الجسد المادى. وهذه هى إحدى وسائل العلاج الروحى، والتى تبين لماذا قد ينجح العلاج الروحى أحياناً، ولا ينجح أحياناً أخرى.

* * *

وهذا الذى وصلت إليه بحوث العلم الروحى الحديث من نتائج ، يتفق إلى حد كبير مع ماقرره حكماء الهنود منذ القدم عن وجود مراكز للطاقة أو « تشاكراز » Chakras بحسب اللغة السنسكريتية ، وهى دوامات تشبه الأطباق شكلا ، مقرها الجسد الأثيرى أو وراء المادى ، وقد يراها أحياناً ذوو الجلاء البصرى . وهذه المراكز يقولون إنها تتلقى الطاقة الكونية ، وتنتج عنها حركة دائرية موجية ثانوية فى سطح الجسد الأثيرى أو ما وراء المادى . ولكل مركز منها ألوان معينة ، وتنقسم هذه المراكز إلى ثلاث مجموعات كالآتى : —

مجموعة ا تضم : مركزين (١) المركز الجذرى Root Chakra ، وهو موجود عند نهاية العمود الفقرى ، ومقسم إلى أربعة أجزاء ، ألوانها أحمر وبرتقالى على التوالى وهذا المركز يمتص طاقة خاصة من عالم المادة .

(٢) المركز الطحالى Splenic Chakra ، وهو يقع فوق منطقة الطحال وبه ستة ألوان : أحمر ، وبرتقالى ، وأصفر ، وأخضر ، وأزرق ، وبنفسجى . وهو يمتص القوة الحيوية من الشمس ويوزعها على باقى مراكز القوة بحسب ألوانها .

مجموعة ب : وهى تضم ثلاثة مراكز تمتص القوة اللازمة لشخصية الإنسان .

(٣) المركز السرى Navel Chakra ، وهو يقع مقابل الضفيرة الشمسية ، ومقسم إلى عشرة أقسام دائرية ذات إشعاعات خضراء وحمراء على التوالى . وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالانفعالات والعواطف .

(٤) المركز القلبى Heart Chakra ، وله ١٢ إشعاعاً لونها أصفر ذهبى متألق .

(٥) المركز الحنجرى Throat Chakra ، وهو يقع مقابل الحنجرة ، وله ١٦ إشعاعاً ويتألق بألوان خضراء وزرقاء تشبه ضوء القمر .

مجموعة ج: وهى مجموعة المراكز العليا ، وتضم مركزين : —

(٦) المركز الحاجبي Browl Chakra ، وهو موجود بين الحاجبين، ويبدو كأنه منقسم إلى نصفين أحدهما وردى اللون يتخلله بعض الأصفر، والثانى بنفسجى مائل إلى الزرقة . وله ٩٦ إشعاعاً وهو وثيق صلة بالغدة النخامية (التى تسيطر على الغدد الصماء بالجسم المادى) .

(٧) المركز الإكليلى أو التاجى Crown Chakra ، وهو موجود فى قمة الرأس ويتألق بشدة ، حيث أنه يحتوى على ٩٦٠ إشعاعاً يغلب عليها اللون البنفسجى ، وفى مركزه ١٢ إشعاعاً تتألق بلون ذهبى خاطف . وقد رسمه القدماء على شكل هالة ذهبية مشرقة تحيط برؤوس القديسين ، وهذا المركز وثيق صلة بالغدة الصنوبرية Pineal gland ، وهى نقطة الاتصال بين الروح والجسد[١] .

المبحث الثالث

ماذا عن الجسد الأثيرى للحيوان ؟

لأن لكل كائن حى جسداً غير مادى يمده بالحياة عن طريق الروح ، فقد أجريت تجارب متعددة لمحاولة تصوير الأجساد غير المادية للحيوانات وللحشرات عند موتها . وقد نجحت هذه التجارب فى معهد برنارد جونستون Bernard Johnstone Institute بالولايات المتحدة الأمريكية ، حيث قام الدكتور واترز R. A. Waters بعمليات تصوير دقيقة استخدم فيها

(١) هذا التلخيص لمراكز الطاقة تفضل بعمله مشكوراً صديقنا الدكتور خليل مسيحة الطبيب الباطنى — وكذلك الرسم المرافق — عن مؤلف للأسقف الدكتور ليدبيتر عنوانه «مراكز الطاقة أو القوة » Dr. C. W. Leadbeater : The Chakras (1927) . وراجع ما سبق فى ص ٥٩٩ عن الغدة الصنوبرية .

محدث ولسون للتمدد(١) — وهو الجهاز المستخدم فى دراسة إشعاعات نشاط الراديوم ، وفى تصوير كهارب الذرة — مطبقاً عملية تحطيم الذرة تطبيقاً ماهراً على مجموعة من الجراد التى قام بتخدير عدد منها تخديراً قوياً من شأنه أن يفضى تدريجياً إلى موتها . فتبين أن آلات التصوير سجلت انسلاخ جسم رقيق من جسد الجرادة فى لحظة موتها فى شكل « شبح جرادة » .

ثم استعمل واترز نفس الطريقة مع فريق آخر من الجراد قام بإعطائه كمية من المخدر لا تكفى لقتله ، فلم تسجل لوحات التصوير الظاهرة التى سجلتها مع الفريق الأول من الجراد . وقد ذكر واترز أن هذه التجارب أثبتت « نوعاً من طاقة يفقدها الجسم الميريق فى لحظة حدوث الموت الحقيقى، ولم تدل البينات الفيزيقية المستخلصة على أن ذلك الذى يفقده الجسم نوع من أنواع الطاقة فقط، بل دلت على أنه جسم غير مادى خرج من الجسم المادى فى لحظة حدوث الموت، وقد أمكن رؤيته باستخدام بخار الماء »

وقد لوحظ فى الحالات التى ماتت فيها الجرادة أن ظهر ظل فى الجهاز يطابق شكلها تقريباً . أما لما أخذت صورتها وهى تحتضر ثم « أعيدت » إلى الحياة لم تظهر الأشكال المتكثفة . وأجرى الدكتور واترز تجارب مماثلة على الضفادع والفئران البيضاء ، ولكنه فى ٣ حالات فقط من ٤٠ تجربة على الفئران كانت النتائج إيجابية ، وهو يعلل ذلك بصعوبة أخذ الصورة فى لحظة الموت تماماً .

وهكذا نجحت تجارب الدكتور واترز فى النهاية فى إثبات نظرية جاسكل Gaskall من أن الروح البشرية « حالة » تقع فى فراغ ما بين الذرات وخلايا الإنسان ، والنظرية موضحة فى كتاب عنوانه « ماهى الحياة » ؟ . وهذه

(١) W lson Expansion Chamber

التجارب شرحتها أيضاً جامعة رينو Reno بولاية نيفادا الأمريكية فى رسالة ترجع إلى سنة ١٩٣٣ عنوانها « المقدار داخل الذرى »[1] . وفى المعهد الدولى للبحث الروحى بلندن يستخدم منذ سنة ١٩٣٥ أيضاً مخدع ولسون للتمدد هذا ، وهو مصنوع فى كمبريدج وتجرى به بنجاح نفس التجارب .

كائنات حية تظهر فى جلسات البحث الروحى

فإذا كان لكل كائن حى جسد أثيرى أو لامادى يزوده بالحياة ، فلاغرابة إذا ماظهر بعض هذه الأجساد فى جلسات البحث الروحى متجسداً أحياناً وغير متجسد أحياناً أخرى أسوة بأجساد البشر . وقد حاولت أرواح مرشدة فى مناسبات عديدة ، وفى حضور وسطاء معينين إظهار هذه الكائنات الحية لإقناع الحاضرين بعدم انقطاع الحياة فيها ، ولا توقفها فى أية صورة من صورها رغم انفصالها عن أجسادها المادية ، بما اعتدنا أن نسميه « موتاً » وما هو إلا تحول طبيعى للحياة من حالة إلى حالة أخرى[2] .

وقد سجل هذه الظاهرة علماء متعددون فى ظروف تنفى كل خداع . فمثلا حدثت هذه الظاهرة مراراً داخل «جمعية الدراسة الروحية بوارسو»[3] فى عامى ١٩١٩ ، ١٩٢٠ فى حضور الوسيط البولندىجان جوزيك Jan Guzik . وقد سافر خصيصاً الدكتور جوستاف جيلى مدير « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس إلى وارسو لمشاهدته وحضر معه حوالى خمسين جلسة ناجحة وتحقق من صحتها بعد اتخاذ كافة الضمانات ، ثم اصطحب الوسيط إلى باريس حيث أجرى تجاربه معه من جديد فى سنة ١٩٢٠ .

---

(١) The Intra Atomic Quantity

(٢) وقد تحدث بولس الرسول عن الأجساد غير المادية عند الحيوان (لاعندالإنسان فحسب) قائلا « وللبهائم جسد آخر . وللسمك آخر . وللطير آخر . وأجسام سموية وأجسام أرضية ، لكن مجد السمويات شىء ومجد الأرضيات آخر ... » (فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥ . ٣٨ — ٤٠) .

(٣) La Société de l'Etude Psychique de Varsovie

كما سجل جيلى فى مؤلفه « الإكتوبلازم والجلاء البصرى : ملاحظات وتجارب شخصية»[١] فى حضور نفس الوسيط ظهور كائن حى غريب الشكل فى حجم الإنسان له رأس ضخم ، وجبهة عريضة مستقيمة ، وذراعان طويلتان قويتان ، ومغطى بشعر كثيف خشن تنبعث منه رائحة حيوان متوحش أو كلب مبتل أخذ يلعق بلسانه الناعم الضخم يد أحد الحاضرين عندما ربت عليه . وقد أطلق جيلى عليه اسم le Bithecanthrope والتقط له عدة صور[٢].

وقد أكد صحة هذه الوقائع رينيه سيدر René Sudre الأستاذ بمدرسة الدراسات الاجتماعية العليا بباريس ووكيل « المعمل الوطنى للبحث الروحى » فى « جريدة البحث الروحى[٣] » بعد أن اشترك فى تحقيق وساطة جوزيك .

كما قام « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس بدعوة أكثر من ثلاثين عالماً من أبرز العلماء لتحقيق ظواهر هذا الوسيط البولندى المذهلة داخل المعهد ، وقد اتخذوا احتياطات شديدة ضد التدليس : منها — غير إغلاق الأبواب وختمها — تكليف الوسيط بأن يخلع ملابسه تماماً وأن يرتدى « بيجامة » معدة له خصيصاً بدون جيوب ، وتوقيع كشف طبى دقيق عليه ، واستخدام أجهزة كهربية متعددة ، ودهان الأرضية بطلاء لزج كوسيلة للمراقبة ، ولضمان أن أحداً لا يغادر كرسيه من الموجودين أثناء فترة إظلام الجلسات .

وبعد هذه الاحتياطات فى عدة جلسات متوالية وقعوا — كلهم — تقريراً إيجابياً يروى وقائع محددة عن تجسد وجوه ، وظهور أضواء مجهولة المصدر ، وتجسد كائنات حية مجهولة المصدر ، وسماع أصوات مختلفة لها ، وشم روائح غريبة ، وظهور بصمات لمخالب حيوانات متعددة تركت آثارها على

---

(١) L'Ectoplasmie et la Clairvoyance. Observations et Experiences Personnelles. Alcan 1924.

(٢) « ويخلق مثلا تمسون » .

(٣) Psychic Research سنة ١٩٢٨ ص ٦٠٥ وما بعدها .

طلاء الأرضية . ومن الأصوات الغريبة صوت تنفس كلب كان يلهث تعباً ، وصوت أيد تربت عليه (كما لو كانت تحاول إقناعه بالبقاء واحتمال التجربة)، والوسيط فى غيبوبة عميقة لا يدرى شيئاً مما كان يدور من ظواهر لا يعرف العلم المادى لها تعليلا .

وهذا التقرير الخطير نشر فى مجلة هذا المعهد منذ سنة ١٩٢٣ وفى الجرائد السيارة (مثل الماتان) . ومن الموقعين عليه بايل Bayle مدير إدارة تحقيق الشخصية ، وسينو Cuneo الأستاذ بكلية الطب بجامعة باريس ، والفيلسوف كامى فلاماريون مؤسس الجمعيـــــة الفلكية الفرنسية ، والدكتور جيلى مدير المعهد ، ودى جرامون A. De Gramont عضو المجمع العلمى Institut ، وبول جينستى Paul Ginisty ، وهيك Huc مدير جريدة برقية تولوز ، ولاسابلير Lasablière مدير معمل كليـة الطب ، والأستاذ ليكلنش Leclainche من المجمع العلمى أيضاً ، وميشو Michaut مفتش عام الطرق والكبارى ، ومارسيل بريفو Marcel Prevost عضو الأكاديمية، والدكتور شارل ريشيه عضو أكاديميتى الطب والعلوم، والدكتور رهم Rehm المحرر العلمى لجريدة الماتان، والدكتور فاليه Vallèe مدير « المعمل الوطنى للبحوث الصحية»، وسير أوليفر لودج عضو «الجمعية الملكية» بلندن وغيرهم .

كما خضع نفس الوسيط جوزيك لتجارب «الكلية البريطانية للعلم الروحى» فى سنة ١٩١٩ ، ثم خضع لها من جديد فى شهر ديسمبر سنة ١٩٢٢ ، ثم جرت معه سبع جلسات أخرى عقد آخرها فى شهر يونيه من سنة ١٩٢٣ ، وأسفرت عن ثبوت صحة نفس هذه الظواهر الغريبة[١] .

---

(١) راجع « موسوعة العلم الروحى » تحت كلمة materialisations ص ٢٢٧ وفيها وقائع أخرى عن ظهور حيوانات وطيور متجسدة فى غرف البحث الروحى .
وراجع أيضاً مؤلفاً للأستاذ إليوت أودونيل Elliot O'Donnell عنوانه « أشباح الحيوانات » Animal Ghosts.

— ومثل هذه الظواهر عن تجسد بعض الحيوانات والطيور سجلها الدكتور شارل ريشيه (جائزة نوبل فى الفسيولوجيا) فى حضور وسيط بولندى آخر وهو رجيك Burgik فى مؤلفه « ثلاثون عاماً من البحث الروحى»[1] (١٩٢٣)، وخلال عدد من الجلسات اتخذت فيها جميع الاحتياطات ضد احتمال الخداع أو الحيل .

— وسجلها أيضاً الكولونيل جونسون E R. Johnson فى حضور الوسيطة السيدة ريدت Wriedt ونشرها فى جريدة لايت Light الصادرة فى ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٢ .

— وسجل الكولونيل أولكوت Olcott مثلها فى حضور الوسيط دانيال دنجلاس هوم فى مؤلفه « أناس من العالم الآخر »[2] .

— وسجل مثلها الأستاذ بولوفسكى Pawiowski فى « جريدة جمعية البحث الروحى الأمريكية » (عدد سبتمبر ١٩٢٥)[3] .

— وسجل مثلها الدكتور رجينالد هيجى Reginald Hegy فى حضور الوسيطة السيدة شون Schoen من جوهانسبرج بجنوب أفريقيا فى مؤلف له عنوانه « شهادة عبر القرون »[4] .

ظهور رأس كلب ميت غير متجسد

وهذه واقعة فريدة عن ظهور صورة رأس كلب ميت التقطت مصادفة — كما التقطت مصادفة صور أجساد أثيرية لآدميين — ننقلها عن « مجلة العلم الروحى » (عدد أبريل سنة ١٩٢٧ص٦٠) . ومقتضاها أن اللادى هيهير Hehir

---

(١) Trente Années de Recherches Psychiques.

(٢) People from the Other World.

(٣) Journal A. S.P. R.

(٤) A Witness Through The Centuries

(ظهرت طبعته الأولى فى سنة ١٩٣٤ والثانية فى سنة ١٩٦٤) .

كان عندها كلب من فصيلة وولف يسمى تارا Tara، وفي يوم الأحد ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٢٦ كانت عندها صديقة تدعى السيدة مايرز كايرن M. Cairn. فالتقطت صورة لصديقتها اللادى هيبر وبجوارها كلبها « تارا » هذا . وبعد تحميض الفيلم وطبعه ظهر فى نفس الصورة رأس كلب آخر عند مؤخر « تارا » يدعى كاثال Katbal كان مملوكا للسيدة مايرز كايرن وتوفى فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٦ . وكان الكلبان تارا وكاثال (قبل موته) أليفين حميمين ، والتقطت الصورة للكلب «تارا» فى رقعة من حديقة المنزل كانا يلعبان فيها . وكان من عادة الكلب الميت أن يسند رأسه على مؤخر الكلب تارا على نفس النحو الذى ظهر فى هذه الصورة الفريدة (غاية ما هناك أن تارا كان واقفاً فى الصورة لا راقداً).

وتقول مجلة «الكلية البريطانية للعلم الروحى» إن اعتبارات أربعة ينبغى أن تراعى هنا — بالإضافة إلى الثقة المستمدة من شخصية شاهدى الواقعة — وهى: —

١ — أن الصورة التقطت على فيلم كاميرا عادى مما يستحيل معه تماماً عرض الفيلم للتصوير مرتين إذا ما قيل بأن هذه الصورة ثمرة خداع عن طريق « العرض المزدوج » double exposure ، كما يعترض عادة المكابرون عند استعمال الألواح الحساسة . فهذا الاحتمال مستبعد هنا تماماً ، وقد فحص الميجور ت.ر. مورس T.R. Morse محرر المقال الفيلم وتحقق منه بنفسه .

٢ — أنه لا يوجد أى أثر لعرض مزدوج على هذه الصورة .

٣ — أنه لا يوجد فى أرضية الصورة أى شىء قد يقود إلى الاعتقاد بحدوث وهم أو خطأ .

٤ — أن الصورة التقطت فى ضوء الشمس الساطع كما يظهر من الظلال . فهذه الصورة تمثل حالة من تلك الحالات النادرة التى تستحق التحقيق الدقيق ، والتى لا يسخر منها إلا من يرفض مقدماً مواجهة كل ظاهرة غير متوقعة أو تعصى على التفسير المادى .



الكلب « تارا » واقفاً وقد ظهر رأس الكلب الميت « كانال » عند مؤخره . لاحظ كيف بدا ظهر الكلب « تارا » مستقيما بشكل غير مألوف ، وكيف بدت على عينيه نظرة استسلام « وسرحان » واضحة شأن الوسطاء من بني البشر !...



الكلب تارا (الكبير) والكلب كانال (الصغير) قبل موته تمسك بهما اللادي هبر.



صورة عادية للكلب « تارا » تبين ظهره المقوس المألوف

والعلم الحديث لا يعترف بفناء أى شيء فى الطبيعة فالمادة لا تفنى ، والطاقة لا تفنى ، بل حتى الأمواج والأصوات والصور والأشكال غير قابلة للفناء . ويسلم بأن لجميع الكائنات الحية أجساداً أثيرية تكفل لها البقاء بعد موت أجسادها المادية المماثلة لها ، كما تحيا فى البيئة التى تناسبها من عوالم الغيب . بل حتى للحيوانات المنقرضة مكان فى هذا الوجود الهائل الاتساع الذى تعددت فيه مستويات الحياة تعدداً لا حدود له ولا نهاية ، على ماسنوضحه فى الجزء الثانى .

ووصول بعض أرواح الحيوانات إلى بعض المستويات الكوكبية أو الأثيرية للوجود لا يعنى مطلقاً وصولها بالضرورة إلى المستويات الروحية أو العقلية التى يبدو أنها خاصة بالكائنات الآدمية وحدها . ذلك أن من الراجح الآن أنه إذا كانت الكائنات الحية كلها تشارك الإنسان فى أن لها مثله أجساداً لا مادية إلا أن فى الإنسان وحده عنصراً يميزه عما عداه روحياً وعقلياً . فإذا كانت الحياة الكوكبية حقاً شائعاً لكل كائن حى بعد حياته المادية فإن الحياة الروحية — وهى أسمى من الكوكبية — مقصورة على الإنسان ، ومن باب أولى مستويات الحياة العقلية التى تعلو المستوى الروحى .

وهكذا تتدرج مستويات الوجود من المادى إلى الكوكبى إلى الروحى إلى العقلى ، وهذه المستويات الثلاثة الأخيرة يجمعها وصف « أثيرى » فهو أكثر الأوصاف شمولا واتساعاً . وكل مستوى غير مادى يتضمن مناطق متعددة تعدداً هائلا بحيث يتعذر تحديدها أو حصرها فى الحالة الراهنة لعلم الروح ، خصوصاً وقد تعددت هنا المدارس والنظريات .

الفصل التاسع

بين العقل والمخ

تمهيد وتبويب

عرضنا فى الفصل السابق بينات كثيرة تشير كلها إلى أن فى الإنسان جسداً أثيرياً مغايراً للجسد المادى فى الجوهر، وإن كان يشبهه فى المظهر الخارجى ويتخلله كما يتخلل الماء العود الرطب. وهو مستقل عنه فى عناصر وجوده، ونموه، وتطوره. أو بالأدق هو مصدر للجسد المادى فى وجوده، ونموه وتطوره، فإذا انفصل عنه توقفت الحياة عن هذا الجسد المادى. وهو ما يحدث عند الوفاة. ومعنى ذلك بالضرورة أن الجسد الأثيرى هو جوهر الإنسان، والجسد المادى هو مظهره الخارجى فحسب.

ونوع الصلة بين الجسدين المادى والأثيرى يكاد يكون هو نفس نوع الصلة بين العقل والمخ. فالمخ مظهر مادى للعقل، ولكن العقل هو الحقيقة الكونية اللامادية الكائنة وراء المخ. وهو أصل المخ، فهو أعرق منه، وأعمق، وأوسع نطاقاً، لأنه يشمل كل نطاق لوعى الكائن وراء الجسدين المادى والأثيرى معاً. ولذا كان العقل هو المسيطر على الجسد المادى والموجه لوظائف أعضائه بما فيها المخ، والجهاز العصبى، والقلب، ودورة الدم، وتجدد الخلايا والأنسجة، وإفرازات الغدد.

وعلم الروح الحديث يعطى الأهمية القصوى لدراسة هذا اللغز الأكبر وهو العقل من جميع زواياه، حين تعنى علوم الفسيولوجيا، والبيولوجيا، والطب بدراسة المخ لا العقل. وغنى عن البيان أن دراسة العقل أكثر اتساعاً وعمق بكثير من دراسة المخ. ومن المتعذر بداهة التعرض لجميع الزوايا المتصلة بالعقل والتى يعنى بهـا علم الروح الحديث وهى متعددة، ومفرطة فى دقتها بمقدار دقة دراسة الروح ذاتها : سواء عمى الشعلة القدسية التى تهب الحياة للجسد المادى .

أم بمعنى الجسد الأثيرى الكائن وراء الجسد المادى . فلا ينبغى أن يفوتنا أبداً أن العقل والروح لا انفصال بينهما ، ولا يتصور إمكان الحياة بدون اجتماعهما معاً . وقد يكون العقل هو قنطرة الروح إلى المادة ، وقد تكون الروح هى قنطرة العقل إليها ، ولكن كل حياة لابد لها من اجتماع ثلاثى للعقل ، وللروح ، وللمادة فى صيغة ما ، مع مراعاة أن هذه المادة كما قد تكون مادية أو ترابية قد تكون أثيرية أيضاً ، فتفلت من إدراك الحواس المادية لكن لها مع ذلك وجود حقيقى فى الكون على ما سنبينه فى الجزء الثانى .

ولا ريب أن بحوث علم الروح الحديث ألقت تدريجياً بعض أضواء على جوانب متعددة من أسرار العقل يضيق عنها مقام مؤلفنا هذا ، ولكنه لا ينبغى أن يضيق عن التعرض — بالأقل — لزاويتين هامتين جداً لهذا اللغز الأكبر — لغز العقل — يلزم أن نعرض لهما تباعاً كعنصرين لا غنى عنهما لمحاولة تفهم البينات الكثيرة التى حصل عليها العلم الحديث لمصلحة صحة الخلود ، وانتفاء الفناء وهما : —

أولا : نوع الصلة بين العقل والمخ .

وثانياً : نوع الصلة بين العقل الواعى وغير الواعى .

وسنعالج كلا منهما فى مبحث على حدة : —

المبحث الأول

نوع الصلة بين العقل والمخ

لاريب أنه كان للدراسات الحديثة فى الظواهر المألوفة وغير المألوفة فضل كشف النقاب عن بعض جوانب الصلات الخفية بين العقل والمخ . فمثلا لقد كشف التنويم المغناطيسى عن عدم الارتباط المحتوم بين العقل والمخ ، وعن إمكان استقلال العقل عن المخ فى الزمان والمكان ، خصوصاً عند محاولة تتبع

ذاكرة المنوّم وتنقلها بين مراحل التنويم المختلفة ، واتساع نطاقها حيناً وضيق هذا النطاق حيناً آخر . ثم جاء دور دراسة الظواهر الوساطية المتنوعة — العقلية والفيزيقية معاً — كيما يلقى بعض أضواء جديدة فى طريق محاولة تحديد أبعاد العلاقة بين العقل والمخ تحديداً صحيحاً مبنياً على أسس من التجريب الواقعى لا الافتراضات النظرية التى طالما ضللت الباحثين القدامى .

ولقد كان لدراسة هذه الظواهر الأخيرة الدور الأكبر فى توجيه علم النفس الحديث وجهة صريحة نحو نفى تبعية العقل للمخ تبعية محتومة ، وهى النظرية التى سادت تفهم العلاقة بينهما فى ظل المدارس المادية لتعليل الحيـــاة ، وسادت بالتالى فى بحوث علوم متعددة وبوجه خاص فى الطب والفسيولوجيا ، إلى المدى الذى قد لا يعبر عنه شىء قدر تأكيد العالم الألمانى كارل فوجت Carl Vogt (١٨١٧ — ١٨٩٨) أن التفكير عبارة عن مجرد إفراز يفرزه المخ كما يفرز الكبد الصفراء مثلا .

وهذا التأكيد الأخير كذبته مشاهدات وضعية متعددة ، ونفاه منذ مطلع هذا القرن الدكتور ريشيه Ch. Richet فى مؤتمر علمى انعقد تحت رئاسته عندما صرح بأنه « يمكن دون كبير عناء تصور وجود الذكاء دون أن يكون المخ جهازاً له ، ولو أن ذلك يبدو لأول وهلة أمراً غير معقول » . كما نفاه قبل ريشيه العالم المعروف كلودبرنار C. Bernard بحجة منطقية بسيطة ، وبغير أى بحث فى العلم الروحى الحديث عندما قال « إننا بقولنا إن المخ يفرز التفكير نكون كمن يقول إن الساعة تفرز الزمن أو فكرة الوقت . إن المخ والساعة جهازان أحدهما حى والآخر ميت ، وهذا هو كل الفارق بينهما » .

ومن الملاحظة التشريحية اتضح أن عدداً ملحوظاً من الأشخاص أمكنه أن يحتفظ بذكائه حتى آخر أيام حياته ، مع أن المخ كان قد لحقه تشويه خطير .

فقد ذكر مثلا الدكتور هوزلاند Husseland فى جريدة «الطب العملى[١]» . الحالة الآتية بمناسبة كلامه عن المخ البشرى « إن شخصاً كان مريضاً منذ زمن طويل بالشلل — ولكن لم تبد عليه حتى ساعته الأخيرة أية أعراض لاضطراب عقلى ما — وجدت جمجمته عند التشريح أشبه بصندوق خال إلا من الماء فحسب » . وأشار بعض مجلات الطب إلى حالات أخرى من هذا النوع .

ومنها حالة تحقق من صحتها الدكتور روبنسون Robinson وقدمها إدموند بربيه E. Perrier إلى أكاديمية العلوم بباريس فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٣ وهى حالة إنسان عاش عاماً كاملا ، وكان عادى المظهر ، ومع ذلك كان مخه عبارة عن صديد مغلى لا غير .

لذا نجد أن الجـــراح المعروف الدكتور محمد كامل حسين مدير جامعة عين شمس السابق يكتب فى هذا الشأن قائلا « لقد أجريت عمليات قطعت فيها الصلة التشريحية تماماً بين الجزء الجبهى من المخ كله و بين بقية المخ ، ولم يتغير تفكير الناس ولم يفقدوا ذاكرتهم أو عواطفهم ، كأن الصلة بين المخ الجبهى والجسم صلة لا علاقة لها بالاتصال المادى التشريحى ، ولعله اتصال كهربائى أو كيميائى أو الكترونى ، والأرجح أنه اتصال بطريقة لم تعلم بعد . . . »[٢] . وهذه الطريقة التى لم تعلم بعد يقول علم الروح إنها عبارة عن اتصال لا مادى أو بالأدق أثيرى بين « كهربائية » العقل المرتبط بالروح — مصدر كل ذاكرة وعاطفة ، بل مصدر كل حياة — وبين الجسد المادى الخاضع للعقل عن طريق المخ[٣] .

ثم يستطرد الجراح الكبير فى مكان لاحق قائلا « ولا شك أن للنفس

---

(١) عدد اكتوبر ١٩٣٨ .

(٢) فى مؤلفه « متنوعات » طبعة ٢ ص ١٠٥ .

(٣) راجع ما سبق فى ص٦١٦–٦١٩ .

حياة خاصة ، وأن دراستها تحتاج إلى طريقة بحث جديدة ، ولكن التحليل النفسى ليس الطريقة الجديدة المرجوة ، إنما هو تطبيق التفكير العصرى الحالى على ظواهر لا يصلح لتفسيرها »[١] . وكان ذلك بصدد ما يريده العالم الكبير من إثبات أن علم النفس بمفهومه التقليدى ، علم ضال مفرط فى ضلاله، وأنه لا يقل ضلالا عن الكيمياء عندما كانت خلواً من كل فكرة صحيحة عن طبيعة الأشياء .

هل العقل مصدر للمخ ؟

هذا وقد بحث عدد ضخم من علماء النفس (السيكولوجى) وما وراء النفس (الباراسيكولوجى) لمدى سنين طويلة وبكافة الوسائل العملية هذا الموضوع المفرط فى أهميته، وهو موضوع تحديد الصلة الحقيقية بين الوعى والمخ وطبيعتها . وقد أثبتت هذه البحوث بما لا يدع مجالا لأية مكابرة الآن إمكان استقلال الوعى الإنسانى عن الجسد المادى فى شتى صور الإدراك التى تصل إلينا عن طريق حواسنا الخمس ، وبالتالى إمكان استقلال الشعور عن الحواس المادية والوعى عن المخ ولو فى أحوال نادرة . أو بعبارة أخرى ثبت انتفاء الارتباط المحتوم بين الأمرين بغير إنكار فى نفس الوقت للروابط الوثيقة بينهما ، فالعقل قد يعد مصدراً للمخ ، أو هو بالفعل مصدره المباشر الصحيح ، ولكن لا يجوز القول بأن المخ يصح أن يعد مصدراً للعقل سواء اعتبرناه مصدراً مباشراً أم غير مباشر .

وإذا صح أن العقل يصلح مصدراً للمخ ، كما تصلح البذرة مثلا مصدراً للشجرة ، فإنه يصلح بنفس المقدار لأن يكون مصدراً للجسم المادى كله . ومتى توصل العلم إلى إثبات هذه الحقيقة الخطيرة بطريقة حاسمة فإنه يكون قد قطع نصف الطريق نحو إثبات الخلود بطريقة بيولوجية صرف ، وذلك لأن فناء

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٩ ، ١١٠

الجسد المادى بالموت — أو بالأدق تحلله إلى عناصره الأولى — أمر مؤكد ، حين لا يوجد دليل علمى واحد على فناء العقل أو على تحلله بالموت . أما إذا كان العكس هو الصحيح ، وهو أن العقل من صنع المخ فإن فناء العقل بفناء المخ يصبح هو الأمر الثابت علميا ، أو بالأقل هو الأمر الظاهر منطقياً . أما إذا قلنا إن المخ من صنع العقل فإن تلاشى المخ لا يؤدى بالضرورة إلى تلاشى العقل. وبالتالى فإنه إذ صح تشبيه العقل بزهرة فإن المخ ينبغى أن يعد ظلا لها ، فإذا ما تلاشت الزهرة تلاشى ظلها حتماً ، أما إذا تلاشى الظل فإن ذلك لا يعنى بالضرورة تلاشى الزهرة، لأن ظل الزهرة يمكن أن يتغير شكله ، أو أن يغير مكانه ، أو أن يضعف ، أو أن يقوى ، أو أن يتلاشى لأسباب أجنبية مستقلة عن الزهرة ذاتها . وهذا هو حجر الزاوية فى القول بإمكان بقاء الوعى الإنسانى حتى بعد انفصاله بالموت عن الجسد المادى ، وهو جوهر العلم الروحى الحديث وخلاصة ما يستند إليه من حقيقة مقررة .

وفى تشبيه آخر يمكننا أن نشبه المخ بأنه آلة موسيقية من رسالة العقل أن يعزف عليها فى حدود طاقته الموروثة والمكتسبة . وهذ العزف قد يكون جيداً أو ضعيفاً بحسب مدى نمو العقل وحسن سيطرته على آلة العزف هذه . وأيضاً بحسب جودة هذه الآلة الموسيقية أو عدم جودتها . وإذا فسدت الآلة مع مضى الوقت فَسَد العزف حتمًا ، رغم أن ملكات العازف قد لا تكون مصابة بأى فساد أو ضعف ، بل ربما تكون قد نمت وتطورت للأمام مع مضى الوقت . وهذا هو بالضبط ما قد يحدث مع تقدم المخ فى الشيخوخة ، أو فى حالة إصابته بضعف مكتسب[1] أو متوارث[2] . فعندئذ قد تبدو تصرفات صاحبه مختلة مضطربة ، بغير أن يشير هذا الاضطراب بالضرورة إلى ضعف مقابل فى

---

(١) كما فى تصلب الشرايين المخى .

(٢) كما فى بعض سلالات مدمنى الخمور أو المخدرات ، أو مرضى الأمراض العضوية أو العصبية التى تلعب الوراثة دوراً فيها .

ملكاته العقلية التى يحتمل أن تكون — على العكس من ذلك — قد تهذبت ونضجت مع الخبرة المتواصلة التى يكتسبها العقل بمضى الزمن .

وهذا التهذيب والنضج لا يمكن أن يظهرا على حقيقتهما إلا عند إصلاح آلة العزف ، وهى المخ ، أو عند استبدالها بآلة أخرى جديدة ، وهو ما يحدث — بحسب كشوف الروحية — عند الانتقال من مستوى المادة التى تتحكم فى العقل — وهى هنا المخ — إلى مستوى العقل الذى يتحكم فى المادة ، وهو المستوى الأثيرى للوجود المحكوم بالعقل حكماً مباشراً على ما سيلى بيانه تفصيلا فى الجزء الثانى .

آراء خطيرة لبرجسون

وممن بحثوا بعناية موضوع نوع الصلة بين العقل والمخ وطبيعتها هنرى برجسون Henri Bergson الفيلسوف الفرنسى العظيم . وبحوثه تجريبية صرف جرت فى « المعهد السيكولوجى العام بباريس » ، وفى « الكوليج دى فرانس » ، وفى « جمعية البحث الروحى » بلندن . وقد انتهت به إلى نتائج حاسمة وصريحة عن انتفاء الارتباط المحتوم بين الوعى والجسد ، وربط بين ذلك وبين احتمال دوام الحياة بعد موت الجسد المادى . ومن أقواله فى هذا الشأن فى محاضرة عنوانها « الروح والجسد » ألقاها بباريس فى ٢٣ من أبريل سنة ١٩١٣ :

« ماذا تقول لنا التجربة فى الواقع ؟ إنها تبين لنا أن حياة النفس ، وإن شئت فقل حياة الروح مرتبطة بحياة الجسد ، وأن ثمة تضامناً بينهما ، ولا شىء غير ذلك . ولكن هل ثمة من أنكر هذه النقطة ؟ إلا أنه شتان بين أن نقرر ذلك وبين أن نقول إن الدماغى معادل العقلى ، وأن فى الإمكان أن نقرأ فى الدماغ كل ما يجرى فى الشعور المقابل .

إن الثوب الذى علق على مسمار متضامن مع هذا المسمار ، فإذا وقع المسمار وقع هو معه . وإذا اهتز اهتز ، وإذا كان رأس المسمار حاداً تمزق . ولكن

لا ينتج عن هذا أن كل جزء من أجزاء المسمار يقابل جزءاً من أجزاء الثوب، ولا أن المسمار معادل للثوب، ولا أن المسمار والثوب شيء واحد. نعم إن الشعور معلق بدماغ . ولكن لا ينتج عن ذلك أبداً أن الدماغ يرسم كل تفاصيل الشعور ، ولا أن الشعور وظيفة للدماغ ، وكل ما تسمح لنا المشاهدة والتجربة (أعنى العلم) بتقريره هو أن ثمة علاقة بين الدماغ والشعور »[1] . ثم يقول نفس الفيلسوف فى موضع لاحق من هذه المحاضرة عن صلة العقل بما قد يصيب الدماغ من أمراض متنوعة : « لما كانت مهمة تحضير الكلمات منوطة بالدماغ ، وكان عمل الدماغ فى هذا المضمار يضؤل ويقل ويبسط بنسبة ما تستفحل الإصابة فى المنطقة المختصة ، فلا غرابة أن يكون التلف الدماغى الذى يفقدنا تذكر الأسماء ، والأعلام ، والأسماء النكرات لا يؤثر فى تذكر الأفعال . وهكذا نرى أن الوقائع تدل هنا — كما تدل فى كل موضع — على أن النشاط الدماغى ليس معادلا للنشاط النفسى ، وإنما هو جزء منه يتجلى بحركات معينة .

ولكن إذا لم تكن الذكريات محتزنة فى الدماغ ، فأين إذن تقيم ؟! الحق إننى لا أدرى أى معنى لسؤال « أين » ؟ حين لا يكون الحديث عن الجسد . الانطباعات الفوتوغرافية تحفظ فى علبة ، والتسجيلات الصوتية تحفظ فى خزانة. ولكن ما حاجة الذكريات إلى مخزن ، وما هى الأشياء التى ترى وتلمس ، بل كيف يمكن أن يكون لها مخزن ؟ . وإذا كان لا بد من مخزن تقيم فيه الذكريات بالمعنى المجازى للكلمة ، فهذا المخزن هو الروح . وما أنا الآن بمن يفترض افتراضاً ، ويقول بوجود كائن غيبى. إننا ندرك وجود الشعور إدراكاً،

---

(١) عن كتاب « الطاقة الروحية » لبرجسون تعريب الأستاذ سامى الدروبى . الطبعة الأولى ص ٣٣ .

مباشراً بديهياً أكثر من أى شىء آخر . والروح هو الشعور ، والشعور إنما هو الذاكرة قبل كل شىء .

ثم يقول برجسون « وتلك هى أيضاً وظيفة الدماغ بإزاء الفكر على وجه العموم . إنه يستخلص من الفكر كل ما يمكن أن يتجلى بحركة . ويدخل الفكر فى هذا الإطار المتحرك فيضطره بذلك إلى أن يحد نظرته فى الغالب ، ولكنه يضطره بذلك أيضاً إلى أن يكون ناجح الفعل ، ومعنى هذا أن الروح تطفو على الدماغ ، وأن النشـــاط الدماغى لا يقابل إلا جزءًا يسيراً من نشاط النفس .

ولكن معنى هذا أيضاً أن حياة الفكر لا يمكن أن تكون نتيجة لحياة الجسد، بل إن الجسد ما هو إلا خادمٌ للفكر وأنه لا يسوغ لنا ، والحال هذه، أن نفترض أن الجسد والروح مرتبطان أحدهما بالآخر ارتباطاً لا انفصام له . وطبيعى أننى لن أقطع فى نصف الدقيقة الباقية (من المحاضرة) برأى فى مسألة هى أخطر ما طرح على الإنسانية من مسائل على الإطلاق . ولكننى لا أستطيع كذلك أن أتهرب منها . فمن أين أتينا ؟ وماذا نعمل هاهنا على هذه الأرض ؟ وإلى أين المصير ؟. فإذا كان صحيحاً أن ليس لدى الفلسفة ما تجيب به على هذه الأسئلة الهامة الحيوية ، أو كانت غير قادرة على أن توضحها بالتدريج كما توضح مسألة بيولوجية أو تاريخية ، أى إذا كانت لا تستطيع أن تجعلها تستفيد من تجربة ما تنفك تتسع ، وملاحظة ما تزال تدق ، إذا كان عليها أن تقتصر على مهاجمة أولئك الذين ينكرون الخلود لأسـباب مستمدة مما يفرضونه للنفس والجسد من جوهر ، فإنه على جانب عظيم من الأهمية أن نستطيع منذ الآن أن نقرر تجريبياً أن البقاء إلى زمن ما ممكن بل محتمل[١] . وندع لغير الفلسفة أمر

(١) « ممكن » و « محتمل » هو دائماً أسلوب برجسون فى التعبير عن آرائه، إذ كان يرفض الجزم بأى أمر مهما كان مقتنعاً به تاركا للقارىء بذلك حرية التقدير والاقتناع

القطع بأن هذا الزمن محدود ، أو غير محدود . وأعتقد أن المسألة الفلسفية المتعلقة بمصير النفس — إذا اقتصرنا فيها على هذه الأجزاء المتواضعة — قابلة لأن تحل. فلو كان عمل الدماغ يقابل مجموع الشعور كله ، وكان ثمة تعادل بين الدماغى والنفسى لأمكن أن يتبع الشعور مصير الدماغ ، وأن يكون الموت نهاية كل شيء . . .

أما إذا كانت الحياة النفسية — كما حاولنا أن نبرهن على ذلك — تطفو على الحياة الدماغية ، وكان الدماغ لا يزيد على أن يعبر بحركات عن جزء صغير مما يجرى فى الشعور، فإن البقاء يصبح عندئذ معقولا جداً ، بحيث يقع واجب البرهان بعدئذ على عاتق من ينكر لا على عاتق من يدعى، لأن الباعث الوحيد الذى يدعو إلى الاعتقاد بفناء الشعور بعد الموت هو رؤية الجسم يفنى. ولا يكون لهذا الباعث من قيمة إذا كان استقلال جل الشعور ، إن لم يكن كله عن الجسم . ظاهرة مرئية هى الأخرى (فانظر وتأمل ! ! .) .

إننا حين نعالج مسألة البقاء على هذا النحو فننزلها من القمم التى وضعتها فيها الميتا فيزياء ، نتنازل ولا شك عن الحصول على حل نهائى دفعة واحدة . ولكن ماذا تريدون ؟ إنه لا بد فى الفلسفة من الاختيار بين طريقتين . طريقة التفكير المحض الذى يرمى إلى نتيجة نهائية ، فلا يتكامل لأنه يفترض لنفسه الكمال ، وطريقة الملاحظة الصابرة التى تؤدى إلى نتائج تقريبية فحسب ، إلا أنها قابلة لأن تصحح وتكمل باستمرار .

أما الطريقة الأولى ، فلأنها أرادت أن تأتينا باليقين دفعة واحدة قضت علينا أن نظل أبداً فى أحضان الاحتمال ، بل الإمكان المحض ، إذ قلما تعجز عن البرهان على رأيين متعارضين ، وكلاهما ممكن بدرجة واحدة . أما الطريقة الثانية (طريقة البرهان التجريبى) فإنها لا تهدف فى أول الأمر إلى غير الاحتمال ، ولكنها إذ تسير فى طريق يزداد فيه الاحتمال باستمرار ، تفضى بنا شيئاً فشيئاً

إلى حالة تكاد تعدل اليقين . و بين هاتين الطريقتين فى التفلسف تم اختيارى أنا ، وكم يسعدنى أن أوفق إلى المساهمة ولو قليلا فى توجيه اختياركم »[1] .

وهكذا وصل برجسون عن طريق « البرهان التجريبى » فى الصلة بين المخ والعقل إلى عدم فناء العقل بالضرورة بسبب فناء الجسد ، كما سلم مرارا بوجود روح للإنسان مستقلة عن هذا الجسد .

وفى هذا الصدد يتحدث الدكتور مراد وهبة عن برجسون قائلا « إنه انتهى خلال دراسته لأمراض الذاكرة وأخصها أمراض التعرف ، ومرض الحبسة، وفقدان الذاكرة إلى نفس النتيجة ، وهى أنه لا يوجد محو للذكريات بل اضطراب فى الأجهزة المحركة . وفى عبارة أخرى يقول برجسون إن وظيفة الدماغ هى العمل على أن يكون الفكر حينما يحتاج إلى ذكريات قادراً على أن يحصل من الجسم على حركة معينة ، هى بمثابة الإطار الذى فيه تدخل الذاكرة من تلقاء نفسها ، فمهمة الدماغ إذن هى تقديم هذا الإطار دون الذاكرة ... ويخلص برجسون من ذلك إلى أن الفكر مستقل عن الدماغ . ومع ذلك فهذا الاستقلال ليس إنكاراً للتضامن الوثيق بينهما، وإنما هو إنكار لفكرة أن النفسى يعادل الدماغى ويوازيه . وبرجسون حينما يقرر هذه العلاقة إنما هو يقررها مستنداً فى ذلك إلى الرؤية والتجربة ...» .

من أقوال مكدوجال

وقد وصل الدكتور وليام مكدوجال William Mc Dougall إلى نفس نتائج برجسون. وقد كان مكدوجال هذا صاحب سمعة عالمية فى علم النفس الحديث، وأستاذاً بعدة جامعات بريطانية وأمريكية ، ورئيساً فى وقت ما « لجمعية البحث الروحى » بلندن، ورئيساً لقسم التحليل النفسى « بالجمعية الملكية الطبية » . وقد عنى بعلمى النفس العادى والشاذ ، وله تحقيقات لوساطات متعددة .

---

(١) المرجع السابق ص ٤٨ — ٥٠

(٢) عن « المذهب وفلسفة برجسون » للدكتور مراد وهبة القاهرة ١٩٦٠ ص ١٣٢ .

وقد تعرض مكدوجال للصلة بين العقل والمخ فى بعض مؤلفاته، منها واحد عنوانه « الجسد والعقل »[1] وفيه يقرر بكل وضوح أن الروح (أو إن شئنا النفس) Soul عبارة عن كائن أو وحدة متميزة فى معنى ما عن كل ماعداها . وأن وحدة الوعى unity of consciousness تعبير عن ذواتنا الروحية psychical individuality ، وأن وعينا الذاتى self canscjousness معروف لدينا باعتباره مجرد تيارات فردية متماسكة للوعى الشخصى individual coherent streams of personal consciousness

كما يقرر مكدوجال أن وحدة الوعى هذه لا تنفى إمكان أن يرتبط أكثر من كائن روحى واحد بأعضاء جسدية واحدة[2] . فمن الجائز أن تكون الروح Soul التى تفكر فى كل واحد منا ليست أكثر من قمة تدرج كائنات مماثلة the chief of a hierarchy of similar beings ، وأن هذه الروح قادرة بمفردها على أن تبرز نفسها وبكامل طاقتها كل إمكانياتها فى النشاط الواعى .

ثم يضيف مكدوجال أنه من الجائز أن يرى الإنسان فى هذا الإمكان تفسيراً لتلك الظواهر الغريبة والخارقة للعادة those strange and bizarre phenomena التى بحثت بحماس كبير فى هذه السنين الأخيرة تحت عنوان الشخصية الثانوية أو المزدوجة secondary or dual personality[3].

وهكذا لا يتحدث مكدوجال فحسب عن إمكان استقلال المخ عن روح أوعن نفس صاحبه ، بل يتحدث عما هو أخطر من ذلك وهو ارتباط association أكثر من كائن روحى واحد بأعضاء جسدية مشتركة ، ويرى فى هذا القول تفسيراً مقبولا لظواهر ازدواج الشخصية التى يعبر عنها الروحيون بأوصاف شتى، أصبح كل وصف منها يشير إلى نوع قائم بذاته — أو أكثر — من الظواهر

(١) Body And Mind

(٢) وهذا القول متفق مع إمكان هيمنة وعى أجنبى عن الوسيط على أعضائه.

(٣) المرجع السابق ص ٣٦٦ .

الوساطية التلقائية ، مثل هيمنة ، وإرشاد ، واستحواذ ، وكتابة تلقائية وغيرها. وقد يقتضى بعضها غيبوبة الوسيط ، أولا يقتضيه بحسب مدى قدرة الوعى الأجنبى عن الوسيط من السيطرة التامة أو الجزئية على وعيه ، لاستخدام جهاز هذا الوعى بصفة مؤقتة ولفترة محدودة .

وقد انتهى الدكتور مكدوجال بسبب دراساته فى هذه الظواهر إلى الاعتقاد بخلود النفس ، وكان بعض هذه الظواهر هو الذى كشف له بصورة حاسمة عن عدم تبعية العقل للمخ ، ومنها بوجه خاص ظواهر السيدة كريستين بوشان Christine L. Beauchamp، وقد انتهى فى دراسته لها إلى أن شخصية سالى Sally (التى كانت تستحوذ على وعيها أثناء الغيبوبة) عبارة عن « كائن روحى ، أو روح Psychic Entity, a Spirit » ، وأن حالة السيدة بوشان تظهر بوضوح « أن الشخصية العادية تتكون من جسد وروح يتعاملان معًا in interaction ، وأن الروح ليست تابعة للمخ، أو لأية أسس فيزيقية بالنسبة لذاكرتها ، بل تملك قدرة ذاتية على الحفظ retaining ، وعلى التذكر بين ملكاتها الأخرى[1] » . بل قرر مكدوجال أن الحالات المماثلة لهذه « تذهب بعيداً كيما تبرر الاعتقاد فى استمرار حياة الشخصية الإنسانية بعد موت الجسد»[2].

---

(١) فقد لاحظ مكدوجال — كما لاحظ من قبله العالم النفسى مورتون برنس Morton Prince أنه أثناء الغيبوبة المغناطيسية كانت السيدة بوشان تأخذ شخصية أخرى،لهاذكرياتها الخاصة ، وخصائصها ، وطباعها، وأهواؤها المتميزة عن شخصيتها المألوفة ، وإن كانت تشاركها فى جسدها فقط . وكانت بوشان فى الجملة أرق وأكثر تهذيباً وصراحة واتزاناً من سالى ، وإن كانت صحتها أضعف منها بكثير . ثم ظهرت شخصية ثالثة كانت تشترك مع الشخصيتين السابقتين فى استخدام نفس الجسد،وإن كانت مختلفة بدورها عنهما فى الميول والأهواء، ولكن لاتملك ذاكرة خاصة بها. وقد شفيت هذه الحالة بعد مجهود ضخم من مورتون برنس .

(٢) عن كتاب « الخلود : البينة العلمية » (أكتوبر ١٩٦٧) .
Immortality: The Scietnific Evidence للاستاذ آلسون ج. سميث Alson J. Smith
(ص ٤٩ — ٥٥)

ومن أهم البحوث الحديثة الدقيقة عن الصلة بين المخ والعقل بحوث قسم الباراسيكولوجى بجامعة ديوك بالولايات المتحدة الأمريكية . وقد دامت هذه البحوث لمدى عشرات من السنين بإشراف الأستاذ جوزيف بانكس راين J. B. Rhine رئيس هذا القسم. وقد حسمت هذه البحوث كل شك حول هذا الموضوع ، ولخص الأستاذ راين نتائجها فى عدة مؤلفات له ، منها واحد عن « امتداد أثر العقل » The Reach Of The Mind [1] .

وفى هذا المؤلف يقول راين « وعلم النفس هو الميدان الذى تنتمى إليه هذه القضية، فطبيعة العقل أو النفس هما بالتحديد مادة بحث السيكولوجيا . غير أنها فقدت اهتمامها منذ أمد طويل بالنفس ، وحتى كلمة العقل كما يستخدمها الإنسان العادى بمعنى يختلف عن معنى المخ لم تعد فى وضع يؤدى المعنى المقصود منها . ولذلك أصبح الباحث فى النفس لا يجد عنها شيئاً فى مصادر السيكولوجيا الحديثة ، ولا فى المحاضرات التى تلقى عنها . وربما وجد هناك القليل عن العقل كحقيقة مستقلة ، وبدلا من ذلك فهو يطالع الكثير عن السلوك وصلاته بمناطق المخ وخطوطه .

أما العلاقة بين العقل والجسم فقد أضحت موضوعاً قديماً ، وكذلك الرأى الاثنينى (أى أن العقل غير المخ ، وغير تابع منه) فقد أصبح فى السيكولوجيا الحديثة من النظريات البائدة ، ومن بين النفسيين قد غاب عن الأنظار أولئك الأوائل الذين دافعوا عن هذه النظرية الاثنينية، وهم وليم جيمس، ووليم مكدوجال، وهنرى برجسون ، ثم هانز دريش ، ولم يظهر خلفاء لهم يمكن أن يقارنوا

---

(١) وله ترجمة عربية بمعرفة الدكتور محمد الحلوجى أعطاها المترجم عنوان « العقل وسطوته » وعليها نعتمد فى الإحالات الواردة هنا .

بهم»[1] .

وقد أصبحت النظرية القائلة بوجود نفس للشخصية فى ذمة التاريخ النفسى « ومع ذلك فإن أغرب الأشياء أنه لا يوجد شخص واحد استطاع أن يبرهن على مادية العقل ، ولم تسجل قط نظرية مادية واجدة لحالة شعورية عقلية . وإنه لمن الدهش حقاً أن يقبل فرع من الفروع رأياً بغير دليل إيجابى ، بل حتى بغير فروض نظرية لتعليله. وإنما يمكن فقط أن يوصف هذا التقهقر بأنه نوع من الاعتقاد المجرد — كأنه من أعمال الإيمان — ومع ذلك أصبح هذا الاعتقاد مثالياً فى دوائر العلم ، تماماً كما كان الاعتقاد فى وجود النفس سائداً فى مدارس اللاهوت ! » .

كما يقول الأستاذ راين أيضاً عن نتائج بحوثه فى الإدراك عن غير طريق الحواس التى جرت على أشد المناهج دقة وتحفظاً ، ودامت لمدى عشر سنوات متتابعة « وهذه الفترة من العشر السنوات دفعتنا للأمام مرحلة طيبة فى البحث فى مشكلة الإنسان . ففى نهايتها علمنا أن العقل يمكن أن يحصل على نتائج يمكن الوثوق بها عن المادة بدون تداخل الحواس ، وأن الإدراك خارج الحواس للأشياء هو مظهر لهذا التفاعل والإدراك ، وهو يعنى نوعاً من العلاقة الوظيفية بين الشخص المدرك والشىء المدرك . فإذا استطاع العقل أن يفعل ذلك وهو نفسه إلى حد ما غير مادى فإن وجهة النظر الروحية للإنسان تكون قد حصلت على سند قوى . وكانت هذه المكتشفات هى بالضبط ما يحتاج لمعرفته والإلمام به أولئك الذين أزعجتهم الفكرة الآلية للإنسان . ودلت النتائج على أن الرأى القائل بأن المخ هو المحور للانسان هو تدليس علمى لم يكن له أساس

(١) وهؤلاء الأربعة النفسيون الكبار من أعلام البحوث الروحية الحديثة ، وكانوا أعضاء فى جمعيتى البحث الروحى ببريطانيا وأمريكا.

حقيقى»[١] .

كما يقول فى مكان آخر من مؤلفه السابق « وإثبات أن العقل يختلف عن المخ فى بعض النواحى الرئيسية مما يؤيد النظرية الروحية للإنسان ، وهذا يعنى أن العقل عامل قائم بنفسه فى الهيكل العام للشخصية، وعلى ذلك فإن عالم الفرد لايتركز تماماً فى العمليات العضوية للمخ المكون من المادة . والمشكلة هى هل هناك شىء خلاف المادة أى روحى فى طبيعة الإنسان ؟ . . . والجواب الذى تمليه الدراسة التجريبية هو بالإيجاب ، فلدينا الآن الدليل على أن هذا العامل الخارج عن المادة موجود فى الإنسان ، ونظرية الروح كما حددناها قد ثبتت بالمعنى الذى حددناه بها »[٢].

آراء أخرى تؤيد نفس الاتجاه

وفى عدة بلاد بحث علماء كبار هذا الموضوع الخطير وانتهوا إلى نفس النتائج التى انتهى إليها أمثال برجسون، ومكدوجال، وراين . فمن الأنجليز نجد مثلاً فيلسوفاً كبيراً معاصراً وأستاذاً لفلسفة الأخلاق Moral Philosophy بجامعة كامبريدج منذسنة ١٩٣٣ وهو الدكتور تشارلس بروض Ch. D. Broad ــ يعلن انتفاء الارتباط المحتوم بين العقل والمخ فى مؤلف له عن « العقل ومكانه

---

(١) المرجع السابق ص ٥١ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٨

وغير جامعة ديوك هناك عدة جامعات أمريكية معنية حالياً بموضوعات الظواهر الوساطية، والإدراك عن غير طريق الحواس منها جامعة كورنينجن Corningen (بمعرفة الأستاذ ج هيمانز G. Heymans)، وجامعة نيذرلاندز Netherlands ، وكولورادو Colorado وكلية هنتر Hunter بمدينة نيويورك (بمعرفة الأستاذ برنارد رايس Bernard Riess) وكلية سيتى City College أيضا (بمعرفة الدكتور جرترود شميدلر Gertrude Sehmeidler) .

فى الطبيعة »[١]، كما يعلن ذلك فى عدة مقالات ومحاضرات له ، وقد وجه فيها الأنظار إلى النظرية القائلة بأن وظيفة المخ والمجموع العصبى تعمل على حمايتنا بإبعاد المعلومات غير اللازمة ، وترك ما يكون ذا فائدة . وهو يرى أن توسيع هذه النظرية فى النواحى الروحية قد يفسح أمامنا مجالا كبيراً للبحث . فهو لا يعتبر المخ مصدراً للتفكير بقدر مايعتبره حاجزاً يحمى العقل بإبعاد المعلومات غير اللازمة عنه واستبقاء ماقد يكون ذا فائدة .

وقد شرح الدكتور بروض آراءه أيضاً فى سلسلة من المحاضرات فى البحث الروحى[٢] ألقاها فى جامعة كامبريدج خلال عامى ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠، وتناول فيها بوجه خاص تجارب الدكتور سول Soal والأساتذة شاكلتون Shackleton وستيوارت Stewart ، وبرات بيرس Pratt-Pearce وتيريل Tyrrell والآنسة جونسون Johnson ، بالإضافة إلى تجارب تمت فى « جمعية البحث الروحى » مع الوسطاء ليونارد Leonard ، وويليت Willett ، ووارين إيليوت Warren Elliott ، ولنا عودة إلى بعضها فيما بعد .

***

وممن تصدوا أيضاً لبحث الصلة بين العقل والمخ العالم النفسى الدكتور تشارلس فوكس Ch. Fox مدير إحدى كليات كامبريدج ، وله فيها مؤلف عن « العقل وجسده »[٣]، وفى ختام بحثه ينتهى إلى أن الاعتراض على خلود النفس بضرورة الارتباط بين العقل والجسد يرجع إلى تفكير خاطىء « لأن العقل يحصل عن طريق الارتباط بالجسد على التجربة اللازمة فحسب ، ومن ثم فإن

---

(١) ص ٢٩٩ — ٣٠١ The Mind And Its Place in Nature.
وللدكتور بروس مؤلفان فى علم النفس هما : ـ Educatinoal Psychology.
Practical Psycholgy.

(٢) Lecture. on Psychical Research.

(٣) The Mind And Its Body.

سمو الروح مستمد من متابعتها للأشياء ذات القيمة الدائمة ، وإن من حسن قدَر الإنسان ومصيره أن يحصل على الخبرة مؤملا أن ماقد يحصل عليه منها ، بما أنه غير مرتبط بالجسد، لا يمكن بالتالى أن يكون إلى فناء » ، ثم يعد المؤلف قراءه بأن يعالج موضوع الخلود هذا فى مؤلف لاحق .

***

وقد انتهى إلى نفس النتيجة أيضاً الأستاذ إرنست هولمز Ernest Holmes فى مؤلفه عن « علم العقل »[1] (١٩٣٨) وفيه يقرر فى طبعته الخامسة والعشرين (أغسطس ١٩٥٧) « إن المخ لايفكر . . . إنما هو الفكر الذى يستخدم المخ ، فهو الذى يفكر شأنه شأن الإنسان الذى يستخدم قدرة النظر ، فهو ينظر خلال نوافذ العين ، فهو الذى يرى لا العين . والروح تحتاج إلى جسد مادى هنا ، وإلا فإنها ما كانت لتنجح فى تطوير جسد لها ، ولكن عندما لايعود الجسد المادى آلة مناسبة تستخدمها الروح بسبب مرضه ، أو فساده ، أو بسبب حادثة ما فإن الروح تدع جسدها الحاضر جانباً ، وتستمر فى استخدام جسد آخر أكثر منه رقة ومرونة » .

ثم يتساءل المؤلف : عندما نغادر هذا المستوى هل سنكون مجرد أرواح أم ستكون لنا أجسام محسوسة؟ ويجيب قائلا «إن الشكل لازم للتعبير عن الذات ، فلا يمكن أن يوجد وعى بدون أن يوجد شىء يعيه ، ومن القوانين الأولى للوعى أنه ينبغى أن يرتدى شكلا ما . والروح تغطى نفسها برداء هنا ، وإذا كانت ستواصل العيش بعد مغادرتها للجسد المادى ، فإنه من المنطقى أن نستنتج أنها ستظل محتاجة إلى جسد وأنه سيكون لها هذا الجسد . وإذا كان بمقدور الروح أن تصنع هنا جسداً وتحافظ عليه فلا يوجد سبب لإنكار قدرتها على أن تصنع أيضاً جسداً هناك وتحافظ عليه. فنحن هنا أرواح بقدر ماسنكون

(١) The Science of Mind ص ٣٧٤ ، ٣٧٥

أبداً كذلك . وقوانين العقل والروح لا تتغير بالتخلى عن الجسد المادى ، ولكن السؤال الذى ينبغى أن يثار «من أية مادة ستصنع الروح لها جسداً جديداً؟» والفكرة الجديدة عن الأثير تقدم نظرية مناسبة فى هذا الشأن »

وبعد أن يشرح المؤلف هذا الموضوع الدقيق ، وهو الأثير الذى يخرج عن نطاق الفصل الحالى — يقول فى مكان لاحق « إنى أؤمن باستمرار الحياة الشخصية بعد القبر ، وباستمرار المجرى الفردى للوعى بتذكر تام لنفسه ، وبمقدرة على أن يعرف ، وأن يعرفه الآخرون . . . وإنى أعتقد أن بعض التجارب قد أعطتنا بينة متسعة النطاق لتدعيم دعوى الخلود . وإنى أعلم أن تجاربى الخاصة تبرر قبولا تاماً فى تقديرى لخلودى وخلود الآخرين . . . »[١] .

وفى موضع آخر يقول المؤلف « إنه بالتأكيد توجد حجج وبينات إلى جانب النظرية القائلة بإمكان الاتصال بالأرواح أكثر مما يوجد ضدها ، وبقدر صلتى بهذا الموضوع فإنى مقتنع تماماً بصحة هذه البينة (على الخلود) . . . فإذا كان بمقدور العقل أن يتصل بالعقل بدون معاونة الجهاز الفيزيقى (الجسد) فإن الاتصال بالروح ينبغى أن يكون أمراً ممكناً . وما دمنا نعلم أن الوقائع الآنف الإشارة إليها صحيحة، فليس لدينا بديل آخر إلا بأن نتقبل البينات الحاسمة، وأن نتبين أن الاتصال بالمنتقلين — وإن جاز أن يكون أمراً صعباً — إلا أنه قد حدث بالفعل. ومن الجلى أن أى اتصال كهذا ينبغى أن يكون عقلياً ، أى ينبغى أن يكون عبارة عن انتقال فكر عبر آخر — Thought Transference أو بالأدق تخاطر عقلى Telepathy »[٢] .

* * *

وهناك بحوث أخرى كثيرة عن الإدراك عن غير طريق الحواس انتهت إلى تأكيد وجود عنصر روحى فى الحياة يمكن أن يستكشف رياضياً ، وغير تابع للمخ ، ومنها بحوث المهندس الفرنسى رينيه فاركولييه René Warcollier

(١) المرجع السابق ص ٣٨٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٧٩ .

الذى كان مديراً «للمعهد الدولى لما وراء الروح بباريس»[1]، والطبيب الألمانى كارل بروك Carl Bruck ، والأستاذ رودلف تشنر Rudolf Ticbner، والمكتشف البريطانى سير هيوبرت ولكنز Huberf Wilkins، والباحث الأمريكى أبتون سنكلير Upton Sinclair

عن ارتباط ذلك بالكشوف الروحية الحديثة

وهذه البحوث كلها عن انتفاء الارتباط المحتوم بين نطاقى العقل والمخ ، وعن سيادة العقل على المخ لا العكس . تشير إلى عمق ارتباط كشوف الروحية الحديثة بأخطر الحقائق التى وصلت إليها العلوم الحديثة فى كافة جوانبها، وبخاصة فى جوانب علوم النفس ، والحياة ، ووظائف الأعضاء فى الإنسان . وفى هذا كله مايدعو إلى الاطمئنان التام إلى صحة هذه الكشوف، بالإضافة إلى الاطمئنان المستمد من بحث ظواهرها وتمحيصها بمعرفة علماء ثقات ، وتحت أدق سبل الرقابة العلمية لمدى قرن وربع من الزمان .

وما ذكرناه عن ثبوت انتفاء الارتباط المحتوم بين المخ والعقل لاينفى أن التفكير مرتبط أساساً بالمخ ، بل معناه فحسب أن المخ هو جهاز التفكير لامصدره ، فإذا فسد الجهاز فسد ـ بحسب الأصل ـ التفكير ، ولكن ليس المخ هو مصدر التفكير ، كما أن العقل لايخضع خضوعاً محتوماً للمخ ، لأن المخ خاضع لنوعين من العوامل : أولهما تأثير العقل فيه و بالتالى فى وظائف الأعضاء ، و ثانيهما عوامل الصحة والمرض فيه ، وهى وثيقة صلة بقوانين البيولوجيا والفسيولوجيا التى تلعب دورها الطبيعى فى صحة الجسد المادى وأمراضه . فمن المتصور فى حالات نادرة أن يظل التفكير سليما حتى مع فساد الجهاز الذى يستخدمه لمرض عضوىٍ فيه ، إذا عرف العقل،وهو مصدر كل عاطفة وذاكرة ،

(١) راجع عنه ما سبق فى ص ٤١٩ .

كيف يتغلب بصورة من الصور ـ التى لاتزال مجهولة من العلمين المادى والروحى معاً ـ على ضعف جهازه المادى المؤقت وهو المخ .

وهذه الحقائق لاتستقيم ـ حتى مع ندرتها البالغة ـ مع التعليل المادى للتفكير وتستقيم مع التعليل الروحى له ، وبالأخص مع قاعدة احتمال بقاء التفكير بعد انفصاله عن جهازه المادى وهو المخ . وذلك يتمشى بدوره ماتقول به الروحية الحديثة من أن الإنسان قد يكون بعد الموت بفترة كافية أذكى منه قبل الموت حين كان يستخدم المخ المادى بكل مافيه من عوامل الضعف المتوارث بحكم قوانين الوراثة ، فضلا عن تأثير السن وأمراض سوء التغذية ، والدورة الدموية إذا كان المنتقل قد تعرض لشىء منها قبل انتقاله بفترة طويلة أو قصيرة، مادام الإنسان يستخدم العقل بعد الموت متحرراً من قيــود جهازه الأرضى البالى وهو المخ .

كما يستخدم العقل حواسه هناك متحررة من قيودها الأرضية البالية التى تحد منها، وتعيق الكثير من إمكانياتها الفطرية . ومن ثم تعود الحواس طبيعية حتى ولو كان المنتقل قد فقد إحداها تماماً قبل الانتقال، بل تظهر للإنسان تدريجياً بعد الانتقال حاسة حديدة هى حاسة التلباثى أو قراءة الفكر ، وهى موجودة هنا لكنها دفينة ومعطلة تعطيلا شبه تام لدى الإنسان العادى بسبب العائق المادى وهو المخ الذى يغلف العقل إلى حين . كما تعود هناك أعضاء الجسم التى بترت فى مثل حرب أو حادثة قبل الانتقال ، وذلك لأن الأعضاء الأثيرية المتصلة بالجسد الأثيرى غير قابلة للبتر ، فهى من طبيعة ضوئية كطبيعة الجسد الأثيرى كله .

هذا وقد بينا فى الفصل السابق كيف ثبت وجود هذا الجسد الأثيرى فى الإنسان والحيوان معاً ببحوث متنوعة[1]، كما سنبين فى الجزء الثانى وجود هذا

---

(١) راجع ما سبق فى ص ٦٠٣ إلى ص ٦٤٥ .

الجسد الأثيرى حتى فى الأجسام غير الحية بعد أن نوضح كيف أن الكون كله أصبح عبارة عن مجرد اهتزازات أثيرية .

وهذا الجسم الأثيرى أو اللامادى على المستوى المادى ، له كيان مادى على المستوى الأثيرى ، وإن كانت مادته أرق بكثير من المواد الأرضية وألطف. وهو كيان مفرط فى رقته وفى مرونته وذو طابع موجى إشعاعى ، وهو يحمل هناك عقل الإنسان وأدوات الإحساس على المستوى الأثيرى ، حين يحمل الجسد الترابى أدوات التعبير عن العقل والإحساس على المستوى المادى الذى نحيا فيه مؤقتاً لهدف سامٍ تعرفه نواميس الطبيعة ، وهو حصولنا على قدرٍ لازم لنا من نمو العقل والأخلاق يؤهلنا لحياة أرقى بكثير فى وسائلها وأهدافها من هذه الحياة الأرضية العابرة .

المبحث الثانى

الصلة بين العقلين الواعى وغير الواعى

الحديث عن الصلة بين العقل والمخ يجرنا إلى موضوع لا يقل عنه خطورة ولا دقة فى مجالات البحثين النفسى والروحى معاً ، وهو موضوع الصلة بين العقلين الواعى والباطن . فمما لاريب فيه أن العقل الباطن حقيقة كائنة لا تقل فى خطورة أثرها عن العقل الواعى . بل إن دور العقل الباطن فى توجيه دفة حياة الإنسان فى اليقظة والمنام معاً يتجاوز بكثير دور العقل الواعى . فعقل الإنسان كجبل الثلج العائم فى المحيط أقله ظاهر ، وأغلبه مخبوء فيما تعود النفسيون أن يطلقوا عليه وصف اللاشعور(١) .

---

(١) تنكر المدارس الجدلية dialectical ، والماركسية ، وبعض المدارس الوجودية فكرة « اللاشعور » على اعتبار أن اللاشعور يمثل من العقل جانباً سلبياً ، وهى تأبى التسليم بوجود جانب سلبى للعقل . ولكن يبدو أنها تخلط بين معنيين مختلفين تماماً فى هذا الصدد ، وهما معنى « سلبية الشعور » و « اللاشعور » . وهو خلط ليس له ما يبرره فى مدرسة فرويد التى أحسنت التمييز بين الأمرين . فاللاشعور مستمد من العقل غير الواعى ، ولكن =

وبحسب بحوث الدكتور فردريك و. هـ. مايرز F. Myers الأستاذ بكامبريدج فى مؤلفه « الشخصية الإنسانية وبقاؤها بعد موت الجسد »[١] يصبح الفهم الصحيح للعلاقة بين العقلين الواعى والباطن ، هو أن العقل الواعى يعمل عن طريق المخ . وهو يمثل جزءاً من الوعى الكلى أو الشامل للانسان الذى يعمل عن غير طريق المخ والحواس المادية . وهكذا يختزل مايرز المخ المادى إلى تجسد جزئى للعقل، و بعبارة أخرى فإن الإنسان على المستوى المادى يستخدم جزءاً فحسب من وعيه معتقلا داخل المخ . أما « هناك » فهو يستخدم الوعى برمته متحرراً من قيود المخ ، و بغير وجود عوازل حقيقية بين الشعور و اللاشعور. وبالتالى فإن العقل الباطن أو الغير الواعى على المستوى الأرضى يصبح ظاهراً بعد الوفاة وواعياً على المستوى الروحى . وهذا اعتبار ينبغى أن تكون له قيمته القصوى عند تحقيق شخصية الروح ، إذ ينبغى أن يراعى هذا التطور الهام فى الشخصية، والذى يتفاوت مداه تفاوتاً طبيعياً بين شخص وآخر[٢] .

عن الوعى الأسمى

وكتب مايرز عن الوعى الأسمى يقول أيضاً « إن فى أعماق كياننا تختبىء كومة من النفايات مع كنز ثمين . وعلى نقيض علم النفس الذى يوجه اهتمامه إلى الإدراك تحت الواعى لطبيعة الإنسان ، فإن علم النفس الحديث للإدراك السامى يركز انتباهه فى ذلك الكنز الذى هو المنطقة التى تلقى دون سواها ضوءاً على أعمال البطولة المجيدة غير الأنانية للبشر . . . »

= دوره إيجابى كالعقل الواعى سواء بسواء . ومهما قيل فى نقد بعض آراء فرويد فإن فضله فى استكشاف مجاهل اللاشعور ، والتسليم بدوره العظيم فى تسيير دفة العقل، سيظل باقياً على الزمن ، مع أصالة بعض جوانب التحليل النفسى الذى يعود الفضل فيه إلى فرويد أيضاً، والتى لا تخلو مع ذلك من جوانب كثيرة للخطأ والقصور ، وبل وضيق الأفق فى أمور كثيرة، فضلا عن الارتباط بلا هوت خاطىء عن مادية العقل والحياة التى تسير فى تفكيره من العدم وإلى العدم .

(١) Human Personality And Its Survival Of Bodily Death.

(٢) راجع ما سبق فى ص ٢٣٨ وما بعدها

وعن هذا الوعى الأسمى للإنسان تحدث أيضاً الأستاذ ر . ا هـ . ليفنسال قائلا منذ سنة ١٩٢٩ « لمدى العشرين العام الماضية كرس علماء النفس وقتهم متأثرين بفرويد فى البحث عن العقل الباطن ، وإذا صح أن نظرية العقل الباطن تميط اللثام عن كثير من الأحاجى التى تفسر أعمال البشر فإنها لاتكشفها كلها ، فهى تفسر الشاذ منها لا الأعمال الخارقة للعادة .

وعلم النفس الحديث هذا وقف على منطقة جديدة فى الإنسان أطلق عليها وصف العقل الفوق الواعى Super Conscious . وعلى نقيض العقل الباطن أو غير الواعى الذى يمثل التيارات المغمورة لطبيعتنا ، فإن العقل الفوق الواعى يكشف ضروب السمو التى يمكن لطبيعتنا بلوغها.والإنسان يتمثل فى شخصية ثلاثيةلاثنائية فحسب، فكياننا الواعى وتحت الواعى يتوجهما وعىسام »[١].

***

وهذا الوعى السامى هو الذى يعلل أعمال الإلهام والوساطة الراقية . بل أعمال البطولة الفريدة وإنكار الذات بما يعجز المخ كجهاز مادى عن تعليله . فالمخ لايخرج فى النهاية عن أن يكون ـ كسائر أعضاء الجسد المادى ـ كتلة من هيدرات الكربون ، والبروتينات ، والدهنيات،والأملاح ، والماء ، مما لايمكن أن يرتبط بصلة صحيحة بتصرفات العقل واتجاه الإنسان الطبيعى نحو تقدير كل ماهو راق وجميل فى القيم والأشياء والأحداث ، إلى حد التضحية والفداء النبيل .

وهذه المنطقة من العقل بعينها هى التى تلقى ضوءاً على أعمال الملهمين

---

(١) وهذا الوعى السامى هو الذى قصده الفيلسوف وليام جيمس بالحديث عن النفس المستورة Subluminal التى تمثل عنصراً غير فسيولوجى فى الطبيعة الإنسانية يمكن أن يؤدى إلى اتجاه الإنسان نحو الله ، وهو أسمى عناصر هذه النفس.

والعباقرة والوسطاء الكبار ، وهى تلك التى يعنى بها بوجه خاص علم الروح الحديث فى دراسته للظواهر الوساطية العقلية بوجه خاص . وهذا الوعى السامى لم يكتشفه فرويد ، لأن فرويد كان قبل شىء طبيباً معنياً بالجوانب المريضة من العقل لا بجوانبه الصحيحة ، على مالاحظه المفكر المعاصر ألدوس هكسلى[١] ، أما هذا الوعى السامى فهو يمثل أسمى مافى الجانب الصحيح من العقل. وهو على أية حال من عناصر العقل غير الواعى الذى يعمل خارج إطار المخ .

وجهات نظر بعض الأرواح فى هذا الشأن

وفى هذا الشأن يقول الدكتور بروض Ch. D. Broad (الفيلسوف المعاصر وأستاذ فلسفة الأخلاق) فى محاضراته عن « البحث الروحى » بجامعة كامبريدج فى عامى ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ - وهى مطبوعة فى كتاب صادر فى سنة ١٩٦٢[٢] - ما ملخصه أن طبيعة الذات الإنسانية وتكوينها بعد الموت The Post Mortem Structure بالمقارنة بتكوين العقل الإنسانى قبل الموت كانت محلا لمناقشات كثيرة مع الروحين جيرنى[٣] Gurney ، ومايرز Myers [٤] عن طريق الوسيطة ليونارد Leonard ، وروحها المرشدة المنتظمة فدى Feda ، ومع الوسيطة ويليت Willett ، والروحين جون John وإيتا Etta وعن طريق الوسيطة ليونارد أيضا فى جلسات الأسقف درايتون توماس[٥] .

ويقرر « أن الأرواح التى تحدثت عن طريق الوسيطة ليونارد تذهب إلى أن التمييز بين العقلين الواعى والباطن Subconscious يتلاشى بعد الموت ، وأن

---

(١) فى تقديمه لطبعة ١٩٦١ من كتاب الأستاذ مايرز الآنف الإشارة إليه .

(٢) عنوانه Lectures on Psychical Research.

الناشر: International Library of Philosophy And Scientific Method.

(٣) العالم النفسى الذى توفى منذ سنة ١٨٨٨ (راجع ما سبق عنه فى ص ٣٤٦) .

(٤) العالم النفسى الذى توفى منذ سنة ١٩٠١ (راجع ما سبق عنه فى ص ٣٤٢) .

(٥) راجع ما سبق عنه فى ص ٤٠٠ .

هذا يعنى بحسب الراجح أن كل ما كان غير واعٍ يصبح واعياً تماماً. ويضيفون أن هذا التمييز بين العقلين يعود إليهم مؤقتاً عندما يستحوذون على جسم الوسيطة. وعندئذ فالجزء المستحوذ عليه منها يعمل كالشطر الواعى من العقل الإنسانى فى حالته العادية قبل الموت ، أما الباقى فيعمل كما يعمل الشطر الباطن ، ولكنهم يقررون أن الشطر من عقل الروح المراسلة The Communicator's mind الذى يستحوذ مؤقتاً على جسم الوسيطة يتحمل بالنسبة للشطر الباطن من عقله نسبة أقل مما يتحمل الشطر الواعى من العقل الإنسانى — فى يقظته العادية فى حالة ما قبل الموت — بالنسبة لباقى هذا العقل .

« وإن علىّ أن أعتقد أن القيمة الحقيقية لهذه التقريرات مرتبطة بالنقط الثلاث الآتية عن حالة عقل الإنسان بعد الموت، وهى : —

أولا : أنه إما أن يكون هذا العقل فى حالة تذكر دائمة ، وإما على أية حال يمكنه فى أية لحظة أن يتذكر — إذا أراد — كل تجاربه السابقة على الموت واللاحقة له.

ثانياً : أنه عندما يكون هذا العقل فى حالة استحواذ مؤقت على جسد الوسيط يتذكر حقيقة ، أو يمكنه أن يتذكر — إذا أراد — جزءاً فقط من تجاربه السابقة للموت واللاحقة له .

ثالثاً: أن هذا الجزء قد يكون أصغر بكثير من الجزء المتعلق بتجاربه السابقة الذى يتذكره حقيقة إنسان لا يزال حيًّا فى جسده الفيزيقى ، أو يمكنه — إذا أراد — أن يتذكره فى أية لحظة من لحظات حياته اليقظة العادية » .

أما الأرواح المراسلة عن طريق السيدة ويليت Willett فلها وجهة نظر مغايرة نوعاً لهذه ، وتعتمد على فهمها لمعنى « الشطر السماوى » The Transcendental Part للعقل الإنسانى بوصفه أسمى من شطريه الواعى والباطن وأعلى منهما. فطبقاً لهذه الأرواح يظل هناك شطرٌ بعد الموت فى عقل الميت يمكن أن يوصف بأنه واعٍ ، وشطرٌ آخر يوصف بأنه غير واعٍ ، ولكن بعض محتويات العقل الواعى قبل الموت يتلاشى ، والباقى يتصل بمحتويات العقل الباطن

كما كان قائماً قبل الموت، كما يكون نطاق الوعى Field Of Consciousness بعد الموت. فالشطر الباطن من الذات التى تتبقى بعد الموت يتلقى إمداداته is supplied من الشطر السماوى من ذات ماقبل الموت . ويقول الدكتور بروض إنه بدون الزعم بفهم مايعنيه هذا القول حرفياً ، فإنه يمكن للإنسان أن يقدر أن إضافة « النفس السماوية » تعطى هنا معنى مغايراً للمعنى الذى ذكرته الأرواح المراسلة عن طريق الوسيطة ليونارد ، وأكثر منه تركيباً Complex بكثير .

والأرواح المراسلة عن طريق الوسيطة ليونارد تقرر صراحة أن لديها أعضاء إحساس تستخدمها فى الإدراك عندما لاتكون مستحوذة على جسد الوسيطة . وتقرر أنها يمكنها أن تستخدم هذه الأعضاء حتى عندما تكون مستحوذة عليها ، ولكنها عادة تتفادى ذلك ، وتفضل أن تستخدم فى الإدراك أعضاء الإحساس التى لدى الوسيطة . وتقريرات مماثلة قدمتها روحها المهيمنة فدى Feda وهى تقرر أنها تستخدم أذنىْ الوسيطة كيما تستمع إلى الأصوات الفيزيقية العادية، بينما تستخدم أعضاءها السمعية الخاصة لتستمع إلى أصوات المراسلين (الأرواح) وتلح فى أنها تستخدم كلمة « الاستماع » بنفس المعنى الحرفى فى الحالين .

وفى الواقع إن نوع بعض الأخطاء التى وقعت فيها فدى دفعت بعض الجلساء اليقظين الناقدين إلى استنتاج أنها فى حالات كثيرة لايمكن القول بأنها كانت تشاهد — بالمعنى الحرفى للمشاهدة — بعض المراسلين الظاهرين الذين كانت تقول هى نفسها إنها كانت تشاهدهم . وفى الواقع إن الروحيْن جون John وإيتا Etta قررا أن فدى تقول ، وتعتقد بغيرريب ، أنها كانت تشاهد بأعضاء النظر الخاصة بها ، حين كان مصدر معلوماتها فى الواقع هو التلباثى . ولكنهما مع ذلك يوافقان على أنها تشاهد من آن لآخر — بالمعنى الحرفى للمشاهدة — أشخاصاً وأشياء فى عالمهم بأعضاء الإحساس الخاصة بها . كما يقرران أنها فى أحيانٍ أخرى تخطىء بصورة عكسية فتعتقد أنها تلقت معلومات

ما عن طريق التلباثى ، حين أنها فى الواقع تلقتها خلال مشاهدة حقيقية لها .

وكل هذا يتضمن طبعاً أن الأرواح المراسلة والروح المهيمنة تدعى أنها تملك وتستخدم عادة أعضاء للإحساس وللحديث مماثلة لما يقابلها هنا . وماتقرره هذه الأرواح عن الحديث إلى فدى بالمعنى الحرفى فى بعض المناسبات ، بالمقابلة مع نقل الأفكار إلى عقلها بطريق التلباثى فى مناسبات أخرى ،مما يتلاءم تماماً مع ذلك» .

ثم يضيف دكتور بروض « أننى أظن أننا ينبغى أن نلخص ماتقدم بالقول بأن المراسلين (الروحيين) عن طريق الوسيطة ليونارد ، وروحها المهيمنة على اتفاق فى أنهم يحوزون نظرة حيوية محددة عن أنفسهم A definitely animistic view of themselves وبالتالى طبيعة إنسانية بوجه عام »[١] .

وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى الجسد الأثيرى وصلته بالجسد المادى وبالوعى .

كما ينتقل إلى ماقرره سويدنبرج Suedenborg الفيلسوف ووسيط الطرح الروحى والإلهام[٢] من أنه عرف طائفتين من الأرواح الإنسانية : طائفة أصرت على القول بأنها عبارة عن مجرد كائنات عقلية خالصة ، كما قابل طائفة أكثر عدداً بكثير من هذه تعتقد أنها لا تزال تملك أجساداً مادية عاملة لها حواس وأعضاء خاصة بها ، وبالتالى ترفض أن تصدق أنها أصبحت « موتى » . ويميز سويدنبرج فى هذا الشأن بين الذات الخارجية والداخلية Outer and Inner self للأشخاص فى حالة ماقبل الموت . فالذات الخارجية هى الجزء منا الذى يعبر عن نفسه فى صلاتنا بالأشياء الخارجية ، وبالأشخاص الآخرين ، فهو الواجهة التى يعرضها كل واحد منا على الآخرين ، وكثيراً

---

(١) عن المرجع السابق ص ٣٣٥ — ٣٣٨ .

(٢) راجع ما سبق عنه فى ص ١٩٧ — ٢٠٠ .

ما تصبح هى نفس الواجهة التى قد يعرضها الواحد منا على نفسه أيضاً . وهذه الذات الخارجية كثيراً مانجحت تماماً فى أداء دورها خلال الحياة الأرضية ، إلى حد أننا أصبحنا نعتقد أنها تمثل فينا كل الشخصية أو بالأقل الجزء الغلاب فيها.

وبعد الموت مباشرة يظل الإنسان مسوداً بذاته الخارجية ، وما يشغلها من اهتمامات موجهة إلى الخارج. وهذه هى حالة غالبية الأرواح التى صادفها سويدنبرج فى مرحلة التطور هذه . . . وخلال هذه الفترة ، عندما تفكر الروح فى وجه شخص آخر أو فى وقائع متصلة بهذا الشخص على الأرض ، فإنه يخيل إليها أن هذا الشخص حاضر بجسمه أمام عينيها . وأثناء انقضاء هذه الفترة يبدو أنه تكون هناك روابط كثيرة بين الأصدقاء والمعارف السابقين . وتتراوح هذه الفترة بين يوم واحد إلى عام تقريباً بتوقيتنا، وذلك بحسب درجة سيطرة الذات الخارجية فى لحظة الموت[1].

أما فى المرحلة التالية ــ فإن كل روح حية ــ بحسب سويدنبرج ــ يكون عليها أن تعمل وأن تظهر لنفسها وللآخرين بما يتفق مع ذاتها الداخلية ، وما يسودها من رغبات ، وانفعالات ، ومشاعر ، وقيم ، لاينال منها خشية الاعتبارات الاجتماعية والحكيمة المختلفة . فالأشخاص ذوو الرغبات والمشاعر الشريرة الذين فرض عليهم المجتمع مظهراً عادياً، والذين كانوا يجارون هذا المجتمع لايمكنهم بعد الموت أن يخفوا حالتهم ، بل تنكشف ألوانهم الحقيقية . فعندما تتصرف روح إنسانية فى هذه المرحلة بنية سيئة ، فإنها تجذب تلقائياً وبطريقة لاتدفع ، الأرواح الشريرة وتضع نفسها تحت سلطانها ...

ويلاحظ سويدنبرج أنه فى كل مرحلة من مراحل التطور فى عالم الروح يجد الإنسان صعوبة فى أن يتخيل ــ وصعوبة أكثر منها فى أن يعتقد ــ أن هناك

---

(١) عن المرجع السابق ص٣٤٢ — ٣٤٨ .

مرحلة أخرى تالية ، وكل انتقال من مرحلة إلى مرحلة يبدو له كأنه الموت . فهو من جهة يريد أن يصبح فى حالة أسمى من حالته ، ولكنه من جهة أخرى لا يريد أن يفقد حياته الراهنة .

ثم يربط بروض بين أقوال سويدينبرج هذه وبين أقوال الأرواح المراسلة عن طريق السيدة ليونارد ، وتلك المراسلة عن طريق السيدة ويليت فيرجح أن كل طائفة منها تتحدث عن مرحلة من مراحل تطور الروح بعد الموت مغايرة لمرحلة الأخرى[1] . . .

رأى موريس ماجر ؟

وفى هذا الشأن يتحدث الأستاذ موريس ماجر Maurice Magre قائلا عن العقل الأسمى بوصفه حقيقة روحية « إن العقل الباطن (أو الغير الواعى) inconscient عبارة عن كومة غير مرتبة متبقية من حياتنا الماضية[2] ، ترتفع منها أحياناً دفعات غامضة وقوى متضاربة إلى عقلنا الواعى ، فالعقل الواعى لا يلقى أضواءه إلا على مساحة صغيرة ؛ ولكن أمامه الأرض الواسعة التى للوعى الأسمى Conscience Superieure ، التى عليه أن يغزوها ولو عن طريق مجهودات مؤلمة . وعن طريق هذا الوعى الأسمى قد تأتى أحياناً ومضة من الضوء ، أو شعلة ترسم الطريق يخلطونها عادة بما يشير به العقل الباطن ، إذ أنه لاشىء عندهم (عند النفسيين القدامى) يميز ماهو قادم من فوق عما هو قادم من تحت .

ولذا أسندوا جميع الظواهر التى تتجاوز نطاق القوانين الطبيعية — وبغير أية تفرقة بينها — إلى هذا الذى يسمى بالعقل الباطن ، بغير أن يعرفوا ماهى

---

(١) ويلاحظ بروض على ذلك أن عدداً وفيراً من الرسائل التى وردت خلال الوسطاء ، والمفروض أنها آتية من أولئك الذين ماتوا بغتة بسبب الحوادث أو فى ميدان الحرب تتلاءم بصورة طيبة مع ما يبدو أن سويدنبرج شاهده بنفسه.

(٢) فالمؤلف من أنصار نظرية رجعة الروح للتجسد Re—incarnatiou

حدوده بالضبط . فأسندوا إلى هذا العقل الباطن قوى أشد إعجازاً بكثير من كل مايمكن تخيله فى نطاق المعجزات . فمثلا إذا ما أخذ وسيط غيبوبته فى التحدث أوفى الكتابة بلغة قديمة ـ ولو كانت هى اللغة السنسكريتية التى لا يعرفها ـ فذلك بفضل العقل الباطن !! وإذا ماعمد نفس هذا الوسيط الخاضع لاستحواذ كائن غير معروف أو قوة غير محدودة إلى قراءة أفكار غيره ، أو إلى الرؤية عن بعد، أو إلى رسم أحداث مضت،أو إلى التنبؤ بأحداث مستقبلة تنبؤاً صحيحاً ، فكل ذلك يعزى إلى العقل الباطن ! . وهكذا عن طريق تحكم ـ لا يمكن تبريره ـ افترضوا أن قوى العقل الباطن لانهاية لها .

ومعنى ذلك هو استبدال صورة من الإعجاز بصورة أخرى تبدو أشد منها غرابة ، وأبعد منها عن التصور . . . لقد أخطأ فرويد كثيراً عندما قال باستبعاد التمييز بين العقل الأسمى والعقل الأسفل(٢) ، لأنه باستبعاد هذا التمييز قد استبعد التفسير الوحيد المقبول لكل الظواهر التى عرضها، فإن هذا التمييز هو الذى يبرز ذاتية ماهو روحى Psychique وما هو واع .

إن هناك نوعاً من التعمية الفلسفية وقصوراً فى النظر عند القول بأن الإنسان مسير بعقله الباطن الأعمى . إن العقل الباطن يجىء من ناحية أعماق أبعد كثيراً من أعماق الطفولة . إنه عبارة عن كتلة غامضة من تجارب متراكمة من الحيوات السابقة ، ومن المستحيل ألا يكون فرويد قد رآها ، ولكن هل كان بمقدور عالم غربى أن يقول بذلك؟لقد كان فرويد مقيداً بالفكرة الأولية التى كونها عن النفس الإنسانية،والتى لا تحتمل سوى حياة واحدة،هى حياتها المنظورة.

وإنها لفكرة مماثلة لها ، هذه الفكرة التى تميل إلى إنكار كل حياة للنفس بعد موت الجسد ، والتى تحمل عدداً كبيراً من بحاث ما وراء الروح La Métapsychique إلى أن يعزوا إلى العقل الباطن كل ظاهرة من الظواهر الفوق الطبيعية .

إن العقل الباطن يصح تشبيهه بالجهل الذى كان يتحدث عنه بوذا ، والذى كان يعلم أنه العدو الأعظم للإنسان ، لأنه عبارة عن فوضى لا شكل لها Chaos informe حيث تتصـــارع الشهوات الحيوانية والمخاوف القديمة من العصور المنقضية .

إن دعاة العقل الباطن أخطأوا ، أو بالأدق بالغوا ، لأنهم لم يحسبوا حساب وعينا الأسمى الذى يمثل ذواتنا الحقيقية التى صرنا إليها بعناء شديد من حياة إلى حياة ، وخرجنا بها من الانعكاسات السفلى ، هذه الذات التى اعتقد العالم النفسى الممتاز يونج C. G. Jung أنه قد اكتشفها أخيراً وأطلق عليها وصف الإنسان السماوى L' homme Celeste »[1] .

عن العقل من ناحية صلته بالزمان والمكان

وعلى هذا الوضع الذى أسلفناه يبدو لنا أن العقل الواعى أقرب إلى أن يمثل حاضرنا ، والعقل الأسفل يمثل ماضينا ، والعقل الأسمى يمثل مستقبلنا ، وذلك عندما نريد أن نربط بين مفاهيم هذه العقول الثلاثة ، ومفاهيم الزمن بحسب حكم الحواس الحاضرة على هذه المفاهيم : —

— ففى العقل الواعى تقع ذكرياتنا القريبة ، وملكاتنا التى نستخدمها فى حياتنا الحاضرة عن طريق جهاز التفـكير الحاضر ، وهو المخ .

— وفى العقل الأسفل مخزن ذكرياتنا السحيقة ومخاوفنا واختباراتنا البعيدة التى انزلقت إليه عن طريق العقل الواعى فى جميع عصوره الماضية . أو بالأدق إن العقل الأسفل هو مخزن العناصر المفيدة المتبقية من هذه الذكريات والاختبارات ، والتى أمكنها أن تقبع فيه هادئة صامدة على مر الزمن وعلى

(١) عن كتاب التداخلات الفوق الطبيعية Les Interventions Surnaturelles طبعة ١٩٣٩ ص ٥٩ — ٦٤ . وراجع ما سبق عن بعض آراء يونج فى ص ٦٣٤ — ٦٣٦ وبخاصة عن آرائه فى وجود الجسد الأثيرى الذى يمثل الإنسان السماوى الـكائن فى كل بشر .

عوامل التطور . بل هى فى الواقع تمثل فى هذا العقل أهم عناصر هذا الصمود ، وهى فى نفس الوقت من عناصر نمو هذا العقل وتطوره .

— وأما العقل الأسمى فهو يمثل إمكانيات تفكيرنا المستقبلة المؤسسة على تجارب ماضينا واختبارات حاضرنا مجتمعة معاً . فهو بمثابة الخطوط الباهتة التى يرسمها الرسام قبل أن يصنع لوحته . وهذا العقل الأسمى يمثل محور شخصيتنا الحقيقية ، وهو الخيط الدقيق القوى الذى يشد إرادتنا شداً إلى مستوى أسمى من مستواها الحالى والماضى .

ومن مجموع العقول الثلاثة : الواعى ، والأسفل ، والأسمى — ومع مراعاة أن العقل الأسمى كالعقل الأسفل عقل باطن أى غير واعٍ بدوره — تتكون عقولنا أو ذواتنا الحقة التى فى تتحكم تصرفاتنا ، والتى تقود خطى تطورنا فى حياتنا . وقد عنى علم النفس فى أولى مراحله بعقلنا الواعى ، ولكنه انتقل منذ زمن قريب إلى دراسة العقل الأسفل ، وها هو ينتقل حديثاً عن طريق علم الروح إلى دراسة العقل الأسمى بما يستحقه من عناية قصوى . فهذا العقل الأسمى يعود لعلم الروح الحديث فضل اكتشافه والعناية به ، لأنه المشعل الذى يضىء طريق الروح فى تجسدها وخارج تجسدها والذى يعبر عن احتياجاتها الحقيقية أكثر مما يعبر عن احتياجات الجسد المادى .

العقل الباطن والأحلام

وهذا العقل الباطن بعنصريه الأسمى والأسفل هو سيد الموقف فى يقظتنا وفى أحلامنا أيضاً ، وهو يملك قدرة على الإحساس مستقلة تماماً عن الحواس المادية . بدليل أننا فى أحلامنا نرى ونسمع ونلمس ونتذوق ونشم عن غير طريق أدوات النظر والسمع واللمس والذوق والشم المعروفة ، وتبدو لنا هذه الأمور حقيقية لا شك فيها طالما كنا نائمين حالمين . وقد يرى الأعمى فى أحلامه ما لا يراه المبصر فى يقظته ، ويسمع الأصم ما يعجز عن سماعه غير الأصم ... فمن أين

تجىء أثناء النوم هذه القدرة الفذة على الإحساس عن غير طريق الحواس إن لم يكن عن طريق العقل الباطن وحده ؟ !

وفى النوم تظهر قدرة العقل الباطن على الخلق والإبداع ، فإذا به يصنع فى أحلامه أشخاصاً، وصوراً ، ومنازل ، وطرقاً ، ومدناً ... ويبدو له ذلك حقيقياً ملموساً محسوساً مثلما تبدو له مشاهد اليقظة فى اليقظة . كما تظهر قدرة العقل الباطن على اقتحام نطاق المكان والزمان، فإذا به يطلع أحياناً على أمور صحيحة ماضية أو حاضرة حقيقية كتلك التى قد يراها النوم تنويماً مغناطيسياً ، بل قد يطلع على حدث مستقبل قد يتحقق بصورة أو بأخرى، وبعد فترة أو أخرى من انتهاء الرؤية النومية . أو قد يأتى النوم بحل رائع لمشكلة عويصة عجز العقل الواعى عن حلها أثناء اليقظة ، أى عجز العقل عن حلها عن طريق المخ ، ولم يعجز عن هذا الحل خارج إطار المخ .

فالعقل إذا هو مصدر الإحساس ، لا الحواس المادية ، وهو مصدر التفكير لا جهازه المادى وهو المخ . وهو قادر على استخدام كل ملكاته الفطرية والمكتسبة بصرف النظر عن خمول وسائله المادية ، وعن أنها فى أثناء النوم قد تكون ساكنة لا تعمل ، ومستقلة كل الاستقلال عن العقل فى نشاطه الذى لا يتوقف فى نوم المخ ولا فى يقظته .

وفى أثناء النوم بسبب تحرر العقل — ولو جزئياً — من الارتباط بالمخ وهو محكوم أبداً بقيود الزمان والمكان — قد يرتفع اهتزازه فيقدر على ارتياد أماكن حقيقية ، ويرى مشاهد صحيحة من عالم المادة أو من عالم الروح[١] . ولو أن هذا نادر عملا، وكثيراً ما يختلط بالأحلام العادية. كما أن النوم قد يكون

(١) راجع فى هذا الموضوع كتاباً للأستاذ د . سترتفيلد D. Streatfeild عنوانه : « دراسة لعالمين » (١٩٠٩) .

A. Study Of Two Worlds. Persephone.

فى صور نادرة عبارة عن غيبوبة حقيقية تؤدى للاتصال بروح معينة قد تعطى معلومات مجهولة من النائم تثبت فيما بعد صحتها بوسائل التحقيق العادية، مما تنتفى معه شبهة الرغبات المكبوتة ، أو قدرة العقل الباطن — بعنصرية الأسفل والأسمى — على الخلق والإبداع .

والوقائع فى هذا الصدد كثيرة يضيق عن سرد بعضها المقام الحالى ، وإنما نكتفى هنا — كنموذج — بواقعة واحدة لها قيمة تاريخية خاصة ، وقد أوردها الدكتور حسن عثمان فى ترجمته «للكوميديا الإلهية» للشاعر الإيطالى اليجيرى دانتى A, Dante، وفيها يقرر «أن ناشر هذه الكوميديا بوكاتشو قال إن الفردوس ظل عدة شهور بعد موت دانتى تنقصه الأناشيد الثلاثة العشر الأخيرة ، وقد بحث عنها أولاده بغير جدوى ... وبعد عدة شهور ظهر الشاعر فى الحلم لابنه جاكوبو ، وأخبره بمكان القصائد الناقصة فى حائط بمنزل جاردينو حيث مات دانتى ، وهناك أمكن العثور عليها ، وبذلك تمت الكوميديا[(٢)] » .

* * *

وأيا كان الرأى الصائب ، فإن هناك بالأقل حقيقة علمية قد ثبتت تماما الآن . وهى أن المخ ليس هو على أية حال سـيد الموقف فى حياة الإنسان فى اليقظة أو المنام، وبالتالى فى رسم خطوط تطوره ومصيره ، وهذه الحقيقة لا يكاد ينازع فيها أحد من علماء النفس المعاصرين الذين يصـدق عليهم حقيقة وصف علماء .

وهذه الحقيقة قد ثبتت بعد تجارب متواصلة لمدى قرن تقريبا بالأقل فى موضوع الإدراك عن غير طريق الحواس E. S. P. تمت بواسطة هيئات علمية عنيت بهذا الموضوع جليل عناية ، لما أظهرته البحوث التجريبية من أن هذا الموضوع — ولا شىء غيره — يكاد يمثل أهم مفتاح للوصول إلى تحديد على

(١) عن الترجمة العربية « للجحيم » ص ٣٣ .

صحيح لطبيعة العلاقة بين العقل والمخ ، وبالتالى بين الإحساس فى ذاته كحقيقة نفسية وبين أدوات الإحساس الظاهرة فى الجسد المادى ، ومن ورائها أدوات الإحساس غير الظاهرة الكائنة فى الهالة المحيطة بالجسد الأثيرى حامل العقل ، بل حامل شعلة الحياة أيضا ، ومعها عناصر نموها وتطورها .

وهذا كله يجرنا إلى الكلام فى خاصية خطيرة من خصائص العقل لا المخ ، وهى قدرة العقل على التأثير فى المادة Psycho Kinesis ، وبالتالى قدرته على التأثير فى مادة المخ بصفة مبدئية ، ثم بعد ذلك فى سائر مظاهر الوجود المادى التى تحيط به ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، وبدرجة تتفاوت حتماً فى مدى قوتها ووضوحها بحسب الأحوال ، وهو ما سنخصص له الفصل المقبل ، كيما ننتقل بعدئذ إلى خاصية أخرى — لا تقل عنها أهمية — من خصائص العقل وهى قدرته على تلقى الإرشاد والإلهام من مستوى غير مادى .

وهذه الأخيرة ملكة يمكن أن تنتمى إلى طائفة قدرات الإدراك عن غير طريق الإحساس .E. S. P ولكنها أعمق منها وأبعد أثراً بكثير ، لأنها تمثل ملكة تلقى هذا الإلهام من مستوى غير مادى للحياة ، وهذه هى قدرة بعض وسطاء الإلهام والجلاء السمعى التى سنخصص لها الفصلين الحادى العشر والثانى عشر من الباب الحالى ، والتى يظهر أنها لا تنتمى فيهم إلى العقل الواعى بقدر ما تنتمى إلى العقل الأسمى ، الذى هو أحد عنصرى العقل الباطن أو اللاشعور ، وربما تنتمى إلى عقل الإنسان متكاملا بعناصره الثلاثة ـ الواعى والأسفل والأسمى ـ عندما تعمل متضافرة معاً فى سبيل إنجاح رسالة من أروع رسالات العقل عندما يكون مقيداً بأغلال الارتباط بجسد مادى ، وهى رسالة العمل كجهاز استقبال من مستوى غير مادى من مستويات الوجود غير المحدد .

فإلى الكلام فى تأثير العقل المباشر فى المادة أولا ، وهو موضوع الفصل المقبل :

الفصل العاشر
فى تأثير العقل المباشر فى المادة

تمهيد وتبويب

تأثير العقل المباشر فى المادة عقيدة قديمة قال بها بعض فلاسفة الإغريق كأمر ملازم للاعتقاد بوجود الروح، وبخلودها فى عالم تخضع فيه المادة خضوعاً مباشراً للعقل . وبعض المعجزات الواردة فى الكتب السماوية لا يمكن تفسيره إلا بأنه يتضمن تطبيقات صريحة ومحددة لتأثير مباشر من عقل النبى أو الرسول فى المادة . بل إن هذا التأثير هو الذى يوضح كيف يمكن أن يكون خلق هذا الكون كله والمحافظة عليه بتأثير مباشر من العقل الأعظم ، هو الذى خلق المادة بمجرد الإرادة ، وخلق معها ما هو أعظم منها بكثير وهو الحياة ذاتها ،وهو الذى يهيمن عليهما بالعقل وبالإرادة .

وهذا التأثير الذى كان فيما مضى عبارة عن محض عقيدة فلسفية ودينية أصبح الآن حقيقة علمية بفضل دراسات تمت فى نطاق علم الروح الحديث ، وخارج نطاقه أى فى نطاق المادة الصرف . إذ تبين أن طبيعة المادة الصلبة فى النهاية ليست سوى أثير فى رتبة اهتزاز معينة ، وهذا الاهتزاز بحاجة إلى مصدر دائم له هو العقل ، لذا قال الشاعر فيرجيل منذ القدم إن العقل هو باعث المادة Mens agitat molem ، فالعقل فى النهاية ينبغى أن يعد مصدراً للمادة،ولا تعد المادة مصدراً للعقل .

وهذا الموضوع الدقيق — موضوع تأثير العقل فى المادة الصلبة تأثيراً مباشراً [1] — له وثيق صلة بموضوع الظواهر الوساطية الفيزيقية ، التى تصبح

---

(١) يطلق أحيانا على هذا التأثير بالانكليزية تعبير Telekinesis ،وهو ينصرف أيضا — عند إرادة التخصيص — إلى ظاهرة تحريك الأجسام الصلبة بدون ملامسة مادية. كما يطلق وصف آخر وهو Psycho - Kinesis بوصفه مرادفاً للوصف الأول،ولو أن هذا الوصف الأخير أدنى إلى أن يشير إلى تأثير الروح — لا العقل — فى المادة. ولكن بما أنه لا يمكن فصل الروح عن العقل ، فإن غالبية البحوث تستخدم أيا من التعبيرين محل الآخر ، خصوصا وأنه من الجائز إطلاق الأمر العام على الخاص أو العكس . وتعبير Psycho-Kinesis أوسع — على أية حال — من تعبير Telekinesis.

غير مفهومة ولا مقبولة بغير محاولة تفهم هذا التأثير ابتداء . وفى نفس الوقت قد ألقت دراسة هذه الظواهر منذ منتصف القرن الماضى حتى الآن بعض أضواء جديدة على صحة هذا التأثير ، وعلى بعض أبعاده ، فلم يعد هـذا التأثير مجرد عقيدة فلسفية ، أو حتى مجرد نظرية رياضية بقدر ما أصبح حقيقة معملية يمكن أن تخضع للحواس العادية ، وللتحقيق التجريبى المتصـــل ببحث أخطر الحقائق الكونية . وفيما يلى سنتناول هذا الموضوع الهام فى مبحثين ، نعالج فى أولهما موقف الفلسفة والعلم منه ، ونعالج فى ثانيهما صلة هذا الموضوع بتعليل بعض الظواهر الوساطية الفيزيقية .

المبحث الأول

موقف الفلسفة والعلم من تأثير العقل المباشر فى المادة

عالج موضوع تأثير العقل فى المادة تأثيراً مباشراً عدد كبير من الفلاسفة والعلماء ، ومن أفضلهم الفيلسوف الإرلندى فيما وراء الطبيعة الأسقف جورج بيركلى Berkelev عندما قرر « أن العالم المادى ليس سوى عالم مظهرى Phenomenal وليس لمادته صفة الدوام ، كما أنه ليس له طاقة خاصة به ، وأنه ليس من شىء حقيقى سوى الروح، وأنه ليس للكائن الجسدى من مزية سوى أنه خاضع للحواس » . كما قرر أن كل ما يلحق بنا من تغييرات محسوسة لا يأتى منا ، بل ينبعث من الروح الأعظم ، وأن ظواهر الطبيعة ليست سوى أسلوب يخاطبنا به الإله تعالى ويهيمن به على إرادتنا . فالنتائج هى موضوع العلوم الطبيعية ، أما الأسباب فهى موضوع الثيوصوفية . وأن العالم المادى لن يكون له وجود بعيداً عن عقل يسجل وجوده » .

كما يقول هذا الفيلسوف فى نفس هـذا الاتجاه أيضاً « إن السماء

والأرض وما بينهما وما تنطويان عليه، وفى كلمة واحدة ، إن جميع هذه الأجسام التى تكون هيكل العالم المادى لا وجود لها دون عقل ، وأن وجودها قائم فى إدراكها أو معرفتها» . وأنه «لا وجود للعلل بالمعنى الصحيح إلا للعلل الروحية، إذ ليس ثمة فاعلية حقة إلا للروح » .

وفى كلمة كان بيركلى يعتقد أن « المادة لا وجود لها خارج العقل ، وأن وجودها قائم فى إدراكها ، وأنها تتكشف لنا بكل ما فيها أثناء عملية الإدراك » . ومع ذلك يقرر أن هذه الأشياء موضوع الإدراك لا يمكن أن تكون متوهمة أبدا ، ذلك لأنها قائمة فى العقل الإلهى بشكل دائم ، وهى تستمد حقيقتها الدائمة من هذا الوجود المستمر فى العقل اللامتناهى » . وبالتالى فإن من رأيه أن ظواهر الطبيعة ليست إلا مجموعة من الرموز والعلامات التى يوحى ظهورها بوجود ظواهر أخرى ، وهذا الإيحاء لا يتم إلا عن طريق الله تعالى ، فالله يتحدث إلينا فى كل لحظة عن طريق الطبيعة ، ويعلن عن وجوده كلما بدرت منا التفاتة إلى أية ظاهرة من ظواهر الكون ، ولكن لكثرة ما يتحدث الله إلينا نعتقد أنه غير موجود » . .

فالله عند بيركلى هو « العلة الحقيقية فى الإدراك ، وهو الذى يتولى عرض الصور على العقل البشرى، وهو الذى يحفظ للأشياء وجودها الواقعى. وهو فوق هذا كله دائم الحديث إلى العقل الإنسانى عن طريق الرموز التى يعرضها عليه من خلال الصور الحسية ، وعلى العقل البشرى أن يرهف السمع إلى حديث الله ، وعليه أن يوالى قراءة فكر الله فى الطبيعة ليطلع على آياته ... »[1] .

---

(١) عن كتاب « باركلى » للدكتور يحى هويدى . راجع بوجه خاص ص ٤٥ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ٩٣ ، ١١٤ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٤ .

بل لقد اكتشف بيركلى الأثير قبل أن يكتشفه علماء الفيزياء، وراح قبل أن ينتصف القرن الثامن عشر يقرر « أن الهواء ينقسم إلى قسمين : أحدهما أكثر ثقلاً وغلظاً من الآخر ، وهو الذى ينبعث من جميع الأجسام الواقعة على الكتلة الأرضية ، أما الآخر فهو روح لطيف دقيق ، وعن طريقه يرتفع الجزء الأول ويتحرك ويطير ويصبح ليناً مرناً . وهذا الجزء من الهواء الخفيف وتلك الروح الدقيقة الطيارة المرنة هى الأثير . وراح يمجد من شأن هذا الأثير، ويعلى من هذه الحرارة الأثيرية الشائعة فى أرجاء الكون حتى أضاف إليها شيئاً من الفاعلية وأطلق عليها اسم العلة الأداتية The instrumental Cause »[1] .

موقف العلم الحديث من هذا الموضوع

ومراجع العلم الحديث متجهة الآن إلى أن الكون مكون كله من مادة واحدة، هى الأثير فى درجات اهتزاز مختلفة تعطى خصائص جميع المواد الصلبة والسائلة والغازية والمشعة ، أى جميع العناصر المعروفة ، وقد أربى عددها على المائة ، فضلا عن العناصر غير المعروفة . وذلك يتفق تماماً مع ماتذهب إليه الفيزياء الحديثة أيضاً من نظريات — تلتقى كلها عند هذا المعنى وهو أن صلابة المادة قد تحطمت منذ اكتشاف نواة الذرة — ثم منذ تحطيم الذرة — وأصبحت عبارة عن أثير له درجات اهتزاز مختلفة تهتز بتأثير من قدرة عاقلة تعلو عن مستوى إدراكنا . وكان ذلك بفضل بحوث علماء كبار مثل أينشتين ، وهوايتهيد، وإدنجتون، وجينز ، ورسل ، وكومبتون .

وهذا هو أيضاً نفس ما ذهب إليه سير أوليفرلودج ، وكذلك بيير كورى ، وجوليو كورى — وقد كان الأخير مديراً للمركز الوطنى للبحوث العلمية فى فرنسا — من أن المادة واحدة تستعملها الروح .

---

(١) عن المرجع السابق ص ٧٣ .

ولذا فلا غرابة أن نجد أن أفضل علماء المادة فى العصر الحالى هم أقواهم اقتناعاً بوجود عقل أعظم وراء المادة وظواهر الحياة بوجه عام . كما نجدهم لا يترددون فى إعلان إيمانهم الثابت بوجود عالم غير منظور محكوم بنفس هذا العقل الأعظم تسكن فيه الأرواح ، كما تسكن الأجساد المادية فى مستواها المادى .

من ذلك نجد مثلا سير آرثر ستانلى إدنجتون A. S. Eddington (١٨٨٣ — ١٩٤٤) يؤكد فى مؤلفه عن «السبل الجديدة فى العلم»[١] وجود عالم الروح ، وبأن الكون كله « محكوم بقوة روحية » . « وأن العالم الفيزيقى يصبح محض افتراض مالم يتصل به وعى ، وأن العقل لن ينظر إليه بعد الآن باعتباره مجرد نتاج جانبى تطور عن طريق المادة » . كما قرر فى محاضرة له عن « العلم والعالم غير المنظور » أنه «لابد أن تعود روح الإنسان إلى العالم غير المنظور لأنها تخصه» وصور إدنجتون الكون كله فى صورة فكرة منبعثة عن العقل الأعظم .

كما قرر سير جيمس جينز James Jeans (١٨٨٧ — ١٩٤٦) ، فى مؤلفه عن « الفيزياء والفلسفة »[٢] ، بأن «وراء الكون عقلا مدبراً حكيماً هو العقل الأعظم . وأن هذا العالم المادى بالنسبة لحواسنا هو عالم بالفكر المطلق » . وفى مؤلفه عن « الكون الخفى »[٣] يقرر أيضاً « أن كل هذه الأجسام التى تكون الإطار الرهيب للكون ليس لها أى كيان بغير العقل » . كما يقول الفيلسوف الرياضى المعاصر برتراند آرثر رسل B. A. W. Russell (ولد فى سنة ١٨٧١) إن « المادة ماهى إلا صيغة رياضية معقدة لحوادث تجرى فى الفضاء المطلق »[٤] .

---

(١) New Pathuways in Science.

(٢) Physics and Philosophy .

(٣) The Mysterious Universe .

(٤) ولنا عودة إلى بعض آراء أينشتين وكومبتون ورسل فى الجزء الثانى لأنها وثيقة الصلة بموضوعاته .

بحوث بعض علماء الروحية الحديثة

ولقدكانت كشوف الفيزياء الحديثة هي التي دفعت عالماً في الروح مثل جيمس آرثر فنـدلاى James Arthur Findlay مدير « المعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن إلى أن يربط فى مؤلفاته الروحية بينها وبين معلومات الأرواح عن عالم الروح ، وإلى أن يقول فى أحدها : « وعلى ذلك يكون منطقياً قولك إنه لا مادة حيث لا عقل ، وإن الـكون يمكن أن يختزل إلى شيء واحد هو الذى نسميه العقل . ولـكن هل نستطيع أن نتصور العقل بدون شيء يؤثر فيه هذا العقل ؟ إنما نحن نقدر وجود العقل وهو يؤثر فى المادة ، فالعقل والمادة لا بد وأن يكونا متلازمين على الرغم من تباينهما — إذ أن أحدهما إيجابى والآخر سلبى. وعلى ذلك فالاسم الذى أطلقناه على الشيء الذى يتـكون منه الـكون كله وهو المادة ، لا بد وأن يتضمن هاتين الحالتين الإيجابية والسلبية ويجب أن يكون مزدوجاً فى طبيعته ، إذ أن الواحد لا يمكن تصوره بدون الآخر »[1] .

ولذا فإن من ضمن وجوه البحث الرئيسية التى تقوم بها الهيئات العلمية المعنية ببحث موضوع الروح بحث مدى تأثـير العقل تأثيراً مباشراً فى المادة . وقد ثبت هـذا التأثير بطرق شتى وتحت صور مختلفة موضحة بأعمال هذه الهيئات ، والتى يضيق عنها موضوع المؤلف الحالى، الذى خصصناه لعرض الجوانب العامة فحسب عن علم الروح الحديث .

وتـكفى الإشارة هنا إلى أن الأستاذ ج . ب راين J. B. Rhine عالم النفس المعاصر أثبت هو أيضاً فى بحوثه بجـامعة ديوك بالولايات المتحدة الأمريكية هذا التأثير وأجمل نتائجها فى مؤلفه عن « الوصول إلى العقل The Reach Of The Mind » (أو امتداد أثره) . وقد ورد فيه ما معناه

---

(١) «على حافة العالم الأثيرى» عن الترجمة العربية، للأستاذ أحمد فهمى أبى الخير طبعة ٣ ص ٨

أن القوى العقلية يمكنها أن تؤثر فى المادة تأثيراً عملياً ، وأن هذا التأثير العقلى فى المادة لا ينشأ عن قوة فيزيقية .

كما بين راين كيف أن ظاهرة تأثير العقل فى المادة متصلة وثيق الصلة بظاهرة الإدراك عن غير طريق الحـواس Extra-Sensory Perception وأن الظاهرتين تتحدان عملياً ومنطقياً : فعندما يجىء تفاعل للعقل مع المادة عن طريق الحس العــادى يوصف بأنه إدراك عن غير طريق الحواس . أما عندما ينتج هذا التفاعل تغييراً حركياً فيما حوله من مادة بغير واسطة فيزيقية ، فإنه يوصف بأنه حركة عقلية Psycho-Kinesis .

ومما قاله الأستاذ راين عن نتائج بحوثه فى جامعة ديوك فى هذا الشأن « وإذن فللعقل قوة تستطيع التأثير فى المادة ، ومهما كانت الطاقة المحركة وأياً كان نشاطها فإنها تعمل للمادة شيئاً يمكن قياسه إحصائياً . وهى تحدث نتائج فى البيئة المادية لا يمكن تعليلها بأى عامل أو نوع من الطاقة معروف لعلم الطبيعة . وعلى أية حال فلا بد أن نفترض وجود الطاقة ... وإن سجلات الطاقة المحركة تظهر أن زهر النرد « الطاولة » وهو ينحدر كانت تعمل فيه قوة فوق تلك القوى التى كانت تقذف به . وإذن فلا بد من وجود طاقة يمكن تحويلها إلى نشاط مادى ، وهذه الطاقة هى الطاقة العقلية ، وهذه هى المرحلة الخامسة الـكبرى فى طريقنا إلى الهدف ، وهو حل مشكلة العلاقة بين الإنسان والعالم المادى ، إذ كانت أعمال قسم الباراسيكولوجى فى الجامعة مقسمة إلى عدة مراحل شاقة قبل الوصول إلى هذه النتيجة الخطيرة) .

ثم يقول عن تسلسل هذه المراحل : « كانت الأولى فى الخطوات هى النتيجة التى وصلنا إليها من أن العقول يمكن أن تتفاعل مع بعضها بدون تدخل أو وساطة مادية ، وكانت الثانية هى الإدراك خارج الحواس للأشياء . ومنها ظهر أن العقل يمكن أن يدخل فى علاقة إدراكية عاملة بدون تدخل ما يعرف

بالوسائل الحسية الحركية المعروفة . وكانت ثالثة الخطى هو ما وجد من أن هذه القدرة تستطيع أن تتخطى حواجز المكان ، وكذلك حواجز الزمان ، وهذه هى الخطوة الرابعة . وفى هذه الخطوة الخامسة يقوم الجهاز العقلى الخارج عن نطاق المادة بالرجوع إلى الأشياء المادية محدثاً فيها أثراً صغيراً ، ولكنه شاذ وله مغزى فى تأثيره فى الزهر المتدحرج بقوة كافية لأن تغير من وجهته بدرجة لا يمكن اكتشافها إلا بالطريقة الإحصائية الدقيقة ولكن يمكن الوثوق فيها لأنها تسمح بتجمع الأدلة القاطعة عن طريق باحثين مستقلين ... » (١) .

ثم يقرر بعدئذ « ولم يعد هناك شك فى أن الطاقة المحركة P.K ليست مادية . فليست هناك تجربة واحدة تعزز الرأى المادى ، بل هناك أدلة كثيرة تدحضه . والأدلة التى تثبت أن الطاقة المحركة لا تخضع للقوانين الآلية متنوعة الشكل مختلفة التناسق، وأن خروج هذه الطاقة على هذه القوانين المادية الآلية ليس هو خروجاً سطحياً بل هو يمس الصميم لأن العلاقات المدية التى امتحنت فى هذه التجارب هى الأسس لعلم الميكانيكا ، فاكتشاف الحقيقة وهى أنه لا الكتلة ولا العدد ولا الشكل لها فاعلية فى اختبارات هذه الطاقة يجعلها تأخذ مكانها بجانب اكتشاف أنه لا الزمان ولا المكان لهما فاعلية على الإدراك خارج الحواس E·S·P ... » (٢) .

ثم يقول « ونستطيع القول بأن اكتشاف الطاقة المحركة P.K كشىء غير مادى يمثل الخطوة السادسة فى طريقنا إلى فهم طبيعة الإنسان الحقيقية فى الوجود ، وهذا الاكتشاف يتواءم بشكل لطيف مع الخطوات السابقة . فإن هذه الطاقة تكمل الإدراك بالجلاء البصرى ...» (٣) .

(١) عن الترجمة العربية تحت عنوان «العقل وسطوته» للدكتور محمد الحلوجى ص ١٢٠ ، ١٢١ . وقد عبر المترجم عن تأثير العقل فى المادة الذى يرمز إليه المؤلف بحرفى P. K. (وهما اختزال Psycho-Kinesis) بتعبير الطاقة النفسية المحركة ، وأدق منه تعبير الطاقة الروحية المحركة ، لأن Psycho تشير فى هذا الميدان إلى الروح لا إلى النفس .

(٢) السابق المرجع ص ١٣١ ، ١٣٤ . (٣) المرجع السابق ص ١٣٥ .

ويقول أيضاً « وليست الطاقة الروحية التى لا بد من استنتاج وجودها لتفسير نتائج أبحاث الإدراك خارج الحواس والطاقة المحركة هى اختصاص غريب شاذ منعزل ، بل يجب الاعتراف بأنهـــا جزء حقيقى واقعى من الكيان الإنسانى المتكامل ... (١) .

ثم يقول عن تأثير هذا الموضوع فى مشكلة بقاء الإنسان بعد موت الجسد « وهناك صلة أخرى هامة بين الإدراك خارج الحواس E. S. P والطاقة المحركة P. K والحياة بعد الموت . فإن لم تكن هذه القدرات فى بنى البشر لكان من الصعب تصور إمكان البقاء بعد الموت ، وبالتأكيد كان يستحيل اكتشافه ، فهو على علاته ظهور لنشاط غير مادى للعقل . والإدراك الوحيد الممكن فى حالة فناء الجسد هو الخارج عن الحواس ، كما أن الطاقة المحركة ستكون هى الطريقة الوحيدة للتأثير فى أى جزء من العالم المادى . وحتى لكى يتصل عقل الإنسان بعقل حى فلا بد من احتمال تدخل هذه الطاقة المحركة . والتليباثى أو انتقال الأفكار تبدو أنها الطريقة الوحيدة للاتصال بين الأموات والأحياء أو بين بعضهم بعضاً .. » (٢) .

ثم يقول عن البحث الروحى الصرف لتحقيق مشكلة إثبات البقاء بعد موت الجسد المادى « إن فى إمكاننا أن نعمل الكثير لتبسيط وضبط الدراسات التجريبية للوساطة الروحيـــة ، وهذه الدراسة المبدئية للطرق يمكن أن تبدأ دون إبطاء فى التخطيط القادم لرقعة الإدراك خارج الحـــــواس ، والطاقة المحركة . وأحسن خطة لمشكلة البقاء تتطلب الحملة عليها من عدة نواح . والمستكشفون لهذا الميدان يجب أن تكون لديهم الحرية فى العثور على أية ظاهرة تتصل بالبحث فى أى مكان كانت ... وعلينا بالطبع أن نجمع التقارير

---

(١) عن المرجع السابق ص ١٧٥ .

(٢) عن المرجع السابق ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

من كل نوع عن هذه التجارب، وأن نكون متيقظين لكل فذ عديم النظير منها، خصوصاً تلك التى توحى بصفة خاصة إلى أعمال شخصيات فنيت أجسادها ... »[١].

وهذا الكلام كتبه راين حوالى سنة ١٩٤٠، ويلاحظ فيه مدى التحفظ والاحتياط، وهو مما يضاعف قيمة شهادته فيما بعد فى سنة ١٩٥٠ لثبوت الحياة بعد فناء الأجساد المادية وللاتصال بأرواح من نسميهم خطأ بالموتى. بناء على تجارب جامعة ديوك حتى هذا التاريخ الأخير، عندما أخذ يحاضر فى الجامعات الأمريكية والبريطانية، وفى الإذاعة البريطانية، عن ثبوت هذا الاتصال بأرواح « الموتى » تجريبياً على ما بيناه فى مناسبة سابقة[٢].

بحوث أخرى فى تأثير العقل فى المادة

وقد أجرى علماء كثيرون بحوثاً عميقة لتحقيق هذه الظاهرة الهامة، وهى ظاهرة مدى تأثير العقل المباشر فى المادة، ومنها بوجه خاص البحوث التى جرت فى عدة بلاد على الوسيطة الأسبانية أسابيا بلادينو التى تحدثنا عنها فيما سبق[٣]. وعلى غيرها من الوسطاء مثل جاك وبر[٤]، ودانيل دانجلاس هوم[٥]، ومنها أيضاً بحوث الدكتور شرنك نون نوترنج على الوسيطة ستانيسلافا Stanislawa التى شرحها فى مؤلفه عن « الظواهر الفيزيقية للوساطة »[٦].

وقد خضعت نفس الوسيطة لبحوث « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس أيضاً، وقد سجلت الصور القاطعة لكل شك ارتفاع عدة أجسام صلبة فى حضورها بدون أية ملامسة لها، ومنها ارتفاع مقص، وارتفاع مغناطيس ثقيل، وعلبة ثقاب، كما يتضح من الصور الآتية : —

(١) عن المرجع السابق ص ٢٥٠ .
(٢) راجع ما سبق فى ص ٢٩٧ — ٣٠٢ .
(٣) راجع ما سبق فى ص ٢٠٥ وما بعدها .
(٤) راجع ما سبق ص ٢١٦ ، ٢١٧ .
(٥) راجع ما سبق فى ص ٤٥٩ .
(٦) Les Phenoménes Physiques De La Mediumnité.



مقص يرتفع فى الهواء بدون وسيلة مادية فى حضور الوسيطة ستانيسلافا Stanislawa داخل « المعهد الدولى لما وراء الروح » فى حضور الدكتور أوكورويز الأستاذ بجامعة ليمبرج Lemberg





مغناطيس وعلبة ثقاب يرتفعان فى الهواء بنفس الطريقة

وهذه الحقائق تتحدى تماماً قانون الجاذبية ، وهو أخطر القوانين التى عرفها العلم عن المادة الصلبة ، وأقواها تأثيراً فى سير ركب الحياة المادية . ولا يتجاوزه فى الخطورة إلا تبعية جاذبية المادة للعقل أو خضوعها لتأثيره بصورة أو بأخرى، وهو أخطر القوانين تأثيراً فى سير ركب الحياة غير المادية . وهكذا ثبت علمياً الآن إمكان خضوع العقل لعقل آخر ، عن طريق الإيحاء والتلباثى وما فى حكمهما ، وخضوع المادة للمادة عن طريق قانون الجاذبية ، وخضوع المادة للعقل أيضاً عن طريق تأثيره المباشر فيها بصورة أو بأخرى .

تأثير العقل فى الصحة والمرض

وأقوى مظاهر تأثير العقل البشرى فى المادة — فى المستوى الأرضى — هو فى تأثير العقل إلى حد ما فى شكل الإنسان وملامحه العامة التى قد تدل على اتجاهاته وملكاته وأخلاقه ، وهو ما يعترف به تماماً علم الإنسان ، ومن ذلك أيضاً تأثير العقل فى وظائف الأعضاء إلى الحد الذى قد يكون له تأثير ملموس فى الصحة أو المرض ، وقد درس علماء متعددون هذا التأثير المباشر للعقل فى وظائف الأعضاء . منهم الجنائى الإيطالى سيزارلومبروزو Cesar Lombroso عندما اكتشف التغييرات الفسيولوجية التى قد يحدثها العقل فى تجاربه على الوسيطة الأسبانية أسابيا بلادينو Eusapia Paladino .

كما أثبت الطبيب الألمانى أنطون مسمر Anton Mesmer — مؤسس علم التنويم المغناطيسى فى شكله الحديث — تأثير التنويم المغناطيسى فى شفاء بعض الأمراض العضوية منذ سنة ١٧٧٥ وهو ما سلم به أيضاً الطبيب الفرنسى الكبير شاركو Charcot الأمر الذى دعاه إلى تأسيس مدرسة سالبتريير Salepetrierre بباريس فى سنة ١٨٧٨ للعلاج الإيحائى مقتفياً خطوات مدرسة نانسى Nancy

الأولى فى التنويم المغناطيسى. وعن طريق الاستماع إلى شاركو ومشاهدة تجاربه فى التنويم والإيحاء عرف سيجموند فرويد التنويم وخطورته، فلما عاد إلى فيينا بدأ يستخدمه فى علاج مرضاه .

ومن مجموع البحوث التى جرت فى هذا الميدان ظهر طب العلاج النفسى للأمراض العضوية Psycho therapeutics ، وهو علم معترف بجدواه وأقرت الجمعية البريطانية صحته بإجماع الآراء فى تقرير يرجع إلى عام ١٨٩٢ . وهو الأمر الذى تكفلت ببحثه وبإثباته جهات البحث العلمى فى الروح بالإضافة إلى جهات البحث العلمى فى التنويم المغناطيسى. وأجمعت عليه بغير عناء هذه المدارس وتلك معاً، حتى لقد أصبح من المعروف الآن أن العقل الباطن للإنسان هو الذى يهيمن على وظائف الجسم الحيوية ، كالدورة الدموية والتنفس ، ودقات القلب ، ونمو الخلايا ، وإفرازات الغدد ، والهضم ...

والظواهر الوساطية تكاد تكون كلها غير مفهومة ولا ممكنة بغير التسليم ابتداء بإمكان استقلال الوعى عن الجسد المادى بالنسبة للزمان أو المكان أو بالنسبة لهما معاً ، وهو الأمر الذى ثبت منذ عرف التنويم المغناطيسى فى العصر الحديث ، ثم بالتسليم بوجود تأثير مباشر للعقل فى المادة يشير بدأته إلى قوة العقل وإلى تفوقه على المادة ، لذا كان العقل هو الذى يوجه المخ ويهيمن عليه لا العكس [1].

المبحث الثانى

صلة تأثير العقل فى المادة

بتعليل بعض الظواهر الوساطية الفيزيقية

لا ريب أن كل ظاهرة من ظواهر هذا الوجود تتضمن بالصرورة عنصراً عقلياً ، فالحياة لا تعرف التخبط ولا العبث. وهذا القول كما يصدق على الظواهر

(١) راجع ما سبق عن هذا الموضوع فى الفصل السابق .

الوساطية العقلية يصدق بنفس المقدار على الظواهر الفيزيقية، إلا أن هذه الأخيرة تتضمن فى جملتها تطبيقات معملية محددة لتأثير العقل المباشر فى المادة الصلبة تأثيراً يمكن أن يخضع للتحقيق وللاختبار المعملى، شأنه فى ذلك شأن كل الظواهر الحيوية للوجود التى يمكن للحواس العادية أن تسجلها فى مملكة الإنسان أو الحيوان أو النبات.

ويعنينا هنا بوجه خاص صلة هذا التأثير المباشر للعقل فى المادة الصلبة بتعليل بعض الظواهر الفيزيقية أو ذات الأثر الفيزيقى، خصوصاً منها هذا الجانب الذى ينبغى أن يشير — بناء على مقدمات علمية محددة — إلى صحة الخلود، بمعنى استمرار الحياة فى صورة ما بعد فناء الجسد المادى بالموت.

فمثلا ظاهرة تجسد الأرواح من مادة تنتزعها بأسلوب عقلى من جسم الوسيط أو الوسيطة، ثم ظاهرة الملابس تصنعها لنفسها بهذا الأسلوب الذى يسبب ذهول الحاضرين، ثم ظاهرة الشكل الذى قد تتخذه لنفسها وهو غالباً شكلها القديم قبل انتقالها إلى عالم الروح مباشرة ... كل ذلك يتم بتأثير مباشر من عقل الروح فى مادة الإكتوبلازم أو فى طاقة معينة قد تنتزعها من جسم الوسيط أو الوسيطة بنفس الأسلوب. وقد تحدثنا عن التجسد بما فيه الكفاية فيما سبق سواء أكان التجسد جزئياً أم تاماً (١).

ومثلا تحريك الأرواح للأجسام الصلبة فى غرف البحث الروحى يكون غالباً بعقولها لا بأيديها. ومثل ذلك تحويل المادة إلى طاقة، ثم إعادة الطاقة إلى مادة كيما تتم ظاهرة كظاهرة المجلوبات والمأخوذات الروحية، فإن كل ذلك يتم بأساليب عقلية خالصة تنبىء بذاتها عن وجود مستوى عقلى للحياة مختلف تماماً عن مستواها المادى الذى نحيا فيه الآن.

---

(١) راجع ما سبق فى ص ١٧٠ — ١٩٥، ٤٦١ — ٤٦٤ عن التجسد الجزئى، وص ٤٦٨ — ٥٠٠ عن التجسد الكلى موضحاً بالصور الحاسمة.

بل إن ظهور صور الأرواح غير المتجسدة على الألواح الحساسة — الذى بدأ منذ سنة ١٨٦١ فى حضور الوسيط و . ه ماملر H. Mumler ببوسطن [١] ثم أخذ يتكرر على نفس الوتيرة فى حضور وسطاء متعددين فى بلاد مختلفة وفى بيئات علمية متنوعة بغير انقطاع حتى الآن — يكون بتأثير عقلى مباشر فى الزجاج الحساس ، مع استعانة عقل الروح بطاقة منبعثة من جسم الوسيط تتخذ أحياناً شكل الضباب أو الغيم الأبيض وتظهر على اللوح الحساس محيطة بوجهها من كل جانب، لأن الروح تنتزع أولا هذه الطاقة من أحد الوسطاء ، ثم تحاول أن تتذكر شكلها القديم قبيل مغادرتها عالمها الأرضى . فإذا ما فعلت ذلك فإنه قد يمكنها مع الإصرار والمران أن تظهر نفسها وسط هذا الضباب فى هذا اللوح بشكل ما كوسيلة لإثبات شخصيتها .

فظاهرة التصوير الفوتوغرافى لأرواح غير منظورة تختلف تماماً عن ظاهرة تصوير روح متجسدة تجسداً تاماً أو جزئياً ، وهى الظاهرة التى حققها كروكس وآخرون غيره فى بلاد عديدة . أما إظهار روح غير متجسدة لنفسها على اللوح الحساس فهى ظاهرة تختلف عنها من ناحية أن الروح لا يراها غير وسطاء الجلاء البصرى قبل ظهورها على اللوح الحساس .

بعض المراجع فى تصوير غير المنظور

وبالتالى فإن هذه الظاهرة تثبت إمكان تأثير العقل تأثيراً مباشرا فى اللوح الحساس . ويستوى فى ذلك أن يكون هذا العقل هو عقل الوسيط أم عقل إنسان قد تخلى بالوفاة عن جسده المادى ، ويطلق عليها عندئذ وصف « تصوير الفكر » . ومن المشاهد أن هذه الظاهرة إذا كانت تتوافر بشكل بدائى خامل عند بعض البشر الذين نطلق عليهم وصف «وسطاء» فإنها تتوافر بشكل أكثر قوة ووضوحاً عند بعض الكائنات غير المنظورة .

---

(١) وقد توفى ماملر فى سنة ١٨٨٤ وله أول مؤلف فى الصور الروحية وعنوانه .
«Personal Experiences Of William H. Mumler in Spirit Photography»
وقد ظهر هذا الكتاب فى سنة ١٨٧٥ وحالياً توجد نسخة منه فى المتحف البريطانى .

ويشير إلى هذه الحقيقة الأخيرة ظهور وجوه لأرواح كثيرة مشابهة تماماً لوجوه أصحابها كما كانوا يعرفون بها قبل مغادرتهم للعالم المادى . وبعضهم قد لا يكون معروفاً من الوسيط أصلا[1] . هذا بالإضافة إلى ظهور خطوط مطابقة لخطوطهم الأصلية ورسوم كثيرة وعلامات ورموز تشير إلى ذكريات معينة عند هؤلاء الأخيرين،أو إلى ملكات مميزةلهم مثل ملكة الرسم أو الشعر أو الأدب الراق ، أو غير ذلك من مميزات شتى يتعذر تعليلها إلا بأن هناك عقولا أجنبية عن المجربين تحاول إشعار هؤلاء الأخيرين بوجودها،وبأنها تواصل حياتها بصورة أو بأخرى فى الأثير ، وهذا هو نفس الهدف الذى تسعى إلى تحقيقه عن طريق باقى الظواهر الأخرى المادية والعقلية .

وقد قامت هيئات علمية لها مكانتها ببحوث متواصلة لتحقيق مدى صحة هذه الظاهرة الأخيرة ، وهى ظهور مناظر ، ورسومات ، وأشكال، ورموز، ومخطوطات منوعة،على الألواح الحساسة فى حضور بعض الوسطاء[2] . منها ما تم عن طريق تحقيق وساطة الوسيط روبرت بورسنيل Rabert Boursnell فى داخل «الكلية البريطانية للعلم الروحى» واستخدم فى هذا التحقيق جهاز للأشعة فوق البنفسجية. فظهرت عشرات من الصور الواضحة تماماً. وبالنظر لاستخدام هذا الجهاز لم يظهر

---

(١) وهذه هى عقدة العقد فى الموضوع ، لأنه إذا كان الوجه الذى ظهر على اللوح الحساس معروفاً من الوسيط فيمكن أن يقال دائماً إن عقل الوسيط هو المسئول عن ظهوره ، أما إذا كان غير معروف منه أصلا ، ولم يسبق للوسيط رؤيته ، وغالباً يجىء تلقائياً وبلا توقع ولا طلب فلا مفر من القول بأن هذا الوجه موجود فى مكان ما من الطبيعة وأمكنه — بتأثير فكره الخاص — أن يظهر نفسه فى اللوح الحساس بصورة ما ، أو أن يظهر وجها آخر أو منظراً طبيعياً مثلا بنفس الكيفية .

(٢) يطلق على هذه الظاهرة بالإنكليزية أوصاف متعددة: فهى Psychography إذا أريد تحديد مصدرها الروحى، وهى Thoughtography إذا أريد تعيين مصدرها العقلى فى عقل الوسيط أم فى عقل كائن غير منظور ، وفى الحالين يتعين استخدام كاميرا . أما إذا ظهرت هذه الصور أو الرسوم بدون كاميرا فيطلق عليها وصف Skotography . وفى جميع الأحوال يطلق على الصورة الزائدة وصف Extra .

فى هذه الصور الضباب الأبيض الذى يظهر عادة عند استخدامه[١] .

— وحصل على صور عديدة لأرواح غير متجسدة فى منزله شارل تويديل Charles Tweedale رئيس أساقفة يوركشير عن طريق وساطة زوجته وكريمته . كما حصل على رسائل على الألواح الحساسة ونشرها فى مؤلفه « أنباء من العالم الآخر »[٢] ، وبدون الاستعانة بأى جهاز للأشعة غير المنظورة .

— وتعرض لظاهرة الصور الروحية أيضاً سير ألفريد راسل والاس A. R. Wallace فى مؤلفه عن « المعجزات والروحية الحديثة[٣] » . كما خصص لها فصلا العالم والوزير أكزاكوف Aksakoff فى مؤلفه عن « الحيوانية والروحية[٤] »، وسير آوثر كونان دويل A. C. Doyle فى مؤلفه عن « حالة التصوير الروحى[٥] » .

— وسير أوليفرلودج O Lodge عضو « الجمعية الملكية » بعد تجاربه مع الوسيطة آدا إيما دين A E. Deane .

— وسير وليام كروكس W. Crookes « عضو الجمعية الملكية » بعد تجارب مع وسطاء عديدين .

— وسير وليام باريت W. Barrett عضو « الجمعية الملكية » بعد تجاربه مع الوسيط هوب Hope .

(١) راجع مجلة العلم الروحى التى تصدرها الكلية عدد يولية ١٩٢٧ ص ١٠٠ وما بعدها . وراجع مقالا عن التصوير الروحى للميجور سبنسر R. F. E. Spencer فى عدد إبريل سنة ١٩٢٢ من نفس المجلة (ص ٨٠ — ١٠٣) وهو موضح بالصور العديدة . ومقالا آخر لرئيس تحرير هذه المجلة ف . بلاى بوند F. Bligh Bond فى عدد يولية سنة ١٩٢٢ وفيه يقترح أسلوبا معينا لبحث ظاهرة التصوير الروحى مؤيداً بتجاربه الخاصة فى هذا الشأن (ص ١٣٤ — ١٤٤) .

(٢) News From The Next World.

(٣) Miracles And Modern Spiritualism.

(٤) Animismus Und Spiritismus. وهو بالألمانية، وله ترجمة فرنسية .

(٥) The Case For Spirit Photography.

— وستانلى دى برات Stanley De Brath بعد تجاربه مع نفس الوسيط .

— وهير وارد كارنجتون H. Carrington بعد تجاربه مع الوسيط هوب والوسيطة دين Deane .

— ودكتور جورج لندسى جونسون George Lindsay Johnson.

— ودكتور جلين هاملتون Glen Hamilton .

— وحصل على صور مماثلة الأستاذ ج . هنزلو G. Henslow بعد تجارب كثيرة مع وسطاء متعـــددين ، منهم الدكتور ت . دوت هوبر T. D'Aute Hooper من برمنجهام، وقدشرح تجاربه فى مؤلف له عنوانه «أدلة الحقائق الروحية » (١٩١٩)(١) وبه حوالى خمسين لوحة من هذا النوع .

— ومثله أيضاً الأرشيد ياكون كولى Archdeacon Colley الذى واصل بحوثه الروحية لمدى أربعين عاماً تقريباً، وحصل على عدد كبير من صور بعض المنتقلين فى منزله الخاص فى ليمنجتون Leamington عن طريق وساطة الدكتور هوبر أيضاً ، بالإضافة إلى وساطة هوب Hope . وكان كولى يقوم بتحميض الصور وطبعها بيديه وفى منزله درءاً لكل شبهة فى شأنها ، وقد كان من هواة التصوير كما كان من هواة الموسيقى والتلحين .

— وقد بحث هذا الموضوع بعناية كافية أيضاً الدكتور جيمس كوتس James Coates بعد تجارب مع وسطاء عديدين ، وقد شرحها فى مؤلفه عن « تصــوير غير المنظور »(٢) ، وبه عشرات من الصور الروحية .

— «وللمعمل الوطنى للبحث الروحى» التابع لجامعة لندن عدة تجارب إيجابية فى هذا الشأن مع الوسطاء وليام هوب، وجورج موس، والسيدة إيرفنج وغيرهم .

— وحصل على عدد ضخم من الصور الروحية العالم الكيميائى ف . و . واريك

---

(١) The Proofs Of The Truths Of Spiritualism.

(٢) Photographing The Invisible.

E W. Warrick عن طريق وساطة السيدتين دين Deane ، ومادج دونوهو Madge Donohoe وغيرهما . ونشرها فى مؤلفه « تجارب فى الروحيات »[1] (١٩٣٨) ، وهو ثمرة بحوث مثابرة دامت لسنين كثيرة فى ظواهر الكتابة المباشرة والصور الروحية بأسلوب علمى دقيق، ويحتوى على صور كثيرة لأشخاص منتقلين أمكن تعيينهم . كما حصل المؤلف على صور لمناظر طبيعية ولآلات موسيقية ، ولوحات لتوضيح قصتين واردتين من عالم الروح إحداهما فرعونية والأخرى إغريقية ، وعلى صور أخرى لطيور ، ولنباتات ، ولمخطوطات واردة من عالم الروح تتضمن القصتين ، وكل ذلك بدون الاستعانة بكاميرا .

وكان بعض الصور والمخطوطات يرد بمساعدة من روح سير آرثر كونان دويل بالاشتراك مع روح مارتن دونوهو زوج الوسيطة الراحل ، وعن طريق هيمنة الروح المرشد جولدن كلود Golden Cloud الذى يقول إنه فرعون قديم . وقد بلغ مجموع هذه اللوحات كلها حوالى أربعة آلاف وخمسمائة لوحة . وقد قدم هذا المؤلف الثمين للقراء سير أوليفر لودج عالم الفيزياء ومدير جامعة برمنجهام بمقدمة يشهد فيها بما يعلمه شخصياً عن مؤلف هذا الكتاب من أمانة ومثابرة ودقة .

وجميع اللوحات الحساسة أحضرها الدكتور واريك بنفسه ، وقام بعمليات التحميض والطباعة بعيداً عن الوسطاء ، واتخذ جميع الاحتياطات لدرء كل شك أو شبهة فى شأنها . وتبدو المناظر التاريخية فيها واضحة تماماً ، ومتفقة مع وقائع القصتين الفرعونية والإغريقية الواردتين بدورهما من عالم الروح عن طريق هذه اللوحات الحساسة .

---

(١) تجارب فى الروحيات Experiments In Psychics ص ٣٤١ ، ٣٧٤ ، ٣٨٦ ، ٣٩٠ .



Fig. D/769

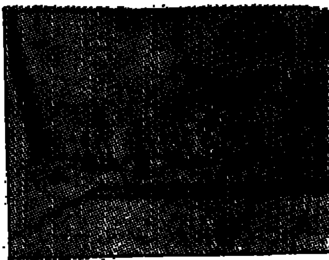


Fig. D/785

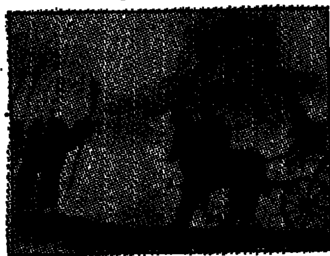


Fig. D/797



Fig. D/803

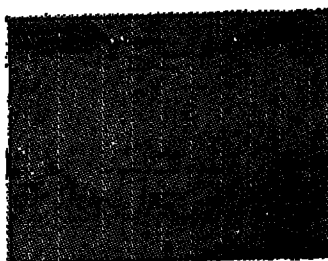


Fig. D/813



Fig. D/817

Further Mrs. Donohoe's skotographs illustrating the Egyptian story told to C.D (Conan Doyle) and M.D (Martin Donohoe) by Golden Cloud, who was once a pharaoh sent by them jointly (according to the scripts). These particulars apply to illustrations on the next three pages and to the set on page 341.

ستة نماذج لتوضيح قصة فرعونية ذكرت روح سير آرثر كونان دويل ومارتن دونوهو (زوج الوسيطة الواحل) أن جولدن كلود (الروح المهيمن) قد رواها لهما . وقد بلغت مخطوطات القصة التى كانت تظهر على الألواح الحساسة ٤٧٥ مخطوطا كما بلغت اللوحات الرائعة نفس العدد تقريباً .


Fig. D/713

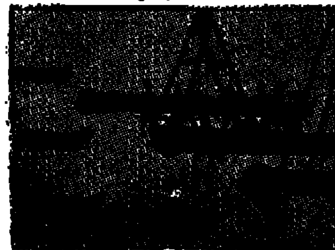

Fig. D/722

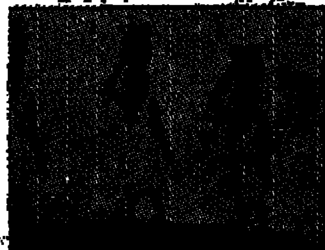

Fig. D/728


Fig. D/734


Fig. D/747


Fig. D/757


Fig. D/781


Fig. D/782

Further Mrs. Donohoe skotographs illustrating the Egyptian story

ثمانية نماذج أخرى وردت عن طريق نفس الوسيطة لتوضيح نفس القصة الفرعونية (عن كتاب « تجارب في الروحيات Experiments In Psychics » للدكتور واريك Warrick ص ٣٨٦ ، ٣٨٧) .

— كما شهد بصحة ظاهرة التصوير الروحى الأديب الإرلندى الكبير شو دزموند Shaw Desmond بعد تجارب متعددة مع الوسطاء ، وبخاصة مع الآنسة كاتلين هولم Miss Kathleen Holme . وهو يقول إنها أول وسيطة يمكن فى حضورها الحصول على صور روحية ملونة على ألواح من الزجاج الحساس المختومة التى لم يمسسها إنسان(١) .

— وفى سنة ١٩٦٧ نشر الدكتور جيل أيزينبود Jule Eisenbud أستاذ التحليل النفسى بجامعة كولورادو Colorado بالولايات المتحدة الأمريكية مؤلفاً عن الصور الفكرية عنوانه « عالم تيدسيريوس »(٢) . وتيدسيريوس هذا هو اسم وسيط من شيكاغو أخضعه للتجارب الدقيقة المتنوعة لمدى سنوات طويلة انتهى أيزينبود فى نهايتها إلى أن هذه « الصور الفكرية » حقيقة واقعة.

— كما سبق أن أجريت تجارب إيجابية على هذا الوسيط فى « جمعية إلينوى للبحث الروحى(٣) » بمعرفة السيدة بولين أوهلر Pauline Oehler وكيلة الجمعية. ولمنع كل دفع بالخطأ أو بالتدليس استخدمت معه كاميرا حديثة بها جهاز للتحميض والطبع الفورين Palaroid-Land Camera . وكانت تظهر بالصور أماكن متنوعة لم يرها الوسيط فى حياته إطلاقاً ولا علم له بها ، ولا يعلم هو نفسه كيف أو لماذا ظهرت فى هذه الصور التى تتفاوت فى مدى وضوحها . ولكن ظهرت بها على أية حال معالم كافية لتحديد أماكن معينة بطريقة لا يشوبها أى شك .

وكان دور الوسيط مقصوراً على الإمساك بالكاميرا لمدة بضع دقائق قبل كل لقطة ، وكان يضع نفسه فى غيبوبة مغناطيسية خفيفة ، ثم يحملق مباشرة فى

---

(١) فى مؤلفه « كيف تحيا عندما تموت » ص ٤٦
How you Live When You Die

(٢) The world of Ted Serios

(٣) Illinois Society For Psychic Research

عدسة الكاميرا التي تكون على بعد حوالى مترين من عينه ، ويعتقد أن هذه هي أفضل مسافة للحصول على أحسن النتائج[1]

— ثم خضع نفس الوسيط حديثاً لتجارب من العالمين إيان ستفنسون Ian Stevenson ، ج.ج. برات J. G. Pratt وقد استخدما أيضاً كاميرا بجهاز للتحميض والطبع الفوريين . وكانت النتائج إيجابية أيضاً، ومماثلة لسابقتها[2].

ونتائج هذه التجارب تشـــبه إلى حد ما النتائج التي سجلها العالم اليابانى فيكوراى Fukurai (توفى فى سنة ١٩٥٠) عن تصوير الفكر فى حضور بعض الوسطاء فى اليابان ، وتم الحصول على نتائج مشابهة فى « المعهد الدولى لما وراء الروح » ببروكسل فى حضور مديره الأستاذ داردن Dardenne .

* * *

فمن ذا يا ترى هو الذى لفق هذه الآلاف من الصور الغير العادية التي تزخر بها الآن المراجع الروحية[3] . وكيف وأين ومتى تم التلفيق ؟ وما أدلته مع كل

---

(١) راجع نماذج متعددة من هذه الصور فى مجلة القدر Fate عدد ديسمبر ١٩٦٢ ص ٦٧ — ٨٢ .

(٢) راجع فيها عدد أبريل ١٩٦٨ من « جريدة جمعية البحث الروحى الأمريكية » A. S. P. R. Journal

(٣) ومن أراد الاستزادة فى هذا الموضوع فليرجع إلى المراجع الآنف ذكرها هنا ، أو إلى تلك التي بيناها فيما سبق فى باب « بعض الأسماء والمراجع » حيث قد أشرنا فيه إلى بعض تلك المتصلة بالصور الروحية . وبالاضافة إلى هذه وتلك يمكنه أن يرجع الى بعض المجلات والمطبوعات الدورية التي تبحث فى أمور الروحية ومنها مثلا : —

— مضابط جمعية المبحث الروحى بلندن S. P. R. Proceedings حيث يجد فى المجلد السابع الصادر فى سنة ١٨٩١ — ١٨٩٧ مقالا للسيدة سيد جويك مبينة به قائمة الكتب والمجلات الدورية التي نشرت بينات عن الصور الروحية حتى ذلك التاريخ .

— ومنها جريدة الإنسان الروحى The Spiritualist حيث يجد فى عدد يوليه ١٨٧٢ ، وفى أعداد متعددة من سنة ١٨٧٥ جملة صور .

— وفى الجريدة الروحية The Spiritual Magazine يجد القارىء فى عددى سبتمبر ١٨٧٢ ونوفمبر ١٨٧٣ صوراً أخرى .

الاحتياطات الضخمة التي يراعيها الباحثون الجادون في كل مكان ، وألا يمكن

= — وفي مجلة «العلم الروحي» Psychic Science التي تصدرها «الكلية البريطانية للعلم الروحي» راجع الأعداد الآتية : —
يناير وابريل وأكتوبر ١٩٢٣ . ويناير وابريل ١٩٢٤ . وأكتوبر ١٩٢٥ . ويناير وأكتوبر ١٩٢٦ . ويناير وابريل ويولية ١٩٢٧ . ويناير وابريل وأكتوبر ١٩٢٩ . ويناير ويولية ١٩٣٠ . ويناير وأكتوبر ١٩٣٢ . ويناير وابريل ويولية ١٩٣٣ . ويناير وأكتوبر ١٩٣٤ .

— وراجع في جريدة لايت Light عن الصور الروحية المجلدات الآتية :

سنة ١٩٠٢ ص ٨ ، ٩ ، ٣٤٧ .
« ١٩٠٣ ص ٤٧ ، ٧٧ ، ١٢٣ .
« ١٩٠٨ ص ٢٨٣ .
« ١٩٠٩ ص ١٤٣ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢١٣ ، ٥٣٧ .
« ١٩١٥ ص ٤٣ ، ٥٥ ، ٩٣ ، ٢٥٧ ، ٥٥٤ .
« ١٩١٦ ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٦٦ ، ١٠٥ ، ١٥١ ، ٢٩٣ .
« ١٩١٧ ص ٦٤ ، ٩٥ .
« ١٩١٨ ص ٨٠ ، ٩٥ ، ١٤٦ ، ١٥٨ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٩١ ، ٣٥٧ .
« ١٩١٩ ص ١١ ، ٢٧ ، ٤٦ ، ٨٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٧ ، ٢٧٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ٣٥٢ ، ٣٧٦ ، ٣٩٠ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ .
« ١٩٢٠ ص ١٠٧ ، ١٣١ ، ، ١٣٣ ، ١٥١ ، ١٥٩ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٩٠ ، ٣٤٦ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٩٦ ، ٤٢٠ ، ٤٣٤ ، ٤٤٠ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٦٦ ، ٤٨٢ .
« ١٩٢١ ص ١٠ ، ٢٦ ، ٤٢ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٧٤ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٧٢ ، ١٨٨ ، ٢٠٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٤٥٢ ، ٤٦٦ ، ٤٧٧ ، ٥٤٣ ، ٥٥٧ ، ٥٦٠ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٦٠٤ ، ٦١٩ ، ٦٣٨ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٧٣١ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٥٠ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ .
« ١٩٢٢ ص ١٢ ، ٦٥ ، ١٣٤ ، ١٥٤ ، ٢٦٦ ، ٢٩٨ إلى ٣٠٢ ، ٣٢٣ ، ٤١٠ ، ٤٢٢ ، ٤٣٥ ، ٤٤٥ ، ٥١٧ ، ٥٣٢ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٦ ، ٦١٤ ، ٦٣٩ ، ٦٥٣ ، ٦٦٥ ، ٦٨٢ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧٢٠ ، ٧٧٦ ، ٧٧٩ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨١٠ ، ٨١١ . =

اكتشاف التلفيق إن وجد ؟ ولماذا ينزل علماء من طراز سير ألفرد راسل والاس، وسير أوليفر لودج،وسير وليام باريت،وسير وليام كروكس،وتويديل رئيس أساقفة يوركشير إلى هذا المستوى ؟ .. ولماذا ينزل معهم علماء « الجمعية الأمريكية للبحث الروحى »،و « الكلية البريطانية للعلم الروحى » ، و « المعمل الوطنى للبحث الروحى » التابع لجامعة لندن ، و « المعهد الدولى لما وراء الروح

= سنة ١٩٢٣ ص ٤ ، ٨ ، ٣٨ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٧١ ، ١٢٢ ، ١٧٩ ، ٢١٦ ،
٢٥٢ ، ٢٧٧ ، ٣٩٢ ، ٥٥٧ ، ٦١٩ ، ٦٣٣ ، ٦٥١ ، ٧٢٢ ،
٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٧ .

» ١٩٣٤ ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٩٤ ، ٦٢٣ ،
٦٨٧ ، ٧١٥ ، ٧٢١ ، ٧٢٨ ، ٧٣١ ، ٧٣٣ ، ٧٣٦ ، ٧٦٠ ، ٧٤٣ ،.
٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ .

» ١٩٢٥ ص ٥ ، ٩ ، ١٦ ، ٢٨ ، ١٢٥ ، ٢٦٩ ، ٣٣٢ ، ٤٣٧ ، ٤٨٤ ،.
٥٨٠ ، ٥٨٣ ، ٥٨٩ .

» ١٩٢٦ ص ٨٩ ، ١٠١ ، ٣٥٦ ، ٥٠٧ ، ٥٨١ .

» ١٩٢٧ ص ١٣٦ ، ٣٥٣ ، ٤٦٤ .

» ١٩٢٨ ص ١٢٢ ، ٢٢١ ، ٥٢١ ، ٥٦٦ ، ٥٨٠ .

» ١٩٢٩ ص ٢٠٦ ، ٢٩٨ ، ٣١٠ ، ٥٤٤ .

» ١٩٣٠ ص ٦٤ .

» ١٩٣١ ص ٥٢ ، ٧٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٦١ ، ٢٨٦ ، ٤٢٥ ، ٤٣٠ ،.
٤٧٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٨ ، ٥٢٥ .

» ١٩٣٢ ص ١٩ ، ٣١ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ٥٧١ ، ٥٨٣ ، ٥٩٥ ، ٦٥٢ ، ٦٦٥ -

» ١٩٣٣ ص ٣٣ ، ٥٥ ، ٧٠ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ،.
١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٢ ،.
٢١٣ ، ٢٣٠ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٣٠٥ —
٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٢٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،.
٣٧٤ ، ٤١٨ ، ٤٧٣ ، ٥٨٥ ، ٦١٣ .

» ١٩٣٤ ص ٢٠ ، ٦٩ ، ٢١٢ ، ٣٠٠ ، ٣٦٠ ، ٤٦٧ ، ٥١١ ، ٧١٧ ، ٧٦٩ .

» ١٩٣٥ ص ٥٥ ، ٤٢١ ، ٤٣٩ ، ٤٥٩ ، ٤٧٤ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٨١٩ .

» ١٩٣٦ ص ١٠٦ ، ١٩٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠٩ ، ٧٤٤ .

» ١٩٣٧ ص ١٩٥ ، ٢٦٢ ، ٣٤٢ .

ولا تخلو المجلات الروحية المعاصرة من آن لآخر من بعض الصور الروحية الحديثة .

بياريس » ، ومن بعدهم عشرات من أفضل العلماء إلى هذا المستوى ؟ وما مصلحتهم ؟

هذه أسئلة على المكابر أن يعطينا عنها جواباً شافياً قبل أن يعارض لمجرد أنه غير قادر أن يتصور إمكان ذلك .. بل على طالب البحث عن الحقيقة أن يرجع إلى بعض هذه الأبحاث كيما يدرك مدى الاحتياطات الدقيقة التى اتخذت لمنع شبهة التدليس أو التسرع، ولدرء الاعتراض بهما . كما يمكنه أن يلاحظ النتائج المتشابهة التى حصل عليها الباحثون الكبار فى كل مكان كيما يجزم أن هذه الآن حقائق علمية ثابتة، وإن كانت لا تخضع للأساليب المادية المألوفة . وهذا كله من شأنه أن يدعو الإنسان الجاد الباحث عن الحقائق العلمية لأن يكون متحفظاً فى رفضه قبول البيعات بمقدار تحفظه فى قبولها ...

بعض ما يراعى عند تصوير صور غير المنظور

يبين مما تقدم أن ظهور صور أو رسوم أو أشكال على الألواح الحساسة لأمور غير منظورة من الحاضرين لا يتم بالأساليب العادية ، بل كما — قلنا — بتأثير مباشر من عقل كأنه متمرن فى اللوح الحساس تستخدم فيه مغناطيسية خاصة ينبغى أن تنبعث من جسم الوسيط أو الوسيطة. وينبغى أن يكون الموضوع كله تحت إشراف روح أو أرواح مرشدة متمرنة بدورها جيداً على كيفية استخدام هذه الطاقة إذا ما أريد تصوير غير المنظور . وهذه الأرواح المرشده تحاول غالباً إظهار شكلها أولا ، وتكشف عن شخصيتها بوسائل شتى. وقد تملى عن هذا الطريق رسائل مطولة أو كتباً كاملة .

وقد يحتاج الأمر أحياناً إلى استخدام كاميرا وقد لا يحتاج، كما قد يحتاج إلى جهاز للأشعة فوق البنفسجية أو دون الحمراء ، وقد لا يحتاج إلى أيهما ، بحسب نوع الطاقة وخبرة الأرواح المرشدة وإمكانياتها ، ووسائل العمل التى لديها ، وهذا كله يعطى تفسيراً كافياً لعدم ظهور

(١) ولنا إلى ذلك عودة تفصيلية فى الجزء الثانى .

بعض الصور بالوضوح المطلوب ، وعن مجيئها فى أوضاع متنوعة غير متوقعة ، فأحياناً معدولة وأحياناً مقلوبة ، وأحياناً أخرى مائلة على جنبها الأيمن أو الأيسر . وهذا كله بالإضافة إلى أن الصور الواردة من عالم الروح إنما تجيء فى الواقع من عالم رباعى الأبعاد تختلف فيه معانى الزمان والمكان اختلافاً تاماً عن عالمنا المادى ذى الأبعاد الثلاثة فحسب (على ما سنوضحه فى الجزء الثانى) . فلا يصح بأية حال قياس تصوير غير المنظور على تصوير المنظور ، وهو القياس الذى من شأنه أن يوقعنا فى الخطأ عند دراسة هذا الموضوع ، لمحاولة تفهم أساليبه الغامضة التى تحير الألباب ، والتى لا يزال أحسن العلماء — مع تسليمهم بصحة الظاهرة — جادين فى محاولة كشف بعض غوامضها الكثيرة .

فقد تتفاوت هذه الصور فى وضوحها وفى مظهرها تفاوتاً كبيراً . وهى مهما كانت ضعيفة أو باهتة فى بعض الحالات ، فإن العلم المادى لا يعرف لها تعليلا ، مع لزوم البحث عن هذا التعليل وقد ثبتت الظاهرة تماماً — ولو كان الأمر لا يعدو ظهور نقطة كرأس الدبوس ، أو خط دقيق على اللوح الحساس — إذا تعذر الوصول إلى سبب مادى معروف له ، فما بالك عند ما يكون عبارة عن علامة واضحة فى دلالتها ، أو عبارة عن صورة ناطقة أو خطوط معبرة عن شخص معين ممن تصورنا خطأ أنهم قد تلاشوا بالموت واندثروا إلى غير رجعة ؟!...

وليس مقتضى تعذر الحصول على صورة روحية عند الطلب وطبقاً للأساليب المادية إنكار صحتها ، لأن كل ظاهرة روحية كما سبق أن بينا إن هى إلا ظاهرة طبيعية تحدث فحسب عند ما تتوافر لها شروطها ، كظاهرة سقوط المطر ، أو تجمع السحاب ، أو ظهور قوس قزح ، أو كظاهرة نمو زهرة . ومهمة العلم الروحى هى تسجيل الظاهرة عندما تحدث ، دون أن يزعم أن له عليها سلطاناً من طبيعة سلطان العلم المادى على المادة الصلبة .

دور بتأثير العقل فى المادة « هناك »

وهذا التأثير المباشر للعقل فى المادة يبلغ أوجه فى عالم الروح حيث يكون العقل فى أوج ازدهاره وحريته ، وحيث تكون المادة الصلبة أسرع اهتزازاً بكثير من الضوء البنفسجى، وهو أسرع الألوان اهتزازاً على المستوى الأرضى. وهذا التأثير يتحكم فى كل مظاهر الحياة هناك . وعلى ذلك أجمعت رسائل الأرواح ، كما أجمعت على أن هذا التأثير هو الذى يمكنها من أن تزاول نشاطها فى الصناعة، وفى البناء، وفى الفنون الجميلة وغيرها . وهو الذى يمكنها من أن تستخرج من الأثير ما تشاء من المواد وتشكلها بالشكل الذى يلزمها .

وهــذه الحقائق كلها ليست هينه ولا بسيطة حتى يتقبلها العلماء بسهولة ، ولـكنهم تقبلوها بعـد ثبوتها عن طريق بحوث شاقة تعد الآن بالمئات ، ودامت لعشرات من السنين . وقد ساعد على قبولها تدريجياً ما تكشف عنه العلم الحديث من أن للعقل دوراً هائلا وراء المادة ، يجعل ظواهر الحياة فى جوهرها ظواهر عقلية قبل كل شىء آخر ، ويجعل مفهوما مايقرره بعض الأرواح الراقية من أن لديهم نوعاً من « الـكيمياء العقلية » يختلف اختلافاً جوهرياً عن الـكيمياء المادية التى نعرفها فى حياتنا الأرضية . ومع مراعاة أن كلمة « كيمياء » يستخدمها هنا بمدلول مجازى صرف .

و « الـكيمياء العقلية » متقدمة جــداً فى المناطق العليا من عالم الروح ، وتقوم بدور أخطر بكثير من دور الـكيمياء المادية على المستوى الأرضى ، ولذلك فإن الظواهر الفيزيقية تحتاج — بالإضافة إلى الوساطة القوية — إلى « كيميائيين » بارعين من عالم الروح، يحسنون استخراج مادة الاكتوبلازم من جسم الوسيط بوسائل عقلية، ثم يحسنون خلطها بمادة من عندهم فتصبح لفائف من « التلبلازم » متعددة الألوان والأشكال وتتفاوت فى كثافتها أو فى رقتها بحسب نوع الظواهر المراد إحداثها . كما يحسنون سحب أية طاقة متــوافرة

يمكن الاستفادة منها بصورة ما ، بقدر الحاجة إليها ، وبحسب نوع الظواهر وظروف الوسيط أو الوسطاء ، كما يحسنون إعادة كل شيء إلى حالته السابقة عند نهاية الجلسة بدون إضرار بالوسيط أو بالوسطاء(١).

وكتب البحث الروحى حافلة بالتجارب وبالمعلومات فى هذا المعنى . فلولا وجود أجساد أثيرية للأرواح على ما بيناه فى فصل سابق ، ولولا إمكان التأثير المباشر للعقل فى المادة على ما بيناه فى الفصل الحالى ، لما كانت تصبح مفهومة هذه الظواهر ، ولا رسائل الأرواح فى شأن طبيعة الحياة هناك .

وفيما يلى نقدم نماذج كثيرة من صور — تثبت الأمرين معاً — التقطت بواسطة علماء ثقات ، وهم بصدد تحقيق وساطة بعض وسطاء التصوير الروحى المعروفين فى تاريخ الروحية . والوسطاء من الندرة بمكان ، ولكن ندرة الشيء لا تنفى وجوده ، فالوسيط القوى كما وصفه سير آرثر كونان دويل بمثابة زهرة نادرة فى صحراء جرداء . ومن هؤلاء الوسطاء روبرت بورسينيل R. Boursnell ، ووليام هوب W. Hope وإدوارد ويلى Ed. Wyllie ، والدكتور هوبر Hooper ، والسيدة دوروثى تويديل Dorothy Tweedale ، والسيدة آدا إيما دين Ada Eemma Deanne (٢) ، والسيدة دونوهو Donohoe ، والسيد إلزى رينولدز Elsie Reynolds ، والسيد دجويد Duguid ، وطبيب الأسنان المعاصر الدكتور جون مايرز John Myers . . وغيرهم ممن أحيط تحقيق وساطتهم بضمانات جمة ، وخضع التحقيق لبحوث عدد وافر من أحسن العلماء والباحثين ، الذين لا يعنيهم شيء سوى رغبة الوصول إلى الحقيقة العلمية وتسجيلها بأمانة مهما كانت فى خطورتها واتساع نطاقها تعلو عن أن تعيها — الآن — بعض المدارك والأفهام .

---

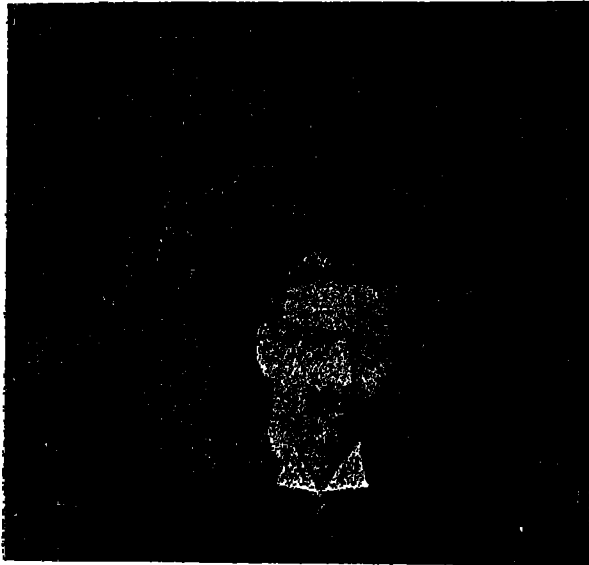
(١) راجع ما سبق فى ص ١٧٠ — ١٩٥ .

(٢) راجع ما سبق عنها فى ص ٦٠٣ — ٦٤٠ .

(٣) راجع ما سبق عنها فى ص ٢٢٠ — ٢٢٢ .

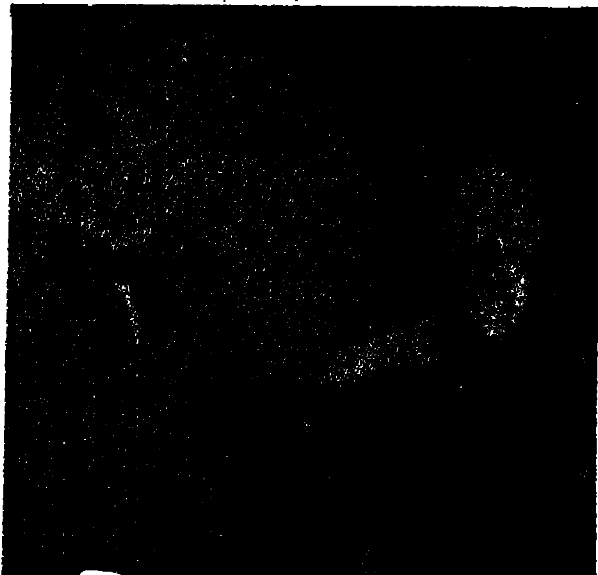
صور لأرواح غير متجسدة

تحقيق وساطة روبرت بورسينيل بالتقاط صور للأرواح فى وجوده مع الاستعانة بالأشعة فوق البنفسجية



(عن مجلة الكلية البريطانية للعلم الروحى عدد يولية من سنة ١٩٢٧).
تكوين تدريجى لصورة الرأس خلف الوسيط .





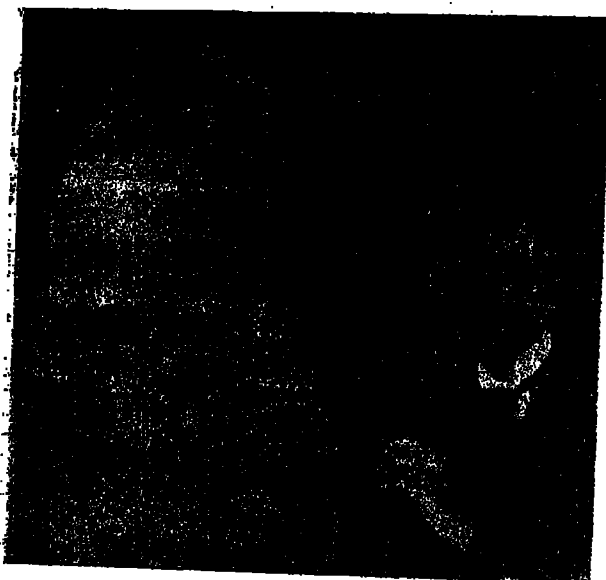
روح غير متجسدة أشار الوسيط إليها فلما صوبت عدسة الكاميرا فى اتجاهها أثبتت صحة ما قرره الوسيط ، فهل للكاميرا عقل باطن ؟
(المرجع السابق)



عن مجلة « الكلية البريطانية للعلم الروحى »

عدد يولية ١٩٢٧



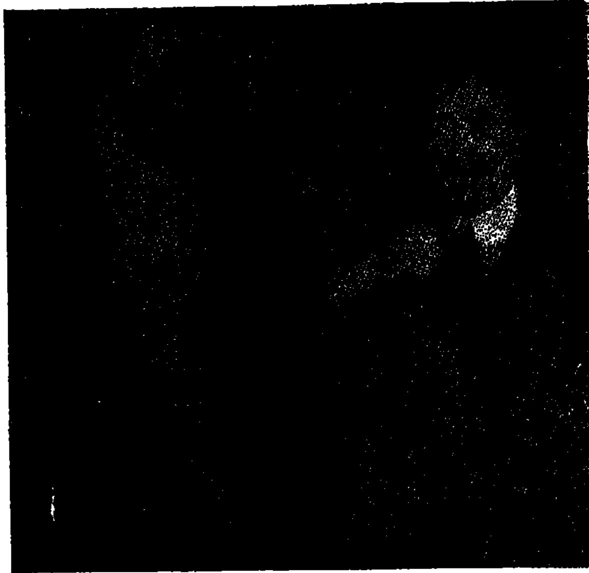


عن نفس المرجع ، وفى حضور نفس الوسيط



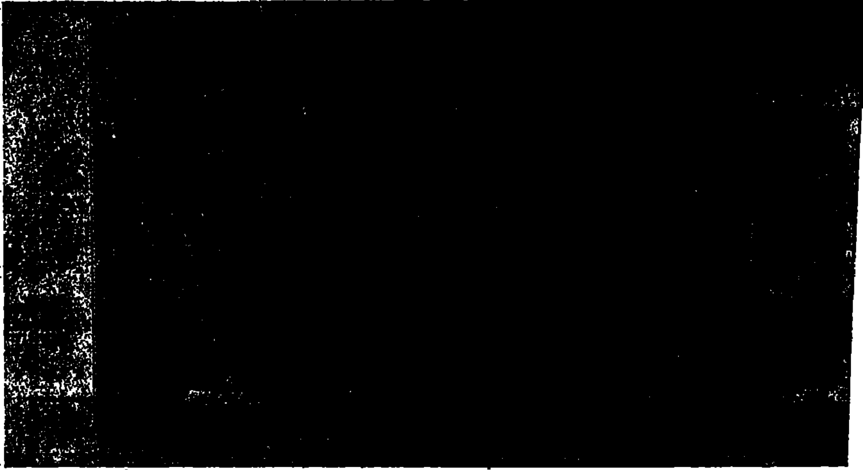


عن نفس المرجع وفى حضور نفس الوسيط





صورة تمثل رسماً أحدثته يد غير منظورة على اللوح الحساس فى حضور الوسيط

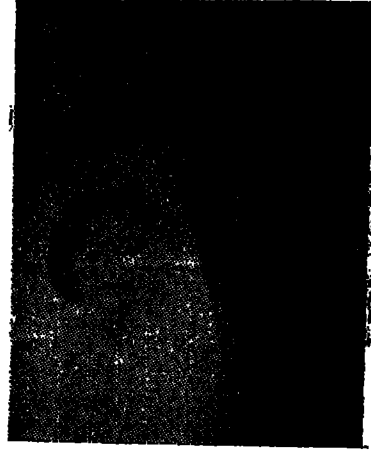


بعض أعضاء جمعية دراسة الصور غير المألوفة The Society For The Study Of Supernormal Photography أثناء اجتماعها في شهر مايو ١٩٢٠ في «الكلية البريطانية للعلم» الروحي. وقد التقطت هذه الصورة في حضور وسيط التصوير وليام هوب W. Hope فظهرت فيها صورة وجـــه غير منظور (أدر الصورة إلى اليسار) ويرى بين أعضاء الجمعية هيوات ماكنزى مدير الكلية، وقرينته، وسير آرثر كونان دويل، وقرينته .

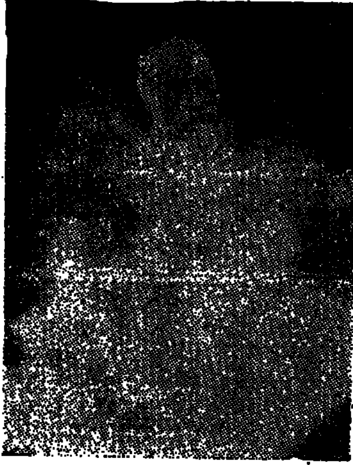


صور السيد ا. ما كيلار A. Mackellar وروح كريته المتوفاة فلورى Florrie التقطت عن طريق الوسيط بورسينيل..

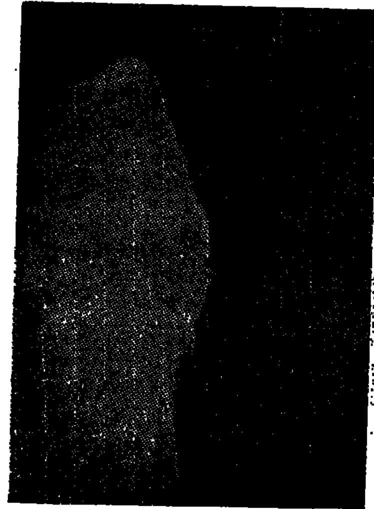
اختبارات أخرى للوسيط بورسينيل فى ضوء النهار



الروح ليلى Lily



روح توماس ايفيرت Thomas Everitt

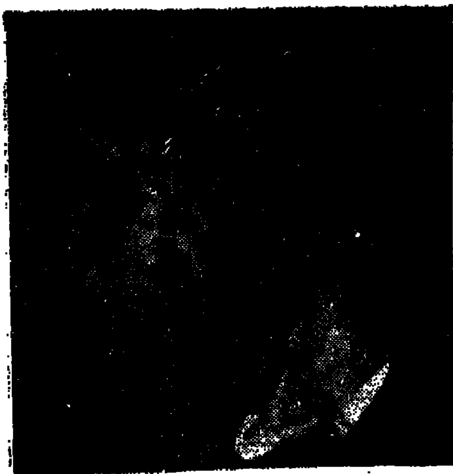


إحدى الارواح المرشدة للأستاذ جون لوب، كما ظهرت على اللوح الحساس، وكما كان يشاهدها وسطاء الجلاء البصرى



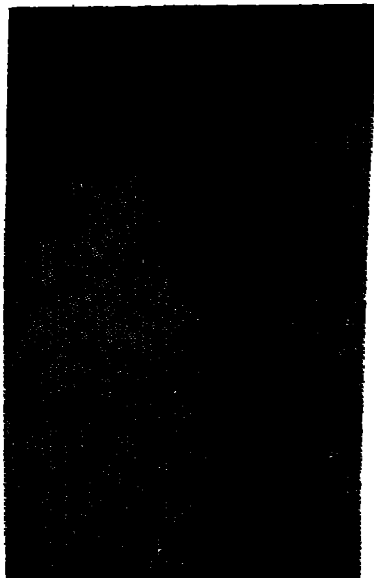
الأستاذ جوب لوب John Lobb
الوسيط والعالم وخلفه رسم من صنع قدرة غير منظورة

أربع صور روحية التقطت فى حضور الوسيط بورسينيل . عن مؤلف للأستاذ جون لوب عنوانه : « الحياة المشغولة بعد الموت » ظهر فى سنة ١٩٠٩ . (ص ١ ، ١٦ ، ٣٣ . وراجع ماسبق عن المؤلف فى ص ٣٧٥ ، ٣٧٦) .



THE EDITOR AND THE SPIRIT FORM OF HIS SISTER.

It was a joyful surprise when the spirit form of my only sister, Louisa, appeared in the camera. Since her entrance into spirit life she has come back, and recalled incidents in our childhood. Tender and touching were her references to my attentions in her dying hours. Photographed June, 1906.





ثلاث صور أخرى لأرواح غير متجسدة عن المرجع السابق، وعن مؤلف آخر للأستاذ جون لوبه عنوانه « أحاديث مع الموتى » (طبعة ١٩٠٧ ص ٢٣ ، ٨١)



صـــورة روحية للسيد واين Wain المتوفى فى ٥ أبريل سنة ١٩٢٨ (عن مجلة الكلية البريطانية للعلم الروحى عـدد يناير سنة ١٩٢٩) .

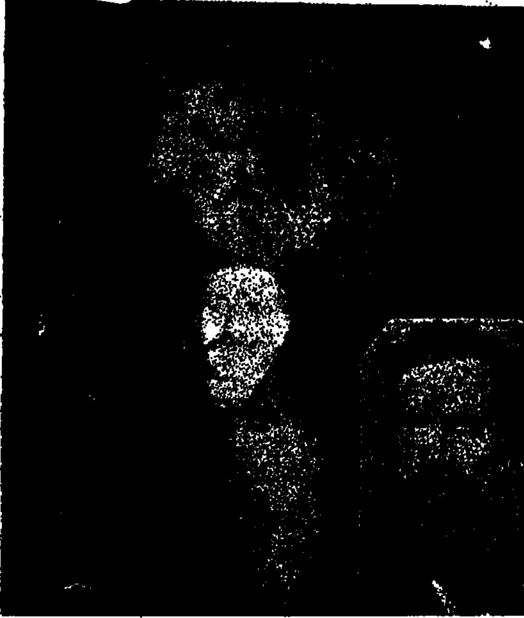
←



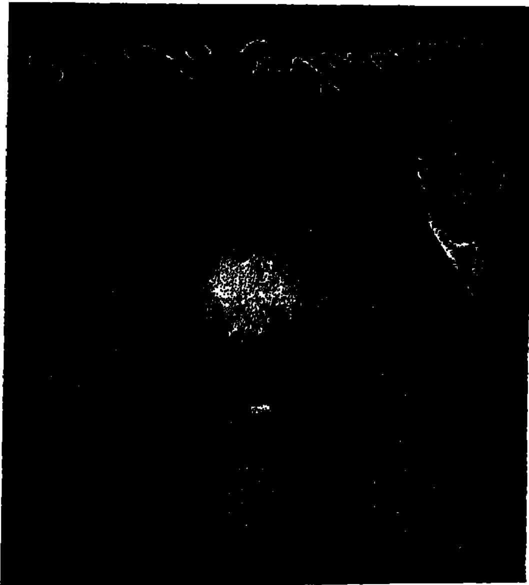
صورة روحية للسيدة مارى تويديل تلقاها زوجها شارل تويديل رئيس أساقفة يوركشير فى منزله عن طريق وساطـة كريتة دوروثى الجالسة إلى اليمين (عن مؤلفه أنباء من العالم الآخر) .

لاحظ التطابق الواضـح بين أسلوب هذه الصـورة وسالفتها ومظهرهما العام ، وذلك بالإضافة إلى الثقة المستمدة من الأشخاص الذين قاموا بالتقاطها ، ومن أن كل فريق كان يعمل على انفراد بغير أية رابطة تربط بينهم .

←

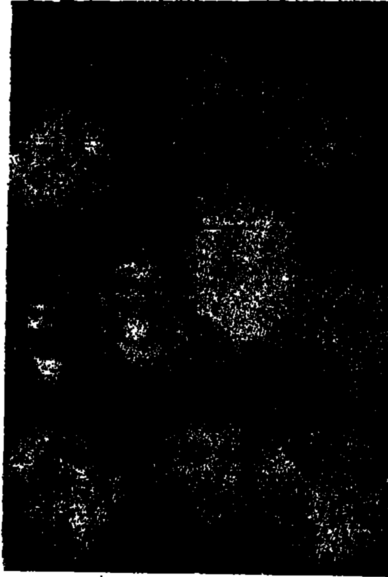


صورة روحية لسير وليام كروكس تلقاها فى منزله الأسقف تويديل (وفى الزاوية اليمنى صورة أرضية له للمقارنة) عن كتاب تويديل « أنباء من العالم التالى » (وراجع ماسبق عن المؤلف فى ص ٣٩٧)

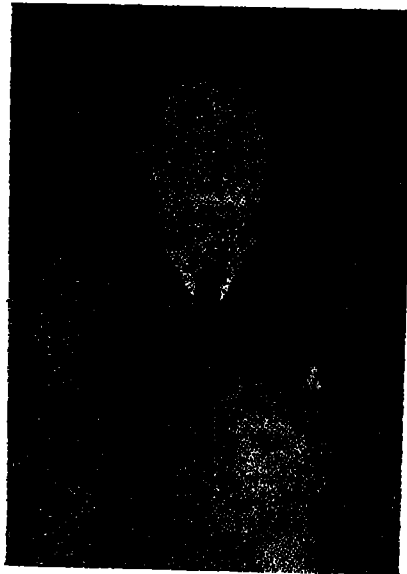


صورة روحية لسير آرثر كونان دويل وفى الزاوية اليمنى من أعلى صورة أرضية له للمقارنة (عن المرجع السابق)

تحقيق وساطة ويلى



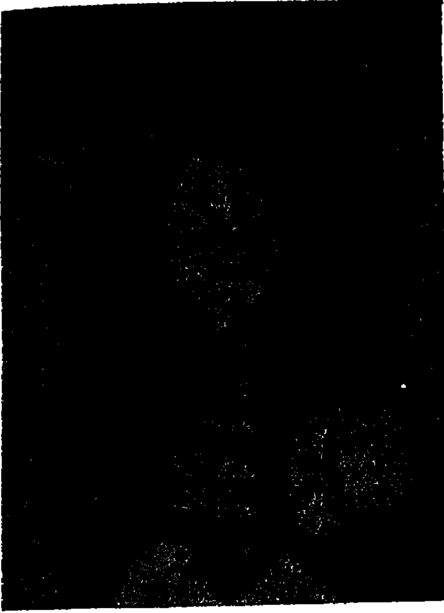
عدة وجوه غير منظورة ظهرت على لوح حساس واحد فى جلسة واحـدة فى ظروف مؤاتية فى حضور الوسيطين الأمريكى الزى رينولدز Elsie Reynolds، والبريطانى إدوارد ويلى Ed. Wyllie . وقد تحدى الدكتور جيمس كوتس James Coates بهذه الصورة خبراء التصوير فى العالم أجمع (عن مؤلفه « تصوير غير المنظور ». Photographing The Invisible ص ٣٤٣)



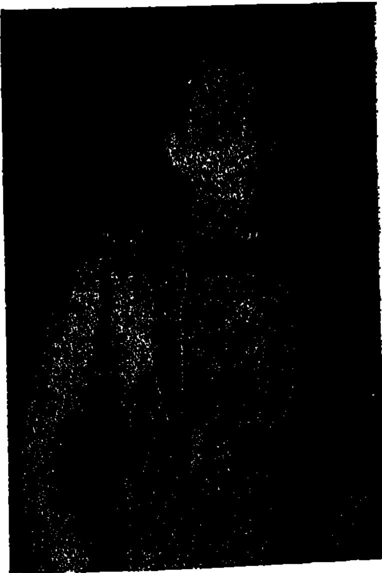
الدكتور جيمس كوتس وقد التقطت له هـذه الصورة فى حضور الوسيط إدوارد ويلى، فظهرت معه صورة روحية للسيد جون آدامسون المتوفى (عن المرجع السابق ص١٦٧)



إدوارد ويلى وسيط التصوير الروحى وقد ظهرت معه صــورة لوالدته المتوفاة (المرجع السابق ص ١٢٥)



سيدة تدعى مكاللوم وقد ظهرت معها صورة روحية لوجهين أمكن التعرف على صاحب أحدهما فقط، وهو السيد نيكولسون (عن المرجع السابق ص ١٨٩)





سيدة تدعى كلارا آشورث وقد ظهرت معها صورة سيدة تدعى آليس هوايتيكر توفيت منذ ١٨ أبريل سـنة ١٩١٠ وذلك فى حضـور نفس الوسـيط (عن المرجع السابق ص١٩٩) .



صورة التقطت فى حضور الوسيط ويلى ، فظهرت فيها صورة روحية للطفلة المتوفاة آجنس تويديل سمبسون ابنة زوجة الدكتور جيمس كوتس (المؤلف)، ويقرر الأخير أن صورة الطفلة لا تطابق أية صورة أخرى التقطت لها أثناء حياتها الأرضية ، لكنها تشبه الطفلة المتوفاة تماما فى ملامحها وجلستها . وقد أحضرت هذه الصورة للمؤلف سيدة غريبة عنه تدعى السيدة شو ، عند ما ظهرت هذه الصورة الواضحة غير المتوقعة .

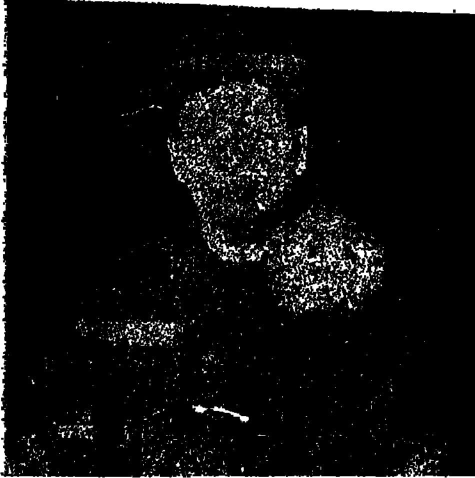
(عن المرجع السابق ص ١٩٠)



صورة التقطت فى حضور نفس الوسيط للسيدة شارلوت جرانت فظهر فيها واضحا وجه ابنها المتوفى أليكساندر جرانت .

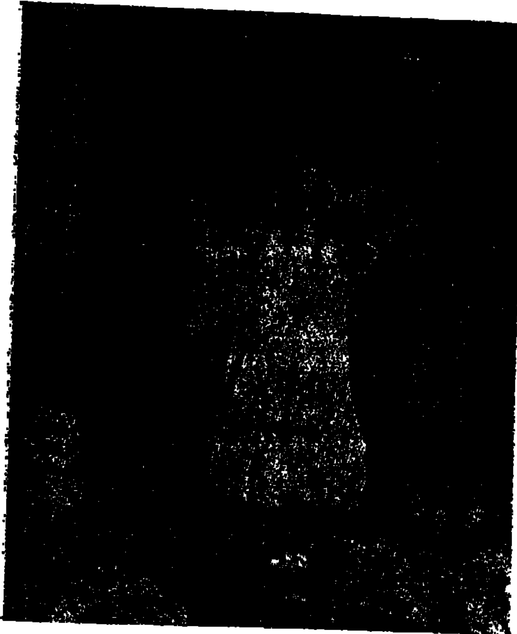
(عن المرجع السابق ص ١٩٢)

تحقيق وساطة ويلى فى أمريكا



صورة الرجل صيني يدعى شارلى التقطت فى حضور الوسيط ويلى بناء على طلب أعضاء جمعية البحث الروحى فى باسادينا The Pasadena Psychical Research Society بكاليفورنيا بأمريكا فى شهر نوفمبر سنة ١٩٠٩ . وقد قصدت الجمعية أن يكون الشخص الجالس للتصوير أجنبيا لا صلة له بالأمور الروحية فظهرت صورة وجه ابنه الذى لم يكن رآه منذ ثلاث سنين ، وكان نبأ وفاته بالصين قد أخفى عنه ، ولما استفسر شارلى من أسرته عن حقيقة الموضوع جاءه الرد بأن ابنه قد انتقل حقيقة إلى عالم الروح (عن المرجع السابق ص ١٢١ إلى ١٢٣)

وساطة مارتن



صورة التقطت فى الضوء الأبيض لشبح متجسد فى جلسة علنية بقاعة الرئيس لنكولن بمدينة دينفر بولاية كولورادو Denver, Colorado فى ٥ أبريل سنة ١٩٠٣ بمعرفة المصور الوسيط ألكسندر مارتن A. Martin فظهر الشبح ومعه عدد من وجوه أرواح غير متجسدة (إلى اليمين) ووجه غير منظور وصدر (إلى اليسار) .

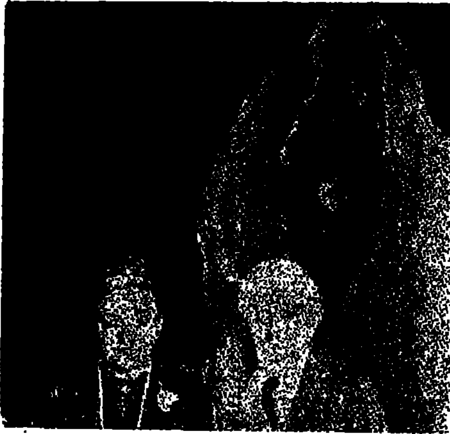
(عن المرجع السابق ص ١٣٥) .

وساطة وليام هوب W. Hope



صـــورة للسيد والسيدة هوبز Hobbs التقطت بدائرة هوب فى سنة ١٩١٩ فظهرت بينهما صورة وجه ابنهما المتوفى .

(المرجع السابق ص ٢٢٤)



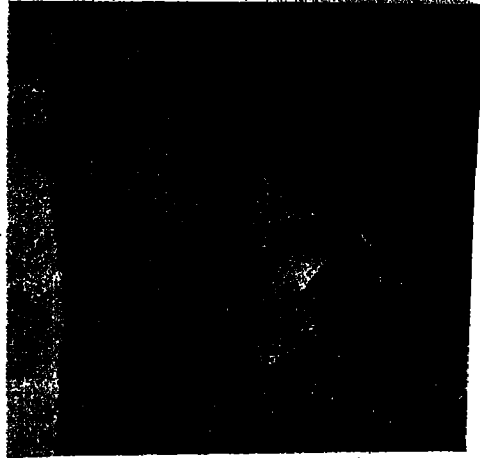
صورة تمثل الدكتور جيمس كوتس وقرينته نشرت فى « لندن ماجازين » The London Magazin (عددمايوسنة ١٩٢٠) ، وقدالتقطت فى حضور الوسيط وليام هوب بمدينة روتزى Rothesay فظهرت بينهما سيدة تبين فيما بعد أنها تدعى ليدياهاى توفيت فى روتزاى فى ١٣ سبتمبر ١٩٠٦ (المرجع السابق ص ٢٣١)



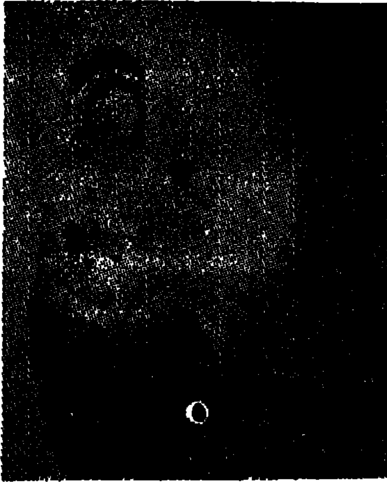
صورة تمثل الدكتور جيمس كوتس التقطت له فى دائرة كرو الروحية ، وكان الوسيطان هما وليام هوب والسيدة باكستون Mrs. Baxton فظهـرت الى اليمين صورة زوجة كوتس المنتقلة الى عالم الروح .

(المرجع السابق ص ٢٤١) .

صور روحية متنوعة التقطت فى حضور علماء كبار



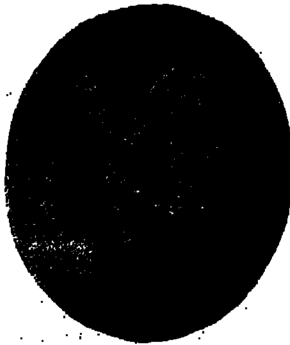
صورة التقطها جيمس كوتس فى برمنجهام أثناء تجاربه على الوسيطة السيدة « د » وزوجها وهو وسيط أيضا . فظهرت صورة روحية لوجه أمكن التعرف على صاحبته (المرجع السابق ص ٢٥٥)



صورة لسيدة مجهولة ظهرت على اللوح الحساس بدون كاميرا ولا إضاءة خاصة فى حضور الوسيط دجويد D. Duguid (المرجع السابق ص ٢٨٨)

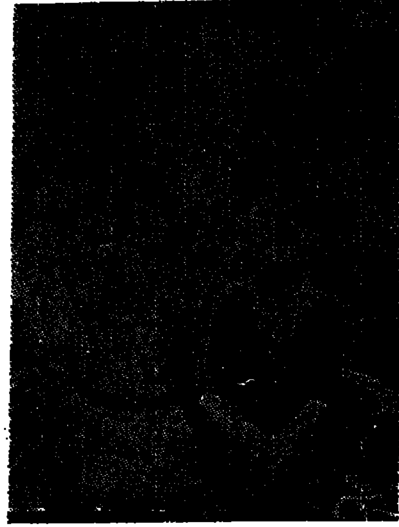


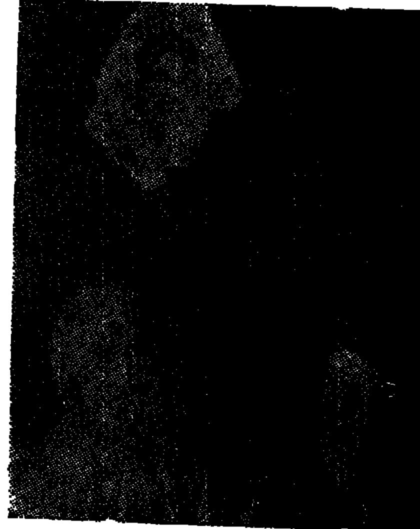
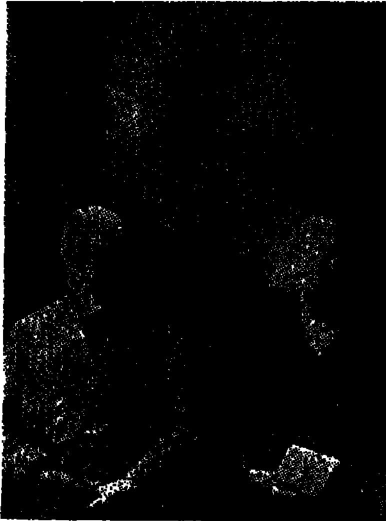
صورة للوسيط برمسون موراى وخلفه صورة روحية لمدام بونير Bonner (عن كتاب العالم اللغوى والوزير الروسى أكزاكوف « الحيوانية والروحية » (Animisme et Spirtisme)



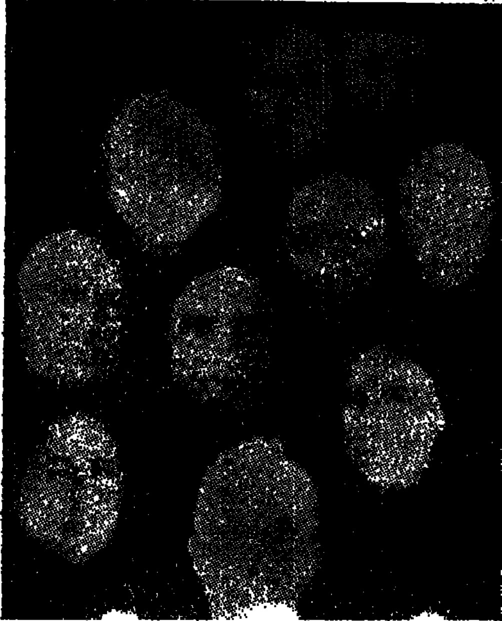
صورة لسير ألفرد راسل والاس التقطت فى ١٤ مارس ١٨٨٤ فظهرت معه روح والدته المتوفاة التى لا يعرفها الوسيط هدسون . وحصل والاس على صور أخرى روحية تحت الرقابة العلمية (عن مؤلفه المعجزات والروحية الحديثة Miracles And Modern Spiritualism.

بعض صور لغير المنظور
عن ألبوم « جمعية البحث الروحى » بلندن



التقطت فى حضور وسطاء عديدين تحت أدق سبل الرقابة العلمية التى تقطع الشك باليقين
(راجع ما سبق عن « جمعية البحث الروحى » فى ص ٣١٦ وما بعدها)



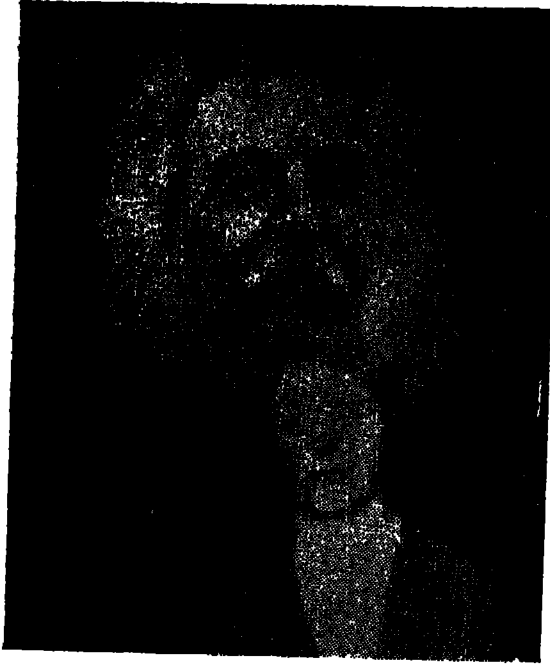
عدة وجوه غير متجسدة تظهر على لوح حساس واحد من بينها صـــورة للمرحومة قرينة الدكتور آرثر جـ.ولز مدير «الـكلية الأمريكية للعلم الروحى والتجريب» (عن مؤلفه «الحياة الآن وإلى الأبد» طبعة ١٩٤٢ ص ١١٢) .





عدة وجوه تظهر على لوح حساس واحد لأرواح غير متجسدة — وفى وضعين مختلفين — عن طريق الوسيط الدكتور هوبر Hooper فى ٣ سبتمبر ١٩٠٨ فى جلسات الأرشيدياكون كولى Colley (عن كتاب للأستاذ جـ . هنزلو G. Henslow عنوانه : «أدلة الحقائق الروحية» طبعة ١٩١٩ ص ١٠٥) .

وساطة السيدة دين



صورة روحية واضحة لوجه المرحوم سير آرثر كونان دويل التقطت تحت الرقابة العلمية عن طريق وساطة السيدة دين Deane وفي حضور السيدة كيرد ميلر Caird Miller بمكتبة ستيد Stead بإشراف الروحين المرشدين « هوايت إيجل White Eagle » « النسر الأبيض » ، و « الفارس الحكيم » Wise Knight (عن كتاب « عودة آرثر كونان دويل » للأستاذ إيفان كوك Ivan Cooke عن جريدة الديلي سكتش) .

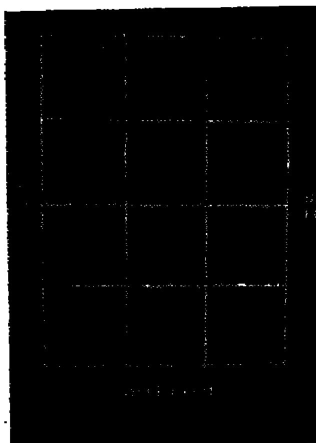


صـــورة عادية للمقارنة (راجع في هذا الشأن أيضا جريدة الأنباء الروحية عدد ٣ يونية ١٩٦٧) .

تحقيق وساطة السيدة دين Deane

تجربة فريدة فى نوعها فى «الكلية البريطانية للعلم الروحى»

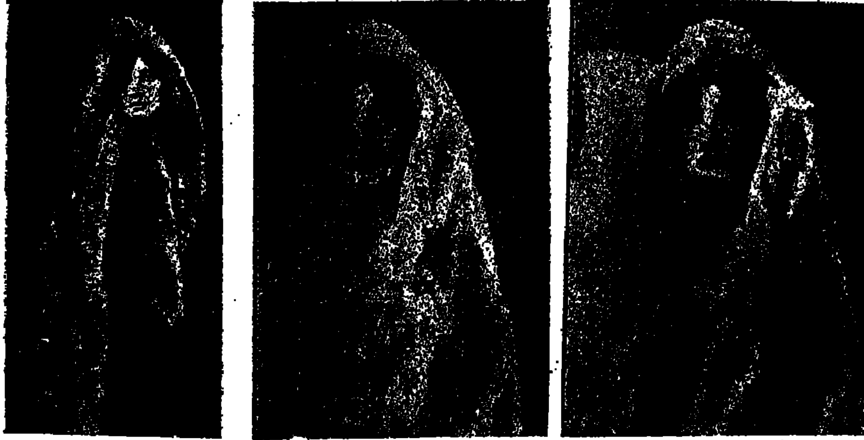






أثناء امتحان دقيق لوساطة السيدة دين Deane طلب أحد العلماء الحاضرين أن تحدث علامات فى مربع معين من عدة ألواح حساسة قسم كلا منها الى اثنى عشر مربعاً صغيراً فنجحت الروح المهيمنة فى إحداث العلامات فى المربع المطلوب ، وكانت الألواح الحساسة مغلقة ومختومة وتم تحميضها وطبعها داخل الكلية بعيداً عن متناول أية يد غريبة عنها (عن مجلة العلم الروحى Psychic Science التى تصدرها « الكلية البريطانية للعلم الروحى » عدد يوليه ١٩٢٢ ص ١٣٤ — ١٤٤ . وراجع ما سبق عن الوسيطة السيدة دين فى ص ٢٢٠ — ٢٢٢) .

وساطة السيدة دين أيضاً



ثلاث صور واضحة فيها ملامح الوجه التقطت عن طريق وساطة السيدة آدا إما دين
(عن كتاب « تجارب في الروحيات » Experiments in Psychics, 1938 للدكتور
واريك ص ٢٢) .

وساطة السيدة دونوهو



صور روحية كنماذج من ستمائة وخمسين صورة أو أكثر ظهرت بدون كاميرا على الألواح
الحساسة بعد وضعها على جبين السيدة دونوهو Skotagraphs لأرواح غير متجسدة . وأمكن
التعرف على عدد محدود من أصحابها .
(عن كتاب « تجارب في الروحيات » للدكتور ف . و . واريك ص ٣٢٧)

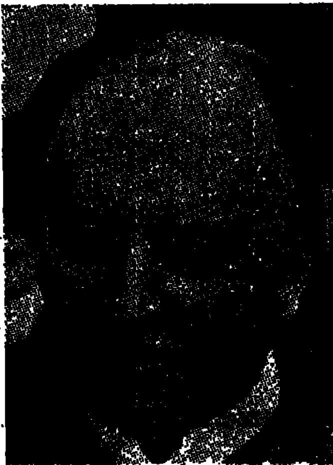
وساطة الدكتور جون مايرز





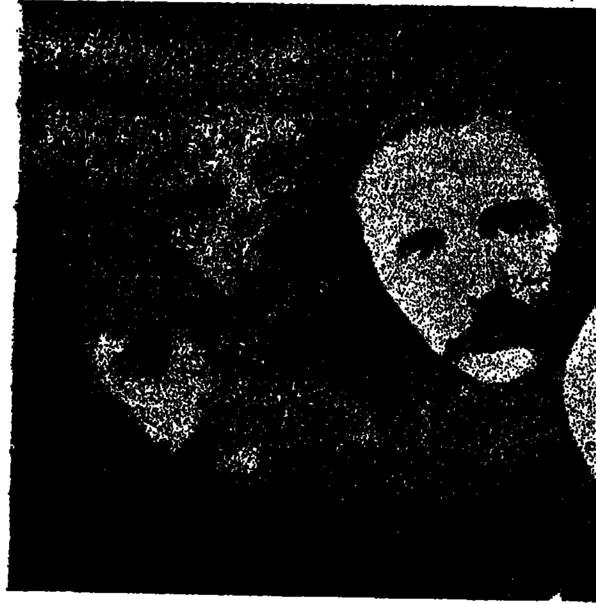
الى اليمين صورة لروح الفيلسوف الفرنسى المعروف كامى فلاماريون كما ظهرت على اللوح الحساس أثناء اجتماع حافل بقاعة ألبرت بلندن « أكبر قاعة فى أوروبا » وكان وسيط التصوير هو الدكتور جون مايرز John Myers طبيب الأسنان وذلك تحت رقابة علمية دقيقة ، والى اليسار صورة عادية لنفس الفيلسوف للمقارنة (عن جريدة الأنباء الروحية Psychic News عدد رقم ١٧١١ الصادر فى ٢٠ مارس سنة ١٩٦٥) .



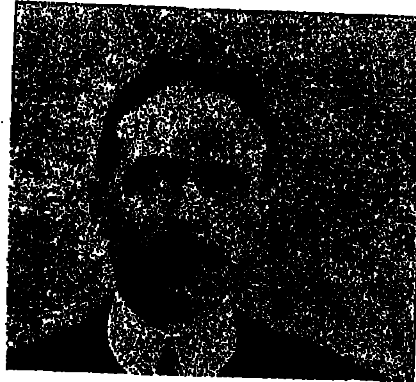


إلى اليمين صورة روحية للورد كرزون Curzon الذى كان وزيراً لخارجية بريطانيا، ونائبا للملك بالهند، وأديباً التقطت عن طريق نفس الوسيط . وإلى اليسار صورة عادية للمقارنة (عن نفس الجريدة عدد رقم ١٨٧٧ الصادر فى رقم ٢٠مايو ١٩٦٨). وقد أملت الروح كتابين على الوسيط جون سكوت (أ.ك كامبل E. C. Cambell) سنشير إليهما فى الجزء الثانى.

الدكتور كروفورد يثبت حياته بعد الموت



صورة التقطت بدائرة هوب بياكستون في أغسطس سنة ١٩٢٨ لروح الدكتور و. ج. كروفورد W. G. Crawford غير متجسد ، وقد حاول إظهار نفسه مرتين على نفس اللوحة قبل أن يظهر بالوضوح المطلوب . وحتى في المرة الثالثة عجز عن إظهار أذنيه (عن كتاب تجارب في الروحيات Experiments In Psychics للدكتور واريك Warrick ص ٦٥ ، ٩٥ وراجع ما سبق عن الدكتور كروفورد في ص ٣٤٨) .

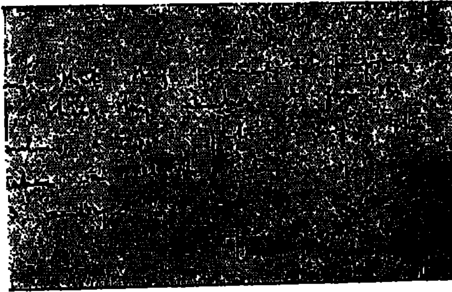


صورة عادية للمرحوم الدكتور كروفورد للمقارنة

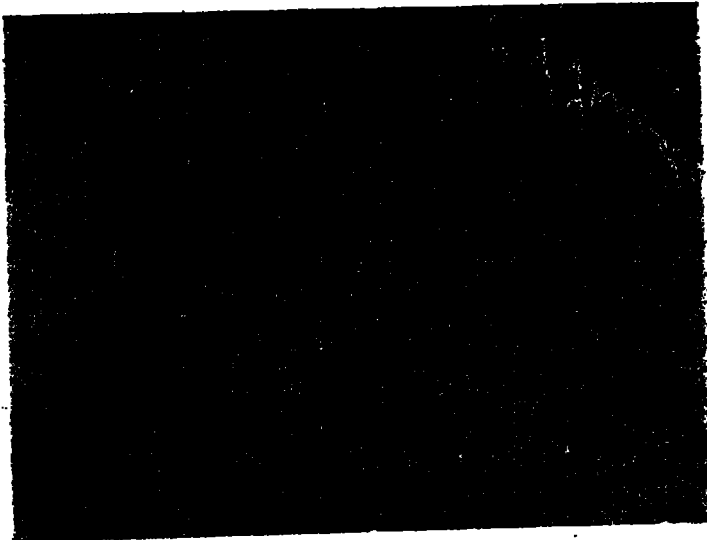
مضاهاة الخطوط بعد مضاهاة الصور



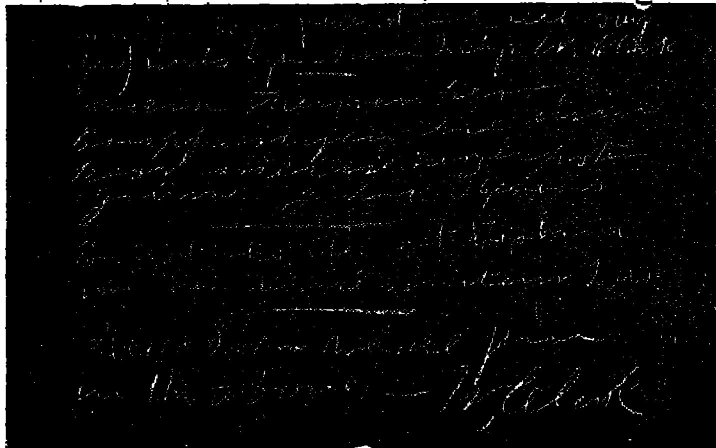
رسالة من روح الدكتور و . ج . كروفورد بخطه وتوقيعه على اللوح الحساس
(عن المرجع السابق ص ٩٣ — ٩٥)



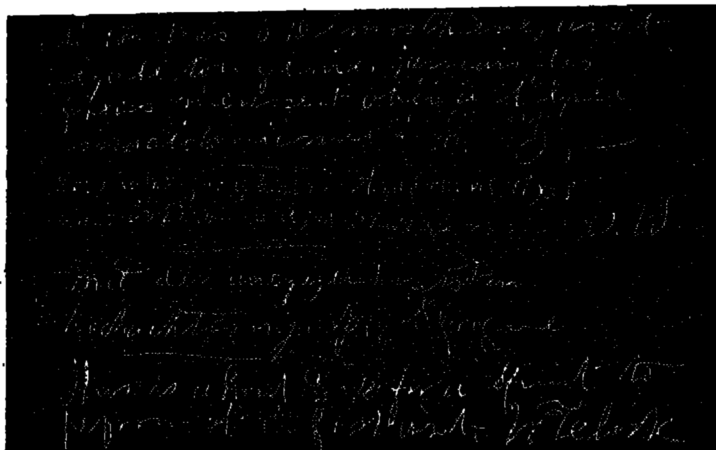
نموذج مصغر لخط الدكتور و.ج . كروفورد أثناء حياته الأرضية للمضاهاة .



رسالة روحية بخط المرحوم سير آرثر كونان دويل وبتوقيعه تلقاها الأسقف شارل تويديل على لوح حساس في جلساته الخاصة في منزله (عن مؤلفه « أنباء من العالم الآخر » طبعة ١٩٤٧) . كما تلقى عدة صور روحية له بنفس الطريقة .



صورة خطوط وتوقيعات بأيد غير منظورة فى حضور الوسيط الدكتور هنرى سلاد H. Slade على ألواح « أردواز » مغلقة ومختومة بعناية عن كتاب للدكتور بول جيبييه Gibier مدير « معهد باستير » بنيويورك عنوانه « الروحية : دراسة تاريخية وانتقادية وتجريبية »
Le Spiritisme : Etude Historique, Critique Et Experimentale
طبعة ١٨٨٦ ص ٢٩٤ . (راجع ما سبق عن المؤلف فى ص ٤٠٣ — ٤٠٥)



عن المرجع السابق أيضا ص ٢٩٨

SWEDENBORG'S HANDWRITING

نموذج من خط وتوقيع روح الفيلسوف سويد نبرج عن طريق وسيط الكتابة التلقائية الدكتور جورج ت . دكستر G. T. Dexter (عن كتاب «الروحية Spiritualism» من تأليف القاضى إدموندز J. W. Edmonds رئيس المحكمة الاتحادية العليا ثم رئيس السناتو الأمريكى بالاشتراك مع الدكتور دكستر وناتانيل ب . تالمدج N. P. Tallmadge السناتور السابق ومحافظ ولاية وسكونس Wisconsin . طبعة عاشرة . نيويورك ١٨٦٦ الجزء الأول ص ٣٨٨ . وراجع ما سبق فى ص ٢٦٦)

LORD BACON'S HANDWRITING

بنفس الطريقة نموذج من خط وتوقيع روح الشاعر لورد باكون Bacon (عن المرجع السابق ج ١ ص ٣٨٩) .

الفصل الحادى عشر

فى الأدب الروحى والإلهام

من أهم نواحى البحث الروحى دراسة الأدب الروحى ، وما يتصل به من ظواهر وساطية يغلب عليها الطابع العقلى ، تحمل أوصافاً متنوعة ، ولو أنه لا توجد حدود فاصلة بين أى نوع منها وآخر، ومن هذه الأوصاف الجلاء السمعى ، والتلباثى أو التخاطر ، وقد تضاف إليها ظاهرة الكتابة التلقائية Automatic Writing وهى ذات طابع عقلى وفيزيقى فى وقت واحد .

ومما لا ريب فيه أن الإلهام Intuition يعد أرق صور الوساطات العقلية ، ويتطلب مستوى عالياً من نضج العقل والأخلاق عند الوسيط أو الوسيطة ، ويبدو أنه لا توجد أيضاً حدود فاصلة بينه وبين غيره من صور الوساطات العقلية المماثلة الآنف الإشارة إليها مثل التخاطر والجلاء السمعى ، ولكنه يختلف فى أنه ذو طابع عقلى صرف .

ودراسة الإلهام ، وما قد يختلط به من ظواهر عقلية، وما قد يرد عن طريقه وعن طريقها ، من فلسفة ومن أدب سواء أكان شعراً أم نثراً . . . موضوع متشعب الأطراف، وإنما يكفى هنا أن نعالج — فى عجالة — زاويتين أساسيتين منه فحسب فى الفصل الحالى وهما :ـــ

الأولى : زاوية عرض النظرية الروحية — بوجه عام — فى الأدب الروحى والإلهام .

والثانية : الصلة بين العبقرية والإلهام .

وسنخصص لكل زاوية منهما مبحثاً على حدة فيما يلى :

المبحث الأول

النظرية الروحية

فى الأدب الروحى والإلهام

ذكرنا فى مناسبة سابقة أن الانتقال إلى عالم الروح عن طريق الموت ، لا يحدث تغيراً سريعاً ولا مباشراً فى شخصية الإنسان ، كما لا يمس ذاكرته إلا من ناحية بعض الذكريات التى لم تحدث فى العقل الباطن أثراً مذكوراً . بل قد يبدو الذهن بعد الانتقال - بفترة تتفاوت فى مداها — أكثر صفاء، وتبدو الأخلاق أكثر اكتمالا. لأن طبيعة الحياة الأرضية — بما تستتبعه من التصاق دائم بجسد مادى ثقيل الوطأة على نفس صاحبه دون ما وعى منه — قد تعوق الذكاء من أن يعبر عن نفسه التعبير المطلوب ، وقد تعوق الأخلاق — مهما كانت نبيلة — من أن تظهر على نبلها الحقيقى إزاء كثرة مطالب الجسد ، وتطاحن الشهوات والرغبات على المستوى الأرضى .

ومن المتفق عليه أن المستوى الثقافى والخلقى والفنى الذى تنتهى به الحياة الأرضيه هو نفس المستوى الذى تبدأ به الحياة فى الأثير. فانفصال الجسد الأثيرى عن الجسد المادى يمثل مجرد حادثة للانتقال ، أو بالأدق وسيلة للميلاد هناك ، كما أن انفصال الجنين من بطن أمه وسيلة للميلاد هنا . وميول الإنسان العلميـة والفنية والعاطفية تلازمه هناك ملازمة تامة، وهو يجد أمامه فرصاً لتنميتها وصقلها لا تخطر له على بال وهو على المستوى الأرضى. ومن ثم كانت الحياة الأدبية والفنية متقدمة فى عالم الروح إلى حد لا يمكن أن ندركه عندما نكون محكومين

---

(١) راجع ما سبق و ص١٩٧ عن سويدنبرج، وفى ص٢٠٠ عن أندروجا كسون دافيز، وفى ص ٢٠٢ عن هدسون تاتل .

بقيود الجسد المادى . أو بعبارة أخرى أن حضارتنا الأرضية تعد تافهة جداً إلى جانب حضارة المناطق الراقية من عالم الروح .

وهذا المستوى الرفيع تشير إليه مئات من كتب واردة من هناك عن طريق وسطاء كبار للإلهام والتلباثى ، والكتابة المباشرة والتلقائية[1]. بل ورد بعضها عن طريق وسطاء للظواهر الفيزيقية ، إذا كان من شأن هذه الوساطة أن تحرك جهازاً للكتابة أو للاستقبال ، مثل الكوميو نيجراف ، أو الرفلكتوجراف ، أو جهاز مورس للاستقبال أو غيرها[2].

وقد لاحظ هذا المستوى أدباء كبار فى الخارج ، ممن أشرنا إلى بعض أسمائهم وأسماء مؤلفاتهم فى الباب السابق، وبعضها يتضمن الإشادة بهذا المستوى الرفيع لبعض الكتب الواردة من أرواح راقية تأبى أحياناً أن تذكر أسماءها صراحة وتكتفى باستعمال أسماء رمزية ، لأنها تقول إن الأسماء لا قيمة لها فى نظرها ، وإنها تفضل أن يطلع القراء على آرائها بصرف النظر عن أسمائها الحقيقية التى كانت تتسمى بها عندما كانت على المستوى الأرضى.

ومن هذه الأسماء المستعارة مثلا سيلفر بيرش (الشجرة الفضية) ، وهوايت إيجل (النسر الأبيض). وهوايت هوك (الصقر الأبيض)، ومون تريل (طريق القمر)، وأجاشا، وزودياك (الأبراج)، وباشينس وورث، وهوايت راى (الشعاع الأبيض) وغيرها. وفى بعض فصول الجزء الثانى سنورد طائفة من أقوال بعض هذه الأرواح التى أصبحت تملأ الآن مجلدات كثيرة، وأصبح لروح راقية واحدة مثل سيلفر بيرش ما يملأ حتى الآن عشرة كتب تنبض بالفلسفة الحية ، وتتسم بسعة الأفق ، وعمق الحكمة مع وضوحها وبساطتها، ومثلها الروح هوايت إيجل التى أصبحت لها دار نشر خاصة باسمها[3] .

---

(١) راجع ما سبق فى ص ١٦١ .

(٢) راجع ما سبق فى ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٣) راجع ماسبق عنها وعن وسيطتها فى ٣٩٣ ؛ ٣٩٤ .

وقد تحمل علماء وأدباء وصحفيون كبار مسئولية نشر هذه المؤلفات، ووضع أسمائهم عليها ، والتقديم لها بمقدمات والتعليق عليها وشرحها لإبراز قيمتها الأدبية أو الفنية ، فضلا عن قيمتها فى الإقناع بصحة الموضوع برمته .

والأمر الذى يهمنا فى الفصلين الحالى والمقبل ، ونحن بصدد تقديم بعض البينات الأدبية ، أن نقرر أن بعضاً من الأدباء والكتاب والشعراء المعروفين قاموا بعد انتقالهم — بفترات تتراوح فى مداها — بإملاء رسائل وكتب تحمل الطابع المميز لآرائهم ولشخصياتهم بما يكفل دفع كل شبهة فى هذا الصدد . ومن هذا البعض مثلا لورد نورثكليف Northcliffe [1] ، وجيروم Gerome ، وكونراد Conrad ، وجاك لندن Jack London [2] ، وإدجار والاس Edgar wallace ، وآرثر كونان دويل Arthur Conan Doyle [3] ، ووليام ستيد william T. Stead [4] ، وتشارلس ديكنز Ch.Dickens وغيرهم .

بل إن الأخير منهم وقد وافته منيته فى ٨ يوليه سنة ١٨٧٠ قبل تتمة روايته الأخيرة « لغز إدوين دروود » [5] أتمها بعد انتقاله عن طريق الوسيط الأمريكى ت.ب. جيمس T. P. James فى مدينة بوسطون خلال سبعة أشهر من الكتابة التلقائية بين عامى ١٨٧٢ ، ١٨٧٣ ، وبلغت صفحات التكملة ألفاً ومائتى صفحة ونشرت فى سنة ١٨٧٤ . وقد شهد لفيف من أبرز رجال الأدب

---

(١) راجع ما سبق فى ص ٣٧١ .

(٢) راجع فى هذا الشأن كتاب إدوارد بيرون باين Edward Biron Payne وعنوانه روح جاك لندن The Soul Of Jack London (١٩٢٧) .

(٣) راجع كتاب « عودة آرثر كونان دويل » للأستاذ إيفان كوك Ivan Cooke (١٩٥٦) وكتاب عبر البرزخ Across The Gulf للأستاذ موريس باربانيل Maurice Barbanell ص ٣٥—٤٨ ، وما سبق فى ص ٣٦٦—٣٦٨ .

(٤) راجع ما سبق فى ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ .

(٥) The Mystery Of Edwin Drood

والصحافة أنه يتعذر تماماً على أى قارىء أن يميز بين ما كتبه ديكنز قبل وفاته وما كتبه بعدها ، سواء فى الأسلوب، أم فى العبارة، أم فى التعابير الإنكليزية الخالصة مع أن الوسيط أمريكى اللهجة ، أم فى تسلسل الحوادث ، بل إن الأغلاط الإملائية التى كانت تميز كتابات ديكنز أثناء حياته بقيت على حالها ، والوسيط ليس أكثر من غلام يشتغل بالصناعة الآلية ، ولا صلة له بالأدب ولا بقصص تشارلس ديكنز .

كما أن أوسكار وايلد Oscar wilde بعث من هناك كتاباً عنوانه « رسائل جديدة من أوسكار وايلد» عن طريق وساطة الكتابة التلقائية بمعرفة السيدة هستر ترافرز سميث H. Travers Smith قدم له عالم الطبيعة المعروف سير وليام باريت، الذى أشرنا إلى مكانته العلمية وإلى صلته بالبحث الروحى عندما تكلمنا عن « بعض الأسماء والمراجع فى بريطانيا »[1] . كما أملى عدة رسائل على الدكتور س.ج.سول S. G. Soal أستاذ العلوم بجامعة لندن، وهو عالم فى الباراسيكولوجى. وفى نفس الوقت وسيط للكتابة التلقائية ، وقد جلس يوماً ممسكاً بالقلم يفكر فى مشكلة رياضية فإذا به يكتب رسالة من أوسكار وايلد متميزة بكل خصائص أسلوبه فى التغزل فى محاسن الطبيعة وألوانها الزاهية .

وإذا كانت العقول قد تملك ملكة التأثير المباشر فى المادة الصلبة أحياناً — على ما بيناه فى الفصل السابق بأسانيده العلمية — أفلا يملك العقل المتحرر من ربقة الجسد المادى قدرة التأثير فى عقل إنسان آخر لم يتحرر منه بعد عن طريق التلباثى (أو التخاطر) أو ما يشبهه من وسائل ؟ ! ..

---

(١) راجع ما سبق عنه فى ص ٣٣٢ . وراجع فى هذا الشأن مقالا للعالم النفسى إرلستو بوزانو عنوانه « عودة أوسكار وايلد » فى « المجلة الروحية La Revue Spirite » عددا مارس وأبريل سنة ١٩٢٦ .

وبالاطلاع فى الكتب الروحية أ كاد لا أجد أديباً ولا صحفياً مرموقاً ، ممن كانوا مهتمين بالحركة الروحية وهم على المستوى الأرضى ، لم يرسل من هناك رسائل أو كتباً تحمل نفس الطابع المميز من أسلوبه فى التفكير والكتابة ، ونفس المستوى الأدبى الذى يمكن لأى ناقد عادى أن يعرفه عنهم . وهذا من دواعى الاطمئنان إلى صحة مصادر هذه الرسائل والكتب ، بالإضافة إلى الثقة المستمدة من مكانة بعض الوسطاء وسمعتهم التى لا غبار عليها ، فضلا عن مكانة العلماء الكبار الذين أشرفوا على تحقيق صحة وساطاتهم بأسلوب علمى ناقد مثابر .

بل إن من الأدباء من كانوا ينكرون صحة هذا الموضوع برمته وهم على المستوى الأرضى — وربما بدافع من الإلحاد أحياناً ، أو من الشك فى وجود حياة أخرى — مثل جورج برنارد شو الأديب الإيرلندى المعروف، ثم وضعوا نصب أعينهم بعد انتقالهم أن يحاولوا الاتصال بالأرضيين كيما يثبتوا صحة الموضوع ويعتذروا عن خطئهم السابق . وقد حافظ شو على نفس طريقته التهكمية الفريدة التى تعصى على التقليد ، فراح يتهكم فى سخرية لاذعة على نفسه، وعلى أسرته، وعلى مصير جسده البالى . فنجده يقول للوسيطة « علمت أنه من غير المسموح لروح الميت أن تظهر فى وسط الروحيين ما لم تذكر أو تكتب اسمها ، ويؤسفنى أنك لا تستطيعين معرفة شخصية كاتب هذه السطور هل هو برنارد شو الشرير ، أم هو شخص آخر ، لا سيا وأنى لا أحمل تذكرة تحقيق شخصية ا . . . » .

ونجده يقول لها أيضاً « سوف تأتى اللحظة التى يختفى فيها برنارد شو وزوجته وعائلة وبز Webbs كلها فى بحر الفناء اللانهائى حيث تتجمع ذرات أجسادنا مرة ثانية لا لتكون برنارد شو نفسه أو عائلة وبز ، ولكن كيما

تصبح الكثيرين من الأحياء الآخرين : منهم اللصوص ، وطلبة العلم ، وفقراء القساوسة ، وعلماء القنابل الذرية، والعاهرات ، وغيرهم .... هؤلاء جميعاً يقتطعون أجساد برناردشو وعائلته الذين أثاروا مشكلاتهم وعرضوها على الناس وهم أحياء. هكذا يصير الشأن بالنسبة لسائر المخلوقات إلى الأبد فلايدوم إلا الحق» ثم توقيع ج . ب . ش .

فهل يقدر لسان آخر غير لسان برناردشو على مثل هذا الحديث اللاذع؟!.. وهل يمكن لوسيطة أية كانت أن يسرح بها الخيال على هذا النحو الشاذ من الجمع بين الحابل والنابل فى جملة واحدة كأنه يريد أن يعتذر بها عن التهكم المرير الذى قاساه منه كل أولئك ، والذى كان الصفة المميزة لأدب هذا الأديب العملاق فى التهكم على نفسه وعلى عباد الله أجمعين حيثما وجدوا وكيفما كانوا (١) ! ...

ألغاز يحلها علم الروح

وهكذا يلقى العلم الروحى بتسليمه بالأدب الذى قد يجىء من « الجانب الآخر » — شعراً أو نثراً — أضواء جديدة على لغز بعض العباقرة ، بما يعجز عنه تماماً المذهب المادى ، والسيكولوجيا التى تنكر إمكان وجود هذا الاستحواذ الخارجى . ومن ذلك مثلا أن شكسبير، أبرز شعراء التاريخ ، لم يؤتَ أى حظ من الثقافة أو الاطلاع، مع أن رواياته تتضمن تحليلاً عميقاً فى بلاغة شعرية يضرب بها المثل لأعمق العواطف والانفعالات الإنسانية ، بما يعجز عنه أحسن علماء

---

(١) راجع مجلة « عالم الروح » عدد أبريل سنة ١٩٥٢ ص ١٦ — ١٩ ، عن مجلة رينولدز نيوز Reynolds News ، وكانت الوسيطة هى السيدة جيرالدين كامينز Geraldine Cummins، وكان الاتصال عن طريق الكتابة التلقائية Automatic Writing (راجع ما سبق عن الوسيطة فى ص ٣٩١ ، ٣٩٢) .

النفس . كما تتضمن سرداً دقيقاً لتواريخ ملوك سابقين وشعوب متعددة لا يمكن أن يقوم بها إلا من أحاط إحاطة تامة بسير الملوك والشعوب التى تناولتها رواياته وأشعاره ، فأين ومتى أتيح لشكسبير هذا القدر الهائل من الثقافة ، وقد كان خاملا متواضعاً قبل أن يصبح شاعراً ومؤلفاً مسرحياً؟ !....

فى جلسة روحية تمت داخل « الكلية البريطانية للعلم الروحى » صرحت روح الشاعر الإغريقى القديم يوريبيديز Euripidés أنها كانت تلهم شكسبير الشعر ، حين كان السائد فى ذهن بعض الموجودين أنها ربما تكون روح الشاعر اللورد بيكون Lord Bacon . وظلت هذه الواقعة محفوظة لم تعلن لإنسان لسنتين أو أكثر، ولم يعلق عليها أحد من الباحثين أية أهمية إلى أن نشر الأديب الإيرلندى المعروف جورج برناردشو G. B. Shaw — وكان لا يزال على قيد حياته الأرضية — بحثاً أدبياً مفصلا عن شعر شكسبير اتهمه فيه بأنه كان ناقلا عن شاعر الإغريق القديم يوريبيديز ، وأنه كان متأثراً بشعره إلى حد صارخ . وساق برنارد شو شواهد جمة من الشعرين لتأييد نظريته ، ولإبراز التشابه بين الأفكار والتراكيب عند كل منهما ، مع أن برنارد شو لم يكن روحياً ولا صلة له بما جرى فى الكلية البريطانية ولا أية معرفة به ، بل كان ينكر موضوع الأرواح أصلا ويتهكم عليه أحياناً .

لذا وقف مدير الكلية وأحد مؤسسيها وهو الأستاذ جيمس هيوات ماكنزى J. H Mc. Kenzie (١٨٧٠ - ١٩٢٩) فى حفل عشاء تعقده الكلية سنوياً ، وكان ذلك بتاريخ أول مارس سنة ١٩٢٨ ، وكان الأديب الكبير جورج برنارد شو ومدعواً فيه . فألقى ماكنزى خطاباً فى مواجهته روى فيه هذه الواقعة الطريفة ، وكيف تأيدت بالبحث الأدبى الذى قام شو بنشره عن أوجه الشبه الصارخ الذى لاحظه بين شعرى شكسبير

ويوريبيديز ، ثم سأل برنارد شو مداعباً ألا تذكر لنا اسم الروح التى تلهمك الكتابة(١) ؟

ولست أريد أن أجزم بأن شكسبير كان وسيطاً روحياً ملهماً من شاعر الإغريق القديم يوريبيديز أو من غيره . لكن أريد أن أعطى مثالا سريعاً لواحد من عشرات من الأمثلة التى بحثت فى شأن الوساطة الروحية الراقية بأساليب علمية ، وداخل معاهد جادة لا يعنيها شىء إلا الوصول إلى الحقيقة العلمية .

الإلهام حقيقة علمية وفلسفية

كما أريد أن أبين كيف أن موضوع الإلهام من عالم خارجى ، وهو عقيدة قديمة قال بها كثير من فلاسفة الإغريق ، والمسيحية ، والإسلام – ولم تخل منه فلسفة من فلسفات التصوريين من أمثال ليبنتز Lebnitz ، ومالبرانش Malbranche ، وبيركلى Berkley — قد انتقل من نطاق الفلسفة النظرية إلى نطاق البحث التجريبى فى العصر الحاضر . وذلك إلى حد أننا نجد أن « الموسوعة البريطانية » Encyclopaedia Britannica تقرر فى طبعتها الرابعة والعشرين الصادرة فى سنة ١٩٥٦ فى مجلد رقم ٢٢ فى ص ٣٩٨ تحت عنوان Trance أى الغيبوبة ما يلى – بعد أن شبهت الغيبوبة الوساطية بالتنويم المغناطيسى – « إن من الظواهر الملفتة للنظر فى الغيبوبة الوساطية حدوث الحديث التلقائى والكتابة التلقائية automatic speech and writing . . . وهما يصدران أحياناً من عدد كبير من الناس الذين يبدون فى صحة عقلية تامة وهم فى حالة اليقظة . وهم لا تظهر عليهم أية ظاهرة أخرى لشذوذ ما . . . وقد ازداد الاهتمام بدراسة موضوع الغيبوبة الوساطية عقب البحوث الدقيقة التى تمت فيها ، وغالبيتها كانت بواسطة أعضاء من « جمعية البحث الروحى »

(١) عن مجلة « العلم الروحى » عدد أبريل سنة ١٩٢٨ ص ٦٢ .

Society For Psychical Research[1] ممن لهم كفاية جديرة بالاحترام .
وهــــذه البحوث تتجه نحو إعادة نظرية الاستحواذ القديمة من الخارج external possession (أى سيطرة روح على الوسيط) فى الوقت الذى كان ينظر فيه إليها على أنها من غرائب علم الإنسان (الأنتروبولوجى)» .

ثم تشير دائرة المعارف هذه —وهى معروفة بشديد تحفظها وبطريقتها المحايدة— إلى أعمال العلماء فرانك بودمور[2] F. Podmore ، و ف . و . هـ . مايرز[3] F. Myers ، ووالترف . برنس[4] Walter F. Prince (١٩٦٣ — ١٩٣٤) فى مؤلفه عن « حالة دوريس فيشر »[5] ، وموروتون برنس Morton Prince (١٨٥٥ — ١٩٢٩) فى مؤلفه عن « انفصال الشخصية[6] » (١٩٠٦)، وفى « جريدة السيكولوجيا الشاذة »[7] التى تصدر بمدينة بوسطن ، ومضابط جمعيتى البحث الروحى البريطانية والأمريكية ، وغيرها من المراجع بلغات مختلفة .

* * *

هذا وقد سلم علماء كبار بهذا الإلهام الخارجى ولو أنهم أنفسهم لم يكونوا ملهمين . فنجد مثلا سير أوليفر لودج عالم الطبيعة المعروف يتحدث عنه فى محاضرة له ترجع إلى سنة ١٩١٥ قائلا :« ولنذكر فى هذا المقام أننا لسنا أجساماً فقط، بل كل منا مركب من عقل وروح فضلا عن الجسم، ويتصل الإنسان بهذه

---

(١) راجع ما سبق عنها فى ص ٣١٦ — ٣٢٨ .
(٢) راجع ما سبق عنه فى ص ٢٤٦ . (٣) راجع ما سبق عنه فى ص ٣٤٢—٣٤٦ .
(٤) وهو عالم سيكولوجى معروف وقد حقق وساطات كثيرة للالهام وبخاصة وساطة السيدة بول ليونور كارن Paul Leonore Curren وسيطة الروح باشينس وورث Patience Worth واشترك معه فى التحقيق وليام ساخت W. E. Saght أستاذ علم النفس بجامعة كورنل Cornell . وراجع ما سبق عنه فى ص ٢٨٧، ٢٨٨.
(٥) The Doris Fischer Case.
(٦) The Dissociation Of Personnality.
(٧) Journal Of Abnormal Psychology.

الـكائنات العليا المدركة ويناجيها بغير حواسه البدنية ، ويرتاح إلى الاتصال بها أكثر مما يرتاح إلى اتصاله بهذا العالم المادى الذى قضى عليه أن يعيش فيه إلى حين .

« إن كل الرجال العظام الذين ماتوا كانوا يرتاحون إلى مناجاة المدركات العليا أكثر مما يرتاحون إلى الأمور الدنيوية . وإذا عملنا على تقوية مداركنـا وقوانا اطلعنا على أكثر من ذلك . ومكننا الإلهام من معرفة أمور لا نقدر أن ندركها بغيره. إن طرق البحث المادية ليست كل طرق البحث، ولم يزل الرجال العظام منذ قديم الزمان يرون رؤى ، ويطلعون على حقائق وتظهر منهم بدائه يحاولون تدوينها كيما ينتفع بها غيرهم ... ولا أقول إنى سرت أنا على ذلك فى بحثى ، إذ يظهر أنى محروم من ذلك . . . ولـكننى قد وصلت إلى نتائج من طرق العلمية المألوفة لا تختلف عن تلك التى وصلوا إليها »[١] .

وفى هذا الاتجاه أيضاً يقول كارل ياسبرز Karl Jaspers الفيلسوف الألمانى المعاصر وعالم النفس : « إن ما ندركه فى التأمل الميتافيزيقى والخلـوة الروحية ، تلك التى ترفعنا فوق أنفسنا فى معيشتنا اليومية ، لا ينبغى أن يتهافت أو يتضاءل، كما أنه لا ينبغى أن يأخذ أهمية المعرفة التجريبية حين يضطرنا العقل إلى امتحان قيمته ، وينبغى أن يظل مطلبنا الأساسى أن نتبين هـل أضأنا فى أنفسنا منائر الحـرية أو أطفأناها ، وهل أزكينا فى حياتنا كنوز الداخل أو بددناها ؟ ! » . كما يقول أيضاً « إن الوجود المشهود لا يمـكن أن يستوعب كل الوجود ، فمن الموجودات ما لا تبلغه المعرفة العلمية . ثم إن العلم لا يفسر لنا القيم ولا يفسر معنى العلم ... »[٢]

(١) راجع شذرات أخرى من هذه المحاضرة التى تدور على الاتصال بالأرواح فى المقتطف عدد فبراير سنة ١٩١٠ ص ١٦٤ وما بعدها .

(٢) عن « كارل ياسبرز : مستقبل الإنسانية» ترجمة وتقديم الدكتور عثمان أمين ١٩٦٣ ص ١٥ ، ١٨ .

كما نجد الدكتور شارل ريخيت Ch. Recht (جائزة نوبل فى الفسيولوجيا) يعلن قائلا : «لقد استطعت فى ادنبرة أن أؤكد أمام مائة من علماء الجسم أن حواسنا الخمس ليست هى الوسائل الوحيدة للمعرفة ، بل إن ثمة شذرات من الحقيقة ترد أحيانا للإدراك بطرق أخرى ... والحقيقة النادرة الحدوث ليس معناها أنها غير موجودة، وهل تنهض صعوبة الدراسة سببا فى عدم فهمها؟!.. إن الذين سخروا من علم ما وراء الطبيعة ودمغوه بالغموض سوف يخجلون من ذواتهم ... فسلام إذن على العلم الجديد الذى سوف يغير اتجاه العقل البشرى ... ».

وفى نفس هذا الاتجاه نحو الاعتراف بالإلهام الذى لا تعرفه المدارس المادية فى تعليل المعرفة ولا تعترف به ، لأنه يعترف بقوى وراء المادة والحياة معا أسمى منها نجد بول برينتون Paul Brunton ، وهو دكتور فى الفلسفة وبحاثة معروف فى الروحية الحديثة (١) يقرر « أن ثمة شيئا ضمن عقل الإنسان والحيوان لا هو بالعقل ولا بالشعور ، بل أعمق من كليهما يمكن أن يكون وصف الإلهام ملائما له . وعندما يتمكن العلم أن يفسر حقيقة كيف يمكن للحصان أن يتعرف طريقه حاملا فارسه مخمورا لمسافة أميال خلال الظلام حتى يصل به إلى المنزل ، وكيف يتأتى لجرذان الحقول أن تحفر خنادقها قبل مجىء الطقس البارد، وكيف تتجه الخراف للاحتماء بجانب الجبال قبل العاصفة ، وما الذى ينذر السلحفاة بنزول المطر قبل نزوله حتى تنسحب للاحتماء فى مخبئها ، وما الذى يقود النسور لأميال عديدة حيث توجد جثة حيوان ميت ... فإلى أن يتمكن العلم من تفسير ذلك علينا أن نتعلم أن الإلهام قد يكون أحيانا مرشدا أفضل من الذكاء . إن العلم أمكنه أن ينتزع من مخالب الطبيعة بعض الأسرار المذهلة لكنه لم يكتشف بعد مصدر الإلهام .

---

(١) راجع ما سبق عنه فى ص ٣٨٨، ٣٨٩.

فالذكاء الذى أمكنه أن يعرض ألغازاً كثيرة متعلقة بالإنسان و بقدره وبموته عاجز أن يجد لها حلا . وعندما ينجح العلم فى غزو العالم ، وفى كشف القناع عن آخر لغز فيه ، فإنه سيواجه مع ذلك أعظم المشكلات قاطبة وهى : « هل توصل الإنسان إلى معرفة نفسه » ؟ ...(١)

***

وقد وصلت الفلسفة الهندية أيضاً إلى التسليم بالإلهام « فالقوة المفكرة فى تقديرها باردة ، أما العقل الروحى Spiritual mind فخار تموج حياته بالكثير من المشاعر السامية ومنه تفيض الإلهامات . فالشعراء والرسامون والمثالون والكتاب والخطباء وغيرهم من الموهوبين تلقوا عنه هذه الإلهامات منذ القدم كما يتلقونها اليوم وغداً . ومن هذا المعين تلقى الحكيم حكمته .

و يستطيع الإنسان بإنماء وعيه الروحى أن يرتفع بنفسه حتى يتصل بهـذه المراكز الرفيعة من طبيعته العليا حيث تضفى عليه من العلم ما لم تجرؤ على أن تحلم به قوته العاقلة وذكاؤه المعتاد ، إذا عرفنا كيف نكون واثقين مؤمنين بقوة الروح ، فإنها تقابل ثقتنا بأن تبعث فى عقولنا الومضة من الإلهام بعد الومضة حتى تستنير العقول.

وكلما تقدم الوعى الروحى إزاء اعتماد الإنسان على صوت الروح كلما أمكنه أن يميز بين ذلك الصوت العلوى، وبين مواقف الغرائز الدنيا من كيانه وعقله ، ويتعلم أن يسلم للروح قياد نفسه حتى تعتمد على تلك اليد العليا التى تأخذ بيدها وتقودها إلى سبيل الرشاد . ليس هذا خيالا ولا مجازاً ، إنما هو واقع وحقيقة من حقائق الحياة عرفها كل من وصل إلى مرحلة معينة من مراحل الطريق ، إذ يجد نفسه وقد أمسكت بزمامها يد الروح تسير بها فى الطريق القويم»(٢) .

---

(١) عن «الطريق الخفى» The Secret Path الطبعة العشرين ص ٤٦، ٤٧ .
(٢) عن « فلسفة اليوجا » ترجمة الأستاذ عريان يوسف سعد ص ٧٣ ، ٧٤ ،

وتقول نفس الفلسفة أيضاً : « امضوا فى الحياة صعداً نحو الروح ، وافتحوا قلوبكم لاستقبال نورها ، وكونوا دائماً مستعدين لسماع صوت الصمت ، مستعدين للانقياد لليد التى ترشد فى الخفاء واثقين غير هيابين ، لأن فيكم شرارة من النار الإلهية ، تلك هى الروح ، ذلك النجم المشرق ، ذلك القبس من نور الله . إنه كالسراج فى المشكاة يضىء نوره مواطىء أقدامكم حتى لا تضلوا الطريق ، وحتى تتقوا العثرات » (١) .

بعض ما تكشفت عنه البحوث الوساطية

وقد تكشفت البحوث الوساطية عن حقائق خطيرة كثيرة ، منها أن من يصلح وسيطاً للإلهام من روح معينة قد لا يصلح لغيرها بالنظر إلى قدرة الروح — أو الأرواح المرشدة — على السيطرة على حواسه ، وبالتالى تعطيل وعيه لمدة لحظة أو لحظات وذلك للتمكن من الاتصال بعقله الباطن ، أو بالأدق بعقله الإسمى . فالعقل الإنسانى كجبل من الثلج أقله ظاهر فوق سطح الماء وأغلبه مخبوء تحته .

ولأن الروح الملهمة تفعل كما يفعل تقريباً المنوِّم فى التنويم المغناطيسى فليس كل إنسان يصلح وسيطاً ، بل هناك قوانين روحية كثيرة لا تزال مجهولة من العلم ، وبخاصة قوانين القدرة على تلقى هذا الإلهام عن غير طريق الحواس المادية المعروفة . هذه القدرة التى يتمتع بها أشخاص نادرون ، ثم قوانين الروابط العاطفية التى يصعب تعليلها وتحديدها حتى الآن إلا بالقول بوجود نوع من التوافق فى الاهتزازات هو الذى قد يكون مصدر المحبة بين بعض الأشخاص وبعضهم الآخر ، حتى على المستوى الأرضى ، وهو الذى قد يكون مصدر العشق العذرى وغير العذرى . كما قد يكون عدم توافق الاهتزازات مصدراً لكراهية قد يتعذر على أصحابها تعليلها . وكل ذلك يبحث فى ضوء علم الروح الحديث .

---

(١) عن المرجع السابق ص ١١٢ .

على نحو يعجز عنه تماماً أى أسلوب مادى فى تفسير ظواهر الحياة وعصى مشكلاتها؟

وبسبب وساطة الإلهام هذه قد يتحدث الوسيط أو الوسيطة أو يكتب بلغة لم يتعلم منها حرفاً بمقدرة تامة على ما أشرنا إليه فى أكثر من موضع[١]، أو يتحدث فى مواضيع علمية وفلسفية عويصة[٢]، أو قد ينظم شعراً راقياً وهو عديم صلة بالقوافى والعروض على ما سنبينه فى الفصل المقبل. والمراجع الروحية زاخرة الآن بالعديد من الأمثلة فى هذا الشأن، ونقصد الأمثلة التى خضعت لتجريب معملى وامتحان صارم فى معاهد وهيئات لا مصلحة لها إلا فى الوصول إلى الحقائق وتسجيلها بأمانة.

* * *

وفى وساطة الإلهام الواعى وغير الواعى معاً قد يتداخل عقل الوسيط بدوره مع عقل الروح الملهمة. ولكن أمكن فى حالات معينة استبعاد هذا التداخل، والعثور على حالات واضحة لإلهام صريح مستقل تماماً عن عقل الوسيط الواعى والباطن. وقد حصل ذلك فى نطاق البحث المباشر فى علم الروح، كما حصل فى نطاق البحث فى الباراسيكولوجى، وفيما وراء الروح[٣].

وأظهر حالات هذا الاستقلال التام بين عقل الروح الملهمة وعقل الوسيط تحقق بوجه خاص فى حالات الصوت المباشر. وحالات استعمال أجهزة كاتبة تعمل آلياً عن طريق الروح رأساً مثل الكوميونيجراف، والرفلكتوجراف، والمؤشر المتحرك، والكتابة المباشرة، وعند ظهور الصور والمخطوطات وغيرها على

---

(١) راجع ما سبق فى ص ٢١٨ عن كارلوميرا بللى.
(٢) راجع ما سبق فى ص ٢٠٠ عن أندرو جاكسون دافيز، وفى ص ٢٠٢ عن هدسون تاتل.
(٣) راجع ما سبق فى ص ١٥٢ عن الباراسيكولوجى وماوراء الروح.

الألواح الحساسة، وعلى ألواح «الأردواز» المختومة المغلفة بعناية[1]. ففي الوساطات التي من هذا القبيل يتعذر القول بحصول تداخل من عقل الوسيط في الرسائل . ولذا يعلق عليها الباحثون الروحيون أهمية تفوق أهمية تفوهات الغيبوبة التي قد يحصل فيها هذا التداخل المحتمل بين العقلين ، والذي ثبت إمكان حصوله في أحوال خاصة .

ويعرف وسيط الظواهر العقلية الراقية بخصائص معينة : منها بساطة الخلق ووضوحه، والميل إلى الصدق والصراحة ، ومنها الإحساس المرهف مع صفاء السريرة، وخلو القلب من الإحن والأحقاد . ومنها نظرة وديعة حالمة واضح فيها معنى رغبة الإذعان لقوة غير منظورة تبدو أوضح ما تكون عندما يكون مشغولا بتلقى إلهامه . كما يعرف بغزارة إنتاجه وسرعته الواضحة فيه . ثم ببعد الصلة أو انقطاعها بين ثقافته الخاصة أو ناحية تخصصه وبين الناحية التي يعالجها بالإلهام أو بالجلاء السمعى . وقد يروح في غيبوبة وساطية تامة أو جزئية ، وقد لا يروح في أية غيبوبة . والغيبوبة أدعى لاستقلال وعيه ، ولسهولة اتصاله بوعى الروح المرشدة أو الملهمة ، ولكنها ليست شرطاً لهذا الاتصال.

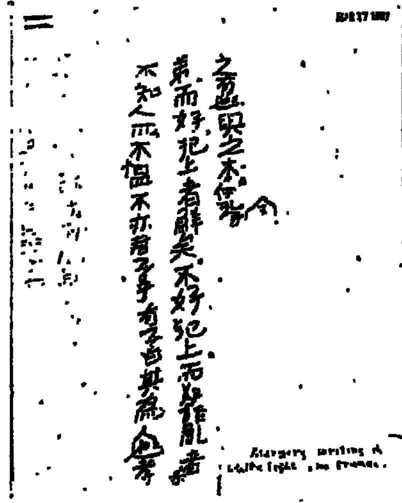
ولا يشترط في الوسيط الروحى ضعف الإرادة كما قد يتصور البعض خطأ ؛ فقد ثبت أن وسيط الإلهام كوسيط التنويم المغناطيسى يفضل فيه توافر قدر من قوة الإرادة حتى يمكنه حصر انتباهه وتركيز عقله نحو الإيحاءات الموجهة إليه من الخارج . وكل مايلزمه هو ألا تتوافر عنده رغبة العناد والمقاومة لأى تأثير خارجى ، وذلك أمر مختلف تماماً عن ضعف الإرادة . وقد وصلت الدراسات في كل ذلك إلى حلول إيجابية لا يعوزها الترابط المطلوب بين المقدمات وبين النتائج .

---

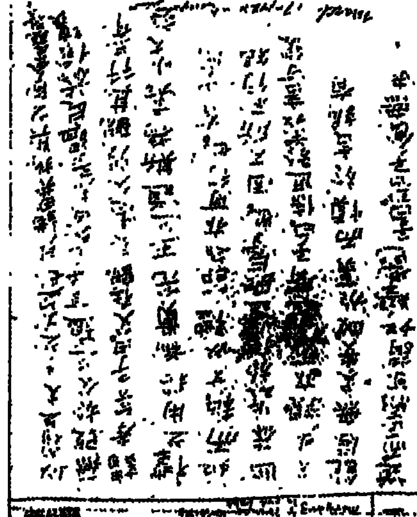
(١) راجع ما سبق في ص ٢٣٥ عن بعض الأجهزة الكاتبة، وفي ص ٧٣٦ — ٧٣٨ عن الألواح الحساسة وألواح الأردواز .

من حالات الكتابة بلغة لا يعرفها الوسيط

بعض ما أسفر عنه تحقيق وساطة السيدة مارجرى عقيلة الدكتور كراندون
أستاذ الجراحة بجامعة هارفارد



كتابة صينية للوسيطة مارجرى في الضوء الأبيض بدون غيبوبة، وهى لانعرف من الصينية حرفاً واحداً.



كتابة صينية للوسيطة مارجرى في الضوء الأحمر

وقد تم هذا التحقيق بمعرفة عدة هيئات علمية تحت أدق رقابة ولمدة سنين طويلة
راجع مجلة «الكلية البريطانية للعلم الروحى» عدد يوليه ١٩٢٨ ص ٨٧–١٦٠
وراجع ما سبق عن الوسيطة فى ص ١٧٩ –١٨٥

مثال من إلهام نثرى رائع

ومن حالات الإلهام الراقى نقدم هذا المثال ـ اخترناه لقيمته الأدبية والخلقية عن محاضرة للباحثة الفرنسية جان ديمونصو Jeanne Dumonceau ألقتها على جمهور من الباريسيين فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٤٥ وموضوعها « الأرواح المعلمة والحارسة » ، وهى المحاضرة الثانية لها من سلسلة محاضرات فى الإلهام . وفيها تروى أن وسيطاً من وسطاء الإلهام الروحى حرر لروحه المرشدة رسالة فى لحظة من لحظات اليأس والقنوط . فلم تخيب هذه رجاءه بل ردت عليه على الفور بأحسن منها ، والرسالتان قطعتان من الأدب الرفيع ، لذا نقدمهما هنا كاملتين : ـ

نداء الوسيط

« أين أنت أيها المعلم المحبوب ، فمنذ مدة طويلة أبحث عبثاً عنك حتى لقد يئست من العثور عليك، لقد عرفت متع الطفولة العابثة،ومع ذلك فلطالما أذهلتنى روائع الإله ، وما كنت أعلم إلى من أتوجه كيما يكشف لى عن سرها . ثم دخل الإثم إلى قلبى مع متاعب الحياة وبدأت منذ ذلك اليوم أشك فى إله النور ، وأيقظ البناء الخفى الذى شيده الإنسان الجديد مخاوفى ، إذ أن سلطان هذه الدنيا المادية غرر بى، وبدا لى شديد الإغراء .

فكذب علىّ من جديد زاعماً مزهواً أنه مبدع الجمال، وما هو إلا متطاول عليه بالهدم حيثما وجده . كما أخذه الصلف فزعم أنه وهبنى السعادة ، حين طحنتنى الشهوة . وانتحل لنفسه تاج العدالة ، حين خدع البشر وقادهم إلى حتفهم . ثم حمل قناع الحكمة بفضل منطقه الذى لا يمت إلى الحقيقة إلا مظهراً حين أنه فى مخبره جنون وحماقة . ووعدنى المفلس بكنوز هذه الدنيا . وغامر اللعين بالشعلة القدسية التى فىّ بأن استثار كبريائى ضد الناموس ، وأراد أن يتخذ منى مطية يستعيد بها مكانه الضائع منذ القدم ، وهو الساقط الذى يوحى

إلى النفس محبة المجانين والإخلاص للالتواء ، كما يوحى إليها الطقوس الزائفة وتحقير خيرة الأخيار وبر الحكماء .

ولطالما سقطت فى فخه ، ولئن كنت قد نجوت منه أحيانا فذلك بفضل الألم الذى فتح بصيرتى ، وأعتقد أن بمقدورى أن أميز الآن بين الحبة الجيدة وبين الحشائش الضارة . ولكنى وحيد بصورة مخيفة وسط دنيا أحتقرها لمخازيها . فأية صلة مشتركة تربط بينى وبينها ؟ ومن ينقذنى من أعدائى الكثيرين ؟ ومن يحول بينى وبين التردى فى شراكها التى تتعقبنى بشراهة وبغير توقف ؟ إن سلطانها يريد أن يسحقنى كفريسة تحاول أن تتملص من يده ويستثيره أن أرفض تسليم روحى إليه . ويفكر منتشياً فى كأس الحسرة الذى يحتفظ لى به ، ويود لو أضاف إليه أيضا آلام أحقاده الخاصة . وهو يعرفنى جيداً منذ بدأنا نتصارع متلاصقين جنبا إلى جنب ، وإذا ما قنع نظراته صرت لا أدرى أين هو الشر وأين هو الخير . وإنه ليندمج فىّ بمهارة فى لحظة استسلامى فيستحوذ الشك على وأصير حينذاك على استعداد لإنكار إيمانى فى مبدع الكون .

إنى لأشعر أنى مهجور فأين أنت أيها المعلم العزيز ؟ ... وكيف سأتعرف عليك وسط الجمع الحاشد ؟ وهل على سماتك مهابة الحكمة ، أو جلال السيد الذى تنحنى له الحياة ؟ وهل يعلو وجهك هدوء الحزم وإشراقة النعيم وجمال المحبة ؟ وبأى طريق تعتزم المجىء حتى أذهب إلى لقياك ؟ ، فالكون هائل ولست سوى ذرة ضائعة فى هول اتساعه . ولعلنى لا أكون حينئذ مستعداً لاستقبالك فاعطنى إشارة أو كلمة ، وحينئذ فسأقتلع جميع الحشائش الضارة من حقلى ، وسأفتح نوافذ منزلى على مصراعيها حتى تتطاير منه أدران الإثم فتتدفق إليه أمواج الهواء والضياء ، وسأجعل منه مكاناً نقياً تدخله دخول ظافر منتصر ، وحينئذ سأكون لك بكليتى لأنى الآن مجرد من البغض والحب معاً .

إن مثلى الأعلى ليستبد بى ويأبى أن يتخذ له شريكاً ، وإنى أريد أن أرقى خطوة فخطوة حتى أصل إلى القمة العليا حيث ترنم روحى فى تمجيد الإله الواحد، ولكن أين أنت أيها المعلم العزيز ؟ » .

إجابة الروح المرشدة

« هأنذا أيها الابن ، إنك تنادينى ، ولكنى إذا ما هرولت نحوك لا تلمحنى ومع ذلك فكثيراً ما مررت بالقرب منك عبثاً، فتعلم أن تميز بين الكائنات والأشياء ، وستعرف أن تميزنى بعلامة أحملها على جبينى . إنى أعلم — منذ ولادتك — أن طريقينا سيلتقيان لأن وثاقاً روحياً يربط بمهارة بيننا . ولقد حضرت أثناء نومك لأتبادل وإياك حديث روح إلى روح . وكنت تستمع إلى عندما كنت طفلا إلى أن فرقت بيننا الحياة، فعشت وأحببت وتألمت . وعادت إليك ذات يوم رغبة تذوق الحياة الأبدية فأردت أن تعرف وأن تزداد معرفتك أكثر فأكثر .

وأردت أن تغزو دون ما تلكؤ القمة المقدسة بين القمم التى يتأمل منها الإنسان ذاك الجمال وهو فى طريقه نحو المعرفة فأصابتك العثرات . وإذا كان اليأس قد نال منك منالا فى وقت من الأوقات فإنك لم تتوان فى البحث عن الطريق . ولقد احتقرت الحياة حيناً من الوقت ، ولكن عليك على العكس من ذلك أن تنظر إليها ملياً ، وتتعقب معالمها فى وجوه الناس ، وفى الطبيعة ، وفى السموات . فلقد حضرت إلى الأرض لهذا الغرض لا لشىء سواه . وهل نسيت روحك — على غير وعى منها — ما رسمته من قرار وما تقيدت به من قول ؟.. ألم تغادر مقرها السماوى المحنة الحرجة التى تحررها من الظلمات ، وكيما تهىء لنفسها مكاناً فى كنف الإله الواحد ؟.

وما عزلتك إلا ثمرة جهلك ، فتعقب الحياة وستعلم حينذاك أى تدرج

رائع يوجد بين ما هو أمامك من الكائنات ، وستتعرف من بينها على ذويك ومن يمت إليك بصلة القربى ، ولن تشعر أنك وحدك بعد الآن .

وهل بمقدورك أن تقول إنك بلا بغض ولا حب كما لو كنت خليطاً مضطرباً ؟ فلم لا تحب أيها الإنسان المخلوق على صورة الإله ، وكل شىء فى الوجود يحب حتى الله تعالى ؟ فلا تغلقن دون الحب قلبك ولتعمره بحب عظيم : حب الخليقة المتناسقة ، حب كل ما هو نقى وعادل وجميل ، بل حب الجهلة والأشرار أيضاً، حتى وإن كان حبهم سيكون أكثر مشقة لك، ولكنه أعظم جزاء. واذكر أن القديسة تريزا كانت تصلى لأجل الشيطان . فأحبب كل شىء ولا تتعلق بشىء . وقدر أيضاً أنك فى منفى يمكن أن تستدعى منه بين حين وآخر ، ففيم تنفعك كنوز هذا العالم ؟ كن بسيطاً مخلصاً فيمكنك أن تكشف بطريق اليقين النقاب عن الخطأ وعن البهتان حيثما وجدا .

ولا يضيرك أن يغضب التافهون من فضائلك فإنها لتأنيب لهم ، فهم يحاولون استدراجك إلى محيطهم الجهنمى الذى يطلقون عليه لفظ العالم . تعلم كيف تقاومهم بالتمييز الحسن ، واحمل روحك على وجهك فيعرفك ذووك ، وأما هؤلاء الآخرون فلن يروا شيئاً لأن النور الحق يعمى بصيرة الجهلاء وينير سبيل العقلاء . وفى ذلك الوقت ستدرك وجودى ، وسترى أنى أشبه من الناحية الإنسانية كائنات أخرى . على أن شيئاً ما سيميزنى أمام ناظريك ، ولن يخدعك إلهام نفسك — بعد أن تتطهر وتتطور — فسترانى فى صور عديدة ، ولكنى سأكون مع ذلك كما أنا دائماً حتى أتمم شعار آمون .

ولن يكون عملك وانتظارك عبثاً ضائعاً . فالمعلم على استعداد لاستقبال تلميذه فى أية لحظة ، لكن ليس بمقدور التلميذ أن يعرف معلمه على الدوام . وستعلم يا دانتى Dante الجديد كم هو مبهج أن يقودك حينئذ فيرجيل Virgile فتفتح أمامك الأبواب المقدسة ، ويغمرك نعيم عظيم لأنك ستجد الملكوت .

واحذر من أن يضيع منك بدءاً شطر الحقيقة الموكول إليك ، وأنت فى انتظار ذلك اليوم المزدوج البركات الذى سترانى فيه ظاهراً أمامك ، لأنك ستحل يوماً محلى بالقرب من إنسان آخر غيرك ، ثم ستناوله المشعل عندما تكون قد أحسنت الإمساك به بيد ثابتة مستقرة ، وبشجاعة ولباقة[١] » .

وفى الفصل المقبل سنقدم أمثلة عديدة من الإلهام الشعرى الذى يرد متدفقاً من روح شاعرينا العظيمين المرحومين أحمد شوقى وحفنى ناصف ، وفيه كل القوة الإقناعية اللازمة لمن يريد من الأدباء أن يبحث عن الاقتناع الموضوعى المحايد من أقرب سبله وأيسرها .

المبحث الثانى

بين العبقرية والإلهام

يبين من المبحث السابق أن بعض صور العبقرية عبارة عن إلهام من عالم الروح إلى وسيط قد يجهل نفسه فى عالم المادة . وربما كلما بعدت الشقة فى درجة الاهتزاز بين المستوى الأثيرى للروح الملهمة والمستوى الأثيرى للوسيط كلما كان ذلك أدعى لغيبوبة الوسيط أثناء تلقى إلهامه ، غيبوبة تامة أو جزئية . وكلما اقتربت هذه الشقة كلما تيسر للوسيط أن يتلقى الإلهام بلا غيبوبة ، فالإلهام لذلك قد لا يكون واعياً inconsciente وهذه هى الوساطة العقلية الصريحة ، وقد يكون واعياً consciente وهذه هى العبقرية بمعناها المألوف[٢] .

---

(١) Conferences Initiatiques. Maitres Instructeurs et Guides. Paris 1946 p. 22—26

(٢) يقول الأستاذ محمد زكى عبد القادر فى مقال له فى جريدة الأخبار بتاريخ ٢٤/٩/١٩٦٤ إن « العبقرى أكثر اتصالا بقوى الكون العليا مما هو بتطلعات الجماعة وآمالها . وهو نتاج هذه القوى . كل ما يصله بالجماعة هو الجسم المادى والمولد والنشأة ، أما العقل والوجدان والقلب والروح فأكثر ما تكون انفصالا عن المجتمع واتصالا بالقوى الكونية العليا .... » وهذه هى نفس نظرة العلم الروحى الحديث إلى العباقرة .

وعن طريق العباقرة ووسطاء الإلهام تباشر المناطق الراقية من عالم الروح تأثيرها الحميد فى عالم المادة ، فتأخذ بيده فى طريقه الوعر المسالك وهو يقتحم الصعاب صاعداً إلى قمم الجبال ، وبغير ما قضاء على إرادة الإنسان ولا تحكم فى اختيار الطريق الذى يروقه ، لأن للإنسان قدراً معيناً من حرية الاختيار يسلم به تماماً العلم الروحى .

وقد لوحظ أن الظواهر الوساطية الراقية ، وأهمها الإلهام، تكثر فى العصور وفى المجتمعات التى يكثر فيها العباقرة . فحيثما ازدهرت حضارات الروح ازدهرت أيضاً ظواهر العبقرية والإلهام ، وغير الإلهام أيضاً من الظواهر الوساطية الراقية ، وحيثما بعدت الحضارات عن القيم الروحية الراقية بعدت بنفس المقدار عن العبقرية وعن الإلهام معاً : عن العبقرية لأن اكتمال الوعى لا يتأتى إلا باكتمال الأخلاق ، وعن الإلهام لأن انحدار الروح يبعد بها عن مواطن الإلهام الراقى فى هذا الكون الهائل الاتساع .

وهذا الإلهام الراقى أحس به بعض الملهمين الكبار وصرح بإحساسه به . فكان سقراط أبو الفلاسفة لا ينفك عن ترديد أن روحاً كانت تملى عليه آراءه ، وقد صرخ فى وجه قضاته قائلا « يسألوننى لماذا أشغل نفسى بالمسائل العامة ؟ . . إنما يدفعنى إلى ذلك صوت من الأبدية كائن فىّ، وقد سمعته لأول مرة منذ كنت طفلا صغيراً » . وقد حلم سقراط بأنه سيموت فى اليوم التالى مباشرة لوصول مركب معينة إلى ديلوس Delos وهو ما تحقق بالفعل .

كما يقول الفيلسوف الفرنسى فنيلون Fénélon فى «حياة الفلاسفة الأقدمين» عن فيلسوف الإغريق أبيمينيد الذى كان معاصرا للمشرع سولون إن الأرواح كانت ترشده وتوحى إليه بآرائه كما جاء فى تاريخه، ويضيف أن هذا الفيلسوف كان معتقداً فى تناسخ الأرواح، وأنه كان يعتقد أنه كان يحيا فيما سبق تحت اسم « أوكوس » .

وكان تنيسون Tennyson يصرح بأنه يتلقى شعره عن طريق الإلهام من عالم خارجي (١) . وكان يلاحظ معارفه أنه يتحول إلى حالة غير طبيعية وقت نظم شعره الرائع ، وكان يوجه حديثه إلى الروح أحياناً ، ومن ذلك قوله لها « من المكان العميق السحيق بإغلامى ، ومن ذلك المكان البعيد الغور قبل أن يوجد هذا العالم . . . ومن ذلك العالم الحق المختبىء وراء مانحس به من عوالم ، حيث لاتكون هذه العوالم إلا ساحلا له ، أو من تلك الروح البعيدة العميقة ، ومع الشهر التاسع ، وإلى ذلك البحر الكثيف المظلم تأتى أنت غلاماً سوياً لأنه قد قيل هناك فى ذلك العالم البعيد دعنا نوجد إنساناً ، ثم قذف بذلك الذى صار إنساناً من الضياء اللامع الذى لايقدر أن يبصر فيه إنسان إلى ذلك الساحل المضاء بضياء الشمس ، ونور القمر ، والمفيأ بالظلال .

أيتها الروح العزيزة المغطى نصفها بفيئها وظلالها وبتلك المادة الجسمانية . إنك دائماً تنوحين عند الولادة ثم تختفين فى عالم السر . . . وبالإجمال أنت تحيين وتختارين من الحبوب والأعناب . . . ثم تفارقين من موت إلى موت ، عن طريق حياة وحياة ، وتقتربين شيئاً فشيئاً نحو ذلك العالم الذى لم يصنع من مادة ولم يكن فانياً . لكن المعجزة الكبرى أن تكونى أنت لك القدرة على الفعل وعلى إدراك العالم » (٢) . .

وكان الشاعر الفرنسى ألفريد دى موسيه Alfred De Musset (١٨١٠ — ١٨٥٧) يقول أيضاً « أنا لاأفعل شيئاً ، لكنى أسمع مايلقى إلى فأنقله كأن إنساناً مجهولا يناجينى فى أذنى » .

ويروى عن الشاعر والفيلسوف العربى ابن الفارض أنه كتب معظم قصائده وبخاصة التائية الكبرى عندما كان فى غيبوبة مغناطيسية ، وكان العرب يسمونها « فتحاً » .

---

(١) وقد بين صحة ذلك موريس ماجر Maurice Magre فى مؤلفه عن « الحقائق الرائعة » .

(٢) ترجمة الدكتور محمود حب الله فى كتاب « العقل والدين » وهو السفر الثانى من « إرادة الاعتقاد » من تأليف الفيلسوف وليام جيمس (١٩٤٩) ص ١١٠ .

ونسب إديسون أعظم مخترع فى التاريخ جزءاً من الفضل فى كشوفه إلى الإلهام أيضاً ...

كما قرر جوته Goethe بمناسبة كتابة روايته عن آلام فرتر Wrthere « لقد كتبت هـذه الرواية غير واع تقريباً ، كما لو كنت غائباً غيبوبة مغناطيسية حركية a la manière d'un somnambule ، حتى لتأخذنى الدهشة عندما أقرأها » .

ويقول تيوفيل جوتييه Theophile Gautier عن خطة الفيلسوف بلزاك وقت خضوعه للإلهام إنه « كان يشبه إنساناً فى نشوة دينية ، أو إنساناً فى غيبوبة مغناطيسية حركية Somnnambule ينام مفتوح العينين غارقاً فى حلم عميق ، إنه لم يكن يسمع مايقال له » .

وقرر أيضاً شوبنهور Schobenhauer الفيلسوف « إن آرائى الفلسفية جاءت إلىّ بدون تدخل منى فى اللحظات التى كانت فيها إرادتى شبه نائمة ، وروحى موجهة فى اتجاه مرسوم لها مقدماً ، بحيث أن شخصى كان يبدو لى غريباً عن هذا الإنتاج » .

وقال الأديب كامى موكلير Camille Mauclair إن حياته فى اليقظة كانت بمثابة حلم دائم ، بحيث أنه لم يكن يميز بين الحلم واليقظة ، وأن جميع خططه وتفاصيل كتبه كانت تملى عليه بهذه الطريقة ، وأنه لم يكن يفكر فيما قد يكتبه مسرعاً وبدون توقف .

كما قال الأديب بيير ميل Pierre Mille بمناسبة تحقيق أجراه الأستاذ جاستون بيكار Gaston Bicard عن طريقة العمل لدى الكتاب إنه ألف كتبه الأولى فى نوع من « الحالة الثانوية » état second إذ كان ، كما يقول : « لدى الشعور أنها قد أمليت إلىّ ممن لا أعرف وبما لا أعرف ، بل كنت فحسب أمسك القلم . وبهذه الطريقة أنجزت كتابة سلسلة بارنافو Barnavaux

وأحدث من ذلك أنجزت كتاب «فاقة البخلاء» La Detresse des Harpagons في ثمانى عشر يوماً من العمل خمس عشرة ساعة يومياً وبدون توقف» ...

وهذا النشاط الروحى غير الواعى الذى قد يحدث فى نطاق الفن والأدب والشعر والفلسفه والعلم ، سجله باحثون علميون متعددون ، ونحيل القارىء بوجـــــه خاص إلى رسالة دكتوراه للدكتور شابانية Chabaniex عنوانها « العقل الباطن عند الفنانين والعلماء والكتاب » (١) .

عن جهاز الإلهام

وتعليل هذه الظواهر الغريبة بالعقل الباطن أو بالعقل الأسمى (٢) لا ينفى مطلقاً حقيقة الإلهام عن طريق الاتصال بعالم خارجى ، لأن هذا الإلهام يكون عن طريق العقل الباطن أو الأسمى فى غالب الصور ، وعن طريق العقل الواعى فى أقلها . وهو يتطلب أحياناً درجة من الغيبوبة التامة أو الناقصة حتى يتم تعطيل العقل الواعى — ولو جزئياً — لأنه يطغى مؤقتاً على العقل الباطن ، فينشط العقل الباطن كله ، أو بالأقل فى الجانب السامى منه لتلقى مايراد إرساله إليه من علم أو معرفة من كائنات ذلك المستوى العالى من مستويات الوجود . وهذا كله يفسر ما كان يؤمن به ديكارت Descartes الفيلسوف العظيم من أن إلهام الشعراء منبع لحكمة تفوق تفكير الفلاسفة .

وهكذا من يمعن النظر فى سير الأشخاص الذين غيروا وجه التاريخ الإنسانى يلمس دور الإلهام جلياً عند الكثيرين . فأغلب عباقرة التاريخ وفلاسفته وشعرائه لم يكونوا من المثقفين ثقافة خاصة ، ولا ممن كانوا طلاباً ممتازين فى دروسهم ، بل كان جلهم من أصحاب النفوس المتواضعة

(١) Le Subconscient Chez Les Artistes, Les Savants, Et Les Ecrivains.

وراجع مؤلف الأستاذ أندريه دماس André Dumas الذى عنوانه « علم الروح » La Science De l'âme طبعة ١٩٤٧ ص٥٣ — ٥٨.

(٢) راجع ما سبق عنه فى ص ٦٧١ — ٦٨٠ .

البسيطة الخالية من العقد النفسية ، ومن ادعاء العظمة. فالغرور هو العدو اللدود للإلهام الراقى . كما كانوا ممن تألموا كثيراً فى طفولتهم وشبابهم من ذل المرض والحرمان والهوان . . . لأن الألم من عوامل صفاء الروح الإنسانيـة وشفافيتها وتطورها السريع للأمام .

والعبقرى — أو وسيط الإلهام الواعى — إن هو إذاً سوى جهاز صغير للاستقبال من صنع الطبيعة . وكلما كان الجهاز مرتفعاً فى اهتزازه كلما كان أقدر على تلقى الإرسال من أمكنة مرتفعة بدورها ، وكلما جاء استقباله نقياً وخالياً من شوائب الأجهزة الضعيفة . وهذه الوساطة يعدها علم الروح من صور الإدراك عن غير طريق الحس extra sensory perception التى وصل اليها بحاث البارا سيكولوجى فى البلاد الأنجلوسكسونية وفى ألمانيا ، وبحاث ماوراء الروح فى البلاد اللاتينية . وهذا الإدراك عن غير طريق الحواس هو من صور الوساطات العقلية التى تعتبر فى الجملة أرقى فى مستواها من مستوى الوساطات الفيزيقية ، وأرقى الوساطات العقلية إطلاقا هى وساطة الإلهام ، التى تميز غالبية عباقرة التاريخ .

لغز الأطفال الموهوبين

وكثير مايكون الملهم طفلا أو حدثاً صغيراً ، لأن نفوس الأطفال تتميز بالإحساس المرهف مع صفاء السريرة والخلو من الأحقاد ، وذلك يلقى أضواء جديدة أيضاً على لغز بعض الاطفال الموهوبين . فهذا الإلهام الراقى من عالم غير مادى الذى قد يتخذ أحيانا صورة استحواذ خارجى قد يفسر أيضاً لغز بعض الأطفال الموهوبين الذين أمكنهم فى سن مبكرة جداً أن يتفوقوا على الكبار فى الموسيقى وفى اللغات وفى غيرها . إن العلم الروحى يقول إنهم عادة من الملهمين أو الوسطاء فى سن مبكرة ، والمذهب المادى لايحير جواباً .

فمثلا كان موزار Mozart يعزف البيان فى السادسة من عمره على نحو أذهل كبار الموسيقيين فى عصره . كما ألف « أوبرتين » صغيرتين ولحناً كنسياً مشهوراً . وقام بقيادة فرقة أوركسترا كبرى . وهو فى الحادية عشرة من عمره . ومثل ذلك أيضاً قيل عن عباقرة الموسيقى من أمثال بتهوفن Beethoven، وباجانينى Paganini ، وهيندل Haendel ، ولست Lizst ، وبيزيه Bizet ، فقد ظهرت عبقريتهم الموسيقية واضحة ولم يبلغوا بعد العاشرة من عمرهم .

وابتدأ رمبرانت Rembrandt يرسم بمهارة واضحة قبل أن يتعلم القراءة ! . . .

وكان باسكال Pascal رياضياً فذاً منذ طفولته ومراهقته ، ونشر وهو فى السادسة عشرة من عمره مؤلفه العظيم « مفصل الأشكال المخروطية » .

ومثله جوت دى برونزويك Gaut De Brunswick الذى كان يحل المسائل الحسابية المعقدة وهو فى الثالثة من عمره ! !

وحصل فيكتور هيجو V. Hugo وهو فى الثالثة عشرة من عمره على جائزة الأكاديمية الأدبية فى تولوز .

وتعلم يونج Young القراءة وهو فى الثالثة من عمره ، وكان يعرف وهو فى الثامنة ست لغات .

وغير هؤلاء كثيرون ممن يضيق المقام عن ذكرهم . ويعلل بعض الروحيين مثل هذه المواهب الخارقة للعادة بنظرية العودة للتجسد Re-incarnation ، ويعللها البعض الآخر بتأثير راق من العالم الخارجى . وليس هنا مجال المفاضلة بين حجج كل فريق منهما ، لكن يكفى أن نلاحظ أنه ليس هناك من تعارض محتوم بين النظريتين ، بل إن كلا منهما قد تكمل الأخرى من بعض النواحى .

الفصل الثانى عشر

أشعار المرحومين أحمد شوقى وحفنى ناصف تتحدى المكابرين

تمهيد وتبويب

بينت فى الفصل السابق كيف أن الإلهام من عالم خارجى أصبح حقيقةعلمية بفضل بحوث علم الروح بعد أن كان فى الماضى مجرد عقيدة فلسفية ، وسقت على ذلك شواهد جمة من التجارب العلمية المدققة المتحفظة ، ومن أقوال لفيف من فضل الفلاسفة والعلماء فى عدة بلاد. ولعل أوضح مثال لهذا الإلهام الراقى فى بلادنا هو القصائد الرائعة التى ترد فى تدفق من روح شاعر العروبة العظيم أمير الشعراء أحمد شوقى (١٨٧٠ — ١٩٣٢) والتى يمليها بغير ماتوقف منذ حوالى أعشرين سنة على وسيطة مصرية فاضلة قرينـة نطاسى بارع وهى السيدة حرم الدكتور سلامة سعد .

وهذه السيدة الفاضلة ليست أديبة ولا شاعرة ، ولم تنظم فى حياتها بيتاً واحداً من الشعر (فى غير حالتها الوساطية)، ولم يخطر ببالها يوماً أنها ستكتب شعراً ، ولم تتح لها ظروفها سوى الحصول على الشهادة الابتدائية فى سنة ١٩١٤ (نظام أنجليزى) ولا صلة لها بالبلاغة العربية ، ولااطلاع لهافىالبحور والعروض، ولا إلمام لها بقواعد النحو والصرف.ولذا يعصى عليها بطبيعة الحال كما قد يعصى على الكثيرين فهم معانى ألفاظ العربية الفصحى التى تعودت روح أمير الشعراء أن تستعملها بغزارة وهى تملى أشعارها عليها . وكأنها تتعمد ذلك أحياناً حتى تفحم المكابرين ، وذلك إلى الحد الذى كثيراً ما يقتضى — من نفس الروح الملهمة — توضيح معانى أغلب هذه لألفاظ من اللغة الفصحى التى لا أظن أن أحداً يحسن فهمها سوى بعض أعضاء المجمع اللغوى .

وقد بدأت الوسيطة حياتها الوساطية كمعالجة روحية حوالى سنة ١٩٤٥، وبعد ذلك ببضع سنوات أخذت تظهر عليها موهبة الكتابة عن طريق الجلاء السمعي Clairaudience من روح شوقي الذي أخذ يملي قصائده الفياضة كلما عنّ له ذلك منذ حوالى سنة ١٩٥٢ بغير توقف لغاية الآن ، أي خلال حقبة من الزمن قاربت العشرين عاماً .



السيدة قرينة الدكتور سلامة سعد

وهذه القصائد ترد في تدفق وغزارة حتى أن القصيدة الواحدة تتجاوز أحياناً مائة بيت ، وبلغ مجموعها الآن ما يملأ ديواناً كاملا .

وهي تعالج فنوناً من الشعر هي نفس الفنون التي ألفناها من شوقي خلال حياته الأرضية ، ولها نفس الطابع، والأسلوب، واللغة، والبناء الفني، ونفس الشاعرية والطريقة ، بحيث يكاد القارئ يتمثل شوقي واقفاً يلقي الشعر ، ويلتزم نفس البحر والقافية إذا ما أراد معارضة نفسه بنفسه .

وعندما أقول إن روح شوقي « تملي » عليها الشعر فإنما أستعمل هذا التعبير بمعنى مجازي صرف. وذلك لأن الإملاء لا يتم هنا عن طريق الفم بصوت مسموع كما يشير إلى ذلك هذا التعبير ، بل عن طريق نوع من الجلاء السمعي القوي النادر الوجود . أو بالأدق عن طريق نوع من عملية إلهام عقلي معقدة يشترك فيها العقلان معاً بدورين متقابلين أحدهما إيجابي والآخر سلبي . وإهدار دور « العقل المستقبل » ليس صحيحاً على الإطلاق ، لأنه يكون في حالة يقظة تامة، وتتوقف على دقة المتابعة ووضوح الاستجابة صحة استقبال هذا الإلهام من مصدر كل إلهام عقلي، وهو المستوى الأثيري للوجود.

والسيدة الوسيطة هنا لا تروح في غيبوبة تامة ولا جزئية على ما لا حظته

بنفسى، وتبذل عناء شديداً فى المتابعة، وغالباً تشعر بإجهاد تام عقب الجلسة. وفى نفس الوقت تتطلب أثناءها إضاءة خافتة تماماً، وهدوءاً شاملا، ولا يبدو أن ثمة سيطرة مادية بصورة ما على يدها ، أو على قلمها ، ولذلك فإن خطها يظل على حاله لا يتغير ، ومن ثم يتعـــذر اعتبارها من وسطاء الكتابة التلقائية automatic writing التى فيها يحدث حتماً تغير تام أو جزئى للخط ، بل ينبغى اعتبارها — بالأدق — من وسطاء الجلاء السمعى ، أو الإلهام وهو أعلى صور الوساطة كلها .

وعندما يفوتها الاستقبال الصحيح لكلمة أو لأكثر قدتضعها من عندياتها أو قد تترك مكانها بياضاً، ولكنها تواصل الكتابة بسرعة ملحوظة حتى تتمكن من المتابعة ، وقد تكتب فى الجلسة الواحدة خمسين بيتاً أو أكثر بدون شروحها، وبعد الفراغ من القصيدة ووضع توقيع شوقى عليها تأخذ فى استقبال شروحها أيضاً . ويتم كل ذلك بدون أى إعداد ذهنى سابق منها ، وبغير أن تعرف عند بدء الجلسة حتى موضوع القصيدة التى « ستملى » عليها فيها ، إذا حصل أى « إملاء » .

وبالإضافة إلى ذلك فإن السيدة الوسيطة من وسطاء الجلاء البصرى أيضاً ، فهى تقول إنها ترى روح شوقى واقفة فى الغرفة قبل بدء « الإملاء » وأثناءه ، كما تقول إنها ترى أرواحاً كثيرة غيره من تلك التى تعودت أن ترتاد جلساتها، وقد يشاركها فى نفس هذه الرؤية بعض الحضور من وسطاء الجلاء البصرى .

ثم أقوى من كل ذلك دلالة المناسبات التى وردت فيها هذه القصائد،والتى لا تعرف الوسيطة عنها شيئاً فى غالب الأحيان :

— فهذه رسالة حب ونصيحة إلى نجله الأستاذ « على شوقى » .

— وهذه قصيدة يرسلها إلى حفيدته بمناسبة زفافها ، ويتعمد فيها ذكر اسم العروس والعريس اللذين لاتعرفهما الوسيطة .

— وهذه قصيدة بليغة يرسلها ليستقبل بها الشاعر الفقيد الدكتور إبراهيم ناجي بمناسبة انتقاله إلى عالم الروح ، والسيدة الوسيطة لا تعرفه ، ولا يعنيها أن ترثيه .

— وهذه قصيدة « إلى المتشككين » يقدم فيها قضية علم الروح فى بلاغة فياضة وإعجاز فنى ، ويعارض فيها بعض أبياته القديمة المنشورة فى الشوقيات عندما تهكم فى عجلة على القائلين بالاتصال بالأرواح مستخدماً نفس البحر والقافية .

— وهذه نصيحة طويلة تفيض بالحكمة الفلسفية العميقة يبعث بها إلى شاب يائس فيمحو اليأس من صدره .

— وهذه قصيدة فياضة متدفقة يرسلها شوقى لتلقى فى حفل لتخليد ذكراه .

— وهذه قصيدة أخرى لا تقل عنها روعة يرسلها كيما يحيى بها مهرجان ذكراه السادسة والعشرين ، وفيها يعتب على ما حدث فى مهرجان سابق لذكراه من نقد لشعره بمعرفة المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد وآخرين ، مما لا تعلم الوسيطة عنه شيئاً لأنها لا تتابع الحركة الأدبية فى مصر .

— وهذه قصيدة أخرى يناقش بها الدكتور طه حسين بمناسبة رأى له نشرته إحدى الجرائد عن صلته بالخديوى عباس حلمى ، ولم ترضَ الروح عن هذا الرأى .

— وهذه قصيدة عن مصر والعروبة ، والسيدة الوسيطة لا صلة لها بالسياسة ، كما لا صلة لها بالشعر فيما خلا موهبتها الوساطية الراقية .

— وهذه قصيدة تطلبها جمعية الشعراء فإذا روح شوقى تمليها قبل انقضاء ثلاثين ساعة مكونة من ثمانين بيتاً من فحول الشعر . وهى تفيض روعة وتزخر بتشبيهات تمثل مستوى من الإعجاز الفنى واللغوى الذى يميز شعر شوقى ، فضلا عن العتب على أعداء العلم الروحى ومطالبتهم بأن يذللوا أمامه عقباته الجسام بدلا من المكابرة فى الحق .

— وهذه عشرات من القصائد التدفقة التى تخير هو مناسباتها .

— وهذه رباعيات عميقة جميلة يعالج بها أمير الشعراء الحكمة البليغة والفلسفة المنظومة التى لا يرقى إلى مثلها أحد من الشعراء ، وكأنى به يطرق هذا الباب الصعب من الشعر محاولا أن يحاكى بها رباعيات عمر الخيام وهى ربما تبزها من بعض الوجوه .

— بل لقد أنجز حديثاً إملاء رواية شاخة أعطاها عنوان «عروس فرعون» مكونة من عدة فصول ومشاهد تبلغ أبياتها حوالى ألفاً وخمسمائة بيت من فحول الشعر الذى يفيض رقة وعذوبة . حتى بزت رواياته الأخرى بما فى ذلك مجنون ليلى ، ومصرع كيلوباترا ، وقمبيز ، وعلى بك الكبير ، وغيرها .

فهل للوسيطة الفاضلة أية مصلحة فى أن تتنصل من كتابة هذا الشعر الراقى لو كان هذا الشعر لها ولم يكن من إملاء أحمد شوقى ؟ . . ولو فرضنا جدلا أنها تخلت عن الأمانة والشرف وهما صفتان لازمتان لكل وساطة راقية ، أما كان اسمها يصبح الآن على كل لسان كشاعرة مبدعة من شعراء هذا الزمان ؟! .

ولما كانت البينة المستمدة من إملاء هذه الأشعار الرائعة ذات قيمة إقناعية عظمى لمن يبحث عن الاقتناع الوضوعى من أصدق أبوابه وأكثرها تحفظاً ، بالإضافة إلى قيمة هذه الأشعار فى حد ذاتها كتراث أدبى ثمين جدير بالحفاظ عليه ، وبنشره حتى يكون تحت بصر كل قارىء معنى بالاطلاع على كنوز الشعر العربى بوجه عام ، لذلك كله رأينا أن نسهم فى القيام بهذا الواجب بأن نستعرض جانباً ليس باليسير من هذه الأشعار ، وإلى المدى الذى نرجو أن يحقق على الوجه المطلوب الغاية من عرضها هنا .

وذلك مع أننا قد مررنا مروراً عابراً على مئات من البينات الهامة الأخرى التى قد لا تقل عنها فى قيمتها الإقناعية ، ولكنها لا تدانيها فى مدى اتصالها

بصميم واقعنا، ولغتنا ، وتاريخنا كمصريين وكعرب ، فضلا عن أنها تنبض بنفس مشاعرنا وآمالنا، وترسم نفس الصور العاطفية التي تزخر بها ذكرياتنا عن أحداث الحاضر والماضي القريب ... وذلك لا يستغرب من شاعر التاريخ أحمد شوقي ، الذي يمس بشعره شغاف القلوب بالطريقة التي قد لا يطمع في الوصول إليها أي شاعر آخر .

وهذا كله بالإضافة إلى ما تكفلت به الروح نفسها من تحدي المعارضين في عدة مواضع ، ومن الخوض في أعمق قضايا الروح والخلود ببلاغة لا يضارع شوقي فيها إنسان ، وبقدرة لا تبارى ، ولا يكاد تاريخ الشعر العربي يعرف لها نظيراً بين الأقدمين أو المحدثين . وليست القصيدة التي نشرناها في تصدير هذا الكتاب سوى تعبير من الروح عن رغبتها الملحة في أن تخوض كثيراً في قضايا الروح والخلود ، بعد أن أصبح شوقي نفسه روحاً يحيا مع الخالدين ، ويشعر أن من صميم رسالته إقناع كل من يبحث جاداً عن هذا الاقتناع الموضوعي السليم الغني بأسباب العزاء والاطمئنان .

لذلك كله رأينا أن نعرض في شديد أناة لهذه البينة الضخمة الخطيرة ، ولما قد تثيره من مناقشات هامة، وأن نوزعها على سبعة مباحث على النحو الآتي : —

المبحث الأول : نماذج من قصائد الروح .

المبحث الثاني : نماذج من رباعيات الروح .

المبحث الثالث : بعض قصائد تتضمن مؤازرة كريمة من روح أمير الشعراء لنا .

المبحث الرابع : بعض مشاهد متفرقة من الرواية التي أملاها حديثاً وأسماها « عروس فرعون » .

المبحث الخامس : عن شاعرية شوقي بوجه عام .

المبحث السادس : رأى أعلام الشعر والأدب والنقد فى هذه الأشعار كلها .

المبحث السابع : وينبغى أن نعرض بعدئذ للبينة المستمدة من أشعار المرحوم الأستاذ حفنى ناصف ، لأنها مكملة فى قوتها للبينة السابقة عليها وأمليت فى نفس ظروفها ، وعلى نفس الوسيطة بالاشتراك — أحياناً — مع زوجها الفاضل الدكتور سلامة سعد وهو بدوره وسيط قدير ، ولا صلة له أيضاً بنظم القريض، ولم يكتب فى حياته بيتاً واحداً من الشعر أسوة بالسيدة قرينته .

المبحث الأول

نماذج متنوعة من قصائد روح شوقى

هذه القصائد كما قلنا غزيرة فى عددها بالإضافة إلى غزارة معانيها ، وتكفى الآن لكى تملأ ديواناً كاملاً ، وسنكتفى فى الصفحات التالية بتقديم عدد كاف منها ، على أن يكون ترتيبها بنفس ترتيب إملائها على قدر الإمكان ، وفيما خلا قصائد قليلة لا نعرف تواريخ إملائها .

ففى قصيدته التى عنوانها « رسالتى إلى ولدى على » — وهى من أولى قصائده المملاة — يخاطبه قائلا : —

يا ابن الأمير[1] فداك حسبى ما أنا ... فى المنتأى أو فى التراب فقدته
ما كنت يوماً للزوال فريسة ... « شوقى » سما للخلد مذ ودعته
لا تحسبن بحق حبك أننى ... فرد طفيف قد مضى وسلوته
كلا على أنت أدرى من أنا ... أيقنتَ حزمى فى الضنا وبلوته
ما كان رأيى أن أطأطئ هامتى ... فانصاع دهرى صاغراً وشهدته
يارب دهر للمكارم عشته ... فعجبت مما كنته ونظرته
أنت المقدر لا سواك شجاعتى ... ما كان منى فى الحمى أكبرته

(١) يشير إلى لقبه « أمير الشعراء » .

الليل عنـدى والنهــــار رهينة ... كم هان سهدى إذ أراك عرفته
أقضى اللبانة[1] من مآرب حجتى ... نصر اليراع . وما جنيت حفظته
ما كنت أرضى بالمـديح تملقـاً ... سهماً رميت بمن أراك خشـيته
والليث يزأر من صلابة خصمه ... فخر المـكانة إن هوى وصرعته

* * *

سايرت خلى بالمرانة[2] فقته ... فعساك مثلى بالسماحة[3] سـدته
عيناك من عينى توأمة الوفا ... والعين عنوان[4] لما أخفيته
هاهناً علىّ بالحياة وطيبها ... أم[5] العلا بالسهم إن صـوبته
واعدد لنفسك ما عددت وأرضها ... من مكرمات الخلق ما عوّدته
وارع اليقين إذا الأمور تعقـدت ... واشدد بحق الله إن أقسمته
واحذر شراكاً من حبائل صائد ... تذويه غماً لو بحلمك ذدته[6]
وارضَ الحياة بحلوها وصـديدها ... فالـكرب يجزع إن رآك جفوته
ما غير أذنك فى الرواة مصدقاً ... فاقضم لسان النم إن أخرسته

* * *

هذى غوالى النصح خذها نفحة ... والنصح مجد لو أراك عقلته[7]
إن قلت آه من ضنى أو كربة ... إنى السرى مثلمــــا عودته
أرعاك دوماً فى الشـــدائد من عل ... فانفض غبار الشـــك إن صــورته
يرعاك روحى فى الأصيل وفى الضحى ... حى كيانى . ماثل . ولمســـته
أتحس روحى إذ يحيطك قائمـــا ؟ ... صوب لحاظك ! هل تراك عرفته

* * *

---

(١) الحاجة . (٢) باللين . (٣) الجود .
(٤) مرآة . (٥) اقصد . (٦) طردته .
(٧) غلبته بالعقل .

للروح مقــدرة القــدوم بخلوة   تحويه بالوجــدان إن أرهفتــه
فى همسة[1] الكلم المنمق[2] سره   من منبت العرفان ما طالعتــه
حق اللباقة واللياقــــة أن تعى   أن الروى نظير ما اســـتمرأته
هذى القطوف[3] بصرفها[4] من «كرمتى»[5] كم راقك العنقود يوم قطفتــه
فارشف كؤوس الوحى[6] طى رسالة   ساغت[7] بما حليتها[8] وألفتــه
والله أســأل أن يزيدك يقظــة   كى تقبل الصوت الذى قدسته

* * *

ومن قصيدته التى يهنئ فيها حفيدته بزفافها : —

الحب فى عرض الزمان وطوله   « بولا » فديتك من ضــنا أحياله
لو أن عشق الروح ريك فانعمى   تعلو الشمائل فى صــفاء ظلاله
والقلب يخفق إن ترفق «مؤنس»   ويطوف دائرة المنى بدلاله
فابقى على روض الحنان عــذوبة   فالعرف إن تجنى شهى نواله
يا ذات قدٍّ بالطلاوة مائس   عوذت عرسك بالرسول وآله
هيفاء تخطر بالثبات لرائد   يحلو الرغيد المرتجى بوصاله
بأبى وأمىَ والصحابة والألى   نالوا الرضى جئت الهنا بجلاله
واتتك طيعة المثول سعادة   والبشر حوّم فى مودة واله

---

(١) الهمس : الصوت الخفى .   (٢) المزين من الكتابة .
(٣) العناقيد   (٤) الصرف : الشراب البحت غير الممزوج .
(٥) هنا تورية لطيفة عن « كرمة ابن هانئ » وهو اسم منزله بالجيزة .
(٦) الوحى : الإلهام والكلام الخفى .
(٧) ساغ : سهل مدخله فى الحلق .
(٨) جعلتها حلوة .

إلف تدله بالجمـــال مرصـعاً عقـداً نظيماً بالهوى وجـلاله
إن كان « مؤنسك » الوفى سلالة من « طه »[1] نعم الإلف فى أفضاله
« طه » الرفيع الفذ كعبة من يفى حق الفطاحل فى مديح خصاله
العـــلم طوق والمعـــارف بابه والفقه يقصـــد حجة بسؤاله

* * *

وهذه أبياته التى يستقبل فيها الشاعر الفقيد الدكتور إبراهيم ناجى أملاها بمناسبة ذكراه : —

يا ناشراً خبرَ الأفـلاك فى سحر ما فض ذكرك بالأجداث والحفر
نفس الأريب إلى العلياء مطلعها بالتيـه تخطر كالعـذراء فى خفر
كالأزهرين بأوج الفلك مكـنها توحى بمأثرة العرفان والفـكر
إن وسـدوك ففى الجنات سـدتها والنهج أفصح عن صيرورة البشر
أو خـيروك فلن ترضى برجعتها فاهنأ برفعتك الشماء والقـدر
روح الخليل تسامت صوب مبدعها كالدوحـة ازدهرت تختـال بالثمر
صف الملائك للترحاب تنشـدها لحن الظفر بالأعمـال والسير

* * *

هوّن عليك نزيل الخلد من فرَق جئت الهـدى كأريج المسك منتشر
نلت المراحم من وهـــاب مغفرة تجزى الروائع عن تصنيفك العطر
أذكيت لهفـة من للشعر فى ظمأ حين التقاك حليف النظم والدرر
إن ضن أمسك بالأمجاد ناصـعة فاليوم تظفر بالمرغوب والوطر
ما عشت دهرك وسناناً ولا ثملا حصنت نفسك للجنات والظفر
أكبرت من سنن الرحمن فى شغف مستلهماً تزن التسديد بالعـــبر
أيقنت أن رميم النـاس قاطبـة تحت الثرى فوطأت السهل فى حذر

---

(١) فهو نجل الأستاذ الدكتور طه حسين .

أعليت شأوك كالوهان مرتقباً عقبى الحكيم مثاباً تاج منتصر
يا روح ناجى فى إحياء روعته ناج الأحبة من رقراق مدخرى
زوّد بسائغة للصبر ترشدهم وانثر حنينك كالأضواء من قمر
قل للألى فقدوا الأحباب لا تهنوا حكم المسيطر فى راض ومصطبر
كفوا المدامع فالأيام مارقة والإلف يهجر عند الحد من عمر
كأس الحمام نديم الناس مذ درجوا كل يجرّع رغم الطول والقصر
فارعوا اليقين فما للشك قائمة حلم تقشع عن أسطورة القدر
من يستبين فبالتبيان حجته لا يستهان بما فى البعث من صور
«أم الكتاب» رهين البعث فارتقبوا لقيا الأحبة من توفيق منتظر[1]

* * *

وفى قصيدة عنوانها « إلى المتشككين »[2] يقول روح شوقى : —

فضت رموز الغيب من أحقابه[3] والفتح أزهر من عنان قبابه[4]
واساب فى العلياء ومض بالنهى[5] يستخلص الطموس[6] من حجّابه
وانقاد نبع الروح صوب منادم فلك الروابض فى قصى[7] شعابه
والشائق المرموق[8] فى أوج الذرى أذكى حنين الكون فى أعجابه[9]
والروح من روض الخلود سلافه تجلو الظما ما كان من تسكابه
وغداً يهز العالمين يقينه جهراً لصد معارض ومجابه

---

(١) عن مجلة «عالم الروح» عدد يونية ١٩٥٣ ص ٢١ — ٢٣ .
(٢) عن مجلة « عالم الروح » عدد أبريل سنة ١٩٥٥ ص ١٦ — ٢١ .
(٣) الأحقاب : الدهور .
(٤) عنان قبابه : يقصد بها السماء .
(٥) النهى : العقول .
(٦) الطموس : الذى أمحى .
(٧) القصى : المكان البعيد .
(٨) الشائق المرموق : هو عالم الروح .
(٩) عجائبه .

والفقه[1] أحرز ما البيان وليه ... يطرى سوىّ الطلع[2] فى أترابه
إن يقبع الجهال فالعلم استوى ... يغزو السماء ببازه وعقابه
واليمن وآتى الباحثين هداية ... جاءت بوصل النأى فى إغرابه[3]
والعلم إن يلق الصدور مشوقة ... يرجع شفيف الطيف رغم ذهابه[4]
طود الخلود منيعة أطلاله ... والعون يرقى الصرح من أبوابه[5]
ليشيد أركان المحجة فى الورى ... وتقى معاثر سهله وهضابه[6]

* * *

أقطاب علم الروح فيض بحوثكم ... يطوى المضلل فى فلول عبابه
والروح كم أعيا الحكيم كمينه ... حتى بدا كمغلب[7] بعذابه
كم رعدة هزت كيان مباحث ... ورمته بالإعياء فى تجوابه
والطرق[8] دوماً للبحوث دعامة ... تحيي رميم العمق من إجدابه
موج الأثير ، أخى ، بلوت محيطه ... وألفت ما أهداك فى أعقابه[9]
تشجيك من عذب الروائع متعة ... من عازف أو سارد لخطابه
أوقظت من عهد التكهن معلناً ... ما بز وحى النى فى إطنابه
كيف ارتضيت الكشف معطار الندا ... مستعذباً للنهج فى إرطابه[10]

* * *

هذا التدفق والأثير وسيلة ... يحكى سمو الروح فى إيجابه
كم من غيوب الخلد روح هفهفت ... تفضى سرائر ما وراء سحابه
وتمد أفهام الورى لطلائع ... فى حاكيات من وثيق لبابه

---

(١) الفقه : الفهم . (٢) الطلع . طلع النخلة .
(٣) وصل النأى : جعله قريباً . (٤) الشفيف : الرقيق الذى يرى ما تحته .
(٥) العون : المعين . (٦) المحجة : جادة الطريق .
(٧) المغلب : المغلوب مراراً . (٨) الطرق : التكهن .
(٩) يقصد بالمعنى قبول الإنسان اختراع الراديو . (١٠) الإرطاب : رطب البلح .

تملى بشوق فى الصدور مؤجج ... ما ثم تحظى فى الدنا بمشابه
من هائم يسرى الهوينا هامساً ... بالأوب فى روض الصفى الآبه[1]
والروح هاد إن رعيت هداية ... وشجاك منه العذب ضمن عتابه
فانشد حبيباً أو قريباً فى العلا ... وارشف حنان الحب من أكوابه
والروح إن هز العقول يخصها ... وحياً مشوقاً من صفاء شبابه
يسمو وراء الأفق فى رقراقة ... دفاقة تنصب فى أخصابه[2]

* * *

من جد سعياً فى الوطيد بنهية ... يبدِ الرفيع الجم من آدابه[3]
تلقاه فى البطحاء يلغط مفلحاً ... يزهى مرى العمر فى إعرابه[4]
وضاءة فى العاديات فعاله ... تغنيه عن جاه . وعن أنسابه
معطارة فى العائشين وكأنها ... عبق يغار المسك من أطيابه
لو بالقنوع حباه شك مجحف ... يصليه غماً من جوى إسهابه[5]
إن التواجد للحصاد مطافه ... والروح يقطع بالنوى لخرابه
ما طاق صبراً فى المشيد من وعى ... أن التجاهد للثرى ويبابه[6]

* * *

صاح : بحق المرسلين وصحبة ... حلوا الرحاب بعجبه ومهابه[7]
ما قام نص بالقرائن فى الردى ... يطوى شهاب الروح فى أسرابه[8]

(١) الأوب : العودة . الآبه : المهتم .
(٢) أخصابه : الغبر المجدبة (٣) النهية : واحدة العقل .
(٤) يلغط : يحدث صوتاً . مفلحاً : ناجحاً . إعرابه : يقصد بها تنفيذ مرماه .
(٥) القنوع : الرضا . مجحف : يقصد به هنا معنى مضلل . يصليه : يدخله النار .
الجوى : الحرقة .
(٦) المشيد : المطول . التجاهد : بذل الوسع والمقصود ما طاق صبراً فى خلد يطول إذا كان منتهى الإنسان بالموت والبقاء فى التراب وأرضه الخربة . ومغزاه أن الروح حى سار .
(٧) مهابه : مكان يهابه الناس .
(٨) أسرابه : جمع سرب وهو ماتحت الأرض من بناء .

فالجسم يهرأ فى الغداة برقدة ... والروح يمرح ناعماً بشبابه
والمرء إن يوماً تغيب فى الثرى ... ما عُدت الأرواح من غيّابه[١]
يوم انطلاق الروح من أسر البلى ... يغدو طليقاً من ضنى بوابه
تالله ما يرضى الخلود بصفده ... بعد التملص من عرى أوصابه[٢]
بل يانعات فى النعيم جنانه ... يرتاد سهلا من سعى بصوابه
فى مرتع الأحياء دقاق المدى ... والروح يمرح فى محيط حبابه[٣]
بالشم يأنف أن يغل كأنه ... جسم ثوى فى غامر وترابه[٤]

* * *

يا سائلى هل بالتخاطب قنية[٥] ... من هاديات الروح فى خطابه[٦]
إن حطّ فى حصن المهيمن[٧] نبّنى ... كيف التوصل للوفى يؤتى به ؟
الفلك أفصح عن مكامن حسه[٨] ... والعلم جمّع من شتات رغابه[٩]
والروح يهرع للأليف إذا دعا ... مستهدفا من دون ما إرهابه[١٠]
طلق الغدو أو الرواح وإنه ... إن شاء غرّد مطرباً لصحابه[١١]
أو شاء أظهر فى بهاء قوامه ... وكأنه فى الحى من أربابه[١٢]
سارٍ كما يسرى النسيم بغير ما ... عادٍ يرد عن المزار وبابه

* * *

---

(١) غيابه : الغياب ، جمع غائب .
(٢) يعنى لو يقيد المرء بعد الموت فلا يرضى الخلود بقيده بعد التملص من عرى أوجاعه .
(٣) حبابه : حبه .
(٤) ثوى بالمكان : أقام . غامر : الغامر من الأرض ضد العامر .
(٥) قنية : ما يقتنى .
(٦) خطابه : أى الذين يخطبون ود الروح .
(٧) المهيمن : الإله .
(٨) حسه : أى حس الروح .
(٩) رغابه أى رغباته .
(١٠) أى حضور الروح لا يخيف من يطلبه .
(١١) يتحدث عن ظاهرة الصوت المباشر .
(١٢) يتحدث عن ظاهرة تجسد الأرواح .

يا سارباً ما الروح فى ريعانه ينسل فى قزع العلا وضبابه (١)
إلا ليكشف ما تبلج هائماً فى الخلد ينعم بالجنى وعذابه (٢)
فتراه شعشع فى ظلال المرتجى نعماء كأس مترع بحبابه (٣)
تشجيه من سنن التحول غدوة تبقى المدى فى علية أحرى به (٤)
والليل والظلماء يمحى عدها هيهات تمسى فى سناء ركابه
يلقى شهاد الخلد حيا من وعى أن المضمن مهلة لحسابه (٥)
تهديه فى رحب الملىّ سماحة حازت ثناء الحر لاستحبابه (٦)

ثم هاهو يعارض نفسه فى نهاية القصيدة، ويعتذر عن تهكمه على القائلين بمناجاة الأرواح عندما كان فى حياته الأرضية :

إن كنت فى أمس غذوتُ جهالة تطغى على فتح العلا وعجابه
وأبحت فى الدنيا الشكوك وثيقة يوم ارتهنت العلم فى محرابه
وأقمت سداً دون عذب فراته ومسخت بالتقريع غض إهابه
مالى وأمسى ، والغباء وثورتى أوهام بُطْل قد جرحت بنابه
ما كان أحرى أن أميط لثامه فأحاط علماً ارتوى برضابه
ياليت كف عن اليراع مداده ليحيد عن لذع القويم بصابه

* * *

(١) السارب : الذاهب وجهه فى الأرض . ريعانه : أوله . القزع : السحاب الخفيف الضباب : السحاب الكثيف .
(٢) الجنى : الثمر . عذابه : كل ما هو عذب .
(٣) شعشع : مزج .
(٤) سنن : طرق . الغدوة : ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . أى علية من القوم (الذين ماتوا قبله) .
(٥) شهاد . مشهد . المضمن من الشىء نصفه ،أى أن الدنيا وهى شطر من حياة الإنسان هى فترة تؤدى به للحساب .
(٦) الملى : الزمان الطويل . سماحة : جوداً .

يا قاذف الصوّان عمداً بالثرى ... أقسمتُ بالرحمن لست بنـابه
من رام صداً لاتصال مباحث ... فى الروح أو من شاد فى ترحابه
فى العلم يلقى كالـكنيف عصيّـة (١) ... فيقيم رعداً فى الورى بسبابه
ويزيد سخطاً فى فلاة بحوثهم ... ليجرّد العرفان من أثوابه
أنى لأعشى (٢) أن يمحص فى الدجى ... غمض الطلاسم فى الفلا وسرابه
هيهات تجدى بالتعاسر حجة ... فالروح حوّم فى حمى أصحابه
يرمِ بسقم الرأى أو إسفافه ... من ضبج والإعياء فى إضرابه
إن يعتصم بالواهيات مفرقاً ... شمل الرصين مسوغاً لـكذابه

* * *

مذ التشكك فى الحقائق نزوة ... ممن علا متن اللغا (٣) فـكبا به
من حاك بالتهويل سـداً قائماً ... يخفى سمـات العلم عن طلابه
باللغو يلهج والهراء مصانعاً ... يستنزف الإعجاب من أذنابه
إن يستبح بالزيغ تضليلا فـما ... تخفى الحقائق فى صنيع خطابه
كالطمر (٤) زين بموشيات مزيف ... شأن المداهن والطلا بخضابه (٥)
يا ويح روح من حفاظ نسيجه ... إذ يستبين الحق طى حجابه

وهكذا تولت روح شوقى معارضة شعر شوقى حال حياته الأرضية فى قصيدته التى يقول فيها :

لا تسمعن لعصبة الأرواح ما ... قالوا بباطل علمهم وكـذابه
غلبوا على أعصابهم فتوهموا ... أوهام مغلوب على أعصابه
الروح للرحمن جل جلاله ... هى من ضنائن علمه وغيابه

---

(١) ما استعصى عليه فهمه .
(٢) الذى يرى نهاراً ولا يرى ليلا .
(٣) اللغاء : الخسيس من الشىء .
(٤) الطمر : الثوب الخلق .
(٥) الطلا: الهوى. الخضاب : الحناء.

مستخدمة نفس البحر والقافية فى بلاغة وقدرة شعرية فائقة لا يدانى شرقى فيهما أحد من شعراء العربية ، فما بالك بوسيطة بعيدة تماماً عن الشعر وفنونه ! وكم شاعر يملك مثل هذه القدرة التى لا تبارى فى الدفاع عن الحركة الروحيه وإعلاء قدرها والرد على معارضيها ؟... ثم انظره كيف يؤنب نفسه تأنيباً لا رحمة فيه ولا هوادة كيما تدرك قوة هذا الشعر فى دلالته وعمق أهدافه .

* * *

وهاهى أبيات حزينة بعث بها كيما يواسى المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبا الخير فى ولده نبيل الذى انتقل إلى عالم الروح فى ربيعه السابع عشر [١] :—

للروح شأوٌ فى العزاء مقنّع   والصمت فى جلل أعز وأوقع
آسى على البعد السحيق بحسه   كم شاء لو يجلو المصاب ويقشع
صبراً «أبا الخير» العزيز بحق من   فى روضة الخلد الرفيع يمتع
ماجئت فى دنيا العزاء جديدة[٢]   فالخطب يعصى ما يقال ويسمع
إنى عهدتك للعــــزيز مضمّناً   عوداً « نبيلا » للعلا يستودع
فالله حــــر فى انتقاء زهوره   والحكم فى دنيا المنون موزع

* * *

يا لوعتى من ذا العــزاء وصنوه   صبراً فكم فى الخلق شاك موجع
فالموت يشقى فى العباد مقوضاً   والعـــــالم الملتاع منه مروّع
يمشى الهوينا فى البرية داعياً   من يستضيف مابياً أو يسمع
والأذن إذ تهفو أسيرة هاتف   هيهات تفلت . لا ، ولا تتمنع
فالمرء إذ يعنى بدعـــوة آمر   يستقطع الأمـــال ثم يودّع

---

(١) منشورة فى عدد شهر سبتمبر سنة ١٩٥٥ من مجلة « عالم الروح » ص ٢٦ .
(٢) فهو يذكر والد الفقيد بإيمانه بالروح وبالخلود .

إن شاء رب العالمين قطوفه ... الكل طوعاً يستكين ويخضع[1]
من فى نطاق الحاصدين توافدوا ... شيب ، شباب يافع ، أو رضع[2]
فالموت حق ، والعباد رهينة ... والعدل لم يستثن إلفاً يجزع
والحى إن أثوى العزيز لمنتأى ... فالقلب يذوى والنياط تقطع
يا ليت كل العائشين توصلوا ... للصبر إذ يمتد حكم أرفع

* **

وهذه قصيدة ترد بها روح شوقى على أديب ومفكر معروف كتب يوماً فى إحدى الجرائد اليومية يهاجم شاعرية شوقى هجوماً عنيفاً لا مبرر له ، مفضلاً على أشعاره الشعر العامى وطالباً محو شعره من الأدب العربى كلية !!! فاستفز هذا الهجوم العجيب روح أمير الشعراء الذى أملى فى شهر أغسطس ١٩٥٤ الأبيات التالية التى لم يسبق نشرها : —

يا ناعماً باللطم روّعتَ الحمى ... ما أنت أهلٌ أن تقيم المأتما
حسْبُ البلاغة من دخيل مدعٍ ! ... بدّلتَ من عذب البلاغة علقما !
من أقتل[3] الأدب الرفيع بخلطهِ ... يهديه طِمراً[4] بالتفاهة معتماً !
يا مُدَّعٍ بين الفطاحل بالحجا ... أُسُ البطولة أن تبز مقوّماً

إلى أن يقول :

إن رمتَ زحفاً للشوامخ فارعوِ ... واخشَ الفجاج[5] إذا نزلت الأقتما[6]

(١ ، ٢) وقع خطأ فى نشر هذين البيتين فى الطبعة السابقة عندما أخذنا القصيدة برمتها من مجلة «عالم الروح» ، وقد نبهنا إلى الخطأ مشكوراً الدكتور سلامه سعد ، فنعيد نشرهما طبقا للأصل الذى عنده .

(٣) عرض للقتل . (٤) ثوب خلق . (٥) الفج : الطريق الواسع بين جبلين .
(٦) الأقتم : الذى تعلوه غبرة وحمرة إلى عتمة.

من ـَحكَّ أعنانَ السماء بعطله   يهوى صريع الادعاء محطماً
يا شاهراً سيف العداء بشهقة(١)   إن الرجولة لا تعادى النوَّما(٢)
وتلاد(٣) شعْرى مثل أهرام علا   فى قمة الأجيال بات مكرَّما
من شاء للأهرام دكاً شأن من   يبغى الطموس(٤) لرفعتى والمَعْلَمَا(٥)
علياء مجدى من شريف سجيتى   ما عشتُ ذئباً ، بل أبياً ضيغما(٦)
أضغاث حُلم إن تعطل عزتى   كالشمس أعلو . لا أهاب اللوَّما
ما كنتَ أهلا للتحدى سائفاً(٧)   بل كنت تخشى من سطامى(٨) إن رمى
واليوم أشهرتَ العداء لغيبتى !   مستضعفى(٩) فز بالهزيمة مغنما
إن رُمْتَ رجماً فى العراء مهاتراً   فاخشَ المحصَّن(١٠) أن يثور فترجَمَا

إلى أن يقول :

والعُنْسُ(١١) من أفكار غُرٍّ هادم   لا ترتقى بالختل(١٢) يوماً سُلَّماً
فابنِ الوليد(١٣) جوار صرحى كى ترى   أهرام شعرى قد تجاوز بُرعما
أتطاول الآثار طراً ؟ ! . . . إنما   من شاء هدماً قد يبيت مهدماً
ما كان مثلك من يزحزح صامداً   هيهات تهدم ما تشامخ للسما

* * *

وهذه — كاملة — قصيدة عنوانها « شعر شوقى ليس جبانا » ظروفها أنه بتاريخ ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٥ نشرت جريدة الجمهورية كلمة بتوقيع حلمى عبد الجواد السباعى ورد فيها: «قال الدكتور طه حسين فى حديث له إن شوقى كان

---

(١) الشهقة : الصيحة.
(٢) كناية عن الذين ماتوا.
(٣) التلاد : القديم الأصيل.
(٤) الطموس : الإمحاء .
(٥) المعلم : الأثر.
(٦) الضيغم : الشجاع، القوى .
(٧) السائف: من يضرب بالسيف .
(٨) السطام : حد السيف .
(٩) أى بامستضعفى.
(١٠) يقصد روحه الغير المنظورة .
(١١) العنس : الأفكار المجدبة .
(١٢) بالخداع .
(١٣) الشعر العامى الذى فضله كاتب المقال على شعر شوقى .

يخشى الخديو فكان يتحفظ فى شعره ... » ثار الأستاذ حلمى عبد الجواد السباعى عندما سمعه يقول ذلك ، فأرسل إلى الدكتور طه مدافعاً عن شوقى... والأمر الذى يهمنا هنا أن روح شوقى علمت بنقد الأستاذ الدكتور طه، فأملت قصيدة عتاب كالآتى : —

ضج الإباء وهاج النقد من عجبى ... خدن يهاجم ند الفكر والأدب
والروح أجفل من مدعاة من زعموا ... أنى حييت أسير الدر والذهب
والله أشهد بالمحمود آزرنى ... خلقاً وديناً . وصنت العهد فى لقبى
ألقت نجمى بالممدوح أرفعه ... فوق السحائب بالأحساب والنسب
ما الجبن صبغة ما استرضاه لى خلقى ... بل هاديات العلا الخالى من الأرب

***

قيل التحفظ للمنجاة من شطط ... يؤذى النزاهة بالتجريح والعطب
وايم المهيمن فى الأفلاك والشهب ... شدت الرواسخ كالبناء فى الصلب(١)
حر بربك من أصفاد مرتزق ... شأن السباع ضمنت العز فى سغب(٢)
صغت النظيم من الأضواء لحته ... كالتاج رأراً(٣) فى علياء منتسب
طلق السجية كالعداء فى سبق ... أبغى التفوق فالإقدام فى عصبى
ليث أحوم فى ميدان مكرمتى ... أقضى على غير(٤) يرمين بالنشب
جبت العباب(٥) على المغوار(٦) من وهج ... بلت وقدة(٧) من يصبو إلى وهبى(٨)

***

(١) ما صلب من الأرض .
(٢) السغب : الجوع .
(٣) لمع .
(٤) غير الدهر : أحداثه
(٥) العباب : السيل .
(٦) المغوار : الكثير الغارات .
(٧) شدة الحر.
(٨) وهبى : عطيتى .

لم يبقَ ما فاض للمكدود من نصب[١] فاساب يزخر بالأمجاد للعرب
يا صاح مهلا ، ففيم اليوم لائمة والأمس طوّح دون الصد والعتب
صداح بالأمس تستهويه طائلة[٢] ؟ مذهلّ شعرىَ للتكريم كالنصَب[٣]
والشرق فى لهف التوّاق أخطرنى أنى المظفر فى المضمار بالقصب[٤]
واليوم أقذف من أخدان[٥] ملحمة[٦] ولت فآذوا ربيب الضاد بالقشب[٧]

* * *

مهلا أخا عرب علاّمة الأدب دع عنك نقداً سليب الحق والسبب
والهج بربك للعلياء فى جلد فالخل يكرم لا يهتاج بالحصب[٨]
خلدتُ شعرى كالأعلام فى قمم يعلو أبياً ولا يحتاج بالصخب
ما ضر لو نشر النقاد فى كنفى إذ كنت حياً ، وبالمشكوك فى أدبى

* * *

يا لائم الند كالمغمور[٩] تحسبه ولّى ، لعمرك ما روحى بمحتجب
روحى يساجل فى أعتوبة نظمت تأتيك من عمق المكنون بالعجب
حقا وإن كنت كالمخبوء فى جدث أوبت[١٠] كما كالمطمور[١١] والجدب[١٢]
خلدت ذكرى فى الأوزان ما وسعت معطار طيبه فى الأجيال والحقب
لحنٌ يرنم فى الآفاق تسمعه يغنيك عن كاذب المداح بالطرب
أسبغت عقدىَ بالمنظوم دافقه[١٣] همسى ونجواى للإطفاء فى اللهب
فيه العزاء إذا التواق[١٤] رجّعه[١٥] عند الحنين كما يحلو لمغترب[١٦]
وهو المؤهب[١٧] من تغزوه نازلة[١٨] وهو الحماسة والدّفاع للرتب

---

(١) نصب: عناء أو تعب. (٢) طائلة: القدرة والفضل. (٣) النصب: العلم المرفوع.
(٤) قصب السبق. (٥) أصحاب وأحباب. (٦) معركة.
(٧) السم. (٨) الحصى. (٩) المدفون.
(١٠) الكم: المقدار. (١١) الحفرة. (١٢) يبس الارض.
(١٣) سبغ: اتسع. (١٤) المشتاق. (١٥) كرره أو ردده.
(١٦) غريب الدار. (١٧) أهب. أعد العدة. (١٨) كارثة.

وهو الخلاصة داوى الخلق من علل   فالبيت أفصح للتدليل من خطب
عبق على فتن الأيام مطلعه   كالزهر رصّع فى جنات منتخب
فيه الفاخر باستشاد صائغه   « طه » بربك لا تنعته بالذَنب
واذكر محاسن من فى الخلد مرتعهم   حزت الرغيبة[١] ملءالعمر والطلب[٢]

وهذه القصيدة ليست قيمتها فى جمالها فحسب . بل فى أنها تظهر الحقيقة التى أجمع عليها بحاث الروح فى كل مكان،وهى أن الأرواح على صلة أوثق بنا مما قد يبدو لنا ، وأنها تتابع ما يجرى فى عالمنا باهتمام شديد ، خصوصاً فى كل ما يتصل بذكرياتها الأرضية ، وبحكم الناس لها أو عليها . ولذا ورد فى القول المأثور « اذكروا محاسن موتاكم » الذى أشار إليه شوقى عندما قال « واذكر محاسن من فى الخلد مرتعهم » ... فى آخر بيت من قصيدته .

* * *

ثم هاهى قصيدة جميلة قليلة فى أبياتها غنية بمعانيها الرائعة أملاها فى غضون شهر أكتوبر سنة ١٩٥٥ للشكر على إطلاق اسم «أحمد شوقى» على إحدى قرى مديرية التحرير : —

العود أينع[٣] بين الآس[٤] و الوهَدِ[٥]   بعْثٌ يُحَقّقُ فى أسطورة الأمدِ
فى قرية بحمى التحرير منتشراً   دوى اسم «أحمد شوقى» الشاعر الفَرِد
عُرْف[٦] يسجّل فى الأحياء رجعته[٧]   هذى قِرَىً[٨] ومعادُ[٩] الذكر فى بلدى
ردت علىّ من الأوطان مكرمة   فاستأثرت بوفاء الروح[١٠] والولد

(١) الأمر المرغوب فيه .
(٢) راجع القصيدة فى عدد نوفبر سنة ١٩٥٥ من مجلة «عالم الروح» .
(٣) أينع : ازدهر .   (٤) الآس : نوع شجر .
(٥) الوهد : الأرض المنخفضة ، وحركت الهاء للوزن .   (٦) المعروف والجميل.
(٧) الرجوع إلى الدنيا. (٨) قرى: إحسان (٩) المعاد: المرجع والمصير (١٠) روح شوقى.

أبدى الشكور «حسين» اليوم عن وَهَبٍ[١] كالشبل يعرب عن مندوحة الأسد
والروح[٢] من فَنَنِ العلياء صادحةٌ تبدى الثناء على أمشولة الرَّشَد
يا رجعة مــلأ الأرجاء ذائعها[٣] شدت اليقين لحلم دار فى خَلَدى
فى الحى أكرم فالأشواط رابحة رغم العوان[٤] وما أصليت فى كبدى
ما كنت من همدت ذكراه واندثرت صنت القريض. فكان اليوم مستندى[٥]
تلك الصوى[٦] كشهاب الشهرة التمعت رغم الغياهب والإغراب بالجسد[٧]

* * *

من كان فى كنف الأحياء مهجته طيفُ المواطن حِلٌّ غير مبتعد[٨]
ربى بخلدك روحى اليوم منتعشٌ نال الرغيبة من آلائها أو دِى
بلّ الأوارَ رحيقُ النيل وانبعثت نعماء مصر كما ازدانت بمعتقدى
فالمدح حق على الأوزان أنظمها عقداً يفوق كال النجم فى العدد
بوركت مصر على الأجيال ماجدةً يختال شعبك فى بحبوحة الرغد
أرض الفراعنة استوحيت منتهمْ مجد الأوائل فى الأبناء للأبد
والنبل من شيم الأبطال من أزل يامنبتاً لألى الإقدام والجلد
أحرار مصر بنوا أمجاد من سلفوا مستلهمين بهدى الواهب الصمد
آتوا عظائم والعرفانُ عُدتهم والغرب رُوع بالإقلاق والكمد
فى المشرقين ثقات فى طلائعهم تلقى العروبة فيهم خير معتمد

* * *

(١) يتحدث عن توجه نجله الأستاذ حسين شوقى للشكر على إطلاق اسم والده على هذه القرية . (٢) روح شوقى (٣) يتحدث عن ذيوع عودته التى ملأت الأرجاء.
(٤) العوان : الحرب التى قاساها من ناقديه أثناء حياته الأرضية. (٥) مستندى لإثبات الخلود (٦) الصوى: الأعلام من الأحجار. (٧) الإغراب بالجسد : التغيب بالجسد.
(٨) من كانت مهجته باقية فى وسط الأحياء فهو غير بعيد عنهم.

وهاهى مقتطفات من قصيدة «عيد الجلاء» التى أملاها فى غضون سنة ١٩٥٦ لتحية العيد ، وقد اختار لها تصديراً هو عبارة عن بيت قاله بنفسه عندما كان يعيش بيننا نصه كالآتى :

« والله مادون الجلاء ويومه   يوم تسميه الكنانة عيدا »

وقد أشار شوقى وهو فى عالم الروح إلى سبق تنبئه بالجلاء وعيده بهذا البيت على ماسيلى فيما بعد : —

رباه ! مصر سبت فى غزوة القدر   عيداً تحقق بالمأمول والوطر
عيد الجلاء على الأيام غُرّتُها   فجر يطالعه الإشراق بالظفر
ألقى على جنبات النيل بدْرته   فاستأْرت مهج بالنفح والبدَر (١)
عيد ترفعت الأعلام سافرة   تضفى عليه سناء الشمس والقمر
ياعيد أنت عروس الدهر خطرّها   سحر الدفوف وشدو الناى والوتر
فاختال إلفك كالنشوان من حبب   أو من طلى بكؤوس الراح مهمر (٢)
والنصر يسكر من دانى النعيم . فما   كان السلاف نديم الساهر الحذر
والقيد حُطم ، والأغلال ضغثتها (٣)   ولّتْ . فلا رجعت من وكرها النخر
فليبق بشرك (٤) للأجيال . ماثلة   منه الروائع فى إيقان مُدّكر
آل العروبة والأحباب قد هرعوا   حيوا مواكب مجد خالد الأثر
دقوا الطبول لنصر كان مرتقباً   مثلا لما ألفوا من غابر غزر (٥)
طافوا الكنانة بالأفراح وانتشروا   أحدان بشر . وفى أحشادها الزمر (٦)

(١) البدر : جمع بدرة ، والبدرة كمية عظيمة من المال .
(٢) أى من خرمنهمر بكؤوس الراح.
(٣) من أضغاث الأحلام .
(٤) أى بشرك ما ربوع النيل   (٥) مثل نصرها منذالقديم.
(٦) الزمر: الجموع . والمعنى أنه كانت أطياف يوم الجلاء تعدو بموكبها فى المخيلة كأنها قادمة من سفر .

يوم الجلاء عيد الكنانة

يوم الجلاء لكم لوحت وانبعثت   أطياف ركبك كالعدّاء من سفر (١)
منيّتُ مصر بعيد أنت واحده   أقسمت أنك للإعزاز والصدّر (٢)
الله أكبر ! ما منيتها سلفاً   كان التكهن يدنى هائم الخبر
هل كان ثاقب لحظى فى الذرى شبحاً   يرتاد حجلة عيد السحر فى السّحر (٣)
نادى وأقسم أن العيد مغنمه   يوم الجلاء بأوج غير منحدر !
أم خضتُ فى طرسٍ (٤) أجلو غوامضها   كيما يشف قضا المكنون للبصر

ثم يقول : —

آه لو ان ملاك الموت هادنى   والغيب أنجب لى روحاً (٥) ولم يذر
والأمنيات تهادت صوب ذى قسم (٦)   تهدى سماحة بشراها لمنتظر
لاسترسلت نفثات الشعر فى لهف   تطوى لخليق لتزهى شاهق النّضر ( )
حتى لتحتضن الأصقاع لائمة   تبر الثرى وجمان (٨) الفند (٩) والحجر
واستنشقت أرج الأنغام حانية   أزهارُ مصر على الأفنان والشجر
والكون أنشد مهتاجاً بنشوتها   لحنا يخلد ذكر العيد فى العُصُر (١٠)

* * *

(١) الصدر : الصدارة.
(٢) يقصد أنه تكهن بعيد الجلاء بيت الشعر الذى اتخذه تصديراً لهذه القصيدة .
(٣) حجلة : خدر العروس . وهو يفخر بتنبئه السابق بهذا العيد .
(٤) الطرس : الصحيفة . (٥) متسعاً من الوقت .
(٦) أى صوب الشاعر الذى أقسم فى البيت المشار إليه فى عنوان القصيدة .
(٧) أى لكتب شعراً جديداً لهذه المناسبة يفوق القديم الذى كتبه .
(٨) اللؤلؤ .
(٩) الجبل العظيم الشامخ وهو يشبه حجارة الجبل باللؤلؤ .
(١٠) الدهور .

تالله مصر وعهدُ الروح لاحنثاً ... يرْضى ولا يهبُ الأيمان للغرر (١)
لو أرجعت نبضات العمر سالفها ... أسميت (٢) عيدك بالمنظوم والفقر (٣)
وانساب أبلج بالفياض لؤلؤه ... طلق السجية عف النهج كالزّهر

تهنئة النيل

أبشر وخـذ نفحات الدهر عاطرة ... واغنم نفيسك من سيال مُدّخِـرِ
أكبرتُ صمتك والأحداث شائكة ... ما أقعدَتْ سَنَنَ الإغداق والفطر (٤)
زادتك صنو أبي الهول الرمى هدى ... ما ضقت بالحدثان القلّب النفر
بل سرت فى كنف الوهاب معتصماً ... كالصلب يعجم (٥) من إزهاق معتصر
ألصـلد يرهق كالعنقود معتصراً ؟! ... كلا ولا لدن السارى بمنـكسر (٦)

* * *

صَمْتٌ وغورٌ حارت فيهما عُجُمٌ ... واستعصيا برموز دون مُختبِر (٧)
فيـك الطلاسم بالأمجاد راسخة ... تطوى الزمان بسر غير مسبّر (٨)
شاء الدخيل منالاً لا توطده (٩) ... حـط الرحال معيياً غير منتظر
أشقاك فى عنت كابدت قسوته ... فهو الغزى (١٠) ربيب السلب كالنور (١١)
لولذَت بالصبر فلا ضعفاً ولا وهناً ... فالشهد (١٢) بعـد ضنا وخز لمصطبر
واليوم يومك تجنى الشهد فى شمم ... ينساب رغداً يطفى غلة الثأر (١٣)

---

(١) التعرض للتهلكة . (٢) أعليت .
(٣) قطع من النثر أ والشعر .
(٤) من الفطارة أى الشيء الطبيعي فى الإنسان . (٥) يختبر ويمتحن .
(٦) كما أن الصلد لايعصر وسارى الماء لا ينـكر فإن الأحداث لم تنل من النيل .
(٧) صمت النيل وعمقه كرموز استعصى فهمهما على الأعاجم . (٨) غير مدرك الغور .
(٩) لا تقره .
(١٠) المتقدم فى الغزو . (١١) النور : الغجر . (١٢) عسل النحل .
(١٣) أخذت بثأرك فى يوم الجلاء .

فهو[١] الزخارف فى أمواجك ارتسمت ما مسها أفك المكروه والنكر
والخَضِلُ[٢] من زبد[٣] المنثور رونقه صينت ودائعه خلواً من الخطر[٤]
ثغر[٥] الزمان لأنت اليوم منفرجٌ عن بسمة لزوال الرازح العسر[٦]

ثم يقول : —

أهديك مصر على الأيام محمدة من شيمتى لهجا من ضوءة السَّرر[٧]
حتى يقال أنى الإعجاز شاعرها بالآى أفلق[٨] فى المحراب والستر[٩]
والروح أقدر والمنظوم سلوتها تكسوه حلة رقراق بمبتكر
فالخالد يغدق بالأزيان[١٠] فى بذخ والروح فى وله تنساب فى الأثر

* * *

مصر وحقك ها الأمجاد عاودها شجو الحنين إلى الأوطان والوكر
شوق يبرح بالأكباد إذ جنحت للشاطئين وللوديان والقِفَر
منبثة كنمير فى خمائلها يحيى الموات من الأزهار والجذر
والدهر مصر أتاك اليوم فى جزع يلقى الحمائل[١١] فى ضعف وفى خور
إن كان كشر عن أنياب مظلمة بالأمس فى شطط المجتاح للوبر
مد الزمان إليك اليوم صادقة أيدى النقاء بعهد غير معتكر
فالصفح زينة من يعفو بمقدرة والخصم أهرم بالإعياء والخور[١٢]
رمت الكرامة والإنصاف راغبة رمت الجلاء بعيد غير منشطر
شاء الإله فجاء النصر مؤتلقاً والدهر صارع الاستعمار بالشرر

* * *

(١) أى الشهد . (٢) اللؤلؤ والدر الصافى .
(٣) رغوة الموجة. (٤) صان الله رونق النيل . (٥) يا ثغر .
(٦) جبتش الاحتلال . (٧) السر . (٨) أفلق : آتى الأمر العجيب .
(٩) أى كتب الشعر وهو فى محرابه فى العالم الأرضى كما كتبه مستوراً فى عالم الروح .
(١٠) جمع زين ضدد الشين . (١١) علاقات السيوف .
(١٢) أى يطلب أن تصالح مصر زمانها بعد الإساءة طالما قد أتاها بالنصر خاضعاً .

وها هي قصيدة رائعة بعث بها إلى شاب كان يعانى من أزمة عاطفية حادة بسبب فشله فى خطبة آنسة كان يحبها مما أثبط عزيمته. فأهمل عمله وتراجع عن رسالة كان يعدها للحصول على الدكتوراه، واتجه فكره فى وقت ما إلى التخلص من الحياة، وقد طلبت من روح شوقى هذه القصيدة فأملتها طويلة، مليئة بالحكمة الجميلة، وبالموعظة الحسنة، مما كان له أحسن الأثر فى تخفيف أزمة الشاب وإعادة ثقته بنفسه ومعها آماله المشرقة فى الحياة، وها هى القصيدة كاملة، وقد أعطتها الروح عنوان « نصيحة »(١) : —

ابنى! سطرتَ مسيل(٢) الحزن والألم ... يبدى الأسى . وبيان الحال بالكلم
تقسو على شطط(٣) الأقدار فى لهف ... سوّمت(٤) حظك سوء النكل(٥) بالقلم
مالى أراك سُلبت الصبر فى جزع ؟ ... كيف ارتضيت بسأم جال فى القيم(٦)
يا من صراعك فى الأيام منتشراً ... يتلو انتصارك فى الآفاق والقمم
ماذا وحقك جاء الأمس من أفك(٧) ... وخز الشمائل والآمال بالظلم(٨)
فيم التقول إن اليأس مهلكة ... والعيش أقفر بالخذلان كالصنم؟(٩)

* * *

ما وحدة سكنت بالنفس موحشة ... كيف احتواك ملال قاتل الهمم ؟
أفشت يراعك أن النفس حائرة ... تشكو التنافر فى الأوضاع والقسم
أضحت تبيت على هم يلازمها ... قض المضاجع بين السهد والندم
هانت أمورك باستهداف شائقها ... للعى . بئس مثار العى فى القدم(١٠)
أخلقت ظنك فى إشراقة الظفر ... ألقيت ذرعك فى أحبولة العدم
حتى خشيت عداء الدهر يا لهفى ... ما الجبن صبغة مغوار ومعتصم

(١) راجع القصيدة فى مجلة « عالم الروح » عدد يوليه سنة ١٩٥٧ ص ١٥ — ٢٣ .
(٢) مجرى . (٣) تباعد عن الحق . (٤) كلفت . (٥) سوء الطبع .
(٦) قيم التواجد الإنسانى . (٧) زور وبهتان أو كذب . (٨) جمع ظلمة .
(٩) أى أصبح العيش لا حياة فيه .
(١٠) مضى قدما أى لم يعرج ولم ينثن فى المضى بلا توقف .

راقبت سعيك نحو المجد فى جلد[١] تقضى على حدثان[٢] الدهر والضيم[٣]
ما أقعـدتك عن العلياء ضائقة والدهر يقذف بالأشواك من قدم
كافحت مغتبطـاً بالنصر وارتبطت متن[٤] الأواصر واستشرت[٥] بمرتسم[٦]
حتى لتنطق أن العهد بينكما صرح تشامخ من ممدوح منسجم
عهدى بروحك لا يهتاجها ظمأ عند التحرج والإقلاق بالحزم
فالورد من لدن الرحمن سلسله[٧] ورد السلام بهدى غير منهدم
تأبى التهجم فى بلواك بل أبداً تأتى الأحبـة فى إصباح مبتسم
كنت الموضح أن الله ذو حكم ماشاء فهو قويم النفع فى الأمم
واليوم تجحـد من إحقاق ما رسمت فينا « المشيئة » ، بل قد ضقت بالحـكم
ما بال روحك تدعو الضيق يشملها حتى لتحتضن الأيام بالسقم

* * *

ساءلتَ نفسك: «هل يلقاك ذو فشل حتى حرمت منالا زاد من ألمى» ؟
كيف ارتضيت بشك أنت قائله يطوى المؤيد فى الآمال بالهرم[٨]
أفزعت نفسك بالإجحاف يا ولدى حتى هجوت . وفى إحراج متهم[٩]
روعتها فوأدت[١٠] النفس مغترباً حتى إخالك قد تصليها بالنقم
أين المكانة[١١] والأهداف سامية نحو المكارم تخشى الله بالرسم[١٢] ؟
حكم المهيمن أن ترعاه معتصماً تجنى قطوف منال الخير والنقم
ماشـاء ربك لادفّاع ينقضـه أو ما أطعته إذ ألقاك فى الرحم؟
شأن الأجنة إن ترضخ فحالتها دون الفوارق أفـذاذ كمنفطم[١٣]

* * *

(١) صبر. (٢) نوائب. (٣) المظالم (٤) عرى. (٥) أسرعت وانتشرت. (٦) واضح البيان.
(٧) عذبه. (٨) يطوى آمالك المشيدة بالمشيخ (٩) عددت معائبها وأحرجتها كأنك تتهمها
(١٠) دفنته فى التراب. (١١) المنزلة . (١٢) حسن الشىء.
(١٣) كما نطيعه الأجنة فإن الجميع يرضخون لمشيئته لافارق بين الجميع فى الطاعة .

ماذا انتويت ؟ أتعصى الله فى عنت ... بالإثم وسم الأقدار بالتهم[١]
قف دون لومك والشكوى وكربتها ... فرج همومك . ناقشنى فما لقم
إن كنت تبنى على الآمال ما نفعت ... شيدت صرحك بالإيناع[٢] والعظم
أسست سعيك للعرفان مرتضياً ... عمداً تشاد على الإيقاع والنغم
عرف جرى لجلال العلم مرجعه ... صرف الغنائم من علم لمغتنم
ليس التدله فى علم بمرتبط ... بالعشق أو بغوانى البيد والعجم[٣]
من مارس العلم للإعزاز فى رهط[٤] ... يدل بشوطه لمّاحاً[٥] . وذا قدم[٦]
فالعلم مفخرة قدسية أبداً ... سائل معالمها فى الوادى[٧] والهرم

* * *

قل لى بحقك . هل سخرت مرتضياً ... فى موكب لهواك العلم كالخدم
أو رحت تنذر من علم لترصده ... وقفاً على صلة بالحد واللجم ؟[٨]
هذى لعمرك — لو مثلتها — خطط ... يصليك لومتها[٩] ندكتهم
مدّت إليك يمين العلم راحتها ... تذكى مكامن ما قدست فى الذمم
نادتك:عدلوروف[١٠] الدوح[١١] مقتطفاً ... أثمار غرسك . عذ عوذت من صمم
لا ترض مضيعة للوارف النضر ... فهو العريق . وعن لقياك لم يصم
عذ للمعاهد . عذ للبحث فى شغف ... واصل جهودك سعياً غير منفصم[١٢]
ليس الشجى[١٣] نديما للأُلى رفعوا ... صوب العنان لواء العلم بالقسم
قم ودّع الحزن المتلاف للشلل ... واحذر مثار دواعى اليأس والسدم[١٤]

* * *

(١) تناقش الروح تصميم هذا الشاب فى وقت ما على التخلص من الحياة .
(٢) الازدهار . (٣) غير العرب . (٤) أقوام . (٥) لامعاً مضيئاً .
(٦) شجاع . (٧) وادى الملوك والملكات بالأقصر .
(٨) هل نذرت العلم ورصدته وقفاً على صلة معينة بحد وقيدته باللجم كما تلجم الخيل ؟
(٩) الهاء عائدة على هذى أى هذى الخطة . (١٠) امتداد الشجر وقدرته.
(١١) الشجر العظيم . (١٢) منقطع . (١٣) مشغول البال .
(١٤) الغيظ مع الحزن .

ياذا الدامعِ عـذ بالله منْ وَهَن تأبى السعادة لقيسا الحـالم الوَجِمِ (١)

داوِ الكلوم (٢) بما أوتيتَ من وَهَب (٣) يأبى عليك هوى الممنوع والحرم (٤)

لذ بالتقى وترَضَّ الله فى ورَع واخشَ التجاوز عما حد من تخُمِ (٥)

سـاير زمانك بالآمال مرتقبا مجرى الأمـور كما دانت بمنتظم (٦)

ما الجور فى عقبات الدهر إن وقعت والجور أنك تبغى النور فى السدم (٧)

ماذا يضيرك أن تنسى بلا ملل فيم التوغل فى آهات مضطرم؟

إن أنت شئت ملال العيش مرتضياً أين الرجولة واستقرار محتشم ؟

أين الأباء وسيف اليأس ذو لهب إن جال أرعد فى الوديان والأجم (٨) ؟

* * *

مرحى بنىَّ ، وفق من غفوة عبرت فالصحو يعصم فى هيجاء مصطدم (٩)

جاوزتَ حدك فى الشكوى وما وسعت والذرع ضاق بعيش الدور والخيم

اعلم بُنىَّ بأن الله ذو أرب فالحق دونك لو تعصاه بالنهم

خذ بالتعلة (١٠) فالهياب (١١) مرتذل (١٢) وارهب منـاوأة الرحمن فى القسم

والزم سلامه فى بحبوحة رُسمت خذ ما ارتُضى بسماحٍ شاء أو فقَم (١٣)

هوّن عليك فما فى الأمر من جلل كم شدة بذلت للناس من خِدم !

أخشى عليك إذا استرسلت فى سأم يترى مـلالك للعـذال كالوشم !

* * *

وثبُ العزيمة سحر صانع عجبا والحزم يخلق إزهاراً من الرطم (١٤)

والطير يطعم من أرض . فياعجبى حب الترفع للعليـاء فى اليمم (١٥)

---

(١) عابس الوجه المطرق بشدة الحزن .
(٢) الجروح . (٣) موهبة . (٤) يمنعك من حب الممنوع والمحرم .
(٥) الحدود . (٦) كما دانت لمشيئة الله بسير منتظم .
(٧) الضباب الرقيق . (٨) الشجر الملتف . (٩) أى المصطدم بمناوأة الحياة .
(١٠) ما يتعلل به . (١١) الذى يخاف . (١٢) محتقر .
(١٣) السماح : البسيط . الفقم : الشديد ، الصعب .
(١٤) الأرض الغير المستوية ذات القلاقل . (١٥) شجر الزيتون البرى .

إن الحياة لأسمى من هوى جسد ... فالروض يفخر بالأزهار لا العتم [1]
تدلى الخلائق بالنجوى لمتعظ ... يهوى التفاؤل بالحسنى وبالفهم [2]
فارض التطبب بالترياق فى شغف ... وارحم جراحك من نزف الضنا كدم
فخر الشباب طموح ليس يقعده ... خوف الترفع فوق النوق [3] من سنم [4]
فارفع بحلمك قدر النفس منتصراً ... حتى تتوج هام العيش بالفخم
وارقب تصيبك فى الأقدار فى ورع ... إن التورع يؤتى السعد للفهم [5]

* * *

وها هى قصيدة بعث بها كيما تلقى فى مساء السبت ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٧ فى الحفل الذى أقامته «جمعية الشبان المسلمين» بالقاهرة تكريماً لذكراه الخامسة والعشرين . وقد وجهت الجمعية الدعوة إلى المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبى الخير كيما يتحدث فى الحفل عن « شوقى فى عالم الروح » بتاريخ الأربعاء ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٥٧ فاتصل بالتليفون ببلدة ميت أبى غالب حيث تقيم عادة أسرة الدكتور سلامة فى ضيعة لها هناك ، وطلب عرض الأمر على روح شوقى .

وفى اليوم السابق على الاحتفال مباشرة جاء روح أحمد شوقى إلى إحدى الجلسات العلاجية بمنزل الأستاذ أبى الخير بالروضة ورآه وسطاء الجلاء البصرى ، وأخبرهم أنه أملى بالفعل القصيدة المطلوبة على قرينة الدكتور سلامة ببلدة ميت أبى غالب وعنوانها « فى المهرجان » .

ثم يقول الأستاذ أبو الخير فى مجلة « عالم الروح [6] » إنه خرج ظهر يوم الاحتفال من داره لقضاء أمر ما ، وقبيل الثانية بعد الظهر وجد الدكتور سلامة والسيدة حرمه يسيران فى الشارع المؤدى إلى منزله ، فلما أدركهما قالا له إنهما تلقيا القصيدة بالفعل ، ولم يكن أمامهما إلا الحضور شخصيا لتقديم القصيدة قبيل

---

(١) اليمام أو الحمام البرى .
(٢) الفهم والمعرفة .
(٣) الناقة أنثى الجمل وجمعها نوق
(٤) سنم الجمل .
(٥) الفهم . السريع الفهم .
(٦) عدد ديسمبر ١٩٥٧ .

موعد الحفل ، ثم العودة ثانية إلى بيت أبي غالب ، وفعلا تسلمها منهما وذهب معهما إلى منزل الأستاذ الدكتور أحمد الشايب لمراجعتها . ولما تم ذلك بلغت الساعة الثالثة بعد الظهر تقريباً ، وحضر الحفل فى الميعاد المحدد وتلا على الحاضرين القصيدة ، وها هى كاملة : —

أشرى[1] الوفاء يناغى الشاعر الحانى[2] — وانساب ينشد فى العلياء عنوانى
أوحى بنافلة[3] فى الحى مغنمها — مستملح بشذا التكريم يرعانى
روحى و نفح ثقات الشعر مفخرتى — ترضى النوال وهذا الحفل أهدانى
أحرزت مكرمة الخلان من وهب — كالغيث بل أوار الظامئ الرانى[4]
الحق أشهد والأيمان صادقة — كيل الشكور على الإيثار[5] يعصانى
أوفت على سنن الذكرى محالفة — مهج تفدّى أحيت آى وجدانى
تسمو وتغدق بالمنظوم مزدهراً — زف الجميل بما أدلاه أقرانى

* * *

يا ناشر اللبق المعطار مرتبطاً — بالعطف إن منال العطف أحيانى
عهد المغيّب إذ تزكيه بادرة — فى المهرجان بنجوى الطائف الدانى[6]
يطرى بنائلة[7] الإملاء معتمداً — عدّ المصنف من لبنات بنيانى[8]
يامنية عرضت للروح فاقتدرت — فض المغلف من إسطاع أزمانى[9]
ما جولتى كهباء الحلم أخيلة — بل فى العداد أنا حى بتبيانى
والروح خالَ ليان العيش عاوده — يدنى القطاف جنى من «كرمة الهانى»[10]

---

(١) أشرى البرق : لمع .
(٢) ذو الحنان .
(٣) أعطاه نافلة من المعروف .
(٤) المتطلع .
(٥) آثر إيثاراً . أكرم .
(٦) يقصد روحه القريبة فى المهرجان .
(٧) النائلة . العطية .
(٨) أى تعداد أنواع ما أقام من شعره .
(٩) أى سنوح فرصة المهرجان مكنه من كشف ما خفى من عهده الزاهر .
(١٠) يشير إلى مسكنه السابق الذى كان يطلق عليه « كرمة ابن هانى» » .

فاختار راسية[١] النظّار[٢] مغتبطاً يرنو لحاضر ما يعزى لأوزانى
تشجيه ما وسعت أنغام ملحمتى من متعة كنت فى صوغ ألحانى

* * *

يا لأنّى وحنين الأمس روعنى والضن بعدشكاة[٣] الحى أصدانى[٤]
كم همت مرتقبا أهفو لظاهرة تقصى الطوى[٥] وتداوى كيدحرمانى!
واليوم أمثل بالأوزان خافقة بالشاعرية من صرفى وإمكانى
آتى البيان مصان الحق حرمتـه طبق الضمن من أنداد عرفانى[٦]
علّى على منن الآلاء منتهـج رد الجميـل على إسعاد إنسانى
إن ترتضوا فأريج الشكر مستندى يعلى مكانة من بالود حيانى
أتلو على حقب الأيام منطقه بالمستساغ فيـدوى نص إعلانى

* * *

يا نخبة ضمنت للروح عزته بعد التباعد عن آلٍ وأوطان
جاشت سوانح روحى اليوم داعية فى حيـكم بشوق الرأى والشان
أكبرت شيمة سبّـاق يطوّقنى باليانعات . وفياً ليس ينسانى
يارب شائقة بالزهو ترمقنى عبر النطاق[٧] لتزهى دوح أفنانى
تقوى الروابط إن دامت أواصرها تهدى المناصر من صحبى وأعوانى
فابقوا لمنتهج التـكريم ملتمساً يبقى على حقب المأمول ديوانى

ولنفترض جدلاً كما قد يذهب المعترض الذكى بأن الواقعة التى حدثت فى الجلسة العلاجية هى من خيال وسطاء الجلاء البصرى ، وأن وصول القصيدة فى الميعاد المطلوب كان من قبيل الصدفة ، فبماذا يعلل المعترض هذا المستوى الراقى من الشعر ، واتفاقه التام مع شوق العظيم فى مستواه وطريقته وإعجازه

(١) رسى راسية : رسخ وثبت : (٢) النظار الشديد النظر .
(٣) الشكاة : ما يشتكى منه . (٤) تركنى فى عطش .
(٥) الجوع . (٦) أى أنه يقول الشعر مثلما قاله لمعرفته به قديماً . (٧) أى عالم الروح .

الفنى ؟ وهل فى الناطقين بالضاد من يكتب الآن مثل هذا الشعر الذى لا يجود الزمان بمن ينظمه إلا كل مرة كل بضعة أجيال أو بضعة قرون ؟

* * *

ثم هاهى — كاملة — قصيدته التى أملاها بمناسبة « الاحتفال بذكراه السادسة والعشرين » الذى أقامه «المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب للعلوم الاجتماعية » فى شهر أكتوبر سنة ١٩٥٨ ، وفيها يعتب على المرحوم الأستاذ العقاد الذى نقد شعره فى هذا الاحتفال و يناقشه فى ترفع وإباء : —

تحية لوفود المحتفلين

كَبَّرتُ باسم الخـــالق المعبود ... الحج جمع أم طواف العيـــد ؟
أم موكب الأزمان فى يمن سعى ... يوفى النـذور بسـعيه الموعود ؟
أم مهرجان الذكريات مشـــيداً ... بالخالدين معالم التمجيـــد ؟
يضفى على رمز البطولة شائقاً ... من عاطر الإحياء والتخليـد !
يحدوه أقطاب تلألأ نورهم ... من قادة وأئمة ووفود
فى قاعة طال الزمان وكم وعى ... من عهدها بروائع الترديد
يادار حشـدك قـد أثار عكمنى ... بعثاً يدب بمهجتى ووريدى
حتى استظلت فى الربوع نعامتى ... واستروحت[١] فى روضـة التغريد

* * *

قسـماً بمصر وبالوفاء لعهـدها ... لسـت القصى[٢] بجفوة وصـدود
فالروح يختصم البعـاد مغاليـاً ... كيف البعـاد وما أنا ببعيـد ؟
لو صـد عنى واسـتبد ببابه ... شـوق يطوف ببابه المسـدود
أفضى بمكنون الحنين مروحاً ... عنى العنـاء وقسـوة التسهيد

---

(١) وجدت الراحة . (٢) البعيد .

يا صحب أنتم عبقرية أمة ... نسجت لروحى بردة[1] التأييد
والشرق صفق والعروبة هللت ... واستطربت آفاق كل صعيد
واستهدف الأخيار كل كريمة ... من منطق المأثور والمقصود
إذ عطروا بالذكريات وطيبها ... معنى الكفاح وصولة[2] المجهود

وصف لما سمعت

صورٌ توالت فى المطاف بخاطرى ... واستوقفتنى حائراً بشرودى
وإذ الفوارس والجهابذة الألى ... عدّوا المناقب واحتفوا بوجودى
نادوا أشوقى هل لسمعك مغنمٌ ... فى المستهام بفخرك المنشود ؟
الشعر أقبل يستفىء[3] بدوحة ... إن أينعت فبغرسك الممدود
فالعبقريه فى رحابك تنجلى ... تتلو البيان بنهجك المعدود
ناشدتَ شوقى بالتضامن وحدة ... عربية شرقية التوكيد
قومت خير رسالة فكأنما ... كنت الإمام لدعوة التوحيد[4]

* * *

يارائد الأقلام أشهدنا الورى ... حررت نهجك من ضنى وقيود
كنت المعبر عن مشاعر أمة ... بالعرف[5] تشهد ليس بالتفنيد[6]
توحى بتوجيه وترسم نهضة ... حُمّلت فيها شقة[7] التعبيد[8]
لاشك أنك للبلاغة موئل[9] ... علَم المآثر شعلة التجديد
أسست فى دنيا القريض دعامة ... تهدى على الأجيال كل مجيد

---

(١) نوب . (٢) سطوة .
(٣) يستظل . (٤) توحيد العرب فى أمة .
(٥) ضد الفكر . (٦) الكذب .
(٧) مشقة . (٨) تذليل الطريق .
(٩) ملجأ .

وسقيتنا من راحتيك مصنفاً ... من سلسل روقته لورود
شوقى ! سلامٌ للبطولة لائقٌ ... يا خير لحن دائم لخلود

العتب على المرحوم الاستاذ العقاد

يا ناقدى والنقد من شظف(١) الدنا ... ومعيرى عبر الربى والبيد
أتراك مكتمل العريكة(٢) نابغاً ... متخطياً فى الشوط كل سدود ؟
يالأمى عسر الكمال على الورى ... وعزا الكمال لمن إليه سجودى
فالمرء يحتضن الحياة مغلباً ... والنقص مركب جاهل وبليد
إنى بنيت وكل بانٍ يعتلى ... قمم الخلود إذا اهتدى لسديد
قدتُ الطلائع فى هوادة راشد ... ورعيتها بمآثر المنضود ؟
أيقال فى الأهرام صنعة كافر ؟ ... أم منه جاءت منّةً لجدود ؟
لولا المناوىء ما استقام لىَ العلا ... كالبدر يسخر من هوا ورعود
والنقد للتوجيه أقدس ناصح ... لوفى نزيه الرأى . لا التقييد
ما بين مبضع جارح ومطبب ... يُشفى البلاء بصحة التضميد
ياليت من قذف السهام معادياً ... راعى الذمام وما رمى بسديد

* * *

حقا أخى لست الأخير زمانه ... كم من فطاحل لم تزل تمهود !
والعصر ليس بشاعرٍ متفرد ... فعلى الدهور مكانةٌ لأسود
ماضر لو نحمى القريض من الطوى(٣) ... فى وحدة محبوكة التوطيد
ونبث فى الأوزان ريعان الصبا ... ونرى القديم معانقاً لجديد
ونصوغ من در الصياغة لائقاً ... يحدو القوى لكفاحها المعهود

---

(١) الضيق والشدة . (٢) الطبيعة ، الخلق . (٣) الجوع .

فالشعر إلهامٌ ونبع سجية[١] والشعر منحة خالق لسعيد
والملهمون منالهم لا يكترى فالشعر وقفٌ للسراة[٢] الصيد[٣]

عودة الروع والحنين إلى الشعر

بالأمس رددت الفواجع لوعتى ونعى الزمان منيتى وهمودى[٤]
وتحطمت عبر النوى قيثارتى واللحن عاد مهاتراً بالعود
وتطاول النسيان يعلن غيبتى ويروم طمر[٥] معالمى وبنودى
فأنا الطموح وما عييت مقيداً فأعذت روحى من ضنى المصفود[٦]
لأعيد أغنية القريض لأوجها وهوى العروبة رائدى ومعيدى
فخذوا يمينىَ ما حنثت بعهدها مصر الربوع[٧] ومرتع المسعود
عشتم وعاشت والسلام يظلكم وأنا الشكور بوقفتى وقصيدى

* * *

وهذه قصيدة كاملة له « فى عيد الأم » تبلغ أبياتها ٩١ بيتاً كل بيت منها إعجاز فنى قائم بذاته أملاها فى سنة ١٩٥٧ وفيها يقول : —

أقدم فتيهك فى الزمان مخلد وسناء فجرك رائدٌ يتوقد[٨]
ما زادك الرغد[٩] الوليد تشبباً[١٠] فعريق مجدك بالمديح منضد[١١]
قلدت من قِدَمٍ جليل مهابةٍ وبفطرة[١٢] الرضوان[١٣] سمحاً تلبد[١٤]
عاصرت جرداء[١٥] الهيولى[١٦] أينعت فيك الامومة والقرائن شهّد[١٧]
بالخصب جادت راحتاك تلاحقاً[١٨] كالدائبين[١٩] على المدى تتطود[٢٠]

(١) السجية : الطبيعة والخلق .
(٢) أصحاب الشرف والمروءة .
(٣) جمع أصيد وهو العزيز الجانب .
(٤) موتى . (٥) دفن . (٦) المقيد .
(٧) الديار وما حولها . (٨) يتلألأ .
(٩) طيب العيش . (١٠) النسيب والمدح .
(١١) منسق بعضه الى بعض .
(١٢) الطبع الأول الذى يولد به الإنسان .
(١٣) عكس السخط .
(١٤) أى تلصق فى الأرض .
(١٥) الأرض القاحلة لا نبات فيها .
(١٦) المادة الأولى .
(١٧) شهود .
(١٨) تتابعاً .
(١٩) الليل والنهار .
(٢٠) تطوف فى الأرض.

ياداهراً [١] حواء فيــك تغزلت   واليوم أحفادٌ حبــوك وقلدوا
لولاك ما خلق سعى مستهدفاً   فعلى مناصرة السراة [٢] لك اليد
صـاحبت عصر الغابرين بغفوة   طالت فخلتك لا تفيق وتشــدد
مستروحاً جبت المجـرة والذرى   فغدا الأحبة فى حنينٍ يوقد
قالوا تغيب والمـــديحَ نظيمُه   تــاجٌ لمفرق من صحا يتصيدُ
فاسترسلتْ تغـــزو القصىَّ قرائح   ترتــاد حيَّـك بالرغائب [٣] عوّدُ [٤]
أهدتك من بعد التمارض صحة   فنبذْتَ صفدك [٥] فى الهواجع [٦] يُزبد
أنفذْتَ عيــد الأم للمهج التى   خشعت لبعثك تستهيمُ وتحمدُ
والبعث من بعد المغيب عجيبة [٧]   يضفى المهــابة روعها ويرّشد [٨]
فاهتــاج فى قلب الأبى سجية [٩]   أوحت بأن العوْدَ عَوْدٌ أحمــد
يشجى عِداد المهتدين بمقدم [١٠]   فيـه الأمومة بالرفاء تعيـــدُ
تهفو لمنْ يسدى الجميــل بسهله [١١]   من دون ما عَوَجٍ يَطِنُّ ويرُعِدُ
يأبى المـــــديح بنزعة لمــاحة   تزهو بأدعية الرضا وتؤيد [١٢]
فــكأنما نظــم الرُّواء بصفوه   شكراً على هِمم بها يُسْتَرشد [١٣]

فى تـكريم العيد تآلف للعقائد

ياعيــد ألفت العقائد ســائداً   تدعو لقربى عرفهـا لايفقد [١٤]

(١) الداهر . الطويل الأجل . (٢) أصحاب الشرف والمروءة والسخاء .
(٣) ما يرغب فيه . (٤) جمع عائدة الريض . (٥) الصفد . القيد .
(٦) هواجع : نائمين : أى أن قرائح المفكرين أنعشت إحياء العيد والاحتفال به فكان بعثاً له .
(٧) إحياء العيد بعد غيابه طوال هذه المدة يعتبر عجيبة . (٨) رشّده : هداه .
(٩) السجية : طبيعة الشىء . (١٠) أى مقدم العيد .
(١١) أى أن الأم تتوق لكلمة سهلة تعرب عن العرفان بالجميل .
(١٢) والعرفان بالجميل يعبر عن مديح الأم بدعاء الرضى .
(١٣) استرشد : اهتدى .
(١٤) يقصد أن عيد الأم ألف الأديان بقرابة الأم الأولى التى ينتسب اليها الجميع .

أسميت وعى الحـــاذقين كأنمـا ... أنت المقوم « بالعناية » موفـدُ
بالبشر ضمنتَ العناصر وحـــدة ... فعـلاك فى أوج رمىءٍ فرقد[١]
فقت الأئمة فى استخارة نهجهـا ... فإذا التوافق بالإخاء مشيد
نصبتَ فى عرش القـلوب دعامة ... صيغت بفحوى فى الأمومة تحمد
تسدى الـكرامة للـكريمة[٢] فى الدنا ... كيما بعـرفان الجميـل تزود
مصداقة[٣] نسجَ الملاحم[٤] بردها[٥] ... مهما انطوت حتما يجىء بهـا الغد
تتعـاقب الأيام فى أطوارهـا ... وربيعهـا بوثيقة لا يحصــد

* * *

أنعم بيوم بالقشيب تدثرت ... فيه الأمومة لائقاً لا ينفد
يوم تسامت فى ضحاه ذريمـة ... مقضيهـــا بمـــنزه يتجـدد
فبـدا كعرس بالتفاخر مطلق ... أو مهـــرجان باليامن مفرد
دارت كؤوس بالرحيق كزنة[٦] ... مدرارها[٧] يطفى اللهيب وينجد
أكبرت صفواً من شفيف نميرها[٨] ... يهدى الأمومة ما برام ويورد

تكريم الأم أمر إلهى

يايوم سحرك بالصباحة[٩] يزدهى ... جم الشمائل شائقاً يتـــولد
أصبحت عيـداً للوفاء . وطيبه ... نفح الأمومة ما يشوق ويسعدُ
رفعوك فوق المشرقين مـكانة ... وبنوا عليك ذرى الجميل وشيدوا

* * *

يا باعثاً سنن المـديح على المـدى ... ينساب عــذباً بالغنـاء يردد
قلدت طالعك الرفاهة والعـــلا ... باليمن أشرق داعياً يتودد

---

(١) نجم فى الشمال يهتدى به . (٢) أى الأم . (٣) أى كرامة صادقة .
(٤) الشديد الفتل المتماسك . (٥) الثوب المخطط . (٦) سحابة ممطرة .
(٧) غزيرها . (٨) الماء العذب .
(٩) الإشراق والنور .

عـيد الأمومة والحنين سكيبة ... توق المكرم باليقين يسدد[١]
ويقيـم للأم الرؤوم مواليـاً ... للدعوة العليـا الوفا وينضد
فأحق من فى الارض منجبة الورى[٢] ... أمٌّ يطوف بهـا الرضى والسؤدد
تهدى عـلى متن المراحم آبداً ... عرش القلوب إذا استقام المقصد
فهى الغدير[٣] على الجداول[٤] فيضها ... تهب الحياة رضيـة[٥] لا تزهد
من دونهـا لا الشائقات تدرجت ... للقمة العليـا . ولا من أيدوا
والأصل لو يذوى تـقد[٦] فروعه ... ويبيت قحلا[٧] دون ما يتورد
والأم لولاها انقضى أس الدنا[٨] ... فإذا اختفت طوق التواجد يُقعد

* * *

ما الأم إلا منحة قدسـية ... فهى المؤيد بالهنا والمسعد
كالشمس وهب الخليقة وهجهـا ... ليست تروم له الجزاء وتنشد
تحيـا بروعتها النفوس قريرة ... فـكلاهما ذخر يشاء ومورد
دولاتها أبد الزمان وطيدة ... ودم البنين لوحيها يتعـبد

حنانه الأم وقوة احتمالها

تبقى على مر السنين وفية ... منها القطاف[٩] المرتجى يتواجد
والخلق ما بين المروءة والتقى ... لهجٌ بعاطفة الأمومة يشهدُ
من نبتها نبـل المشاعر مونق ... ومسيل حس مرهف لا يخمد
تحنانها قد لا يـكال مديحه ... إذ لا يحاكى والدليـل مؤيد
ما بين بادرة الجنين بطالع ... يشقى ويسقم بالضنا ويسّهد[١٠]

---

(١) المنسكب من الحنين هو شوق المكرم الذى يسدده بالصدق .
(٢) الناس . (٣) النهر . (٤) الأنهار الصغيرة . (٥) راضية .
(٦) تقطع وتستأصل . (٧) يابساً . (٨) أساس العالم . (٩) الثمر .
(١٠) يقصد متاعب الحمل .

أو بين حانيـة تضم وليـدها بالحدب والإعزاز وهى تهدهد[1]
ترضى بزهـد كالضنين بصومه حرصاً على فرض يرام ويقصد
والقلب بين الحالتين رهينـة طوعاً بعاطفة الأمومة يصمد

* * *

ما الأم إلا الطيب يحرق عوده والناس ينعشها الشميم[2] فتسعد
تشقى شقاء الفـاتحين بغزوة وتتاخم الأهوال لا تتخود[3]
رمز البطولة فى جليل صراعهـا والعمر يرخص لوتدانى الموعد[4]
لا تستبيح تنصلا لو تفتدى بالروح شبلا فى الحشا يتوسد[5]

الجنة تحت أقدام الامهات

للأم ما بين الضلوع مرابضٌ نصب لها بعـد الإله ومعبد
تختـال فى قمم الدلال بنشوة أخاذة يخشى عليهـا الحسد
حابتها اللهم حتى استحوذت علنـاً عـلى سنن تقيم وتقعد
أوحيت للجنـات فى أبهائها تحنى الرقاب لوطئها وتعبـد
أو ليس يخضع للخطى ووئيدها روض الجنان نضيرها وممهد ؟
سبحان من جعل الرياض بروعها تجثو لمن تهب السكيان وتسجد
يا روض مالك للظباء مطأطئاً هاماً بحاله الجمان[6] وعسجد[7]

* * *

هذا النضار وذا الصفاء ودره كلٌ بلثم العقب[8] راح يزود
عقبٌ إذا وطىء استهامت جنة تطرى جلالا لائقاً لا ينقدُ

---

(١) بعد الوضع وضم الوليد
(٢) الرائحة الطيبة . (٣) تمايل . (٤) موعد الوضع.
(٥) أى أنها تفضل أن تموت وتفتدى الجنين حياً .
(٦) اللؤلؤ والدر . (٧) الذهب .
(٨) العقب مؤخرة القدم .

فكأنما خطرت دليـــلة كاعباً والسندسى رهين من تتأود[١].
يرنو بسحر من سديل خمارها[٢] يبدى اعتزازاً بالوقار يؤكَّد
إن المهـــابة من خمار دليلة عجب لطائفة الرجال مسدد
عجبوا لمالكة الرياض بسطوة تعصى عليهم بالإباء وتبعد
هيفاء تنعم بالمطامع بينما شمشون من هذا النال يجرد

* * *

قف سائل الأيك[٣] الرصين[٤] عن الألى تعنو[٥] الرقاب لبطشهم وتبدد.
وعن الفوارس جُنّ من أحيالها[٦] عند التسايف[٧] غاشم[٨] يتمرد
وعن المطوّح بالرؤوس رخيصة يوم التكالب[٩] والعداء مجرد[١٠]
هل بالشموخ[١١] وبالمهابة روضوا طبع الرياض فهالها المستأسد ؟
آه لمن رقت حواشيها ارتضت نعماء يحدوها « المقام الأرغد »[١٢]
نالت على حقب الزمان منالها ما قدم الأزيان[١٣] فيه مهند
بل منحة الرحمن فى عليائه قولا كريماً للأمومة يسند.

* * *

فاعجب لرائدة الرجال عتادها ليس القنا ، بل صبرها والمولد
تأسو الجراح وتفتدى . ومراسها إن انجبت فنجيبة[١٤] تتجلد

---

(١) تمايل .
(٢) نقاب شفاف يغطى الوجه . (٣) الشجر الكثير الملتف
(٤) المستحكم الثابت . (٥) تذل . (٦) قواها .
(٧) التضارب بالسيف . (٨) ظالم .
(٩) المجاهرة بالعدوان . (١٠) مكشوف .
(١١) الاعتزاز والتكبر . (١٢) السماء .
(١٣) الأزيان : الحسن . أى أن الأم نالت مقاما رفيعا دون احتياج إلى سيف .
(١٤) ذكية عاقلة .

واليوم يوم الراشدين فسددوا   دين الأمومة والجراحة ضمدوا[١]
فاستكرموا[٢] الإسداء وفق مروءة   فلئن وهبتم فالأمومة أجودُ
صيغوا بوحي القلب شيمة[٣] منطق   عذب الطلى[٤] مستخلص يستفرد[٥]
واهدوا البيان بمستحب رنينه   بجوى لأم بالسماح تجوّد
واقضوا على شوك الجوى من وردها   واستأصلوا شجراً يهين ويكمد
واعلوا يقيناً عنبرياً حبها   واستمطروا طيب الرضاء وعيّدوا

* * *

ثم ها هي قصيدة رائعة طويلة عن « يقظة الزمن » تقتطف منها الأجزاء الآتية : —

الدهر من فنن الروائع ينجب   يوماً وللأوضاع يوماً يقلبُ
صلداً إذا طبع الرواسخ أو دعا   سجد الرواة لما يسوق وأعجبوا
يهجو النقيصة لا يرد بلومة   كالسوط إن نقمت يداه يؤدب
ويحل إخراج الخوارج في الحى   ليعيذ من شطط يضيم ويعطب
والدهر بالمرصاد هبّ ملاحقاً   غراً يؤرّقه الملام ويرعب[٦]
كم حطم الرعديد في نزواته   وانساب في المتلاف سهماً ينشب
يلقيه للأقدار دون ذريعة   تقضي على هجو يغض ويغضب
فالدهر عند الظن مرآة الخطى   والدهر مصداق الصدى لا يكذب

* * *

هيهات يختلق الثناء مصانعاً   فالمجد عنده للمؤهل مأرب
يطري البواسل بالفخار وبالعلا   وينّزه الأنساب وهو يلقّب

(١) أي أن عيد الأم يسدد فيه كل عاقل دين الأمومة ويواسي متاعبها .
(٢) اختاروا الكرائم . (٣) الشيمة : الطبع .
(٤) مالذ . (٥) استفرده : أي طلب منه الغناء .
(٦) يتحدث عن ملك سابق في بلد عربي.

وله الأيادى الناصعات مواليًا   ليشيد ذروة ماجد إذ يحدبُ
إن جاد سمْحًا بامتداح بطولة   يسمو بمؤتلق يرام ويرغب
يأبى على ملق الموارب نفحة   تعيى نطاق الحق . أوقد تسلب
فالدهر يحتضن الحقوق بصائبٍ   يقضى بيقظة آبهٍ . لا يغصب

***

يا دهر طولاتٌ فى العروبة حرمة   للراشدين هى الهدى والدهب
روجت مفخرة العروبة مذ غدت   مهداً لمن وُهب الكريم الطيب
موسى وعيسى والنبى محمد   نادوا بمكرمة الإخاء وأوجبوا
شادوا التعايش بالسلام ووحدة   لا الحقد تشمل لا ولا ما يرهب
رسموا الوفاء . وفى وروف ظلاله   بالحب يترح جائلٌ يتطلب
شرع تنسمه الشعوب فأينعت   مُثل التآلف مذ تسامى الأصوب
ما غاض فى حقبٍ جلال يقينه   فهو الحياة ونبعها لا ينضب

انحاد العروبة تقريب للأديان

واليوم تزدهر الربوع بنفحة   قدسية التقويم لا تتهيب
أرست على سنن الإخاء عقيدة   تدعو التضامن بالطموح ينصّب
تسمو بفحواها الحصانة للألى   شدوا السواعد للجهاد ورحبوا
شُمٌّ الشمائل يفتدون عروبة   بالروح أو فالنصر منهم أقرب
خلوا المذاهب للرحيم وشأنه   فالحب للأوطان دين يُنسب
دينٌ تحالفه الميامن شائداً   طود العروبة شامخاً لا ينقب
دلك الفوارق فى معاقل حسها   ليقيم للأوطان شأواً يحسب

ثم انظره وهو يحيى — فى نفس القصيدة — البطلة الجزائرية جميلة بوحريد فى روعة لا يدانيه فيها أحد : —

كيف استبد بك الوفاء وما انطوى ... بين الجوانح للقيود يُحبب ؟
يا ذات قدٍّ بالدلال ترعرعت ... ماذا وحقك فى المشانق يرغب ؟
قدستِ قافلة تسـير إلى العلا ... وبكل غالٍ للسيادة ترقبُ
قدست أرجاء حللت ربوعها ... فغدا وفاؤك للقلوب يطيِّب
يا شمس أضفت من شعاع ضيائها ... نجوى حماس قد وعاه المغرب
ما أنت فرد بل قوام عروبة ... للخلد صينت تستقيم وتكسب
نصبتِ هيمنة الحياة كريمة ... والحر ثوبه بالكرامة يقشب
طبعوا جلالك بالقيود مهابة ... فى مثل روعه لا يزين مذّهبُ
إن شيعوك إلى السجون فقد هفا ... قلب العروبة للبطولة يصحب

***

صبراً جميلة لا تلين قناتك ... فالجـد تجمّع ما يطب ويعصب
والموت كأس فى الورى إن آجلا ... أو عاجلا لا بد يوماً يُشرب
فاستعذبى كأس الجهاد وهوّنى ... إن التجلد للخلود يؤهب
يا غرب قف وارهب بطولة ظبية ... قالت لأشباه الرجال « تهيبوا »
« إنى وراء عشـيرة تتحرر ... جان دارك قامت فى الجزائر تخطب »
« إن عذبونى ما علىّ من الضنى ... هيهات للروح الأبىّ تسربوا »
« ما نالوا إلا الذل فى أعماقهم ... فبعصمتى حطمت ما قد رتبوا »
« والجسم يذبل للكرامة فدية ... جراً عفيفاً فاق ما يُتطلب »

إلى أن يقول فى ختام قصيدته : —

الشرق والغرب فى الميزان

يا شرق أنت منار هدًى فى الورى ... مهد الإخاء فلا يشوب تعصّب
شمس المعارف فى حماك بزوغها ... هيهات فى شرق تغيب وتغرب
يا غرب حسب الشمس أن بريقها ... للشرق يجذبه الحنين فيقرب

والغرب يرقب من هزيل ذبولها طيف المنازع يستعيذ ويهرب
يا غرب قف وارعَ الفروق موازناً بين القرائن تلقَ حالك يصعب
يا شرق آزر فى مساندة العلا تؤتَ التفوق فى الجهاد وتوهب
دم ولتعانق بالبشائر ناعماً ثغر الصباح وبالحبور ترحّب

* * *

وها هى — كاملة — قصيدة يخاطب بها « جمعية الشعراء » طلبت منه بمناسبة الاجتماع الأول للجمعية فى ٢٠ من يونية سنة ١٩٥٨ من لجنة مؤلفة من صديقنا الدكتور على راضى الأستاذ بكلية العلوم ، وأستاذ من الجامعة الأزهرية ، ورئيس تحرير إحدى المجلات : —

مؤازرة الجمعية والشعراء

لواء الشعر فى قممٍ تسامى وفى أوجٍ ترفع واستقاما
يعضده السماح(١) بمكرمات تقود ركابهم أبداً أماما
موالاة النظيم لهم شعار ليدّخر الخلود له المقاما
فقل نصر القريض على العوادى(٢) وأهدى الطالع الأسمى الدواما
وتاج النظم والأدب المعلّى بذى حججٍ تلألأ واستهاما
وزُهْر الوافدين على صفاء أهاجوا الروح فى لهَجٍ فهاما
وعاودنى الحنين لدوح فن هو المحراب إن شئت اعتصاما
أهلّ الروح مغتبطاً نضيراً بروض العاشين هوى المقاما
تنسم فى الربوع شميم ضوع(٣) فرفرف فيه مؤتنساً وحاما

* * *

وفى إمداد ملحمة القوافى غدا السبّاق ممتدحاً وحامى

---

(١) السماح : الجود . (٢) العوادى : ضائقات الدهر .
(٣) الرائحة الطيبة .

وفى دعوى القريض سليل قربى   يؤازر فى تضـــامنه الـكراما
وما يدنى الشبيه ســوى شبيه   بعطف الروح يأتلف انســجاما
فإن أدنُ فلى فيـكم «عزيزٌ»[1]   نديم الشـــعر أنصره التزاما
أخى والغيب زوّدكم يقينــاً   يفيض الشهد فى كأس الندامى[2]
لئن شئتم مباحثة القوافى   فللتبيانْ اعتزل الملاما
ولى وعىٌ يوازن كل نقد   وللإنصاف يرتقب اهتماما
إذا النقـاد صـال لهم بيان   فللنقاد أن يحموا الذماما
فسيف النقد إذ يغتال سهواً   يحطم بالتحـــامل ما ترامى
وما عبر الليــالى على تجنى   لو أن الروح لم يرشق سهاما
وفى عبق النزاهة لى شهيد[3]   يعيذ الروح أن يلقى العقاما[4]
وما دعواى دون الحق تبنى   فللخلان أحتـكم احتـكاماً
وما اســتجديت إطراء يوالى   فقد تذكى المجاملة الخصاما
فإن تقضوا بصائبة لروحى   لذللتم عوائقه الجساما

تحية الشعراء

حماة الشعر فى قيم تجلت   لحشد الدر خشية أن يضاما
لئن مدت تصافحـكم أيادٍ   فروحى اليوم يقرؤكم سلاما
سلاماً مجمعاً ســند القوافى   ووطد بالمحـــالفة الوئاما
لأنتم كالشموع غدت ضياء   يزيد الدهر شعلتها اضطراما
حللتم بالجلال على يقين   بأن الشـــعر يلتزم النظاما
ونوهتم لندوتـكم بنجوى   فأيقظت الهواجع والنياما

(١) الأستاذ الجليل محمد عزيز أباظة رئيس جمعية الشعراء وصديقه الوفى .
(٢) الندامى جمع ندمان وهو نديم السمر .
(٣) شهيد : شاهد .   (٤) العقام : داء لا يبرأ منه .

وللإبقاء روجتم حنيننا لعهد غاب فى حقب وغاما
وصنتم ما تشف به الحنايا وصغتم فى حفاوته العظاما[1]
وفى شمل المكارم ما يوالى نظيماً يفتدى ما الحى قاما

مناصرة الشعر القديم

بنيتم للقريض صروح مجد وأطريتم نصابه والقواما
فإن ولى الزمان فلن يولى حليف الدهر من شعر القدامى
وإن باد العريق فقل عفاء غدا التجديد فى حلل اليتامى
فأوزان العريق على وقار تقود الشعر صفاً حيث قاما
كألوية تدثرت المعالى تضمن فى مهابتها الجساما[2]
ككل كريمة خطرت بشمل تسطر فى غلالتها احتشاما
وأقدار الحرائر كيف تخفى وفى الهفهاف ما يدعو احتراما ؟
فسل ذات اليسار ببرد بز[3] ومن تهوى الملاءة واللثاما
أمن وشم الخليع لها الدثارا كمن صقل الكمال لها الوساما ؟

* * *

فصفو الشعر إذ يسمو ائتلاقاً كوهج النور يكتسح الظلاما
هو الدر الثمين بالغوالى يشع كرامة عاماً فعاما
ففى أوج الصدارة توجوه ليأتم الثقات به ائتماما
فمن نظم المنمق بالتروى يعول أن يدانى له الغماما
ليعتصر الشهى بكل قطر ويأبى فى المنافسة اقتساما
وذو هدف على حكم يعلى نظيم العقد لا يخشى انفصاما

---

(١) العظام : الأمور العظيمة . (٢) أمر جسيم : أمر عظيم .
(٣) حرير .

التنويه عن الشعر المنفر

ومحتضن القريض على اغتراب ... فنى الأوهام يرتطم ارتطاما
كمحترف الغنـــاء بغير لحن ... يسجل فى غوايته الحطاما
ومن يبغ التشاعر للتلهى ... فهذى الطامة الكبرى إلاما
فللموهوب أنوار تناهت ... ويحتضن الفراش بها الزؤاما
وبالأحيال[1] واهاً من دعاة ... على الشعراء قد شاءوا انقساما

* * *

سلوهم كيف يجديهم جديد ... ولم يبلغ برقيته التماما ؟
سلوهم أين مفخرة القوافى ... ليعتمد الدليل لهـا القياما ؟
عرى الأوزان صيغت من رواء ... فنى أحرازها نبغى الضماما[2]
ومن يتلُ الجزاف بلا رنين ... على المنظوم قد ألقى السماما[3]
ومن أوحى الجديد بغير أسّ ... علامَ استن مبتدعاً علاما ؟
فواها للألى سئموا القوافى ... وللأوزان قد حفروا الرجاما[4]

الشعر الغذاء

فما نظم القريض سوى غذاء ... ومن يهدِ فلحما لا عظاما
وتحتسب الكياسة فيه ملحاً ... ودون الملح قد نأبى الطعاما
وللذواق ما يسع احتمالا ... وإلا يرتضى عنه الصياما
لعمرى ما بصلب الشعر إلا ... عيون نستقى منها المداما
تهادن شجو صادٍ من لبان ... إذا بل الأوار نفى الضراما[5]
فيرتشف الرحيق بلا ملام ... ويأنس فى عذوبته المراما

* * *

(١) جمع أحيل وهو الا كثرا حتيالا .
(٢) الضمام : ما ضممت شيئاً إلى شىء آخر .
(٣) السمام : السموم . (٤) الرجام : القبور .
(٥) الضرام : حرقة العطش .

ومن « كرم ابن هانىء » لى سلاف يؤيد ظامئا يأبى الفطاما
نهلتم من طلاه كؤوس راح وأشجاكم فما قلتم حراما
هو المنظوم للكلوم سلوى إذا أعلا على القدر آنهاما
هو الترياق طب من عضال وتلتئم الجراح به التئاما
هو الأدواء فى كبد المعنّى يداعب فى هوادته المناما
هو السحر الحلال يشيع روعاً على الأحياء يشجيهم هياما
على الأيام حالف كل مجد هو الأنوار بددت القتاما
هو الآفاق تزخر بالأمانى لمن سكنوا القصور أو الخياما
وعند الخطب يصلى الخصم نقماً يدك قوى الفيالق والدعاما(١)
وفى ركب الحضارة حيث دوّى بنى الأمجاد أو وضع الصماما(٢)
هو المنظوم فى الأيام سيف يوالى ، أو أذى يودى انتقاما

* * *

فويح الروح إن يصدأ حسامى فما عودت أن أرضى انهزاما
سأنظم للخلود كريم در يبث الهدى أو يُدوى الكِلاما(٣)
تعالى الله فى وَهب حبانى فبالكتمان لن ألقى الختاما
ولولا الشعر فى نغم تغنّى يشنف كل واعٍ كيف راما
لأجدبت الحياة بلا ربيع وآه لو ربيع العمر ناما

* * *

وها هى قصيدة حديثة لم يسبق نشرها ، صوّر بها روح أمير الشعراء أروع تصوير المشاعر الدفينة لأم رءوم قلقة على فلذات أكبادها الغائبين عنها ، وقد قصد أن يهديها للسيدة الوسيطة فى ساعة من ساعات قلقها ، وأعطاها عنوان « حنين أم الى الماضى » وفيها يقول على لسانها : —

(١) الدعام : العماد .
(٢) الصمام للقارورة : ما يجعل فى فمها سداداً . (٣) الكلام : الجروح .

الصبر من ثقل السنين محجّبُ   والقلب من شجو الحنين معذب
ما عاد بي جَلَدٌ يكتّم(١) لوعتي   والفكر في دنيا المشاعر مغربُ(٢)
لوّنت في وَهَنِ الضجور(٣) شكايتي   والعقل من هذا التلون يَعْجَب
أصبحت غير الأمس أختصم النوى(٤)   وأحِنُّ للقيا وكيف تقرب
ما بين أطياف اللواعج ساهماً   ألقى الصبابة في اللظى تتقلبُ
وأتوه في ماضي العهود تلهياً(٥)   علّ اجتلاء للسآمة يذهب
أغزو تلافيف الخيال كظامئ   يرتاد وِرْدَ الذكريات يُرطّبُ
وأهيم في سَنَنٍ تركز نهجه   من صولة الأقدار وهي تقلّب(٦)
ألقى سويعات الرضا في رقشها(٧)   كالدر في قِيَمٍ ترامُ وتُرغَبُ
كن الغوالي الضاحكات بمرتعٍ   جْمع الأحبة بالدلال يرحّب
صورٌ ألاحق بالأنين ظلالها   كانت . وكنا . والشباب محبّبُ
كانت ربيعاً عاطراً بوروده   والنفس نشوى بالنسائم تطرَبُ
أيام راعينا الصغار بلهوهم   يتصايحون ويمرحون . وكم حَبَوا
كانت طفولتهم براءة عابد   هيهات ترجع أو تعاد فتعرب
ضحكاتهم في الأذن كانت رنةً   من سائغ الألحان سحراً يُطربُ
أصداؤها تشجي البلابل في الربى   والطير مأخوذاً بها يتعجب
أواه كم سَطر الصغار مصنّفاً(٨)   من شائق اللمحات(٩) صفواً يعذبُ
يا روعة تهتاج روحي والمنى   عدت على الأيام نهجاً يقشُب(١٠)
هيهات يُطوى ماحييت جلالها   أبداً ملاذ القلب حين يُغلّب(١١)

***

(١) كتم الشيء : بالغ في كتمانه. (٢) مغرب : شارد . (٣) المتضجر . (٤) البعد .
(٥) أروح عن نفسي بالاقبال على الماضي . (٦) تغير وتبدل . (٧) في زينتها .
(٨) مجلداً (٩) اللفتات (١٠) قشب الثوب : كان جيداً ونظيفاً .
(١١) غلبه : جعله يستولى عليه قهراً .

رباه مالى والخـــواطر هفهفت بين الحنـــايا طيفها يتحبب !
يا دهر كم تبـــدو ملوماً كلما طاردتَ أطياف الصبا فتغيَّبُ
صور بأزيان[1] تبلّج ومْضُــها كالحلم تشرق فى الفؤاد وتلهب
كم ذا تهـادت سمحـــةً ورغيدةً لتفى الحيـــاة ملاحةً تَستصوبُ
واليوم تعــــدو بالعبير وطيبه فى زحمة النسيان كادت تغرُبُ
يا للربيع وللشـــباب إذا انتفى بصرامـــة الأيام وهى تذوب
يحلو التجول فى رباه إذا ذوى وعن الطراوةِ والجمـــالِ ينقِّبُ
وأعيد ذكرى ما يراوغ داعيـــاً بثبات جأشى ما يَلِينُ ويقرُبُ
فأهيم بالأطياف أرتقب الصدى من كل ما أشجى الرنين المغربُ[2]
وتذوب ألحان الشباب وشدوه فإذا صفوف الذكريات تَسَرَّبُ
فأقيم فى صَمْتِ الوقور ببسمةٍ هيهات فيها ما يلومُ ويعتبُ
بل فى رضـــاء العارفين بحكمةٍ أن التواجد بالخـــلائق يلعَبُ
أرثى لأهواء الزمان مع الورى أبداً طيوف الحـــالين تُعذّب
يوماً يبالغ فى مجامـــلة الصبا وغداً على كهل ينوح ويندِبُ !
هيهـــات هيهات القـــرار لحالةٍ والدهر من قِدَمٍ عنيد قلَّبُ !

---

(١) بأزيان : ذات زينة .

(٢) المغرب : البعيد عن الفهم . النائى .

المبحث الثانى

حكمة وفلسفة فى رباعيات رائعة

بعض نماذج من الرباعيات الغزيرة التى بعث بها أمير الشعراء

١ — تحت عنوانه « ذكريات » : —

يا حبيبَ الروح ما روحى بطيّاتِ الظلامْ
صفوُها الرقراق يغزو مستحثات السلام
وهى فى الأفلاك تسرى أو بأسراب الغَمام
ما غفاة الأرض مثلى إنّ روحى لا تنام

* * *

بعثها أضحى ضمينا تِلو إغفاء الهشيمْ
واستقَتْ شهداً عُجاباً حال إتيانِ قويم
غضّة ترتاد — نِدّ الحور — أعراس النعيم
وارتضى الوجدان عهداً صِيغَ من ضَوْء كريم

* * *

فى غوالى الخلد تتلو صفحة الرغد الوليد
تزجى باليمين سلوى ضمن إغراء الجديد
لا تروّع يا حبيبى رغم إغفائى الفريد(١)
شطر « أشواقى » عصىّ فهى عنكم لا تحيد

* * *

---

(١) الوحيد المتعزل .

كلما طير تَغنّى في أفانين الورود
أو بدت تختالُ شمسٌ في مجالاتِ الوجود
أو شدا الشادى بحق في صلاة أو سجود
إننى في الحىّ أغــدو ضامناً حفظ العهود

***

ما سجا طيفى بديْجُور يُلظى بالأوام(١)
إنما كالنيِّرين استعــــلت الروح المُقام
واحتوانى العهدُ حراً مستجيراً لا أضام
حيث أحيا في نعيم صبحة القوم الكرام

***

فليكُ الشوقُ السواء اليوم تغريد الهزَار(٢)
ما الأسى يجدى ولا مشبوب ندب فى ادكار(٣)
طالع الأرواح شدوٌ مستفيض لا يضار
إنما الأرواح تثوى في رياض من نضار

***

يا حبيبى كيف تبدو في حنين للأصيل ؟
والربيع اليوم يزهو في ثريات النخيل
راقص الأعياد بَضًا يرقب العمر الطويل
سابحاً في أغنيات رددت سجع الهديل(٤)

***

(١) حر العطش .
(٢) الهزار : طير حسن التغريد .
(٣) إدكار : تذكر.
(٤) الهديل : صوت الحمام .

والضحى استهواه حتى استطرب الغصن الرطيب
والربى بالأيك صُفّتْ فاستفاضت بالقشيب
كيف تغدو يا حبيبى فى حماها كالغريب ؟
ترتجينى فى بعادى بينما روحى قريب

* * *

إن لى شأواً رفيعاً بالتدانى فى الرحاب
غير أنى لست أسلو لليناليك العذاب
يوم طاب الأنس وهْناً بين أخدان الشراب
فى صفا الأيام عشنا لا نبــالى بالسراب

* * *

واستحت منـا عيون واختفى بُغض الحسود
واحتوانا اللحن عذباً بين أوتار وعود
عندليب السعد غَنى مقسماً يبقى العهود
فارتوينا من رحيق كان بالنشوى يجود

* * *

قد لَهوْنا فى حياة مثل أعمارِ الزهور
وانطواء الدهر يخفِى ما بَطيّاتَ الصدور
فاصطفينا الدهر خِلا وهو صِل (١) فى قشور
كان يخفى الموت عنا بين بسمات الثغور

* * *

---

(١) الصل : الحية التى لا تنفع منها الرقية .

وارتضينا العيش رغداً بين أحضان الزمان
خاطراً يغــزو حِمانا مثل أحــلام الحسان
إن خطرن فى رياضٍ رُصِّعت بالأقحوان
راقصات ضاحكات فى سياج مِنْ أمان.

* * *

يا لها من ذكريات لم ينــل منها الجمود
رغم شحِّ الدهر تبقى عبْرَ ومْضٍ أو رُعُود
لم تعدْ تُقصى جَنَاها رابيات أو ســدود
فهى دوْماً فى ركابى فى محفّات الخلود

* * *

يا حبيبى كان صحواً صافياً حلو المنالْ
ظلّلتنا فى حِماهُ حانياتٌ مِنْ دلال
فانتفت عنا همومٌ وانتفى قيلٌ وقال
والتمسنا المجد نسعى فى ربوع أو ظلال.

* * *

يا رَعَى اللهُ ربوعاً فى حياتى باسماتْ
كلما استعرضتُ فيها من ضُحى أو أمسيات
خطّت الروح المعلَّى من نظيم العاطرات
عبقها كالمسك يسمو للسهى والساريات

* * *

٢ — وفى رباعيات أخرى يقول فى «مناجاة النيل» : —

إيه سقياً للندى يا منهل الأم الرؤومْ
دافق الأغداق صِرفاً كم وددنا أن يدوم
عشتَ فينا خير ساقٍ من عصارات الكروم
ما سلوتُ العهد أشهدْتُ الثريا والنجوم

* * *

مرتع الأطياف لو يفضى بمكنون الكتاب
طالعتك الزُّهْرُ من نجوى لروحى تستطاب
يا حليف الدهر والحساد وَلّوا فى اغتراب
أفتدى بالروح أيام التدانى من غياب

* * *

لا على « شوق » فشوق الروح آى المعجزاتْ
شعلةُ الأشواق إذ تغزو الحنايا الخافقات
فرْدها والله « شوق » فى حياة أو ممات
لا يدانينى شَغُوفٌ يُرتَجَى فى الكائنات

* * *

وقفتى يا نيل أشدو الحقّ نوراً للغيور
منةٌ من فتّح مَنْ أهدى السموات البدور

جئتها من فى البرايا حجة العلم الوقور[١]
ليس بالألفاظ تهدى بل بمضمون السطور

***

فاتركوا الأقلام تهمى[٢] رُبَّ غيثٍ للجفاف
ربَّ أمدادٍ[٣] على الأيام تجتاز الشغاف[٤]
والجنَى يحلو لساعٍ سابحٍ نحو الضفافِ
يقطف الأرطاب من بعد التنائى والطواف

٣ — وفي ذكريات أخرى يقول فى «مناجاة مصر»: —

أنصتى مصر لنجوى من قصىٍّ فى الشتات
علَّ من نسج القوافى تستعيدى الخاليات
فالقريض اليوم[٥] دينٌ لا حقٌّ للأوليات[٦]
واغفرى سهواً وتقصيراً كعفو الأمهات

* * *

مصر كالزهراء فى أوج تهادت بالبهاء
سنةَّ الأفضال أوفت من أزاهير الضياء
يوم كان الوحى يترى مثل صفو الأتقياء
ملهماً قلبى ليزكى من تغاريد الرجاء

* * *

نجدها والنيل والصحراء والوادى الظليل

(١) العلم الروحى . (٢) تسيل، والخطاب للمناوئين فى هذا البيت .
(٣) امتداد البصر . (٤) جمع شغف وهو غلاف القلب أى حجابه .
(٥) الذى يملى من عالم الروح . (٦) يشير إلى الشوقيات .

عرّبت في الشرق لحـــن العز والعيش النبيل
في مبــانٍ شامخات ثوّبَتْ من لا يميل
ظَلّةٌ[١] الهيبان[٢] فيها حُلِّلَت[٣] كما يطيل[٤]

* * *

مصر هي اليوم تطرى النائي الباكي الديار
يا مقاماً صــار حجّ الروح إذ يحلو المزار
آه ما أقصى صدوداً إن جفا آلٌ وجار
وانتشار السِفْر يطوى دون عودٍ لانتشار

* * *

فاذكريني مثلمــا آليـــتُ أن أرعى الودادْ
انصفي بالله « شوقي » واقصري شق البعاد
وارتضيني في عِداد الحـــيّ لمّــاح العتاد
ما دعا يوماً لدرء الخطب داعٍ للجهاد

* * *

من دعاء النصر مقضي لروحي يستجاب
أنظم المنشـــور يغدو رُقيةً تمحو العذاب
فهي كأداء[٥] لباغٍ تُدغِم[٦] اللدَّ الشهاب[٧]
وهي للعـــادي شراعيٌّ[٨] مطيح[٩] للرقاب

* * *

(١) احتماء . (٢) الخائف . (٣) صارت حلالا . (٤) يمد إقامته .
(٥) عقبة . (٦) تدغم اللد أي تسود وجه العدو .
(٧) اللامع (٨) رمح طويل . (٩) مهلك .

كلما استهوى دعائى روح مصرىّ تليد
كل سَجَّادٍ(١) وفىّ يرتجى فيك السديد
فاعتصبنا(٢) واصطفينا نهجنا العالى الحميد
إذ تَبَنَّى الخلد منا درعك الواقى المديد

* * *

عصرك الزاهى استحث اليوم زهوَ الغابرين
فانشرى الأعلام وابقى قبلةً للناظرين
كلما استعلت ترينَ الخصم مطواعاً يلين
مثلما الأهرامُ قامت غصّةً للحاسدين

* * *

مصر ما أنت الفرادى من نَدَامى(٣) للذهاب
أنت أطوادُ الروامى والملا(٤) عودٌ وغاب
لستِ شهراً ! لست عاماً ! لست أرقام الحساب !
شاخت الأيام واستبقيت إزهار الشباب

* * *

إيه مصرُ أنت مهدٌ أنت لحدُ المستهيمْ
طوّف الرواد فى وادى حِماك المستديم
دولةٌ دالت وأخرى قد توارت فى الأديم
واعتليتِ المجد — والأجيالُ تعلو — من قديم

* * *

---

(١) كثير السجود. (٢) صرنا عصبة فى عالم الروح . (٣) خلان (٤) سائر البشر

فانعمى فى وارف الأمجـــاد بين العالمينْ
إنما استمطرتِ حقاً من سمـاء الخالدينْ
سوّغ المعلاة والإطـــراء بين العـــابدين
لحنه الأخّاذ شدوٌ ساحرٌ عـــذب الرنين

٤ — وفى رباعيات أخرى عنوانها « استعراض الماضى » يقول روح أمير الشعراء : —

مصر يا إصباح فجرٍ هزّنى بالذكريات
بَرْدُها آىٌ لروحى مذ أفاقت من سُبات
دثّر الوجدان إشراق الصبا واليانعات
فانثنى شجوى وإجـ داب الليالى الخافقات

* * *

صفحة الماضى وربى ليس لى عنها عزوف
ثغرها يفترُّ عن دو حٍ لتوّاقٍ شغوف
يجتلى الوضّاح سمحاً يَشتهى دانى القطوف
وهى إستارٌ شجىٌّ تحتوينى فى وروف

* * *

كيف أسلو ما يوازى ملء عمرى باعتدادْ ؟
من سجايا فاقت المقدور فى نهج السداد

عنبرىٌّ وردها تاللا ه وثّاب الرشاد
سلسلٌ للروح صفوٌ حيثما الذكرى عماد !

* * *

إننى فى الخلد أحيا ذاكراً عهدى الجميل
عهد سَعْى قد حلا لى بين أهرام ونيل
فى حِمَى الأسلاف أتلو صفحة العيش الجليل
يومها استوحيت أنى مثلهم أنوى الرحيل

* * *

بالحجى ناجيتُ نفسى أين سكان القصورْ ؟
أين أخناتُنْ وخوفَو أين رمسيس المصور ؟
خلفوا الوادى وباتوا بين أطلال الصخور ؟
هل كَنَشي قد توارَوْا بين أقران(١) القبور ؟

* * *

أين أحمسْ ؟ أين مينا ؟ والثقات المالكين ؟
أين أبطال كرفّش(٢) الدُرّ فى تاج الجبين ؟
أين حتشبسوتُ تزهو فى رُوَاقِ المعجبين ؟
أين نيفرْتِى تُناجِى مَنْ شجاها بالحنين ؟

* * *

أين من شادوا عُجاباً فى حضاراتِ العصورْ ؟
باقتداراتِ المُعلّى حطّموا قيدَ الثبور(٣)

---

(١) أصحاب . (٢) زخرفة بالدر (٣) الثبور : الحسرة والهلاك .

وارتضوا عيشاً أبياً فاق أعياد الحبور
يا لأبهاء توارتْ بين أطياف الدهور !

* * *

أين أوزيرس وإيزس واستجاباتُ الحياه ؟
أين توتنخو وخَفْرعْ بين إعزاز وجاه ؟
أين تيجان تهاوتْ بانحناءات الجباه ؟
أين كهانٌ بأسرا رٍ يوالون الإله ؟

* * *

هالنى صَمْتٌ تَفَشّى فى فلاة من دمارْ
قلت ويح الدوح والأسْـ ـدُ استكنّوا فى القرار
بينما الأهرام قامت شامخات فى وقار
ترقب الأجيال تفنى وهى دوماً فى ازدهار !

* * *

روّعتْنى فى المنايا نازلاتٌ بى تطوف
فهى كالفاعى[1] يصيب مِن قِسِىٍ[2] صوبفوف[3]
يفطم الإنبات والإزهـ ـار بالحدّ المخوف[4]
إنه الهزّاع[5] ! ويحٌ من تمادى فى القُصُوف[6]

* * *

(١) الثعبان المزبد . (٢) أقواس بها سهام .
(٣) القشرة التى تكون على الحبة . والمعنى أن تصويب النازلات كان دقيقا محكما .
(٤) الأجل المحتوم . (٥) الأسد الكثير الافتراس . (٦) فى الأكل والشراب .

بالهُدَى سرَّحتُ وعياً فاحصاً عُمْقَ الشتيت
ما مدى ذكراىَ إثر الموَجِبِ[1] الباغى اللقيت ؟
هل صدى لحوى وجودى طى كتمان يبيت ؟
واحتضان المجد وقفٌ مستغلٌ ما حييت ؟

* * *

حارَ فى الأقدار عقلى مُضرِماً فىَّ الوجيب
فاستعاذ القلب من أشجانىَ اللاتى تذيب
خَلَّنِي الأسلاف أدعو أرتجى طيفَ المُجِيب
علَّنى أجـــلو رموزاً إن أطاب[2] المستجيب

* * *

هام فــكرى بين أوج من دويلات الخيــال
ناهلا من نبعها وهـ ـ ـاً معيذاً من ملال
فارتأى الوجدان أطيافاً يحاديها الجلال
يومها استلغيت[3] مصدا قاً[4] أواتيه السؤال

* * *

قلت يا صاح المُفَدَّى كيف حال الراقدين ؟
هل بدنياهم بكاءٌ هل يدانيهم أنين ؟

---

(١) الموجب : الموت .
(٢) أجاب إجابة جيدة .
(٣) لا غنى بالحديث .
(٤) صادقا .

هل يُرى فيهم حيارى أو ذوو قلب حزين ؟
هل أضيروا بعد عز أم تُراهم آمنين ؟

* * *

هل من التغريب[١] يغشى النفسَ هَدٌّ أو ضمور ؟
هل سكون الرمس ِمتلا ف لرَجْفان[٢] يثور
مُضْرِماً سُعْر الجوى بين المُعانى والضَجُورْ ؟
أم ترى يَلْقَى لياناً فيه مطواعٌ صبور ؟

* * *

هل فراق الأرض يُضنى عندما يدعَى الأمين
أم بلا رهْب يلبِّى دعوة الحق المبين ؟
هاتِ بالتبيان فتحاً صاح[٣] من نَهْـل اليقين
يهتدى قلبى إذا ما آىَ صدق يستبين

* * *

يا مجيرى حطِّم الأسدال[٤] عن غُمْض القصيد
نبِّنى أ كبرتُ ما استكرَمْتُ[٥] من ذخر الرشيد
وارتض ِ نَحْزا لسؤلى زاخرا علماً يفيد
علّ بالإيضاح يعلو المُرتقى الخافى التليد[٦]

---

(١) النزوح عن الوطن أو الموت . (٢) خائف . (٣) يا صاحبى .
(٤) الستور . (٥) اختار الكرائم . (٦) الطويل الامد .

المبحث الثالث

مؤازرة كريمة من روح أمير الشعراء

ليس لكاتب هذه السطور أى ميل نحو نظم القريض ، ولكنه كان فى وقت ما يستظهر بعض أجزاء من قصائد لشوقى ولغيره من الشعراء المعروفين ، ويحب حتى الآن قراءة الشعر الجيد ويرتاح إليه . وكان يتابع بطبيعة الحال قصائد روحى أحمد شوقى وحفنى ناصف فى « مجلة عالم الروح » ، ويجد فيها نفس الطابع والمميزات المألوفة التى تعودها منهما ، ولم يلمس أى فارق فى المستوى يدعوه للظن فى أمرها . خصوصاً وهو يجد فى اطلاعه فى المراجع الروحية الأجنبية التى وضعها علماء ثقات تجارب كثيرة مماثلة ، عن قطع أدبية وأشعار رائعة واردة عن طريق الوساطة الروحية من أدباء معروفين وشعراء كبار محدثين وأقدمين ، ممن انتقلوا إلى «الجانب الآخر» من الحياة على ما ذكر بعضه فى الفصل السابق .

ولم يكن يعرف السيدة الوسيطة ، كما لم يجمعه بها أى مجلس مشترك من قبل ، بل كان أول لقاء معها فى أواخر شهر أبريل ١٩٦٥ بمصر الجديدة بمنزل أحد أنجالها وهو يعمل طبيباً مثل والده ، فالوسيطة أم لأربعة أنجال ناجحين منهم طبيبان ومهندسان . ومن أول لقاء لمس ما حباها الله به من كريم الشمائل ، وما أغدق عليها من بساطة النفوس الطيبة الوديعة التى تبعث من الثقة فى نفس المستمع أكثر مما يبعثه أحياناً الاستماع إلى بعض العلماء والمتعلمين ، أو الأدباء والمتأدبين !...

ومما هو جدير بالذكر أن السيدة الوسيطة لم تقرأ شعراً منذ مغادرتها مدرستها الابتدائية فى سنة ١٩١٤ ولم يكن لها أى اطلاع فى الشوقيات ، أو فى أى ديوان

آخر ، ولا أية نزعة معينة نحو الشعر أو النثر . ولكن بعد أن أخذت موهبتها الوساطية فى النمو طلبت من بعض أرواحها المرشدة أن تصلها بروح أمير الشعراء أحمد شوقى لعله يملبها شيئاً يقنع المتشككين . وبعد أن أملاها عدة قصائد طلب منها أن نقرأ فى الشوقيات ، حتى تحسن الإنصات إليه وتتحاشى بعض الأخطاء ، فاشترت الشوقيات وقرأت فيها قليلا جداً ثم أهملتها ولكن إملاء القصائد لم يتوقف . كما لم يتوقف إملاء الكثير من النثر المسجوع على نفس طريقة شوقى عندما كان يكتب نثراً كما فى « أسواق الذهب » و «شيطان بنتاؤور» . والسيدة الوسيطة لا تزال حتى الآن عرضة للوقوع فى بعض أغلاط إملائية أو استماعية يفطن القارىء بسهولة إلى حقيقة مصدرها ، وهو عدم الإلمام الكافى منها باللغة الفصحى الصعبة التى تستخدمها الروح أحياناً على النحو الذى يتضح من قراءة بعض هذه الأشعار التى أوردناها آنفاً .

ومن جهة ثانية فإن الوسيطة لا تستمع بأذنيها الماديتين إلى ما قد يلقى إليها عبر الأثير ، بل تسمع عن طريق حاسة التلباثى أو التخاطر ، أى ما يملى عليها عن طريق حاسة السمع الروحية ، وموضعها الجسد الأثيرى ، على ما بيناه فى مناسبة سابقة[١] .

ومن جهة ثالثة فإن من أسباب هذه الأغلاط المحتملة أن الروح أحياناً ترتجل الشعر ارتجالا ، وذلك ما تؤكده السيدة الوسيطة ، وما يؤكده أيضاً وسطاء الجلاء البصرى الذين قد يرون روح شوقى واقفاً بجوار الوسيطة يملى عليها ما يرتجل من شعر أو نثر فيما يبدو لهم. وكثيراً ما يلجأ إلى التغيير والتبديل فى بعض العبارات والتراكيب على نفس النحو الذى عرف عن شوقى منذ حياته الأرضية ، إلى حد

---

(١) راجع ما سبق فى ص ٦١٤ — ٦١٧ .

أنه كان أحياناً عند إعادة طبع أجزاء الشوقيات التي طبعت في حياته يغير في بعض التراكيب والعبارات ، ولو بعد نشرها ... فما بالك به قبل هذا النشر وما يتطلبه بطبيعة الحال من تصويب، ومن مراجعة دقيقة ؟ !

وكان المؤلف عند هذه الزيارة الأولى لأسرة السيدة الوسيطة يعمل في إعداد الطبعة الثانية من كتاب « الإنسان روح لا جسد » فعنّ له أن يطلب منها أن تعرض على روح أمير الشعراء أن يبعث بتصدير شعرى لها . وانتهت الزيارة على وعد منها بأن تعرض على الروح الكريمة هذه الرغبة إن شاءت استجابت إليها مشكورة ، وعلى وعد بزيارة ثانية . وفي اليوم التالى مباشرة تمت زيارة أخرى ، وقد اصطحب فيها صديقاً عزيزاً يشغل منصباً كبيراً بوزارة الخزانة ، وقد حباه الله بموهبتى الجلاءين البصرى والسمعى معاً ، ولا تربطه أية صلة بأسرة الدكتور سلامة ، ولم يكن يعلم شيئاً البتة عن موضوع قصيدة التصدير المأمولة هذه .

وكانت الزيارة ليلا ، وبعد التعارف والحديث لفترة من الوقت ، طلب الصديق الزائر أن يخفف نوعاً ضوء غرفة الاستقبال ، وعقدت جلسة روحية حضرت فيها عدة أرواح ، ثم قال بعد برهة إنه يشاهد روح أمير الشعراء وهو يدعو قرينة الدكتور لأن تمسك قلماً وورقة ، ويوجه إليك حديثاً قائلا « إذا كان قصد المرء صادقاً صدقت نبوءته وأحلامه ، ومن كان ذا فهم وعى ، فذلك علم وإعلامه » . وكان الصديق الوسيط يلقى الكلمات ببطء وبصعوبة . ولم يفهم في ذلك الوقت معنى هذه العبارة الغامضة المقتضبة ، ولكنى فهمتها كما فهمتها السيدة قرينة الدكتور سلامة على أنها ربما تتضمن وعداً لبقاً بإرسال التصدير المطلوب بدون ارتباط صريح ولا تحديد لموعد ما ، ثم انصرفنا وعاد

الدكتور وأسرته بعد بضعة أيام إلى قرية ميت أبى غالب حيث إقامتهم الدائمة في ضيعة لهم هناك .

وبعد بضعة أسابيع من هذا اللقاء تلقى المؤلف من الدكتور الفاضل عن طريق البريد القصيدة الأولى التى سننشرها فيما بعد . كما بعث روح شوقى بقصيدة ثانية من تلقاء نفسه للمؤازرة والتشجيع . وبعد حوالى شهرين آخرين، وكان الرأى قد استقر على إصدار الطبعة الجديدة فى جزئين بعد جزء واحد ، تفضل شوقى فبعث بقصيدة أخرى أملاها بسرعة شديدة بشروحها كاملة فى أربع جلسات أو خمس فقط رغم أن أبياتها بلغت المـــائة والستين بيتاً، وقد أعطاها عنوان « تحية وتأييد لكتاب الإنسان روح لا جسد » وهى القصيدة التى صدرت بها هذه الطبعة الثالثة .

وقد حدث فى القاهرة أن كنت بتاريخ ١٢ أغسطس ١٩٦٥ فى زيارة لهذا الصديق الموظف الكبير بوزارة الخزانة بمنزله بمصر الجديدة ، وفى أثناء الزيارة رأى عقد جلسة روحية حضرت فيها عدة أرواح من بينها روح أمير الشعراء ، وبعد أن تحدثنا برهة فى شأن قصائده التى أملاها بقرية ميت أبى غالب على السيدة قرينة الدكتور سلامة ، انتهى الحديث بوعد منه أنه سيرسل قصيدة جديدة من نفس البحر (وهو البحر الكامل) ، بل لقد اتفقنا على موضوعها وهو فلسفة الخلود ، وبعض الحكم والمبادىء الخلقية بوجه عام. وفى أول أكتوبر ١٩٦٥ تلقيت من « ميت أبى غالب» هذه القصيدة وعنوانها « إلى أحد من الخلود لكم يدى » .

وفى هذه القصائد الأربع يشجع أمير الشعراء كاتب هذه السطور كثيراً ويؤازره مؤازرة كريمة فى جهده المتواضع لخدمة المعرفة الروحية ، وقد غمره فى

بعض أبياتها بثناء جم لا يعتقد أنه يستحق منه شيئاً بالمرة ، وإن كان يعبر عن أمر فمن مشاعره الفياضة ، وعن العواطف المتدفقة النبيلة التى كانت تميز أمير الشعراء منذ حياته بين ظهرانينا .

كأنى بشوق العظيم « شاعر » تماماً بما فى قصائده العصماء التى تعصى على أية مجاراة أو محاولة تقليد من قيمة إقناعية لمن يريد أن يقتنع بطريقة موضوعية محايدة ، خصوصاً متى جاءت عن طريق وسيطة كريمة هى عقيلة طبيب فاضل لاصلة لها بالشعر ولا بالنثر ، ولا بمجاهل اللغة الفصحى وأسرارها . وذلك بجانب قيمتها الأدبية الكبرى فى تأييد الحركة الروحية وإعلاء شأنها ، إلى جانب إبداء شاعر التاريخ مشاعره النبيلة التى كان يجيش بها قلبه الكبير عند ما كان يعيش بين ظهرانينا ، علماً فى البـــــلاغة لا يبارى . وهيهات لصاحب هذا الينبوع الطاهر ، المتدفق شعراً عذباً وشعوراً نبيلاً أن يتوقف أو أن ينضب معنيه بعد أن انتقل إلى عالم هو فى حقيقته عالم للشعر الراقى وللشعور الكريم .

وهو نفس الشعور الكريم الذى يتميز به الدكتور الفاضل سلامة سعد الذى وهب حياته لخدمة الحركة الروحية فى هدوء تام، وفى إنكار مطلق للذات، بتعضيد من السيدة المحترمة قرينته التى أدت مضحية متطوعة أجل خدمة للبحث الروحى، وهما يجاهدان غير مبتغيين من أحد جزاء ولا شكوراً عما يتحملانه معاً من مشقة ومن عناء بالغين فى سبيل القيام برسالتهما النبيلة فى الحياة ، والتى لا يقدر قيمتها الحقيقية ســـــوى الراسخين فى المعرفة ، والباحثين الجادين عن الحقائق العلمية .

القصيدة الأولى

والقصيدة الأولى عنوانها « *تحية للمؤلف* » وفيها تقول الروح مشجعة ومؤازرة :

بربك كيف شـــيّدت المنَارا وأذكيت الصُباح[1] فصـار نارا ؟
ركبتَ الصعب تقتحمَ[2] الضياء[3] فبايعتَ[4] العـلاء والاقتدارا[5]
وكرّستَ الجهـود بدوح عِلْمٍ وعفّ النهـجُ فاحتضن الفخارا
ومن قيم المعـارف بتّ تجنى فَجمّعْتَ اللآلئَ والنُضارا[6]
تخيّرتَ النفـائس بالتروّى وللعرفان صـوّرتَ ازدهارا
تعانقُ كلّ مخطوطٍ ينادى ويدعو الخُلدَ عِلْماً واختبارا
عشقتَ العِلْمَ — عِلْمَ الروح — حتى رأيتَ النبع قد بلّ الأوارا[7]
وصار الزادُ بحثاً تجتليه على الأيام ليلاً أو نهارا
وعوّدتَ الميـولَ على مِران بأن تَبدى على البحث اصطبارا
وطَوّعتَ الزمانَ وكم قسوتَ ليبذُل فى المناصرةِ القُصارى[8]
وللنفس العزيزة زِدْتَ حَزْماً يصوغ العلمَ أمجاداً كبارا

* * *

كم استرخصتَ أعْواماً تَقضّتْ بالاستيعاب تُعتصَر اعتصـارا
وإذ ضَحّيتَ فى همم لعمرى لعلم الروح سجلْتَ انتصارا
ونَصّعْتَ الحقائق فى يقينٍ يُنافسُ فى نقَاوتِهِ العذارى
ووَثّقْتَ القرائن — إذ تجلّتْ ظواهرها — لمن شادوا القرارا[9]

---

(١) الصباح : شعلة القنديل . (٢) تقتحم : ترمى نفسك فيه بشدة وقوة .
(٣) كناية عن عالم الروح . (٤) بايعه : عاهده . (٥) الاقتدار : القوة .
(٦) النضار : الذهب . (٧) الأوار : العطش .
(٨) القصارى : الجهد والغاية . أى قسوت على نفسك ليبذل الزمان فى مناصرتك غاية جهده (٩) قرار دوام الحياة بعد موت الجسد .

وراعيتَ الأمانة فى نصوص أتَتْك العلمِ بحثاً واعتبارا
وأعلنتَ المراجع حيث فاضت مراميها نِقاشاً أو حوارا
وَوَفَيْتَ العهود لذى « حقوق » مِنَ الرُوّاد مَنْ نَشَرُوا البِذارا
فكنتَ بهم « رؤوفاً » إذ تواسى مواجعهم . وقد ذاقوا المرَارا
فللعِلم العريق مناوِءون وكم ضربوا على الحُجَجِ الحصارا !
وبثوا الشوك فى عَنت عساه يُضيرُ الباحثين . فما أضارا !
وسار الركبُ مختالا يُحاجى بإيضاح العُجاب . وكيف صارا !
وبالموفور مِن وعى الثِقات عَرَفنا الروح عِلماً . بل وَقارا
وفى الآفاق أشْرَى[1] فى تليد[2] مِنَ التوكيد مأموناً جهارا
وباتَ الخلدُ للخلان سلوى يناصرهم ويُمْطرهم ثمارا
وَيصْدُقُهُمْ مراسم[3] ما تأتّى بإعجاز يميناً أو يسارا

* * *

أخى . أطريك[4] إذ أطرَيْتَ عِلماً يجلىّ الحق وَضحاً وانتشارا
يحاديك[5] الصمودُ ببأس لَيْث تَصَدَّى للشكوك ومَن أثارا
وَمِثلُكَ مَنْ يَغارُ على المُعَلّى حَرِىٌّ فى الحياة بأن يُجارى .
فلُذْ بالعلم و « الحق » اعتِصاما وَذُدْ شكّ الناهِضِ[6] إن أغارا
وخَلِّدْ بالروائع ما نَهَلتَ من الينبوع . واسْتَرِوح[7] مرارا

---

(١) أشرى : انتشر . (٢) تليد : عريق . (٣) مراسم : صور .
(٤) أطرى فلاناً : أحسن الثناء عليه .
(٥) يحاديك : يقودك .
(٦) الناهض : المقاوم . (٧) استروح وجد الراحة .

وصِنْفٌ من مآثرِكَ الغوالي   لعلم الروح ! يسرٌ فالركبُ سارا
يناصركَ الخلودَ بكل مجْد   وبالعرفان يهديك اليسارا[١]

* * *

ومما يسترعى الانتباه فى شأن هذه القصيدة أن صديقاً من العروضيين قال لى ، إنه مع تسليمه بأنها تحوى جلية نفس خصائص شاعرية شوقى ، وعذوبته ، وطريقته ، وتتابع أفكاره ، قد لاحظ أنه استخدم فى صدر أربعة أبيات منها جوازاً شعرياً قد لا يقره البعض من العروضيين المتشددين ، وهو ذلك الجواز الذى يعبر عنه بالقبض بدلا من الإشباع ، أى حذف الخامس الساكن فى الكلمة مثل فعولنْ عندما تصبح فعولُ فى الصدر دون العجز[٢] . وهذا ما يستغرب به من شوقى بالذات لما عرف عنه من البعد عن أى تجديد والتمسك بالعروض الأصلية على حالها .

وعلى الرغم مما قد يقال من أن تطور الآراء والأساليب جائز ، بل محتوم فى عالم الروح — كما هو جائز محتوم هنا فى عالم المادة ، خصوصاً على المدى البعيد — فقد عرضت وجهة النظر هذه على صديق آخر من العروضيين فقال — بعد تنقيب فى الشوقيات — إن شوقى نفسه أقر هذا الجواز الشعرى محل النقاش فى النادر من قصائده التى كتبها حال حياته الأرضية ، ومنها قصائد له من نفس البحر الوافر الذى استخدمه فى هذه القصيدة ومن ذلك قوله فى قصيدة « سلوا قلبى » : —

ولا ينبيك عن خلق الليالى   كمن فقد الأحبة والصحابا

وفى هذا البيت يستخدم الجواز الشعرى فى العجز دون الصدر .

وكذلك فى قصيدة له من نفس البحر عنوانها « بعد المنفى » وضعها

(١) اليسار : الغنى واليسر .
(٢) وذلك فى صدر الأبيات الثانى ، والعاشر ، والثالث والعشرين ، والواحد والثلاثين ، من هذه القصيدة .

عقب رجوعه إلى أرض الوطن بعد الحرب العالمية الأولى ، إذ يقول في مطلعها : —

أنادى الرسم لو ملك الجوابا وأجزيه بدمعى لو أثابا(١)

وفى هذا البيت الأخير استعمل أمير الشعراء الجواز الشعرى محل النقاش في كل من الصدر والعجز .

وفى قصيدة أخرى له عنوانها « تحية للترك(٢) » استعمل — وهذا هو الأمر الهام — نفس الجواز فى الصدر دون العجز فى بعض الأبيات . ومن ذلك قوله : —

ويا غليوم أين لك الفرار إذا «جرجى» وعسكره أغاروا ؟

فضاقت عن سفينهم البحار وضاق البر عنهم واجفينا

ومن ذلك قوله أيضاً فى نفس القصيدة : —

ويوم «ملون»(٣) إذا صحنا وصاحوا ذكرنا الله من فرح وناحوا

ودارت بينهم بالراح راح ودارت راحة الإيمان فينا

فهذه ثلاثة أبيات من نفس البحر الوافر كان القبض فيها فى الصدر دون العجز . وهو يشبه الجواز الذى استخدمته روح شوق فى أربعة أبيات من قصيدة التصدير هذه وفى الصدر دون العجز أيضاً . ولعل من ينقب فى قصائد شوقى المنشورة فى الشوقيات يجد مواقف أخرى مماثلة .

وهذه الأمور الدقيقة للغاية إن دلت على أمر فعلى قوة البينة المستقاة من شعر روح شوقى . وكيف أن هذا الشعر لا يحتوى على خصائصه فحسب من ناحية رصانته،وجزالته، وتراكيبه اللغوية،وصوره الشعرية،وعاطفته المتدفقة التى كانت وحى شعره ، الذى يضرب على أوتار القلوب لما فيه من عبقرية نابضة.

(١) « الشوقيات » الجزء الأول ص ٥٤ .
(٢) عن المرجع السابق ص٣٥٢.
(٣) اسم موقعة بين الأتراك واليونانيين .

بالقوة وبالحياة ، بل أيضاً من ناحية بعض الجوازات الشعرية المختلف عليها ، والتى لا يعرف موقف شوقى منها بالضبط إلا ندرة من المتضلعين جداً فى علم العروض، فما بالك بوسيطة غريبة تماماً عن اللغة الفصحى ، وعن الشعر ببحوره وجوازاته، كما هى غريبة بداهة عما كان يقره شوقى من أمور وما كان لا يقره بحسب سليقته الشعرية الفذة .

القصيدة الثانية

أما القصيدة الثانية فهى بضعة أبيات زاخرة بالمعانى وبالصور بعث بها كما قلت بعد فترة وجيزة من قصيدته السابقة — وكنا قد أصبحنا فى أوائل يونية ١٩٦٥ — من تلقاء نفسه و بوحى من شعوره الفياض ، ورغبته الأكيدة فى تشجيع خدمة المعرفة الروحية ، وإقناع الناس بحقيقة الصلة بين أحياء الأرض وأحياء الأثير ، ولم يضع لها عنواناً ونرى أنه قد يناسبها عنوان « هاديات الرماد » وفيها يقول مشجعاً ومؤازراً ببلاغته المأثورة : —

نشرتَ اليقين بطيبِ الوثوقْ ... جلى لذى الفهْم نور « الحقوقْ »
وأترعتَ كأس العريق الروى (١) ... كذوْب الرحيق وشهد يفوق
فروى السراةَ (٢) من الباحثين ... ومَن للرواء تدانى يذوق
وسقتَ البيان بصكّ اليقينِ ... فضمّنت للروح عهد الصدوق
دعوتَ لعلم (٣) حباه الثقات ... بأسطع ضوء وأسمى شروق

* * *

تواثق (٤) جهدُكَ والراسخون (٥) ... لدحض الشكوك ومحق (٦) العقوق (٧)

---

(١) الروى المشبع . (٢) سراة القوم : سادتهم. (٣) أى علم الروح .
(٤) تعاهد. (٥) الراسخون فى علم الروح. (٦) محق الشىء : أبطله. (٧) العصيان .

تعالى بكم يبرق[١] الخالدين كما الحق ذاع لهَدْى المشــوق
فككتَ من الصفد[٢] كنه[٣] الحياة وأقدمت تغــذو به من يتوق
فللجسم حقـاً بروء[٤] القــدير ويحيا دواماً بروح الشَّفُوق[٥]
بربك جئت تــلاد[٦] النفيس من الغيب يفحم[٧] كل زهوق[٨]
فما الصفحات كنوز الضنين تلاق الضمور[٩] بشجو يعوقْ
وما هي مَحْلٌ[١٠] يَبُوسُ القرار ولا بالقُحُول[١١] تعانى الشقوقْ

***

ولــكن « كتابك» روضٌ نضيرٌ يَورْدِ نَدَىٌّ وزَهْرٍ عَبوق[١٢]
تلقيتَ منحة وعى الحكيم تخيَّر أقدس وِرْدٍ[١٣] يروقْ
ليقضى على غُلَّةِ[١٤] التائهين بوادى الشكوك ودربِ المُرُوق[١٥]
ويعلى المشاعلَ للمهتدين بشمس المعارف ، لا بالبروقْ
وتحوى بحوثك ذُخْرٌ مكين لأسمى المشارف حيث يسوقْ
منائر تسطع كالنيرينْ ضياها يناجى نفوساً تتوقْ
لتكشف أن وراء الضباب منابتِ وَعْىٍ حباها السُّمُوق[١٦]

***

فبالوعى تخلد روح الأمين إذا الدمّ غاض وَدَكَّ العروق.

---

(١) علم . (٢) القيد . (٣) كنه الحياة : جوهرها وأصلها .
(٤) برء بروءاً : خلق من العدم . (٥) الإله سبحانه . (٦) عريق .
(٧) يسكت بالحجة . (٨) باطل . (٩) الهزال . (١٠) الجدب .
(١١) يبوسة . (١٢) تفوح منه رائحة الطيب (١٣) الماء الذى يورد .
(١٤) العطش الشديد (١٥) الخروج عن الدين (١٦) سمق النبات سموقاً : علا وطال .

وبالوعى يعلن للواثقين سُموُّ الخلودِ وتبدو الفُرُوق(١)
لتفصح عن « هاديات الرجاء » لنشر السلام بدنيا الفَرُوق(٢)

عن القصيدة الثالثة

أما القصيدة الثالثة — بترتيب إملائها — فقد أمليت بميت أبي غالب فى أوائل شهر يولية من سنة ١٩٦٥ ، وهى تتكون من مائة وستين بيتاً . وقد أمليت بشروحها فى أربع جلسات متتابعة أو خمس ، وقد أعطاها الروح عنوان « تحية وتأييد لكتاب الإنسان روح لا جسد » وقد نشرت فى تصدير هذا الكتاب .

وهى تمثل ملحمة شعرية رائعة فى الخلود ، عامرة بأنفاس شوقى ، نابضة بالحياة ، و بعبقريته النادرة . وقد حلقت فيها الروح فى آفاق من البلاغة الرائعة ، ومن الخيال الواسع التى لا يقدر على ارتيادها سوى أمير الشعر والشعراء على ما يمكن لأى قارئ أن يلاحظه بنفسه . وقد أجهدت بطولها السيدة الوسيطة ، وهدت قواها تماماً ، لأنها تبذل الكثير من العناء عند استخدام موهبتها الوساطية الفريدة .

القصيدة الرابعة

أما القصيدة الرابعة — فقد بعث بها الروح فى أواخر سبتمبر سنة ١٩٦٥ . ومن الطريف أنه — كما سبق أن قلت — وعد بإرسالها عن طريق صديق عزيز لا تربطه صلة ما بأسرة الدكتور سلامة سعد ، وكان ذلك بالقاهرة فى شهر أغسطس سنة ١٩٦٥ إذ رأيت أن أطلبها عن غير طريق وسيطة شوقى المألوفة وهى السيدة

---

(١) الفروق : جوع الأرواح .
(٢) الفروق : الشديد الجزع .
أى أن هاديات الرجاء من عالم الروح تنشر السلام فى دنيا الجزعين عندما تطمئنهم على مصيرهم .

قرينة الدكتور سلامة مطبقاً — إلى حد ما — طريقة «التراسل المتبادل» التى ابتكرها بعض علماء « جمعية البحث الروحى » بلندن . وبعد مداولة مع الروح حول ما يحتمل أن تتضمنه القصيدة من معانٍ وافق على مبدأ الإرسال ، وعلى أن تدور حول فلسفة الخلود وبعض الحكم الروحية والخلقية ، وأن تكون من البحر الكامل . ثم برّ شوقى بوعده وبعث بها بقرية ميت أبى غالب عن طريق نفس الوسيطة كالمعتاد ، وأشار فيها إلى وعده السابق بالقاهرة بالإرسال ، وإلى وفائه الجميل بهذا العهد ، وقد أعطاها بنفسه عنوان: « إلى أمد من الخلود لذكرى » ، وفيها يقول : —

رعْى العهود

أمُدَلل الأكبادَ يومَ المولِد(١) وَمُعَلل الطفلَ الوليدَ بسؤدَدِ(٢)

ما بين إشراق الحياة وفضّها نَغمٌ يعبر عن قرار النشدِ

والمرء يكبر فى التواجد لائذاً بمقوّمات تستقيمُ لأمْجَدِ

يبدى المشاعر رقة ومروءة بين العباد كشعلة للمهتدى

يخشى التحيز كالغرير بحكمِهِ ويرى النزاهة دعوة للمقتدى

يبنى السوَاءَ(٣) على صراط يعتلى كالطود حصناً للطريد ومُنجدِ

أيّان يخطر كالحكيم سبيله عفّ التبصر فى سديد المقصد

***

إن يلتزم رعْىَ العهود فإنه قِمَمُ الوفاء ، يصونها أو يفتدى

والعيش عنده أن يبرّ نهجه فى زحمة الأيام دون تردد

---

(١) معناه يا من تدلل المخلوق فى يوم مولده

(٢) ويامن تعلل الطفل الوليد برفعة شأنه . (٣) السواء : العدل .

ويقيّم المضمون غير مموه ... فينصّع الفحوى ويُزرى بالردِى
ويطوف بالأرجاء يَصْلُح داعياً ... إن المكارم من كريم المحتد(١)
ويجير ملهوفاً ويصفعُ ظالماً ... ويرى العدالةَ أن يَصدّ المعتدى

***

شخصيّةٌ رسمت مناهج من سعى ... فى نيرات من سناء الموجد(٢)
أوصافها فرضت لزاماً فى الورى ... تبدى قرائن من يُقرُّ ويهتدى
ما كان من حق النفوس تلكؤٌ ... فى رغْيها شرعاً لكل مؤيدِ
فالله مذ جبَل الرعية قد نها ... عما يعوقُ سهلها بمُعقَّد
قد شاد فى الأخلاق كلّ مجمل ... وأحقّ بالتأييد كلّ مشيدِ
وأبان عُقبى العابثين بغيهم ... وأتى المناوىء نقمةً بتوعد
مذ قال للقوم اتقونِىَ واعبدوا ... بالنور والعرفان حتىَ الموعد
بعث الهداية فى العباد لينصفوا ... أرواحهم كى يستعيذوا من غدِ
فالعمر يومٌ مارقٌ كسحابة ... والويل إن عبست بشجوٍ مرعدِ

***

وذوو المدارك قد وعوا ما أيقنوا ... من ناصع التبيان للمسترشد
فاستيقظت شُعَبُ الرغائب ترتضى ... رَقْشَ الروائع فى هُدى وتوددِ(٣)
وبدت ميولٌ تستهيمُ وتعتلى ... بالمستحب وبالمشوق الأرغد
فاقت صفاءً واستنارةَ فطنة ... عصمَتْ هواها من عِثار مُعَرْبِدِ

---

(١) الأصل . (٢) الله جل جلاله . (٣) التودد لله .

وَسَمَتْ بوعى العارفين بحقهم   كيما تنال النفسُ كلَّ مجدّدَ

تلك التى بذرى الكمال(١) تحصنت   واستعذبت نهلا صفىَّ المورد

فنفت معاثر ما يكدّر صفوها   وأتت قويم الرشد كل مُسَدّدِ(٢)

كم لائذ بالخلد يرقب بابه ؟

أنعم بمن يرضى التفوق عادة   يعلى الجدارة فى تُقًى وتجلّد(٣)

سيقيم وزناً للحياة بنصبها(٤)   يحدو السكينة فى حمى المتعود

فيوجه التقدير صوب محقق   من مكرمات العيش للمتزوّدِ

ويلوح فى الآفاق ضوءُ كفاحه   متألقاً كالكوكب المتوقّد

ومتى ترفعت الميول عن السدى   لهجَ الفؤاد بلهفةِ المتعبّد

متجاهلا دنيا الزوالِ بما حوت   حسماً لنزعَة طيشه المتمرد

فيناصر الروح الأصيل إذا دنا   يرجو الدليل إلى حياةٍ مُخلَّد

* * *

يا رب كم ذا فى العباد من ارتضى   شق الطريق كباحث ومعبِّد(٥) !

يغريه ما تدلى الغيوب بحكمة   تبيانها أنشودةٌ لمفرد

فيهيم كالطير الطليق بأوجها(٦)   يشجيه قرب بعد تيهِ(٧) المبعَد(٨)

يصغى لفحوى ما يُردّدُ فى العلا   برَويها يرتاح كلُّ مُسَهّدِ

كيما يزول الكربُ عن مُهَجِ الوَرَى   فى روعةِ المأمولِ غير مُبَدّد

* * *

---

(١) ذرى الكمال أعلى درجاته .   (٢) مستقيم .
(٣) صبر .   (٤) برفعتها   (٥) أى ممهد لهذا الطريق الروحى .
(٦) أوج الغيوب أى العالم الخالق .   (٧) ضلال .   (٨) المبعد عن عالم الروح وعلمه .

يا رب عفوكَ إن وقفتُ مسائلا   بين الأحبة فى حنين المرشد
كم لائذ بالخلد يرقب بابه   فى بسمة التوّاق رغم المرقد(١) !
يشجيه رَكْب الواصلين لروضة   فى عالم الروح الأمين فيقتدى
فيخف فى فرَح الموثق للعلا   فى الصفحة البيضاء كلٌّ منضّدِ
هيهات ضيّعَ فى القِفار معالِماً   تهدِى خطاه إلى السوى الأمجد.
فيحط من بعد الجهاد رحاله   فى دوحة الأبرار غير مهدّد

يا صحب هبوا للتحصن بالعلا

يا رب كم تهفو النفوس لوقفة   بين الأماجد فى حمى المتفرد !
كم فى الضمائر من تيقّظ وَعْيها   لتقى المصائر من أتونٍ موقَدِ !
وترى البســالةَ فى الوفاء لعالم   صافى المناهل فى عذوبة مَوْرِد(٢).
يا رب كم تبدى البريّة نزعة   تحدو الميول إلى الرصين الجيّدِ !
كيما يلاقيها السعودُ إذا ارتجت   فى عدّة الأخيار كل ممجّد
عقب استقامةِ مسلك وبراءة   مما يضير مآرب المتمرّد.

* * *

يا صحب هبوا للتحصن بالعلا   من قبل ماتعنو النفوس لمُخمِدِ(٣).
فالعيش فى أوْج الخلودِ مراتبٌ   روّادها من كل بُرْد ترتدى(٤)
آه لحسرة من تيقن وارتأى   عقبى الشكوك وريْبةِ التردد.
لاقى الندامة فى تواجد روحه   فى زُمرةٍ قد لا تليق بأرشدِ

---

(١) المرقد الأخير أى القبر .   (٢) الإشارة إلى عالم الروح .
(٣) تخضع للذى يكتم الأنفاس أى للموت .   (٤) رواد الخلود من جميع الاجناس .

فدعا خيوط الذكريات لنسجها   كغلالة(١) تنساق للمتجرد(٢)
هيهات من صبغ التهاونُ سعيَه   عبْر الطريق ليلتقى بممهد(٣)
من بعد مضيعة التجمل بالحجى   مذعاق فى الإصلاح كلّ معضد
كم مِن رثاء يستحق لروحه   من عاش فى دنيا الغرور كمفرد(٤)!

* * *

رحماكَ ربى ! والعياذ من الذى   فى زيغ(٥) جوّاب(٦) سَرَى(٧) كمُصفدّ(٨)
أين المقارن فى الوجود بوعيه   بين المُسرَّح فى العلا ومقيَّدِ ؟
كيما يفىء إلى الظلال من ارعوى   عن غيه وسعى لنهج السُّجَّدِ(٩)

* * *

يا صاح لا تَهب الصعاب فما الدنا   إلا مجالٌ للوَبال(١٠) الأربَد(١١)
فمن استبد به الشرور سينطوى   بين الركام بغُصةٍ وَمُكمّدِ
فانهض وجاهد للنجاة معانقاً   سِرَّ الخلودِ وفجرَ نورِ السيد(١٢)
فدعوا المكانة فى القلوب تقيةً   للخالق الرحمن دون تردد
وتجمعوا حول الحقيقة واهتدوا   شأن الحكيم إذا استقام بمَعْبَد
وتأهبوا قبل الرحيل لساعة   بالعسْر أو باليسْر خَتْمُ المولد
وتحمّلوا بالصبر معركة الوفا   إن الحياة جهاد كل مجنَّدِ
وارعوا الأمانة أن تُقدِّر دعوتى   « إنى أمدُّ من الخلود لكم يدى»

---

(١) الغلالة : خرقة ساترة .   (٢) المتجرد من الثياب .
(٣) معنى البيت كله : هيهات يلتقى عبر الطريق بأرض مستوية من صبغ التهاون سعيه .
(٤) كأنه وحيد زمانه .   (٥) الزيغ : الميل عن الحق .
(٦) الجواب الذى يقطع البلاد .   (٧) سار ليلا .   (٨) كقيد .
(٩) الساجدون لله العابدون .   (١٠) الوبال : الشدة .
(١١) الأربد ما كان فيه عبرة .   (١٢) السيد : الله جل جلاله .

المبحث الرابع

بعض مشاهد من رواية أملاها أملتها روح أمير الشعراء

بالإضافة إلى القصائد العصماء الغزيرة التى قدمنا بعض نماذج منها فى المباحث الثلاثة السابقة أملى روح أمير الشعراء رواية كاملة أسماها «عروس فرعون» بدأ فى إملائها فى غضون سنة ١٩٦٥ وفرغ منها بعد بضعة شهور، وتدور حوادثها فى عصر الفراعنة شأن روايتيه المعروفتين « مصرع كليوباترا » ، و « قمبيز » .

وتتضمن «عروس فرعون» مناصرة رائعة للسلام على الحرب ، وللحب على الكراهية . كما تتضمن إشادة بليغة بالحقائق الروحية كوسيلة لدعم روح المحبة والوئام فى النفوس ، ففيها أكثر من مشهد تتحدث فيه روح راقية فى معبد فرعونى فتخاطب العابدين والعابدات ، فى حكمة مأثورة و بلاغة أخاذة ، عن الخلود، وعن المبادىء الخلقية السامية ، وعن الأحداث الجارية فى عصر الرواية.

وأشخاص هذه الرواية هم : —

آمو : فرعون مصر . نفريه : عروس فرعون ، وملكة مصر .
إفنى : قائد الجيش . لمو : رئيس الحكام . رامو : أمين القصر .
فيلسوف : أمين المكتبة . آرامس : الكاهن الأعظم . ينشو : مطرب الملك .
منظم الأمن . تيموس وصيفة أولى . مارا وصيفة ثانية. أونوس وصيفة ثالثة .

و بالنظر إلى طول الرواية نكتفى ببعض مشاهد صغيرة متفرقة منها . وفى أولها تظهر نفرين ملكة مصر وهى سيدة رائعة الجمال فى غرفة فسيحة من القصر مع وصيفاتها الثلاث : تيموس ، ومارا ، وأونوس تستقبل صباحاً جديداً ، وهى مضطربة لغياب زوجها طويلا فى الحرب ، متأملة فراغ حياتها ، وموجهة الحديث إلى وصيفاتها :

الملكة:

أهلّ الصباح رطيب الأثر عساه بخير يحيي البشر
فأنسى فواجع هذا النوى فمذ غاب «آمو» علانى الضجر
أرى الطير يشدو خلى الفؤاد وفى الروض يزهو ندى الزهر
وقلبى المعنّى على عهده بطول الفراق شتيت الفكر
فبين التلهف فكرى شرود وبين اللواعج عبر السحر
أزج المشاعر طى الغيوب وفى الساريات أناجى القدر
أسائل دهرى الضنين الكتوم أبين الغيوم يطول السهر؟
أفى الذكريات وأطلالها تمر الليالى ويطوى العمر ؟!
أم الدهر يصفو بأطيابه ويرجع فرعون بادى الظفر
أينفى الهواجس طيف البشير؟ أيا صبح هاتِ جلى الخبر

يغلبها الشوق فتبكى فتقول لها «بجومن» (إحدى الوصيفات):

فديت المليكة من ذا الشجن وممّا يلم، وكل المحن
فلو للمدامع من حيلة لتقضى على فاجعات الزمن
إذن لسكبت دموع الفدا لكيما أعيذك من ذا الوهن
فخلى النحيب وأحزانه وعيشى هزاراً[1] بهذا الفنن[2]
مضى الأمس وانزاح شجو الهموم عسى اليوم أن تستجيب المنن
ويقرب عود مليك البلاد بنصر يحقق مجد الوطن

الملكة:

يا لوعة النفس من غمة الأمس
قد أترعتْ فيضا من مره كأسى
لو زادها يومى همّاً . خبا بأسى
وانفض من صبرى ما ساق للرمس[3]

---

(١) الهزار : طائر حسن التغريد . (٢) الغصن المستقيم .
(٣) الرمس : القبر .

مارا : (إحدى الوصيفات) :

القلب خـلو من هوى يشـقى به والحب سقم . آه من وخـزاته
هيهات تشـكو النفس من أوصابه فالقلب قد صد الهوى عن ذاته !

أونوس (وصيفة) :

مارا . سلمت من الحنين وذوْبِهِ وأمنتِ ما يُشقِى المحب بِكَرْبِهِ
وأرى فؤادى المستجير من الهوى كادت سهام الحب أن تودى بِهِ
والقلب من سُقم يضير،ومن جوى بالصبر حَصَّنَ ما ارتجـاه بغيبه
فالوجد من فيض الصـبابة قاتلى وأراكِ ـ مارا ـ ما شقيتِ بعطبه

مارا

أفشيتِ شـجواً[1] من هوى أونوس قـولى : ما الخـبر ؟

أونوس :

ليس الهوى من صـنعنا الحب من صـنع القَدَر !

الملكة :

أونوس عاشـقة إذن عشـق الأزاهر للفنن
والروح أينع وازدهى والقلب هـوّم[2] وافتتن ؟

أونوس :

عفواً رميتُ بسهـمه فانساب فى كبدى الشَجَنْ

الملكة : أين الفتى ؟

أونوس : رهن الوغى .

الملكة : شهم ٌهو ؟

---

(١) الشجو : الهم والحزن .

(٢) هوم : مال إلى النعاس .

أونوس : ادعـــــو السما يا ليته يلقى العِـــــدا
في ثورة مستأسداً مستلهماً داعى الهـــوى

الملكة: لذا أراكِ ثائرة وبالفـــراق حائرة
ومن مرارة النوى وعَسْف حربٍ دائرة
شكوتِ من لظى الوغى ومن خطوبٍ سائرة
ظبــاؤنا تشقى بهــا وبالهموم السـافرة

أونوس :

خطوب أمسٍ هادرة على الأمــانى جائرة
وقبل أمسٍ كم رَمَتْ بأمســيات شاغرة
يا دهر مهلاً واتئد كفى ضراماً ساعرة !

الملكة :

دعى ذكر أمسٍ. دعيه أونوس فيا ويح أمسى. وحرب ضروسْ
غدت ذكريات بروع الأسى وذوب الفؤاد بشرٍ يسوس
أراجيف همٍّ تزيح الدجى لتدنى الصباح بوجه عبوسْ
شقيتُ بأمسٍ وطغيانه وأطياف شؤم تناغى الرؤوس
عَدَتْ بالسهاد ودمع اللظى وشجوٌ يطوف لملء الكؤوس
أخاف العواقب فى برجها وَشَكٌّ المخاوف يضنى النفوس
فحتامَ نبنى بروج المنى ؟ وحتامَ نرجو نماء الغُروس ؟
ويطوى الزمان على لوعة تضيم الوليد . وتُشقى العروس ؟

أونوس يغلبها البكاء فتخرج وتتبعها مارا مستأذنة لكى تواسيها ، وتبقى تيموس مع الملكة فتقول تيموس :

أغفى الصباح من اللام مليكــتى واقضى على شجو النوى وتصبرى

فالصبر يعتصر الهموم بسحره   ويذيب جلمود الزمان المفترى
ولترحمى حسن القوام من الأسى   ولتقبلى المقدور . ثم تدبرى
فالأمر موكول لآلهة السما   ولها الخيار تبيع فيه وتشترى

الملكة:

تيموس ، قلبى بالهواجس مفعم   كيف اصطبارى والضياع مجيرى؟
«آمو» هو السلوى وملء جوانحى   وفراغ روحى من سناه مدمرى
والحرب زعزعت اليقين بملتقى   وأرى الشقاء على الهناءة يجترى
بالله ما فحوى الحروب ؟ ونارها   تكوى الضلوع وتستذل وتفترى
يا ليت أبواق الحروب تبدلت   نايًا ، وقيثارًا ، وبوق مزمِّر !
فتخف ضائقة الصدور وتنجلى   أجواء صفوك يازمان بمحورى(١)

يسمع نقر على الباب فتقول تيموس

مولاتى . من جاء يطرق بابنا ؟

الملكة : قومى . سلى من يطرق ؟

تفتح تيموس الباب فإذا رسول يسلمها رسالة إلى الملكة تعلن انتهاء الحرب .

تيموس

بشير السلم مولاتى   يوافى بالتحيات
يزف النصر معطارًا   بإطـــراء وآيات
يقول الركب فى عودٍ   وشيك بعد ساعات

الملكة (متهللة) :

أتى بالبشر يشفينا   فيا بشراه من آت !
أفى صحو أرى الداعى   بجمع بعد أشتات ؟
أم الأضغاث من نسجى   ومن إعصار آهاتى ؟

---

(١) بمحيطى أو بالجو الذى أعيش فيه .

هى الأقدار إن ترضى   تفى اللقيا بميقات
وتضحى الدور ميدانا   لبسمات وقبلات
وأسد الحى عواد   لإبراء العليلات

تفيض دموع الملكه فتقول لها تيموس :

عفواً لوقفة خاشعة   تأسو لعين دامعة
عين بنور ضيائها   تلقى الجيوش الراجعة
وترى المباهج حلة   تكسو الديار الشاسعة
وترى المليك مظفرا   يعلى النصال اللامعة

فتتنبه الملكة وتعطى بعض النقود لتيموس لكى تعطيها للرسول ، قائلة لها:

هبى من أشاع رنين السلام   فيا للبشير ونعم الكلام
أتانا نهاراً وسيم الضحى   بنور يبدد شؤم الظلام

تعطيه تيموس النقود وتعود إلى الملكة قائلة :

عن الشكر يعجز . ذا ما يقول   ويرجو الدوام لخير الكرام

الملكة (متأثرة) :

ترى القلب يسلو خوالى المحن   وظلم الليالى . وهن جسام ؟
أيا دهر مالك لو ترتضى   برغد يدوم بغير انفصام ؟
فتصفو القلوب على ألفة   وتصحو العقول لدعم الوئام
وأسعد ضمن قلوب سعت   بحب « لآمو » حليف الدوام

تيموس :

ستشرق شمس الرضى بسمة   تشيع الهناء ونيل المرام

الملكة تتنبه لمرور الوقت فتقول :

تيموس !

تيموس : أمر مليكتى !

الملكة : قومى نتمم زينتى

أونوس أين ؟ فنادها كيما تجهز حلتى
بل أين مارا ؟ هاتها وادخلن تواً حجرتى
بدلن أثواب الضنا بالعز ينعش مهجتى
فاليوم عيد مرتجى زف السعود لقسمتى[1]

وتخرج تيموس لاستدعاء الوصيفتين فتهمس الملكة لنفسها :

« آمو » بطلعة ظافر روحى ومصدر عزتى
عما قليل ههنا يمحو مدامع مقلتى
ويضم قداً مائساً بين الحنين ونشوتى !

تعود الوصيفات الثلاث، فتجلس الملكة أمام مرآة كبيرة جداً وتقول لتيموس :

صففى - تيموس - شعرى فهو غلوائى وتيهى
واحذرى — تيموس — رفقاً هالك رأسى دلليه
ضوّعى عطراً وطيباً ضمن شعرى واسكبيه
وانظمى المنثور عُجْباً فى رُواء وارفعيه
فهو إشعاعٌ تجلى فى بهاء ، فاصقليه
جلّ للرأس تاجاً فاق دُرّاً أقتنيه
ما أظن الدهر يأتى ند شَعرى من شبيه

تنظر الملكة إلى شعرها فى المرآة بإعجاب قائلة :

ياسلمتَ العمر طولا أىّ روْع أجْتَليه !
كم رنت - تيمو[2] - عيونٌ حاسداتٌ تشتهيه
فاستعاذ القلب منها خشية من حاسديه

(١) القسمة : الميراث والنصيب .

(٢) اختزال وتدليل تيموس .

فتقول تيموس وهى تصفف الشعر الجميل :

يا زينة فوق زينة تبدى جمال السكينة
موهوبة فى دلال لذات عقل رزينة
فالشّعْر مَنْح الأعالى(١) زان السجايا الكمينة
فى عفة قد تسامت بالروع تحدو الأمينة

الملكة فى (خفر مما تسمع) :

الوقت يمضى فصونى كرّ الثوانى الثمينة

تيموس وقد فرغت من تصفيف الشعر :

انظرى . ذلت عِداك ملكتى ! روحى فِداك
هالة من ضوء شمس توجتْ رأس الملاك
إن عجبتُ لاملامًا قد أخذْتُ بسناك
ربة للحسن أنت كُنتِها ليس سواك !
ملكتى ! بوركت قدًا

الملكة : بوركتْ أيضًا يداك

ثم تلتفت الملكة إلى أونوس تدعوها لمساعدتها فى ارتداء حلة جميلة :

مضى الزهد المنفّر بالملال وعاد الدهر يُنعشُ بالدلال
فكم قاسيتُ مِنْ ظُلمٍ توالتْ وآذى العيش إجحاف الليالى
فما اشتقْتُ الروائع من ثياب ولا رُمْتُ المرصّع باللآلى
وهذا اليوم موفور التهانى وبى شوق لأثوابى الغوالى
فيا أونوس هاتى لى رداء تزين بالبهاء وبالجمال !

(١) هبة السماء العالية .

تقترب اونوس تحمل حلة ناصعة البياض ، مزركشة باللؤلؤ والأحجار الكريمة، قائلة:

أيرضى المليكة هذا الرداء ؟ عساه يليق بيوم الصفاء !
سيزهو بقدك فى رونق ويضفى عليه سناك البهاء !
فليس جمالك رهن الثياب لأنت الجمال يزين الرداء
فهاك الدمقس بدُرٍّ وماسْ ونثر اللآلئْ بادى الرواء
هو الزهْر جُمّع فى حُلّةٍ بلون الحياة كساها النقاء
فهل من قبولك هذا الدثار ؟ ولى فى كريم رضاك الثناء !

الملكة :

أونوس . جئت بمقصدى فاليومَ طالعُ سؤددى
فرعون قد دحر العدا والسعد جاء بموعد
واليوم يشهد قصرنا نور المليك الأمجد
ونعيد أزمان الهنا فى مجدنا المتجدد
ونناشد الدهر الرضى علّ الزمان بمهتدى !

* * *

وفى الفصل الثانى هذا المشهد من الحوار بين أنصار الحرب وأنصار السلام

رامو (أمين القصر):

كرهتُ الحروب نذير الشرورْ
تفض . الجموع فتخلو القصورْ
وتهمى العيون فيخبو الحبور
فلا أنس يجلو هموم الصدور
ولا عيش يحلو لأهل ودور
هو البعد يشقى المحب الطهورْ

وخلاً عليلا علاه الضمور
فتلقاه طيفاً شريداً يدور
بضنك يناجى بقلب صبور
يروم الأليف ! وأين العثور ؟
كرهت الحروب نذير الشرور ؟
أحب السلام أحب السرور
أحب الحيــاة ففيها الظهور
وفيهــا الرجاء شعاع ونورْ

يفهم فرعونه أن «رامو» يصف حال الملـكة أثناء غيابه فى الحرب فيقول:

كفانى لمّحة رامو ! أهــاج الوصف أشجانى
فذو السلطان ذو قلب وذو حسّ ووجدان !

يسكت فرعون فيقول ليو (رئيس الحـكام):

مولاى إن كان البشرْ ذا كى المشاعر كالشررْ
بالعطف يسطع وهجهــا ليخُطَّ فى النفس الأثر
فترى القلوب برقـــة تسمو عواطفهــا الغرر
إن كان ذا طبع البشر فبقلب فرعون زخر
ممــا يزيد عذوبةً وهو المفوّق فى القدر
أوليس قدوة شعبنا يأسو بعطف مقتدر ؟
أتراه « إخنى » يرتضى حرباً وينصح بالضرر ؟
والحرب متلاف المنى وهى الضراوة والسعُر !

ثم يلتفت إلى « إخنى » (قائد الجند) ويتابع حديثه :

إخنى ! أفيك قساوة ؟ أو قُدّ قلبك من حجر ؟
أنسيت كم عصف الوغى باليانعات . وكم أضر ؟

أنسيت أبطالاً ذووا ما بين سمعك والبصر ؟
وتناثرت أشلاؤهم بين المدامع والعبر
فلمَ . بربك نعتدى وندك راسية الأَسَرْ
ونشيع هولا منجماً يُبْلى الرطيب المدَّخر ؟
هذى الحروب بشرَّها وبعسف ما يَملى السَّرَرْ(١)
هل للمطامع شُرِّعت أم للدفاع لدى الخطر ؟ !

إخنى :

رأيى لرأيك فى الحروب مغايرُ . كلٌ لنهج فى الوجود يسايرُ
ما بين برهان وحُجة مقنع قامت ميولٌ تهتدى ومشاعر
فالمرء فى دنيا العقول معرِّفٌ قيماً يُعرِّفها الطموح الثائر
يرجو الحياة سجال حرب دفعت فيها الجموع مغانمٌ ومفاخرُ
هيهات يثنيه انعطاف مشاعر عن مطمع الهيجاء . فهو مناصرُ
والرائد السّباق من فى عُرفه شنٌّ المعارك . والجهاد مصائرُ
وأنا خلقت مكافحاً أبد المدى ولكل ما يعلى الحياة أغامرُ
وقيادتى وقف على عَقْلٍ وَعَىَ كم فى مهادنة العدو خسائرُ !
فلسوف أحيا للحروب مؤيداً دعوى الطموح برغبتى ، وأسايرُ

وهنا يتدخل منظم الأمن سائلاً إخنى :

إخنى . بربك ما الحياةْ لو غرَبتْ دون اتجاهْ ؟
فى الحرب كم تقضى النُهَى وتذوب أحيالُ(٢) العتاهْ

---

(١) السر . (٢) قوة .

وتخر صرعى نخبةٌ خانت وسائلها النجاة
كانت عماداً يُرتجى لبناء أمجادٍ وجاهْ
النفع كان لواؤها لو تستفيض[1] بها الحياه
لتخط آى نبوغها ولقد يشيد بها الولاه
فالحرب سيف مُصلتٌ يُفنى ويصرَعَ من رماه
بالله إخنى . قل لنا سبل المطامع ما مداه ؟

إخنى :

السِلم فى شرعى جمودْ يقضى على صقل الجنودْ
والسيف يصدأ نصله لو يختفى طىّ الغمود
والحرب مصدر سؤدد وهى المحرر من قيود
ويحبها البطل الذى يبغى التفوق والخلود
بالله كيف يلذ لى غير الكفاح بلا حدود ؟
دينى الحروب وإننى عبد لها أرعى العهود
أعلِى بعلمى فيها كى يستتب لها الوجود
عاهدت أن أحيا لها ولنهجها روحى الوقود
مالى سوى ميدانها أرعى المعاقل والبنود[2]
والأسْدُ رَهْنٌ بطولة تطوى المعارك كى تسود
وجنود جيشى كلهمْ أسْدٌ وشيمتها الصمود

الفيلسوف (أمين المكتبة) مخاطباً فرعون :

مليكى . سمعنا الحوار المقولْ وشرح الحروب سجالٌ يطولْ

---

(١) تفزر، تتسع لها الحياة . (٢) الأعلام .

وفى الحرب حار الفهيم الحكيم　　وفيها تضل عقول الفحول
فهذا يراها الدمار الحرام　　يحيل الرياض يباباً يصول(١)
وذاك يراها الصراط الحلال　　لإفراط ما تستبيح العقول(٢)
فَجُدْ باليقين مليك البلاد　　وحبِّذ لنرضى بأهدى الحلول
فهل هى عَسف وجور وزور ؟　　أم الحرب أهل لدق الطبول ؟

فرعونه :

نطق الملوك شريعةٌ　　تقضى بغير مجادلةْ !
مهما أصرّح حجةٌ　　تسمو بغير مفاضلة
فاترك سؤالك برهة　　لا تستزد بمحاولة
بل دع صحابك ينظموا　　حول الحروب مساجلة
وانصت معى لنقاشهم　　فى حكمة متبادلةْ
ولنستزدهُمُ منطقاً　　فالرأى يكشف قائله !

إخنى :

الحرُّ مطمعه الفلكْ　　ليزيد رقعة ما ملَكْ
والحربُ خيرُ محققٍ　　حلم التطاول للفلك !

ايمو :

فإذا هوى بطموحه　　ماذا المنال إذا هَلك ؟

إخنى :

العمر صدقنى قَدرْ　　لو لففوه فى الصرر
والحرب ثورة ماجد　　يفنى لتحقيق الوطر
لو لم أقدس ثورتى　　ما صفت أزيان الصور

---

(١) يصول : يثب .　　(٢) لكثرة ما تسمح به العقول .

وأنا أخوض غمارها سعياً إلى لقيا القَدَر
ولئن سلمت مظفراً فالعمر سايَر وانتصر

الفيلسوف :

العيش فى دنيا الورى ميدانُ كلٌ يجدد سعيه التبيانُ
من سائف[1] أو عالم أو رائد هم باقة تزهو بها الأوطان
إنى لأفخر بالبيان وبالحجى فالنفع منها والعلا والشان

ايمو (رئيس الحكام) :

أما أنا شيدت حكمى دوحة ليفىء فى أرجائها أقرانى
أرسيت فى ظل المليك رحابها فهى الملاذ لخائف أو عانى

منظم الأمن :

أما أنا كرست للأوطان ما يُبقِى على نبْض الحياة كِيانَهُ
جندت ما يبنى الأمان بروضها حتى يصون على المدى بنيانَهُ
فالأمن ينطق والسلام بما حوت أرجاؤها ، مما ارتقبت ضمانَهُ

إمنى فى (حنق) :

تتكلمون كأننا فِرَقٌ تحزَّبَ سعيُنا
كلٌ يحبّذ رأيه ويراه واحدة السنا
فالفيلسوف بعلمه يرقى العلا ويشدنا
ويشيد حاكمنا المُنَى فى الشاهقات وما بنى
والأمن صُنعُ منظم ينفى عن العيش الضنا
ونسوا ازميل جهادهم وكأنه خصم جنى[2]

---

(١) سائف : السائف هو حامل السيف أو الضارب به . كناية عن المقاتل الشجاع .
(٢) جنى جناية .

والله لولا الجند ما بات الأمان محصّناً
لولاىَ ما عم الرخا ء بما يُعَزز والهنا
وسَّعتُ آفاق الحيا ة بغزو ساحة غيرنا
وضمنت للأوطان ما جلب الرخاء لأرضنا
فتوسعت أطرافها مما استفاض بُغنمنا
فالحرب لولا مدها ما ارتاد مجدا حينا
هيهات نحيا دونها فى الحرب رفعة شأننا

الفيلسوف :

أقلل من الخيلاء — إخى — واتئد واربأ بنفسك من مطامع تتقد
ما العيش حرب نصطلى بجحيمها فاركن إلى قمع الضراوة وابتعد
فالعيش أنغام السلام تجردت فى روضها الآمال ترتسم الأمد
يرقى بميدان العقول إذا سمت ترتاد آفاق العلا تبنى السَدَدْ[(١)]
وتعد للأجيال فائق مجدها بالخَلْق والتجديد تبتدع العُدَدْ
والحرب تحسم مُنْيَةً وتحد من معنى التواجد[(٢)]، والرغائب، والرَغَدْ
شتان بين مُدَمِرٍ ومُعَمِرٍ هل للمقوض شأن من شاد العمد ؟
والفصل ما يقضى المليك بمنطق يهدى الرعية بالحصافة والرَشَد
وله الخيار ونحن رهن إشارة تُعْلِى البيان فيُستحبُ ويُعتمدْ

* * *

وفى مشهد لاحق يلتقى فرعون بعروسه ويتناجيان فى شوق ولهفة ويأخذها بين ذراعيه قائلاً :

تعالى منية الروح تعالى وبثينى اللواعج فى دلال

---

(١) الرأى السديد . (٢) الوجد والهيام .

فلى شجو تحجر منـــه دمعى ومثلك فى المواجع كان حالى
بربك هــل وعيْتِ نداء طيفى وكان نديمَ سُهدِكِ فى الليالى ؟
لقد عَزَّ الفــراق على كلينا وما هانت أمانينا الغــوالى
فعاهــدنا القلوب على التفانى لنصرٍ واعــتزازٍ بالمعالى
ووفينـا العهــود لمجد مصر وكانـ الصبر ترياق الرجال
غلبنا الدهــر فى إشراق يوم بعــوْد للديار وللجمـــال
فيا نفرين ذكرى البعد خلى وهاتى وَجْـــدَ قلبك لاتبالى
فيالهف القـــلوب إذا تلاقت تئن من الجــوى ومن اعتلالِ

وترتاح الملكة إلى صدره قائلة :

جفـاف الشتـاء مضى وانحسرْ ولحن الربيــع بروضى انتشرْ
صحبتُ الليالى على عـــدِّها كلانا صــبور يروم الزُّهــر
وعشنا على همهمات الصدور وبين الأمانى نناغى القــدر
وكم أمسيات تُقَضّى سُـــدىً أحالف سهدى ، ويغفو البشر
وكم ضقت ذرعاً بوادى الدجى وذقتُ بعلقم سُــهدى الأمَر
وما كان للعيش من رونق سوى نور صبح جليل ظَهَرْ
ليزهو الشعاع ويضفى الرجاء إذا ما أهــلَّ الضحى من سفَر
تعاقب حسى مع الأزهـــرين فــكانت ـ لعَمْرى ـ حياتى صور

فرعون :

نفرين ! مالك والهموم الشائــكةْ ؟ هيا انعمى بشذى الورود الضاحكةْ
ولتُلبس الأيام كلاًّ بُرْدَهَا إذ رغبة الإنسان فيها الحائــكةْ
فلترتضى الدنيا على عــــلاتها بربيعها وشـــتائها متماسكة

وبعد حوار طويل بين فرعون ونفرين تقول نفرين فى خاتمة هذا المشهد :

عجيبٌ وحق السماء عجيبْ ! أنا للمقاتل ، أم للحبيبْ ؟!
بطبع الملوك بطشتَ هناك كأن صراعك مر مذيبْ
وها أنت جنبي رقيق الشعور تلين وتحنو كغصنٍ رطيب
فأنت المصور ، وأنت الوديع وفى ذا وذاك لأنت المهيب !
أقدس فيك معانى الحياة بسيفٍ ورمحٍ ومسك وطيبْ
سلمت لمصر بمجـــد رفيع تصون حماها ، ونعم الرقيب
ودم لى حبيباً بقلب رؤوف دعوت السماء عساها تجيب

* * *

وفى مشهد لاحق يظهر عرش ذهبي يتصدر قاعة الاحتفالات الكبرى بقصر فرعون ، وقد اجتمع فيها حشد كبير من المدعوين ذوى المكانة، استعداداً لحضور حفل راقص .

أمين القصر :

بنور المليك وفيض سناهْ يعم السرور ويحلو صفاهْ
وفرعون مصر وروحى فداه تناهى لأذنى حثيث خطاه
فخلّوا الطريق لعرش المهيب فها قد أهلَّ بروْع بهاه
يدوم الكرام بأس الحبور بصفو الزمان وطول مداه

ثم يدخل فرعون ويجلس على عرشه فيجلس الباقون ، ويخاطب قائد الجيش إخنى قائلا :

يا للطرائف من عبَرْ كم ذا تعاقبت الصورْ !
بالأمس قد جمع الوغى ذخر المغاور للقدرْ

منْ كل حُرٍّ ضيغم خاضوا لظاها والسعر
واليوم فى كنف الهوى للأنس عادوا والسمر
فارقب صروف الدهر كم تلهو وتلعب بالبشر !

إغنى :

مولاى ! إن يمضِ الزمانْ فلكل عائدة أوانْ
أحيالهـــا جَـــوَّابةٌ تختال فى حُكمٍ وشانْ
بين التقلب سَمْحها إن شاق يوماً سَحرٌ ثانْ !
والمرء بين صروفها ودفوفها يرخى العنان
فهى الورود بشوكها فى بهجة ترضى العيان
فلتحذر الشوك الذى فى غفلة يدمى البنان

فرعون :

سنصحو ونحذر جدّ الحذرْ ولكن إلىّ بداعى السمر
إلىّ « بينشو »[1] ربيب النغم سيشدو فننعم حتى السَحر
وبالراقصات سنجلو الصدور ونخلى الهموم فيحلو السهر
تدار الكؤوس براحٍ حلال فنرشف منها رحيقاً عَطِرْ
على الدهر ليلتنا غرّةٌ أهلّت تخط جليل الأثرْ !
سنلهو ونطرب فى سحرها بدف ، وعود ، ولحن الوترْ

أمين القصر :

الراقصـــات الفاتناتْ للأمر جئن مذعناتْ
جئن الرضى مستأذنات

فرعون : أدخلن جمعاً آمنات

---

(١) المطرب .

أحد المدعوين للفيلسوف في همس:

تمايلت الحسانْ يبدين في الرقص المعانْ
كل الرشاقة في الخطَى والفن تتقنه الحسان
كالزهر في ربعـــانه في سحرهن ، وفي الحنان
بالتيه ينشرن الهـــوى في نشوة ترضي العيان
زَيَّنَ في صــور السنا حفلاً يُعَد على الزمان

فيرد عليه الفيلسوف هامساً :

بدت للعين متعة ما راءىَ وما رَقَصَ الحسان لناوفاء!
أجيرات تخذن الفن مثوى لأشجانٍ ، وأبدين الصفاء
فكم ياصاح منهن ابتسمن رياء ، ثم دارين الرياء
نصفّق إن تلوّين ابتهاجاً وكم من ذا التلوى ذُقن داء!
مسوقاتٍ لإسعادٍ وهن على بؤس يُدَثّرنَ الشقاء!
وكم عين تداعب وهي تخفي مدامع تستدر لها العزاء!
هي الدنيا بأقدارٍ تأتت تدلل من تشاء له الرخاء
فينعم وهو لاهٍ باختيالٍ فلاشكوى، ولاعرف البلاء
وفي مهج تسعّر مِنْ أذاها لواعجَ تستحث لها البكاء
فيا دهر استبدبك التلهى بأقوامٍ بغيّكَ كيف شاء
على بؤس المغلّبِ شدت صرحاً لذى حظٍ، ووطدت البناء
ولم تأبه إذا الشكوى تعالت من الإعياء تستجدى الرثاء

كأن الحظ يقتسم البرايا — فيُلقى السخطَ أو يُلقى الدعاء
وفى الخالين يصمد لا يبالى — إذا قَسَمَ البلاءَ أو الدواء
فيا رب السماء قَدَرْتَ حكماً — فهبنا من مراحمك الرضاء !

ويسكت الفيلسوف ، ولكن فى ركن آخر يهمس إمفى لجار من صحابه قائلا :

طبول تَدُقّ لهز البطونْ — وأخرى تدوّى لدك الحصونْ !
خليط لعمرى يرج الوجود — ببسمة لهو ودمع الشجون
ويحلو الحياة بهذا وذاك — فَطِرْسَ الحياة عجيب الشئون
هى الحرب وَلَّت وعاد الصفاء — يلاحق قلبى بسحر العيون
فدعنا إذا دَارَ كأس الهوى — نعبّ وننسى ضحايا المنون
فيومك هــذا حَرِىٌّ به — يداوى الجراح بهمسٍ حنون
ويجلى الأسى من حنايا الضلوع — ويشجى القلوب بعذب الفنون
فذق من سويعاتنا حظهــا — ودع للغد الشأن فيما يكون

* * *

وأثناء الحفل الراقص تعلم أونرس الوصيفة بمقتل حبيبها فى الحرب فتجلس مع زميلتيها مارا وتيموس وتندب حظها قائلة :

أتيتُ ألاحق شَدْوَ الهوى — ولكنّ لحن هواى انطوى
وكنت أعيش على المرتجى — عساه يذيب غيوم النوى
فلا القلب صادف نيل المنى — ولا الدهر جاد بحسم الجوى
ولا الخل جاء يراعى الوفا ! — فماذا أعاقه عما انتوى ؟ !
يكاد الصواب بعقلى يطيش — وبين الضلوع الفؤاد اكتوى
فيا قلب ويح نُعاةِ الحبيب — وويلى بيوم نذيرٍ رَوَى !

تنتحب بحرارة فتقول لها تيموس :

حنانك « أونو » بقلبٍ غضوبْ   أفيقى ، وخلى الصواب يثوب
متى كان يجدى الحنين المرير ؟   ومن ذا إليك بميْتٍ يؤوب ؟ !
يقرّح جفنيك دمع سخين   وهيهات مما دهاك الهروب
وإنى أواسى بملء الحنان   ومما جزعتِ الفؤاد يذوب

أونوس :

كيف التصبر والعزاء لمحنتى   من بعد ما كتب الشقاء لقسمتى ؟ !

مارا : من شاء صبراً وجدَه   حتى يلاقى رَشَدَه

أونوس :

لو أن فؤادى كباقى البشر   لخفّت لواعج هذا الخبر
ولو جاد حظى بيوم التلاقى   لدكّ الظلام ضياء السَحَرْ
ولكنّ بين الحنايا اضطراماً   وآهات قلبى تذيب الحجر

تيموس :

إذا القلب حُمّل ما لا يطيق   من الحزن كيف تُرَى يستفيق ؟ !
وماذا لو أن العذاب استبد   وآذاكِ حتماً بطول الطريق ؟ !

أونوس :

ألا إننى كالغريق استجارْ   وبحر الشجون عميق القرارْ
ولجة حزنى متاهُ مديد   أرى العيش فيه شديد المرارْ
فكيف التخلص من عمقه ؟   وكيف النجاة ؟ وكيف الفرار ؟

مارا :

أرى فى النصح مدعاة التداوى   فمالك تجنحين إلى التهاوى ؟

* * *

وبعد حوار آخر تناجي أونوس نفسها قائلة :

وداعاً بسمة الدنيا وداعا   فمذ غاب الحبيب الحظ ضاعا
وهيهات التحفظ من دمار   إذا الآلام هدّتني تباعاً
فيالي من صروف قد رمتني   بثائرة قد احتدمت صراعاً
فبات القلب لا يشجيه لحن   سوى شجو شرًى فيه وباعا
وأعيتني غياهب ما بغيب   فجئت الدهر أسأل كيف راعا[1] ؟ !
بربك يا زمان إلامَ تجرى   وتنثر للبلى عمرى سراعا
أرى غيرى بأهداف تُعلّى   وفى العلياء يرتسم القلاعا
وأيامى فراغ لست أدرى   لمَ أرضى لفحواها الضياعا
أأختصم الحياة على جراحى ؟   وأختم عقمها كيلاً وصاعا ؟
سيؤثرنى بعطف كل غاد   ويرمقنى بإشفاق يُرَاعى
ألا إنى الشهيدة يا زمانى   أسائل كيف كسّرتَ الشراعا ؟ !
وفى قِيَم الحياة رجوتُ خيراً   وهيّأت الروائع لى متاعاً
أيرضيكَ الغرور وقد تناهى   مآل العيش شوقاً والتياعا ؟

مارا تعجب من مفارقات الحياة قائلة :

شأو الدنا لعمرى   قد حار فيه أمرى
إن تحسم السماء   حكم الزمان يسرى
إن أغضبت أهاجت   بالعد دون حصر
إن القضاء حتمٌ   مهما نخاف يجرى !
نرضاه دون وعى   باليسر أو بعسر
تلونٌ عجيبٌ   بالرغب أو بقهر
هيهات دام حزن   أو بسمة لثغر !
تلك الدنا ! فسحقاً   لو تلتوى بعمرى! . .

---

(١) أفزع .

أونوس (تنصت ، وقد تطلعت إلى السماء كمن يسمع هاتفاً خفياً ، أو همساً من الغيب) :

رَعَى الأذنَ هَمْسٌ خفيُّ النداء   فلا هو وَهْمٌ ولا هُو غبـاء
هو الصوت يسرى بأعلا رنين   بهـاتف هَدْىٍ توافى السماء !
فيـا قلب أَبْشِرْ ودع ما يضـيم   سرى الهـم عنى وزال العنـاء
فما بين أطـلال عيش أهيم   وهيهات عمرى يضيع هباء !
سأحيا بمعبد رب الحيـاة   سأحيا لأقضى عهـود الوفاء
سأجثو أمام الإله العظـيم   أبثه عمق خفـايا الشقاء
ولله عطفٌ على الحـائرين   يكفـكف دمعى ويعطى العزاء !
سأعبد ربى مـع التائبين   وأرجو الخـلود إذا الحَيْن جاء
وبعد التـأسى ونفى الحنين   سألقى بمعبـد ربى الرضاء

مارا (فى ذعر مندهشة من تغير الحال مع أونوس من يأس مرير إلى رجاء مفاجىء) :

يا لهـا ! أونوس تهذى من شَجَنْ   إنما قالت هراء من حَزَنْ
من قليـل عولت تفنى الحياة   أو تعادى الطير إن لاغى الفَنَنْ
كذّبتنا حين قلنا الصـبر دين   وانبرت تدعو لخلف فى السنن
من قليل قرّحت جفن العيون   من بكاء ، أو رثاء ، أو وَهنْ
ثم عادت ترتضى العيش الرصين   دون همٍّ ، أو عويل ، أو محَنْ !
كيف يا رباه عادت للحيـاة   بعد أن عافت جناها والمِنَنْ ؟

فتقول تيموس لمارا :

أمارا ! كلانا دهانا العجب   فيا ليت ندرى خفىَّ السببْ
علام تعوّل دون الحبيب   وقد غاب طيف المنى واحتجب ؟ !

أرانى أَجنّ بمحض الشكوك ومن قولها « أمْن عمرى استتب »
فكيف تغيَّرَ مجرى الحياة فأضحت تنادى بنيل الأرب ؟ !
أطاش حجاها لفرط الأنـين ؟ ! وهدَّ الكيان عميم النصَب ؟
فباتت تغمغم بالخافيات وتصغى لهاتف عالى الرتب
فهل هو طيف الحبيب الفقيد يحوّم شوقاً إلى من أحب ؟ !

أرنوس تسمع حوار الوصيفتين فتقول :

عداء الدهر غيَّرَ ما ارتضينا وقد رُمْنا اللقاء فما اهتدينا
أرى الدنيا تهاجمنى بغبن وتقسو دون إشفاق علينا
ففيم العيش والاعياء أضنى بمهدور الرجاء وَما جنينا[1]
أرى المجهول خصماً مذ طواه وأودى بالمراد فما جنينا[2]
ألم نرجُ المؤنق فى التدانى لنرشف فى السعادة ما رعينا ؟
وهل يجلو الشقاء طويل عمرى وقد هدَمَ القدَّر ما بنينا ؟
ففيمَ أيا حبيب أهيم شـوقاً ! لتشفى لوعتى جفناً وعينا ؟
تعاهدنا نقـــدّس فى وفاء ذمامَ الحب مذ آوَى إلينا
وقد حصنتُ حبك فى فؤادى وصنت الحب لى . إنا وفينا !
وإن أرعَ العهـود لك التزاما كلانا للأمانة قد وعينا
وها دنياى قد رخصت وهانت كما هانت عليك ، فما التقينا !

* * *

وفى الفصل الثالث يمثل المنظر الأول الذهاب إلى المعبد. فتذهب أرنوس إلى الملكة وتعلمها عما انتوته قائلة :

بإذن المليكة إن أنصفَت أراعى الجميل إذا أنصتتْ

الملكة : خيراً أونوس تكلمى

(١) لم نجن على أحد . (٢) لم نحصد شيئاً.

دومى . بعطفك أحتمى

. أقلقت فكرى ! ما بك ؟ !

أونوس : قولى تعثر فى فمى

خطبى الجسيم مروِّعى خلّى الفؤاد بمأتمِ

مات الحبيب مليكتى نلتِ البقاء . ألا اسلمى

فالحال غُيّر منهجى ولذا أفيد لتعلمى

الملكة :

صبراً أونوس تجلدى فالصبر أنجع بلسم

أونوس :

نصح المليكة حكمة يَسْعَى بها من قد رُمِى

والصبر موطنه العلا يهدى بعطف المنعمِ

فإلى منابع جوده ألقى جلال المغنم

الملكة : تنوين البعد عن الدنيا ؟ !

أونوس : هو ذاك ، وألجأ للعليا

الملكة : هذى نزوات المكلوم ! !

أونوس : لا بل نفثات المهموم

لولا استرشاد وسداد لقضيتُ بجُرحى المشئوم

الملكة :

فبحق النور كنى هَذَراً فخيالك أس المفهوم

ضاقت أحيالك بالشكوى — من فقد الحب الموهوم
واهتاجت ضائقة البلوى — أشجان القلب المظلوم
فسمعتِ الهمس ولا هَمْسٌ — فالهمس بعقل الموسوم
فأفيقى أونُس(١) من يأسٍ — وكفى من هَذْيٍ منظوم!
واعتادى الصبر مع التقوى — وحذار نداء المحروم
وأعيذى النفس من الخوف — أو صدِّ العيشِ المقسوم
وارتادى الحكمة فى السلوى — وارضى بالحكم المرسوم
فوحق الحب ألاَ أصغى — لنداء الصبر المحتوم

أونوس :

عزيز وحقك نصح الأمين — إذا ما ارتضاه شجى حزين
لنُصح المليكة أغلى سراج — يضىء الحياة بهدْيٍ مكين
سأذكر دوماً جميل العزاء — يطوق جيدى طوال السنين
ولكن وحقك ما بى غباء — ولا القول جاء بأفك مشين
فهمس السماء دعاء صريح — ونحوى نداه بصحوِى يقين
دُعيتُ لترك متاعٍ يزول — لأعلِى الوجود مع الراشدين
فهيهات خطٌّ بدنيا الغرور — قويم السوىّ لدنيا ودين
وقلبى الشغوف يصون النقاء — لتخلد روحى مع المهتدين
وسوف أقدّس عهد الولاءِ — أؤدّى الفروض مع العابدين
وأقسم أنى وعيت السَداد — وهذا مليكة صدق الضنين

(١) تدليل واختزال « أونوس » .

وسوف أرتل آىَ الشكورِ　　إزاء التعطف إذ تنصتين
ولو شاء حبك ، لى مطمعٌ　　دعاءالرضاء ، فهل تقبلين ؟!

* * *

وفى مشهد لاحق تشاهد أونوس فى المعبد ، وتقول إحدى العابدات عنها لزميلة لها :

تبارك ربُ العلا والجلالْ　　تبارك بارىء هذا الجمالْ
يحدّث نور المحيا المضىء　　بمسحةماضى الهوى والدلالْ
لعل شقاء بسرّ دفين　　لمعبدنا قد هدى لاعتزالْ
تُحَصَّنُ مما يضيم الكيان　　وما اشتدمن جافيات الليالْ
فنعم اختيارٌ . فهذا المكان　　محال يُرَى الحزن فيه محال !
وهذا الجمال استحق بهاه　　عزيزٌ حكيمٌ هو المُتعالْ
فمنه إليه الرشيق الكريم　　ومنه إليه معانى الكمال
وهذى أتته ترد الجميل　　وقرباها من حميد الخصال
فيا ربُ هَبْها حياةَ النقاء　　لتضمن عندك حسن المآل !

وتتحدث عنها رئيسة الكاهنات للكاهن الأعظم قائلة :

تراها إذا ما استقام الدعاءْ　　تؤدى الصلاة بعمق الصفاءْ
وبعد العبادة صمتٌ بليغٌ　　خشوعُ الوقار يشيع الضياء
وضوح السلام على وجهها　　ومسحة حزن تزيد البهاء
وتبدو كمن تستشف الغيوب　　إذا الطرف سُرّح يغزو الفضاء

تطيل التأمل فى نشوة ... تسوق الشاعر نحو العلاء
فتصبح روحاً تناجى الإله ... بأنغام شكر يُقرُّ الوفاء
غدت كالملائك فى روضة ... بكل العفاف وكل النقاء
تهيم وتصغِى إلى همسةٍ ... توافى بوحىٍ يُعِزُّ الرجاء
فتقوى العزيمة فى قلبها ... لتسمو بنسكٍ ينير الخفاء
ففى السر والجهر قد أينعت ... بما تستحق عليه الثناء
وإن أسمعتك إذا كلَّمتْ ... فنطق بما يُعجِزُ الحكماء
ففى الصمتِ والنطق قد حققت ... كمالاً يفوق حِجى الفُهَماء
وإنى لأكبر من شأنها ... حَبَتْها السجايا بأنقى رداء

الكاهن الأعظم :

أرى الأيام قدمن العجابا ... وقدَّسْنَ المآربَ والصوابا
وهذى الأخت فى نسكٍ وزهد ... لنور الله قدَّمت الشبابا
أراها أبرمت عهداً نزيهاً ... كعابدة ، لتحتسب الثوابا
وكم من شقوة بين البرايا ... بَوَاطِنها ترى للهدْى بابا
وها «أونوس» هدتْها الليالى ... فجُرِّعَت السآمة والعذابا
فلم تسعد بدنيا الناس عيْشاً ... وكانت بينهم تلقى اغترابا
فآبت للقويم تهيم شوقاً ... إلى المعبود تنتسب انتسابا
وفاقت كل عابدة سواها ... وتاقت للكمال ترى اقترابا

وتستعد أونوس للعبادة فتتقدم نحو الآلهة ، ويقول الكاهن الأعظم للرئيسة :

تهادت بالصفاء وقد تسامى   جمال الروح يعتصم الزماما
رنت بالحب فى عمق تجلّى   على القسمات نوراً وابتساما
وما فى العالمين يفوق طهرا   كعشق للإله علا مقاما
وفى هذا أرى أونوس فاقت   وعاشت فى عبادتها هياما
بنجواها تقدست المعانى   وعشق الروح توجها السلاما
ومن قلب تدلّه بالمعالى   تداوم الاتصال والانسجاما
وتصغى للخلود وللخفايا   تناجيها وتسمعها كلاما
يحاديها جلال فى خشوع   يحتم أن نكنّ لها احتراما
فياسبحان من أوحى إليها   بأن ترضى بمعبده المقاما
فبين العابدات غدت مثالا   بكل فضيلة تقضى التزاما

. . . .

ثم تسمع أونوس — وقد فاض بها الحب الإلهى ليلا — قائلة :

كرهت المنام وغمض العيونْ   وطوّعت ليلى لسهد الجفونْ
أرى الليل مسرى الخيال الرفيع   يناجيك ربى قبيل المنونْ
بروحى أهيم لأوج السماء   ففيها سيبقى نزيل القرونْ
ويرتاد فكرى جلال علاك   بوعى شغوفٍ لمرأى الحنون
فبالقرب منك محط الرجاء   فأنت الإله العظيم الشئون
وأخشى على القلب من فرقة   إذا العين أغفت وساد السكون
فإن طال نومى سأبكى المآلْ   وحرمان روحى بدمعٍ هتونْ
فياليل هبك فرضت المنام   ستضنى الشغاف بفرط الشجون
ففى النوم يُطوَى خيال المشوق   وفى النوم كل عناء يهون
فيالوعتى لو رضيت المنام   ويا حسرتى لو تطول السنون

وفى ليلة أخرى تناجى أونوس الإله فى لهفة الروح :

إلهى أقدّس فيك الخلودْ ... أقدس أقوى معانى الوجودْ
سأقضى حياتى بقلب أناب ... للقياك أنشد يوماً أعودْ
فما عدت أرضى سواكَ حبيباً ... وروحى وقلبى علىّ شهودْ
هو الحب غيَّر مجرى الحياة ... و بدَّل شوكَ الضنا بالورود
أناجيك بالروح فى لهفةٍ ... فما عاد بين كلينا سدود
وهبت العبادة لى منّةً ... وإنى ببيتك ألقى السعود
إذا طاف قلبى بباب حماك ... يسائل هدياً توافى الردود
وأصبحتُ يشغل قلبى رضاك ... فأنت المهيب وأنت الودود !
وبالحمد جئتُ أوفى الجميل ... وادعو المراحم دوما تجود
فتنطق نفسى بمكنونها ... بفيض الوفاء ورَعْى العهود

***

وفى مشهد لاحق ، ترى زميلات أونوس عليها الفزع وهى تخاطب نفسها فى المعبد بصوت مسموع فيدعون رئيسة الوصيفات لتستمع إليها وهى تقول :

إلهى القلب أصبح فى هواجسْ ... تكاد اليوم تقتله الوساوس
فهوّن من ظنونى يا مجيرى ... وكن لى إذ دعوتك خير حارس
ففى أذنى رنين من بعيد ... كأصداء تردد صوت هامس

وتهب واقفة ثم تقول (وهى مذعورة) :

لقد وضح الدعاء ترى من ذا ينادى ؟ !
لعل الصوت وهمٌ تسرب فى رشادى !

أفى صحوى وَوَغْيِى أَهلٌ نداء شاد ؟ !
يردد ذكريات عفا عنها فؤادى ؟ !

صوت من الغيب :

أونوس يا حبيبتى هل ترهبين لقيّى ؟
بالروح جئت لاهفاً هلا تُصان لهفتى ؟
عاودتكِ مناجياً يالى ! ويالرجعتى !
لى دعوة عجيبة هيا انصتى لدعوتى
لاتجزعى بريبةٍ ليست تريب وقفتى !
وافيتكِ مشجعاً كى تستبينى فرحتى
أرعى القداسة التى أعلت مقام مُنيتى
منذ ارتضيت عزلة لازمتنى فى جنتى
فالروح إذ ترفعت أحيت سلام مهجتى
حقاً لأنت من لها فَضْلٌ أحَقّ عودتى
فلتسمعى رسالة تُعلى شئون نصرتى

أونوس (منزعجة) :

مهلًا صدى أنغام حبى الغابرةْ خفف رنين الذكريات العاطرةْ !
رنات صوتك قد ألفت سماعها حقاً ، وكانت فى العذوبة نادرة
قد كان طابعها الحنان وهاهى قد عاودت فى الأذن تعلن ظاهرة
إن الظنون تكاد تُذهِبُ حجتى وأذوب رعباً بالمخاوف حائرة
إن كنتَ ترياقاً لسقم مشاعرى وعلى عزاء القلب روحك قادرة
بعد افتراق كيف عدتَ لحيِّنا ؟ قل: كيف عودك من غيوب الآخرة ؟!
هل أنت فى دنيا الخلود مسرَّح ؟ أم أنت أوهام الخيال الساحرة ؟

صوت الروح:

أهدى الهوى للروح من وجدانهِ ... عبقاً يطيب الخلد من تبيانهِ
نجوى تهيم على المدى دفّاقة ... تمسى وتصبح فى دنا أخدانه
فى لحها ومض الشهاب مُبَلّجٌ ... كالنور يبعث من ذُرَى أعنانه
يغزو قباب المشرقين تعطفاً ... يأسو لِصَبٍّ فى لظى أحزانه
أفشى الحنين مسيل دمع صانه ... فارفَضّ من تَوَقٍ ، ومن أشجانه
والروح ينطق بالعجاب مواسياً ... قلب الحبيبة . راثياً بكيانه
ياقلب قد حكم الصدا فى وجده ... فغدا أسير اليأس فى كتمانه
أشجاك سهمٌ بالضنا حَزّ الحشا ... والسهد يرثى النوم فى أجفانه
ياهارباً من شائق العيش الذى ... يستمتع الأحياء فى ألوانه
وانسقتَ تشكو طالعاً ساءت به ... عقبى الأمانى فى دُجَى أزمانه
قد كان ظنكَ أننى عبر المدى ... أدرجت فى هون . وفى أركانه
فانظر لقاءً ما حلتَ بطيبهِ ... فهو الوفاء يتيه فى إمكانه
كم ذا جهدت لكى يرصع روضة ... بالحب أزهر من عُلا أفنانه

أونوس : (منزعجة وعاتبة) :

يا لائمى إما الذكريات وما الهوى ... إلا مذاب الصبر يسكب بالنوى
كم بالأحبة يستبد سعيره ... يذوى الحنايا من لظاه فتكتوى
فترى اللواعج والصبابة لوعة ... ملأت كئوس المستهيم وذى الجوى
وتسوِّم الآهاتُ حيلة مرتَضٍ ... بالصبر إن مَلَّ الزمان بما حوى
فاترك معاتبة الحنان وشجوه ... فالقلب من فرط الجوَى فقد القوى
لن أرتض عِوداً لومضة ما انقضى ... فلقد خبا وَمْضُ الرجاء وقد هَوَى

صوت الروح :

يا حبـــة القلب   يا أقـدس الحُبِّ
يا قبــلة الروح   فى البعد والقــرب
وافيتَ للنجــوى   لم آتِ للرعــب
بالروح جــوابٌ   أختال فى الدرب
أصبحت كالطــير   حُرًّا مع الصحب
هيهات لى ســلوى   مــذ ضمّنى ربى
إلا منــــاجاةٌ   بالقلـــب واللب
قدسـية المــرمى   خلواً من الذنب
من أجلهـا أسعى   بالسهل والصعب
حتى أوافيــك   من دون ما عتبِ
كى أشرح الشكوى   من لهفة الصبِّ
فالحـــب لا يفنى   أوّاه من حبى !

أونوس (عاتبة) :

صه ياحبيبى ! ولا تنبش مآسينا   فالحب وَلَّى، كذا الدنيا وماضِينا
أقصِرْ ملاماً فإن العتب يتلفنى   وا كتم هواك فشجو الروح يضنينا
ما عاد لى فى الهوى قصد أؤمِّلُهُ   فالقبر قــد غالنا أغلى أمانينا
والقلب أغفل ذكرى غابَ باعثها   منذ اعتصامى بتلك الدار تأوينا
صار اعتكافى بدارى منهلاً عذباً   فادعُ التقى فى ضياء البِرِّ يحمينا
وارقب مجيئى يومَ الحينُ يطلبنى   وارج الإله لدار السعد يهدينا
فى دوحة الحب نجوانا بها زهر   فى جنة الخلد كم يسمو تلاقينا

صوت الروح :

حَسْبُ المحبوب ويسعده أنى أدعوه وأنشده !
فى لقيا الروح لعـابدةٍ ما الحب العابث مقصده
لـكن للروح رسـالته وجميـل النسك يؤيده
يدعو الإنسان إلى هدف بالنَّهجِ العفّ يخلده
فالروح الهادف للجُلَّى(١) أمجـاد الخلد تعضّدهُ
ياليت المرء إذا يصغى للروح العائد يرشـده
ألقى فى الرجعـة فائدة تحيى الإسان وتسعده
والآن تحـايا ناسكة ترضى الرحمن وتعبـده

أونوس (متوسلة) :

يا روح حبى الأمثـلِ رحماك لاتتعجـلى
نجواك من دار الخلو د ألفتها ، وأحب لى
أنت النبيلة مقصـداً أرجوك ألا ترحـلى
إنى سأرقب رائفـاً يهدى الرسالة من علِ
فهى الحيـاة لمن يعى وهى اليقين لمجتلى
فاسمح غـداً برسالة يسمو بهـا مستقبلى

الروح :

يامنيتى حتما أوافيـكم غداً فتقبلينى حارساً أو مرشداً
نور الوجود يظل لقيانا التى فيها السعادة والسلام تجددا
وحديثنا قد يُستَحَبُّ ، ومثله فى العالمين لـكم أقاما وأقعدا

---

(١) للأمر الجلل .

في حكمه تجلو الغموض عن الملا   وطدت عزمي أن تكون المقصدا
فإلى غد إن شاء من رفع السما   تصغي لروح ما أتتك توددا
لكن بشجو من مآتم أرضكم   أشفقتُ ، ثم أتيت فيكم منجدا
فمن استقام على هدىً بدراية   عما وراء الحجْبِ فاه مسدَّدَا
هذي لعمري يا مناي رسالتي   ما شئتُ فيها بالبيان تردداً
تلقيْن فيها بالمناعة بلسما   إن تستجيبي للمعرَّف بالهدى
ولك السلام ، سلام روح يانع   في روضة الأبرار منذ استشهدا

تذهب الروح ، وتخرج العابدات وهن في دهشة ، ثم تذهب الرئيسة إلى الكاهن الأعظم وتقول له :

أبي سأعْلِمُكَ العجب   ولموقفي هذا سببْ

الكاهن الأعظم :

أنت المصون بحرمةٍ   هاتي اليقين بلا عتبْ

الرئيسة : رأيتُ اليوم أعجوبهْ   وقولي دون أكذوبهْ
أنوس خاطبت روحاً   من العلياء موهوبهْ !

الكاهن : لعل كثرة النسك   دعت أونوس للإفكِ !
فعَنَّ ماذا تحدثنا   أما في الأمر من شك ؟

الرئيسة : الروحُ جاء محبَّباً   «ولأون»[1] كان مخاطباً
حيا بلهفة واله   يدلي الكلام المعجباً
ظنته « أونسُ » لاهياً   يهفو مشوقاً معجباً

(١ ، ٢) اختزال وتدليل لاسم « أونوس » .

صدته فوراً فى وَجَلْ تخشى اللقاء المرعبا
لـكن ، وأقدس حكمةٍ فى القول كان مؤدبا

الكاهن :

باسم الذى أعلى السماء بنورها هل أعلَمْتها الروحُ قصدَ حضورها؟
هل أفصحت فيها الرسالة ياترى ؟ وهل اختفت للتو بعد ظهورها ؟

الرئيسة :

كانت رسالته هداية من يعى مازال منها مايرن بمسمعى
واستأثرت بمشاعرى بحنانهـا فوعيتها حتى استفاضت أدمعى
وانسابَتْ الروحُ الجليلةُ ترتجى من يستعد لحينه المتوقـع
فإذا سمحت أبى غداً فى المعبد شرّف تجد «أونو» وأترابى معى
نُصغِى إلى قولٍ ؛ ونوقن كنهه ولقد تساءل ، أو يجيب الألمعى

ثم يطوف الكاهن الأعظم بصفوف العابدات ليبخِّر للآلهة ، وعند مروره يقول :

يا عابدات الروح طاب صباحكنْ بالنسك والتسبيح زاد صلاحكنْ
وتقبلت منكن آلهة السما ء سجودكن بخشعةٍ وصَلاَتكنْ
فازددن زهداً تستقيم أموركن وبعفة يبقى النقاء سلاحكن

العابدات : طاب الصباح بحضرتِكْ والنور فاض بطلعتك
والفرح عَمّ ببهجتك وشذا الجلال برفعتك

الرئيسة :

أسديتَ نصحاً يا أبانا مِنَّةً فغمرتنا فضلاً ، ونلنا نعمةً
زوّدتَ أرواح العذارى حكمةً ليفُقن زهداً فى الحياة وعِفّةً
وبعثت من تقواك فينا لمحة وضاءةً يا شُعلةً قدسـيّةً

ـ أقمن العبادةْ   فإن العبادة سر السعادة

فمن جعل النسك نَهجاً وعادة   أعدَّ لروحه فى الخلد زادَه

وتقوى النفوس تديم الإشادة   ومن دون تقوى تشيع الإبادة

وزهدٌ وبِرٌّ دليل الإفادة   فللعابدات هُدىً واستفادهْ

وينصرف الكاهن ليمكث منتظراً على مقربة حتى يسمع صوت الروح عند ظهوره ، فتقول الرئيسة :

كلامه عَبْقٌ كطيب البخورْ   وكم من نصوح يريح الضجور

وبين الحنايا يشيع السلام   فتهدأ ثورة ما فى الصدورْ

فهيا بنا تِي نؤدِّ الصلاة   فحبُّ العبادة للروح نورْ

ثم يؤدين الصلاة ، وتجلس أونوس قائلةً لنفسها :

ترَى ، للوعد يُنجزُ أم سَلاَهْ !؟   وبى شغف التزود من هُدَاهْ

فيا روح الحبيب ألا تَعالَ   وعرِّف ما الخلود ، وما مداه !

وبالإيضاح جُدْ نَلْقَ الصوابَ   وبالتبيان أفصحْ ما الحياه ؟ !

فكم ساعٍ من العرفان خالٍ   وكم لاهٍ عن المضمون ساه !

فياليت الغيوب لنا تلينُ   وأسمع صوت آتٍ من علاه !

صوت الروح :

بروحى فديت الشغوف الودودْ   فإنى وفىٌّ حفظت العهودْ

ورنة صوتى عجابٌ ، وقد   أتيت لأعلن سر الوجود

ألستُ المغيَّبُ تحت الثرى   وبينى وبين البرايا سدود ؟ !

أما قيل أفنى المنونُ الكيان ؟   أما قال عنى الورى : قد أبيد ؟ !

وقالوا : شهيدٌ بروحى أجودْ وما قيل إنى بروحى أعودُ !
ولكنّ حبّكِ أقوى رباطٍ وأصبحت منّي كطيب وعُود
ورغم فراق سيبقى الوفاء شذياً قوياً يفوق الحدود !
وآتى دواماً أنير السبيل أحادى خطاكِ لأوجِ الخلود

أونوس :

لك الله شهماً بدنيا ودين وإنى لأصغى بفيض اليقين

صوت الروح :

للدارجين على البسيطة مولدُ للسعى فى دوح الوجود ومقصدُ
كل يمثل فى الحياة رواية ! وعلى التصرف ما يُعَدُّ ويُنتقدُ
من يرتضى سطحيةً لكيانه هيهات يغنم من رواء يُحصَدُ
يلقى الوجود متاهة يقضى بها عيشاً رخيصاً شذّ عما يُحْمَدُ
يضنيه إذ يبدى السراب تمنعاً عن رى صادٍ يَستحِثُ وينشُدُ
فيضيق ذرعا بالخيال محجبا عين البصيرة عن قويم يُرْشِدُ
أما الذى تشجيهِ أنغام الهُدَى فبيقظة الوعى الحكيم يشيّدُ
يحيا على رعى الحقيقة باحثا عما يعوق سبيلها فيعبّدُ
ولئن يقود النفس عبر طريقها يخشى الضلال وما يَضِيمُ ويفسد
فيقيم للفهم السديد منافذ للنفس تنصر ذاتها وتؤيدُ
مستمسكا بوجوب تهيئة الجنى حلو المذاق لما عساه يزودُ
فى حكمة يُنمى حميد خصاله بين الورى فيمدهم ويعضّدُ
ويؤازر الملهوف طاقة جهده فينصّعُ المضمون شأن من اهتدوا
هيهات يغرب عن يقينه أنه حى بروحه للكمال ينضدُ
فالجسم يفنيه المات إلى بِلى والروح يرتسم البقاء ويخلدُ

بفحوى الحياةْ فزِدْ من بيان لكل اتجاهْ

ع —

ورغائب الأحياء فى الدنيا عجبْ تتباين الأهواء فيها والأربْ !

أشقت عقولا فى تعرف كنهها مما تبدّى فى التطبع والوَهَبْ

أتُرى التمتع والمطامع نبتُها غرسٌ وإرث بالتسلسل والنسب؟

أمْ كل ساع بالفعال منمق من وحى روحه، وهو حق مكتسب؟

هُوَذا التواجد مظهر لألى الحجا كل يؤدى بيّنات تُحتسب.

إذ كل بادرة تعرف مَعْلماً ينبى عن القيم العلية والرتب.

والمرء بالإسهام فى أهدافه يبدى البيانَ عن القرائن والسبب.

فإذا تنزه عن معاثر فعلة طبع الحياة بما يجير من العَطب[1].

وأهاب بالأزمان تحرز حكمة يلقى بها حُسْنَ الجزاء المرتقب.

فيسجل الفحوى ضياء نيراً سيان منها ما أشاع، وما احتجب.

هنا يتقدم الكاهن الأعظم من مكمنه فيحيي ويقول للروح :

عفواً بنىّ إذا دنوت لأرتوى من منهل العلياء والعلم السوى.

أعلنت بالبرهان حكم عدالة يقوى الضعيف بها، ويرتعد القوى.

فبحق من واتاك إعلام الهدى أتمم رسالة ما نَشَرت وما طُوى.

فأفيق كيلا أستحى بجهالة والفرض أنّ لىَ المعارف تستوى.

صوت الروح :

أبى ! سلامٌ، لا عليك من وَجَلْ أنا ابنك المطواعُ من جُنْد أُوَلْ.

(١) العطب : التلف .

الطاهر :

نوه بُنَيَّ عن المطامع والغبَنْ قل عن ضحايا البغى ماحكم السَّنَنْ؟
أتدقُ أعناقٌ وتزهق أَنْفسٌ مرضاة مرتقِبِ المغانم والمِنَنِ ا
وتَحِلُّ أشلاء الشباب مَبَاركا للنوق،أودوس المطوق بالرسَنْ(١)؟
وتفيض من قانى الدماء مناقع تلغ الـكلاب زكيها قبل العَفِنْ ؟

صوت الروح :

إذا ما الحرب قُدِّرت اضطراراً لتوقف دون غيه من أغارا
فيُبذلُ بالنفيس وكل غال ليصلى الغادرين لظى ونارا
وفى درء المهانة كل نبل به الجندى يرتقب الفخارا
وللأوطان أقداس تُفدَّى بأرواح تُعدّ لها انتصارا
وتلتزمُ الـكرامةَ كلَّ جهدٍ يصون على الدوام لها ازدهارا
وقربان الفـداء همو الضحايا بالاستشهاد يحمـون الديارا
فبئس الحرب إن تضرم غباءً وبئس البادرون بهـا المرارا
ستضى الأبرياء بكل غـبن وإذلال ، إذا الشر اسـتطارا

الطاهر :

أراك بُنَىَّ تحزنك الفواجعْ إذا بطشَتْ بشعبٍ دون رادعْ
فلو نزل الوبال بأرض مصر ترى بالروح تشـعر بالمواجع؟
فيـا ويح المحتَّمَ بالمعـارك وتبًّا للمُخيمٌ من فوازع
فهل بالحق تعلن ما بغيب وما فى أرض مصر عساهُ واقع ؟

(١) الرسن : ما كان من الأزمة على الأنف والمطوق بالرسن كناية عن الدواب والخيل.

صوت الروح:

أرى المقدور حاصله السلامة ولم يكتب لفرعون السلامة
سينجو الشعب من شعواء حرب ويبقى الجيش موفور الكرامة
فشدد بالنصيحة لا تبالِ وحذر ، ثم دعه لما أقامه !
وإن تسأل فلى روحٌ وفىٌّ وبى حب لمصر أرى التزامه
ويأسو الروحُ لو ضرٌّ رماها فحب الأوفياء إلى القيامة
ولو خيرتُ فى الهيجاء أسعى أطوعُ للفداء بلا ندامة

وينفض اللقاء ، وتنصرف الروح .

* * *

وهذا مشهد آخر من أول الفصل الأخير للرواية ، وفيه يجلس فرعون مكتئباً مع تفربى فتسائله قائلة :

بحق الحياة ، بحق السماء بحق الحنان ، وحق الوفاء
عبوسك فيم ؟ وفيم الشرود ؟ وماذا يكدر طيب الصفاء ؟
أرى فى اكتئابك شيئاً يريب وحوّمَ حول الوداد الجفاء
فما عاد يشجيك عبق الورود ولا للأزاهر حسن اجتلاء
فكيف استحال ربيع الحياة بطرفة عين ، وفُضَّ الرواء ؟
بروحى فديتك مِنْ ذا الوجوم عبستَ فغام بعينى الضياء
وتاه الدليل وعزّ الصفاء وما عاد يجلو الهموم دعاء
فهلاَّ بسرك فاض اليقين فديتك مما يثير الشقاء !

فرعون :

طغى نشوق تأجج للنزالِ سرى فى النفس كالمرض العضال
وعاودنى الحنين لِشَنّ حرب وإن القلب قبل اليوم سالى

وإن تُعلِ مقاصدها الملوك فقد أعليتُ أهـــداف النضال
وصارت عزتى أقصى منالا من النجم ، وكم فى النجم عالى
وبى حزم الجبابرة الضوارى لتندك المعاقل فى الرمال
ولى سهم تعهّد حيث يرمى بصـائبة يطـوّحُ بالرجال
وفى البطحاء أو فوق الروابى وفى بطن السهول أو الجبال
سيحصد مِنجلى الأعداء حصداً وأسحق من تصدوا للنصال
سيعلى الدهر من سلطان مصر على الآفاق مفخرة القتـال
فيا نفرين فى عمق الترى دعى الأيام تنسج للعوالى
ولن تُجدِى الذريعةُ إن ضرعت ! ولن تثنى العزيمة عن نوالى !

نفرين :

ألم أخشَ المقدّر أن يؤاتى بفاجعة النوازل بافتئات ؟
أما بين الهواجس عاش حبى وكم وجّهت قلبى للثبات ؟

فرعون .

أما ترضين للملك اتساعاً ؟ ! وبى شغف لأقتحم القلاعا
وأرتقب انتصاراً حيث أشقى لأخضع ما أشاء له انطباعا

نفربى :

قد تنبتُ الحربَ أفـكارنا العُنسُ(١)
لا الحكمة ارتادت كى يزهر الغرس
أو نزّهت حقًا ترضى به النفس
فالحرب أوهـامٌ والوهم كم يقسو !

---

(١) الجدباء .

والحرب ميدانٌ ما زانه الأنسُ
بل ساح أهوال ما فيه ما يأسو
كم هَدَّ رواداً يذرى بها اليُبْسُ
يا ويح خـــواه قد عافها الحس

فرعون :

أنفرين مهلا فهذا الكلام جسيم يُحق شديد الملام
فعيش الملوك رهين النزال وما الملك حبٌّ ، ونجوى هيامْ !
وهيهات أرضى لحكى انتقادا فصونى الرشاد . وصونى الوئام.

نفرين :

أبْقِ الحياة بأرض مصرَ كريمة تَعل السلامة فى مناقبها الغررْ
ما عاد بى جَلَدٌ يواجه فُرْقة وأنا العروس بىَ البعاد لكم أضر

فرعون :

نفرين يا روضَ الحياةِ ونورها هيهات نهرب من تصاريف القدرْ
إن شاءت الأقدار حرباً فلتكن فتقبلى الأوضاع شأن من اصطبر
وإذا افترقنا فاللقاء بنصرة والنصر أقدس مايزين من افتخر !

نفرين :

يا ويلتى إنَّ ارتحالك فرقةٌ إن عاودت تشق الفؤاد بغُصَّةِ
ما كدتُ أشقَى من ضراوة مارَمَتْ حتى يلاحقنى الضنا ! يا ويلتِى.
فيمَ المطامع والبلاد بأمنها لاذت بلألاء المنا والعزة.
إن دان لى ملك البسيطة مغنما أفدى به قرب الحبيب ومُنْيَتى
هيهات أرقب فى المعارك رفعةً فالمُلْكُ أن يقوى زمام سعادتى.
ولأنت أقدر من يقدس واجباً يرضى القلوب لتستديم هناءتى.

فرعونه :

أأبقى على الدرب أرعى الهوى   أَبَلْدُ نهجى وأشقى البلادْ ؟
وهل ترتضين لمثلى الخنوع   وغيرى بقهر الممالك سادْ؟
وكيف أخلّد مُلكى العريقَ   إذا الدهر سائل : ماذا أشاد ؟
أليس الأسود الضوارى تسود   ويرهب سطوتها كل عادْ ؟
وإنى مهيب ، وليثٌ أخوض   غمار الحروب قوى العتاد
وجيشى كفيلٌ بنصر عزيز   يؤازر عرشى بكل اعتداد
غداً قد أجّمع حولى الوجوه[1]   ونُعْلِى البيان جلىّ السداد
ونقضى بحرب وغنمٍ وفيرٍ   يصون الرخاء لخير العبادْ
فيا مهجتى أنت أقوى نصيرٍ   يعضد تاجى بمجد يُشاد
وعهد كلينا لو العمر طال   سنرضى الحروب بحسن اعتياد
وللتاج والعرش نبقى الجلال   لعزّ وجاه لأقصى امتدادْ !
أليست لمصرَ عليكِ الحقوق   تؤدى بتضحيةٍ فى رشاد ؟ !
نفربون : إنى محيّرة المشاعر ثائرة   ولعل ذا جعل المطالب جائرة !
فرعونه لاتثورى حيث يُلتَزَمُ السكونْ   فاتزان الرأى للعقبى يصونْ
نفربون: لك الخيار وما تشاء   ياسيدى يا ابن السماء
فرعونه: بوركت بالرأىِ السديدِ   وذاك عربُون الولاءْ

. . . .

* * *

---

(١) الوجوه : الأعيان

وفى آخر المشهد الأخير بين فرعون والـكاهن يدور الحديث بينهما على النحو الآتى : ـ

فرعون :

أرى الإعلام نوّه بالمعانى ... بتوجيه يخلّدُ قَدْرَ شانى
فإن أصغِ لداعية الغيوب ... أشُد لمجد مصر عرى الأمانى
وأعلن بالتصرف كيف أعلى ... شوامخ مجدها عَبْر الزمان
سأختصم التجاهل فالدعاء ... يعرّف ما الجهود ، وما التفانى
فيا أبتِ نصحت فصنت عهداً ... ببرر ما وعيت من البيان
فإن يُزكِ الجهادُ مصير أسرى ... فللتخليد ترتقب الأمانى
فإنى نسل آلهة الخلود ... إذا ما الأرض بادت لستُ فانى
ولـكن كم يشوق القلب علمُ ... أللأفراد مثلى من ضمان ؟ !
وهـل تحيا الرعيـة فى الخلود ... كما يحيا الملوك ذوو المـكان ؟
ترى العلياء تـكشف خافياتٍ ... عن الأوضاع فى غيب الزمان ؟

الـكاهن :

أطال الله عمر مليك مصر ... وجاءتك السماء علا ونصرا
أرى العليا تطالب كل حى ... بمضمون الجهاد ، وكيف أشرى
وما كانت لتجحد أو تحابى ... مناهج تقتضى للروح أجرا
فمعتنقُ التفوقِ خـيرُ ساعٍ ... مثوبتهُ الخلودُ مدى ودهرا
وفى التقدير هيهات التساوى ... فذو قِيَمٍ يفوق أخاه قدرا
وما البانى كمن دك الرواسى ... وليس كنافع من قد أضرّا
فإن يهدف بخير أو بشر ... على فحوى الفعال يُحقّ أمرا
ويا مولاى للمجهود عقبى ... يخلد فورها للروح مَسْرى
إذا ارتقت العقول أو استنارت ... ترحب بالممات تروم نشرا
وما الألقاب والأنساب تُعلِى ... ولا تمحو عن الإنسان وزرا

ولن يجدى ابن آلهة الخلود　　سوى ماخط فى الأيام برّا
فكم أرواح أفراد تعالت　　على الأحساب، والإنصاف أحرى !
فعالمُ الشواهد دون غبن　　تَحُدُّ مصائر الأرواح طُرّا
وما يبدو بدنيا الناس سراً　　على ملأ العلا سيشاع جَهْرا
وما يشقى كظلمة الضحايا　　إذا سيقوا إلى الأهوال قَسْرا
سيشكون المظالم من قساة　　أذاقوهم من الإيذاء مُرا
ويا مولاى نهجك قد تزكّى　　وقد شئت السلام يعم بشرا
وقد وطدت عرشك دون ضيم　　وذدت عن البلاد ردىً وخُسْرا
كذا أيدت خطوك فى أمان　　فخذ حذر الزمان يصنك شراً

فرعونه :

لله درُّ العلم كم ذا قوّما　　كم ذا أفدتَ وقد أبنتَ المُعْلَمَا
ولسوف يا أبتاه أرجو المغنما　　بسديد فعلٍ يستحث المُنْعِمَا
نعم النصوح إذا الأمانة أحكما　　إن الجميل لمن أفاد وأعلما

الكاهن :

أرى مولاى يرتسم الكمالا　　ويرقب فى مناقبه الجمالا
ويوقن فى النصيحة كل مجد　　يؤاتيه من النعم النوالا
فوجّه بالتدبر كل فكر　　لما يعلى المكارم والخصالا
وقل ما العيش إلا وحى روح　　لتفسح بالرشاد له المجالا
عسى يهدى إلى سَلْسَال نبع　　من العلياء يلتزم الجلالا
هى العلياء موطن كل صاد　　يداوم بالحنين لها السؤالا
ولا يقعدْك عن فهم الحياة　　بحكمتها، وإن ضلّت دلالا
فمضمون الحياة بخير سَعْى　　لترتاد الحقيقة، لا الخيالا

وحقق للشاعر كل نُبْلٍ　　ولا ترضَ عن الحلم اعتزالا
فبالصبر الجميل حميد عَيْشٍ　　يفى العقبى بما يعلى المـآلا
فيامولاى لُذْ بالعلم يُبدِ　　رموز الخافيات، وما استحالا
فإمعان التعرف ليس يأبى　　على الملهوف عرفاناً يُوَالى
هو الإسعاد يحتضن الحكيم　　إذا الغيب استوى علماً حلالا
وأفصح عن خلود الروح فيضاً　　من التبيان لا يبقى الجدالا
فنقب يامليك عن الغوالى　　من الأبحاث وارغبها اقتبالا
وعلمُ الروح أقومُ مستَحبٍّ　　للملهوفِ جفا دراً ومالا
فقد يُؤْتَى السلامُ إذا المشوقُ　　أعد العيش كى يرتاح بالا
فوثقْ مِنْ مساعيك الوفاقا　　ترَ الدارين جَمَّلتا المنالا

فرعونه :

سأرعى الأمانة حيث أسوسْ　　وهيهات أشعل حرباً ضروس
سأبقى السلام لأمن النفوس　　بهذا سيهنأ قلب العروس

* * *

و بعد أن فرغ روح أمير الشعراء من الرواية كلها أملى القصيدة الآتية تحية منه لقرائها ولعلم الروح الذى سمح بإملائها على هذا النحو : ـ

بنصر الله بثّ الروح فَتحاَ　　وقد أوحى الجلال رضىً وسُنْحاَ
دعاء قد نَذَرْتُ وحيث يسرى　　يفى الرواد تبياناً ونُصحاَ
وبى وَلَعُ المحجَّبِ عن صحابٍ　　يطارح بالنظم هُدًى وشَرْحا
فما للروح حيث الخلد مأوىً　　سوى صرف المعارف صار مَنْحا
ومن فيض الحقائق يارفاقى　　أنسِّق من رياض العلم دوحا

وما يشجى الحكيم كشرح راءٍ سديد الرأى شاد الحق وَضْحا

* * *

لمن شاء التزود والرواء لإدراك الحياة أقول « مَرْحى »
إليك القول من غاليهِ صِرْفا من الرقراق دفاقًا وسمحا
تضمنه الكتيّب كالرحيق لذوّاقٍ يعبُّ ضُحًى وصُبْحا
فإن أشجاك من ينبوع نظمى سلاف الشعر مما الروح أوحى
فصرِّحْ باليقين لمجد علم من العلياء تولِ الخلد سِبْحا
ومن يعلِ الصريح هَدَى خطاه بوحى الروح حيث الشك يمحى

* * *

ومن بالتيه فى وديان شكٍّ يحث الخطو ميقاتًا وردْحا
لسوق الروح فى مجهول سَعْيٍ فشؤمًا فى ترديه وقبحا
فقد حقت على الملأ الشكاوى بما يطوون فى الأعلام قدحا
وإن ترجُ النفوس عُلُوَّ قدر توفِّ العلم « علم الروح » مَدْحا
فيخفق كلُّ قلبٍ فى أمانٍ تناصره السلامة حيث أضحى
فذوقوا يا رفاق روْع نظمى ولو قدّرتموه لكان ربْحا !

* * *

وهذه الرواية — كما سبق أن ذكرت — أطول من كل شوامخ شوقى المعروفة مثل مجنون ليلى ، أوقمبيز ، أومصرع كليوباترة. وقد اكتفيت منها فى الصفحات السابقة ببعض مشاهد متناثرة كنماذج منها ، حتى تكون فى متناول القارىء المثقف الناقد الذى يريد الدراسة والمضاهاة ، والذى يمكنه أن يقدر عمق أهدافها، وجمال مراميها الإنسانية النبيلة فى غرس السلام فى النفوس ، وتأييد الإيمان بالروح وبالخلود كحقيقة ثابتة لا يصح أن تكون — بعد — محل شك أو جدال .

المبحث الخامس

عن شاعرية شوقى بوجه عام

لايتسع المقام الحالى لمحاولة تقدير شوقى كشاعر ، فإن المؤلفات عن شاعرية شوقى كثيرة تغنى عن أية محاولة متواضعة منا فى هذا الشأن . ولكن يكفى أن نقرر هنا أن شوقى لم يلقَ التقدير المنصف من ناقديه إلا بعد أن فصل الموت بينه وبينهم بحجاب كان يبد وكثيفاً ، وإن اتضح فيما بعد أنه ليس بالكثافة التى تجعل اجتيازه أمراً محالا .

ولقد عاش شوقى علماً على الشعر العربى ، ولكن فى نفس الوقت هدفاً لسهام ناقدة بل متحاملة كثيرة لم تتوقف حتى بنزول حجاب الموت فى سنة ١٩٣٢ . وكانت حملات بعض الأدباء عليه — خلال حياته الأرضية — مرة ، قاسية ، طويلة ، امتدت إلى كل جوانب شعره ، حتى جوانب الإبداع فيه والإعجاز . فنجد فيها اتهامات من كل نوع : فهو فى نظر كثيرين منهم متكلف أحياناً ، مستكره للقافية أحياناً ثانية ، متهافت أحياناً ثالثة ، مبالغ فى غير موضع للمبالغة أحياناً رابعة ، مستعمل لبعض التعابير فى غير موضعها أحياناً خامسة ، بل استعمالا خاطئاً أحياناً سادسة ، ومخطىء فى العروض أحياناً سابعة . وهكذا مما لا يمكن تعليله إلا بأن توجيه النقد لأى عمل مهما كان باذخاً أمر يسير إنما المشكلة الحقيقية هى فى الإبداع لا فى النقد ، أياً كان مستواه من الجودة أو التفاهة ، ومن الحياد أو التحامل . ثم إن الناقد مهما كان محايداً فهو يحكم فى النهاية بحسب ذوقه الخاص ، وتقديره هو للأمور ، وقد يصلح كلاهما بدوره محلا لنقد جديد وهكذا .

وكيما يحسن إنسان ما الحكم على أى مستوى من الإنتاج الطيب ينبغى أولا أن يحوز القدرة على الحكم الصحيح عليه . وهذه القدرة لا تجىء جزافاً ، ولا ينالها أى إنسان بسبب ماضيه أو منصبه مهما علا ، أو بسبب تصديه بحسب

ظروف معينة للحكم على هذا الإنتاج . والأصل فى أحكام بنى البشر على غيرهم أن تكون — خصوصاً عند الاشتراك فى ميدان نشاط مشترك بينهم - مشوبة بأكبر قدر من التحامل ، ومن الاعتداد بالنفس، ومن التعصب للرأى مهما كان خاطئاً . ولذا تجىء هذه الأحكام دائماً مغرضة ظالمة ، أبعد ما تكون عن الصواب فى تقدير الأمور .

وكلما ارتفعت أية موهبة حقيقية فى قدرتها على الإبداع كلما ارتفعت الغيرة العاجزة فى قدرتها على الخداع ، وكلما تمكنت من التغرير بصاحبها وبالآخرين والتماس المعاذير للنيل من العمل الجليل ، كيما تفضل عليه فى النهاية أى ضرب من ضروب اللغو أو التضليل . والغيرة العاجزة من سمات بنى البشر بوجه عام ، وهى لاتصلح إذاً لتقدير الإبداع والإتقان ، بل إنها على العكس من ذلك تمثل أخطر معاول الهدم والبهتان ...

ولا تعجب لذلك عندما تنقب فى الصحف والمطبوعات التى كانت تصدر فى أيام شوقى أن تجد آراء كثيرة — لأدباء كبار وصغار — تفضل على شوقى شاعراً مغموراً أو آخر من شعراء الصف الثالث أو الرابع فتحاول أن تصنع من هذا أو من ذاك شيئاً مذكوراً . ولهذا عاش شوقى يكابد الأمرين من ناقديه وحاسديه ، إلى أن فصل الموت بينه وبينهم ، فإذا شوقى يصبح شاعر التاريخ ، وإذا أولئك المغمورون يختفون الواحد بعد الآخر خلف ستار كثيف من النسيان ، فلا يشعر أحد باختفائهم كما لم يشعر من قبل بوجودهم على الرغم من كل أبواق التقدير الزائف التى حاولت عبثاً أن تصنع منهم شيئاًمذكوراً لا حباً فيهم ، بل انتقاصاً لشوقى ولقدره الرفيع الذى أقض مضاجع حاسديه وناقديه .

هل كان شوقى مقلداً أم مجدداً ؟

ومهما ضاق المقام هنا عن تفصيل ذلك فإنه لا ينبغى بالأقل أن يضيق

عن التعرض — فى عجالة — لموقف شوقى من قضية كبرى واحدة، وهى قضية التقليد والتجديد ... فهل كان شوقى فى حقيقته مقلداً أم مجدداً ؟

ذهبت الآراء فى الإجابة على هذا التساؤل كل مذهب . لأن الإجابة عنه ليست بالأمر الهين . فكان المرحوم الأستاذ العقاد كثيراً مايتهمه بالتجديد غير المستساغ أحياناً ، وبالتقليد غير الحميد أحياناً أخرى . واتجه الدكتور طه حسين نحو انتقاد شوقى للمبالغة فى تقليد بعض شعراء الجاهلية ، من ناحية طريقة أدائه للشعر وكثرة استخدامه للألفاظ المعجمية النادرة . كما قرر أيضاً أن شوقى بدأ حياته الشعرية أقرب إلى التجديد لكنه أنهاها أقرب إلى التقليد .

والحق يقال إن الدكتور طه فى نقده لشوقى كان بوجه عام أقرب إلى الموضوعية والاعتدال من المرحوم الأستاذ العقاد ، وهذا أمر يرجع من جهة إلى أسلوب طه حسين بوجه عام فى النقد الأدبى بالمقارنة مع أسلوب العقاد ، ومن جهة أخرى إلى أن العقاد كان شاعراً فلا يعتقد جازماً أن زعامة الشعر العربى ينبغى أن تنعقد له قبل أن تنعقد لشوقى أو لغيره من فحول الشعراء الذين عاصروه. فأسباب المنافسة بينهما كانت مشتعلة الأوار . وميزان المقارنة كان ينبغى — فى تقديره الخاص — أن يميل لصالحه هو لا لصالح شوقى ، ولا حتى لصالح الشعراء الذين كان يفضلهم العقاد على شوقى ممالأة وتحيزاً .

ولذلك فلا غرابة ألا نقرأ للأستاذ العقاد تقديراً حقيقياً لشوقى حتى بعد غيابه عنا ، حين نقرأ للدكتور طه إقراراً صريحاً بأنه يعتبر شوقى — على الرغم من كل النقد المر له الذى قاساه منه والذى لم يتوقف إلا بغيابه — أعظم شعراء العربية بعد المتنبى ، أى أنه صار يفضله حتى على فيلسوف المعرة أبى العلاء ، وهو الشاعر الأثير عند الدكتور طه الذى اجتذب الكثير من انتباهه وعنايته ، وكان محل تقدير موفور منه فى دراساته الأدبية الطلية .

وقد تعرض أيضاً لموقف شوقي من التقليد والتجديد الدكتور شوقي ضيف فذهب إلى أن شوقي قد جمع بين التقليد والتجديد في أشعاره بوجه عام ، وإن كان طابع التقليد عنده أقوى وأوضح .

وأياً كان الرأي الصائب فإن شوقي سواء اعتبرناه مقلداً أم مجدداً لم يتعمد — في تقديرنا المتواضع — التقليد ولا التجديد ، لأنه شاعر الفطرة ، والفطرة تتنافر بذاتها مع محاولة اتخاذ موقف صناعي معين من التقليد أو التجديد . وإذا صح إمكان تحديد موقف شاعر ما من شعراء الصناعة — مهما بلغت قيمته — بين التقليد والتجديد ، فإن هذا التحديد قلما يصيبه التوفيق بالنسبة لشاعر مفطور في قوة شوقي ، تظلمه وتظلم الحقيقة إذا وضعته في عداد المقلدين أو في عداد المجددين بغير تحفظ ، أو حتى بتحفظ كبير أو صغير ...

فقد كان شوقي إنساناً مرهف الإحساس إلى آخر مدى ، يجيش صدره بشتى الانفعالات الراقية الإنسانية التي كان يريد التعبير عنها في بلاغة منظومة ، ولكن في غير تكلف صناعي. بل حتى بغير ارتباط دائم ومطلق باتجاهات عروضية مغالية من شأنها أن تكبله بالأغلال ، كتلك الاتجاهات التي تميز غيره من الشعراء ، بمن فيهم من شعراء فحول قدامى [1] . حتى لقد صرح هو نفسه إلى شخص أثق في روايته لي أنه ليس عروضياً بل ينظم الشعر حسبما تهديه إليه « موسيقى الشعر » على حد تعبيره. وكان ذلك في حديث له في « معهد الموسيقى الشرقية » للرد على بعض انتقادات عروضية وجهت إليه في شأن قصيدة معينة .

(١) ولذا نجد لشوقي كتابات مسجوعة كثيرة هي في بعض عباراتها عبارة عن شعر منثور مثل كتابيه : « أسواق الذهب » ، و « شيطان بنتاؤور » . بل نجد له بعض قصائد غنائية بالشعر العامي مثل « أهون عليك؟ » و « بالليل لما خلي » ورواية زجلية كاملة مثل « الست هدى » . وكل هذا لا يعد شيئاً بجانب « الشوقيات » وبعض رواياته الذي لاقى نجاحاً خاصاً مثل « مجنون ليلى » و « مصرع كليو باترا » ، حين لم يلاق باقيها نفس هذا النجاح مثل « علي بك الكبير » و « قمبيز » « عنتر » .

وكان شوقى أيضاً طموحاً إلى المجد ، شاعراً تماماً بعبقريته الفذة ، عاملا أبداً على تغذيتها بالإحاطة بأكبر قدر ممكن من الألفاظ المعجمية ، حتى لا يعوقه عائق من لغة عن التعبير بمكنون نفسه ، وتصوير مشاعره الدفينة الغزيرة ، وحتى لا يعوقه عائق من بحر ولا من قافية عن الوصول إلى ما يرضى ذوقه الموسيقى وشعوره المرهف من هذا التعبير والتصوير .

لذا انطلق شوقى شاعر الفطرة كالبحر العرم الذى يهدر هديراً متواصلا ، وفى هديره يلقى بكل ما يخفيه من لآلئ وأصداف ، ولكنه يلقى على أية حال فى تدفق وفى قدرة لا يمكن أن تبارى ، ولا أن تقارن أبداً بقدرة الأنهار أو الجداول الصغيرة . وقدرة البحر العرم — سواء أرضى الإنسان عنها أم لم يرضَ — تستثيره حتما إلى أن يتأمل ملياً فى هذا البحر ، وأن يحلق فى عالم الخيال والأسرار طويلا ، فى تفكير ، وفى إعجاب ، وفى إحساس عميق بعظمة الطبيعة وروعة البحر والفضاء ، والغيوم والنجوم ، وقدرة خالق ذلك كله ، وما يستثيره هذا التحليق من دافق المشاعر والانفعالات .

فلا عجب من أن يلاقى الإنسان فى أشعاره كثيراً من التراكيب الصعبة ، وكثيراً من الفخامة الباهرة ، وصوراً لا تحصى من الأداء الفريد الذى لا يبارى . كما يلمس فى نفس الوقت رغبته الأكيدة فى التحرر والانطلاق كيما يصل إلى التعبير تعبيراً دقيقاً عن مشاعر حية تنبض بهادقات قلبه نبضاً حياً قوياً لا تكلف فيه ولا ادعاء . وهذا هو كل ما كان يتوخاه شوقى شاعر الفطرة . وكان يشعر أنه قادر على الوصول إليه رغم كثرة قيود العروض والقوافى فى الشعر العربى بوجه عام ، ولكن بغير التقيد بتقليد شعر قديم كشعر امرئ القيس أو المتنبى ، ولا تعمد الخروج عن التقليد إلى التجديد ، لأنه إن فعل هذا الأمر أو ذاك فقد كبل نفسه بأغلال تأباها شاعريته الأبية المنطلقة ، الرافضة تماماً أية صورة من صور تعمد

الارتباط برغبة تقليد أو تجديد ، على النحو الذى خيل أحياناً لبعض ناقديه من الحايدين والمغرضين معاً . . .

وكان شوقى فضلا عن إمساكه بعنان اللغة مبنى ومعنى محيطاً إحاطة واسعة بآداب العرب وأشعارهم ملماً إلماماً كافيا بآداب الغرب وفنونه . وكان متأثراً فى كل ذلك بروح عصر النهضة الذى استيقظت فيه روح بلاده تطالب بحقها فى الحرية وفى الحياة الكريمـة فى عالم يموج بأسباب الحياة ، زاخر بمظاهر لاتتوقف لنمو الحضارة والعرفان. ومن هنا جاء شعرشوقى نسيج وحده فى تاريخ الشعر العربى لغاية عصره ، ومعبراً عن انطلاقة كبرى فى الشعور وفى التعبير ، وراغباً فى أن يصور خلجات نفسه تصويراً صحيحاً غير متعمد تقليداً لشعرمعين ولا تجديداً ، وإن بدا فى نظر بعض معاصريه مرة مقلداً وأخرى مجدداً .

ولذا تجد هذا التردد فى شعر شوقى بين ما يصفونه بالتقليد وما يصفونه بالتجديد فى القصيدة الواحدة ، بل ربما فى البيت الواحد ، لأنه لم يكن راغباً فى أن يقيد نفسه بأى قيد كان . فطريقة شوقى فى الواقع ليست تقليداً مرسوماً ولا تجديداً مقصوداً ، بل هى طريقة شاعر فحل يستعين بكل طاقته الشعرية واللغوية الفذة فى إبراز مايجيش به صدره من شعور متدفق ، وما يطوف بروحه من شتى الأحاسيس والصور الغزيرة المتلاحقة ، وكل ذلك فى جمع رائع بين القديم والجديد من الصور والتراكيب ، جمع تحدث عنه هو نفسه ذات مرة من عالم الروح عندما كتب يرد على نقد وجهه الأستاذ عباس العقاد إليه فى مهرجان معقود لتخليد ذكراه قائلا :—

والنقد للتوجيه أقدس ناصح   لو فى نزيه الرأى لا التقييد

. . . .

ما ضر لو نحمى القريض من الطوى   فى وحدة محبوكة التوطيد !

ونبث فى الأوزان ريعان الصبا   وزى القديم معانقاً لجديد
ونصوغ من در الصياغة لائقاً   يحدو القوى لكفاحها المعهود

ثم يعرج على شعر الأستاذ العقاد ينقده فى لباقة ويتحداه فى رقة وتهذيب :ـ

فالشعر إلهام ونبع سجية   والشعر منحة خالق لسعيد
والملهمون منالهم لا يكترى   فالشعر وقف للسراة الصيد[1]

وبسبب هذا « العناق » فى شعره بين القديم والجديد على حد تعبيره انطلقت شاعرية شوقى متدفقة فى التعبير والتصوير ، غزيرة فى الأفكار والمعانى ، قادرة على النفس الطويل ، وعلى أن تصل إلى شغاف قلب القارىء عندما يلمس أنه يعبر فى الواقع عما يجيش بصدره هو ، حتى ليشعرن القارىء القادر على استيعاب معانى الشوقيات أنه هو ناظمها الفعلى ، وأن هذا الشعر الجميل مرآة تعكس مشاعره الخاصة وانفعالاته الدفينة بين جنبيه ، التى تفلت منه قدرة التعبير عنها على نحو أو آخر .

عن تفاوت مستوى الشوقيات

وقد لقى شعر شوقى أيضاً هجوماً قاسياً من بعض ناقديه من ناحية أنه لا يمثل مستوى واحداً فى الجزالة والقوة ، فأخذ هذا البعض يعيب عليه هذا التردد الكبير بين مستوى جيد وآخر متوسط ، أو فى تقدير بعضهم أحياناً بين مستوى قوى وآخر ضعيف . وقاست نفسية شوقى الحساسة للنقد ، الرافضة له ، من هذا الهجوم القاسى الشىء الكثير . وقد أشار إلى هذه الحرب العوان فى بعض قصائده المرسلة من عالم الروح أيضاً ، وفى إحداها يقول :

والروح[2] من قنن العلياء صادحة   تبدى الثناء على أمثولة الرشد

---

(١) راجع ما سبق فى ص ٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٤ .

(٢) روح شوقى .

يارجعـــة ملأ الأرجاء ذائعها[١] شذت اليقين لحلم دار فى خلدى
فى الحى أكرم فالأشواط رابحـــة رغم العوان[٢] وما أصليت فى كبدى
ما كنت من همدت ذكراه واندثرت صنت القريض فكان اليوم مستندى
تلك الصوى[٣] كشهاب الشهرة التمعت رغم الغياهب والإغراب بالجسد[٤]

* * *

وهذا التردد فى المستويات لايعيب شاعرية شوقى ، ولا هو من خصائصها بمفردها . إذ أنه يتعذر تماماً أن يوجد الشاعر المبدع أو الأديب العميق الذى يمكن أن يقال فيه إنه قد حافظ على مستوى واحد لايتغير فى شعره أو فى أدبه. وقد وجه نفس هذا النقد إلى العدد الأكبر من عمالقة الشعر والأدب فى العالم أجمع، وفيهم أمثال موليير، وفولتير ، وفيكتور هيجو وغيرهم. وفيهم أمثال أبى تمام، وأبى العلاء ، والبحترى ، والمتنبى ، وسامى ، البارودى ، وحافظ ، وغيرهم من أعلام الشعر العربى .

فالمحافظة على مستوى عال واحد ليست من قدرة البشر ، ولا من طاقاتهم الممكنة، بل حسب الشاعر أو الناثر تقديراً من نقاده أن يقال فيه إنه يرتفع ــ أحياناً ــ إلى مستوى الإبداع الذى يسترعى الانتباه ، وإنه يحلق أحياناً فى آفاق عالية من الخيال الجيد أو الفكرة الجميلة إلى المدى الذى لايضارعه فيه غيره، مهما أعوزه نفس المستوى من التوفيق فى باقى مايصدر عنه من كتابات منظومة أو منثورة .

---

(١) يتحدث عن ذيوع عودته التى ملأت الأرجاء .
(٢) العوان : الحرب التى قاساها من ناقدية أثناء حياته الارضية .
(٣) الصوى : الأعلام من الأحجار .
(٤) الأغراب بالجسد : التغيب بالجسد .
وراجع القصيدة فيما سبق فى ص ٧٨٨ ، ٧٨٩ .

وهذا مالا يمكن لناقد نزيه ـ أو حتى متحامل ـ أن ينكره على شاعرية شوقى ، وعلى قريحته الوقادة ، التى يكفى أن يقال فيها إنه ارتفع ـ أحياناً ـ أكثر مما ارتفع غيره ، وبلغ ـ أحياناً ـ الذروة التى لم يصل إليها غيره إطلاقاً ، أو لم يصل إليها إلا لماماً. ويكفى أن يقال فى شوقى إنه لاتكاد تخلو له قصيدة من بيت رائع ـ أو أكثر ـ للحكمة العميقة مما يصلح للاستشهاد به، ومن معنى مبتكر أو أكثر، ومن غزوة جديدة للشعر العربى أو أكثر . أو أن القصيدة فى جملتها عبارة عن تصوير صادق لمشاعر إنسانية نبيلة ، حتى وإن خلت من بيت معين يسترعى انتباهاً خاصاً ، أو يتضمن حكمة عميقة أو بلاغة مأثورة.

ومع ذلك فما أكثر هذه الأبيات التى تتضمن الحكمة العميقة أو البلاغة المأثورة فى أشعار أمير الشعراء حيًّا كما كنا نعرفه ، وحيًّا الآن كما يعرفنا هو بنفسه عن طريق السيدة الوسيطة التى اختارها ، لأنه ـ على ما قرره لى ـ لاحظ أنها لاتبارى فى قدرة المتابعة السريعة إلى حد أنه « يملى » عليها أحياناً فى الجلسة الواحدة حوالى خمسين بيتاً ، فضلا عن الشروح التى تعود أن يمليها بعد الفراغ من إملاء القصيدة برمتها ، حتى لاينقطع تسلسل خواطره المتدفقة .

المبحث السادس

آراء كبار الأدباء والنقاد فى هذه الأشعار

رأى الأستاذ محمد عزيز أباظة

ولقد رأيت — لزيادة الاطمئنان إلى مستوى هذه الأشعار المنسوبة إلى روحه، وإلى مميزاتها — أن أعرضها على كبار الشعراء والأدباء والنقاد لاستطلاع رأيهم فيها ، وعلى رأسهم شاعر الشعراء الأستاذ الجليل محمد عزيز أباظة — عضو « المجمع اللغوى » ، وعضو « المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب

والعلوم الاجتماعية» والحاصل على جائزة الدولة فى الشعر والأدب — لآخذ رأيه فيها . فأقر بأن فيها شاعرية شوقى من ناحية تراكيبها ، أفكارها ، ومستواها فى اللغة والشعر ، وأن بعضها يعادل فى عمقه الجيد فى «الشوقيات» وبعضها الآخر يعادل المتوسط فى هذه «الشوقيات» . ولاحظ الأستاذ العلامة بحق أن هذا المستوى لايملك أى شاعر معاصر أن يرقى إليه أو أن يحاول تقليد شوقى فيه ، لأن عبقرية شوقى تعصى على التقليد ، حتى إن صح نظرياً إمكان تقليد غيره من شعراء الصف الثانى أو الثالث . وقد أذن سيادته مشكوراً بنشر رأيه هذا .

وقيمة هذه الشهادة الضخمة من عالم عظيم ، ومن عميد الشعر العربى المعاصر لايقدرها حق قدرها إلا من يعرف قوة الأواصر التى جمعته بشوقى عندما كان لايزال بين ظهرانينا ، والتى لاتقل عن صلة الابن الوفى بالأب العطوف ، والتى وصلت بينه و بين شعره ونثره وفلسفته بعروة وثقى لاتنفصم .



شاعر العصر الأستاذ عزيز أباظة

ولا يقدر قيمة هذه الشهادة الضخمة أيضاً إلا من خبر الأستاذ الكبير محمد عزيز أباظة عن قرب ، وعرف كيف أنه لايمكن أن يقدم مثل هذه الشهادة فى يسر ولا فى سهولة لما عرف عنه من تأن شديد عند البت فى أية قضية ، فما بالك بأخطر قضية علمية فى مقامها الأول والأخير ، هذا إلى ماعرف عنه من وفاء شديد لذكرى أبيه فى الروح شوقى الخالد الذى يعتبره قد بز المتنبي فى الجيد من شوقياته .

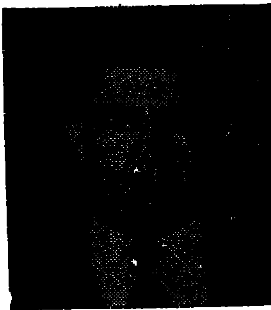
رأى الدكتور أحمد الشايب

وقد شهد أيضا بأن هذا الشعر يحوى واضحة خصائص شعر شوقى الأستاذ الدكتور أحمد الشايب عميد دار العلوم سابقاً ، ووكيل كلية الآداب، وأستاذ الأدب العربى وقد نشرت رأيه مجلة « عالم الروح » فى حينه[١].

رأى الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

وقد قدم إلينا رأياً صريحاً حاسماً أيضاً فى شأن هذا الشعر عالم معروف فى الأدب العربى ، وفى الأوزان والقوافى ، وهو الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى أستاذ الأدب والنقد « بكلية الدراسات العربية » بالجامعة الأزهرية . وقد تفضل فبعث إلينا خطاباً مؤرخاً فى ٧ أغسطس سنة١٩٦٥ - يقول فيه « قرأت بإمعان القصائد التى وردت منسوبة إلى روح شوقى العظيم فى كتاب الإنسان روح لا جسد . ولاحظت أن فى هذه القصائد العديدة روح شوقى ، وشاعريته ، وموسيقاه ، وأوزانه ، ومعانيه ، وتفكيره ، وقوافيه كذلك . . . . والعجيب أن القاموس اللغوى لهذه القصائد هو قاموس شوقى . . . . والحقيقة أن كل الظروف والعوامل تنفى شبهة التقليد ، فضلا عن فقدان الشاعر الذى يستطيع تقليد شوقى فى كل بنائه الفنى لقصيدته فى الوقت الراهن . إن ذلك كله موضع عجب كبير . . . . » .

كما يقول أيضاً فى نفس الخطاب عن أشعار روح المرحوم الأستاذ حفنى ناصف (ومنها ستجد قصيدتين فيما بعد) « وكذلك الأمر فى القصيدتين اللتين وردتا فى الكتاب من روح حفنى ناصف ، فشاعرية حفنى ناصف ، وملكاته اللغوية والأدبية والفنية ، متمثلة فيهما تمام



الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

(١) راجع مجلة « عالم الروح » عدد مارس سنة ١٩٥٩ ص ٤ .

التمثيل ... » . ثم يضيف العالم الفاضل قائلا « ومن البدهى أن الإيمان بالروح ركن أصيل من الإيمان الدينى ، وأن أرواح الأموات موجودة لاتفنى ... » .

هذه هى شهادة شاعر مبدع ـ إذ هو صاحب ديوان « أحلام الشباب » ـ وفى نفس الوقت عالم جليل ،وأستاذ ضليع فى الأدب العربى ، وصاحب العديد من المؤلفات المعروفة فى العروض والأوزان والأدب واللغة والتى أربت على المائة مؤلف ومنها : « فن الشعر » (فى جزئين)، و « الشعر : أوزانه وقوافيه »، و «ميزان الشاعر» ،و «العروض والقوافى»،و« البناء الفنى للقصيدة العربية »، و « مع الشعراء المعاصرين » ، و « قصة الأدب فى مصر » (فى خمسة أجزاء ، وقد عالج فى الجزء الخامس منه ـ فى تحليل عميق ودراسة مستفيضة ـ شاعرية شوقى بالذات) .

رأى الدكتور أحمد الحوفى

وقد تفضل أيضاً بتدوين رأيه فى هذا الشعر الدكتور أحمد الحوفى أستاذ الأدب العربى حالياً بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وذلك فى تقرير مؤرخ ١٩٦٧/٥/٧ . وقد تحفظ فى رأيه إلى حد يسترعى الانتباه فوجه إلى بعض أبيات من هذه القصائد عدة ملحوظات، يصلح أغلبها محلا لنقاش جدى طويل كاسنرى ، لأنها من نفس نوع النقـــد الذى وُجه إلى بعض أشعار شوقى المنشورة فى « الشوقيات » ، بل من نفس نوع النقد الذى وجهه الأستاذ صاحب التقرير إلى هذه الأشعار فى بعض مؤلفاته عن شوقى ، والذى لايمثل — فى جوهره — سوى اختلاف طبيعى فى تذوق الشعر وتقديره بين الأدباء والنقاد .

وأقل هذه الملحوظات قد لا يعدو أن يكون مجرد خطأ واضح من السيدة الوسيطة فى المتابعة ، عندما يفوتها مثلا الاستماع إلى كلمة أو أكثر فى القصيدة فتضعها من عندياتها استنتاجاً كما يفعل كل من يكتب بطريق الإملاء السريع من الغير ،

خصوصاً عند التفاوت الضخم فى المستوى اللغوى ، فما بالك عندما يضاف إلى هذا التفاوت فى اللغة التفاوت فى مستوى الوجود بين عالمين أحدهما مادى منظور والثانى أثيرى غير منظور !!

ورغم كل هذه الملحوظات ، فإن نتيجة هذا الفحص لا تختلف — فى جوهرها — عن نتائج فحص باقى الأدباء والنقاد الكبار على ماسيلى . وهذه النتيجة سنعرض لها بعد أن نعرض أولاً لأهم الملحوظات التى أوردها التقرير :-

فمن هذه الملحوظات التى تمثل هذا الاختلاف الطبيعى بين الأدباء والنقاد فى تذوق الشعر وتقديره ما وجهه الدكتور الحوفى إلى البيت الآتى (من قصيدة نصيحة) .

إن كنت تبنى على الآمال مانفعت شـيدت صرحك بالإيناع والعظم[1]

وقد لاحظ عليه « أن الصورة مضطربة ، لأن الصرح الموهوم لا يشيد بالازدهار والعظمة ، بل يقال إنه شيد على الأباطيل والأوهام ، أو على الرمال ، أو على الهواء ، أو على الماء » .

ونعتقد أن هذا النقد محل نظر ، لأن الشاعر يتحدث لا عن صرح موهوم — كما خيل للأستاذ الناقد — بل عن صرح حقيقى راسخ ، لأنه يقول فى صدر البيت « إن كنت تبنى على الآمال مانفعت » والإحالة فى عجز البيت تكون إذاً إلى ماينفع من الأمور وهو ما يبنى على الإيناع والعظم.

كما ينقد الدكتور الحوفى هذا البيت :

قف دون لومك والشكوى وكربتها فرج همومك ، ناقشنى فماً لفم[2]

قائلا : « فما معنى أن تكون المناقشة فماً لفم ؟ وما قيمه النص على أن

(١،٢) راجع ما سبق فى ص ٧٩٦ .

تـكون المناقشة شفاهاً ؟ وهل المناقشة الشفهية خير من الـكتابية » ؟ والجواب هو : لـماذا لا يكون الأمر كذلك ؟! أليست المناقشة الشفهية أعمق وأشد أثراً بكثير من الـكلمة المـكتوبة ؟! . .

كما ينتقل إلى البيت الآتى وهو :

ليس التـدله فى عـلم بمرتبط   بالعشـق أو بغوانى البيد والعجم

قائلا : «إن إضافة البيد والعجم لا تزيد شيئاً ذا قيمة على الغوانى» ، وذلك مع أن الزيادة فى المعنى واضحة لأنه أصبح ـ بعد الإضافة ـ ينصرف إلى الغوانى من كل رقعة فى الأرض ، أو من كل فج وصوب .

كما ينقد أيضاً هذا البيت وهو :

اعلم بنى بأن الله ذو أربٍ   فالحق دونك إن تعصـاه بالتهم

قائلا : « فما معنى أن الله ذو أرب ؟ » . والمعنى طبعاً أنه فى تصاريفه ذو هدف وحكمة تعلو على أفهامنا .

ثم يضيف قائلا : ولماذا لم يجزم الفعل تعصاه ، مع أنه مسبوق بحرف الشرط الجازم ؟ والجواب أن هذا حتماً من أخطاء الاستماع والمتابعة بدليل أننا لو وضعنا حرف « لو » بدلا من حرف الشرط الجازم « إن » لاستقام البيت معنى ومبنى. ولأصبح عجز البيت كالآتى « فالحق دونك لو تعصاه بالتهم[1] ». ومثل هذه الأخطاء القليلة التى تقع فيها الوسيطة أحياناً تثبت صحة الموضوع ولا تنفيه، وذلك لأن من لا يعرف أنّ « إنْ » حرف شرط جازم يجزم ما بعده ، لا يمكنه أن يكتب بيتاً واحداً صحيحاً، فما بالك بآلاف الأبيات الجزلة ، الرصينة ، الصحيحة مبنى ومعنى ووزناً ولغة وقافية ؟!. .

---

(١) لذا نشرناه مصححاً فى هذه الطبعة ص ٧٩٧.

ثم يلاحظ الأستاذ الناقد فى القصيدة التى بعث بها إلى المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبى الخير يعزيه فى انتقال نجله نبيل خطأ نحويا فى البيت الآتى :

إن شـاء رب العـالمين قطوفه كهلا شـبابا يافعا أو رُضع

وقد اتضح أن سبب هذا الخطأ أنه عند نشر هذه الأبيات فى مجلة « عالم الروح » وضع أمام صدر هذا البيت عجز البيت التالى له مباشرة عن طريق الخطأ غير المقصود فى الطباعة ، وأن صحة هذين البيتين كالآتى :

إن شـاء رب العالمين قطوفه الـكل طوعا يستـكين ويخضع

من فى نطاق الحاصدين توافدوا شيب ، شباب يافع ، أو رُضَّعُ

وقد نبهنى إلى هذا الخطأ فى النشر الدكتور سلامة سعد بخطاب منه بعد صدور الطبعة الثانية من كتاب « الإنسان روح لا جسد » ، وهو لم يطلع لغاية الآن على تقرير الدكتور الحوفى . وقد نشرت هذين البيتين فى الطبعة الحالية مطابقين للأصل الذى بيد الدكتور سلامة(١) ، والذى أرسله إلىّ مشكوراً .

ثم يقول الدكتور الحوفى أيضا إن البيت الآتى من القصيدة التى أملتها الروح تحية للمحتفلين بعيد ذكراه السادس والعشرين :

أفضى بمـكنون الحنين مروحا عنى العنـاء وقسوة التسهيد(٢)

« يصور حالة من حالات الدنيا هى المتاعب والسهاد وما يشاكلها ، على حين أن شوقى بالعالم الآخر فى طلاقة من إسار الدنيا ومتاعبها » . وجلى أن هذا البيت تصور به الروح تصويراً مجازيا ما تقاسيه من عناء وتسهيد بسبب بعدها عن أحبائها المحتفلين بها وبعدهم عنها ، لأنهم لا يرونها ولا يشعرون بها رغم وجودها بينهم . فهو تصوير شعرى رائع . لا نعلم من أين يجىء الاعتراض عليه ؟!

(١) فى ص ٧٨٤ .
(٢) راجع ما سبق فى ص ٨٠١ .

ويقول أيضا إن فى قصيدة عيد الأم بعض أبيات لا تدنو من شعر شوقى (وهذا يعنى أن باقيها يدنو) ... وما هى هذه الأبيات التى لا تدنو منه ؟

منها البيت الذى تقول فيه الروح مخاطبة عيد الأم:

بالبشر ضمّنت العناصر وحدة   فعلاك فى أوجٍ رسىّ فرقد[١]

« فهل يوصف الأوج بأنه رسىٌّ ؟ وهل ثمة أوجٌ متحركٌ وأوجٌ راسى وأى فارق بينهما فى الدلالة على نهاية العلو؟ ». ونظن أن الفارق ضخم ، لأن الأوج الرسى هو الثابت الذى لا يتزعزع ولا ينزل عن مكانه فى نهاية العلو ، وهو لا يتحقق بالنسبة للأوج المتحرك المعرض لأن ينزل عن علوه فى أية لحظة.

ثم ينقد الدكتور البيت الآتى نقداً غريباً حقاً وهو :

فقت الأئمة فى استخارة نهجها   فإذا التوافق بالإخاء مشيّدُ[٢]

فيقول «فما معنى أن عيد الأم فاق الأئمة فى استخارة نهجهم ؟ إنه يريد أن هذا العيد حقق من الإخاء ما لم يحققه دعاة الإصلاح ، فهل هذا صحيح؟ وهل الاحتفال بعيد الأم يكفل من وحدة المشاعر والتسامح والإخاء أعظم مما تكفل دعوات المصلحين وبحوثهم ؟ وهل فى الاحتفال بعيد الأم من معانى الوحدة أعظم مما فى الاحتفال بوفاء النيل ، وبشم النسيم ، وبعيد العمال، وبعيد النصر؟ »...

فهل تتوقع ياسيدى الناقد من شاعر يريد أن يحيى عيد الأم بقصيدة عصماء أن يلاحظ فى نفس هذه القصيدة أن عيد الأم لا يكفل من وحدة المشاعر والتسامح والإخاء أعظم مما تكفل دعوات المصلحين وبحوثهم ؟! وهل يكون شاعراً إذا فعل ذلك ؟! أو إذا راح فى نفس هذه القصيدة يفضل على عيد الأم عيد الاحتفال بوفاء النيل، أو شم النسيم ، أو عيد العمال، أو عيد النصر ؟ !

(١، ٢) راجع ما سبق فى ص ٨٠٦ .

ثم ما علاقة هذه الأعياد كلها بوحدة المشاعر والتسامح والإخاء بين بنى البشر فى كل أنحاء العالم ؟! .. وهو المعنى الذى يريد الشاعر أن يجعل من عيد الأم وحده رمزاً له معبراً عنه ؟! ...

وهكذا فإن ملحوظات الأستاذ الدكتور الحوفى ، تمثل — فى تقديرى المتواضع — محض أمور خلافية تتفاوت فيها تفاوتاً حتميا الأذواق والمشارب ، وقد تتباين فيها وجهات النظر كما قد تتباين فى الحكم على أى عمل أدبى أو فنى مهما كان رائعاً . وقد وجه نقد أشد من هذا وأقوى إلى أشعار شوقى المدونة فى «الشوقيات» من نقاد وأدباء كبار مثل الأستاذ الدكتور طه حسين، والمرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد ومن الدكتور الحوفى نفسه فى بعض مؤلفاته عن شوقى .

وذلك بالإضافة إلى أن بعض ملحوظاته لا يمثل سوى نقد لبعض مبالغات شعرية جائزة وجميلة ، بل هى من مستلزمات الشعر الراقى ، وهى من خصائص «الشوقيات» بالذات ، ومن ذلك مثلا النقد الذى وجهه إلى هذا البيت :

فقت الأئمة فى استخارة نهجها فإذا التوافق بالإخاء مشيَّدُ

وهذا النقد — فى جملته — إن دل على أمر فهو على أن التقرير كتب — كما هو واضح — بروح حذرة تماماً ، وناقدة جداً ، بل مغالية فى حذرها وفى نقدها ، ومع ذلك كله فقد انتهى إلى نتيجة لا تختلف فى جوهرها عن النتيجة التى وصل إليها العلماء الكبار الأساتذة محمد عزيز أباظه، وأحمد الشايب، ومحمد عبد المنعم خفاجه ، وعادل الغضبان ، وبدوى طبانة، وعلى الجندى. وهذه النتيجة الهامة هى أن « بين هذه القصائد وشعر شوقى فى حياته بعض ملامح من التقارب ... مثل :—

أولا كثرة الصيغ الإنشائية من نداء وتعجب واستفهام وما يماثلها .

ثانياً : التوسع المجازى فى دلالة بعض الكلمات .

ثالثاً : رصانة بعض القوافى ورنانها .

رابعاً : طول النفس أحياناً .

خامساً : جزالة التعبير وقوته فى بعض الأبيات ... » .

كما قرر الدكتور الحوفى أيضاً أن فى هذه القصائد « ملامح من شعر شوقى صياغة ، وخيالا ، ورصانة فى القافية ، واسترعى نظرى أن بعض القصائد طويل.

« لكنى مع هذا فى عجب لأنكم تؤكدون أن السيدة الوسيطة لا تساعدها ثقافتها على قرض الشعر ، ولو أنها كانت هى المنشئة لهذا الشعر لعزته إلى نفسها لأن هذا أجدى عليها وأعظم فخاراً لها (فتأمل) . كما أنى أعجب من أن يعنى شخص نفسه بمحاكاة شوقى فى قصائد كثيرة بعضها طويل ، وموضوعاتها متعددة . وإننى إذ أعلن دهشتى أسجل فى صراحة وجلاء أن وراء هذا سراً لا أعلمه بل يعلمه الله جل شأنه ، مخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ، وخالق الأرواح وقابض الأرواح » أحمد الحوفى .

فتأمل فى نتيجة هذا التقرير الناقد ... فهل يمكن لأحد أن يقلد شوقى حتى فى «التوسع المجازى فى دلالة بعض الكلمات ، وفى رصانة بعض القوافى ورنانها، وفى طول النفس ، وفى جزالة التعبير وقوته ... » ؟ ثم يحاكيه أيضاً « صياغة ، وخيالا ، ورصانة » ... الخ . وهل ينال من قوة هذا التماثل فى دلالته بعض انتقادات وجهها التقرير إلى عدة أبيات تمثل مجرد أخطاء استماعية ، أو محض أمور تقديرية تتباين فيها الأذواق بداهة بين أى قارىء وآخر ، كما هى الحال تماماً فى التباين بين أى قارئين عند حكمهما على القصائد المدونة فى أى جزء من أجزاء «الشوقيات» المطبوعة ؟ ! .

هذا هو رأى الأستاذ الدكتور أحمد الحوفى الذى يضاعف من قيمته تحفظه الشديد فيه، بالإضافة إلى مكانته الأدبية المرموقة . فهو صاحب عدة مؤلفات قيمة

فى شاعرية شوقى بالذات ومنها « النسيب فى شعر شوقى»،و «وطنية شوقى »، و « الإسلام فى شعر شوقى» ، و « الاتجاه الروحى فى شعر شوقى ». وهو الآن بصدد إعداد كتاب جديد عن « الحكمة بين المتنبى وشوقى » .

رأى الأستاذ عادل الغضبان

وقد تفضل أديب العروبة الكبير الأستاذ عادل الغضبان بإبداء رأيه أيضاً فى هذا الشعر فى صورة كتاب رقيق موجه إلىّ ، وقبل أن يسلمنى إياه يداً بيد اشترط على عهداً قاطعاً بنشره كاملا . ولم أكن أعلم أنه يحوى ثناء فى غير موضعه على جهدى المتواضع فى خدمة العلم الروحى بالإضافة إلى رأيه فى هذه الأشعار، بل لقد خيل إلى حينئذ أن له فيها رأياً مغايراً لرأى باقى الأدباء والنقاد فارتبطت معه مقدماً بهذا الوعد القاطع بنشره كاملا ، ونزولا على هذا الوعد فقط ، أنشر كتابه كاملا رغم الثناء الذى فيه ، مقدرا لأديب العروبة الكبير جميل شعوره ، وكريم ثنائه الذى اعتقد جازماً أنى لا أستحق منه شيئاً البتة ، وهاهو نصه :

عزيزى الدكتور رؤوف عبيد

تحية صافية صفاء الروح فى عالم الملكوت ، وبعد فقد سعدت كل السعادة بقراءة الجزئين من كتابك النفيس «الإنسان رح ولا جسد»، وكنت فى أثناء القراءة أنعم بمتعة علوية هزت منى الفؤاد ، كما كنت أدخر فى صدرى كنوزاً من المعرفة فى « العلم الروحى الحديث » غنيت بها نفسى ، وازدادت اقتراباً من عالى نجاده .

فما أن فرغت من هذا السفر العظيم حتى رأيتنى معجباً بل مدهوشاً من واسع اطلاعك ، وفياض علمك ، وجميل أسلوبك السهل الممتنع الذى عمدت إليه فى

السرد والبحث والتقرير والإقناع ، فأصبح ينطبق عليك قول البحترى فى المتوكل :

أبدتَ من فصل الخطاب بحكمة　　تُنبى عن الحق المبين وتخبرُ
حتى لقد علم الجهول وأخلصتْ　　نفس المروّى واهتدى المتحيرُ

ولئن كنتَ وقفتَ قلمك على هذا العلم وحده لنقُولنّ تخصص فبرع ، ولكننا نعرف أن لقلمك جولات أخرى موفقة جال بها وصال فى حلبات القانون والتشريع وأسفرتْ عنها كوكبة من الأسفار طبعت كلها غير مرة وتداولتها الأيدى ، فلا عجبَ إذن أن نعجب بل أن ندهش من هذا القلم الضليع المتعدد الجوانب والأثر ، الضارب بسهم وافر فى كل فن وعلم . عشتَ وعاش قلمك هزاراً يغرد فوق كل أيكة وفنن ، ويخلب الألباب بأهازيج الخير والحق والجمال .

* * *



الأستاذ عادل الغضبان

بقى أن أطالعك برأيى فيما ورد فى الكتاب من قصائد أملاها روح شوقى وروح حفنى ناصف(١) . أما شعر حفنى ناصف فلا يشق على الناظر فيه أن يقرر أنه فى مستوى شعر حفنى على الأرض ، وأنه يحكيه جمال ديباجة ، وبلاغة أسلوب ، ولا يشوبه إلا استعمال « القبض » فى عروض بعض الأبيات فى مثل قوله :

---

(١) فى المبحث السابع سنقدم بعض نماذج من شعر حفنى ناصف .

الشـعر يعجز والأفـكار والقلم حتى الطيور إذا غنت لتنشدنى

وأما شعر شوقى فأنا مع إخوانى الأدباء والشعراء الذين وافوك بآرائهم فى أن هذا الشعر يحوى معظم خصائص شوقى ولوازمه . فإن نحن تأملنا فى بعض هذه القصائد، ولا سيما الدالية التى أملاها فى الاحتفال بذكراه السادسة والعشرين، لم نتردد قط فى الحـكم بأنها من شوقى لما اشتملت عليه من قدرة ، وبلاغة ، وعمق ، وسلاسة ، وشاعرية انحدرت من مصدر الإلهام .

على أننا إذا أمعنا النظر فى بعضها الآخر وجدنا فيها مع علو النفس أخطاء وجوازات غير مستحبة تنزه عنها شعر شوقى فى دنيا البشر كما يتنزه عنها شعر الفحول من أمثاله ، فهل أحل لنفسه فى عالم الروح ما حرّمه عليها فى مناكب الأرض ؟ومن ذلك استعماله «القبض» فى غير «التصريع» . أما القول بأنه ركب هذا المركب على الأرض ودللت على ذلك بالأمثلة التى ضربتها من شعره فما هو فى الواقع « قبض » وإنما هو « تصريع » يجرى فيه العروض والضرب فى مطالع القصائد على وتيرة واحدة ، وكذلك فى كل مقطع من مقاطع الموشحات إذا شاء الشاعر أن يلتزمه .

ومن ذلك أيضاً : اختلاس حركة الهـاء المسبوقة بحرف متحرك فى مثل « شرطه ونصابه » والجمهور على إشباعها .

ورفع ما يجب جزمه كقوله : فإن أدنو — إن تزكيه، واستعمال مفتعلين فى بحر الـكامل ، والجمع فى القافية بين « أقسمْتَهُ » ، و « جفوته » فى قصيدة واحدة مما لا يرضى عنه علماء العروض . هذا إلى بعض تراكيب ضعيفة ركيكة من مثل قوله :

أوفت على سنن الذكرى محالقة. مهج تفدّى أحيت آى وجدانى

فان قيل إن شعر شوقى على الأرض فيه العالى الذى لا يسامى ، وفيه

الوسط قلنا إن ذلك الشعر فى جميع درجاته قد خلا من هذه الشوائب ، فلم يجز شوقى لنفسه منها إلا استعمال « سقيته » و « لحته » وما جرى مجراها قافيةً فى قصيدة واحدة كتلك التى حيا بها لبنان وهى من رفيع شعره فقال فيها :

السحر من سود العيون لقيته　　والبابلى بلحظهن سقيته
فى كل رابية وكل قرارة　　تبر القرائح فى التراب لمحته[1]

والشعراء القدامى كانوا يلتزمون القافية المؤسسة فى القصيدة كلها على حد قول بشّار :

يا منظراً حسنا رأيته　　من وجه جارية فديته
بعثت إلى تسومنى　　ثوب الشباب وقد طويته

وهكذا إلى نهاية القصيدة . . . . . ولكن رغم هذه الملحوظات تأمل فى النتيجة التى ينتهى إليها هذا التقرير الناقد فى عمق وفى مقدرة أدبية أصيلة :—

« وبعد فكيفما كان الأمر فهذه قصائد تسير وشعر شوقى على سنن واحد . فإن كانت من نظم سواه فإنها من نظم شاعر يحاكيه موهبة فذة ، وعمق تفكير ، وبلاغة تعبير ، وجمال تصوير ، فما أجدره عندئذ أن ينسبها إلى نفسه على ما بها من هنوات لا تقدح فى شاعريته ، فيكون فى طليعة الشعراء . فلننزل إذن على حكم العلم الروحى ففيه كل الغناء .

ولكن يطرأ على الخاطر فى هذا المجال سؤال يقول : إذا فارق الروح الجسد وانتقل إلى عالمه الروحانى أفيبقى على مثل ما كان عليه فى الأرض قوة ، وذكاء ، وموهبة ، أم يختلف عنها ارتفاعاً وانخفاضاً ؟ إن العلم الروحى هو الذى يستطيع الجواب ، وفى جوابه هداية للمدلجين . وسلام الله عليك يا أخى » .

القاهرة فى ٢٠/١/١٩٦٨　　من المخلص عادل الغضبان

(١) إذا كان أمير الشعراء قد استخدم القافية على هـذا النحو فى قصيدة له منشورة فى الشوقيات ، فما الذى يمنعه من استخدامها من جديد فى إحدى قصائده التى أملاها من عالم الروح ؟ ! . . ومن يدرينا أنه لا توجد شوقيات أخرى قد نحت نفس النحو فى استخدام القافية ؟ ! . .

هذا هو نص تقرير العلامة والشاعر المبدع الأستاذ عادل الغضبان وقد كتبه — كما هو واضح من عباراته — بعد دراسة هادئة ناقدة وانتهى فيه إلى التسليم « بأني مع إخواني الأدباء والشعراء الذين وافوك بآرائهم في أن هذا الشعر يحوي معظم خصائص شوقي ولوازمه ، وأننا إن نحن تأملنا في بعض هذه القصائد : . . لم نتردد قط في الحكم بأنها من شعر شوقي لما اشتملت عليه من قدرة ، وبلاغة، وعمق ، وسلاسة ، وشاعرية انحدرت من مصدر الإلهام . .

ويضاعف من قيمة هذا الرأي صدوره عن عالم ظل لمدى أكثر من عشرين عاماً أستاذاً ضليعاً للأدب العربي والبلاغة قبل أن يصبح حالياً « نائباً للمشرف العام على دار المعارف » ومديراً للنشر فيها . بالإضافة إلى أنه رئيس تحرير مجلتي « الكتاب » و « اقرأ » ، وعضو بلجنة الشعر « بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية » . وهو قبل كل ذلك الأديب الشاعر الموهوب المحلق في آفاق رائعة في ديوانه « من وحي الإسكندرية » ، وفي قصصه الطلية مثل « ليلى العفيفة » ، و « أحمس الأول » بالإضافة إلى العديد من الدرر الأدبية المعروفة .

عن الهنوات التي أشار إليها هذا التقرير

أما عن الهنوات التي وقعت في بعض أبيات قليلة من هذه القصائد ، والتي وصفها هذا التقرير بأنها « لا تقدح في مزايا هذا الشعر » الذي يحاكي شعر شوقي فأسبابها متعددة وهي في الجملة :ـ

أولاً : أن السيدة الوسيطة مقطوعة الصلة تماماً بالشعر ، وبالبلاغة ، وباللغة الفصحى، والتراكيب الصعبة النادرة . ولا ريب أن هذه القصائد لو أمليت — تليفونياً مثلاً — على حامل ليسانس في الآداب أو دكتوراه لوقع في هنوات تتجاوز هذه بكثير . فما بالك إذا كان لا يحمل سوى الابتدائية ؟ ! وكان الإملاء من مستوى أثيري عن طريق الإلهام ، أو التخاطر « التلباثي » وليس عن طريق الأذن المادية ؟ ! . .

ثانياً : أن من المعروف — روحياً — أن عقل وسيط الإلهام أو التخاطر يظل نشيطاً عاملاً — ما لم يقع في غيبوبة وساطية تامة — ومن ثم فإن له دوره كجهاز استقبال حي ، مختلف تماماً عن دور أجهزة الاستقبال الآلية كالمذياع أو المسرة أو نحوهما . بل إن العقلين الراسل والمستقبل يعملان معاً in interaction بأسلوب مختلف بداهة عن الأساليب الآلية . هذا وقد سبق أن بينت كيف أن السيده الوسيطة تتلقى كل ما تتلقاه — شعراً كان أم نثراً — وهي في كامل وعيها ، فلا تروح في أية غيبوبة تامة أو جزئية . وفي مثل هذه الحالات إذا كانت نسبة الصواب تتجاوز قانون الصدفة ، فالموهبة الوساطية موجودة لا ريب فيها . ولكن إذا كانت هذه النسبة تصل إلى ٩٠ ٪ مثلاً لكفى ذلك للقول بأنها تملك موهبة وساطية نادرة في قوتها ، ومن مرتبة عالية جداً . أما الصواب بنسبة ١٠٠ ٪ فلم أقرأ أن أحداً من وسطاء الإلهام أو الجلاء السمعي بالذات قدر أن يصل إليه حتى الآن في تاريخ الروحية كله[١] .

ثالثاً : أن تطور بعض الأساليب خصوصاً على الأمد البعيد — جائز هناك كما هو جائز هنا . وقد حصل بعض التطور حتى في حياة شوقي الدنيوية بين بعض شعر شبابه وشعر شيخوخته ، فما بالك بما يحدث بعد الموت من تطور هائل في وعي كل إنسان وفي تقديره لأمور كثيرة ؟ !

رابعاً : كما روى لنا روح شوقي — في غير حضور وسيطته هذه — قائلاً في شأن تعليل أمثال هذه المنوات ، إنه يلقي بعض أشعاره ارتجالاً ، فلا يراجعه بنفسه كما كان يفعل بالنسبة لشعره القديم . ثم وجه إلي عبارة كالآتي : « وأنت ألا تضبط بعض العبارات حتى بعد جمع حروفها بالفعل في المطبعة » ؟ !

خامساً : ولا ينبغي أن يفوتنا أيضاً أن بعض من راجعوا هذه القصائد

---

(١) وهذا القول لا ينطبق بطبيعة الحال على وسطاء الكتابة التلقائية Automatists الذين يقومون بدور محض آلي .

تصرفوا فى بعض الـكلمات التى بدا لهم أن الوسيطة أخطأت فى تلقيها . ومن المتصور أن يكون هذا التصرف بدوره مصدراً لبعض صور القبض أو الجوازات التى قد تبدو غير مألوفة فى «الشوقيات» ، والتى وقعت فى أبيات متناثرة تعد بالآحاد بين طوفان من أبيات تعد الآن بالآلاف خلت من كل شائبة أو اعتراض أياً كان نوعه .

وهذا كله متصور ومسلّم به ، أما الأمر الوحيد غير المتصور إطلاقاً فهو أن يوجد بين الأحياء شاعر واحد يحاكى شوقى فى « قدرته ، وبلاغته ، وعمقه ، وسلاسته ، وشاعريته » . وأنه إذا وجد جدلاً هذا الشاعر الفذ فإنه ينـكر نفسه ، ويتخفى — لغير أية حكمة مفهومة — وراء الموهبة الوساطية لسيدة فاضلة لا تبغى جزاء من أحد ولا شكوراً ، وتعيش فى عزلة تامة ، وفى ترفع عن كل بريق لهذه الدنيا الباطلة .

رأى الدكتور بدوى طبانة

وقد تفضل أيضاً بكتابة تقرير مفصل برأيه فى هذه الأشعار العلامة الدكتور بدوى أحمد طبانة أستاذ « كرسى البلاغة ، والنقد الأدبى ، والأدب المقارن ، ورئيس هذا القسم حالياً « بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة » . وقد اشترط علىّ — هو أيضاً — نشر تقريره بالـكامل . ونزولاً على هذه الرغبة ، أنشر تقريره فيما يلى على الرغم مما حواه من ثناء كريم فى غير محله على جهدى الضعيف مقدراً للأستاذ العلامة نبل شعوره نحوى ، وراجياً أن أكون عند حسن ظنه بى ، وها هو نص التقرير :

عزيزى الأستاذ الدكتور رءوف عبيد .

تحية طيبة وبعد . فقد أتحت لى جولة عميقة فى رحاب الدراسة الروحية فى سفرك القيم « الإنسان روح لا جسد » الذى تفضلت بإهدائه إلىّ ، وما أبدع ما تخيرتَ من عنوان يصور الحقيقة التى أجمع عليها العقلاء على مر العصور ،

فليس الجسد إلا الوعاء الذى تتحيز فيه الأرواح ما قدّر لذلك الجسد من البقاء فى الحياة الدنيا . والجسد والروح فى صراع دائم إذ هو يضيق عنها ، وهى تضيق به ، لأنها نزاعة دائماً إلى عالمها العلوى ترفرف فى سمائه حرة طليقة ، وهو يجذبها إلى حدوده الضيقة ، فيشعر بذلّ الإسار ، وضيق القيد الذى يحبسها عن التحليق فى مجالاتها الفسيحة وعوالمها الرحيبة .

وقد عبر عن ذلك الإحساس الصادق حكيم المعرة فى قوله :

أسير فى الثلاثة من سجونى   فلا تسأل عن الخبر النبيث

لفقدى ناظرى ولزوم بيتى   وكون الروح فى الجسم الخبيث

والإيمان بالروح شعبة من الإيمان بالله ، وملائكته ، ورسالاته ، ويستتبع الإيمان باليوم الآخر ، وبالبعث والنشور ، وبالثواب والعقاب ، إذ كان الجسد مما يبلى ، وكانت الروح مما يبقى .

وبعد ، فإنى لست أظن الأستاذ الكبير فى حاجة إلى شىء من هذا ، وهو من أهل الدراية به والحجة فيه ، بما نصب نفسه له من الدراسة الممعنة ، والبحث العميق فى هذا المجال الفريد ، حتى أصبح فى طليعة المتخصصين فى عالمنا العربى . ولكنى قرأت بإمعان قصائد الشعر التى سجلت فى هذا السفر النفيس، والتى نسب نظمها إلى روح المرحوم أحمد شوقى ، وأحسب أن الأستاذ العالم الجليل يقدر الشك الذى هو أساس البحث الجـــاد وسبيل الوصول إلى الحقيقة .

إن فكرة الإلهام فى الآداب والفنون ليست من الأفكار الجديدة فى المرحلة الحضارية التى تحياها الإنسانية فى هذا القرن العشرين ، ولكنها ترجع فى قدمها إلى عصور الحضارة الأولى ، وإلى خصب الحياة الفكرية عند اليونان منذ أكثر من خمسة وعشرين قرناً من الزمان . فقد أشار إليها سقراط فى دفاعه عن نفسه ، وهو يذكر لقضاته محاولاته للوصول إلى الحقيقة ، فقد كان الشعراء

فى مقدمة الذين قصد إليهم سقراط . وهو يظن أنهم أصحاب المعرفة الناطقون بالحكمة والمعبرون عن الحقيقة ، وكان مما قاله لقضاته إنه وجد الشعراء لا يعرفون شيئاً من الحكمة على الرغم مما يبدو فى كلامهم من السحر والخلابة ولا يعرفون من معانى ما يقولون شيئاً أكثر مما يقول غيرهم أو يفهم غيرهم ، وما يجرى فى كلامهم من معان وأفكار إنما هى معان غير مقصودة ، وعندئذ أدرك أن الشعراء لا يصدرون فى الشعر عن حكمة ، وإنما شعرهم الذى يستمتع به الناس ضرب من الإلهام الذى اختصوا به ، ويشبههم سقراط بالقديسين والمتنبئين الذين ينطقون بروائع الأشعار ، وهم لا يفقهون لها معنى !

فالشعر عند القائلين بالإلهام ليس عملاً من أعمال الوعى ، بل هو عمل من أعمال اللاشعور ، ويكون الشعراء فى هذه الحالة بمنزلة الواسطة أو أدوات التوصيل التى لا تأثير لها فى العمل[1] .



الدكتور بدوى طبانة

* * *

وجملة الأمر عندى أن سبيل ذلك كله هو الجواز الذى لا يرقى إلى درجة اليقين ، لأن اليقين لا يكون إلا عن أسباب ومقدمات اعترف أنها ليست بين يدى ، ولم أزاول من تجاربها شيئاً ، ومعرفة الشىء كما يقولون فرع عن تصوره ، وليس من المقبول التصدى لذلك بالجحود والإنكار ، ما دمنا نؤمن بكثير من القوى الخفية التى تؤثر فينا ، ويستعصى إدراكها فى عالم الحس على الكثير منا ، وإن كنا ندرك آثارها ، أو ندركها فى آثارها

وإذا كان حديث الأرواح التى انتقل أصحابها إلى دار البقاء بمثل ما كانوا يتحدثون به فى دار البقاء إلى طبقة خاصة من البشر أمراً ممكناً عند القائلين

(١) وهذه إلى حد ما وجهة نظر العلم الروحى الحديث ... راجع ما سبق فى هذا الشأن فى ص ٧٤٥ — ٧٥٥ .

بعلم الأرواح ، فليس صدور مثل ذلك الشعر عن روح المرحوم أحمد شوقى أمراً مستبعداً ، فإن ذلك الشعر الذى نقله الكتاب عن مجلة « عالم الروح » ، وكذلك الشعر الذى اختصت به روح شوقى مؤلف هذا الكتاب ، قريب الشبه من شعر شوقى ، وفيه من خصائصه الشىء الكثير ، فإن الأغراض التى عبر عنها ذلك الشعر هى الأغراض التى كان يعالجها شوقى فى حياته ، وهى فى جملتها — إذا استثنينا شعره المسرحى — أغراض تثيرها المناسبات التى كان شوقى ينتهزها ، فيصوغ فيها قصائده الفاخرة التى يطول فيها نَفَســـه بما يبث فيها من ثمرات تجاريبه ، وقراءاته ، وقدرته على التمثل ، ثم ملكته البيانية البارعة التى ارتقت به إلى زعامة الشعر وإمارة البيان فى العصر الحديث .

ولو امتدت بشوقى الحياة لكان فى جملة شعره ما يعبر عن أمثال تلك الأغراض بين كبريات الأحداث العامة والخاصة التى كان لا يفوته التعبير عنها . وقد عرف عن شوقى فى حياته أنه كان سريع الاستجابة للنظم فيما يطلب منه المشاركة فيه بشعره الذى قلما فاتته مناسبة من المناسبات .

***

ولعل من أروع هذه القصائد وأقربها إلى شعر شوقى وأكثرها تمثيلا لمذهب شوقى وطريقته فى قرض الشعر قصيدته التى عنوانها « إلى المتشككين »[1] . فإنها مجتمع لخصائص شعر شوقى الذى كان يرسله فى حياته ، والذى يمتاز بروعة المطالع ، وجودة العبارة التى تجمع بين رقة المعاصرين وجزالة الفحول المتقدمين الذين كان شوقى يدمن قراءتهم ، ويديم التطلع فى آثارهم .

كما نجد فيها طول النفَس الذى كان ينفرد به شوقى بين المعاصرين ، مع التزام وحدة الوزن ، ووحدة القافية ، وهى خصيصة من خصائص فحول شعراء العربية المعروفين ، بالإضافة إلى موسيقى الشعر الصافية التى امتاز بها شعر شوقى

(١) منشورة فى ص ٧٧٧ — ٧٨٢ .

فى حياته . والذى كان يؤثر فيه سلامة الأوزان من العلل والزحافات .

ذلك كله بالإضافة إلى ما عرف عن شوقى من كثرة حديثه عن الرسل والأنبياء ، وكثرة مناجاتهم فى كثير من قصائده المأثورة ، وبالإضافة إلى تزاحم الحكم التى كان يصوغها ببيانه الأخاذ المشرق ، ويبثها فى شعره الذى ينحو فيه منحى أبى الطيب المتنبى من حيث ترادف الحكم . ومظاهر كثرة التجارب ، والتوغل فى التأمل والتفكير .

ويضيق المقام عن الاستشهاد بهذه الخصائص البارزة فى هذه القصيدة بالذات ، وفى قصيدته الأخرى « تحية وتأييد » التى وجهتها الروح تحية لكم ولكتابكم النفيس « الإنسان روح لا جسد »(١) . فكلتاهما شاهدة على الشبه الواضح بالمأثور من شعر شوقى .

وكذلك تجد شوقى فى عدد من القصائد الأخرى المنسوبة إلى روحه ، كقصيدته التى قيل إنه أرسلها إلى المحتفلين بذكراه السادسة والعشرين التى مطلعها :

كبرتُ باسم الخالق المعبود الحج جمع أم طواف العيد؟(٢)

وقد اشتملت على عدد من الخواطر ، وتنقلت بين عدد من الأغراض ، تكوّن فى مجموعها تحية السجين لمن لا يستطيع المشاركة فى الميدان الذى يعد نفسه الفارس المجلى فيه ، والتنفيس عن المكبوت من الأمانى والرغبات ، ومحاولة الدفاع عن شاعريته أمام منتقصيها من أعدائها فى حياته .

وقريب من تلك الخواطر التى بثها فى بائيته التى أولها :

ضج الإباء وهاج النقد من عجبى خدن يهاجم ند الفكر والأدب(٣)

(١) راجعها فى ص ٥ — ١٦ .
(٢) راجعها فى ص ٨٠١ — ٨٠٤ .
(٣) راجعها فى ص ٧٨٦ — ٧٨٨ .

وفيها مثل ذلك الدفاع الحار عن نفسه وشاعريته ، وهو دفاع مشوب بالتيه والفخر ، ورجوع إلى بعض الأحيـــاء فى استعطاف ليقروا زعامته لفنه الأصيل .

وفى طويلته الميمية التى حيا بها «جمعية الشعراء»[1] تصوير فضفاض لعنايته بذلك الفن فى أخراه ، كما كان يمجده فى دنياه وفيه شيء من النقد لدعاة التجديد فى أوزان الشعر وقوافيه .

إن هذه القصائد — وأمثالها تمثل شعر شوقى فى حياته . فهى مجتمع خصائصه الفنية فى التعبير ، وفى استلهام المعانى من الخواطر السائرة ، ومن أحداث التاريخ ، والذكريات الغابرة . . . ثم فى طول النَفَس فى تلك القصائد ، وهى إحدى الخصائص التى يمتاز بها شعر شوقى المأثور

وأستطيع أن أقول فى غير تحفظ إن كثيراً من هذا الشعر — ولا أقول إن هذا الشعر كله — لو كان مضموماً إلى « الشوقيات » وقرأه الناس على أنه منها لم يتردد واحد من القراء أو من النقاد فى أنه لشوقى . فإن الفرق بين شعره فى الشوقيات وما ينسب إلى روحه فى عالم البقاء ضئيل قليل .

وإذا كنت قد قدمت أن ذلك سبيله الجواز الذى لا يرتقى إلى درجة اليقين، ولا يهبط إلى مستوى الإنكار ، فذلك لأنه لم يتوافر لى العلم بالأرواح ، وإمكانياتها بعد مفارقة أصحابها عالم الفناء.

***

وإذا كان قد بقى شيء يستحق التعليق فى تلك القصائد، فهو أن فى بعض تلك القصائد بعض العيوب العروضية ، و بعض العيوب اللغوية ، وشيئاً من

---

(١) راجعها فى ص ٨١٣ — ٨١٧ .

العيوب التركيبية ومن ذلك القصيدة التى مطلعها :

برئك كيف شيدت المنارا   وأذكيت الصُباح فصار نارا

وقد وقع فى الأبيات ١٠ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٣١ من زحافات الشعر ما يسميه العروضيون « القبض » وهو حذف الخامس الساكن[1] . وذلك غير جائز فى عروض هذا البحر ، ولم يشر إليه — على ما ذكره الدمنهورى فى حاشيته الكبرى — إلا أبو الحكم الذى أعتبره شاذاً ، واستشهد عليه بقول الشاعر :

علوت على الرجال بخلتين   ورثتهما كما ورث الولاء

ومن المآخذ اللغوية فيما ينسب إلى روح شوقى تعدية الفعل « ضار » بالهمزة فى قوله :

وبثوا الشوك فى عنَتٍ عساه   يضير الباحثين فما أضارا

وهذا الفعل متعدٍ بنفسه يقال : ضاره يضيره ، ولا حاجة لزيادة همزة التعدية[2] .

تلك بعض الملاحظات التى عنت لى وأنا أجيل الطرف فى هذا الشعر الممتع ، وسبحان من تفرد بالكمال والجلال. وأرجو ألا تضيق بهذه الملاحظات الطفيفة سعة عالم الأرواح . وتحية الشكر والتقدير للأستاذ العالم الكبير

١٩٦٨/٧/٣

بدوى طبانة .

* * *

وجلى أن الملحوظات الطفيفة التى وجهها الأستاذ الدكتور صاحب التقرير إلى بضعة أبيات قليلة فى قصيدة واحدة أو قصيدتين لا تنال من قوة البينة المستمدة من آلاف الأبيات التى تتكون منها عشرات القصائد التى أملتها الروح .

---

(١) راجع القصيدة والتعليق عليها فى ص ٨٣٨ — ٨٤٢ .

(٢) وقعت فى الشوقيات المطبوعة هنات كثيرة من هذا النوع كان بعض النقاد يصول فيها ويجول .

والتى خلت فى تقدير جميع النقاد من أية شائبة أو اعتراض . وهذه الملحوظات مشتركة فى جوهرها مع تقرير الأستاذ الكبير عادل الغضبان وقد بينت فيما سبق أكثر من تعليل كافٍ لها ، فلا حاجة للعودة إلى ذلك من جديد هنا[١].

وإذا كان علم الروح يملك أكثر من تعليل لمثل هذه المنوات ، فإن العلم المادى لا يملك أى تعليل لهذه الألوف من الأبيات الرائعة التى تبرز إبرازاً تاماً خصائص شاعر معين بالذات قد غادر عالم المادة منذ سنة ١٩٣٢ ، عندما تكتبها وسيطة فاضلة لا صلة لها بالشعر إطلاقاً . ومن هذه الخصائص الهامة فى تقدير الأستاذ الدكتور بدوى طبانة ـ « طول النَّفَس ، والقدرة على التمثل ، والملكة البيانية البارعة التى ارتقت بصاحبها إلى زعامة الشعر وإمارة البيان فى العصر الحديث » . ثم « روعة المطالع ، وجودة العبارة التى تجمع بين رقة المعاصرين ، وجزالة الفحول المتقدمين » . ثم « التزام وحدة الوزن ، ووحدة القافية ، وهى خصيصة من خصائص فحول شعراء العربية المعروفين » . وذلك بالإضافة إلى موسيقى الشعر الصافية .. وسلامة الأوزان من العلل والزحافات .. » وبالإضافة إلى « تزاحم الحكم التى كان يصوغها ببيانه الأخاذ المشرق ، ويبثها فى شعره الذى ينحو فيه منحى أبى الطيب المتنبى من حيث ترادف الحكم ومظاهر كثرة التجارب ، والتوغل فى التأمل والتفكير ... وكل هذه علامات شاهدة على الشبه الواضح بالمأثور من شعر شوقى ... » .

وذلك كله إلى الحد الذى حمل الأستاذ الكبير صاحب التقرير يدون فى فحصه الناقد المادى « وأستطيع أن أقول فى غير تحفظ إن كثيراً من هذا الشعر — ولا أقول إن هذا الشعر كله — لو كان مضموماً إلى « الشوقيات » وقرأه

---

(١) راجع ما سبق عنها فى ص ٩٢٠ — ٩٢٢ .

الناس على أنه منها لم يتردد واحد من القراء أو النقاد فى أنه لشوقى . . . »
(فانظر وتأمل ! . . .) .

وكل عبارة من هذه العبارات لها قيمتها القصوى عند تقدير التشابه بين الشعرين فى الخصائص الدقيقة التى لا يمكن أن يفوت أمرها على عالم خبير كالأستاذ الدكتور صاحب التقرير، والتى تتحطم دونها أية محاولة يائسة للنيل من قيمة هذه الأشعار ، ومن مستواها الرفيع مبنى ومعنى .

ويضاعف من قيمة هذا التقرير صدوره من رئيس « قسم البلاغة ، والنقد الأدبى ، والأدب المقارن » بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة حالياً ، بالإضافة إلى كونه صاحب عدد ضخم من فحول الدراسات العميقة فى الأدب والبيان . فمن مؤلفاته مثلا « معروف الرصافى» (١٩٤٧)، و «أدب المرأة العراقية» (١٩٤٨) ، و « أبو هلال العسكرى ومقاييسه البلاغية والنقدية » (١٩٥١) ، و « دراسات فى نقد الأدب العربى » (١٩٥١) ، و « قدامة بن جعفر والنقد الأدبى» (١٩٥٤) ، و « البيان العربى : دراسة فى تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى » (١٩٥٦) ، و « معلقات العرب : دراسة تاريخية نقدية فى عيون الشعر الجاهلى » (١٩٥٧) ، و « علم البيان : دراسة تاريخية فنية فى أصول البلاغة العربية » (١٩٦٠) ، و « التيارات المعاصرة فى النقد الأدبى »[(1)] (١٩٦٣) ، و « الصاحب بن عباد الوزير الأديب المتكلم » ١٩٦٤) ، وغيرها من شتى الدراسات الأصيلة فى الأدب والنقد .

رأى الأستاذ على الجندى

وقد تفضل أيضاً علم آخر من أعلام البلاغة والشعر والأدب ، وهو الأستاذ الكبير على الجندى عميد كلية « دار العلوم بجامعة القاهرة » سابقاً ، وحالياً

---

(١) وقد عالج فيه شاعرية شوقى بالذات من ضمن موضوعاته .

أستاذ غير متفرغ للدراسات البلاغية بها ، بإبداء رأيه فى هذه القصائد. فبعد دراسة متأنية ممعنة فى دقتها لخص نتيجتها فى التقرير الآتى نصه :

١ — كثير من الألفاظ التى جاءت فى ثنايا القصائد المملاة هى ألفاظ شوقى فى قصائده المأثورة ، وهى ألفاظ تنفح بالترف والنعيم .

٢ — البحر المفضل لدى شوقى كان البحر الكامل ، وهو كذلك بحره المفضل بعد الموت .

٣ — كثرة الحكم والأمثال فى شعره الأصلى والملى .

٤ — استعمال أساليب الإنشاء بكثرة كالاستفهام والتعجب ، وخصوصاً فعل الأمر ، وهى من لوازم شوقى .

٥ — كثرة الألفاظ اللغوية المعجمية التى كان يستعملها ويشيع فيها الحياة، وهى من خصائصه .

٦ — مطالعه الباهرة المصرّعة(١) .

٧ — أسلوبه الفخم الذى عرف به ، والذى يساوقه إلى نهاية القصيدة إلا قليلا فى أكثر شعره.

٨ — تهافته فى بعض الأبيات مما أخذ عليه حياً ، وهو من سمات الطبع والبعد عن التكلف .



الاستاذ على الجندى

٩ — حبه للسلام والتصافى وكراهة الحرب والخصام والعنف ، وهو متجل فى شعره الملى .

١٠ — صحة العقيدة ، وتمجيده للخالق الأعلى ، ودعوته إلى مكارم الأخلاق والتمسك بالفضائل ، وهذا شىء مأثور عنه رحمه الله .

« والذى لا شك فيه أنه لا يمكن لأى

(١) أى أن قافية الصدر فيها مثل قافية العجز .

شاعر مهما علا كعبه ـ فضلاً عن السيدة الوسيطة المحدودة الثقافة ـ أن يقلد شوقى بهذا الشعر ، أو يأتى بما يشبهه . وليس هناك ما يدعو سيدة جليلة إلى تحمل هذا العناء ، وكان الأفضل مثلاً أن تنسبه إلى نفسها فإنها تكسب بذلك شرفاً عظيما وتكون أشعر شاعرة فى هذه الأمة » .

٣/ ١٠/ ١٩٦٦ — على الجندى

فتأمل ملياً فى هذا التقرير الخطير ، وتأمل ملياً فى نتيجته الأشد خطورة . فهو خطير لأنه فى كل عبارة منه يمثل فهماً صحيحاً وعميقاً لشاعرية شوقى ، ولخصائصها المميزة التى لا يمكن أن يفوت أمرها على عالم خبير كالأستاذ الكبير على الجندى . ولأنه يشير فى نفس الوقت إلى الطريقة الفاحصة المدققة التى راجع بها القصائد المملاة ، بالمقارنة مع القصائد المدونة فى « الشوقيات »

ويكفى أن تراجع خاصية كالخاصية الثالثة ، وهى « كثرة الحكم والأمثال فى شعره الأصلى والمملى » لكى تدرك ذلك ، فهل سمع أحد عن قدرة حازها أحد من البشر إطلاقاً على تقليد الحكم والأمثال ؟ وتقليدها شعراً لا نثراً ؟ وفى نفس رصانة وجزالة شاعر معين بالذات لعله أبرز الشعراء فى تاريخ الشعر العربى ؟ ! ..

ويكفى أن تراجع أيضاً خاصية أخرى كالخاصية الخامسة مثلا ، وهى « كثرة الألفاظ اللغوية المعجمية التى كان يستعملها ويشيع فيها الحياة » . فكم عالم فى اللغة العربية يمكنه أن يزعم الإحاطة بمعانى هـــذه الألفاظ ـ أو بعضها ؟ ! ثم يستخدمها شعراً لا نثراً ، بل شعراً كشعر شوقى بالذات ويشيع فيها نفس الحياة النابضة التى كان يشيعها فيها شوقى ؟ !

ثم كيف يمكن تقليد المطالع الباهرة المصرّعة ؟ ! والأسلوب الفخم ؟ ونفس الاتجاهات الروحية التى كانت توجه شاعر التاريخ شوقى ؟ !

ثم تأمل فى هذه النتيجة الحاسمة ، الواضحة ، وهى أن الأمر « الذى لاشك

فيه أنه لا يمكن لأى شاعر مهما علا كعبه .. أن يقلد شوقى بهذا الشعر أو يأتى بما يشبهه .. » .

وكل هذا يضاعف من قيمته أنه صادر عن عالم معروف ، وعميد لكلية دار العلوم ، وأحد عمد النقد الأدبى فى بلادنا ، وقد درس الشوقيات بعناية ، وحللها بمقدرة وتأصيل ، وله فيها دراسة عميقة عنوانها « الفنون البلاغية فى شعر شوقى » نشر جزء منها فى الكتاب الذهبى الذى أصدره « المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الاجتماعية » بمناسبة ذكرى شوقى .

والأستاذ العلامة على الجندى فضلا عن ذلك شاعر مطبوع من أعلى طراز، وله عدة دواوين رائعة وهى « أغاريد السحر » (الجائزة الأولى للمجمع اللغوى فى سنة ١٩٤٨) ، و « ألحان الأصيل » ، و « ترانيم الليل » . وله أيضاً جملة مؤلفات هامة فى الأدب والبلاغة منها « فن الأسجاع » (فى جزئين) ، و « فن التشبيه » (فى ثلاثة أجزاء) ، و « فن الجناس » ، و « البلاغة الفنية » . وله بالاشتراك مع آخرين : « أطوار الثقافة والفكر » ، و « فى ظلال العروبة والإسلام » (ظهر منه جزآن) و « حديقة الإنشاء » (فى ثلاثة أجزاء) و « سلسلة المراجعة » (فى ستة أجزاء) . وهو إلى جانب ذلك عضو « بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية » ، وعضو بلجنة الشعر « بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية » .

الحق أحق أن يتبع

نظن أنه بجانب هذه الشهادات الصريحة من أعلام الشعر والأدب المعاصرين ، وعلماء النقد الأدبى — الذى لا يرحم ولا يمالىء — من الباحثين عن الحقيقة وحدها — المقدرين قيمة أقوالهم وخطورة المقام الذى فيه يتحدثون —

ينبغى أن تعتبر زائدة كل شهادة فى أى اتجاه آخر قد تصدر من أى أديب أو متأدب، ممن تعود بعضهم أن يلقى القول جزافاً قبل أن يحسن حتى مجرد قراءة هذه الأشعار أو أن يتفهم ما فيها من آيات البيان العميق والإعجاز الفنى واللغوى، التى تميز أشعار شاعر التاريخ أحمد شوقى.

وأعتقد مخلصاً أن أى إنسان محايد - يبغى الوصول إلى وجه الحق - يمكنه أن يلمس دون كبير عناء ما فى هذه الشهادات من دقة وأمانة، لأن التشابه بين الشعرين صارخ لا يحتاج إلى كبير جهد فى التعرف عليه، ويظهر جلياً كلما ازداد القارىء اطلاعاً على القصائد العصماء من الشعر المتدفق التى لم يتسع المقام لنشرها فى هذا المؤلف، وإنما نكتفى بأن نبين مكان نشرها ليرجع إليها من يشاء[1]. وذلك بالإضافة إلى البينة المستمدة من شهادة وسطاء الجلاء البصرى الذين يرون أحمد شوقى واقفاً بجوار الوسيطة يملى عليها الشعر:

كلمة هارئة

أما المكابر فيأبى تماماً أن يسلم - وله عذره - بأن هذا شعر شوقى

---

(١) راجع من قصائد روح شوقى الأخرى المنشورة فى مجلة «عالم الروح»:

— فى عدد أكتوبر سنة ١٩٥٦ قصيدة عنوانها «نفثات الصدور» من ٢٢ بيتا.

— وفى عدد نوفمبر سنة ١٩٥٦ قصيدة عنوانها «استعراض الماضى» (تتمة) من ٢٨ بيتا فى صورة رباعيات.

— وفى عدد ديسمبر سنة ١٩٥٦ من نفس المجلة قصيدة عنوانها «صوت من الغيب» فى ٧٥ بيتا فى صورة رباعيات أيضاً.

— وفى عددى فبراير ومارس سنة ١٩٥٧ من نفس المجلة يجد القارىء قصيدة أخرى عنوانها «ملك الموت ورسالته السامية» فى ٧٠ بيتا فى صورة رباعيات أيضاً.

— وفى عدد أبريل سنة ١٩٥٧ رباعيات أخرى.

— وفى عدد فبراير سنة ١٩٥٨ قصيدة عنوانها «مأساة التفرقة العنصرية» فى ٤٠ بيتا.

— وكل ذلك بخلاف القصائد العصماء الأخرى التى تنتظر من يتكرم بنشرها إن لم يكن خدمة للحقيقة الروحية، فلأقل خدمة لقضية الشعر العربى، الذى لا يمكن أن ينازع أى إنسان محايد فى أن هذا الشعر من أجوده.

أو بالأقل يحوى نفس خصائصه أو يرقى إلى نفس مستواه وطابعه ، لأن التسليم بذلك معناه التسليم بصحة الدعوى الروحية فى طولها وعرضها معاً ، على خطورة هذه الدعوى إلى المدى الذى يتنافر حتماً مع إمكان التسليم بها فى يسر وبساطة تأباها النفس الإنسانية ، وما طبعت عليه من مقاومة تامة لكل معرفة جديدة على ما بيناه بأسانيده فى مقدمة هذا المؤلف .

وهذا المكابر هيهات أن يقتنع بهذه الحقيقة البسيطة الواضحة ، وهى أن روح شوقى تملى على الوسيطة الفاضلة هذا الشعر الرائع لأسباب قد لا يعرفها هو نفسه ! وإن كان يعرفها فلن يصرح بها ، لأنها لن تخرج فى النهاية عن التمسك بشهادة الحواس ، أو بالأقل عن التمسك بما درج عليه من آراء ثابتة فى أمور شتى يتصور فيها العصمة التامة التى تعلو على مستوى المناقشة المنطقية الهادئة .

إن صاحبنا هذا أيسر له أن يتخيل عدة أمور كثيرة من أن يسلم مقتنعاً بصحة هذه الحقيقة الروحية الواضحة البسيطة : —

— فمن المتصور عنده مثلا أن تكون الوسيطة — لحكمة غير مفهومة — قد اتجهت إلى تقليد شعر شوقى تقليداً محكماً دقيقاً ، بصورة لم يتوصل العلم إلى كشف طريقتها بعد .

— وبصورة سريعة خفية — لم تكتشف بعد — قد ألمت بالعروض والأوزان العربية رغم صعوبتها البالغة ، و بصورة ما قد أتقنتها اتقاناً عجيباً .

— وبصورة ما قد أحاطت بطريقة شوقى وبشاعريته ، واستظهرت قاموسه اللغوى الزاخر بالكلمات الصعبة ، الغنى غناء مفرطاً بالألفاظ الفصحى ، العامر بالمجاهل التى يتوه فيها اللغويون الكبار .

— وبصورة ما قد حازت — وهى حائزة الابتدائية — القدرة على الحكمة الرائعة ، والفلسفة العميقة ، والبلاغة النادرة ، والقول المأثور .

— وبصورة ما قد اكتسبت خيالاً خصباً متدفقاً . فلم يعد لها ــ فحسب ــ خيال الشاعرة المقتدرة ، بل أيضاً خيال الشاعرة التي يلزمها أن تتخيل ما كان يمكن أن يتخيله أمير الشعراء في مثل هذا الموقف أو ذاك ! وما كان يمكن أن تجود به قريحته الوقادة من خواطر ومن أفكار ! وما يتصور أن يصدر عنه من انفعالات وأشعار ، بعد أن انتقل إلى عالم الغيب واطلع على ما في علم الغيب من خفايا ومن أسرار .

— وبصورة ما ــ مجهولة أيضاً ــ قد تتبعت أخبار هذا الشاعر المنتقل ، كيما تحيي هذا الابن ، أو هذه الحفيدة ، أو هذا الصديق ــ كل في مناسبته وباسمه الخاص ــ بنفس أفكاره ، ومشاعره ، وعواطفه المتدفقة المفرطة في رقتها وعذوبتها . . . وكيما ترد على هذا الناقد أو ذاك بالأسلوب الذي يناسب كلا منهم ، إذ لكل مقام مقال .

— وبصورة ــ خفية أيضاً ــ قد تغلغلت في ميوله وذكرياته ومواجيده وانفعالاته نحو كرمة ابن هانىء ، ونحو ماضيه ، ونحو فنون الشعر التي كان يحبها ويجيدها ، وقوافيه وجوازاته التي كان يقرها والتي كان لا يقرها !

— وبصورة ما تشربت بنفس عواطفه المتدفقة نحو بلاده ونيله ، وعروبته وعقيدته . . . ونحو الفراعنة الذين كان يحب أن يناجيهم كثيراً في أشعاره ويحيا معهم في روايات كاملة مثل « قمبيز » و «مصرع كليو باترا » وغيرهما ، وهو ما لا يزال يفعله حتى الآن .

— وفعلت كل ذلك الخداع الماثل سعيدة هانئة ، وفي ثبات وإصرار عجيبين فلم يعصمها عاصم من خلق ، ولا من فضيلة ، ولا من إيمان راسخ عندها بالخلود ، وبأن كل أعمالنا مسطورة في سجل أمين ومعلنة يوماً للعالمين .

— وكما فعلت كل ذلك بالنسبة لأشعار شوقي فعل أيضاً قرينها الإنسان الفاضل الدكتور سلامة سعد بالنسبة لأشعار حفني ناصف !! فأمكنه بصورة خفية

مركبة فى تعقيدها أن يصل إلى نفس ما وصلت إليه قرينته من براعة التقليد لغير حكمة مفهومة، وأن يتضامن معها فى كل هذا الموكب الهائل المستمر منذ سنة ١٩٥٠ لغاية الآن، الحافل بالإفك والبهتان فيما يضر لا فيما ينفع الإنسان ! ! !

إن كل ذلك فى نظر صاحبنا المكابر الذكى متصور ومعقول ! أما أن تكون هناك أية وساطة روحية فأمر — فى نظره — غير متصور ولا معقول، حتى ولو كانت أمثال هذه الوساطة قد حققت فى الخارج ، وصمدت على أعتى صور التحقيق والبحث العلمى الصارم لمدى قرن وربع من الزمان فى جامعات ومعاهد وأكاديميات علمية جادة تماماً .

أى أن صاحبنا الذكى هذا يهرب من الاقتناع بأمر واحد غير متصور — فى نظره — ولا معقول ، عن طريق محاولة إقناع نفسه — وغيره — بعشرات من أمور كلها — عبارة عن استحالات تامة ، بحسب أى فهم لحقائق الأمور ! .

فهو غير مقتنع بصحة أمر واحد يحتمل — حتى قبل البحث — الصحة والبطلان عن طريق محاولة إقناع نفسه وغيره بصحة عشرات من صور البطلان المحققة فى التخريج والاستنتاج ، والاستحالات المؤكدة بحسب حقائق الحياة ، وإمكانيات النفس الإنسانية ، ونوازعها المسلم بها بعد البحث والتحقيق ! .

فلم يسجل تاريخ البشر حالة واحدة من قبل أمكن فيها لأى إنسان أن يستحوذ على كل هذه العبقريات مجتمعة ، وأن يصبح مقلداً موهوباً فيما لا يقبل التقليد من مشاعر وانفعالات ، ومن سكنات وخلجات ، ومن عواطف وذكريات ومن مواهب وملكات ... وما أكثر ما يحتاجه تقليد شوقى من مواهب ومن ملكات !

فتقليد سطور قليلة لكاتب معين مشكلة كبرى ... فما بالك إذا كان التقليد شعراً لا نثراً ؟ ! .. وما بالك إذا كان التقليد يصل إلى قصائد كاملة يبلغ عدد أبيات بعضها أكثر من مائة بيت تفيض روعة وإبداعاً ، ووصل

فى إحداها إلى مائة وستين بيتاً متدفقة فناً وإعجازاً ؟! ... ووصل فى رواية « عروس فرعون » إلى عدة مشاهد فى حوالى ألف وخمسمائة بيت أو أكثر تفيض رقة وعذوبة...؟! وما بالك إذا كان التقليد لشاعر العروبة الذى يعتبره البعض أعظم شعرائها على الإطلاق . فهو إن لم يكن قد بز المتنبى فهو معه على قدم المساواة ؟ ! . وكل ذلك من سيدة لم يتجاوز حظها من الثقافة الشهادة الإبتدائية منذ نصف قرن[1] .

ثم إذا أضيف إلى ذلك كله أن شوقى كان شاعر الفطرة لا الصناعة ، وتقليد الشعر مهما كان التقليد متقناً فهو محض صناعة ، والفارق بين الفطرة والصناعة فى الشعر كالفارق بين الأبيض والأسود ، ولذا فإن أمره لا يمكن أن يفوت على أى أديب ضليع ، يحسن التمييز بين شعر الفطرة وشعر الصناعة ، ولو انصب التقليد على عشرة أبيات فقط من الشعر ، فما بالك عندما يصل إلى ديوان كامل يحتوى على بضعة آلاف منها؟!. ولذا قرر لى أحد كبار الأدباء الذين قاموا بفحص هذه الأشعار لمضاهاتها بالأشعار المنشورة فى الشوقيات إنه لو زج إنسان ما فى القصائد المملاة ببضعة أبيات قليلة تتضمن تقليداً صناعياً من أى مقلد ماهر لشعر شوقى لما فات أمرها عليه من هذه الزاوية وحدها . وهذا الاعتبار وحده ينفى إمكان التقليد فى هذا المقام بالذات فما بالك بالعشرات من الاعتبارات الحاسمة الأخرى ؟ ! .

بل فلندع جانباً حقائق الحياة وطبائع الأمور ، ولنتجاهل مؤقتاً ما يمكن للنفس أن تقدر عليه من أمور ومالا تقدر ، ولنتساءل فى هدوء ... هذه سيدة فاضلة وزوجة طبيب فاضل لا تبغى مالا ، فقد أعطاها الله منه الشىء الكثير ، ولا تبغى شهرة لأنها تهرب بطبيعتها من مجتمعات الأدعياء والفضوليين

---

(١) من كلية البنات بشارع رمسيس بالقاهرة .

وما أكثرهم ، كما تعيش هادئة فى ضيعتها بقرية ميت أبى غالب تعالج المعدم والفقير وتحنو على الكبير والصغير ... إذاً ما الذى يدعوها لكل هذا العناء ؟ هل هذا التحامل المغرض الذى تتعرض له أحياناً من تافه وجهول ، أو من متطفل دعى على مائدة العلم والأدب ؟ إنها لو نسبت كذباً هذا الشعر لنفسها لما فتح أحد فمه بكلمة نقد ولا لوم ، ولكان لها بين فطاحل الشعر أعظم شأن ومكان .

لكنها ترفض ذلك بإباء لأنها ذات ضمير يقظ ، ولأنها تشعر أنها بما تتحمله من عناء الوساطة العقلية الراقية ـ وما أشده من عناء ـ تخدم حقيقة علمية خطيرة خدمة جليلة ثوابها عند الله تعالى وحده ، لا عند أحد من هؤلاء الأدعياء من الناقدين الجهلاء ، وكأن لسان حالها يقول « حسبى الله ونعم الوكيل » ، أما هؤلاء فلا اعتبار لموقفهم منى ولا تقدير ، فى مقام رسالة الروح وطهارة القلب والضمير .

ومع كل هذه الحقائق الناصعة الناطقة بذاتها فإن صاحبنا الذكى هذا عنيد صعب المراس ، لم ولن يقتنع رغم وضوح الحجة وتدفق البرهان ... لماذا ؟ .. لأن الأدلة والشواهد مهما تدفقت على صحة أى أمر من أمور الحياة وكانت حاسمة فإن الاقتناع تلزمه أيضاً شجاعة الاقتناع وهى صفة نادرة ، وأندر منها شجاعة الاعتراف بالاقتناع . فليس المطلوب هو فحسب توافر البينات ـ وهى فى هذا الميدان بالذات أكثر من أن يحيط بها حصر الآن ـ بل المطلوب أولا وقبل كل شيء شجاعة الاقتناع هذه ، وهى نادرة فى بنى الإنسان حتى إذا تعلق الأمر بجزئية صغيرة من الجزئيات ، فما بالك إذا تعلق بدعوى هى أصل الحياة كلها ، ويستوى فى ذلك العالم مع الجاهل ، إذ أن كل الفارق بينهما هو فى أسانيد الاقتناع وأسلوبه قبل أن يكون فى طبيعة الاعتداد بالرأى القديم التى فطر عليها الإنسان من قديم .

بين أمانة الكتابة وأمانة القراءة ! !

ثم إنه للحكم الصادق على مستوى هذه القصائد وتفهم أوجه الإعجاز الباهر فيها لا بد من قراءتها مراراً ، ولا بد من إمعان النظر فى معانيها ومراميها، أى لا بد من دراستها فى أناة و بشرط أن تكون الدراسة من عالم مقتدر، أو من أديب ضليع فى الأدب والبلاغة كيما يحسن إبداء الرأى فى هذه القضية العلمية الأدبية التى تحف بها من كل جانب أسباب الدقة والخطورة معاً . وأن يكون الباحث محايداً قادراً على الاقتناع متى توافرت له أسانيد الاقتناع العلمى الذى يتطلب شجاعة أدبية نادرة فى الرجال.

وإذا أعوزت أى قارىء شجاعة الاقتناع هذه فقد أعوزته أيضاً أمانة القراءة . فكما أنه قد يوجد الكاتب غير الأمين قد يوجد أيضاً القارىء غير الأمين، وكلاهما شر ، ولكن ثانيهما شر من الأول. لأن الكاتب غير الأمين ليس أكثر من دخيل يحاول أن يسطو على اقتناعك بغير رضائك، وهو عرضة لأن تفطن إليه قبل أن يلحق بك ضرراً يذكر . أما القارىء غير الأمين فى القراءة فهو محتال على نفسه يريد أن يصل بالمراوغة إلى اقتناع مزيف سيصل إليه حتماً، لأنه لا توجد قوة قادرة على أن توقفه أو أن تتصدى له باعتراض ، ما دام قد اختار لنفسه طريق الخديعة الذاتية ، كيما لا يتزحزح قيد أنملة عما استقر فى ذهنه من قرائن خاطئة ومن خواطر لجة ، لما عنده كل الجد والسلطان ، إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولا ! .

وهذا القارىء غير الأمين نحو نفسه هيهات أن يكتشف مراوغته لنفسه ، فهو يظلمها هانئاً سعيداً ، ويظلم معها كل حقيقة وكل عدالة . وقد يكون فى نظر نفسه أو فى نظر الناس أديباً أو شاعراً مرموقاً ، لكن ملكة الأدب أو الشعر شىء وملكة الحكم النزيه العادل شىء آخر. وليس لهذا الحكم النزيه العادل وجود مع الارتباط مقدما بفكرة ثابتة ، ليس فى هذا المجال فحسب —

مجال الأدب والشعر - بل فى كل مجال من مجالات العلم أو القانون أو غيرها.
وكم قاسى شوقى أثناء حياته الأرضية من أهواء عمالقة الأدب والشعر، وكم يقاسى حتى الآن من صور النقد المغرض من أدباء ومن أدعياء ... وكم تصدى لهم، ولا يزال يفعل، ببلاغته المعهودة كما رأينا فى قصيدة التصدير لهذا الكتاب وفى بعض أبياتها يقول :

وأنا أحذرّ من عنيد مدّعٍ ... يبدى الظنون إزاء ما أتكلمُ
وأقول بالإشفاق لست مواربًا ... عبْر الأثير لمن عسى يتفهم
إن الخلود تكشفت أسراره ... تهب الشفاء أو العزاء لمن رُموا[1]

إلى أن يقول :

يا لوعة الأحياء ممن أرجفوا ... بجهالة ضد الخلود وأقسموا
هيهات فيهم من يفيق ومن يعى ... ما السدة[2] العلياء، أو ماتنعم!
فإذا رأيت الصابئين[3] بضلة[4] ... وعداءهم للخلد أو من أسهموا[5]
قل أزمن الجهل المسيطر فى النهى ... ليطيل رقدة شارد لا يفهم!

ثم يسترسل فى ملحمته الشعرية معهم التى نشرناها كاملة فى تصدير هذا الجزء، ومجموع أبياتها مائة وستون بيتًا من فحول « الشوقيات ».

* * *

ويلزم أيضًا لحمل أمانة القراءة الأمينة القدرة على الإحاطة بالموضوعات العميقة. وفهمها على نحوها الصحيح. وموضوع الروح بما يرتبط به من أمور، وما يتفرع عنه من مباحث شتى، وما تكشف عنه من حقائق فلسفية ورياضية

(١) لمن رماهم الدهر بالمرض أو بالحزن. (٢) باب السماء.
(٣) الخارجين عن الدين. (٤) مرة من ضل. (٥) جعلوا له أسهماً فيه.

ضخمة يمثل وحدة مترابطة، أكثر عمقاً — بل أكثر ارتفاعاً واتساعاً — من قدرة بعض العقول على الفهم والاستيعاب ، وعلى هضم الحقائق وتمثيلها . وهذا الاعتبار وحده كثيراً ما يخلق من أصحاب هذه العقول أعداء ألداء للروحية ، لأن الناس كما قلت فى التمهيد لهذا المؤلف أعداء لما جهلوا .

وهؤلاء لا تعرفهم فحسب من عدم قدرتهم على الاقتناع ، بل أيضاً من عدم الرغبة فيه . ولذا يرفضون أى اطلاع كاف أو استماع متأن ، ويهربون من أى بحث علمى أو تحقيق محايد ، ويحاربون بشدة كل من يدعوهم لشىء من ذلك ، مهما كان فى دعوته من إخلاص ، وفيها من رغبة خالصة فى الإقناع الأمين . ويصبح فى نظرهم عدواً لدوداً، وكأن من ذنبه أن يكون موضوع الروح أكثر عمقاً — وارتفاعاً واتساعاً — من قدرة بعض العقول على الفهم وعلى الاستيعاب ! . . . وعلى ذلك فمثل هذا الشعر عندهم ليس من مستوى شعر شوقى ولا من فصيلته ، ومن يقول بذلك يكابر فى الحقائق ، و يفترى على الروح الكريمة ، وعلى ذكرى شوقى العظيم رحمه الله ، ورحمنا جميعاً ! . . .

وهؤلاء قد لا يكبد الواحد منهم نفسه مشقة الاطلاع على كل قصائد روح شوقى ، ولا على بعضها ، بل تكفيه بضعة أبيات يقرؤها فى عجالة — وفى انفعال مغرض — كيما يلقى الورقة و يستغفر الله آسفاً على هذا اللغو الذى ينسب زوراً لروح شوقى . وقد لا تكون لصاحبنا هذا أية دراية مع ذلك بشاعرية شوقى ولا بطريقته فى الأداء ، ولا أى اطلاع خاص فى الشوقيات أو فى غيرها . ولا أية قدرة خاصة على الحكم الصحيح المحايد فى القضايا الأدبية الخطيرة كهذه القضية المتصلة وثيق صلة بأخطر قضية يبحثها بدون توقف — منذ قرن وربع — لفيف من أفضل العلماء والفلاسفة والمفكرين فى عدة بلاد.

وإذا أسعفت الظروف السعيدة أحد هؤلاء المتأدبين بخطأ مطبعى أفقد البيت معناه أو وزنه — أو بخطأ استماعى أو إملائى — فقد وضح تماماً فى نظرهم خطورة الافتراء الخطير على روح شوقى . وهؤلاء يتجاهلون أن احتمالات الخطأ متوافرة فى هذا الشأن كما هى متوافرة فى غيره ، لأن السيدة الوسيطة لا تملك باللغة الفصحى سوى إلمام محدود جداً شأن كل حاصل على شهادة الابتدائية وحدها . ولأنها تستمع من مستوى فى الوجود أعلى بكثير من مستوانا المادى ، ولذا تتحمل عناء بالغاً وهى تحاول بفضل موهبة الجلاء السمعى التى حباها الله بها التقاط العبارات من الروح المهيمنة وهى تملى عليها الشعر كلمة فكلمة . وأثناء ذلك يبرز واضحاً احتمال الخطأ فى الالتقاط أو فى التدوين. وكل هذه أمور قد حققها الباحثون الجادون وأجمعوا على توافرها ، وهى لا تنفى صحة الموضوع بل على بالعكس تثبت صحته، لأن من يكتب مثل هذا الشعر العالى لا يمكن أن يقع فى بعض أغلاط العروض ، أو الهجاء ، أو الإملاء، الواضحة التى يكتشفها القارئ لأول وهلة .

وهؤلاء تعرفهم أيضا من انفعالهم الشديد من الحجج القوية ، ولذا فإن البينة المستمدة من قصائد روح أمير الشعراء — لفرط قوتها — من أكثر البينات عندهم استثارة للاعتراض ، وأدعاها للهجوم على الروحية والروحيين !. وهم يفعلون ذلك كما قلت غير متصنعين ولا متكلفين ، بل بدافع من غريزة الدفاع عن النفس عندما تغلق على نفسها أبواب المعرفة وتقاوم كل جديد لا تقدر على فهمه واستيعابه. هانئة سعيدة بما حصلت عليه من علم محدود ، ومن عرفان ضئيل .

وإذ كان هذا القول صادقاً على كل معرفة جديدة يعجز العقل عن استيعابها لفرط عمقها أو اتساعها، فهو يصدق من باب أولى فى هذا الميدان بالذات، ميدان علم الروح لفرط اتصاله بجوانب عزيزة على نفس كل إنسان ، ومن حقه أن يشعر

بجلالها ، وأن يحرص على عدم الاستهانة بها أو التهوين من شأنها فى رسم خطوط قدره ومصيره . وسيعلم القارىء عندما نعالج موضوع « الروح بين العلم والاعتقاد » فى الجزء الثانى أن علم الروح يضع هذه الجوانب العزيزة فى أعلى مكان ، ويحيطها بكل أسباب الجلال والاحترام ، ولكن بعد تنقيتها من شوائب كثيرة علقت بها على مر العصور والأجيال فى أذهان نفر من الجامدين والمتزمتين ، وما أكثرهم فى كل ملة ودين ! .

الزمن وأثره فى الاقتناع

ثم هناك عنصر الزمن ، وما أدراك ما دوره فى الإقناع بالأمور العويصة وإعداد الذهن لفتح مغاليقها ! . . فالاقتناع لا يجىء بغتة ، خصوصاً عندما يراد لهذا الاقتناع أن يكون علمياً مؤسساً على أسانيد منطقية — تجريبية وفلسفية ورياضية — واضحة تنتهى إليه انتهاء محتوماً . وأعصى صور الاقتناع ما يجىء على خلاف ما تعودناه من أمور ، وما ألفناه من أسلوب معين فى التفكير .

فسلطان العادة على توجيه التفكير أقوى من أى سلطان آخر . والناس أنكرو صحة هذه الظواهر الروحية لمدد طويلة وقاوموها طويلا — ولا يزال عدد كبير فى بلادنا ينكرها، وعلى أتم استعداد لأن يقاومها بعنف وشراسة وبلا بحث ولا دراسة — لمجرد أنها تخالف ما تعوده من تفكير . وما استقرت عليه سرائره من أن « الموتى لا يتكلمون » ... فما بالك عندما يقال لهم بل هم على اتصال بنا أوثق مما نظن بكثير ، وهم يريدون أن يشعرونا بوجودهم ويعطونا أنباءهم ، ويملوا علينا من عالمهم آراءهم، وأشعارهم رائعة ، متدفقة ، ناطقة ، معبرة عن نفس شخصياتهم واتجاهاتهم التى ألفناها منهم عندما كانوا يعيشون بين ظهرانينا سادة مرموقين أو مغمورين . . . ؟ ! . .

إن كل ذلك لا يمكن أن يتقبله الفكر لا بسهولة ولا بسرعة ، بل يحتاج إلى زمن كاف حتى يحدث البرهان أثره فى النفس كما يحتاج الدواء إلى زمن كاف حتى يحدث أثره فى صحة المريض. ولهذا الاعتبار أنكر الناس كل كشف جديد وقاوموه بشدة لمجرد أنه يخالف ما ألفوه من أسلوب معين فى التفكير . أما عندما يستقر الأمر الجديد فى أذهانهم وتقاليدهم فلا يعود محتاجاً بعد لأى برهان.

كذلك كان الشأن دائماً مع الإنسان فى كل عصور تاريخه ، وفى كل فئاته وأجناسه . فعندما كان الاتصال بالأرواح أمراً مألوفاً عند الفراعنة، وعند الإغريق فى أزهى أيام حضارتهم ، كان موقف الأذهان من هذا الموضوع كموقفها اليوم من الراديو ، أو التلفزيون، أو الرادار لا يثير اعتراضاً ولا استغراباً ، ولا يحتاج لمن يدافع عنه باستمرار أو يثبت صحته، ولا يقتضى أخذاً ورداً لا يكاد ينتهى أمره حتى يبدأ من جديد . ولذا نجد فيما دوّن فلاسفة الإغريق الكبار الذين أضاءوا للإنسانية مشعل العرفان كلاماً كثيراً عن الخلود بوصفه حقيقة فلسفية ، كما نجد أقوالا كثيرة منهم عن الاتصال بالأرواح كما لو كان أمراً ثابتاً مقرراً فى أذهانهم ، ومجتمعاتهم ، وعن الأرواح المرشدة والملهمة ، وعن استشارة الأرواح فى معبدى « دلفى » و «دودونا » عن طريق كاهنات المعبدين . . على ما وضحناه عندما تكلمنا عن « الروح عند الإغريق »[1] .

وهكذا الحال حتى فى أيامنا هذه فى الكثير من البلاد ، حيث أصبح الاتصال بالأرواح أمراً مألوفاً من أمور الحياة العادية عند الكثيرين يجرى علناً فى كل مكان ، وعلى كل صورة ، بدون أن يثير أدنى ضجة ولا أى اعتراض وسيجىء هذا اليوم قريباً فى بلادنا ، بل أقرب مما يتصور الكثيرون سواء أرضى المتزمتون أم لم يرضوا ، لأن السليقة الشرقية أقرب من غيرها إلى الاعتقاد بالروح ، وأرغب فى الاتصال بعالم الروح . وعندئذ سيكثر فى بلادنا الوسطاء الأقوياء والعلماء الجادون الباحثون ، وستتعدد المعاهد المتخصصة

---

(١) راجع ما سبق فى ص ١١٦ — ١٢٢ .

فى تحقيق الظواهر الوساطية للتثبت منها، وللخروج من ثبوتها بأخطر الدلالات التى ترتبط ارتباطاً مباشراً بأعماق كل إنسان فى حاضره وفى مستقبله القريب والبعيد، بل ترتبط فى الصميم بمعارف الإنسان الأخرى - وبديهياتها - من فيزياء، وفلك، وفسيولوجيا، وفلسفة، واعتقاد، على ما سنعرض له تباعاً فى الجزء الثانى.

ولو كان يوجد فى بلادنا منذ الآن معهد مهتم ببحوث الظواهر الوساطية - لأمكنه أن يتبين إلى أى مدى تبدو وساطة هذه الوسيطة الراقية جديرة بالبحث العلمى الجاد، فمن أين جاءها هذا التمكن التام من العروض والقوافى؟ ومن أين جاءها هذا الخيال الواسع، وهذه البلاغة الأخاذة، والحكمة البليغة؟ ومن أين جاءتها هذه الذخيرة الضخمة من ألفاظ الفصحى، ومن أساليب البلاغة وفنون البيان، وهى لا تكاد تدرك معانى ما تكتبه بيدها ؟ ! .

ولماذا يحمل شعرها كل خصائص شعر شوقى، ومميزاته وتراكيبه، وقاموسه اللغوى ؟! ولماذا يجىء الشعر متدفقاً وغزيراً فى ظروف متصلة بأحمد شوقى بالذات — وبنجله، وحفيده، وأصدقائه، وبمهرجانه، وبذكرياته، وبنقاده — دون غيرها من ظروف؟! وكيف أنها تكتب أحياناً — كما كان يفعل شوقى — قصائد سهلة سلسة لا تعقيد فيها، حين تكتب أحياناً أخرى قصائد عالية المستوى فكراً، ولغة، وأسلوباً، فلا يفهمها إلا كبار الراسخين فى البيان وفى الفصحى، وفى الحالين معاً تبرز وراء السطور طريقة شوقى، وتراكيبه، وخصائصه، صارخة نابضة بالقوة والحياة؟!

وكيف تكتب هذا الشعر الراقى بمثل هذه الإفاضة والتدفق وبغير أن تحتاج إلى التفكير فيه ؟! وكيف واتتها القدرة على تحدى جمعية الشعراء، بل عدة هيئات، وفى جملة مناسبات، وإفحامها بمثل هذه البلاغة المعدومة النظير؟!... إلى آخر هذه الأسئلة التى يحار الفكر فيها. ألا إن هذه البينة المستمدة من وساطة الوسيطة القديرة قرينة الدكتور الفاضل سلامة روفائيل سعد من أحسن البينات الأدبية التى اطلعت عليها فى المراجع الروحية بوجه عام، لذا اقتضت وقفة كافية عندها.

المبحث السابع

نماذج من أشعار روح المرحوم حفنى ناصف

الدكتور سلامة روفائيل سعد طبيب فاضل بارع وقد كان مفتشاً للصحة بعدة بلاد، واستقال منذ سنة ١٩٣٧ كيما يعمل طبيباً حراً بمدينة شربين. وهو فى نفس الوقت معالج روحى ممتاز، وقد تفرغ تماماً للعلاج الروحى المجانى زهداً منه فى أعراض هذه الدنيا الزائلة بعد أن أعطاه الله منها الشىء الكثير، وهو يباشر أيضاً — وفى عزلة تامة فى ضيعته بقرية ميت أبى غالب — متعة الوساطة العقلية الراقية. وقد تلقى هو أيضاً بضع قصائد من المرحوم حفنى ناصف شاعرنا الفقيد، نشرت بدورها فى مجلة « عالم الروح » وهى كانت تستحق عناية كافية فى عرضها وبحثها كنا نحب أن يتسع لها هذا المقام لولا ضيقه. إنما نكتفى هنا بأن نسجل للوسيطين الكريمين — الدكتور سلامة والسيدة قرينته — هذه الخدمة الجليلة التى أدياها — فى هدوء تام وتواضع نبيل عرف عنهما — لقضية الروحية، بطريقة من لا يبتغى من أحد جزاء ولا شكوراً.



الدكتور سلامة سعد

كما نكتفى بقصيدتين من شعر روح المرحوم الأستاذ حفنى ناصف : الأولى عنوانها « أكرم روح أمى الخالدة »[1] كتبها — بمناسبة عيد الأم — استجابة لطلب الدكتور سلامة وأملاها عليه شخصياً تحية منه إلى روح والدته وفيها يقول : —

أمى سألت ملاك الشعر يسعفنى ... نظماً يليق لعل النظم ينصفنى

---

(١) وقد انتقلت أمه إلى دار الخلد فى سنه ١٩٠٥ . راجع القصيدة فى مجلة عالم الروح عدد ابريل ١٩٥٩ ص ٣٣ ، ٣٤ .

حتى أسجل آى المدح فى كلى ... علّى أسدد بعض الدين والمنن
قال الملاك(١) لمدح الأم ياولدى ... سحر البيان على الأيام ينقصنى
إذ لو أتيت عظيم القول أنظمه ... لا أرتضى بسوى الرحمن يلهمنى
استلهم الملكوت الخلد اكتبه ... إذ أن أمك فى العلياء ترمقنى
تكريم أمك والآفاق تكرمها ... عبق شذاه على الأيام ينعشنى

***

من لى بتسبحة ترضى رسالتها ... تبيانها برنين الحق مقترن
الشعر يعجز والأفكار والقلم ... حتى الطيور إذا غنت لتنشدنى
هات الأريج وهات المسك نسكبه ... عبر الطريق وبين الأرض والسكن
هات المديح نظيم الدر ننشره ... فوق السحاب وحول الدار والوطن
هات الوفاء بلحن الحب ننشده ... فوق الأرائك والأغصان والقنن
هات القمارى وهات الطير نرقصها ... بين الغصون وفوق الأيك والقنن
ماذا المديح بمجد فى مكانتها ... فالله كرمها فى الآى والسنن

***

ما كنت أحلم والأيام غادرة ... أن الزمان بروح الأم يجمعنى
طيف الأمومة عدت اليوم أنظره ... والروح تظهر بين الصحو والوسن
يا فرحتى وبهاء الأم يظهر لى ... يا فرحتى وحنان الأم يحتضنى
عادت لتثبت أن الروح خالدة ... بالحب أجذبها . . بالحب تجذبنى
أقوى القوى ، وبهاء الله ينشره ... هذا الوجود بغير الحب لم يكن

***

(١) الكلام على لسان الملاك .

قالت وقد بدأت تملى خواطرها[1] حب الأمومـــة قوانى ليظهرنى
حب الأمومة كان اليوم معتمدى حب الأمومة يهدينى ويرشدنى
روحى ترفرف حول البنت والولد حيث اتصال بمن أهوى يعاودنى
أمنية عـــرضت والله حققها عين العناية فى الآفاق تكلؤنى
منذ انتقلت وروحى لا تفارقكم فالحب يلزمنى والحب يربطــنى
والموت يهدم ما الإنسان شائده إلا الأمومة قد تحيا مدى الزمن
ما أن خطرت بدار الخلد راضية حتى وجدت مكانى فيه يسعدنى
إذ من هنا برضى الرحمن يمكننى دوما أرافقكم فالشوق هيجنى
فى الفرح أخطر إذ ألقاك ذا فرح أو كنت ذا شجن فالحزن يملؤنى
إن أنت كنت لأمر الله ممتثــلا تلقَّ السعادة والنشوى تلازمنى
والعكس لو بدرت منكم مخالفة نحو الإله فهــذا الأمر يحزننى
والله يســمح للأرواح تسعفكم عند الشدائد أو فى ساعة المحن

* * *

واستبشرت خلجات الأم فى لهف يوم اتصلت بروح الحاذق الفطن[2]
إذ أمكن الوسطاء السير فى حذر نحو الكتابة فانقادت لمفتتن[3]
ما أن سألت رئيس الحفل يسعدنى[4] حتى كتبت لكم شوقاً يطالعنى
أما النصائح قد سطرتها زجلا ينساب فى درر كالشعر متزن
لما انتقلت لدار الخلد فى صغرى[5] والبعد عن فلذات الكبد روعنى

---

(١) الكلام على لسان الأم.
(٢) السيد «س» وهو أول مرشد روحى اتصل بدائرة الدكتور الوسيط.
(٣) يقصد الكتابة التلقائية. (٤) المرشد المهيمن على الجلسة.
(٥) فقد انتقلت فى سن العشرين.

وازداد بى ألم فى القلب مسكنه　　واشتد بى لهفى والشوق أرقنى
ثم ابتليت لحكم الله فى جلد　　فالله كافأ لى صبرى وعوضنى
إن اتصالىَ بالأولاد مفخرة　　تذكى الأمومة فى قلبى وتسعدنى
والناس فى وحبات الخلد هائجة　　منذ اتصلت بكم والكل يحسدنى
صوت الأمومة مسموع لخالقها　　إذ يستجيب دعاء الأم من عدن
لما دعوت أجاب الله مسألتى　　فور السؤال وصوت الابن أسمعنى
إن الأمومة عند الله مسألة　　كبرى يكرمها فى السر والعلن

وأما الثانية — فهى رسالة إلى نجلها الأستاذ مجد الدين حفني ناصف — وقد أملاها على السيدة حرم الدكتور سلامة ، وها هى كاملة(١) :

هلَّ السعود وبات الفرح معتمدى　　واستطربت(٢) خلجات الروح ياولدى(٣)
ناجيتَ روحىَ فاستشرت(٤) صبابتها　　صوت الأحبة هاج الشوق فى كبدى
قومى زهور الربى واستبشرى طرباً　　ضمى الصفوف وهنى الروح واحتشدى
نادى البلابل والورقاء تنشدنى　　لحن الطروب على النعماء والرغد(٥)

* * *

كنت الشجى ولى بالروح مسغبة(٦)　　أن أهتدى لمطاف الآل بالرشد
واليوم دان منالٌ كنت أرقبه　　فيه اعتصمت فصحت آى معتقدى
إنى أهيم — رعاك الله — فى شغف　　والروح أقرب فى نجواك من جسدى
آبت ترفرف فى هنهاف حلتها　　صنو الملائك فى أنوارها الجدد
هذى فديتك بشرى الصادق ارتجعت　　إن طالعتك ففى روع وفى نضد(٧)

* * *

(١) راجع القصيدة فى مجلة « عالم الروح » عدد أبريل سنة ١٩٥٧ ص ١٨ — ٢١ .
(٢) اشتد طربها ؛　(٣) اهتزازات ؛　(٤) سارت سريعاً وعظمت .
(٥) رغد عيشه : طاب واتسع .　(٦) جوع شديد .　(٧) عز وترف .

يا لقية عرضاً[١] بعد النوى وضحت   وضح الضحى بسماح الواحد الصمد
من كان يدرك أن الروح إن وُهبت   ترتاد حى أليف من خِبا الأبد
كالشمس ترسل بالإشعاع من وهج   ليست تروم دليلا قائم العمد
فاعجب بنىّ لأطياف العلا مثلت   فى حيكم ورفات الخلق فى الوهد[٢]
إنى وحقك فى الأعجاب مثلكمو[٣]   أصبحت مبتهجاً كالطائر الغرد

* * *

لا غرو من وثبات الروح ظافرة[٤]   هذى حدود[٥] إلهى القادر الأحد
سن التواجد للأرواح خالدة   ما بين منتصر أو خاسر نكد
هذا يحلق للجنات فى مرح   يأتى الرحاب إلى الرحمن والسند
يبدى المفاخر بعد الآه والألم   وهو المظفر بالإقدام والعتد
أما المروّع بالخسران يا لهفى   يلقى السعير بذل الساهم الحشِد[٦]
إن يرتجِ مدد الرحمن يسعفه   عز النصير وما يؤتى من المدد[٧]
حال الوبال وبئس الحال إن وقعت   ليست تجبر جريح الروح بالضُّمد[٨]

* * *

تلك الحقائق للأحياء موجزها   كم فى الحقائق هذى الطائف المرد[٩]
والدر من غرر اللألاء فى كلى   صفو جمانه من إحراز مقتصد[١٠]

---

(١) من دون روية أو قصد . (٢) وهد : وهدة فى الأرض جمعها وهد .
(٣) الإعجاب : جمع عجب . (٤) ظفر : وثب فى ارتفاع . (٥) حدود : أحكام .
(٦) من لايدع عند نفسه شيئا من الجهد والمال والإعانة . (٧) العون والغوث .
(٨) أربطة الجروح . (٩) الطائف : الخيال الزائل كطائف النوم . المرد : العاتى المتمرد .
(١٠) أى كلام عن مصير الخلائق فهو در ولؤلؤ صاف بما أحرزته روح المقتصد فى الإيضاح.

صـــاغ الوفاء نظيماً فى تألقه   كم فى الوفاء دواء الشـــارد السهد[١]

أنصت بربك وارعَ الله مغتبطـــا   لست المهاتر للتغرير بالوكد

* * *

جاد التوافق فى الأحياء[٢] فانفردت   روحى تكرم لقيا الشبل للأسد[٣]

يا منة[٣] برضـــا الرحمن ضوءتها   أخشى عليك من العزال والحسد

صونى الوداد وإنى العهـــد أمهره   صوناً لرفعة مصداق على الأمد[٤]

أن استجيب لداعى الروح مرتضـــياً   تلك الرغيبة كالأرطـــاب والشهد[٥]

فالروح يمرح فى العلياء مرتقباً   صفو التواجد لو فى ألف محتشد[٦]

موضوعات الجزء الثانى

وبذلك ينتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثانى بمشيئة الله تعالى متضمناً :

الباب الأول : فى موقع عالم الروح .

الباب الثانى : فى أسلوب الحياة فيه .

الباب الثالث : فى الثواب والعقاب .

الباب الرابع : فى بعض المشكلات الفلسفية الأخرى .

الباب الخامس : فى الروح بين العلم والاعتقاد .

الباب السادس: فى علم الروح بين حاضره ومستقبله .

---

(١) من قل نومه . (٢) جاد التجانس أو الانسجام الروحى بين أحياء الأرض وأحياء الأثير .
(٣) يشير إلى اتصاله بابنه . (٤) يامنة : يقصد بها فرصة الاتصال بابنه .
(٥) فيامنة اللقيا صونى الوداد على هذا الاتصال ، وإنى أختم على العهد أن أصون رفعة روحى الصادقة إلى المنتهى . (٦) الشهد أصلها الشهد وهو عسل النحل وتحركت الهاء للشعر .
(٧) فروح الشاعر يمرح فى العلياء منتظراً صفو الاتصال الروحى ولو فى ألف واحد مجتمعين فى الجلسه .

مطول

الإنسان روح لا جسد

الخلود . العقل . الاعتقاد
فى ضوء العلم الحديث

طبعة ثالثة

الجزء الأول

فهرس

الصفحة

إهداء ٣

من روح أمير الشعراء « تحية وتأييد لكتاب الإنسان روح لا جسد » ٥

مقدمة الطبعة الثالثة ١٧

تبويب ٢١

الباب الأول
في التمهيد إلى علم الروح الحديث

الفصل الأول
فى مقدمات البحث العلمى فى الروح

— الناس أعداء ما جهلوا ٢٤

— عصر البحث العلمى فى الروح ٢٥

— مع أساطين الإنكار ٣٠

— عقبات فى الطريق كانت متوقعة ٣٤

— دوام الحياة يصبح حقيقة علمية ٣٧

الصفحة

— الصراع بين المؤيدين والمعارضين ٣٨
— ما ربحته المعرفة من هذا الصراع ٣٩

الفصل الثانى

رسالة البحث العلمى فى الروح ٤٢

ـيدة للبحث ٤٢
ان العلمى بالله ٤٥
: العلمية والفكرية ٤٧
. . . . ٤٩
. . . . ٥٠
. . . . ٥٣
. . . . ٥٦
. . . . ٦٠
. . . . ٦٣
— لم اردد إذا ؟ ! ٦٩

الفصل الثالث

فى واجب الارتباط بالأسلوب العلمى ٧٧

— ضرورة قيام نظرية صحيحة مترابطة ٧٧
— العلم — الفلسفة — الاعتقاد ٧٨
— إرهاصات للتقارب بينها ٨١
— واجب الحذر فى البحث ٨٥
— بعض العلماء الذين سأرجع إليهم ٨٨
— حركة البحث الروحى علمية محايدة ٩٤
— خطورة قضايا الخلود — العقل — الاعتقاد ٩٨
— عن عنوان المؤلف الحالى ١٠١

الباب الثاني

الصفحة

عجالة عن الروح عند الأقدمين ١٠٣

— تمهيـــد وتبويب ١٠٣

الفصل الأول

الروح عند الفراعنة ١٠٧

الفصل الثاني

الروح عند الهندوس ١١٣

الفصل الثالث

الروح عند الإغريق والرومان ١١٧

— عند سقراط ١١٧ عند أفلاطون ١١٩ عند أرسطو . . ١٢٠

عند إسكندر الأفروديسى ١٢١ . عند تمستويس. . . . ١٢١

الفصل الرابع

الروح عند فلاسفة المسيحية ١٢٣

— تعاليم واضحة وصريحة لبولس الرسول ١٢٧

— تعليق شو دزموند على موقف بعض الجامدين من رجال الدين ١٣١

— تعاليم أوريجانوس وسان كليمان السكندرى ١٣٣

الفصل الخامس

الروح عند فلاسفة الإسلام ١٣٦

— الروح عند الفارابى ١٣٦. عند ابن سيناء ١٣٧. عند الغزالى . ١٣٨

— عند ابن رشد ١٤١ . عند ابن باجة وابن طفيل . . . ١٤٢

— عند ابن القيم الجوزية ١٤٢. عنـد ابن خلدون ١٤٣ . .

الصفحة

— عند الإمام الأصفهانى ١٤٤ . عند إخوان الصفا ١٤٤

الفصل السادس

الروح فى عصور أحدث مما تقدم ١٤٥

— الروح عند أحسن شعراء التاريخ ١٤٥

— عند طاغور شاعر الهند وفيلسوفها ١٤٥

— تطور معرفة الروح من الفلسفة إلى التجريب ١٤٧

الباب الثالث

فى نشأة العلم الروحى الحديث ١٤٩

— تمهيـــد وتبويب ١٤٩

الفصل الأول

فى موضوع العلم الروحى الحديث ١٥١

الفصل الثانى

فى الظواهر الوساطية بوجه عام ١٥٦

— ما قد يؤثر فى حدوث الظواهر الوساطية أو عدم حدوثها . ١٥٧

المبحث الأول : نبذة عن أهم الظواهر الوساطية . . . ١٥٩

المطلب الأول : أهم الظواهر العقلية ١٦٠

أولا — الاستشفاف أو الجلاء البصرى ١٦٠

ثانيــاً — الاستشفاف أو الجلاء السمعى ١٦١

ثالثــاً — الكتابة التلقائية ١٦١

رابعاً — الأعمال الفنية التلقائية. ١٦٢

خامساً — الطرح الروحى ١٦٢

سادساً — تفوهات الغيبوبة ١٦٢

الصفحة

سابعاً — التنبؤ بالمستقبل ١٦٢
ثامناً — « السيكومترى » أو القياس الروحى . . . ١٦٣
المطلب الثاني : أهم الظواهر الفيزيقية ١٦٥
الفرع الأول : أنواع الظواهر الفيزيقية بوجه عام . . ١٦٥
أولا — تحريك الأجسام الصلبة بغير وسيلة مادية . . ١٦٥
ثانياً — الكتابة المباشرة ١٦٦
ثالثاً — الصوت المباشر ١٦٦
رابعاً — المجلوبات والمأخوذات الروحية ١٦٧
خامساً — العلاج المعجز : إحالة ١٦٩
سادساً — الأضواء المجهولة المصدر ١٦٩
سابعاً — تغيرات حرارة الجو والوسيط ١٦٩
ثامناً — الصور والكتابات الروحية ١٧٠
الفرع الثاني : الإكتوبلازم والتجسدات ١٧٠
— بعض العلماء الذين بحثوا الموضوع ١٧١
— الإكتوبلازم بالصور عند وسطاء متعددين . . . ١٧٢
— عند السيدة جوليجر ١٧٢
— عند السيدة ستانيسلافا ١٧٣
— عند السيد ويلى شنيدر ١٧٤
— عند الآنسة إيفا كاريير ١٧٥
— عند السيد جاك ور ١٧٦
— عند السيد كلايف هولمز ١٧٧
— عند السيد أينر نيلزن ١٧٧
— عند الآنسة مارى ١٧٨
— عن التجسد ١٧٩

الصفحة

- تحقيق وساطة السيدة مارجرى ١٧٩
- تحقيق وساطتها بالصور ١٨٣
- نفس التجارب تنجح فى معاهد شتى ١٨٦
- تحقيق وساطة فرانك كلاسكى فى « الكلية البريطانية » . . ١٨٧
- تحقيق وساطته فى « المعهد الدولى لما وراء الروح » . . ١٨٨
- تحقيق وساطته فى « جمعية الدراسات الروحية » بوارسو . . ١٩١
- أساليب التجسد ١٩٤
١ - التجسد الإكتوبلازمى ١٩٤
٢ - التجسد المستقل أو الحر ١٩٤
٣ - التجسد الأثيرى ١٩٤
٤ - تغير الهيئة ١٩٥
- عن التجسد الكلى : إحالة ١٩٥
المبحث الثانى : نبذة عن بعض كبار الوسطاء ١٩٦
المطلب الأول : طائفة من وسطاء الظواهر العقلية . . . ١٩٧
- سويدنبرج ١٩٧
- أندرو جاكسون دافيز ٢٠٠
- هدسون تاتل ٢٠٢
المطلب الثانى : طائفة من وسطاء الظواهر الفيزيقية . . . ٢٠٤
- الآنسة فلورنس كوك ٢٠٥
- السيدة أسابيا بلادينو ٢٠٥
- السيدة ديسبرانس ٢١١
- السيد إجلنتون ٢١٢
- السيد ويلى شنيدر ٢١٣

الصفحة

— السيد رودى شنيدر ٢١٤
— السيد جاك وبر ٢١٦
— السيد كارلو ميرابللى ٢١٨
— السيدة آدا إيما دين ٢٢٠
— وسطاء للعلاج الروحى ٢٢٢

المبحث الثالث : مقتضيات الأسلوب العلمى فى البحث ٢٢٣

— بين الظواهر الروحية والنفسية ٢٢٦
— مراحل الغيبوبة الوساطية. ٢٢٧
— ضرورة تأصيل الظاهرة محل البحث ٢٢٩
— إثبات بعض الظواهر ٢٣٤
— تحقيق شخصية الروح ٢٣٧
— ضرورة المثابرة لسنين كثيرة ٢٤٤
— الرد على الاعتراض بالتدليس ٢٤٨
— احتياطات أخرى ٢٥٢
— دراسة الروح تصبح علماً عميقاً ٢٥٤
— بعض المعاهد والجامعات المعنية بالبحث الروحى . . . ٢٥٥
— فى أمريكا ٢٥٥
— فى بريطانيا ٢٥٦
— فى فرنسا ٢٥٨
— فى بلجيكا ٢٥٨
— فى أمريكا الجنوبية ٢٥٨
— عن الجمعيات الروحية : إحالة ٢٥٩
— هذا ما وصلت إليه الروحية التجريبية فى الخارج بالصور . ٢٦٠

الصفحة

الباب الرابع

فى بعض الأسماء والمراجع

فى العلم الروحى الحديث ٢٦٠

تمهيد ٢٦٠

الفصل الأول

بعض الأسماء والمراجع فى أمريكا الشمالية ٢٦٥

— جون إدموندز ٢٦٦ . جيمس مابس ٢٦٧ . روبرت هير ٢٦٧ . روبرت ديل أوين ٢٦٨ . إديسون ٢٦١ . جمعية البحث الروحى الأمريكية ٢٧٠ . وليام جيمس ٢٧٤ جيمس هايسلوب ٢٨٢ . فرديناند شيللر ٢٨٢ . إدوار راندال ٢٨٣ . هيروارد كارنجتون ٢٨٤ . والترفرنكلين برنس ٢٨٧ . ناندور فودور ٢٨٨ .

إدوين فردريك باوز ٢٩١ . كارل ويكلاند ٢٩٣

وليام مكدوجال ٢٩٥ ج . ب راين ٢٩٧

— فى الباراسيكولوجى بوجه عام ٣٠٣

— الأسقف جيمس بايك ٣٠٤

— اتساع نطاق الحركة الروحية فى أمريكا ٣٠٥

— الحركة فى البلاد الأمريكية الأخرى ٣٠٦

— فى بعض بلاد أمريكا اللاتينية ٣٠٨

الفصل الثانى

بعض الأسماء والمراجع فى انجلترا ٣٠٩

— الجمعية الجدلية تبحث الموضوع ٣٠٩

— تلخيص لتقريرها ٣١٠

الصفحة

— تعليق سير آرثر كونان دويل	٣١٣
— تعليق الأستاذ محمد فريد وجدى.	٣١٥
— جمعية البحث الروحى S. P. R.	٣١٦
— أسماء رؤسائها	٣١٧
— تصريحات خطيرة لبعضهم	٣١٩
— هنرى برجسون يرأس هذه الجمعية	٣٢١
— « « يشيد فلسفة متفقة مع نتائج التجارب الروحية	٣٢٥
— الجمعية تواصل نشاطها حتى الآن	٣٢٧

— بعض آراء وأعمال وليام براون ٣٢٧. فلوجل ٣٢٨. دى مورجان . ٣٢٨. سير وليام كروكس ٣٢٩. سير ألفرد راسل والاس ٣٣١. سير وليام باريت ٣٣٢ . لورد رايلى ٣٣٥ سير أوليفر لودج ٣٣٥ . فردريك و. هـ. مايرز ٣٤٢. إدموند جيرنى ٣٤٦. و. ج. كروفورد ٣٤٨ . ج . و . ديون ٣٤٩ . هتنجر ٣٤٩ .

هارى برايس	٣٥٠
— نبذة عن المعمل الوطنى للبحث الروحى	٣٥١
— متابعة للعلماء البريطانيين: هوراس ليف ٣٥٥. تيريل . .	٣٥٥

— دور المفكرين والأدباء ٣٥٦ . سير وليام ستيد ٣٥٦ . سير آرثر كونان دويل ٣٦٣ . إرنست أوتن ٣٦٨. ألفرد كيتسون ٣٦٩. هانن سوافر ٣٧٠. واليس ٣٧٣. إرنست ترمسون ٣٧٤. جون لوب ٣٧٥. بول ميلر ٣٧٦. جيمس آرثر فندلاى ٣٨٠. شودز موند ٣٨٢. موريس باربانيل ٣٨٣. و. هـ. إيفانز ٣٨٥ . فردريك وود ٣٨٥. جيمس كوتس ٣٨٦ ألكساندر كانون ٣٨٧. بول برنتون ٣٨٨. أولدفيلد ٣٨٩. جون وينج ٣٩٠. جير الدين كامينز ٣٩١. أورسولا روبرتس ٣٩٢. جريس كوك ٣٩٣. سانكلير ستوبارت ٣٩٤

الصفحة

— بعض رجال العقيدة : الأساقفة ستانتون موزس ٣٩٥ .
شارل تويديل ٣٩٧ . جون لاموند ٣٩٨ . جورج فيل أوين ٣٩٩ .
موريس إليوت ٣٩٩ . درايتون توماس ٤٠٠
— الروحية من الناحية الشعبية في بريطانيا ٤٠١

الفصل الثالث

بعض الأسماء والمراجع في فرنسا والبلاد الأخرى ٤٠٢

— بعض الفلاسفة والعلماء بوجه عام ٤٠٢ دى جاسباران ٤٠٣ .
بول جيبيه ٤٠٣ . جان مايره ٤٠٥ . دى روشاه ٤٠٥ . كامى فلاماريون
٤٠٦ . موقف أكاديمية العلوم بباريس ٤٠٨ . علماء المادة هناك
يبحثون موضوع الروح والخلود ٤٠٩ شارل هنرى ٤٠٩ .
ألكسندرا دافيدنيل ٤١٠ جان ليرميت . . . ٤١١
— دور «المعهد الدولى لما وراء الروح» بباريس . . . ٤١٢
- جوستاف جيلى ٤١٥ . أوجين أوستى ٤١٨ . رينيه فاركولييه ٤١٩
— طائفة من الفلاسفة والمفكرين : آلان كاردك . . . ٤٢٠
ليون دنيز ٤٢١ . جابريل ديلان ٤٢٣ . مدام بيسون ٤٢٤ .
شازاران ٤٢٤ . إدوار شيريه ٤٢٤ . بول جوار ٤٢٥ .
توماس بريه ٤٢٥ . كورنيليه ٤٢٥ . إميل بوارك ٤٢٦ .
ليروى د.ل. شفريه ٤٢٦ . جاك كلير ٤٢٦ . ميشيا ساج ٤٢٦ .
ألفريد بينزيك ٤٢٧ . شارل بينزيك ٤٢٧ . شارل لانسلان ٤٢٧ .
بيير ليكور ٤٢٨ . رينيه سيدر ٤٢٨ . ج . سيمون ٤٢٩ .
سيزار دى فيزم ٤٢٩ . لاباديه ٤٢٩ . اندريه ديماس ٤٢٩ .
موريس ماجر ٤٢٩ . جورج فيتو ٤٣٠ . إدوار سابى ٤٣٠ .
جورج باريارن ٤٣١

الصفحة

ـــ بعض الأسماء والمراجع فى بلاد أخرى ٤٣١ : فى بلجيكا ٤٣٢ ، فى هولندا ٤٣٢ . فى ألمانيا ٤٣٣ . فى سويسرا ٤٣٤ . فى إيطاليا ٤٣٥ . فى روسيا ٤٣٦ . فى أسبانيا ٤٣٧ . فى تركيا . . ٤٣٨

الفصل الرابع

بعض الأسماء والمراجع باللغة العربية ٤٣٩

ـــ الشيخ طنطاوى جوهرى ٤٣٩

ـــ الأستاذ محمد فريد وجدى ٤٤١

ـــ الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير ٤٤٣

ـــ الدكتور على عبد الجليل راضى ٤٤٦

الباب الخامس

فى بعض البينات والوقائع ٤٥٣

تمهيد وتبويب ٤٥٣

الفصل الأول

من تجارب وليام كروكس فى الظواهر الروحية ٤٥٧

ـــ نبذة عن تجاربه مع دانييل دجلاس هوم ٤٥٩

ـــ بحوثه فى الظواهر الفيزيقية ٤٦٠

ـــ أقواله فى تجسدات الأيدى ٤٦١

ـــ فى الكتابة المباشرة ٤٦٢ . فى أشكال الأشباح ووجوهها . ٤٦٣

ـــ فى الجلوبات الروحية ٤٦٥

ـــ عن تجاربه مع الآنسة فلورنس كوك والروح كاتى كنج . ٤٦٨

ـــ وصف تجسد الروح كاتى كنج ٤٧٠

ـــ كروكس يصف بقلمه بعض التجسدات ٤٧٤

ـــ بعض الفروق بين الوسيطة والروح المتجسدة . . . ٤٧٩

الصفحة

— تحليل لظاهرة التجسد ٤٨١
— نقاط للتأمل ٤٨٢
— ٤ صور للروح كاتى كنج متجسدة ٤٩٠
— صور أرواح متجسدة فى عدة بلاد للمقارنة ٤٩١
— تجسد روحين فى وقت واحد فى حضور إجلنتون . . . ٤٩١
— حاله تجسد تام للوجه فى « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس
— فى حضور الوسيطة إيفا ٤٩٢
— تجسد آخر عن طريق نفس الوسيطة ٤٩٣
— حالتا تجسد فى منزل الأستاذ لوب بواسطة زوجته . . . ٤٤٩
— من حالات التجسد التام فى حضور السيدة ديسبيرانس . . . ٤٩٥
— من حالات التجسد التام فى الدانمرك ٤٩٦
— « « « « « أيضاً ٤٩٧
— حالة تجسد جزئى واضحة فى إيطاليا ٤٩٧
— حالة تجسد واضحة فى أمريكا ٤٩٨
— حالة تجسد واضحة فى كولورادو ٤٩٩
— تجسد الدكتور جلين هاملتون ٤٩٩
— حالة تجسد أخرى فى أمريكا ٥٠٠
— لحظة فقدان التجسد ٥٠١
— تجسد الروح المرشدة للوسيطة إيتيل بوست بأريش . . . ٥٠١
— حالة تجسد مغطاة فى البرازيل ٥٠١
— شعر روح متجسدة فى « المعهد الدولى للبحث الروحي » بلندن ٥٠٢
— عينة من رداء روح متجسدة ٥٠٢

الفصل الثانى

شارل ريشيه ينحاز إلى النظرية الروحية

بعد طول مقاومة لها ٥٠٣

— نبذة عن حياته وبحوثه ٥٠٣

الصحفه

— تحقيقاته فى المنازل المسكونة ٥٠٤
— نبذة عن مؤلفه « فيما وراء الروح » ٥٠٥
— تحقيقاته فى بعض التجسدات ٥٠٨
— صورتان التقطهما بنفسه لروح متجسدة ٥١٢
— الضمانات الكثيرة فى تحقيقاته ٥١٤
— وفى تحقيقات أخرى لنفس الظواهر ٥١٥
— ما نتيجة هذا كله ؟ ٥١٩
— عن مؤلفه « حاستنا السادسة » ٥٢١
— بعض آراء أخرى متنوعة لريشيه ٥٢٣
— من مقدمته لكتاب الدكتور ماكسفل ٥٢٥

الفصل الثالث

من تجارب إرنستو بوزانو وبحوثه ٥٢٧

— رأيه فى هذا الشأن ٥٢٨
— تلخيص مقال له عن ظواهر الروحية والعقل الباطن . . ٥٣٠
— نوع الظواهر التى يجلها ٥٣١
— تعذر تعليلها بأى تعليل مادى ٥٣١

الفصل الرابع

وقائع لها دلالتها

عن أعمال « جمعية البحث الروحى » بلندن ٥٤٢

— الاعتراض على بعض الظواهر بالتلباثى . الرد عليه . . . ٥٤٢
— بعض مراجع فى هذا الشأن ٥٤٤

الصفحة

— وقائع تدحض إمكان التعليل بالتلباثى ٥٤٦
. . . . ٥٤٦
. . . . ٥٤٩
. . . . ٥٥١
. . . . ٥٥٢
ع أخرى ٥٥٣

الفصل الخامس

مال الطيران لورد دودنج
ن أقطاب الروحية الحديثة ٥٥٩
. . . . . . ٥٥٩
. . . . ٥٥٩
وحى ٥٦١

الفصل السادس

بينات متنوعة علمية وعلاجية ٥٦٧
— شهادة الدكتور جوان ريكالد ٥٦٨
— بينة علمية فى شأن أشعة ميليكان ٥٧٠
— شهادة الدكتور متى براسيلار ٥٧١
— الكاميرا تسجل إشعاعات غريبة فى غرف الجلسات . . ٥٧٢
— عن المس والاستحواذ ٥٧٤
— بعض كبار المعالجين ٥٧٩
— علماء كبار يحققون صحة النتائج ٥٨٢
— العلاج الروحى يبلغ شأواً كبيراً ٥٨٥
— العلاج الروحى بالصور ٥٨٩

الصفحة

الفصل السابع

تحقيق ظاهرة الشغب المجهول المصدر ٥٩٢

— تحقيقات القاضى إدموندز ٥٩٢ شارل ريشيه ٥٩٣ . كاى فلاماريون ٥٩٣. سير وليام باريت ٥٩٣. فرانك بودمور ٥٩٤. إرنستو بوزانو ٥٩٤ . أندرولانج ٥٩٤ . هيرواردكارنجتون ٥٩٥ هارى برايس ٥٩٥ . ناندور فودور ٥٩٦

— تحقيقات الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير ٥٩٦

— « « جمعية البحث الروحى بلندن ٥٩٨

— « « الكلية البريطانية للعلم الروحى» . . . ٥٩٨

— « « المعهد الدولى لما وراء الروح بباريس» . . ٥٩٨

— من أسباب الشغب ٥٩٩

الفصل الثامن

بينات على وجود الجسد الأثيرى ٦٠٣

تمهيد وتبويب ٦٠٦

المبحث الأول : أقوال متنوعة فى الجسد الأثيرى ٦٠٦

— الجسد الأثيرى فى رأى أوليفر لودج ٦٠٦

— « « « « جيمس آرثر فندلاى . . . ٦٠٨

— « « « « هيوات ماكنزى ٦١١

— أوصاف شتى للجسد الأثيرى ٦١٣

المبحث الثانى : دراسات علمية فى الجسد الأثيرى . . . ٦١٤

— الإحساس من خواص الجسد الأثيرى ٦١٤

— الجسد الأثيرى غير قابل للبتر أو للفساد ٦١٩

— بين الجسد الأثيرى والحياة فى الأثير ٦٢٥

— الحالة البشرية ٦٢٥

الصفحة

— دراسات علمية فيها ٦٢٦
— تصوير الهالة ٦٣٠
— تصوير الجسد الأثيرى للإنسان ٦٣١
— عن الطرح الروحى ٦٣٢
— موقف علم النفس من الجسد الأثيرى ٦٣٤
— رأى ما كدوجال ٦٣٤
— « يونج ٦٣٤
— عن مراكز الطاقة فى الجسد الأثيرى ٦٣٧
المبحث الثالث : ماذا عن الجسد الأثيرى للحيوان ؟ ٦٤٠
— تجارب واترز فى تصوير الأجساد الأثيرية لبعض الحيوانات ٦٤٠
— كائنات حية تظهر فى جلسات البحث الروحى ٦٤٢
— ظهور رأس كلب ميت غير متجسد ٦٤٥

الفصل التاسع

بين العقل والمخ ٦٤٩

تمهيد وتبويب ٦٤٩
المبحث الأول : نوع الصلة بين العقل والمخ ٦٥٠
— النظرية القائلة بأن العقل وظيفة للمخ ٦٥١
— المشاهدات التشريحية تكذبها ٦٥١
— هل العقل مصدر للمخ ؟ ٦٥٣
— آراء خطيرة لبرجسون ٦٥٥
— من أقوال مكدوجال ٦٥٩
— من بحوث ج. ب رأين ٦٦٢

الصفحة

— آراء أخرى تؤيد نفس الاتجاه ٦٦٤
— للدكتور تشارلس بروض ٦٦٤
— للدكتور تشارلس فوكس ٦٦٥
— للأستاذ إرنست هولمز ٦٦٦
— لآخرين ٦٦٧
— عن ارتباط ذلك بالكشوف الروحية ٦٦٨
المبحث الثانى : الصلة بين العقلين الواعى وغير الواعى . . ٦٧٠
— عن الوعى الأسمى ٦٧١
— وجهات نظر بعض الأرواح فى هذا الشأن ٦٧٣
— رأى الأستاذ موريس ماستر ٦٧٨
— عن العقل من ناحية صلته بالزمان والمكان . . . ٦٨٠
— العقل الباطن والأحلام ٦٨١

الفصل العاشر

فى تأثير العقل المباشر فى المادة ٦٨٥

— تمهيد وتبويب ٦٨٥
المبحث الأول : موقف الفلسفة والعلم من هذا الموضوع . . ٦٨٦
— رأى الفيلسوف الأسقف بيركلى ٦٨٦
— موقف العلم الحديث من هذا الموضوع ٦٨٨
— رأى أوليفر لودج ، وبيير، وجوليو كورى . . . ٦٨٨
— رأى سير آرثر إدنجتون ٦٨٩
— رأى سير جيمس جينز ٦٨٩
— بحوث بعض علماء الروحية الحديثة ٦٩٠
— رأى جيمس آرثر فندلاى ٦٩٠
— بحوث ج. ب. راين ٦٩٠

الصحفة

— بحوث أخرى فى تأثير العقل فى المادة ٦٩٤
— بحوث على الوسيطة ستانيسلافا (بالصور) ٦٩٥
— تأثير العقل فى الصحة والمرض ٦٩٦
— آراء لومبروزو، ومسمر، وشاركو ٦٩٦
المبحث الثانى : صلة تأثير العقل فى المـــادة بتعليل بعض الظواهر
الوساطية الفيزيقية ٦٩٧
— صلته بتجسد الأرواح والملابس ٦٩٨
— صلته بتحريك الأجسام الصلبة بدون ملامسة . . . ٦٩٨
— صلته بظهور صور الأرواح غير المتجسدة ٦٩٩
— بعض المراجع فى تصوير غير المنظور ٦٩٩
— بعض ما يراعى عند تقدير صور غير المنظور . . . ٧١٠
— دور تأثير العقل فى المادة هناك ٧١٢
— صور لأرواح غير متجسدة ٧١٤
— تحقيق وساطة بورسينيل فى « الكلية البريطانية للعلم الروحى» ٧١٤
— اختبارات أخرى لنفس الوسيط فى ضوء النهار . . . ٧١٩
— صورة روحية للسيد واين ٧٢١
— « « للسيدة مارى تويديل ٧٢١
— « « لسير وليام كروكس ٧٢٢
— « « « آرثر كونان دويل ٧٢٢
— تحقيق وساطة السيد ويلى فى إنجلترا ٧٢٣
— « « « « فى أمريكا ٧٢٦
— « « السيد مارتن فى أمريكا ٧٢٦
— وساطة السيد هوب ٧٢٧
— وساطة السيد دجويد ٧٢٨

الصفحة

— وساطة السيد برمسون ٧٢٨
— وساطة السيد هدسون ٧٢٨
— بعض صور عن ألبوم ، جمعية البحث الروحى ، بلندن . . ٧٢٩
— وساطة الدكتور هوبر ٧٣٠
— وساطة السيدة دين ٧٣١
— وساطة السيدة دونوهو ٧٣٣
— وساطة الدكتور جون مايرز ٧٣٤
— الدكتور كروفورد يثبت حياته بعد الموت بالصور . . ٧٣٥
— مضاهاة الخطوط بعد مضاهاة الصور ٧٣٦
— بعض خطوط الأرواح فى بحوث الأسقف توبديل . . ٧٣٦
— بعض خطوط الأرواح فى بحوث الدكتور جيبيه . . ٧٣٧
— بعض خطوط الأرواح فى بحوث القاضى جون إدموندز . ٧٣٨

الفصل الحادى عشر

فى الأدب الروحى والإلهام ٧٣٩

— تمهيد وتبويب ٧٣٩
المبحث الأول . النظرية الروحية فى الأدب الروحى والإلهام . ٧٤٠
— عودة عدد من كبار الكتاب والأدباء : أمثلة ٧٤٢
— عودة تشارلز ديكنز ٧٤٢
— عودة أوسكار وايلد ٧٤٣
— عودة جورج برنارد شو ٧٤٤
— ألغاز يحلها علم الروح ٧٤٥
— الإلهام حقيقة علمية وفلسفية ٧٤٧
— رأى دائرة المعارف البريطانية ٧٤٧
— رأى سير أوليفر لودج ٧٤٨

الصفحة

— رأى كارل ياسبرز ٧٤٩
— رأى شارل ريخت ٧٥٠
— رأى بول رينتون ٧٥٠
— عن الفلسفة الهندية. ٧٥١
— بعض ما تكشفت عنه البحوث الوساطية ٧٥٢
— من حالات الكتابة بلغة لا يعرفها الوسيط . . . ٧٥٥
— مثال من إلهام ثرى راق ٧٥٦
المبحث الثانى : بين العبقرية والإلهام ٧٦٠
— عن الإلهام الواعى وغير الواعى ٧٦٠
— آراء بعض كبار العباقرة الملهمين ٧٦١
— قول لسقراط. ٧٦١
— « لابيمينيد ٧٦١
— « لتنيسون. ٧٦٢
— « لألفريد دى موسيه ٧٦٣
— « لإديسون ٧٦٣
— « لجوته ٧٦٣
— « لتيوفيل جوتييه ٧٦٣
— « لشوبنهور ٧٦٣
— لكامى موكلير ٧٦٣
— لبيير ميل ٧٦٣
— عن جهاز الإلهام ٧٦٤
— لغز الأطفال الموهوبين ٧٦٥

الصفحة

الفصل الثاني عشر

أشعار للمرحومين أحمد شوقي وحفني ناصف تتحدى المكابرين ٧٦٧
— تمهيد وتبويب ٧٦٧
المبحث الأول : نماذج متنوعة من قصائد روح شوقي . . . ٧٧٣
— قصيدة « إلى ولدى على » ٧٧٣
— قصيدة للتهنئة بزفاف حفيدته ٧٧٥
— قصيدة يستقبل بها المرحوم الدكتور إبراهيم ناجي . . ٧٧٦
— قصيدة « إلى المتشككين » ٧٧٧
— قصيدة « عزاء » إلى المرحوم الأستاذ أحمد فهمي أبي الخير . ٧٨٣
— قصيدة يرد بها على نقد أديب معروف ٧٨٤
— قصيدة « نعم .. شوقي ليس جبانا » ٧٨٥
— قصيدة للشكر على إطلاق اسمه على قرية بمديرية التحرير . . ٧٨٨
— قصيدة « عيد الجلاء » ٧٩٠
— قصيدة « نصيحة » ٧٩٤
— قصيدة « في المهرجان » ٧٩٨
— قصيدة الاحتفال بذكراه السادسة والعشرين ٨٠١
— قصيدة عيد « الأم » ٨٠٤
— من قصيدة « يقظة الزمن » ٨١٠
— قصيدة إلى « جمعية الشعراء » ٨١٣
— قصيدة « حنين أم إلى الماضي » ٨١٧
المبحث الثاني : حكمة وفلسفة لروح أمير الشعراء في رباعيات رائعة ٨٢٠
— تحت عنوان « ذكريات » ٨٢١
— تحت عنوان « مناجاة النيل » ٨٢٤
— تحت عنوان « مناجاة مصر » ٨٢٥
— تحت عنوان « استعراض الماضي » ٨٢٨

الصفحة

المبحث الثالث : مؤازرة كريمة من روح أمير الشعراء . . . ٨٣٣
— تمهيـــد ٨٣٣
— قصيدة « تحية للمؤلف » ٨٣٧
— قصيدة « هاديات الرجاء » ٨٤٢
— عن قصيدة « تحية وتأييد لكتاب الإنسان روح لا جسد » ٨٤٤
— قصيدة « إلى أمد من الخلود لكم يدى » ٨٤٤
المبحث الرابع : بعض مشاهد من رواية كاملة أملتها روح أمير الشعراء ٨٥٠
— شخصيات الرواية ٨٥٠
— مشهد من الفصل الأول ٨٥١
— مشهد من الفصل الثانى ٨٥٨
— مشهد ثان ٨٦٤
— مشهد ثالث ٨٦٦
— مشهد رابع ٨٦٩
— مشهد من الفصل الثالث ٨٧٣
— مشهد ثان ٨٧٦
— مشهد ثالث ٨٧٨
— مشهد رابع ٨٧٩
— مشهد خامس ٨٩٠
— مشهد سادس ٨٩٤
— تحية من الروح إلى قراء الرواية ٨٩٦
المبحث الخامس : عن شاعرية شوقى بوجه عام ٨٩٨
— عن النقد الذى تعرض له شوقى ٨٩٨
— هل كان شوقى مقلداً أم مجدداً ؟ ٨٩٩
— عن تفاوت مستوى الشوقيات ٩٠٤

الصفحة

المبحث السادس : آراء كبار الأدباء والنقاد فى أشعار الروح . . ٩٠٦
— رأى الأستاذ محمد عزيز أباظة ٩٠٦
— رأى الدكتور أحمد الشايب ٩٠٨
— رأى الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى ٩٠٨
— رأى الدكتور أحمد الحوفى ٩٠٩
— رأى الأستاذ عادل الغضبان ٩١٦
— رأى الدكتور بدوى أحمد طبانة ٩٢٢
— رأى الأستاذ على الجندى ٩٣٠
— الحق أحق أن يتبع ٩٢٣ . كلمة هادئة ٩٣٤
— بين أمانة الكتابة وأمانة القراءة ٩٤٠
— الزمن وأثره فى الاقتناع ٩٤٤
المبحث السابع : نماذج من أشعار روح المرحوم حفنى ناصف . ٩٤٧
— قصيدة « أكرم روح أمى الخالدة » ٩٤٧
— قصيدة « رسالة إلى ولدى مجد الدين » ٩٥٠

تصويب الأخطاء المطبعية

رقم الصفحة	رقم السطر	خطأ	صواب
٨	٩	تتعلم	تتلعثم
١١	١٣	يقحم	يقتحم
١٥١	١٧	sychology	Psychology
٤١٦	٢	١٩٢٥	١٩٢٤
٤٦٨	١٢	وعلى	على
٦٦٩	٥	ما تقول	مع ما تقول
٦٧٥	٢	إمدادته	إمداداته
٧٦٧	١١	أعشرين	عشرين
٧٩٥	٧	التهجم	التجهم
٨٦٠	٨	كل لهج	كل لهيج
٨٨١	١٦	إما	ما

تم بحمد الله وعونه طبع هذا الكتاب فى مطابع
نهضة مصر
١٨ شارع كامل صدقى — الفجالة — القاهرة
فى رجب ١٣٨٨ هـ — أكتوبر ١٩٦٨ م.

مدير المطبعة
محمد أحمد إبراهيم

مطبعة نهضة مصر
الفجالة، القاهرة

